الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية

تقديم وثناء السادة العلماء الأفاضل :

الشيخ العلامة أديب الكلاس — الشيخ المربي حسين بن الشيخ موسى — الشيخ العلامة عدنان حقي

الشيخ العلامة عبد الرحمن الشاغوري — الشيخ الداعية محمد بن الشيخ موسى — الشيخ الداعية محمد سعيد الكحيل

الشيخ العلامة مصطفى التركماني — الشيخ المرشد ياسين الخطيب

تأليف : الشيخ يوسف خطار محمد

الجزء الأول

١- التصوف
٢- التوسل
٣- المدد
٤- المولد
٥- التبرك
٦- الحضرة
٧- الحركة بالذكر
٨- تقبيل اليد
٩- السيادة
١٠- القيام
١١- الذكر الجهري
١٢- الذكر بالاسم المفرد (الله)
١٣- الدف
١٤- السبحة
١٥- الإنشاد والسماع
١٦- وصول ثواب القرآن
١٧- زيارة القبور

الجزء الثاني

١- الذكر مع الجماعة
٢- الحب في الله
٣- المبايعة
٤- المرشد
٥- الصحبة
٦- الفرقة الناجية
٧- الورد
٨- الفرق بين الكرامة والاستدراج
٩- الشطح
١٠- وحدة الوجود
١١- الاتحاد والحلول
١٢- حل الاشكالات حول الشيخ محي الدين بن عربي
١٣- المجاهدة
١٤- الطريقة والحقيقة
١٥- السنة والبدعة
١٦- الإستعانة بالقرآن العظيم
١٧- المذاهب
١٨- الأدب مع العلماء والصالحين
١٩- حجاب المرأة المسلمة
٢٠- المصافحة بعد الصلاة
٢١- صلاة الأوابين
٢٢- مس غير الطاهرين المصحف
٢٣- سنة الجمعة القبلية
٢٤- صلاة الظهر بعد الجمعة
٢٥- صنع أهل الميت للطعام
٢٦- تلقين الميت بعد الدفن
٢٧- قضاء الفوائت
٢٨- الصلاة على النبي بعد الأذان
٢٩- تحريك الإصبع في التشهد
٣٠- صلاة التراويح
٣١- التأويل وإثبات المجاز

الموسوعة اليوسفية

في بيان

أدلّة الصوّفيّة

فضيلة الشيخ

يوسف خطّار محمد

مكتبة دار الألباب

الإهداء

إلى كل من يبحث عن الحق والحقيقة.

❖إلى كل من يريد الدليل من كتاب الله وسنة النبي ﷺ.

❖إلى كل من يريد النجاة في الدارين.

❖إلى كل مؤمن صادق يقبل الحق عندما يرى البرهان والحجة الساطعة واضحة أمامه ولا يحيد عنها.

❖إلى كل من يقوم بالإرشاد والدعوة إلى الله عز وجل.

❖إلى كل من يقوم بمجالس الذكر والصلاة على النبي ﷺ.

أقدم هذا الكتاب



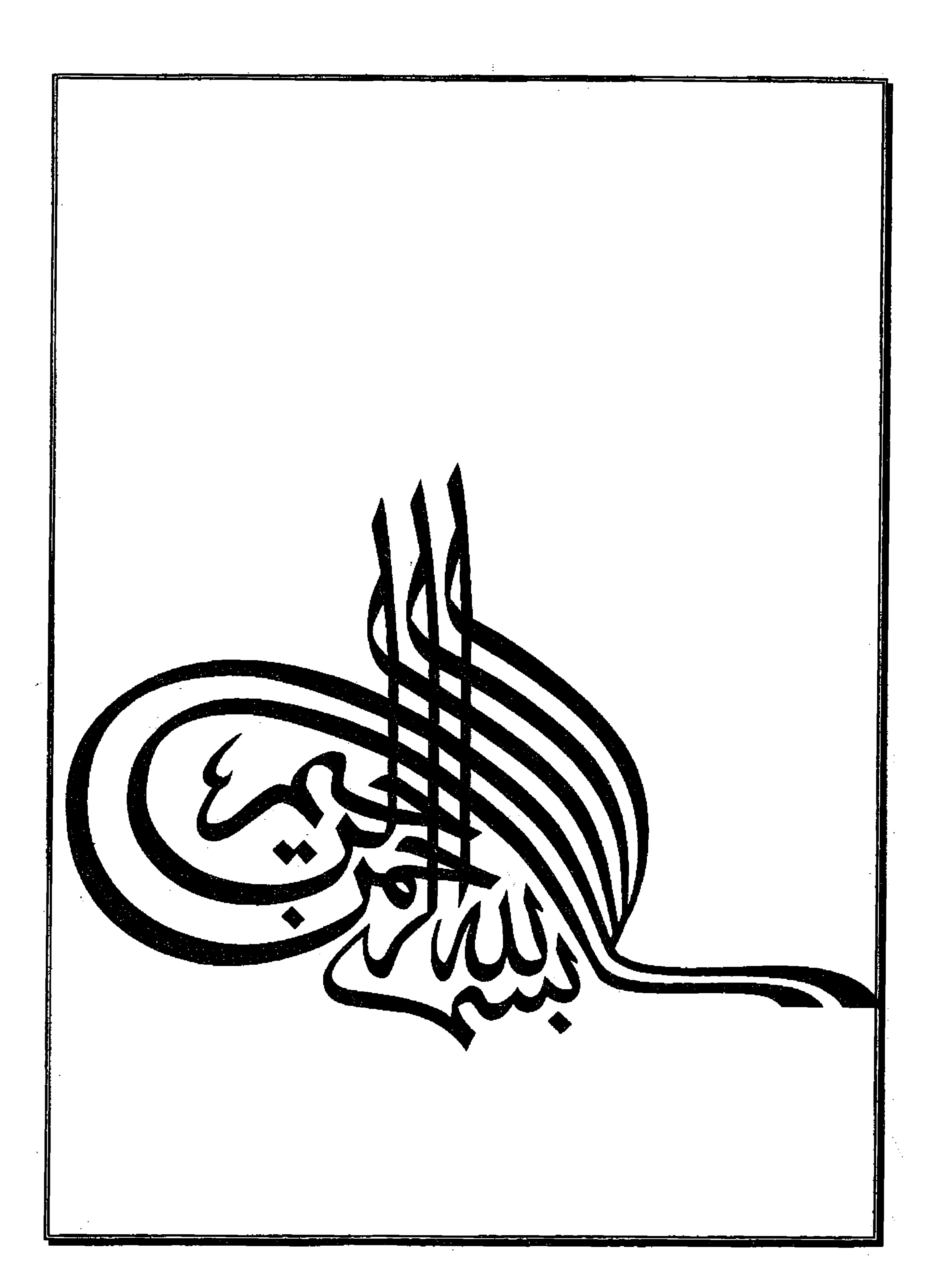
الكتاب: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية
المؤلف: فضيلة الشيخ يوسف خطار محمد

الطبعة الثانية - ١٩٩٩

موافقة وزارة الإعلام
رقم٤٥٠١٧ تاريخ ٦/ ٧ /١٩٩٩

تنفيذ: مطبعة نضر - دمشق بحصة - جانب جامع الطاووسية - بناء النحاس هـ ٢٣١٢٣٦٣.

مكتبة دار الألباب


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك الجليل، الذي أرسل سيدنا محمداً ﷺ بواضح البرهان والحجة والدليل، وأذلَّ لوطأته أهل الشرك والإلحاد والأباطيل.

وبعد:

فإن الأمة الإسلامية في هذا الوقت تعيش في صراع مؤلم بين مؤيِّد ومنكر، وبين من يقول هذه سنة وهذه بدعة، وبهذا الصراع تركنا المهمة الأساسية ألا وهي أن يكون المسلمون صفاً واحداً كما قال المصطفى ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[1].

وهذا الصراع يتجلى في عدة مسائل لا غير، وكأن المكتبة الإسلامية لا تحوي إلا هذه المسائل، ففكرْتُ أن أحسم هذا الأمر بشكل تام، وذلك بأنني جئت بالأدلة من الكتاب والسنة حتى لا ينكر عليَّ أحدٌ وأقطع دابر هذا الأمر نهائياً.

وبعد ذلك نهتم بأمور المسلمين ونكون قلباً واحداً كما أراد الله

---

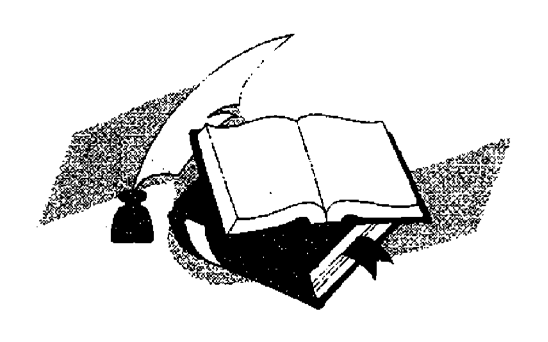
١ - أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٦٥٢٩) واللفظ له، وأحمد (٢٦٨/٤)، والحميدي (٩١٩)، والبيهقي (٣٥٣/٣)، والبغوي (٣٤٥٩)، والقضاعي (١٣٦٧)، والطيالسي (٧٩٠)، وابن حبان (٢٣٣).

ورسوله ﷺ، وإن جئت بأقوال العلماء والعارفين فإنما أتيت بها على سبيل الاستئناس.

وأطلب من الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا على كلمة التقوى، وأن لا نكون ألعوبة في يد أعداء الإسلام، فهناك أمور كثيرة يجب محاربتها، فلماذا نترك هذه الأمور الواضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار ونحارب الذاكرين المحبين لله والرسول ﷺ؟؟!!.

اللهم ردنا إلى ديننا رداً جميلاً، وبصرنا بالحقائق، ونور قلوبنا وأبصارنا، واجعلنا محبين للحق والحقيقة.

والحمد لله رب العالمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعت على(باب العقيدة) من كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية فوجدته كتاباً مفيداً جداً، وهو كتاب يوضح أفكار وآراء أهل التصوف الحقيقيين الذين أعمالهم توافق أهل السنة والجماعة.

الشيخ أديب الكلاس

السبت / ٣ / جمادى الأولى عام ١٤٢٠هـ

الموافق لـ ١٤ / ٨ / ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين.

وبعد: لقد اطلعت على كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية فوجدته كتاباً مليئاً بالعلم وغزيراً جداً بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

وهذا الكتاب: لا يستغني عنه طالب علم يبتغي الحق والصواب ولقد سررت جداً بهذا الكتاب لأنه قد جمع المواضيع التي يثار حولها الشكوك والأوهام.

وبتوفيق الله عز وجل لهذا المؤلف أرى أنه قد وفّق لإزالتها بشكل مقنع وصريح لكل من أراد طريق الحق والصواب.

ولقد بين المؤلف في هذا الكتاب عقيدة أهل التصوف المبنية على الكتاب والسنة وهذا هو الحق الذي لا يزيغ عنه إلا هالك.

وفي نهاية الكلمة لا يسعني إلا أن أقول:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

باكتساب العلم إرغام العِدى وجمال العلم إصلاح العمل

ثم أقول:

لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل

الشيخ عبد الرحمن الشاغوري

السبت / ٣ / جمادى الأولى / ١٤٢٠هـ

١٤ / ٨ / ١٩٩٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فقد أطلعني الأستاذ الفاضل الشيخ يوسف خطار محمد، على كتابه القيم الذي أسماه (**الموسوعة اليوسفية**)، فألفيته كتاباً جمع فيه مؤلفه جزاه الله خير الجزاء مباحث قيمة طال فيها الأخذ والرد، بل والشغب أحياناً للتمويه على الحق وتعتيمه، وإلقاء بذور الحيرة والشك في نفوس الأبرياء، الذين ينشدون الحق لتطمئن إليه قلوبهم.

ومن خلال الذي اطلعت عليه وسمح ظرفي في الإطلاع عليه وضح لي أن المؤلف بذل جهداً مشكوراً وواصل البحث لتجلية كل موضوع طرقه على ضوء من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة وأفهام العلماء سلفاً وخلفاً عازياً للمصادر، التي نقل منها ما يريده بأمانة ودقة كشأن العلماء الأمناء الذين يخشون الله ويراقبونه في أعمالهم وأقوالهم.

والآن فقد أصبح بين يدي القارئ مصباحاً منيراً ومرجعاً مصاناً بعيداً عن التهريج وساحة التضليل والتمويه لاتقبث به الرياح الهوج ولا يخاف حامله من مزالق الطريق فهو على بصيرة من أمره وشريعة ربه.

فلله الحمد والمنة أن جعل هذا الدين محفوفاً بالعناية له حراسه وعدوله الذين يذبون عن حماه (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**).

وأخيراً لا يسعني إلا الدعاء للمؤلف على ما بذل من جهد مشكور وعلى نيته الطيبة وهدفه السامي في جمع شمل الأمة ووحدة صفها وإعزاز كلمتها حتى تكون كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى الله

مصطفى عبد الرزاق تركماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد :

فلقد أهداني الأستاذ يوسف خطار محمد كتابه المسمى الموسوعة اليوسفية فتصفحته وقرأت عناوين المواضيع التي شرحها فوجدت هذا الكتاب حجة واضحة لكل منصف وبرهاناً لكل محقق يريد الحق وكلما قرأت فيه كلما ازددت رغبةً بأن أقرأ أكثر فأكثر لقد جمع فيه ما

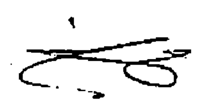
لم يجمع بكتاب فيما يخص في هذا الباب ولعمر الله إنه لكتاب لا يستغني عنه طالب علم فأسأل الله تعالى أن يمد هذا المؤلف بمدد من عنده وأن يجزيه خير الجزاء على هذا الجهد الذي قدمه كما إنني أهنئه على هذا التوفيق والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله رب العالمين

حماة . حلفايا الأحد ٢٢ ربيع الأول سنة ١٤٢٠ هجري

٤ / ٧ / ١٩٩٩م

الفقير إلى الله تعالى

حسين بن الشيخ موسى



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

فلقد أهداني الشيخ يوسف خطار محمد كتابه المسمى الموسوعة اليوسفية فلما تصفحته وقرأت بعض المواضيع فيه فإذا هو كتاب لا يستغني عنه طالب علم لما حوى من حجج واضحة وأقوال صائبة وعقيدة أهل السنة والجماعة فجزاه الله خير الجزاء وبارك الله فيه وأجزى إليه المثوبة و الحمد لله رب العالمين

العبد الفقير إلى الله تعالى

محمد بن الشيخ موسى

حماة. حلفايا السبت ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٠هجري

٧ / ٨ / ١٩٩٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي امتن علينا بهذا الدين المبين، وجعل العلماء ورثة للنبيين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد النبي الأمين، الذي ورثه من كل خلف عدو له، يخفون عن شريعته تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وبعد:

لما اطلعت على هذا الكتاب المسمى (الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية)، لمؤلفه الشيخ يوسف خطار محمد وجدته كتاباً مفيداً جمع فيه مؤلفه ما تفرق في كتب العلماء من معلوماتٍ نافعةٍ حول التصوف ومسائله ورجاله، وأجاب فيه بأسلوب حسن ميسر وتفصيل كافٍ وحجةٍ وافية عن كثير من التساؤلات والشبهات التي أثيرت حول هذه القضية، مستنداً في كلامه إلى الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء الأعلام، وذلك غيرة منه على الحق وأهله، وقياماً بواجب النصيحة للمسلمين.

إن ما ذكره المؤلف من الإشادة بفضل التصوف -الذي هو عبارة عن مقام الإحسان المصرّح به في حديث جبريل عليه السلام، وأن رجاله هم بقية السلف الصالح علماء الأمة وأكابر الأئمة، وأن طريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق، ذلك مما أجمع عليه العلماء الراسخون من أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً وهو ما وجدنا عليه مشايخنا الكرام حُماة هذا الدين، وأئمة الإسلام رحمهم الله أجمعين.

فنسأل الله تعالى أن ينفع به وبمؤلفه المسلمين ويردهم إلى دينهم رداً جميلاً وأن يوفقنا جميعاً ة نبيه الكريم والاقتداء بسنته السنّية وأن يحشرنا تحت لوائه يوم الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

تدمر في ١٤/١١/١٤١٩هـ.

١ / ٣ / ١٩٩٩م.

الشيخ ياسين الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبي الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن سار بسيره واهتدى بهديه.

أما بعد: ففي غمرةِ غزارة الكتب التي تقذف بها المطابع كل يوم كثيراً ما نشاهد بينها ما يثير أسباب الاختلاف بين المسلمين، وهؤلاء الذين يثيرون هذه الفتن، يقدمونها باسم الغيرة على الإسلام، ومحاولة تنقيته من الشوائب تحت عناوينَ جذابةً وأسماء يتقدمها الحرف (د.)، هذا الحرف المغري، فيؤخذ بهذا كثير من البسطاء سليمي الصدر بما زينوه بعبارات الإغراء والإغواء وينطلي عليهم ما قد جاؤوا به، فيغدون فريسةً لهذا الزيف من الكلام المزخرف، لأنهم لا يميزون بين الحق والباطل، وكثيراً ما يؤيد هؤلاء زيفَهم بإثارة العواطف حول مواضيعَ حساسةٍ فينجذب البسطاء نحو فخاخ هؤلاء المزورين بما جاؤوا به من دقيق الكلام الذي يحمل في ثناياه التحريف والإضلال.

والذي سهل الوقوع في هذه الفخاخ هو عدم تمييز أكثر الناس الحق عن الباطل لبعدهم عن العلماء الصالحين المعروفين بورعهم ونزاهتهم.

فلما ابتعد هؤلاء عن العلماء زلت أقدامهم في مهاوي الضلال من حيث لا يشعرون ولو أننا ارتسمنا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا لنتردى في هذه المهاوي السحيقة التي تندق فيها الأعناقُ وتُقصمُ الظهور، فها هو الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: اغْدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك، فالرابع ليس أحد هؤلاء، ولذلك فهو إلى الغواية أقرب، ويقول أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنه: اعرف الحق تعرف أهله.

ولا تتسنى لنا معرفة الحق إلا إذا غدونا أحد هذه الأصناف التي أتينا على ذكرها ثم إن هذه الكتب شاعت وانتشرت ولا رقابة عليها من آمر بالمعروف أو ناه عن المنكر.

وذلك يعود إلى أن القائم بهما لا يجد وزراً يحتمي به إزاء المخالفين، أما والأمر كذلك فعلى المؤمن أن يكون حذراً لئلا تسري إليه عدوى هذه الضلالات، فلا يبتعد عن العلماء والأتقياء الذين

أجمع الناس على علمهم وورعهم ليتلقى عنهم ما يحصن به إيمانَه ويحفظُ به عقيدتَه ويشجعُه على البر والعمل الصالح.

هب أن لدينا مريضاً ألسنا سنبحث له عن طبيب حاذق مشهود له بالكفاءة وأننا إن نُرِدْ اتخاذ باب ألسنا سنسأل عن أحذق النجارين؟ إلخ.

أفليس ديننا أعز علينا من هذه الأمور، فهو الذي سنلقى عليه ربنا.

إذن فلنبحث عنه عند المكملين علماً وورعاً، وقد ورد في الحديث الشريف: (سل عن أمور دينك ولو قيل لك إنك مجنون)، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أن هذه المسائل التي أوردها الموفق الشيخ يوسف خطار في الموسوعة اليوسفية مسائل مهمة جداً دار حولها نقاش حاد ولا يزال النقاش قائماً وقد أثار حولها المغرضون غبار الخلاف[1]، (وهي أمور خاضعة للاجتهاد، ومما هو معروف في آداب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن القائم بهذا الشأن ينبغي أن ينهى عن المنكرات المجمع على أنها كذلك ولا ينصرف عنها إلى النهي عما اختلف فيه المسلمون من المسائل الاجتهادية التي لا يكلّف المجتهدون فيها بأكثر من الوقوف عند ما قضت به اجتهاداتهم وفهومهم.

إذاً الإمعان في النهي عن هذه المسائل لا يمكن أن ينتهي إلا إلى إثارة أسباب الشقاق وتصديع وحدة المسلمين وبث عوامل البغضاء فيما بينهم وإن في حياتنا ومن حولنا من المنكرات الشنيعة والمفاسد الخطيرة التي لا خلاف في مدى جسامتها وسوء آثارها ما يكفي لأن نمضي العمر كلّه في معالجتها والسعي إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف للقضاء عليها، فلماذا نتشاغل عن هذا الذي أجمعت الأمة على أنه من المنكر الذي لا عذر لأحد في السكوت عليه ثم ننشغل بالانتصار لاجتهاداتنا الشخصية ومحاربة ما يقابلها ويكافؤها من الاجتهادات الأخرى)[2].

ثم إن مشكلة هؤلاء أن الذي يقودهم فيما يأخذون ويذرون إنما هو العصبية العمياء لأفكارهم، ومن ثم فلا جدوى في مناقشتهم فيما لا يعتقدونه ولو جئت تبحث في الواقع فلسوف

---

١ - بين هذه المسائل أمور مرفوضة قطعاً، وهي: الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود وتحريف لفظ الجلالة (الله) أثناء الذكر.

٢ - من كلام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي نقلاً عن مجلة العربي الكويتية، بتصرف يسير، العدد (٢٨٠) آذار مارس ١٩٨٢.

تجد أن القائلين بهذه الأمور أكثر عدداً وأغزر علماً وأكثر تقوى من الذين ينكرونها، فلا يعقل أن يترك رأي ألفٍ مثلاً ويؤخذ برأي واحد!، فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تجتمع أمتي على ضلالة، ويقول: عليكم بالسواد الأعظم، أو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا وقد أحسن الاختيار الشيخ يوسف خطار إذ ناقش هذه الأمور المهمة ودافع عن الحق، وقد جمع فأوعى وأتى بأدلة قوية من ردود العلماء وأقوالهم، فأثابه الله ثواب المقبولين، وزاده توفيقاً في مساعيه الهادفة في خدمة العقيدة والدين، وإنني أهيب بمن يغار على عقيدته ليحصنها أن يقرأ هذا الكتاب ففيه الدواء للشبهات التي أثارها أهل الهوى والزيغ، فإنه الكتاب الذي جمع الشبهات ورد عليها مجتمعة، فكل الصيد في جوف الفرى، كما قيل والله الموفق وهو يهدي السبيل.

القامشلي في:

٢٨ صفر ١٤٢٠هـ

١٢ حزيران ١٩٩٩م

كتبه

عدنان بن الشيخ إبراهيم حقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وبعد:

فقد تفضل الله علي بالنظر في كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية فوجدته قد وفّى المقصود وبلغ المأمون في بيان الحقائق المطلوبة والطرائق المكلومة التي وجهت إليها سهام الانتقاد وفساد الاعتقاد جماعات تدّعي التمسك بالكتاب والسنة فبيّن المؤلف جزاه الله عنا وعن الإسلام خيراً أن كلّ عمل من أعمال السادة الصوفية مبني على الكتاب والسنة

لا يحيد عنهما قيد شعرة وهم الذين وفقهم الله تعالى لتطبيق أحكام الكتاب والسنة وفق مراد الله لأن الله تبارك وتعالى منحهم فهماً صحيحاً وتفسيراً سديداً لفهم كلامه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا هداة مهديين راشدين مرشدين في كل بقعة من بقاع الأرض كالمطر الوابل أحيا الله بهم القلوب وطهر النفوس وحسّن الأخلاق وقوّم السلوك فنسأله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب من أراد الوصول إلى الحق والصواب.

خادم العلم الشريف بحمص

محمد سعيد الكحيل

خطيب مسجد سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه

حمص ـ الجمعة في / ٢ / جمادى الأولى عام ١٤٢٠هـ

الموافق لـ / ١٣ / ٨ / ١٩٩٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثناء من الشيخ أحمد نصيب المحاميد

لقد أثنى الشيخ أحمد نصيب المحاميد (حفظه الله تعالى وأطال في عمره) على كتاب الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية حيث قال:

الكتاب لا يحتاج إلى مقدمات لعلو قدره، وجلي بيانه، لما فيه من الأدلة الواضحة التي عزاها المؤلف إلى الكتاب والسنة وأقوال العلماء المعتمدين، ويكفي لم قرأه ولو مرة واحدة أن يرى الحقائق ساطعة أمامه لا يزيغ عنها أبداً.

وهذا الكتاب: لا يستغني عنه طالب علم يريد الحق والصواب وجزى الله، المؤلف خير الجزاء لما فيه نفع العباد.

والحمد لله رب العالمين
السبت / ٣ / جمادي الأولى ١٤٢٠هـ
الموافق ١٤ / ٨ / ١٩٩٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي دفع الشبه والشكوك، بأكُفِّ التنزيه بالعلم والتمكين وكشف لنا من النصوص خفيات المعاني، وأوْقَفَنا على المراد من تلك المباني وجعل آلاءه على ذوي الإخلاص دائمة مستمرة، وبشائر رضاه متجددة على أوليائه بإعطائهم أسرار العلم ودُرَّه، فأضحت قلوبهم وأرواحهم بمدده مشرقة الأوضاح متهللة الأسِرَّة، فسبحان من أطلع أنجمهم بأفق التقريب مرة بعد مرة وجعلهم يكشفون ويزيلون حجب الأغيار وشكوكهم عن بصيرتهم، حتى يروا النور الساطع فينظرون به حتى يصلوا إلى رضا الله عز وجل وقربه.

ونحمد الله تعالى أن جبل سجايانا في مقام الإحسان والمبرَّة، وسخَّرنا لنشر عقيدة الإسلام الصحيحة والذب عنها بحجج وبراهين دامغة ساطعة، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي أسمى سبحانه على الخلائق قدره، وتولّى في المضايق نصره، وأعلى في المشارق والمغارب ذكره.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وقدوة كاملة للمتقين، وأسوة حسنة للصالحين، داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فهو القدوة للعلماء العاملين، والمرشدين المربين وكل من أراد الوصول لرضا رب العالمين.

ورضي الله عن آله وأصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد وفقني الله عز وجل ومَنَّ عليَّ بإصدار كتاب (الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية) الطبعة الأولى.

وكان الهدف منه تصحيح الأفكار وإزالة الشبه والشكوك من الأذهان، وجمع المسلمين كما أراد سيد بني عدنان عليه السلام.

وقد لقي الكتاب بحمد الله عز وجل وفضله وكرمه، قَبولاً وترحيباً واستحساناً عند كثير من العلماء المخلصين الصادقين، والباحثين المنصفين، والمرشدين المربين الذين أعربوا عن آثار وأسرار هذا الكتاب في توضيح أفكار أهل التصوف للأذهان خصوصاً،وقد تعرض لحملات عنيفة وافتراءات مغرضة ودسائس باطلة على الرغم من أن ظهور الحق واضح جداً وذلك:

(أن هذه الحملات جاءت متأخرة ولم تكن بزمن أهل التصوف فلم يثبت ولو مرة واحدة أن شخصاً ما اعترض على الشيخ أحمد الرفاعي أو الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو غيرهم من العارفين والصالحين مثل هذه الاعتراضات التي في زماننا، فالقاعدة الأساسية متينة جداً لأنها مبنية على الكتاب والسنة).

ورحم الله الإمام الرواس حيث قال:

وإذا الجبال تحوَّلت عن أرضها   عن شأننا في الله لا نتحول

وقد وردتني الرسائل العديدة والرجاءات الملحة بإعادة طبعه تعميماً للنفع وتتميماً للفائدة، فنزولاً عند رغبة هؤلاء الصادقين عمدت لطبعه مرة ثانية وأسأل المولى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين والحمد لله رب العالمين.

يوسف خطار محمد

الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية

الجزء الأول

١. التصوف
٢. التوسل
٣. المدد
٤. المولد
٥. التبرك
٦. الحضرة
٧. الحركة بالذكر
٨. تقبيل اليد
٩. السيادة
١٠. القيام
١١. الذكر الجهري
١٢. الذكر بالاسم المفرد (الله)
١٣. الدف
١٤. السبحة
١٥. الإنشاد والسماع
١٦. وصول ثواب القرآن
١٧. زيارة القبور

١ التصوف

اشتقاق اسم التصوف

إن الإسلام الحقيقي هو اتباع لما جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ا لله سبحانه وتعالى، والإيمان به مع الإذعان، وقد نقلت إلينا تعاليم الإسلام من النبي ﷺ عن طريق صحابته الذين أخذوا عنه الشريعة وكذلك أخذها عنهم الذين تبعوهم وسموا باسم التابعين وهم الذين صحبوا من صحب رسول ا لله ﷺ، وقد نقلت عنهم الوراثة النبوية العلمية فأخذ عنهم تابعو التابعين ودونوا الشريعة و تفرد بها العلماء فمنهم من تخصص بالحديث النبوي الشريف وأصبح من الحفاظ، وكذلك تفرد أناس بعلوم الآلة (النحو والصرف والبلاغة).

وتفرد بعضهم بعلم التفسير، وتفرد بعضهم بعلم الفقه، وتفرد بعضهم بعلم التربية والسلوك والعمل، وقد دونت العلوم المنقولة وسميت بأسماء ومصطلحات: فسمي من اشتغل بالحديث الشريف (محدثاً)، ومن اشتغل بالنحو (نحوياً)، ومن اشتغل بالتفسير (مفسراً)، ومن اشتغل بالفقه (فقيهاً)، ومن اشتغل بالتربية والسلوك في طريق ا لله (صوفياً).

كل هذه الأسماء لم تكن على عهد رسول ا لله ﷺ، وما هي إلا مصطلحات لأسماء العلوم الشرعية التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ وكل من تسمى بواحد من هذه الأسماء وغيرها لا يخرج عن تسميته مسلماً، وليس كل اسم أو وصف لم يأت في القرآن الكريم أو السنة الشريفة يحرم التسمي به بل جائز شرعاً فقد سمى ا لله سبحانه وتعالى المسلمين بأسماء عديدة (السابقين، المقربين،

الصادقين، الشهداء، الصالحين، الأولين، الآخرين، المخبتين..) فكل اسم ذكر له اشتقاق.

فالشهداء (من الاستشهاد في سبيل الله)، والمخبتين (من التواضع)، والصادقين (من الصدق في أعمالهم وأقوالهم وسرائرهم مع الله)، وكذلك في مجال المهن في جميع الأزمنة والعصور (كالمهندس والطبيب والحداد والنجار...الخ) وكل واحد منهم سمي بذلك نسبة لعمله، وكذلك نسبة إلى القبائل والأوطان مثل سيدنا محمّد عليه الصلاة والسلام (القرشي المكي) وسيدنا أبي ذر (الغفاري المكي) وسيدنا بلال (الحبشي) وسيدنا سلمان (الفارسي) وسيدنا صهيب (الرومي)، وكذلك فإن اسم التصوف قد كثرت فيه الأقاويل فمنهم من قال: (من الصفاء)، حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله تعالى:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا   وظنه البعض مشتقاً من الصوفِ
ولست أمنح هذا الاسم غير فتىً   صفا فصوفي حتى سمي الصوفي[1]

ومنهم من قال: إن التصوف نسبة إلى لبس الصوف الخشن، لأن الصوفية كانوا يؤثرون لبسه للتقشف والاخشيشان، وهو شعارهم.

❋قال سيدنا الإمام الكبير أحمد الرفاعي قدس الله سره:

(قيل لهذه الطائفة (الصوفية) واختلف الناس في سبب التسمية، وسببها غريب لا يعرفه الكثير من الفقراء، وهو أن رجلاً من جماعةٍ من مُضَر يقال لهم بنو الصوفة هو الغوث ابن مر بن أدبن طابخة الربيط، كانت أمه لا يعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفة، وتجعله ربيط الكعبة، وقد كانوا يجيزون الحاج، إلى أن منَّ الله بظهور الإسلام، فأسلموا وكانوا عُبّاداً، ونقل عن بعضهم حديث رسول الله ﷺ، فمن صحبهم سمي بالصوفي، وكذلك من صحب من صحبهم، أو تعبد ولبس الصوف مثلهم، ينسبونه إليهم فيقال صوفي).[2]

وقيل «من الصفّ»: لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل، بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

١- إيقاظ الهمم في شرح الحكم العطائية للعلامة ابن عجيبة: ص٦.
٢- البرهان المؤيد ص ٦٣.

ومنهم من قال: «مـن الصُّفّـة»: لأن صاحبه تـابعٌ لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم...﴾[1] وهذا يستقيم معنىً لا اشتقاقاً وأهل الصفة هم الرعيل الأول من رجال التصوف، فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة.

ومنهم من قال: من الصوفة، لأن الصوفي مع الله تعالى كالصوفة المطروحة، لاستسلامه لله تعالى.

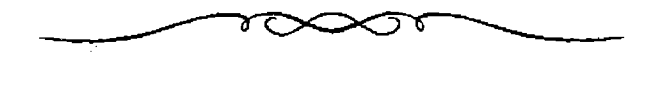
ومنهم من قال: من الصِّفَة، إذ جملته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة[2] وقيل: «من الصفوة» يعني أنهم صفوة الله من خلقه.

وقيل: كان هذا الاسم في الأصل صفوي واستثقل ذلك وجعل صوفياً، ومنهم من قال: لفظ كلمة التصوف أربعة أحرف: التاء والصاد والواو والفاء. فالتاء: من التوبة، والصاد: من الصفاء، والواو: من الولاية، والفاء: من الفناء.

ومنهم من قال: إنه مشتق من (صوفة) وذلك أن قوماً كانوا في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله تعالى وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم من الناس سموا بالصوفية

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر أنه كاللقب أي يعتبر اسم الصوفي اسماً جامداً أو لقباً أطلق على هذه الطائفة يميزها عن غيرها.

وذكر المستشرق نيكلسون[3] نقلاً عن المستشرق (نولدكه) منكراً أن تكون الكلمة راجعة إلى أصل يوناني أو بوذي أو غيره... لا يوجد دليل إيجابي يرجع افتراض أن الكلمة [4] مشتقة من الأصل اليوناني (سوفوس) في حين أن نسبتها إلى الصوف يؤيدها نصوص من أقوال الكُتّاب المسلمين أنفسهم ... ثم ذكر (نولدكه) طائفة من الأدلة على كلامه وأنهم كانوا يلبسون الصوف وخصوصاً منهم الزهاد.



١- سورة الكهف آية ٢٨.

٢- إيقاظ الهمم ص ٦.

٣- كتابه (في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٦٧.

٤- أي كلمة التصوف التي مر ذكرها و(ال) فيها للعهد الذكري.

التصوف ومنشؤه

❁ **قال الدكتور حسن إبراهيم حسن:** ومن المسائل التي شغلت أفكار المسلمين في ذلك العصر (التصوف)، وذلك أن كثيراً من المسلمين الذين اشتهروا بالورع والتقوى لم يجدوا في علم الكلام ما يقنع نفوسهم المولعة بحب الله سبحانه وتعالى، فرأوا أن يتقربوا إليه عن طريق الزهد والتقشف وفناء الذات في حبه تعالى، ومن ثم سموا (بالمتصوفين)[1].

وأول من تسمى بالصوفي هو أبو هاشم الذي ولد في الكوفة وأمضى سواد حياته في الشام وتوفي في سنة /١٥٠/هـ[2].

وإن أول من حدد نظريات التصوف وشرحها هو ذو النون المصري (٢٤٥هـ) تلميذ الإمام مالك والذي شرحها وبوبها ونشرها هو الجنيد البغدادي المتوفى سنة (٣٣٤هـ)[3].

ومنهم من قال: التصوف مشتق من الصوف، وقد كان يلبسه بعض العباد والزهاد الذين لا يميلون إلى الترف، وقد وتهم في ذلك أهل الصفة الذين قال الله فيهم: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾[4].

وأثر عن سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: لقد أدركت سبعين بدرياً كان لباسهم الصوف.

والتصوف: لقب اصطلح الناس عليه والمراد به الشخص المسلم المتمسك بالكتاب والسنة، وممن عرف بالتصوف في الصدر الأول الإسلامي سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، وأنه أمة وحده يعيش وحده ويموت وحده كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ

١- تاريخ الإسلام/٣ (٢٢٠).

٢- ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون.

٣- من كنوز الإسلام(٩٤).

٤- سورة الكهف الآية (٢٨).

ومنهم سيدنا حذيفة بن اليمان وسيدنا سلمان الفارسي، فقد كان يأكل من عمل يده (كان ينسج الخوص ويبيعه) ثم جاء من بعدهم الحسن البصري الذي كان يعظ الناس ويرشدهم وقد ربى رجالاً منهم مالك بن دينار ثم جاء بعد ذلك إبراهيم بن أدهم ثم الإمام الجنيد والقشيري ثم ذو النون المصري المتوفى سنة (٢٤٥هـ). والتصوف من حيث ذاته عقيدة وخلق وجهاد ودعوة، ودعائمه الإسلام والإيمان والإحسان بما فيه المراقبة والمشاهدة ومتابعة (القرآن والسنة)، وأهدافه التخلي عن كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة والسلوك الملتزم بطاعة الله ورسوله وجهاد النفس وإصلاح الباطن والإيثار.

ويبدو لمتتبع هذه النحلة السامية أنها مرت بمراحل مختلفة قبل أن تتسمى بهذا الاسم المعروف، فكانت أحوالها تظهر في كل مرحلة باسم معين وهكذا إلى أن استقرت باسم (التصوف) وآية ذلك أن الشيخ الأستاذ أبا القاسم القشيري يقول في رسالته الشهيرة (الرسالة القشيرية): اعلموا رحمكم الله أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ، إذ لا أفضلية فوقها، فقد قيل: (الصحابة)، ولما أدرك العصر الثاني سمي من صحب الصحابة (التابعين) ورأوا ذلك أشرف تسمية، ثم قيل لمن بعدهم (أتباع التابعين) ثم اختلفت وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: (الزهاد والعباد)، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل فريق ادعوا بأن منهم زهاداً، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم (التصوف) واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر بعد المائتين من الهجرة[١].

ومما يشير أيضاً إلى أن اسم التصوف عرف بعد القرن الثاني للهجرة، ما أورده المسعودي في تاريخه (مروج الذهب ومعادن الجواهر) عن يحيى بن أكثم أن المأمون[٢] كان جالساً ذات يوم إذ دخل عليه حاجبه علي بن صالح فقال: ياأمير المؤمنين رجل بالباب عليه ثياب بيض غلاظ يطلب الدخول للمناظرة، فقال: إنه بعض المتصوفة. ومما يشهد لهذا أيضاً ما ذكره الكندي في كتاب (ولاة مصر في حوادث سنة مائتين) أنه ظهربالاسكندرية طائفة يتسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف. هذا عن ذيوع اسم

١- يبدو أن هذا الاسم كان موجوداً قبل المئتين بقليل لكنه اشتهر بعدها كما سيأتي.

٢- توفي المأمون سنة (٢١٨).

التصوف وانتشاره ولكن يبدو أن اسم التصوف كان موجوداً قبل المائتين لكنه ذاع وانتشر بعد المائتين وفي ذلك يقول ابن تيمية في كتابه (الصوفية والفقراء)[1]: وأول ما ظهرت الصوفية من البصرة.

وأول من بنى دويرة التصوف بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد[2] وهو من أصحاب الحسن البصري رحمهم الله تعالى. وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كوفي وعبادة بصرية، وبه يقول العلامة محمد كرد علي رحمه الله تعالى: وأول من تسمى بالصوفي في أهل السنة أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة (١٥٠) وكان من النساك يجيد الكلام وينطق الشعر كما وصفه الحفاظ: مثل هاشم الأوقص وصالح بن عبد الله الجليل[3]. ولسنا نهتم كثيراً بمصطلح الكلمة واشتقاقها بقدر اهتمامنا بمضمونها.

فإن شئت سمِّ (التصوف) بالتزكية، ونهي النفس عن الهوى، كما قال تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾[4] أو سمه الإحسان أو علم التربية والسلوك ولكن لامفر لنا من إطلاق اسم التصوف عليه لأنه الاصطلاح الذي تعاهده أهل التاريخ وشاع عندهم أكثر من غيره.

والعجيب أن الذين اعترضوا على أهل التصوف جاؤوا بعد القرن السادس الهجري، والذين كانوا في زمان أهل التصوف المؤسسين لم يعترضوا عليهم، بل شهدوا لهم وأكدوا أنهم على الحق والنور والهدى وشهادتهم ستكون في مضمون هذا الكتاب ليقرأها طالب الحق.

❋ويقول الدكتور أحمد علوش:

(قد يتسائل الكثيرون عن السبب في عدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، والجواب عن هذا: أنه لم تكن ثمة حاجة إليها في العصر الأول، لأن أهل ذلك العصر كانوا أهل تقىً وورع، وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم، وبحكم قرب اتصالهم برسول الله ﷺ، كانوا يتسابقون ويتبادرون في الاقتداء به في ذلك كله، فلم يكن ثمّة ما يدعو إلى تلقينهم علماً يرشدهم إلى أمرٍ هم قائمون به فعلاً، وإنما مثلهم في ذلك كله كمثل العربي القحِّ، يعرف اللغة العربية بالتوارث كابراً عن

١- الصوفية والفقراء ص (٣- ٤).

٢- توفي عام (١٧٧)هـ.

٣- الإسلام والحضارة العربية (ج٢ص٣١) لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٤- سورة النازعات الآيتان (٤٠- ٤١).

كابر حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة والفطرة دون أن يعرف شيئاً من قواعد اللغة والإعراب والنظم والقريض، فمثل هذا لايلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة، ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر تصبح لازمة وضرورية عند تفشي اللحن، وضعف التعبير، أو لمن يريد من الأجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التي نشأت وتألفت على توالي العصور في أوقاتها المناسبة.

فالصحابة والتابعون –وإن لم يتسموا باسم المتصوفين- كانوا صوفيين فعلاً وإن لم يكونوا كذلك اسماً، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية، والإقبال على الله بالروح والقلب في جميع الأوقات وسائر الكمالات التي وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقي الروحي إلى أسمى الدرجات، فهم لم يكتفوا بالإقرار في عقائد الإيمان، والقيام بفروض الإسلام، بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان، وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول ﷺ من نوافل العبادات، وابتعدوا عن المكروهات فضلاً عن المحرمات، حتى استنارت بصائرهم، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم، وفاضت الأسرار الربانية على جوانحهم، وكذلك كان شأن التابعين وتابعي التابعين، وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق، وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله: (خير القرون قرني هذا فالذي يليه والذي يليه)[1] فلما تقادم العهد، ودخل في حظيرة الإسلام أممٌ شتى، وأجناس عديدة، واتسعت دائرة العلوم وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، قام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذي يجيده أكثر من غيره، فنشأ بعد تدوين النحو في الصدر الأول علم الفقه، وعلم التوحيد، ، وأصول الدين، وعلوم الحديث، والتفسير، والمنطق ومصطلح الحديث، وعلم الأصول، والفرائض (الميراث) وغيرها...

وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً، وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، والقلب والهمة، مما دعا أرباب الرياضة والزهد إلى أن يعملوا هُم من ناحيتهم أيضاً على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله على سائر العلوم، ولم يكن ذلك منهم احتجاجاً

١- (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...) أخرجه البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٢٥٣٣).

على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم -كما يظن ذلك -خطأً- بعضُ المستشرقين- بل كان سداً للنقص، واستكمالاً لحاجات الدين في جميع نواحي النشاط، مما لابد منه لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوى[1].

وقد بنى أئمة الصوفية الأولون أصول طريقهم على ما ثبت في تاريخ الإسلام نقلاً عن الثقات الأعلام.

أما تاريخ التصوف فيظهر في فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله، فقد سئل عن أول من أسس التصوف؟ وهل هو بوحي سماوي؟

فأجاب: (**أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هوأحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي ﷺ بعد ما بيّنها واحداً واحداً ديناً بقوله: (هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم).**[2] **وهو الإسلام والإيمان والإحسان. فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك..).**

ثم قال السيد محمد صديق الغماري في رسالته تلك: فإنه كما في الحديث الدين عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخلّ بهذا المقام (الإحسان)، فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه، فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان.[3]

❋وقال ابن خلدون في مقدمته:

(وهذا العلم -يعني التصوف- من العلوم الشرعية الحادثة في الملّة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبار ها من الصحابة والتابعين

١- مجلة العشيرة المحمدية عدد محرم(١٣٧٦هـ). من بحث التصوف من الوجهة التاريخية للدكتور أحمد علوش، وهو من الرواد الأوائل الذين نقلوا حقائق التصوف الإسلامي إلى اللغات الأجنبية، وقد ألف فضيلته كتاباً باللغة الإنكليزية عن التصوف الإسلامي، كان له أكبر الأثر في تصحيح الأفكار، والرد على المستشرقين كما ألّف كتابه الجامع عن الإسلام الذي رد فيه على التهم المفتراة على دين الله وكان له أثره البعيد في خدمة هذا الدين.

٢- أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٩٣)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد (١/٢٨)، وابن حبان (١٦٨)، وابن خزيمة (٢٥٠٤)، والبغوي (٢٢) والطيالسي ص (٢١)، وابن أبي شيبة (١١/٢٤و٤٥).

٣- الانتصار لطريق الصوفية للمحدث محمد صديق الغماري ص٦.

ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة مال وجاه، والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف: فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة)[1].

ويعنينا من عبارة ابن خلدون الفقرة الأخيرة التي يقرر فيها أن ظهور التصوف والصوفية كان نتيجة جنوح الناس إلى مخالطة الدنيا وأهلها في القرن الثاني للهجرة، فإن ذلك يدعو أن يتخذ المقبلون على العبادة اسماً يميزهم عن عامة الناس الذين ألهتهم الحياة الدنيا الفانية.

فمن هذه النصوص السابقة يتبين لنا أن التصوف ليس أمراً مستحدثاً جديداً ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول ﷺ، وحياة أصحابه الكرام، كما أنه ليس مستنبطاً من أصول لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة كما يزعم أعداء الإسلام من المستشرقين وتلامذتهم الذين ابتدعوا أسماء مبتكرة فأطلقوا اسم التصوف على الرهبنة البوذية، والكهانة النصرانية، والشعوذة الهندية فقالوا: هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي...

يريدون بذلك تشويه اسم التصوف من جهة، واتهام التصوف بأنه يرجع في نشأته إلى هذه الأصول القديمة والفلسفات الضالة من جهة أخرى، ولكن الإنسان المؤمن لا ينساق بتياراتهم الفكرية الماكرة ويتبين الأمور ويتثبت في البحث عن الحقيقة، فيرى أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام[2].

١- مقدمة ابن خلدون،علم التصوف ص(٣٢٩).

٢- حقائق عن التصوف ص (١٩- ٢٥)، بتصرف يسير.

أسس التصوف

التصوف الإسلامي علم جليل الشأن ونحلة عظيمة القدر، وثبت بالأدلة القوية أنه إسلامي المنشأ وبذلك أضحى موصلاً للسعادة في الدنيا والآخرة، وهو الدواء الذي يشفي صاحبه من أمراض النفس، والمنهاج الذي يزكي النفس ويصفي الروح، وهو مرآة الحياة الروحية الإسلامية التي قوامها التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل لتزكو النفس وتسمو الروح بالاقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام، ومن أهم مقاصده خمسة أمور سنتولى شرحها وبيانها بإذن الله واحداً إثر واحد:

١- صفاء النفس ومحاسبتها.
٢- قصد وجه الله.
٣- التمسك بالفقر والافتقار.
٤- توطين القلب على الرحمة والمحبة.
٥- التجمل بمكارم الأخلاق التي بعث الله النبي ﷺ لإتمامها.

التفصيل:

١- **القاعدة الأولى: (صفاء النفس ومحاسبتها)**: ومعناها: أن كل من أراد أن يدخل في سبيل المقربين ليعد الجواب لسؤال الحق تعالى فعليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، ويزن أعماله قبل أن توزن بقسطاس الآخرة، ويصفي نفسه من شوائبها ووساوسها، قال سيدنا عمر رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا).

٢- **القاعدة الثانية: (قصد وجه الله)**: ومعناها: أن المتصوف لا بد أن يقصد وجه ربه في جميع أقواله وأفعاله، غاسلاً قلبه بماء الإخلاص لوجه الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾**[1].

١- سورة الكهف الآية ٢٨.

وقال عز من قائل: ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾[1].

٣- **القاعدة الثالثة: (التمسك بالفقر والافتقار)**: ومعناها الزهد في الدنيا ومتاعها عزوفاً بالنفس عما يلهيها ويشغلها، فإن التمسك بالفقر دليل التقشف الذي هو الآلة القاطعة حبل الوصال بين العبد والشيطان، فتتأهل النفس بالعبادة الخالصة وعدم العلو والفساد في الأرض لهذه الخصلة التي تصعد بهمم الإنسان نحو الروحانية والبعد عن كدورة الإنسانية، أما الافتقار فهو تجرد المرء عن زينة الحياة الدنيا لينقطع إلى تقوى الله تعالى وأنه لا حول ولا طول إلا به طالباً منه الكرم بالإمداد والتجليات وذلك هو منتهى الإقرار بالعبودية التي هي مركز التصوف وعقيدة الإيمان. وصفوة القول: أن الفقر أساس التصوف وقوامه، وأن التحقق بأحوال التصوف ومقاماته مبني على الفقر والزهد فيما اشتملت عليه الدنيا من زخرف ومتاع، أي أن تكون الدنيا في يده لا في قلبه، بمعنى أن يكون أغنى بما عند الله منه بما عنده.

وقد قص علينا السهروردي في كتابه (عوارف المعارف) قصة عن ذي النون المصري رضي الله عنه جديرة بالنظر والاهتمام، قال ذو النون: (رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت لها: من أين أقبلت؟ فقالت: من عند أقوام ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾[2]، فقلت لها: وأين تريدين؟ فقالت: إلى ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾[3].

ألا يجدر بنا أن نمعن النظر في هذين الجوابين لنعلم مدى خلوّ قلوب القوم عن حظوظ النفس والهوى لنعلم مدى انجذابهم نحو الله تعالى وإيثارهم لما عنده بحيث أصبحت قلوبهم لا تنزع إلا إلى الله متجردين من القيود الجسمانية التي تفسد على الإنسان حياته وتكدر صفاء نفسه وتنسي الإنسان عبوديته لله.

٤- **القاعدة الرابعة: (توطين القلب على الرحمة والمحبة)**: ومعناها: أنه يجب على كل صوفي أن يلزم محبة كل المسلمين ويعطيهم حق الإسلام من التعظيم والتوقير، فإن رسخ في هذه القاعدة واستقام في التدريب عليها، أفاض الله عليه أنوار الرحمة، وأذاقه حلاوة الرضى وألبسه ثوب القبول، فينال مما ورّثه النبيون من المحبة والرضى

١- سورة الليل، الآية: ١٩- ٢٠.

٢- سورة السجدة، الآية ١٦.

٣- سورة النور، الآية: ٣٧.

حظاً وافراً، قال الله تعالى في حق الرسول ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1].

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (لا تحقر أحداً من المسلمين فإن حقير المسلمين عند الله كبير).

٥- القاعدة الخامسة: (التجمل بالأخلاق التي بعث الله النبي ﷺ لإتمامها):
وهذه القاعدة زبدة الدين وحقيقة أخلاق الصوفيين، وذلك بأن يكون العبد هيناً ليناً مع أهل بيته وعشيرته وجميع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[2].

وقد ورد في الأثر: (أهل الجنة كل هين لين سهل قريب وأهل النار كل شديد قبعثري، قالوا: وما القبعثري؟ قال: الشديد على الأهل والصاحب والعشير) إذ أن الله تعالى يعامل عبده في وصفه وخلقه، وفي الحديث القدسي: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال: يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال: استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين!؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي)[3] ذلك هو الحديث القدسي الذي جمع محاسن الأخلاق وجميل الصفات بين الناس وهو القانون الإلهي الذي سلك منهاجه رجال في حياتهم الدنيوية والعملية، فمن رسخت قدمه منهم في هذه المقامات صارت أحواله ومعاملاته مع الرب في كل شيء فلا يراقب غير الله تعالى في حركاته وسكناته[4].



١- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
٢- سورة البقرة، الآية ٨٣.
٣- أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٩٠/٤ برقم ٢٥٦٩).
٤- الصوفية والتصوف ص٤٠- ٤٢.

أهمية التصوف

قال الإمام السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره:

هذا الدين الجامع، باطنه لبُّ ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما بطن لولا الظاهر لما كان ولما صحَّ، القلب لا يقوم بلا جسد، بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد.

هذا العلم (التصوف) الذي سمّاه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب.

إذا انفرد قلبك بحسن نيته، وطهارة طويته وقتلت وسرقت وزنيت، وأكلت الربا وشربت الخمر، وكذبت، وتكبرتَ، وأغلظت القول فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟! وإذا عبدت الله وتعففت، وصمت، وصدقت، وتواضعت وأبطن قلبك الرياء والفساد فما الفائدة من عملك؟!... أيُّ حالةٍ باطنةٍ للمسلم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها؟! أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها؟![1].

إن الشارع أمر الإنسان بتكاليف في خاصة نفسه وترجع إلى قسمين:

قسم يتعلق بأعماله الظاهرة، وقسم يتعلق بأعماله الباطنة، وبلفظٍ آخر: أحكام تتعلق بظاهر الجسد وأحكام تتعلق بباطن الجسد (القلب).

أما الأعمال التي تترتب على الجسد فهي نوعان: أوامر ونواه، فالأوامر المفروضة هي كالصلاة والصوم والزكاة والحج.... وأما النواهي المحظورة فهي كتحريم الزنا والسرقة وشرب الخمر وحقوق العباد كافة....

وأما الأعمال التي تترتب على القلب فهي نوعان أيضاً أوامر ونواه، فالأوامر المفروضة: كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر... وكالإخلاص والتوكل والخشوع والصدق والصبر...

١- البرهان المؤيد: ص ١٢٢.

وأما النواهي المحظورة، فكالكفر والنفاق والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء.

وهذا القسم الثاني هو المعوَّل عليه في ديننا ألا وهو أعمال القلوب لأن مبنى الأمور كلها على إخلاص النيات لرب البريات التي لا يعلم بها غيره، فقد قرن الله سبحانه وتعالى أعمال الظاهر وسلامة الباطن فيها لأن فساد الباطن يوجب فساد الأعمال الظاهرة، فقال: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**.[1]

ولهذا كان الحبيب المصطفى ﷺ ينظم مسلكاً وتوجيهاً لاهتمام صحابته الكرام لإصلاح قلوبهم، ويبين لهم هذا المسلك وأن صلاح الإنسان متوقف على صلاح هذا القلب وصفائه من كل الشوائب الكامنة في جنباته فقال: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[2]، لأن العمدة يوم القيامة القلب السليم كما أخبر الله سبحانه وتعالى فقال: **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**[3].

وكما أخبر سيدنا محمد ﷺ، أن محل نظر الرب هو القلب، فقال: (**إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)[4].

وما فرّق سيدنا محمد ﷺ ظاهر صلاح الأعمال عن باطن صدق القلوب.

وقال الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى: (وأما علم القلب ومعرفة أمراضه من الحسد والعجب والرياء ونحوها، فقال فيها الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، إنها فرض عين)[5].

(فتصفية القلب ومداواته من أهم الفرائض العينية وأهم الواجبات الربانية، وقد دلّ على ذلك ما جاء في الكتاب والسنة وأقوال العلماء والفقهاء).

١- سورة الكهف، الآية ١١٠.

٢- رواه البخاري(٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

٣- سورة الشعراء الآية ٨٨- ٨٩.

٤- أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

٥- الأشباه والنظائر، للسيوطي ص ٥٠٤.

أولاً: أهميته في الكتاب:

أمر الله تعالى خلقه أن تكون جميع عباداتهم القولية والفعلية والمالية خالصة له تعالى بعيدة عن الرياء، فقال: ﴿**وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾(1)، وقد حرم الفواحش فقال: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾(2)، وقال تعالى: ﴿**ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾(3).

والفواحش الباطنية كما قال المفسرون هي الحقد والرياء والحسد والنفاق....

ثانياً: أهميته في السنة:

الأحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والكبر والرياء والحسد كثيرة منها:

*قول النبي ﷺ: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)(4).

* ويقول عليه الصلاة والسلام: (إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه)(5).

* وكذلك الأحاديث التي تأمر بالتحلي بالأخلاق الحسنة والمعاملة الجيدة الطيبة فقد قال فيها رسول الله ﷺ: (إن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم)(6).

* ويقول عليه الصلاة والسلام: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)(7).

1- سورة البينة الآية ٥.

2- سورة الأعراف الآية ٣٣.

3- سورة الأعراف الآية ٣٣.

4- رواه البخاري (٥٧١٨) ومسلم (٢٥٥٩).

5- رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد (٢٣)، باب ما جاء فيمن يقاتل رياء.

6- رواه الإمام أحمد في مسنده (٧٦/١٩) والمنذري في الترغيب والترهيب (٤٤/٣) والدارمي (٣٢٣/٢).

7- رواه الترمذي (١٩٨٨) وأحمد (٥٣/٥و ١٥٨و ٢٢٨و ٢٣٦).

أقوال العلماء في أهمية التصوف:

أجمع العلماء على أن الأمراض والآفات القلبية من الكبائر التي تحتاج إلى توبة مستقلة لأن أمراض الباطن كافية لإحباط أعمال العبد ولو كانت كثيرة.

• **قال الفقيه العلامة الكبير ابن عابدين في حاشيته الشهيرة:** (إن علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين مثل غيرها من آفات النفوس، كالكبر، والشح والحقد، والغش، والغضب، والعداوة، والبغضاء، والطمع، والبخل، والبطر، والخيلاء والخيانة، والمداهنة، والاستكبار عن الحق، والمكر، والمخادعة، والقسوة، وطول الأمل ونحوها مما هو مبين في ربع المهلكات في الإحياء، قال فيه: ولا ينفك عنها بشر، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجاً إليه وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إلا بمعرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها وعلاجها فإن من لا يعرف الشرَّ يقع فيه)[١].

وإن التصوف هو الذي اختص بمعالجة الأمراض القلبية، وتزكية النفوس والتخلص من صفاتها الناقصة الذميمة.

• **ويقول صاحب مراقي الفلاح العلامة الشرنبلالي:** (لا تنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة، وبالإخلاص والنزاهة عن الغل والغش والحقد والحسد، وتطهير القلب عما سوى الله من الكونين، فيعبده لذاته لا لعلة، مفتقراً إليه وهو يتفضل بالمن بقضاء حوائجه المضطر إليها عطفاً عليه، فتكون عبداً فرداً للمالك الأحد الفرد، لا يسترقك شيء من الأشياء سواه ولا يستملكك هواك عن خدمتك إياه)[٢].

نعم كما لا يحسن بالعبد أن يظهر أمام الناس بثياب ملطخة بالأقذار والأوساخ وكذلك لا يليق به أن يتحرك وقلبه مسودٌ بالظلمات مريضٌ بالعلل والآفات ونفسه مشوبة بالكدورات ومتعلقة بالشهوات.

• **ويقول صاحب الهدية العلائية:** وقد تظاهرت نصوص الشرع والإجماع على تحريم الحسد، واحتقار المسلمين، وإرادة المكروه بهم، والكبر والعجب والرياء والنفاق وجملة الخبائث من أعمال القلوب، بل السمع والبصر والفؤاد، فكل ذلك كان عنه

١- حاشية ابن عابدين المسماة رد المحتار على الدر المختار، شرح تنوير الأبصار، ج١ ص٣١.

٢- حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ص ٧٠- ٧١.

مسؤولاً، مما يدخل تحت الاختيار(١).

وقال صاحب جوهرة التوحيد الشيخ إبراهيم اللقاني:

وأمُرْ بعرفٍ واجتنب نميمة		وغيبةً وخصلةً ذميمة

كالعجب والكبر وداء الحسد		وكالمراء والجدل فاعتمدِ

يقول شارحها عند قوله: وخصلة ذميمة أي واجتنب كل خصلة ذميمة شرعاً وإنما خص المصنف ما ذِكْره يعد اهتماماً بعيوب النفس، لأن بقاءها مع إصلاح الظاهر كالذي يلبس ثياباً حسنة وجسمه ملطخ بالأوساخ، ويكون كالعجب أيضاً وهو رؤية العبادة واستعظامها كما يعجب العالم بعلمه والعابد بعبادته، فهذا كله حرام، ومثل العجب الرياء والظلم والبغي والكبر وداء الحسد والجدل والمراء(٢).

والكبر من أمراض القلوب وهو وحده يكفي لدخول النار بدليل قول النبي ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)(٣).

يقول ابن ذكوان في أهمية التصوف وفائدته:

علمٌ به تصفية البواطن		من كدرات النفس في المواطن

قال العلامة المنجوري في شرح هذا البيت: "التصوف علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أي عيوبها وصفاتها المذمومة كالغل والحقد والحسد والغش وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء لأن علم التصوف يطلع على العيب والعلاج وكيفيته، فبعلم التصوف يُتوصل إلى قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله تعالى(٤).

وللسادة الصوفية الحظ الأوفر من الوراثة النبوية في تحلية النفس بالصفات الكاملة كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والورع والتوكل والرضا والأدب والتسليم والمحبة والذكر والمراقبة وقد قيل في حقهم:

١- الهدية العلائية، علاء الدين عابدين ص ٣١٥.

٢- شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٠- ١٢٢.

٣- رواه مسلم (٢٦٣) والترمذي (١٩٩٨) مطولاً.

٤- النصرة النبوية للشيخ مصطفى إسماعيل المدني على هامش شرح الرائية للفاسي، ص ٢٦.

قد رفضوا الآثام والعيوبا وطهروا الأبدان والقلوب

وبلغوا حقيقة الإيمان وانتهجوا مناهج الإحسان[1]

فالتصوف اهتم بالجانب القلبي واهتم أيضاً بما يقابله من العبادات المالية والبدنية وسهل ورسم الطريق الحقيقي العلمي العملي الذي يوصل المسلم إلى أعلى مقامات الكمال الإيماني والخلقي، ولم يقتصر فقط على قراءة أوراد وحلقات أذكار فحسب، بل التصوف منهج علمي وعملي صحيح شامل كامل يحقق تغير الإنسان إلى شخصية مسلمة متكاملة مثالية. وسبب نجاح الصوفية في هذه الأعمال هو حرصهم وشدة اتباعهم لسيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ.

ويقول الإمام السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره: «الفقير (الصوفي) على الطريق ما دام على السنة فمتى حاد عنها زل عن الطريق»[2].

فتجلى لنا إذاً بعد كل هذه الأدلة وبوضوح أن التصوف هو روح الإسلام وقلبه السليم وليس أعمالاً ظاهرية وأفعالاً شكلية لاحياة فيها ولا روح.

وبفقد روح الإسلام وجوهره وصل المسلمون إلى دركٍ من الانحطاط والضعف لذلك همّ العلماء العاملون الصادقون أصحاب المبادئ والمرشدون المربون العارفون بنصح الناس بالالتزام مع الصوفية وصحبتهم ليتحققوا بأمر الله تعالى: **﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[3]، لكي يحظوا برضاء الله، ويتذوقوا معاني الصفاء القلبي والسمو الخلقي ويتعرفوا على الله تعالى معرفة حقيقية يقينية ويحظوا بمحبته ومراقبته ودوام ذكره.

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي: بعد أن اختبر طريق التصوف ولمس نتائجه وذاق ثمراته: (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[4].

١- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية للعلامة ابن عجيبة على هامش شرح الحكم لابن عجيبة ج١ ص١٠٥.

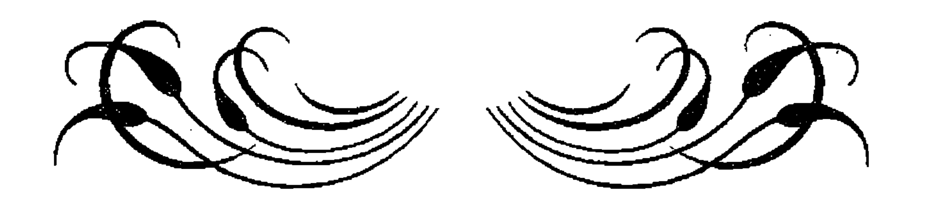
٢- البرهان المؤيد ص ٦٣.

٣- سورة التوبة الآية (١١٩).

٤- النصرة النبوية على هامش شرح الرائية للفاسي ص٢٦.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: «عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين، وكلما استوحشت من تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغضّ الطرف عن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله تعالى شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك»[1].

ولما كان هذا الطريق صعب المسالك على النفوس الناقصة، فعلى الإنسان أن يجتازه بعزم وصبر ومجاهدة، حتى ينقذ نفسه من بُعد الله وغضبه.



١- إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٧.

ما قيل في تعريف التصوف

يقول السهروردي[1] **رضي الله تعالى عنه:** (أقوال المشايخ في ما هية التصوف تزيد على ألف قول).

وقال الشيخ أحمد زروق في قواعده: وقد حُدَّ التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الألفين مرجع كلها صدق التوجه إلى الله وإنما هي وجوه فيه[2].

١ –قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: التصوف ليس ما أخذ عن القيل والقال ولكن أُخذ من الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات[3].

٢ – وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: التصوف: هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه، أي تخليص القلب لله تعالى، واعتقاد ما سواه اعتقاداً أنه لا يضر ولا ينفع، فلا يعول إلاعلى الله، فالمراد باحتقار ما سواه اعتقاد أنه لايضر ولاينفع، وليس المراد الازدراء والتنقيص[4]

٣ – وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري: (التصوف هو الاسترسال مع الحق).

٤ – وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى: (التصوف لب الإسلام).

وقال أيضاً: التصوف: هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة[5].

٥ – وقال الشبلي رحمه الله تعالى: (التصوف: ضبط حواسك ومراعاة

١- سهرورد: كلمة مركبة من (سهر) بمعنى أحمر بالكردية و(ورد) بمعناها العربي أي الوردة الحمراء، والتركيب من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

٢- قواعد التصوف- القاعدة الثانية.

٣- آداب السلوك للشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٨٩.

٤- حكايا الصوفية ص ٢٥- ٢٦.

٥- معراج التشوف إلى حقائق التصوف ص ٤.

أنفاسك)[1].

وقال أيضاً: (التصوف هو الجلوس مع ا لله بلا هم).

٦ – وقال الشيخ معروف الكرخي رحمه ا لله تعالى: (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)[2]

٧ – وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه ا لله تعالى: (التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية)[3].

٨ – وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه ا لله تعالى: (التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً.

وقال أيضاً: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف)[4].

٩ – وسئل رويم عن التصوف فقال: (التصوف هو استرسال النفس مع ا لله تعالى على ما يريد).

وقال أيضاً: (التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقروالافتقار[5] والتحقيق بالذل والإيثار وترك التعرض للاختيار).

١٠ – وقال الإمام الجنيد البغدادي رحمه ا لله تعالى: (التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع).وقال أيضاً: (علمنا هذا (التصوف) مقيدبالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن، و لم يكتب الحديث لايقتدى به في هذا الأمر، والطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ).

وقال أيضاً: (علمنا هذا (التصوف) مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يسمع الحديث ويجلس، ويأخذ أدبه من المتأدبين أفسد من اتبعه).

وقال أيضاً: (التصوف أن يختصك ا لله بالصفاء فمن صفامن كل ما سوى ا لله فهو الصوفي).[6]

١- معيد النعم ومبيد النقم ص (٩٤).

٢- تاريخ التصوف الإسلامي ص (١٧).

٣- نور التحقيق ص ٩٣.

٤- شرح كلمات الصوفية ص ٣٢٦- ٣٢٧.

٥- الفقر عند السادة الصوفية هو الالتجاء إلى ا لله تعالى والافتقار إليه.

٦- مقدمة الشيخ عبد الحليم محمود رحمه ا لله تعالى على كتاب (غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية) (٢٦/١).

وقال أيضاً: (التصوف حفظ الأوقات).

وقال أيضاً: (التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال من هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة).[1]

وسئل الجنيد عن التصوف فقال: (أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة ، وأن لاتملك شيئاً ولا يملكك شيء) أي أن تعتقد أنك فقير على وجه الحقيقة لاتملك شيئاً والله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي.

وقال الشبلي رحمه الله تعالى سمعت الجنيد يقول: (التصوف أن يميتك الحق عنك ويحييك به).

١١ - وسئل أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني).

وقال أيضاً: (التصوف مراقبة الأحوال ، ولزوم الآداب).

١٢ - وقال الشيخ عمر بن عثمان المكي رحمه الله تعالى: (التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت).

١٣- وقال أبو الحسن ابن أبي ذر في كتابه(منهاج الدين) أنشدونا للشبلي:

**علم التصوف علم لانفاد له		علم سَني سماوي ربوبي**

**فيه فوائد للأرباب يعرفها		أهل الجزالة والصنع الخصوصي**[2]

١٤- وقال الشيخ أبو حفص رحمه الله تعالى: (التصوف كله آداب، لكل وقت أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب،ومردود من حيث يرجو القبول)[3].

١٥- وقال صاحب كشف الظنون: التصوف علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم إلى أن قال:

**علم التصوف علم ليس يعرفه		إلا أخو فطنة بالحق معروف**

١- التعرف لمذهب أهل التصوف ص (٢٠).

٢- التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠١.

٣- طبقات الصوفية ص ١١٩.

وليس يعرفه من ليس يشهده   وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

١٦- وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى: (التصوف علم قصد به صلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه، والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول (علم التوحيد) لتحقيق المقدمات بالبراهين، وتحلية الإيمان بالإيقان، والطب لحفظ الأبدان، والنحو لإصلاح اللسان إلى غير ذلك).[1]

١٧- وقال الشيخ حسين الزيباري العلواني رحمه الله تعالى: (ينحصر التصوف في أربع كلمات: أن تنصف الناس من نفسك ولا تطلب الإنصاف منهم وأن تبدي لهم شيئك وأن تكون من شيئهم آيساً.[2]

١٨- وقال الشيخ أبو يعقوب السوسي رحمه الله تعالى: الصوفي هو الذي لايزعجه سلب ولا يتعبه طلب.

١٩- وقال الشيخ أبو القاسم النصر أبادي رحمه الله: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ورؤية أعذار الخلائق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات).

٢٠- وقال أبو جعفر الحداد رحمه الله: (التصوف هو استقامة الأحوال مع الحق).

٢١- وقال المزين رحمه الله تعالى: (التصوف هو الانقياد للحق).

٢٢- وقال الشيخ علي بن بندار رحمه الله تعالى: (التصوف هو إسقاط الخلق ظاهراً وباطناً).[3]

٢٣- وسئل أبو الحسن النوري رحمه الله: ما التصوف؟ فقال: ترك كل حظ للنفس.

٢٤- وقال الشيخ أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرىء: التصوف استقامة الأحوال مع الحق[4].

٢٥- وقال السيد الشريف الجرجاني: التصوف هو وقوف مع الآداب

١- قواعد التصوف- قاعدة ١٣ ص ٦.

٢- المراد بالشيء: متاع الدنيا.

٣- معيد النعم ومبيد النقم ص (٩٤).

٤- طبقات الصوفية ص ٥١١.

الشرعية ظاهراً، فيسري حكمها من الظاهر إلى الباطن، وباطناً فيسري حكمها من الباطن إلى الظاهر فيحصل للمتأدب بالحكمة كمال.

٢٦- وقال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه ا لله: التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية[١].

٢٧- وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه ا لله تعالى: (التصوف اسم حادث لمسمى قديم، إذ إن مسماه لا يعدو كونه سعياً إلى تزكية النفس من الأوضار العالقة بها عادة كالحسد والتكبر وحب الدنيا وحب الجاه،وكذلك ابتغاء توجيهها إلى حب ا لله عز وجل والرضا عنه والتوكل عليه والإخلاص له).[٢]

٢٨- وقال الشيخ محمد بدر الدين الحامد رحمه ا لله: (التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية، وتعمير القلب بذكر ا لله تعالى وخشيته ورجائه والسير في العبادات والأعمال، على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة...).

٢٩ – وقال الدكتور محمد حسين الذهبي: التصوف: (هو مناجاة القلب ومحادثة الروح، وفي هذه المناجاة طهر لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرأ من الرجس والدنس، وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة والصعود إلى عالم الفيض والإلهام...)[٣].

٣٠- وقال العلامة حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصريةالأسبق: (التصوف هو تربية علمية وعملية للنفوس، وعلاج لأمراض القلوب وغرس للفضائل واقتلاع للرذائل وقمع للشهوات، وتدريب على الصبر والرضا والطاعات...)[٤].

وقيل إن التصوف هو:

٣١- الافتقار إلى ا لله تعالى.

٣٢- تصفية القلوب من غير ا لله تعالى، ثم الصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية للخالق المعبود والتجريد من السوى.

١- الرسالة القشيرية ص ٧.

٢- كتاب السلفية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٨٩.

٣- التفسير والمفسرون(٢/٣٢٤- ٣٢٥).

٤- السالكون إلى ا لله ص ١٥.

٣٣- قلوب منكسرة بما عملت لما منه حذرت.

٣٤- سخاء ووفاء وسلوك طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام .

٣٥- الرغبة في المحبوب لدرك المطلوب ثم مفارقة الأشرار ومصادقة الأخيار.

٣٦- صدق في المعاملة لاتزينٌ ولامحاولة.

٣٧- بذل الروح طول مدة الحياة وتبديدها استعداداً لسكرة الممات.

٣٨- رتوع القلب الهائم في مرتع العز الدائم.

٣٩- جباه ساجدة وقلوب هالعة والعة.

٤٠- أنس بعد بأس وسرور بعد يأس.

٤١- خوف ورهبة وأدب ورغبة.

٤٢- التزام الصمت واغتنام الوقت.

٤٣- عفة بالنفوس وشهامة بالرؤوس.

٤٤- أرواح متعشقة وباسم الذات متحققة.

٤٥- رقة وشوق وترقي وذوق.

٤٦- نقاء الأفكار وسلوك الأبرار.

٤٧- الموافقة للحق في مفارقة الخلق.

٤٨- حسن الصحبة والقيام بحقها.

٤٩- علم وحكمة وتبصرة وهداية وتربية وتهذيب وعلاج ووقاية وتقوى واستقامة وصبر واجتهاد وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد.

٥٠- العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى.

٥١- ثورة على التكلف ودعوة إلى التقشف، ثورة على الحقد ودعوة إلى الحب، ثورة على الجاه ودعوة إلى الله، ثورة على الجدل ودعوة إلى العمل، ثورة على الظلم ودعوة إلى العلم، ثورة على الشكوى ودعوة إلى التقوى، ثورة على الشر ودعوة إلى البر، ثورة على التكبر ودعوة إلى التفكر، ثورة على التملق ودعوة إلى التذوق، ثورة على الكذب ودعوة إلى الصدق.

٥٢- العمود الفقري للإسلام، وهو طريق الأبرار الأخيار، المقتبس من أعمال الصحابة الكرام فهو طريق الحق والهداية.

٥٣- الصدق مع الحق وحسن الخُلُق مع الخَلْق.

٥٤- لب الشريعة وروحها وثمرتها وحكمتها.

٥٥- الإكباب على العمل والإعراض عن العلل.

٥٦- أن تبتعد عن الكذب ما استطعت وإن ظننت أن فيه نجاتك وتدنو من الصدق ما استطعت وإن تيقنت أن فيه هلاكك.

٥٧- حفظ حواسك، ومراعاة أنفاسك.

٥٨- ترك الاختيار.

٥٩- الجد في السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل.

٦٠- أن تصفي قلبك من الأكدار وعملك من الأعذار وتخلص لله الجبار وتعلم أنه لاهادي ولا ولي ولا ناصر ولا غافر إلا ا لله ولا ملجأ ولامنجى منه إلا إليه.

٦١- أن تعرف ربك بالبقاء، ونفسك بالفناء. والبقاء الحقيقي هو بروز أوصافك المحمودة، والفناء الحقيقي هو سقوط أوصافك الذميمة. فمن ترك أفعاله الذميمه فنيَ عن شهواته وبالتالي بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته.

٦٢- تعاليم روحية مستمدة من كتاب ا لله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام إنه مرتبة الإحسان التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله:الإحسان أن تعبد ا لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[١].

٦٣- قطع الشهوات وترك الدنيا والمستحسنات والميل عن المألوفات[٢].

٦٤- تصفية القلب من أوضار المادة، وقوامه صلة الإنسان بالخالق العظيم.

٦٥- التمسك بكتاب ا لله عز وجل والاقتداء بسنة رسوله ﷺ وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق.

١- مر تخريجه ص١١ باب (التصوف ومنشؤه).

٢- قطع الشهوات: أي قطع حبها عن القلب لاتركها بالكلية لأنه لارهبانية في الاسلام.

ما قيل في تعريف الصوفي

١- قال الإمام الرفاعي الكبير قدس الله سره: الصوفي من صفى سرُّهُ من كدوراتِ الأكوان، وما رأى لنفسه على غيره مزية[١].

وقال رضي الله عنه يذكر علامة الصوفي الصادق: الصوفي هو الصادق في جميع الحركات، المتقلل من المباحات، والصمم عن كثير من المسموعات، وأن لا يطلب المعدوم حتى يبذل المجهول والموجود[٢]، ويقطع الحيلة، حتى لا يرى في أحواله وشدته ورخائه وتقلبه غير خالقه ومكوِّنه. وإن الفقير متى نظر إلى ما يلبس التبس عليه أمره، ومتى رأى الخلق من دونه ظهرت عيوبه. الفقير ابن وقته يرى كل نَفَسٍ من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر، يودع لكل ساعة ما يصلح لها، ولا يضيع شيئاً[٣].

٢- وقال أيضاً: الصوفي لا يسلك غير طريق الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم، فلا يجعل حركاته وسكناته إلا مبنيَّة عليه.

٣- وقال أيضاً: الصوفي يتجنب مخالطة الخلق مهما أمكن، لأن الصوفي كلما زاد اختلاطه بالخلق ظهرت عيوبه والتبس عليه الأمر، و إذا خالط البعض فليختر لنفسه صحبة الصالحين فإن المرء على دين خليله.

٤- وقال أيضاً: الصوفي لا يصرف الأوقات في تدبير أمور نفسه لعلمه أن المدبر: هو الحق عز وجل، ولا يلجأ في أموره ولا يعول على غير الله تعالى[٤].

٥- وقال الإمام محمد بهاء الدين الرواس قدس الله سره: "الصوفي التقي: الذي لا يريد فساداً في الأرض ولا علواً، من رؤية أبيه وجده وطوره ومقامه، الذي يصير مع الحق أين كان ولا ينحرف عنه.

١- البرهان المؤيد ص ٦٩.

٢- أي لا يطلب الرزق الغائب حتى ينفق الحاضر.

٣- النظام الخاص لأهل الاختصاص ص ٥٩- ٦٠.

٤- حكم السيد أحمد الرفاعي ص (٤٩- ٥٠).

٦- **وقال أيضاً:** المتصوف المتلصص: المحجوب بزيه وأبيه وجده أو شيخه وعمله، فإن ذلك من المتصنمين الذين لا خير فيهم ولا في صحبتهم والعاقبة للمتقين[١]".

٧- **وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى:** "الصوفي إذا نطق أبان منطقه عن الحقائق، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق، أي أن الصوفي بين حالتين إما أن يتكلم أو يلزم الصمت فإن تكلم لم يقل إلا حقاً، وإن سكت عن الكلام نطقت جوارحه، فهو مشغول بالله في الحالتين، حالة نطقه وحالة سكونه"[٢].

٨- **وقال الشيخ بشر بن الحارث:** "الصوفي من صفا قلبه لله".

٩- **وسئل الشيخ سهل بن عبد الله التستري:** من الصوفي؟ فقال: "من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر[٣]".

١٠- **وقال أبو تراب النخشبي:** الصوفي لا يكدِّره شيء ويصفو به كل شيء[٤].

١١- **وقال الإمام الشبلي:** "الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى: ﴿**واصطنعتك لنفسي**﴾[٥]، قطعه عن كل غير، ثم قال: لن تراني"[٦].

١٢- **وقال أبو علي الروذباري:** الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وأذاق الهوى طعم الجفا، ولزم طريق المصطفى، وكانت الدنيا منه على القفا[٧].

١٣- **وقال السهروردي رحمه الله تعالى:** الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية، ولا يزال يصفي الأوقات من شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس

١- بوارق الحقائق ص٣١٥.

٢- في رحاب الله ص ١٠.

٣- المدر: قطع الطين اليابس وقيل الطين العلك الذي لا رمل فيه (لسان العرب- مادة مدر).

٤- الرسالة القشيرية ص (٢١٨).

٥- سورة طه الآية (٤١).

٦- تاريخ التصوف الإسلامي (١٦).

٧- معيد النعم ومبيد النقم ص (٩٤).

ويعينه على كل هذا دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقي الكدر، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفرّ منها لربه، فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى: ﴿**كونوا قوامين بالقسط**﴾[1]، وهذه القوامية لله على النفس هي التحقق بالتصوف.

١٤- وقال النوري: نعت الصوفي: في السكون عند العدم، والإيثار عند الوجود.

١٥- وقال الشيخ الشعراوي: ".. الصوفي هو الذي يتقرب إلى الله، بفروض الله، ثم يزيدها بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام من جنس ما فرض الله وأن يكون عنده صفاء في استقبال أقضية العبادة فيكون صافياً لله، والصفا هو كونك تصافي الله"[2].

وقيل إن الصوفي:

١٦- الذي يعطي كل ذي حق حقه، جمع بين الدنيا والآخرة، بظاهره توجه إلى الدنيا، وبقلبه توجه إلى خالقه.

١٧- أن يكون مع الناس ببدنه ومع الله بروحه، شهد المكون فغاب عن الأكوان شهد الله فغاب عما سواه، فكلما ازداد الصوفي بعداً عن الخلق ازداد قرباً من الخالق.

١٨- من صفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته.

١٩- حكيم ذو حكمة، فإن لم يكن حكيماً ورعاً زاهداً صواماً قواماً فلاحظ له بهذا اللقب لأنه صفاء القلب وتزكية النفس وجهاد الهوى، وأن يكون له عقل راجح وحضور وتمكن قوي من نفسه حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسية فهو الخليفة المختار دون غيره من المخلوقين، الأمين على خلق الله تعالى فلا يعدل بهم عن سنة الله، فكل الموجودات بيد الإنسان أمانة عرضت عليه فحملها، فإن أداها فهو الخليفة

١- سورة النساء الآية (١٣٥).
٢- أصول الوصول ص ٣٣٧.

الأمين، وإن لم يؤدها فهو الظلوم الجهول، ولا تطمع بأن ترى هذه الأوصاف في غير الرجال الكمل، أهل التحقيق والعرفان السادة الصوفية[1].

٢٠– من كان صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها[2].

٢١– الصوفي كثير الاستغفار في الليل والنهار، في إقبال قلبه والإدبار.



١- حقيقة التصوف ص ٣.
٢- التصوف منشؤه ومصطلحاته ص٣٢.

ما قيل في تعريف الصوفية

١- قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: "الصوفية أطفال في حجر الحق[1]"[2].

٢- وقال ذو النون: الصوفية هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء.

٣- وقيل لعبد الواحد بن زيد: من الصوفية عندك؟ فقال: القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم، المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم، هم الصوفية.

٤- وقال السرَّاج: إذا قيل لك: الصوفية من هم في الحقيقة؟ صفهم لنا فقل: هم العلماء بالله وبأحكام الله، العاملون بما علمهم الله تعالى، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل[3].

٥- وقال ذو النون: رأيت امرأة ببعض سواحل الشام فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟ قالت: من عند قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، قلت: وأين تريدين؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله قلت: صفيهم لي فأنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت … فما لهم همم تسمو إلى أحد

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم … يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف … من المطاعم واللذات والولد

ولا للبس ثياب فائق أنق … ولا لروح سرور حل في بلد

١- هذه إشارة للتسليم المطلق منهم لله عز وجل.

٢- التعرف (ص ١٠٦).

٣- اللمع ص (٤٧).

إلا مســـارعة في إثـــر منزلـــة　　　قد قارب الخطو فيها باعد الأبد[٤]

٦-وقيل هم الذين ساروا على نهج رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم كالصحابة أهل الصفّة والتابعين وتابع التابعين، كالجنيد البغدادي وأقرانه إلى يومنا هذا، فهؤلاء قوم قلوبهم وعزائمهم صاعدة إلى الملأ الأعلى بالشهود التوحيدي لا يستنكفون عن العبادة ولا يفترون عن الذكر، فقوتهم الطاعة ومناجاتهم حب، ووجد بقرب، وحياة بعبادة، وذوق بعلم، وبسط بأُنس، وخلق بقرآن أي بفهم له أمناء للخلق، وخزنة للسر، وصفوة للخلق، عملوا وتحققوا بالأخوة الروحية والقيم الإنسانية.

أهل مبادئ يعبرون عن روح القرآن وجوهر السنة، ورثوا أخلاقاً حميدة وإيماناً خالصاً بهديه عليه الصلاة والسلام فبرز النور المحمدي فيهم وانطلقت أرواحهم تجول بحب وإحساس وقرب مقدس، فهم أهل ذوق ووجدان ومشاهدة، يترنمون بأفكارهم في تجلي الجلال والجمال والكمال، حكماء ربانيون، أرباب فتوة، قائمون بعقولهم على هممهم، عاكفون عليه بقولهم، معتصمون بسيدهم من شر نفوسهم، فهم خير أمة أخرجت للناس.

٧- وقيل: الصوفية هم المجتمعة على ا لله هممهم، المتعلقة بعظمته وحكمته ألبابهم، الذين لا تشهد سوى ا لله أسرارهم، وليس إلا إليه غدوهم ورواحهم، فهم أحكم الناس وأعقلهم[١].

٨- وقيل أيضاً: إن الصوفية هم بقية من بقايا أهل الصُّفّة[٢].

٩- وقيل: الصوفية أوفر الناس حظاً في الاقتداء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وأحقهم بإحياء سنته، والتخلق بأخلاق رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم من حسن الاقتداء به وإحياء سنته[٣].

٤- التعرف (ص٢٠- ٢١).

١- المدخل إلى التصوف (ص٩).

٢- اللمع (ص٤٧).

٣- عوارف المعارف (٢٢٩).

عقيدة الصوفية

*سيدنا الإمام الرفاعي:

قال رضي الله عنه معرفاً التوحيد: هو وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه.

وقال في البرهان المؤيد: "صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة، لأن ذلك من أصول الكفر، قال تعالى: ﴿**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾[1]، والواجب عليكم وعلى كل مكلف في المتشابه: الإيمان بأنه من عند الله، أنزله على عبده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كلّفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله، قال جلت عظمته: ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون آمناً به كل من عند ربنا**[2]﴾ فسبيل المتقين من السلف: تنزيه الله تعالى عما دَلَّ عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلى الحق تعالى وتقدس، وبهذا سلامة الدين.

وقال: أي سادة نزهوا الله عن سمات المحدثين، وصفات المخلوقين، وطهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك. وإياكم والقول بالفوقية والسفلية والمكان واليد والعين بالجارحة، والنزول بالإتيان والانتقال، فإن كل ما جاء في الكتاب والسنة، مما يدل ظاهره على ما ذكر فقد جاء في الكتاب والسنة مثله، مما يؤيد المقصود، فما بقي إلا ما قال صلحاء السلف وهو الإيمان بظاهر كل ذلك ورد حكم المراد منه إلى الله ورسوله مع تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث، وعلى ذلك درج الأئمة، وكل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله، ولكم حمل المتشابه على ما يوافق أصل المحكم، لأنه أصل الكتاب والمتشابه لا يعارض المحكم.

وقال: "الصوفي يتباعد عن الأوهام والشكوك ويقول بوحدانية الله تعالى: في ذاته، وصفاته، وأفعاله، لأنه ليس كمثله شيء، يعلم ذلك يقيناً. ليخرج من باب العلم

١- سورة آل عمران الآية ٧.

٢- سورة آل عمران الآية ٧.

الظني وليخلع من عنقه ربقة التقليد"[1].

*** الإمام محمد مهدي بهاء الدين الشهير بالرواس:**

قال رضي الله عنه: "يقول رجال هذه الطائفة رضي الله عنهم: الحمد لله نؤمن بالله، ونشهد أنه لا شريك له لا في السماء ولا في الأرض، تنزه وتقدس عن أن يشاركه فيهما أحد ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾[2]، ونؤمن بما جاء به عن الله الأنبياء والمرسلون، وننزهه في ذاته وصفاته عن النظير في الدنيا والآخرة،ونقدسه عن الجهات ومجانسة الحادثات، ونؤمن بكتابه كله بأنه من عنده أنزله على عبده ونردُّ تفصيل علم تأويله إليه وننزهه عمّا دلَّ عليه ظاهره، ونفوض المعنى المراد منه إليه تعالى وتقدس، ونؤمن بنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونشهد بأنه رسول الله، وأفضل المرسلين، والرحمة العامة للعالمين، ونؤمن بأنه رأى ربه بعين بصره وبصيرته، ﴿**دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[3]، وأنه صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم قرشي عربي، بَشَرٌ فضّله الله على خلقه كلهم، واختاره لجنابه، واصطفاه لذاته، وأعطاه الوسيلة الكبرى، والشفاعة العظمى، وقدَّمه على النبيين والمرسلين، في الآخرة والأولى، ونعتقد أنه هو وإخوانه النبيون والمرسلون معصومون عن الكبائر مطلقاً، ونبوته عليه الصلاة والسلام باقية، وشريعته ناسخة، ويقولون: نعتقد أن الله تعالى أرسل قبل رسوله ونبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم رسلاً أولهم آدم، عليه السلام وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكلهم جاؤوا بالحق وتكلموا بالصدق، وبلَّغوا الرسالة وصدقوا فيما بلغوا عن ربهم عز وجل، وكل ما أنزل إليهم من الكتب والصحف حق، وأن المعراج حق، وأن الصالحين مع علو منزلتهم وقربهم من ربهم لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك، ومن زعم أنه صار ولياً وسقطت عنه الفرائض فقد كفر وإن الولي كبقلة تحت شجرة النبوة، وإن البعث حق، والعرض حق، والحساب حق وإن الجنة، ونعيمها حق، والنار وعذابها حق، وأهل الجنة يرون ربهم بعينهم من غير إدراك ولا إحاطة، ولا كيفية و لا مقابلة، ولا على مكان، ولا في جهة، وإن قراءة الكتب حق، يؤتى المؤمن كتابه بيمينه، والكافر بشماله، والميزان حق، والصراط حق،

١- حكم السيد الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره (ص٤٨).

٢- سورة الأنبياء الآية (٢٢).

٣- سورة النجم الآية (٨- ٩).

وحوض الكوثر حق، والشفاعة للنبي صلى الله عليه وسلم حق، وشفاعة المؤمنين حق ومحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على العموم حق، وكلهم على هدى، وأن أبا بكر رضي الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وخلافته حق، وبعده خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حق، وبعده خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه حق، وأفضل الخلق بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين[1].

وقال رضي الله عنه: "في لا إله إلا الله القول بوحدانية الواحد الأحد، الفرد الصمد، ألا وهو الذي لا إله إلا هو، الذي لا شريك له، ولا نظير له ولا ند له ولا ضد له، الذي يحي ويميت وهو على كل شيء قدير"[2].

وقال رضي الله عنه: "بويعتُ على تنزيه الله تعالى عن الفوقية والجهة والجسم والمكان ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[3]"[4].

❋الإمام عبد القادر الجيلاني:

قال رضي الله عنه: "اخرج عن الخلق جداً، واجعلهم كالباب يرد ويفتح وشجرة توجد فيها ثمرة تارة وتحيل أخرى، وكل ذلك بفعل فاعل وتدبير مدبر وهو الله عز وجل، فإذا صح لك هذا كنت موحداً للرب عز وجل.

ولا تنس مع ذلك كسبهم لتتخلص من مذهب الجبرية، واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله عز وجل لكيلا تعبدهم وتنسى الله، ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتكفر فتكون قدرياً، ولكن قل هي لله خلقاً وللعباد كسباً كما جاءت به الآثار، ولبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب..."[5].

❋ الإمام الشعراني:

قال رضي الله عنه: "اعلم يا أخي أن القوم أجمعوا على أن الله تعالى إله واحد لا ثاني له، تنزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، صانع لا مدبر معه، موجود

١- مسلك ناجية الفطين في مراحل السالكين للسيد محمد مهدي الرواس (ص٧٩- ٨١).

٢- المرجع السابق (ص١٥).

٣- سورة الشورى الآية (١١).

٤- بوارق الحقائق ص ٣١٣.

٥- آداب السلوك للإمام الجيلاني (ص ٦٧- ٦٨).

بذاته من غير افتقار إلى موجد يوجده، بل كل موجود مفتقر إليه في وجوده، فالعالم كله موجود به، وهو تعالى مطلق مستمر قائم بنفسه، ليس بجوهر فيقدر له المكان، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء، ولا بجسم فتكون له الجهة والتلقاء، مقدس عن الجهة والأقدار، مرئيّ بالقلوب والأبصار، استوى تعالى على عرشه كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، كما أن العرش وما حواه به استوى، له الآخرة والأولى، ليس له مثل معقول، ولا دلت عليه العقول، لا يحده زمان، ولا يقله مكان، وهو الآن على ما عليه كان...، علم الأشياء قبل وجودها، ثم أوجدها على حد ما هي عليه، فلم يزل عالماً بالأشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الأشياء، أتقن الأشياء وأحكمها، يعلم الكليات والجزئيات على الإطلاق، فهو عالم الغيب والشهادة، فتعالى عما يشركون...، لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيئاً لم يرد الله تعالى لهم أن يريدوه ما أرادوه، أو أن يفعلوا شيئاً لم يرد الله إيجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوه ولا أقدرهم عليه..

وكما شهدنا لله تعالى بالوحدانية وما يستحقه من الصفات العلية، كذلك نشهد لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة إلى جميع الناس كافة، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأنه صلى الله عليه وسلم، بلّغ جميع ما أنزل إليه من ربه وأدى أمانته، ونصح أمته..، ونؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما علمنا ومما لم نعلم.."[1].

❋ الإمام الجنيد:

قال رضي الله عنه: التوحيد هو إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته، بكمال أحديته، أنه هو الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقال رضي الله عنه: التوحيد إفراد القدم عن الحدث.

❋ الإمام القشيري:

قال رضي الله عنه: "إن شيوخ هذه الطائفة بنوا عقائدهم على أحوال صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم".

١- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني (ص ٢٠- ٢٥).

❋ الشيخ حسين منصور الحلاج:

قال رضي ا لله عنه: "ألزم الكل الحدث لأن القدم لـه، فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه، والذي بالأداة اجتماعه فقواه تمسكه، والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غير فالضرورة تمسه، والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه، ومن آواه محل أدركه أين، إنه سبحانه وتعالى لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله ولا يزاحمه عند، ولايحده أمام، ولم يظهره قبل، ولم يفنه بعد، ولم يجمعه كل، ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس، وصفه لا صفة له، وفعله لا علة له، وكونه لا أمد له، تنزه عن أحوال خلقه، ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج، باينهم بقِدَمِهِ كما باينوه بحدثهم، إن قلت متى؟ فقد سبق الوقتَ كونُه، وإن قلت هو فالهاء والواو من خلقه وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجودُه، فالحروف آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه عن خلقه، ما تصور بالأوهام فهو بخلافه، كيف يحل به ما منه بداه، أو يعود إليه ما هو أنشأه، لا تراه العيون ولا تقابله الظنون، عُلُوه من غير توقّل[1]، ومجيؤه من غير تنقل، هو الأول والآخر والظاهر والباطن والقريب والبعيد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

❋ الشيخ أبو محمد سهل بن عبد الله التّستري:

قال رضي ا لله عنه حين سئل عن ا لله عز وجل: "ذات موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهو موجود في حقائق الإيمان من غير حد ولا حلول، تراه العيون في العقبى ظاهراً في ملكوته وقدرته، لقد حجب سبحانه وتعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته".

❋ الشيخ أبو الحسن البوشنجي:

قال رضي ا لله عنه: "التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه للذوات ولا منفي الصفات".

❋ الشيخ أبو محمد الحريري:

قال رضي ا لله عنه: "من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة التلف، ومن لم يتأمل التوحيد سقط عن سنن النجاة ووقع في أسر الهلاك".

١- وقل في الجبل: يقل صعد ورفع رجلاً وأثبت أخرى.

*** الشيخ أبو إسحاق الإسفرايني:**

قال رضي ا لله عنه: "جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحقيقة في كلمتين: الأولى: اعتقاد أن كل تصور في الأوهام فا لله بخلافه، والثانية: أن ذاته تعالى غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات".

***الشيخ أبو بكر محمد الكلاباذي[1]:**

قال رضي ا لله عنه: "أجمعت الصوفية على أن ا لله واحد أحد فرد صمد عالم قادر حي سميع بصير عزيز عظيم جليل جواد رؤوف متكبر جبار باق أول إله سيد مالك رب رحمان رحيم مريد حكيم متكلم خالق رازق موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته، مسمىً بكل ما سمى به نفسه، لم يزل قديماً بأسمائه وصفاته، غير مشبه بالخلق بِوَجْهٍ من الوجوه، لا تشبه ذاته الذوات، ولا صفته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة على حدثهم، لم يزل سابقاً متقدماً للمحدثات موجوداً قبل كل شيء، لا قديم غيره، ولا إله سواه، ليس بجسم ولا شبح، ولا صورة ولا شخص، ولا جوهر ولا عرض، ولا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرك، ولا يسكن، لا ينقص ولا يزيد، ليس بذي أبعاد، ولا أجزاء، ولا أعضاء، ولا بذي جهات، ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات ولا تأخذه السنات ولا تداوله الأوقات ولا تعيِّنُهُ الإشارات، لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، لا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن، لا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار".

قيل:

التوحيد: هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً.



١- التعرف لمذهب أهل التصوف (ص٣٣).

أخلاق الصوفية

ويفصل السهروردي بيان أن ما دعا إليه الصوفية من أخلاق هي نفس ما تخلق به النبي صلى ا لله عليه وسلم في سلوكه ودعا إليه في أحاديثه ومن ذلك:

١- **أن من أخلاق الصوفية**: التواضع، وقد قال النبي صلى ا لله عليه وسلم: (**إن ا لله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا، ولا يبغي بعضكم على بعض**[1]، وكان من تواضع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أن يجيب دعوة الحر والعبد، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، ويكافئ عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين.

٢- **ومن أخلاقهم المداراة واحتمال الأذى من الخلق**، قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: (المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم)[2].

٣- **ومن أخلاقهم الإيثار والمواساة**، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً، وقوة اليقين شرعاً[3]، وفي هذا المعنى نزلت الآية: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾[4]، يؤثرون بالموجود ويصبرون على المفقود.

٤- **ومن أخلاقهم التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة**، وقد روي عن أنس رضي ا لله عنه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال: (**رأيت قصوراً مشرفة على الجنة، فقلت: يا جبريل لمن هذه؟ قال: للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**)[5].

٥- **ومن أخلاقهم البشر وطلاقة الوجه**، فالصوفي بكاؤه في خلوته وبشره

١- أخرجه مسلم (٧١٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٨)، وأبو داود (٤٨٩٥) والطبراني في الكبير (١٧|١٠٠٠)، وابن ماجه (٤١٧٩)، وأحمد (٤|١٦٢)، والنسائي في فضائل القرآن (٩٥).

٢- أخرجه البخاري في الأدب (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٢|٤٣).

٣- عوارف المعارف (ص٢٤٧).

٤- سورة الحشر الآية (٩).

٥- عوارف المعارف ص ٢٥٣ والحديث في كنز العمال (٧٠١٦).

وطلاقة وجهه مع الناس[1]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق**[2][3]).

٦- ومن أخلاقهم الإنفاق من غير إقتار وترك الادخار، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى خادمه عن الادخار قائلاً: (**ألم أنهك أن تخبئ شيئاً لغدٍ؟ فإن الله تعالى يأتي برزق كل غد**)، وورد أيضاً أنه قال: (**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**[4][5]).

٧- ومن أخلاقهم التودد والتآلف والموافقة مع الإخوان وترك المخالفة، وقال عليه الصلاة والسلام : (**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**[6]).

٨- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم غيرتهم لله تعالى: إذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة، فكانوا لا يفعلون فعلاً ولا يصحبون أحداً إلا إذا علموا رضا الله تعالى فيه، فلا يحبون أحداً ولا يبغضونه لعلة دنيوية.

❋ وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يقول: لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله إلا تفرقا على غير طاعة الله.

❋ وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: "إذا أحدث الرجل حدثاً، ولم يبغضه من زعم أنه أخوه فمحبته لغير الله، إذ لو كانت لله لغضب على من عصاه.

❋ وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: من ادعى أنه يحبُّ عَبْداً لله تعالى ولم يبغضه إذا عصى الله تعالى فقد كذب في دعواه أنه يحبه لله.

١- عوارف المعارف ص٢٥٤.

٢- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٠٤)، والترمذي (١٩٧٠) قال حديث حسن، وأحمد (٣/٣٤٤)، وعبد ابن حميد (١٠٩٠).

٣- عوارف المعارف (ص٢٥٥).

٤- أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (٢٤٢٤)، والترمذي (٢٣٦١)، وابن ماجه (٤١٣٩)، وأحمد (٢/٢٣٢)، وفي الزهد ص(٨)، ووكيع في "الزهد" (١١٩)، وابن أبي شيبة (١٣/٢٤٠، ٢٤١)، وابن حبان (٦٣٤٤)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ص (٢٦٨)، والبيهقي (٢/١٥٠)، وفي "دلائل النبوة" (٦/٨٧).

٥- عوارف المعارف (ص٢٦١).

٦- أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٩١٤٧) ورمز لصحته.

❋ وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يطرد الكلب إذا جلس بحذاءه ويقول: هو خير من قرين السوء، **(وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين)**.

❋ وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول: ليس شيء أنفعُ لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر إلى أفعالهم، وليس شيء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم.

٩-ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم قِلّة الضحك وعدم الفرح بشيء من الدنيا: بل كانوا ينقبضون بكل شيء حصل لهم من ملابسها ومراكبها ومناكحها عكس ما عليه أبناء الدنيا كلُّ ذلك خوفاً أن يكون من جملة ما عُجِّل لهم من نعيم الآخرة، وكيف يفرح بشيء من هو في السجن محبوسٌ عن لقاء الله عز وجل، فكما يحزن المحبوس عن داره وعياله ويتكدر، كذلك يحزن أولياء الله تعالى على طول عمرهم وسجنهم في هذه الدار عن لقاء ربهم عز وجل.

❋ وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى لا يراه أحد إلا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما يرى به من شدة الحزن والخوف.

❋ وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول: رُبَّ ضاحك وأكفانه قد خرجت من عند القصّار[1].

١٠- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم كثرة الخوف من الله تعالى أن يعذبهم على ما جنوه من مظالم نفوسهم ومظالم العباد: ولو عودَ خلال لأحد، أو إبرة يخيطون بها، لاسيما إن كان أحدهم يستقل أعماله الصالحة في عينه، فإنه يشتد خوفه وكربه لعدم أن يكون معه شيء من الحسنات يعطي منها الخصوم يوم القيامة، وربما شحَّ أحد المظلومين يوم القيامة، فلا يرضى بجميع أعمال الظالم الصالحة في مظلمة واحدة من مال أو عرض أو لطمة.

وكان الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى يقول: بلغنا أنه تاب كَيَّال عن الكيل وأقبل على عبادة ربه عز وجل، فلما مات رآه بعض أصحابه في منامه، فقالوا له: ما فعل الله بك يا فلان؟ قال: أحصى علي خمسة عشر قفيزاً من أنواع الحبوب التي كنت

١- تنبيه المغترين للشعراني (ص ٤٧- ٤٨).

أكتالها، فقال له: كيف ذلك؟ قال: كنت أغفل عن تعاهد الكيل بالنقص من الغبار فيتراكم في قعره التراب، فكانت كل كيلة تنقص بقدر ما في القعر من التراب:

(وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول: إن الرجل ليلعن نفسه في الصلاة ولا يشعر، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال يقرأ: ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾[1] وهو قد ظلم نفسه بالمعاصي، وظلم الناس بأخذ أموالهم والوقوع في أعراضهم).

❋ وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول: يخرج من الدنيا أقوام أغنياء من كثرة الحسنات فيأتون يوم القيامة مفاليس من أجل تَبِعَات الناس.

❋ وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

١١-ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم: كثرة الخوف من الله تعالى إذا ذكروا أهوال القيامة، وكَثرةُ الغشيان إذا سمعوا القرآن والذكر: وقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً قوله تعالى: ﴿**إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً**﴾[2]، وكان وراءه حُمْران بن أعينَ فخر ميتاً رضي الله عنه[3].

وقد دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى يوماً، فقال له: عظني يا يزيد، فقال له: يا أمير المؤمنين إنك أول خليفة يموت، فبكى عمر وقال له: زدني، فقال له: ليس بينك وبين أبيك آدم أب حيّ، فبكى عمر وقال له: زدني فقال له: ليس بين الجنة والنار منزلة أخرى، فسقط عمر مغشياً عليه[4].

١٢-ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم: تقديم أعمال الآخرة دائماً على أعمال الدنيا: فيقدم أحدهم ورده بعد صلاة الصبح على سائر مهماته، كما يقدم التهجد في الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف، وعلى ذلك دَرَج السلف الصالح كلهم رضي الله عنهم، فمن أصبح وهمته الدنيا فهو خارج عن طريقهم.

❋ وكان يونس بن عُبيد رحمه الله تعالى يقول: من لم تكن عنده تسبيحة أو

١- سورة: هود الآية (١٨) .

٢- سورة المزمل الآية (١٢- ١٣).

٣- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩١٧).

٤- تنبيه المغترين للشعراني (ص٦٠- ٦١).

تهليلة واحدة خيراً من الدنيا وما فيها، فهو ممن آثر دنياه على آخرته.

❋ وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول: الدنيا ابنة إبليس، فمن خطبها كثُر تردد أبيها إليه، فإن دخل بها أقام عنده بالكلية. قلت المراد (بخطبته الدنيا) تمنّيها، و(بالدخول بها) إمساكها، أي: إمساك الفاضل منها عن حاجته لغير غرض شرعي، فعلم أن من أراد أن إبليس لا يسكن عنده مع تزويجه ابنته فقد رام المحال، ولذلك كان يتوسوس في الصلاة والوضوء والنيات كلها كثير من الناس الذين يحبون الدنيا بقلوبهم.

١٣- ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس جَلَسوه: عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم تره، [أي: تبعة، ونقصاً] يوم القيامة)[1]. وأيضاً عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها)[2].

❋ وكان داود الطائي رحمه الله يقول: كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة إلا نفس الذاكرين. وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول: (إني لأعرف متى يذكرني الله تعالى، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا ذكرته سبحانه وتعالى ذكرني، قال تعالى: ﴿**فاذكروني أذكركُم**﴾[3].

❋ وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول: حادثوا القلوب بذكر الله فإنها سريعة الغفلة. وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول: واعجباً من الناس، يبكون على من مات جسده، ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشدّ[4].

١٤- ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم دقة قلوبهم وكثرة بكائهم: على

١- أخرجه أحمد (٢/٤٦٣) وكذا في مجمع الزوائد (١٦٧٨٦) ورجاله رجال الصحيح وأخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد (٩٦٢).

٢- أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/١٨٢) ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد (١٠/رقم ١٦٧٤٦)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣).

٣- سورة البقرة الآية (١٥٢) .

٤- تنبيه المغترين ص (١١٨- ١١٩).

تفريطهم في حقوق الله تعالى لعل الله أن يرحمهم.

❋ وكان على هذا المقام الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب، وأبو الدرداء رضي الله عنهم.

١٥- ومن أخلاقهم رضي الله عنهم نصح بعضهم بعضاً: فكان الكبير لا يتكدر من نصح الصغير له، وبالعكس.

وكان يحيى بن معاذ يقول: ما أمر الإنسان في هذه الدار ولو طال إلا كنفس واحد في جنب عيش الجنة، ومن ضَيَّع نَفَساً واحداً يعيش به عيش الأبد إنه والله من الخاسرين.

١٦-ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم شدة خوفهم من الله تعالى أن يختم لهم بسوء: فيكونوا من المحجوبين عنه في النار. وكان أحدهم يأخذ في التفكير والحزن حتى يغيب عن الحاضرين.

❋ **وكان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يقول:** أكثر ما يسلب من الناس الإيمان عند الموت. وبكى سفيان الثوري مرة حتى غشي عليه، فقيل له: علامَ تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زماناً، ونحن الآن نبكي على الإسلام - أي: خوفاً أن يذهب منا. وكان موسى بن مسعود يقول: كنا إذا جلسنا عند سفيان الثوري فكأنما نار أحاطت بنا لما نرى عليه من شدة الخوف والجزع.

❋ **وكان الفضيل بن عياض يقول:** خوف العبد من الله على قدر معرفته به.[1]

١٧-ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم أن يكون أحدهم هيناً ليناً ينقاد للصغير كما ينقاد الجمل: وفي الحديث الذي فيه الأمر بتسوية الصفوف: (ولينوا في يد إخوانكمْ)[2]، وفي القرآن العظيم **﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**[3]، إذا علمت ذلك فاعلم أن من جملة لين الفقراء أن أحدهم إذا دخل على

١- تنبيه المغترين للشعراني (ص- ٨٨- ٩١).

٢- قطعة من حديث مطلعه (أقيموا الصفوف) أخرجه أبو داود: (٦٦٦)، والنسائي: (٨٢٠) وأحمد في المسند (٩٧/٢).

٣- سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

جماعة يذكرون ا لله تعالى كذكر الأعاجم أو المغاربة أو الشناوية أو المطاوعة مثلاً أن يذكر معهم كهيئتهم في الصورة بطريقه الشرعي وكذلك يوافقهم في ذكرهم الذي لُقّنوْه حين دخلوا في الطريق من نفي أو إثبات، ولا يقول إن هذه الكيفية ليست طريقة شيخنا كما يقع في ذلك كثير من الناس، فيفوتهم الأجر مع وقوعهم في الجفاء وغِلظ الطبع فاعلم ذلك واعمل عليه، والحمد لله رب العالمين.

١٨-ومن أخلاقهم رضي ا لله تعالى عنهم رؤية محاسن الناس والتعامي عن مساويهم: حتى إن أحدهم لا يكاد يرى في أخيه المسلم عيباً يهجوه به أبداً، ويصير الناس كلهم عنده صالحين فعلم أن الصالحين لا يعادون أحداً لحظّ نَفْس، وإنما الناس هم الذين يعادونهم حسداً وعدواناً، فإن قيل: إن صاحب هذا المقام يقلُّ نفعه لأصحابه من حيث عدم النصح والتحذير من المنكر فيصير هذا مرتكباً للمعاصي على الدوام ولا يهتدي لتحذيره عنها لعدم شهودها فيه، إذا حمله على المحامل الحسنة! فالجواب أنه يهتدي للتحذير بالإلهام الصحيح بواسطة رابطته به، أو بقياسه على نفسه ويقول: كما أني أرتكب المعاصي مثلاً، فكذلك أخي؛ قد لا يخلو منها، فإن ما جاز في حقي جاز في حق غيري، ومعلوم عند القوم أن ذكرَهم نقائص إخوانهم لا يكون إلا على وجه التحذير دون التشفي لبراءتهم من مثل هذا الفعل.

١٩-ومن أخلاقهم رضي ا لله تعالى عنهم: كثرة أدبهم مع من علّمهم سورة أو آية من القرآن وهم أطفال: فلم يزل أحدُهم يتأدب مع مَن علمه السورة أو الآية أو الباب من العلم حتى إنه لا يقدر يمرُّ عليه راكباً، ولا يتزوج له مطلقة ولو صار من مشايخ الإسلام.[1]

فأخلاق أهل التصوف كثيرة جداً وماهي إلا صورة عن أخلاق سيد الخلق صلى ا لله عليه وسلم الذي وصفه ا لله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**[2]﴾.

١- تنبيه المغترين للشعراني (ص ١٠٠- ١٠٤).

٢- سورة القلم الآية ٤.

أقوال الأئمة والعلماء في التصوف

١ـ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

قال الإمام الشافعي رحمه ا لله تعالى:[١] صحبت الصوفية فاستفدت منهم ثلاث كلمات:

قولهم: الوقت سيف إذا لم تقطعه قطعك.

وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وقولهم: العدم عصمة[٢]

وقال أيضاً: (حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف[٣]

٢ ـ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى:

نقل الفقيه الحنفي الحصكفي صاحب الدر: أن أبا علي الدقاق رحمه ا لله تعالى قال:

"أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر أباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة النعمان رضي ا لله عنه وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله"[٤].

٢ ـ الإمام مالك رحمه الله تعالى:

١- الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي في مصر سنة ٢٠٤هـ.

٢- تأييد الحقيقة العلية للإمام جلال الدين السيوطي ص ١٥.

٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للإمام العجلوني المتوفي سنة ١٦٦٢هـ، ج أص ٣٤١.

٤- الدر المختار ج١- ص ٤٣ وعليه حاشية ابن عابدين.

يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى: (من تفقه و لم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف و لم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق)[1]

٤ ـ الإمام أحمد رحمه الله تعالى :

كان الإمام أحمد رحمه الله تعالى[2] قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله رحمه الله تعالى: (يا ولدي عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه، فلما صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي وعرف أحوال القوم أصبح يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة)[3].

وكان الإمام أحمد بن حنبل مع جلالة قدره إذا توقف في مسألة يقول لأبي حمزة البغدادي رضي الله عنه: ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فمهما قال له اعتمده.

ونقل العلامة محمد السفاريني الحنبلي رحمه الله تعالى عن إبراهيم بن عبد الله العلاني رحمه الله تعالى أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال عن الصوفية "لا أعلم أقواماً أفضل منهم، قيل إنهم يستحيون ويتواجدون، قال دعوهم يفرحون مع الله ساعة..."[4].

٥ـ ابن تيمية رحمه الله تعالى:

تحدث أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن تمسك الصوفية بالكتاب والسنة في الجزء العاشر من مجموع فتاويه فقال: فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين ومثل الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فلا يسوغون

١- حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني في الفقه المالكي ج٣ ص٩٥ وشرح عين العلم وزين الحلم للإمام ملا علي القاري المتوفى ١٠١٤هـ ج١ ص ٣٣ والإمام مالك رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة ١٧٩هـ في المدينة المنورة.

٢- الإمام أحمد رحمه الله تعالى أحد الأئمة الأربعة المشهورين توفي سنة ٢٤١هـ.

٣- تنوير القلوب ص ٤٠٥ للعلامة الشيخ أمين الكردي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ.

٤- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ج١ ص١٢٠.

للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يعمل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير في كلامهم[1].

ويصفهم أيضاً بأنهم من أكمل صديقي زمانهم[2].

٦ـ ويقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد عن الصوفية:

أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء (الصوفية) ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الأنبياء ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء، وعلى شرعهم ودعوتهم أمناء، فكثير منهم نال حظه من الأنس بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس، لهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئاً مما يحدَّث به عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومن ذاق عرف ومن حرُم انحرف ودليل صحته ما يتحدثون به، ومنه ظهور الأثر الصالح منهم، وسلامة أعمالهم ممّا يخالف شرائع أنبيائهم وطهارة فطرهم مما ينكره العقل الصحيح أو يمجه الذوق السليم.

وقال أيضاً فيما يرويه تلميذه محمد رشيد رضا عنه في كتاب "تاريخ الأستاذ الإمام" ص٩٢٨، لا يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتزكية النفوس وإنه بضعف هذه الطبقة وزوالها فقدنا الدين وكل ما أنا فيه من نعمة في ديني، أحمد الله، فسببها الصوفية.

ويقول تلميذه محمد رشيد رضا في الكتاب السابق ذكره ص١٢٦، وقد بينا في أول الفصل أن الأستاذ الإمام رحمه الله قد ربِّيَ تربية صوفية، وأنه كان صوفياً صفياً خفياً، وأنه كان يرى وجوب كتمان كل ما يؤتاه المرء من ثمرات التصوف وإن كان مع الناس فيما يشاركهم فيه من الصفات والأحوال.

٧ـ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى:

وقال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى في كتابه معيد النعم ومبيد النقم

١- مجموع فتاوي أحمد بن تيمية ج١ ص٥١٦- ٥١٧.

٢- الفتاوي (١١/١٧).

تحت عنوان (**الصوفية**) حياهم الله وبياهم وجمعنا في الجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها إلى أن قال وإنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة.. ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال: والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم وعنا بهم"[1].

٨ـ الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى:

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: (الباب الثامن في أحوال الصوفية: اعلم أن أكثرمن حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية، وهذا طريق حسن.. وقال أيضاً: والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية، ويجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم، منطبعون على كمال الأدب مع الله عز وجل، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين)[2].

٩ـ الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى:

ذكرت مجلة المسلم، العشيرة المحمدية[3]، تحت عنوان "الإمام الشاطبي"[4]، صوفي سلفي، للسيد أبي التقي أحمد خليل: كتاب الاعتصام من الكتب التي يعتبرها المتسلفة مرجعاً أساسياً لبعض آرائهم ويرون في الشيخ أبي إسحاق الشاطبي إماماً لهم وقد عقد الإمام الشاطبي في كتابه هذا فصولاً كريمة عن التصوف الإسلامي وأثبت أنه من صميم الدين وليس هو مبتدعاً، ووفى المقام هناك بما تسلم له العقول والقلوب فاستمع إلى الإمام الشاطبي يقول:

إن كثيراً من الجهال يعتقدون في الصوفية أنهم متساهلون في الاتباع والتزام ما لم

١- كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص ١١٩، للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ.

٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للإمام فخر الدين الرازي ص٧٢- ٧٣ توفي سنة ٦٠٦هـ.

٣- مجلة المسلم، العشيرة المحمدية، عدد ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ.

٤- الشاطبي هو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى سنة ٧٩٠هـ.

يأت في الشرع التزامه مما يقولون به ويعملون عليه وحاشاهم من ذلك أن يعتقدوه أو يقولوا به: فأول شيء بنوا عليه طريقهم اتباع السنة واجتناب ما خالفها حتى زعم مذكرهم وحافظ مأخذهم وعمود نحلتهم أبو القاسم القشيري: أنهم، إنما اختصوا باسم التصوف انفراداً به عن أهل البدع، فذكر أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسم أفاضلهم في عصرهم باسمٍ عليٍّ سوى الصحبة، إذ لا فضيلة فوقها، ثم سمي من يليهم التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية في الدين: الزهاد والعباد، قال: ثم ظهرت البدع وادعى كل فريق أنّ فيهم زهاداً وعباداً فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله، والحافظون قلوبهم عن الغفلة باسم التصوف، فتأمل تغنم والله أعلم.

١٠ـ ابن خلدون رحمه الله تعالى:

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى في كلامه عن علم التصوف: "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشي الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية[١].

١١ـ العلامة الشريف الجرجاني في (التعريفات) ص٥٢:

يقول: "التصوف مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل، وهو تصفية القلب عن مواقف البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدعاوي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله تعالى على الحقيقة، واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشريعة.

١١ـ الإمام أبو حامد الغزالي:

١- مقدمة ابن خلدون ص٣٢٨ وهو عبد الرحمن ابن الشيخ أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي توفي ٨٠٨هـ.

يقول الإمام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) بعد أن فرغ من علوم الشريعة بكتاب "الأربعين" وعلوم الفلسفة القديمة بكتاب "مقاصد الفلاسفة" وكذلك "التهافت" يقول واصفاً التصوف والصوفية: ثم إني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقهم إنما يتم بعلم وعمل، وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان حينئذ العلم أيسر عليّ من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كُنْهِ مقاصدهم العلمية، وحصلت على ما يمكن أن يحصل المرء من طريقتهم بالتعليم والسماع فظهر لي أن أخص خصائصهم لا يمكن الوصول إليه بمجرد العلم بل بالذوق والحال، وتبدل الصفات، فعلمت يقيناً أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال.

والقدر الذي أذكره لينتفع به هو أني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى.

وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إلى ذلك سبيلا وإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به، فأيقنت أنهم الفرقة الناجية وماذا يقول القائلون في طريقة أول شروطها: تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى، وعمادها ومفتاحها الجاري منها مجرى الإحرام في الصلاة: استغراق القلب بالكلية بذكر الله، وآخرها: الفناء بالكلية في الله[1].

١٢ـ الإمام القشيري رحمه الله تعالى:

وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في مقدمة رسالته المشهورة متحدثاً عن الصوفية: "جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره

١- المنقذ من الضلال للإمام الغزالي تحقيق الدكتور عبد الرحيم محمود ص (١٤٥).

واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق، صفاهم من كدورات البشرية ورقاهم إلى محل المشاهدات بما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية وأشهدهم مجاري أحكام الربوبية، فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، وتحققوا بما منّه سبحانه لهم من التقليب والتصريف، ثم رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار، ولم يتكلموا على ما حصل منهم من الأعمال أو صفا لهم من الأحوال، علماً منهم بأنه جلّ وعلا يفعل ما يريد، ويختار من يشاء من العبيد، لا يحكم عليه خلق، ولا يتوجه عليه لمخلوق حق، ثوابه ابتداء فضل، وعذابه حكم بعدل، وأمره قضاء فصل"[1].

١٣ـ العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى:

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى: "قعد القوم من الصوفية على قواعد الشريعة التي لا تنهدم دنيا وأخرى، وقعد غيرهم على الرسوم، ومما يدلك على ذلك ما يقع على يد القوم من الكرامات وخوارق العادات، فإنه فرع عن قربات الحق لهم، ورضاه عنهم، ولو كان العلم من غير عمل يرضي الحق تعالى كل الرضى لأجرى الكرامات على أيدي أصحابهم، ولو لم يعملوا بعلمهم، هيهات هيهات"[2].

١٤ـ الإمام ابن عابدين:

وتحدث خاتمة المحققين العلامة الكبير والفقيه الشهير الشيخ محمد أمين المشهور بابن عابدين رحمه الله تعالى في كتابه المسمى مجموعة رسائل ابن عابدين الرسالة السابعة (شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل) عن البدع الدخيلة على الدين مما يجري في المآتم والختمات من قبل أشخاص تزيوا بزي العلم وانتحلوا اسم الصوفية ثم استدرك الكلام عن الصوفية الصادقين حتى لا يظن أنه يتكلم عنهم عامة فقال:.

١- الرسالة القشيرية للإمام القشيري ص ٢.

٢- نور التحقيق للشيخ حامد صقر ص ٩٦.

"ولا كلام لنا مع الصُّدَّق من ساداتنا الصوفية المبرَّئين عن كل خصلة ردية، فقد سئل إمام الطائفتين سيدنا الجنيد: إن أقواماً يتواجدون ويتمايلون؟ فقال: دعوهم مع الله تعالى يفرحون، فإنهم قوم قطعت الطريق أكبادهم ومزق النصب فؤادهم وضاقوا ذرعاً، فلا حرج عليهم إذا تنفسوا مداواة لحالهم، ولو ذقت مذاقهم عذرتهم في صياحهم.. وبمثل ما ذكره الإمام الجنيد أجاب العلامة النحرير ابن كمال باشا لما استفتي عن ذلك حيث قال:

ما في التواجد إن حققت من حرج ولا التمايل إن أخلصت من باس

فقمت تسعى على رِجْلٍ وحُقَّ لمن دعاه مولاه أن يسعى على الراس

للرخصة فيما ذكر من الأوضاع عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال، السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال، فهم لا يستمعون إلا من الإله، ولا يشتاقون إلا له إن ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا وإن وجدوه صاحوا، وإن شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرات قربه ساحوا، إذ غلب عليهم الوجد بغلباته وشربوا من موارد إرادته، فمنهم من طرقته طوارق الهيبة فخرَّ وذاب، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب، ومنهم من طلع عليهم الحب من مطلع القرب فسكر وغاب، هذا ما عنّ لي في الجواب والله أعلم بالصواب.

وأيضاً فإن سماعهم ينتج المعارف الإلهية والحقائق الربانية، ولا يكون إلا بوصف الذات العلية والموعظة الحكيمة والمدائح النبوية.

ولا كلام لنا أيضاً مع من اقتدى بهم، وذاق من مشربهم، ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلاّم، وسيأتي الكلام عن أدلة جواز الحركة في الذكر في بابها الخاص بها إن شاء الله تعالى.. إلخ"[1].

١٥ـ محمد الحامد رحمه الله تعالى:

يقول فضيلة الشيخ الحموي محمد الحامد رحمه الله فيما نقله لنا صاحب كتاب: (المحامد من حياة الشيخ محمد الحامد): "اعلم أن التصوف هو تنقية الظاهر والباطن من المخالفات الشرعية، وتعمير القلب بذكر الله تعالى وخشيته ورجائه والسير في

١- الرسالة السابعة، شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل ص (١٧٢- ١٧٣)، للفقيه الكبير ابن عابدين المتوفى ١٢٥٢هـ.

العبادات والأعمال على النهج الشرعي طبق السنة الشريفة وخلافاً للبدعة السيئة التي يحظر الإسلام التلبس بها.

١٦ـ الدكتور أبو الوفا التفتازاني:

يقول فضيلة الدكتور أبو الوفا التفتازاني في كتابه (مدخل إلى التصوف الإسلامي):

"ليس التصوف هروباً من واقع الحياة كما يقول خصومه، وإنما هو محاولة الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة، تعينه على مواجهة الحياة المادية، وتحقق له التوازن النفسي حتى يواجه مصاعبها ومشكلاتها.

وفي التصوف الإسلامي من المبادئ الإيجابية ما يحقق تطور المجتمع إلى الأمام فمن ذلك أنه يؤكد على محاسبة الإنسان لنفسه باستمرار ليصحّح أخطاءها ويكملها بالفضائل، ويجعل فطرته إلى الحياة معتدلة، فلا يتهالك على شهواتها وينغمس في أسبابها إلى الحد الذي ينسى فيه نفسه وربه، فيشقى شقاءً لا حد له. والتصوف يجعل من هذه الحياة وسيلة لا غاية، وبذلك يتحرر تماماً من شهواته وأهوائه بإرادة حرة".

١٧ـ الشيخ محمد أبو زهرة:

نحن في عصرنا هذا أشد الناس حاجة إلى متصوف بنظام التصوف الحقيقي وذلك لأن شبابنا قد استهوته الأهواء وسيطرت على قلبه الشهوات.. وإذا سيطرت الأهواء والشهوات على جيل من الأجيال أصبحت خطب الخطباء لا تجدي، وكتابة الكتّاب لاتجدي، ومواعظ الوعاظ لاتجدي، وحكم العلماء لاتجدي، وأصبحت كل وسائل الهداية لاتجدي شيئاً.

إذاً لا بد لنا من طريق آخر للإصلاح، هذا الطريق أن نتجه إلى الاستيلاء على نفوس الشباب، وهذا الاستيلاء يكون بطريق الشيخ ومريديه، بحيث يكون في كل قرية وفي كل حيٍّ من أحياء المدن وفي كل بيئة علمية أو اجتماعية رجال يقفون موقف الشيخ الصوفي من مريديه.

إن العلاقة بين المريد والشيخ، وبين مراتب هذا المريد هي التي يمكن أن تهذب وأن توجه.

يقول الشاطبي في كتابه (الموافقات): "إنَّ بين المعلم والمتعلم روحانية تجعله ينطبع بفكره، وينطبع بكل ما يلقنه من معلومات نحن بحاجة إلى هؤلاء الذي يستهون الشباب ليصرفوهم عن هذا الهوى الماجن ويوجهوهم"[1].

١٨ـ الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى:

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي فيما يرويه لنا كتاب (أصول الوصول) للشيخ زكي إبراهيم ص١٧٧:

".. الصوفي يتقرب إلى الله بفروض الله، ثم يزيدها بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، من جنس ما فرض الله، وأن يكون عنده صفاء في استقبال أقضية العبادة فيكون صافياً لله، والصفاء هو كونك تصافي الله فيصافيك الله.

والتصوف رياضة روحية لأنها تلزم الإنسان بمنهج تعبدي لله فوق ما فرضه... وهذه خطوة نحو الود مع الله...

وهكذا يمن الله تعالى على هؤلاء المتصوفين ببعض العطاءات التي تثبت لهم أنهم على الطريق الصحيح، تلك العطاءات هي طرق ناموس ما في الكون، ويكون ذلك على حسب قدر صفاء المؤمن، فقد يعطي الله صفحة من صفحات الكون لأي إنسان، فينبئه به أو يبشره به ليجذبه إلى جهته.

وعندما يدخل الصوفي في مقاماتٍ متعددة وجئنا بمن لم يرتيض و لم يدخل في مقامات الود وحدثناه بها، فلا شك أنه يكذبها ولكن تكذيبها دليل حلاوتها.

والمتصوف الحقيقي يعطيه الله أشياء لا تصدقها عقول الآخرين، ولذلك فعليه أن يفرح بذلك ولا يغضب من تكذيب الآخرين له.

١٩ـ أبو الحسن الندوي:

يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ومعتمد ندوة العلماء بالهند) في بحث (الصوفية في الهند وتأثيرها في المجتمع) من كتابه (المسلمون في الهند): "إن هؤلاء الصوفية كانوا يبايعون الناس على التوحيد

١- مجلة لواء الإسلام، العدد الثاني، شعبان ١٣٧٩هـ، الموافق ١٩٦٠م، ندوة لواء الإسلام، التصوف في الإسلام.

والإخلاص واتباع السنة، والتوبة عن المعاصي، والظلم، والقسوة، ويرغبونهم في التحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن الرذائل، مثل الكبر والحسد والبغضاء، والظلم وحب الجاه، وتزكية النفس وإصلاحها، ويعلمونهم ذكر الله، والنصح لعباده، والقناعة والإيثار، وعلاوة على هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة الخاصة بين الشيخ ومريديه، إنهم كانوا يعظون الناس دائماً، ويحاولون أن يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه، والحنين إلى رضاه، ورغبة شديدة لإصلاح النفس وتغير الحال...".

ثم تحدث عن مدى تأثير أخلاقهم وإخلاصهم وتعليمهم وتربيتهم ومجالسهم في المجتمع والحياة، وضرب بعض الأمثلة التي تلقي الضوء على هذا الواقع التاريخي ثم تحدث عن الشيخ أحمد الشهيد، رحمه الله تعالى، فقال: "إن الناس أقبلوا عليه إقبالاً منقطع النظير، وإنه لم يمر ببلدة إلا وتاب على يديه وبايعه عدد كبير من الناس، وإنه أقام في كلكتا شهرين ويقدر أن الذين كانوا يدخلون في البيعة لا يقل عددهم عن ألف نسمة يومياً، وتستمر البيعة إلى نصف الليل، وكان من شدة الزحام لا يتمكن من مبايعتهم واحداً واحداً، فكان يمدّ سبعة أو ثمانية من العمائم، والناس يمسكونها ويتوبون ويعاهدون الله، وكان هذا دأبه كل يوم سبع عشر أو ثماني عشرة مرة...".

وتحدث عن شيخ الإسلام علاء الدين رحمه الله تعالى، فقال: "إن السنوات الأخيرة من عهده تمتاز بأن كسدت فيها سوق المنكرات من الخمر والحرام والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع أنواعها، ولم تنطق الألسن بهذه الكلمات إلا قليلاً، وأصبحت الكبائر تشبه الكفر في أعين الناس، وظل الناس يستحيون من التعامل بالربا والادخار والاكتناز علناً، وندرت في السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش.." ثم قال: "إن تربية هؤلاء الصوفية والمشايخ ومجالسهم كانت تنشئ في الإنسان رغبة في إفادة الناس، وحرصاً على خدمتهم ومساعدتهم..".

وذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (ربانية لا رهبانية) ص١٧-١٨: "فلا شك أنه لولا هؤلاء (الصوفية) أصحاب النفوس المزكاة، الذين وصلوا إلى درجة الإحسان وفقه الباطن لانهار المجتمع الإسلامي، إيماناً روحانياً، وابتلعت موجة المادية الطاغية العاتية، الباقية من إيمان الأمة وتماسكها، وضعفت صلة القلوب بالله، والحياة بالروح، والمجتمع بالأخلاق، وفقد الإخلاص والاحتساب، وانتشرت الأمراض الباطنة واعتلت القلوب والنفوس، وفقد الطبيب، وتكالب الناس على حطام الدنيا، وتنافس

أهل العلم في الجاه والمال والمناصب، وغلب عليهم الطمع والطموح، وتعطلت شعبة من أهم شعب النبوة وبنيانها، وهي (تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن)".

ثم بيّن الأستاذ الندوي أن تأثير هذه المواعظ، ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أدّى إلى تعطيل تجارة الخمر، وكساد سوقها في كلكتا، وهي كبرى مدن الهند ومركز الإنجليز، وكسدت سوقها وأفقرت الخانات واعتذر الخمارون عن دفع الضرائب للحكومة، متعللين بكساد السوق، وتعطيل تجارة الخمر...

ثم قال: "إن هذه الحالة كانت نتيجة أخلاق هؤلاء المصلحين والدعاة الصوفية والمشايخ وروحانيتهم، أن اهتدى بهم في هذه البلاد الواسعة عدد هائل من الناس وتابوا عن المعاصي والمنكرات واتباع الهوى.

وفي ختام البحث قال الأستاذ الندوي حفظه الله تعالى: "لقد كانت هناك بجهود هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئات من بلاد الهند، استراحت في ظلها القوافل التائهة والمسافرون المتعبون، ورجعوا بنشاط جديد وحياة جديدة"[1].

وتحدث الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) عن الصوفية وأثرها في نشر الإسلام بصدر حديثه عن الصوفي الشهير والمرشد الكبير سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه، فقال: "وكان يحضر مجلسه نحواً من سبعين ألفاً، وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى، وتاب على يديه من العيارين أو المسالحة[2] أكثر من مائة ألف، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، فدخل فيه خلق لا يحصيهم إلا الله، وصلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم، وظل الشيخ يربيهم ويحاسبهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم، وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان، ثم يجيز الشيخ كثيراً منهم ممن يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية، فينتشرون في الآفاق يدعون الخلق إلى الله، ويربون النفوس، ويحاربون الشرك والبدع والجاهلية والنفاق، فتنتشر الدعوة الدينية وتقوم ثكنات الإيمان ومدارس الإحسان ومرابط الجهاد ومجامع الأخوة

١- المسلمون في الهند ص (١٤٠- ١٤٦)، للعلامة الكبير أبي الحسن الندوي.

٢- المسالح: الجماعة أو القوم ذوو السلاح.

في أنحاء العالم الإسلامي[١].

وتحدث الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه روائع إقبال فقال: "إنني أقول دائماً: لولا وجودهم وجهادهم لابتلعت الهندُ وحضارتُها وفلسفتُها الإسلامَ"[٢].

٢٠ـ الأستاذ عبد الباري الندوي:

ويقول الأستاذ عبد الباري الندوي في كتابه (بين التصوف والحياة)، في عدة صفحات متفرقة من كتابه : "يجب أن يعرف المسلمون أنه لا حظ لهم من الدنيا إذا لم يتمكن في أعماق نفوسهم الإيمان الخالص. ومن الظلم والجور العظيمين أن تنفق في تحصيل العلم الظاهر سنوات عديدة ولا تبذل لإصلاح الباطن عدة شهور، إن التصوف أو العلم الباطني بالغ فيه الناس مبالغة عظيمة، وصوروه تصويراً شائهاً، وشرحوه شرحاً طبعه بطابع الضلالة إلا أنه قانون لأعمال القلب والباطن.. ونجد تفاصيل أحكام التصوف منصوصة في الكتاب والسنة مثل ما نجد أحكام الفقه تماماً وتتبين أهمية أحكام التصوف وأفضليته من نصوص القرآن والحديث التي تصرّح بها أو تلمح إليها...".

فإن أبى شخص أن يعترف بالتصوف كعلم بعينه وفن بذاته فَلِمَ لا ينفر ويشمئز من المصطلحات الدينية الأخرى، من تفسير ومفسر، وتجويد ومجود، وكلام ومتكلم، وغيرها، أما أولئك الذين رأوا التصوف والطريقة والحقيقة والمعرفة ضداً للبشرية فهؤلاء الذين وقعوا في ضلالة أشد خطأً وأطم.

٢١ـ أحمد الشرباصي:

قال الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي الكاتب الإسلامي المعروف والمدرس في الأزهر الشريف، في مجلة الإصلاح الاجتماعي تحت عنوان: (الأخلاق عند الصوفية) بعد أن تحدث عن التصوف وتعريفه واشتقاقه: "وأنا أعتقد أن حقيقة التصوف الكاملة هي مرتبة الإحسان الذي حدده رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، في حديث جبريل حين قال: (**الإحسان أن تعبد ا لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)[٣].

١- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ص (٢٤٨- ٢٥٠).

٢- روائع إقبال للأستاذ أبي الحسن الندوي اص (٧)ا.

٣- مر تخريجه في باب "التصوف ومنشؤه".

وقال الأستاذ أيضاً في مقدمته لكتاب نور التحقيق: أرأيت إلى كنز وسيع عجيب فيه المال الغزير الذي لا يحصى وفيه أدوية الجسم الشافية التي لا تخون وفيه نور القلب الذي لا يخبو.. ماذا يكون شأنك لو أن إنساناً أخبرك بوجود هذا الكنز بمكان ما ورسم لك الطريق إليه وذكر لك ما تحتاجه الرحلة من مجهود وتكاليف.. ألا تحاول أن تبذل جهدك وتستنفد طاقتك وتعمل وسعك حتى تصل إلى هذا الكنز الذي ستجد فيه جاه الدنيا وعز الآخرة؟. كذلك شأن التصوف يا صاح، إنه الدواء المخفي والكنز المطوي والسر العلمي، إنه الدواء الذي يحتاج إليه جسمك وفهمك وخلقك، ولكنك لن تصل إليه ولن تنتفع به حتى تتجه بمشاعرك نحوه وحتى تقبل ببصرك وبصيرتك عليه وحتى تبذل من ذات يدك وذات نفسك ومن وقتك وبحثك ما يهيء لك البلوغ إليه والوقوف عليه، فهل فعلت من ذلك شيئاً وقد عرفت الطريق إلى النعيم؟!..

يهمني أن تكون على بصيرة من أمرك، وأن لا تجهل شيئاً جليلاً يطالبك دينك وعقلك بأن تعرفه، ومن هنا يتحتم عليك أن تدرس التصوف لتتصوره وتفهمه وتفقهه، وبعد ذلك تحكم له أو عليه، وأزيدك بياناً فأقول لك: إنه قد يكون في التصوف وتاريخه وسير رجاله ما أضيف إليه أو افتراه المفترون عليه، ومن هنا يستتر حق وراء باطل، ومن هنا أيضاً يطالبك دينك بأن تقوم لتهتك حجاب الباطل وتستضيء بنور الحق، فهلا يكفي ذلك لتحريضك على دراسة التصوف؟؟!!

يا أبناء الإسلام !: إن التصوف يحتل من أخلاقكم وتاريخكم جانباً كبيراً وقد ضيعتموه أزماناً طوالاً، فحسبكم ما كان، وأقبلوا على التصوف، ففيه غذاء ودواء، والله الهادي إلى سبيل السواء[1].

٢٢ـ الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى:

ويقول الشيخ أشرف علي التهانوي (ت – سنة ١٣٦٢) هـ في أكثر من كتاب له: "التصوف ليس إلا تعبيراً للشريعة الإسلامية وتفسيراً لها، لأجل ذلك يجب أن يدرس الناس كتب التصوف مثل كتاب (قوت القلوب) للمكي، و(العوارف) للسهروردي، وكتب الغزالي، تماماً كما يدرسون كتب الفقه، فالتصوف لا يمكن أن يصلح الأمر بغيره،لأن أول شيء في طريق التصوف هو تعليم التواضع، وعنوانه في التصوف: "الفناء".

١- تصدير كتاب نور التحقيق للشيخ حامد إبراهيم محمد صقر ص (١- ٣) بتصرف.

التصوف هو عنوان للأحكام التي تعالج الباطن والقلب، كما تعالج أحكام الفقه الحياة الدينية الظاهرة، وإن أحكام التصوف منصوصة في القرآن والحديث مثل أحكام الفقه".

٢٣ـ الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله:

وقال فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه (هذا والدي) ص٩٨+٩٩: "كان أبي رحمه الله يجزم بأن التصوف النقي هو جوهر الإسلام ولبابه وكان يؤكد أن المسلم إذا لم يكن قد تشرب حقيقة التصوف فقد حبس نفسه في معاني الإسلام ولم يرق صعداً إلى حقيقة الإيمان.

وقال: "التصوف الحقيقي لا يمكن إلا أن يكون مأخوذاً من كتاب الله وسنة رسوله، ذلك لأن السعي إلى الوصول إلى ثمرات الإيمان بالله في القلب واجب، رسمه القرآن وأكدته السنة، ولم يكن رحمه الله يقيم وزناً لتصوف لم ينهض على أساس من العلم السليم بكتاب الله وسنة رسوله، وكان يرى أن صدق الانفعال بثمرات الإيمان التي هي حقيقة التصوف ولبه لا يأتي إلا من سعة العلم بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليهم وسلم وبالشرائع والأحكام التي خاطب الله بها عباده"[1].

وقال حفظه الله أيضاً في كتاب (السلفية) ص١١٧+١١٨: "التصوف بمعناه الحقيقي السليم هو لب الإسلام، وجوهره الكامن في أعماق فؤاد الإنسان المسلم وبدونه يغدو الإسلام مجرد رسوم ومظاهر وشعارات، يجامل بها الناس بعضهم بعضاً وهذا اللباب يتمثل في الرغبة والرهبة إذ تهيمن على قلب المسلم حباً له ومخافة منه فيتطهر فؤاده من أدران الضغائن والأحقاد وحب الدنيا.. ولا توقفنك إزاء هذه الحقيقة مشكلة الاسم، فلقد كان التحلي بهذا اللباب في صدر الإسلام مسمى لا اسم له إلا الإسلام، ثم سمي فيما بعد بـ (التصوف)".(بتصرف)

٢٤ـ الشيخ كريم راجح شيخ قراء الشام حفظه الله تعالى:

وقال الشيخ كريم راجح: "علم التصوف من أشرف العلوم وأجلّ الفهوم وخير ما كتب فيه الكاتبون وألف المؤلفون، لأنه يتعلق بالإيمان فيقويه ويثبته، وبالسلوك فيحسنه ويقومه، وبالعلاقات مع الناس فيبنيها على الإخلاص والمحبة، وهو علم يصفي المرء من كل الشوائب ويرفعه إلى أعلى المراتب في تواضع منقطع النظير وخدمة

١- هذا والدي ص ١٠٦.

للآخرين لا تعرف الأنانية وتتبرأ من الذاتية، فالصوفي الصادق أخ في ا لله وعلى ا لله يعطيك ولا يمن، لأن الذي أعطى على الحقيقة هو ا لله، فهو ينفع الخلق ليتقرب من الخالق، ويعيش خادماً للناس من أجل رب الناس، والصوفي هو الذي يتمسك بالكتاب فيحكمه في كل سلوكه ومعاملته، وبالسنة فلا يحيد عنها طرفة عين، ويسلك مسالك العلماء، فلا يبني عبادته على جهل"[1].

٢٥ـ الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور حفظه ا لله:

ويقول الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور في كتابه (من ذخائر الفكر الإسلامي) ص١٣٢-١٣٥:

"..تعالوا بنا بعد ذلك إلى هؤلاء القوم (الصوفية) وحياتهم وسلوكهم النقي فها هي كتب التراجم والتواريخ تشهد كلها متضافرة على استقامة ظواهرهم على الشريعة المطهرة وبواطنهم على الطهارة والتزكية والصفاء والنور، فتحقق لديهم الفيض وواعدهم الفتح ونطقت عبائرهم رضي ا لله عنهم بما رزقهم ا لله تعالى من الأنوار والعلوم الوهبية، ومن استقرأ حياة هؤلاء المشاعل وجدها منورة بالقرآن، متوجة بالرضوان، مكلّلة بإكليل الاتباع، بعيدة كل البعد عن الابتداع، فرضي ا لله عنهم ما أعرفهم بربهم: ﴿**رضي ا لله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**[2]﴾.

... فلماذا إذن نحارب التربية الروحية بما فيها من سمو خلقي رفيع، ومعان إنسانية ندر وجودها في أي دين آخر أو فلسفة وضعية بحجة أن هذه التربية الروحية تشتمل بدعاً وشوائب".

٢٦ـ الشيخ عدنان حقي حفظه ا لله:

يقول الشيخ عدنان حقي حفظه ا لله تعالى: "التصوف مذهب إسلامي أخلاقي اجتماعي نفسي، له أسلوبه وطريقته وبراهينه وأدلته ورجاله، وأصله سيرة الرسول ﷺ وصحابته والتابعين لهم بإحسان، وهو طريق الحق والهداية والعكوف على العبادة والانقطاع إلى ا لله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه

---

١ الصوفية والتصوف ص (٥).

٢- سورة البينة، الآية (٨).

الناس من لذة ومال وجاه، وهو لب الإسلام وروحه، ويقول االقرآن الكريم عنهم: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة[1]﴾**، ويقول: **﴿ومن يسلم وجهه إلى ا لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى[2]﴾**.

والمتصوفون يحققون في أنفسهم صفات الإخلاص والمراقبة لله عز وجل، وليس لقلقة، وإنما هو أذواق ووجدان، وهو مستمد من كتاب ا لله وسنة رسوله ﷺ وسير التابعين وتابعيهم"[3].

٢٧ـ الشيخ عبد الله التليدي:

يقول الشيخ عبد ا لله التليدي في كتابه (أسباب هلاك الأمم): "أفلا يعلمون أن التصوف هو روح الإسلام ولبه، وهل الصوفية إلا أناس تخلّوا عن الرذائل، وتحلّوا بالفضائل، وبلغوا بفضل استقامتهم ومجاهداتهم الذروة العليا في الكمالات البشرية حتى يصبح أحدهم فانياً في ا لله غائباً فيه عن كونه وحسه، وهل الصوفي إلا رجل تحقق بمقام الإحسان، فعبد ا لله كأنه يراه، وأخلص وصدق في توجهه وسيره إلى ا لله.

٢٨ـ الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله تعالى:

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون" ج٢ ص٣٢٤-٣٢٥ ما نصه: "معنى التصوف -وكما قيل- مناجاة القلب ومحادثة الروح وفي هذه المناجاة طهر لمن شاء أن يتطهر، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة وصعود إلى عالم الفيض والإلهام، وما هذا الحديث والنجوى إلا ضرب من التأمل والنظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض، بيد أن الجسم والنفس متلازمان وتوأمان لا ينفصلان، ولا سبيل إلى تهذيب أحدهما بدون الآخر، فمن شاء لنفسه صفاء ورفعة فلا بد له أن يتبرأ من الشهوات وملذات البدن.. فالتصوف إذن فكر وعمل ودراسة وسلوك، والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام، فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا

١- سورة يونس الآية (٢٦).

٢- سورة لقمان الآية (٢٢).

٣- الصوفية والتصوف ص (١٦٢).

ومتاعبها، آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف، مبالغين في العبادة، فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار، ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيباً لروحه، غير أنهم لم يعرفوا في زمنهم باسم الصوفية، وكان هذا الاشتهار في القرن الثاني للهجرة".

٢٩ـ العلامة أبو النصر مبشر الطرازي:

يقول العلامة أبو النصر مبشر الطرازي، "كبير علماء تركستان" في كتابه: الإسلام الدين الفطري ج٢ ص٣٥-٣٦ ما نصه:

".. هذا وقد امتثل بالسنن ونوافل العبادات وإيثار ذكر الله طائفة من خواص المسلمين منذ العهد الأول من عهود الإسلام إلى عهدنا هذا، عرفهم التاريخ في الغابر والحاضر (الصوفية)، فنالوا ما نالوا من المقامات عند ربهم في الدنيا والآخرة".

ثم يقول: "ولسنا في صدد بيان مبادئهم التي تستند على كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ أو خصالهم التي تتلخص في الزهد والتقوى والرياضة في سبيل تزكية النفس وتهذيبها، والوصول بها إلى مقام الفناء في الله، والحب في الله، والبغض في الله، وإرادة كل خيرلخلق الله حتى يحصلوا على رضاء الله جل جلاله، وعم نواله وعز ذكره، ولا إله غيره: ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾[1]، اللهم اجعلنا منهم واحشرنا معهم آمين".

٣٠ـ الأستاذ أنور الجندي:

يقول الأستاذ أنور الجندي في كتابه (عالمية الإسلام):

"ولا ريب أن مفهوم التصوف العملي إنما هو الذي جاء به الإسلام من خلال الانقطاع للعلم باعتباره عبادة وجهاداً، حيث لا غرض مادي ولا سعي لشهرة زائفة بل وقف العقل والنفس للحقائق، ووجهة التعليم والعلم والتربية في ذلك هو مرضاة الله تعالى، على أن يتم ذلك كله في إطار تقوى الله والخوف منه وفي محيط الأخلاق".

١- سورة المجادلة الآية (٢٢).

٣١ـ المفكر رجاء غارودي:

يقول المفكر رجاء غارودي في كتابه (ما يعد به الإسلام) ص٧٧: "إن التصوف يعد من أبعاد العقيدة الإسلامية بل هو بعدها (الجواني) وكل محاولة تجعل من التصوف (تياراً) مستقلاً أو وظيفة منفصلة تحط حتماً من قيمته، فليس في الإسلام وهو دين الوحدة والتكامل، الفصل بين التأمل والعمل، وبين الذات والوجود، وما التصوف إلا لون من ألوان الروحانية في الإسلام، وهوالتوازن الأساسي بين الجهاد الأكبر والصراع الداخلي ضد الرغبات التي تبعد الإنسان عن ذاته، وبين (الجهاد الأصغر)، ذلك النضال في سبيل الوحدة والانسجام في المجتمع الإسلامي ضد كل أشكال عبادة السلطة والمال والضلالات التي تبعد المؤمن عن طريق ا لله".

٣٢ـ الأستاذ محمد الصادق عرجون:

يقول الأستاذ محمد الصادق عرجون في كتابه (التصوف في الإسلام) ص ٧٢-٧٤: "التصوف في الإسلام يقوم على إخلاص التعبد لله تعالى في كل أمر من أمور الدين والدنيا، وهذه الدنيا عندهم دين، لأنهم يأتون ما يأتون منها وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، لا يسارعون إلا إلى الخيرات وهم لها سابقون.

ويقوم على الشفقة على خلق ا لله والرحمة لهم، فهو عمل تطبيقي في واقع الحياة لسيرة رسول ﷺ وسيرة خاصة أصحابه، وقد أخذه عنهم بحقيقته العابدون من تلاميذهم أهل المعرفة والعلم با لله، ثم تلقاه مثلاً حيَّة من العمل في سيرة هؤلاء.".

ثم يقول في خاتمة كتابه: "اللهم إني أسألك مغفرة تطاولي إلى الحديث عن مقامات أولئك فإني أحبهم وقصدت تحبيبهم إلى من يريد سلك طريقهم في الوصول إلى رضاك.

٣٣ـ الإمام أحمد السرهندي رحمه الله تعالى:

يقول الإمام أحمد السرهندي رحمه ا لله في كتابه (الأنوار القدسية): "اعلم يا أخي أن ا لله كلفنا امتثال الأوامر واجتناب النواهي.. وإذا كنّا مأمورين بالإخلاص في ذلك وهو لا يتصور بدون الفناء وبدون المحبة الذاتية، وجب علينا أيضاً سلوك طريق الصوفية الموصلة للفناء والمحبة، حتى نتحقق حقيقة الإخلاص، ولما كانت طرق الصوفية

متفاوتة الكمال والتكميل، كان كل طريق تُلْتَزَمُ فيه متابعة السنة السنية، وأداء الأحكام أولى وأنسب بالاختيار.. وإن هؤلاء الأكابر التزموا في هذه الطريقة متابعة السنة واجتناب البدعة، ويجعلون الأحوال والمواجيد تابعة للأحكام الشرعية.. والكتاب والسنة عندهم أولاً قبل كل شيء.

والتصوف الذي أردت هو الإسلام الكامل في مقاصده وأهدافه والصوفية السابقون وكثير من اللاحقين استقام سلوكهم على هذا المبدأ في منهجه ولا شأن لي فيما شارك اسماً وامتلأ بالدخائل والبدع، فذلك ما لم أقصد إليه، فإن التصوف حال أكثر منه قالاً، وإن من سلك سبيل القوم بصدق ذاق ما ذاقوه إن شاء الله تعالى له ذلك".

٣٤ـ الشيخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى:

قال الأستاذ والمؤرخ محمد راغب الطباخ رحمه الله تعالى في كتابه: (الثقافة الإسلامية): "فإذا كان التصوف عبارة عن تزكية النفوس وتصفية الأخلاق فنعم المذهب ونعم المقصد، وذلك هو الغاية من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ففي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: **﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[1]﴾**وقد تأملنا سيرة الصوفية في القرون الأولى من الإسلام، فوجدناها سيرة حسنة جميلة مبنية على مكارم الأخلاق والزهد والورع والعبادة، منطبقة على الكتاب والسنة، وقد صرّح بذلك سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى كما في ترجمته في تاريخ ابن خلّكان حيث قال: "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة"، وفي شرح الإحياء للعلامة الزبيدي (ج١ / ص١٧٤)، وقال الجنيد: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ"، وهي في ترجمته في "الرسالة القشيرية) ص (١٩) وفيها: قال الجنيد: "من لم يحفظ القرآن و لم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة"، ثم قال بعد السند عن الجنيد: "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة".

١- رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد (٢/٣٨١)، والحاكم (٢/٦١٣)، وصححه ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢٥٨٤) ورمز لصحته.

وقال الجنيد: "**علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ**".

وقال سري السقطي: "التصوف اسم لثلاثة معان: هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى"، وفي شذرات الذهب (ج٥/ص٢٧٩) في ترجمة أبي الحسن الشاذلي، ومن كلامه (كل علم تسبق إليك فيه الخواطر وتميل النفس وتلتذ به فارم به وخذ بالكتاب والسنة).

وهؤلاء فوق ما اتصفوا به من تهذيب النفس والورع والزهد والعبادة، قد قاموا في عصورهم بالواجب عليهم، من إرشاد الخلق إلى الحق والدعوة إليه، وصدهم الناس عن التهافت على الدنيا وجمع حطامها من أي وجه كان، والاسترسال في الشهوات والملذات مما يؤدي إلى الانهماك في المحرمات والغفلة عن الواجبات وما خلق الإنسان له، وتكون نتيجة ذلك انتشار الفوضى وظهور الفساد، وكثرة البغي والهرج، فكان هؤلاء بوعظهم وإرشادهم والحكم والحقائق التي تفجرت من ينابيع قلوبهم هم حراسُ الأخلاق، والآخذون بيد الأمة إلى مناهج الحق وسبل الرشاد، والدعاةُ إلى السعادة الحقيقية، وهي قيام الإنسان بجميع ما أمر به مع عدم نسيانه نصيبه من الدنيا، فكانوا في جملة السامعين في هذه الأمة والمجيبين لقوله تعالى: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**[1].

فسلف الصوفية هم أعلام الملة، وسادة الأمة، وسراجها الوهاج، ونورها الوضاح، وبهم وبأمثالهم من المحدثين والفقهاء اهتدت الأمة إلى الصراط المستقيم، وسلكت المنهاج القويم وانتظمت أحوال معاشهم، وصلحت أمور معادهم، وفازوا فوزاً عظيماً.

وإذا تتبعنا آثار الصوفية وتراجمهم نجد أن الكثير منهم قد كان للواحد منهم أتباع يعدون بالألوف كلما انتسب إليه شخص آخى بينه وبين سابقيه، فتمكنت بين أتباعه والمنتسبين إليه أواصر الألفة وروابط المحبة وتواسوا فيما بينهم وتواصوا بالحق وعطف غنيهم على فقيرهم، ورحم كبيرُهم صغيرهم، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً

١- سورة آل عمران الآية (١٠٤).

وصاروا كالجسد الواحد[1].

٣٥ـ الأستاذ عباس محمود العقاد:

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (الفلسفة القرآنية): التصوف في الحقيقة غير دخيل في العقيدة الإسلامية كما قلنا في كتابنا عن أثر العرب في الحضارة الأوربية، ومثبوت في آيات القرآن الكريم، مستكن بأصوله، في عقائد صريحة.

٣٦ـ الدكتور عبد الحليم محمود:

ويقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر سابقاً) في كتابه (قضية التصوف) ص ٢٥٩: "التصوف لا يعدو أن يكون جهاداً عنيفاً ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى السمو أو إلى الكمال الروحي، ليكون عارفاً با لله، وإن الذين يربطون بين التصوف من جانب أو الكرامات وخوارق العادات من جانب آخر كثيرون، ولكن التصوف ليس كرامات ولا خوارق للعادات".

٣٧ـ أبو الأعلى المودودي:

قال العلامة الكبير الأستاذ أبو الأعلى المودودي في كتابه مبادئ الإسلام تحت عنوان التصوف: "إن علاقة الفقه إنما هي بظاهر الإنسان فقط، ولا ينظر إلا هل قمت بما أمرت به على الوجه المطلوب أم لا؟. فإن قمت فلا تهمه حال قلبك وكيفيته، أما الشيء الذي يتعلق بالقلب ويبحث عن كيفيته فهو التصوف.

إن الفقه لا ينظر في صلاتك مثلاً إلا هل أتممت وضوءك على الوجه الصحيح أم لا؟، وهل صليت مولياً وجهك شطر المسجد الحرام أم لا؟ وهل أديت أركان الصلاة كلها أم لا؟، وهل قرأت في صلاتك بكل ما يجب أن تقرأ فيها أم لا؟، فإن قمت بكل ذلك فقد صحت صلاتك بحكم الفقه، إلا أن الذي يهم التصوف هو ما يكون عليه قلبك حين أدائك هذه الصلاة من الحالة، هل أنبت فيها إلى ربك أم لا؟، وهل تجرد قلبك فيها عن هموم الدنيا وشؤونها أم لا؟، وهل أنشأت فيك هذه الصلاة خشية ا لله واليقين بكونه خبيراً بصيراً، وعاطفة ابتغاء وجهه الأعلى وحده أم لا؟، وإلى أي حدّ

١- الثقافة الإسلامية للمؤرخ الكبير الأستاذ محمد راغب الطباخ، ص (٣٠٢- ٣٠٤)، ولد عام ١٢٩٣هـ، وتوفي عام ١٣٧٠ هـ في حلب.

نزهت هذه الصلاة روحه؟ وإلى أي حد جعلته مؤمناً صادقاً عاملاً بمقتضيات إيمانه؟، فعلى قدر ما تحصل له هذه الأمور وهي من غايات الصلاة وأغراضها الحقيقية في صلاته تكون صلاته كاملة في نظر التصوف، وعلى قدر ما ينقصها الكمال من هذه الوجهة تكون ناقصة في نظر التصوف. فهكذا لا يهم الفقه في سائر الأحكام الشرعية إلا هل أدى المرء الأعمال على الوجه الذي أمره به لأدائها أم لا.

أما التصوف فيبحث عما كان في قلبه من الإخلاص وصفاء النية وصدق الطاعة عند قيامه بهذه الأعمال، ويمكنك أن تدرك هذا الفرق بين الفقه والتصوف بمثلٍ أضربه لك:

إنك إذا أتاك رجل نظرت فيه من وجهتين، **إحداهما:** هل هو صحيح البدن كامل الأعضاء؟ أم في بدنه شيء من العرج أو العمى؟ وهل هو جميل الوجه أو ذميمه؟ وهل هو لابس زياً فاخراً أو ثياباً بالية.

والوجهة الأخرى: إنك تريد أن تعرف أخلاقه، وعاداته، وخصاله، ومبلغه من العلم والعقل والصلاح. فالوجهة الأولى وجهة الفقه، والوجهة الثانية وجهة التصوف، وكذلك إذا أردت أن تتخذ أحداً صديقاً لك، فإنك تتأمل في شخصيته من كلا الوجهتين، وتحب أن يكون جميل المنظر وجميل الباطن معاً، كذلك لا تجعل في عين الإسلام إلا الحياة التي فيها اتباع كامل صحيح لأحكام الشريعة من الوجهتين الظاهرة والباطنة.

[ثم قال: "إنما التصوف عبارة -في حقيقة الأمر- عن حب الله ورسوله الصادق، بل الولوع بهما والتفاني في سبيلهما، والذي يقتضيه هذا الولوع والتفاني ألّا ينحرف المسلم قيد شعرة عن اتباع أحكام الله ورسوله ﷺ، فليس التصوف الإسلامي الخالص بشيء مستقل عن الشريعة، وإنما هو القيام بغاية من الإخلاص وصفاء النية وطهارة القلب"].

٣٨ـ عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى:

قال الإمام الكبير حجة المتكلمين عبد القاهر البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (الفرق بين الفِرَق): "الفصل الأول من فصول هذا الباب في بيان أصناف أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس: ذكر منها الصنف السادس قائلاً: والصنف

السادس منهم الزهاد الصوفية الذين أبصروا فأقصروا، واختبروا فاعتبروا، ورضوا بالمقدور، وقنعوا بالميسور، وعلموا أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر، ومحاسب على مثاقيل الذر، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث، لا يعملون الخير رياءً ولا يتركونه حياءً، دينهم التوحيد، ونفي التشبيه ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى، والتوكل عليه، والتسليم لأمره، والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه: ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾[1]"[2].

٣٩ـ الإمام النووي رحمه الله تعالى:

وها هو الإمام الحجة أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي يقرر في رسالته "المقاصد" أصولاً لطريق التصوف فيقول: "إن أصول طريق التصوف خمسة:

١ً- تقوى الله تعالى في السر والعلانية.

٢ً- إتباع السنة في الأقوال والأفعال.

٣ً- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار.

٤ً- الرضى عن الله في القليل والكثير.

٥ً- الرجوع إلى الله في السراء والضراء"[3].

٤٠ـ الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى:

ويقول الشيخ محمد الغزالي في بعض كتبه منها (الجانب العاطفي من الإسلام) ما نصه: "هناك تصوف نبت في أكناف الإيمان والإسلام والإحسان ونما على أغذية جيدة من العلم والعمل، واستطاع أن يكوّن المشاعر الإنسانية بصدق العبودية ودفعها إلى التفاني في مرضاة الله..

١- سورة الجمعة الآية (٤).

٢- الفَرْقُ بين الفِرَق للإمام عبد القاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ص (١٨٩).

٣- مقاصد الإمام النووي في التوحيد والعبادة وأصول التصوف ص٢٠، توفي رحمه الله سنة ٦٧٦هـ، في قرية من قرى الشام تسمى نوى.

وإذا كان سعد زغلول قد وصف أدب الرافعي بأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم فإني مع إكباري للرافعي وأدبه، أرى كلمة سعدٍ أصدق ما تكون في حكم الصوفي ابن عطاء الله السكندري رحمه الله.

٤١ـ جلال الدين السيوطي رحمه الله:

وقال العلامة المشهور جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه "تأييد الحقيقة العلية": "إن التصوف في نفسه علم شريف، وإن مداره على اتباع السنة وترك البدع، والتبري من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضى به وبقضائه، وطلب محبته واحتقار ما سواه.. وعلمت أيضاً أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فوجّه أهل العلم للتمييز بين الصنفين ليُعلم أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملت الأمور التي أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أر صوفياً محققاً يقول بشيء منها، وإنما يقول بها أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم"[١].

٤٢ـ الإمام القشيري رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه: جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، وجعل الله قلوبهم معادن أسراره واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره فهم الغياث للخلق والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق[٢].

٤٣ـ العلامة حسنين محمد مخلوف (مفتي الديار المصرية الأسبق).

قال فضيلته: [التصوف الإسلامي هو تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب وغرس الفضائل واقتلاع للرذائل... وتعرض نفحاته وهباته التي يخص بها أولياءه وأحبابه فضلاً منه وكرماً][٣].

١- تأييد الحقيقة العلية ص (٥٧)، للعلامة جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ..

٢- معيد النعم ومبيد النقم ص ٩٤.

٣- السالكون إلى الله ص١٥.

٤٤ـ الدكتور مصطفى البغا حفظه الله تعالى:

سمعته يقول أنا صوفي، وأخذت الطريقة الشاذلية.

وقال: أنا شيخي محمد الهاشمي والشيخ أبو الخير الميداني.

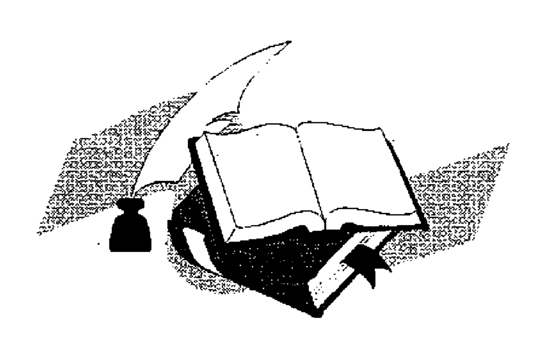
٤٥ـ الدكتور يوسف القرضاوي حفظه الله تعالى:

على المسلم أن يتعلم الأشياء التي لا بد منها في الشرع، منها:

ما يزكي به نفسه ويطهر به قلبه بأن يعرف الفضائل "المنجيات" ليتحراها ويتخلق بها، ويعرف الرزائل "المهلكات" لتيجنبها ويتوقاها، ويتعلم ما يضبط به سلوكه في علاقته مع نفسه أو مع أسرته أو مع الناس حكاماً ومحكومين، مسلمين وغير مسلمين، فيعرف في ذلك الحلال من الحرام والواجب من غير الواجب واللائق من غير اللائق.

ولا يضيرنا أن يدخل هذا القدر تحت اسم التوحيد أو الفقه أو التصوف أو الآداب الشرعية أو الزهد وغير ذلك.

فهذه التسميات مصطلحات محدثة ولم يتعبدنا الله بها وإنما يهمنا المضمون ولا عبرة بالأسماء والعناوين متى وضحت المسميات والمضامين، وهذا القدر من العلم يجب أن يكون إلزامياً يتعلمه كل مسلم ومسلمة[1].



١- الرسول والعلم للدكتور يوسف القرضاوي ص٨٨.



الاستعانة ـ الاستغاثة

التوسل: هو طريقة من طرق التضرع إلى الله عز وجل، وأحد أبواب دعاءه والتوجه إليه سبحانه وتعالى، فالوسيلة هي كل ما جعله الله سبباً للتقرب إليه وباباً لقضاء الحوائج منه، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾[1].

وأما الاستغاثة: فهي طلب الإغاثة ممن يملكها على وجه الحقيقة وهو الله عزّ وجل، أو ممن أعطاهم الله بحوله وقوته القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه.

وأما الاستعانة: فهي طلب العون ممن يملكه على وجه الحقيقة وهو الله تبارك وتعالى، أو ممن أعطاهم الله بمنّه وكرمه القدرة عليها، وهم أنبياؤه وأولياؤه.

فيظهر لنا أن التوسل والاستغاثة والاستعانة شيء واحد، لأن المتوسَّل أو المستغاث أو المستعان به على الحقيقة هو الله وأما المتوسل به من العبيد فواسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، هذا ولم يختلف أحد من المسلمين في مشروعية التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وغير ذلك والدليل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فتوسل أحدهم إلى الله ببر والديه، وتوسل الثاني بابتعاده عن الفاحشة بعد تمكنه من أسبابها، وتوسل الثالث بأمانته وحفظه لمال غيره وأدائه له كاملاً، ففرج الله عنهم ما هم فيه[2].

وأما التوسل بغير العمل الصالح كالذوات والأشخاص فما هو في الحقيقة إلا توسل بعمله الصالح، فمن توسل بشخص ما فذلك لأنه يحبه إذ يقدر صلاحه وولايته وفضله تحسيناً للظن به، أو لأنه يعتقد أن هذا الشخص محب لله سبحانه وتعالى،

١- سورة المائدة الآية (٣٥).

٢- أخرجه البخاري (٢٢١٥)ومسلم (٦٨٨٤)، وأحمد (٢/٣٠٧/٣٠٨)..

فيكون الله تعالى محباً له أيضاً قال جل جلاله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾[1]، ولو تدبرنا الأمر لوجدنا أن هذه المحبة وذلك الاعتقادهما من عمل المتوسل لأنه اعتقاده الذي انعقد عليه قلبه فهو منسوب إليه ومسؤول عنه ومثاب عليه، فمن قال: اللهم إني أتوسل إليك بمحبتي لنبيك أو قال بنبيك سواء لأنه ما أقدم على هذا إلا لمحبته وإيمانه بنبيه،ولولا المحبة له والإيمان به ما توسل به فهو إذاً توسل بعمله الصالح.

ثم إن المسلم عندما يتوسل أو يستغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بالرجل الصالح إنما يتوسل به لما يعلم من كرامته وجاهه عند الله عز وجل ولاعتقاده بأنه يمكن أن يكون قد أعطي القدرة علي الإمداد والإعانة، ونعني بالجاه المنزلة التي يختص الله بها من يشاء من عباده فالله سبحانه وتعالى متصف بصفة تسمى صفة الاختصاص قال عز وجل: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾[2].

والنبوة والرسالة والولاية الخاصة ليست مكتسبة بل هي محض فضل إلهي واجتباء واختصاص رباني يكون بسببها لذلك العبد منزلة عند الله تسمى الجاه، قال تعالى: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب[3]﴾، وقال سبحانه في إثبات الوجاهة والمكانة لبعض أنبيائه وملائكته عليهم السلام كسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وكان عند الله وجيهاً[4]﴾، أي ذا وجاهة.

وقال في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾[5]، وقال عن سيدنا جبريل عليه السلام: ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾[6]، أي صاحب مكانة.

فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك يعني أنه توسل إلى الله تعالى بفعل من أفعاله خلقه لذلك النبي وسماه جاهاً، وبصفة من صفاته سماها اختصاصاً، وهذا من التوسل إلى الله بصفاته وأفعاله وهو مجمع على جوازه عند أهل الحق[7].

١- سورة المائدة آية ٥٤.
٢- سورة آل عمران الآية ٧٤.
٣- سورة الشورى الآية ١٣.
٤- سورة الأحزاب الآية ١٣.
٥- سورة آل عمران الآية ٤٥.
٦- سورة التكوير الآية ٢٠.
٧- من كتاب الاسعاد.

ونحن إذ نظرنا إلى كل فرد من أفراد المتوسلين والمستغيثين بالأنبياء والصالحين لا نجد في نفس أحد منهم إلا التقرب إلى الله تعالى لقضاء حاجاتهم الدنيوية والأخروية، مع علمهم بأنهم كلهم عبيد لله تعالى، فقلوبهم موقنة أنه جل جلاله الفعال المطلق المستحق للتعظيم بالأصالة لا شريك له ولا رب ولا موجد سواه، ولا نافع ولا ضار إلا هو، وأما تعظيمهم لغيره من خواص عبيده فإنما يكون بقدر منزلة ذلك العبد عند الله تعالى بحسب ما علموه، فها هم يعظمون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الخلق لعلمهم أنه أحب عبيده تعالى إليه وأقربهم لديه، ثم يعظمون بعده الأنبياء والمرسلين أكثر من غيرهم لأن درجتهم تلي درجته صلى الله عليه وسلم، وهكذا سائر عباد الله من صحابته صلى الله عليه وسلم وآل بيته وبقية الأولياء والصالحين على اختلاف درجاتهم وما يمتازون به عن غيرهم من علم وتقوى وما خدموا به هذه الشريعة المحمدية ونفعوا به الأمة الإسلامية من العلوم والمعارف والفتوحات والذب عن المسلمين والإسلام بعضهم بحد القلم وبعضهم بحد الحسام وما فضلهم الله به من الكرامات وخوارق العادات، فهم يعتقدون الاعتقاد الجازم الذي لا يعتريه خلل ولا يشوبه خطأ ولا زلل أنهم كلهم عبيده، وأن كل ما هم عليه من مقامات ودرجات إنما هو من فضل الله عليهم فقد أثنى عليهم الله تعالى في كتابه وأثنى عليهم نبيه صلى الله عليه وسلم في أحاديثه مبيناً أوصافهم الجليلة وهي كلها ترجع إلى صدق عبوديتهم لله تعالى وحسن خدمتهم له عز وجل فعظموهم لذلك واتخذوهم وسائط لقضاء حوائجهم عنده لكونهم وإن شاركوهم في أصل العبودية له تعالى إلا أنهم امتازوا عنهم بما تفضل الله عليهم به من الرسالة والنبوة والولاية وكثرة العلم والعمل والمعرفة والطاعات وسائر الخدمات التي تليق به تعالى.

فيفهم مما مر أن غاية الأمر أن بعض المتوسلين والمستغيثين يتسامحون في التصريح بهذا الأمر وهو الطلب من الله دون واسطة عملاً بالحقيقة والأصل، ويكتفون بعلم من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فينادون الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد الأولياء الصالحين ويطلبون منهم العون والإغاثة وهم في قريرة أنفسهم يعلمون حق العلم أنه وحده سبحانه وتعالى هو النافع والضار ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وذلك طمعاً في الإجابة لما للنبي صلى الله عليه وسلم من منزلة عند الله. وهذا ضرب من أضرب المجاز ولا يستطيع أحد ممن له أدنى مُسْكةٍ في علم الشريعة واللغة العربية أن ينكر وجود المجاز في القرآن الكريم والسنة

الشريفة:

١- فقد أسند الله تعالى إلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص مجازاً فقال جل جلاله حكاية عنه ﴿**وأبرئ الأكمه والأبرص وأُحْيِ الموتى بإذن الله**﴾[1]، فما دام قد وجه الإذن الإلهي لعبد محبوب عنده فلا حرج إذاً في قول الإنسان "يا عيسى أحْيِ ميتي واشف مريضي" لأن الله تعالى أجاز ذلك بإلهام سيدنا عيسى هذا الكلام وإثباته قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، مع العلم أن إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى أمور لا يقدر عليها حقيقة إلا الله وحده ورغم هذا رضي من عبده عيسى عليه السلام قوله وأقره عليه.

٢- ومثل هذا قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لخادمه ربيعة بن كعب الأسلمي: "سلني" فقال أسألك مرافقتك في الجنة فقال: "أو غير ذلك" فقال هو ذاك قال: (**أعني على نفسك بكثرة السجود**)[2]، وسؤال الجنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم استغاثة وطلب لما لا يقدر عليه إلا الله ولم ينكر عليه الصلاة والسلام سؤاله ولم يقل له لا تسأل غير الله.

٣- ومن المجاز قوله تعالى حكاية عن جبريل عليه السلام: ﴿**لأَهَبَ لَكِ غُلاماً زكياً**﴾[3]، فإسناد الوهب إليه مجاز والواهب حقيقة هو الله تعالى وحده.

٤- ومن ذلك أيضاً قول الله جل جلاله ﴿**يوماً يجعل الولدان شيباً**﴾[4]، فإسناد جعل الولدان شيباً إلى اليوم مجاز، والجاعل الحقيقي هو الله تعالى وتبارك.

٥- وقوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾[5]، فقد جعل الحق تعالى في هذا النص ملائكته أولياء للذين آمنوا واستقاموا. وقال في نصوص أخرى ينوه أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض أيضاً: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا**﴾[6]، وقال أيضاً: ﴿**ومن يتولَ الله ورسولَهُ والذين آمنوا فإن**

١- سورة آل عمران الآية ٤٩.

٢- أخرجه مسلم (١٠٩٤)، وأبو داود (١٣٢٠)، والترمذي (٣٤١٦)، والنسائي (١١٣٧)، وابن ماجه (٣٨٧٩).

٣- سورة مريم الآية ١٩.

٤- سورة المزمل الآية ١٧.

٥- سورة فصلت الآية ٣٠-٣١.

٦- سورة المائدة الآية ٥٥.

حزب ا لله هم الغالبون﴾[1].

وقال: ﴿**وإن تظاهرا عليه فإن ا لله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير**﴾[2]، ومولاه أي ناصره فأسند ا لله النصرة للمؤمنين والملائكة كما أسندها إلى نفسه فلا مانع إذاً أن يقول قائل: "اللهم انصرني بجبريل أو يا جبريل انصرني أو اللهم انصرني وأيدني بصالحي المؤمنين وبملائكتك أو يا أيها الصالحون ويا أيها الملائكة انصروني وما هو بذلك إلا مقتدٍ بنبيه صلى ا لله عليه وسلم حينما قال: يا عباد ا لله احبسوا[3]" كما سيأتي معنا في هذا الباب إن شاء ا لله تعالى.

فالنصوص كلها عامة التعليق دون تخصيص حياة أو موت لأن المؤمنين لم يسلب عنهم وصف الإيمان بانتقالهم إلى البرزخ فيكون بين المؤمنين من أهل البرزخ ولاية للمؤمنين في الدنيا ويكون للملائكة ولاية لجميعهم وولاية الملائكة مظهر ولاية ا لله تعالى لعباده المؤمنين.

٦- ومنها أيضاً قوله تعالى:﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾[4] مسنداً الزيادة إلى الآيات لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقةً هو ا لله تعالى وحده.

٧- ومنها قوله تعالى ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصرُ**﴾[5] والنصر حقيقة على ا لله تعالى وحده.

٨- ومنها قوله ﴿**فالمدبرات أمراً**﴾[6] مسنداً التدبير إلى الملائكة مجازاً لأنهم قائمون بإبراز مقادير ا لله تعالى في السماء والأرض بأمره ومشيئته وبحوله وقوته والمدبر الحقيقي هو ا لله تعالى.

٩- ومنها قوله تعالى: ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض**﴾[7] مسنداً الإنبات إلى الأرض والمنبت الحقيقي هو ا لله تعالى.

١٠- ومنها (فأعينوني بقوة)[8]والمعين الحقيقي هو ا لله.

١- سورة المائدة الآية ٥٦.
٢- سورة التحريم الآية ٤.
٣- أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥١٨)، وأبو يعلى (٥٢٦٩) وذكره البيهقي في مجمع الزوائد (١٧١٠٥).
٤- سورة الأنفال الآية ٢.
٥- سورة الأنفال الآية (٧٢).
٦- سورة النازعات الآية (٥)
٧- سورية يس الآية (٣٦).
٨- سورة الكهف الآية (٩٥)

١١– ومنها قوله جل وعلا: ﴿**إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا**[1]﴾ مسنداً التثبيت إلى الملائكة مجازاً.

١٢– ومنها ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**[2]﴾.

١٣– ومنها ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[3].

١٤– وها هو صلى الله عليه وسلم يسمي المطر مغيثاً فيقول: (اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً)[4]

١٥– وقالت أم سيدنا إسماعيل مخاطبة سيدنا جبريل: (**أغث إن كان عندك غوث**)[5]

١٦– وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه لحسان بن ثابت رضي الله عنه عندما كان يقول الشعر في المسجد النبوي ويهجو به المشركين في إحدى روايات الحديث (**قل وروح القدس يؤيدك**[6] وفي رواية (**قل وروح القدس معك**[7]. فنسب التأييد والمعية التي فيها الغوث والعون إلى سيدنا جبريل عليه السلام.

ويقول الشيخ ابن تيمية في فتاويه في الجزء الأول منها بعد تعريفه الاستغاثة وكلامه عنها: (**إن جعل الله ذلك، أي الغوث، على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز**).

وها هو الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى أيضاً يتكلم عن الطلب من غير الله منوهاً أنه في الحقيقة طلب من الله، وأنه من العبد مجاز، وشرح بذلك حديث: (**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله..**)[8]

فيقول: "إنما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...**) فيفهم منه الاستعانة المطلقة...أما الاستعانة بالأسباب فيقصد بها الاستعانة بالله بواسطة السبب".

١- سورة الأنفال الآية (١٢)
٢- سورة البقرة الآية (٤٥).
٣- سورة النحل الآية (٤٣).
٤- أخرجه البخاري اللهم أغثنا (٩٦٨)، اللهم اسقنا (٩٦٧).
٥- أخرجه البخاري (٣٣٦٥).
٦- أخرجه مسلم (٦٣٤٥).
٧- أخرجه البخاري (٦١٥٣)، ومسلم (٦٣٣٧)، وأحمد (٤/٢٨٦)، والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ١٧٩٤).
٨- أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٢٥١٦)، وأحمد (١/٢٩٣).

وقال الشيخ محمد علوي المالكي عن هذا الحديث: هذا الحديث يخطئ كثير من الناس في فهمه إذ يستدل به على أنه لا سؤال ولا استعانة مطلقاً من أي وجه وبأي طريق إلا با لله، ويجعل السؤال والاستعانة بغير ا لله من الشرك المخرج عن الملة، وهو بهذا ينفي الأخذ بالأسباب والاستعانة بها، ويهدم كثيراً من النصوص الواردة في هذا الباب.

والحق:

إن هذا الحديث الشريف ليس المقصود به النهي عن السؤال والاستعانة بما سوى ا لله كما يفيد ظاهر لفظه، وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن كون ما جرى من الخير على يد الأسباب فهو من ا لله والأمر بالانتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهي من ا لله وبا لله، فالمعنى: وإذا أردت الاستعانة بأحد من المخلوقين -ولا بد لك من ذلك- فاجعل كل اعتمادك على ا لله وحده، ولا تحجُبنّك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله، ولا تكن ممن يعلمون ظاهراً من هذه الارتباطات والعلاقات بين الأشياء المترتب بعضها على بعض، وهم عن الذي ربط بينها غافلون.

وقد أومأ هذا الحديث نفسه إلى هذا المعنى، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام في تتمة الحديث نفسه عقيب هذه الجملة الشريفة: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه ا لله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه ا لله عليك) فأثبت لهم كما ترى نفعاً وضراً بما كتبه ا لله للعبد أو عليه. فهذا منه صلى ا لله عليه وسلم توضيح لمراده).

والحديث ليس فيه أصلاً لا تسأل غير ا لله ولا تستعن بغير ا لله وإنما هو كقوله: صلى ا لله عليه وسلم: (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي)[1] فهل في هذا الحديث أن مصاحبة غير المسلم حرام؟! وهل يفهم منه أن إطعام غير التقي حرام؟! وقد رخص ا لله في كتابه بإطعام الأسير الكافر بل مدح ذلك بقوله: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾[2].

١- أخرجه أبو داود (٤٨٣٢) والترمذي وقال حديث حسن (٢٣٩٥) وأحمد (٣/٣٨) والدارمي (١٩٨٥) والبغوي (٣٤٨٤) والحاكم (٤/١٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حبان (٥٥٤) والطيالسي (٢٢١٣)، وأخرجه أيضاً أبو يعلى (١٣١٥)،

٢- سورة الإنسان الآية (٨).

الأدلة من القرآن الكريم

١- قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله وابتغوا إليه الوسيلة﴾[1]: لفظ الوسيلة عام في الآية كما نرى فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات لأنه لا فرق بينهما كما سيمر معنا وهو شامل أيضاً للتوسل بالأعمال الصالحة.

٢- وقال تعالى: **﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾**[2]: **وقال سيدنا ابن عباس ومجاهد:** هم عيسى عليه السلام وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم، يبتغون أي يطالبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة، وقيل الدرجة: أي يتضرعون إلى ا لله في طلب الدرجة العليا، وقيل: الوسيلة ما يتقرب به إلى ا لله تعالى وقوله: **﴿أيهم أقرب﴾**، معناه ينظرون أيهم أقرب إلى ا لله تعالى فيتوسلون به.

وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى ا لله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ونحوه في تفسير الخازن.

٣- وقال تعالى: **﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾**[3]: يقص ا لله جل وعلا علينا في هذه الآية قصة الرجل القبطي الذي استغاث بسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، وهو من شيعته فأغاثه، ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام كلهم جاؤوا بالتوحيد الخالص لله تعالى وعدم الإشراك به، فلو كانت استغاثة الرجل به نوعاً من الشرك لم يجز لسيدنا موسى أن يغيثه وحاشا للأنبياء أن يقروا الناس على ما فيه مخالفة المولى عز وجل.

٤- وقال تعالى: **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾**[4]: قال ابن عباس هي: ﴿ربنا

١- سورة المائدة الآية ٣٥.
٢- سورة الإسراء الآية ٥٦.
٣- سورة القصص الآية ١٥.
٤- سورة البقرة الآية ٣٧.

ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[1]: وذكر الألوسي في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه أنها "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلى أنت".

وقيل: رأى مكتوباً على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به.

٥- وقال تعالى: **﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾**[2]: **قال الحافظ ابن كثير في التاريخ:** قال ابن جرير عن هذا التابوت: وكانوا إذا قاتلوا أحداً من الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان، فكانوا ينصرون ببركته، وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم على أخذه فانتزعوه من أيديهم.

قال ابن كثير: وقد كانوا ينصرون على أعدائهم بسببه، وكان فيه طست من ذهب كانت يغسل فيه صدور الأنبياء[3].

وقال ابن كثير في التفسير: كان فيه عصا موسى وعصا هارون ولوحان من التوراة وثياب هارون ومنهم من قال: العصا والنعلان.

وقال القرطبي: والتابوت كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام فكان في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت، غلبهم عليه العمالقة وسلبوا التابوت منهم[4].

وهذا في الحقيقة ليس إلا توسلاً بآثار أولئك الأنبياء إذ لا معنى لتقديمهم التابوت بين أيديهم في حروبهم غير ذلك والله سبحانه وتعالى راض عن ذلك بدليل أنه رده إليهم وجعله علامة وآية على صحة ملك طالوت ولم ينكر عليهم ذلك الفعل.

١- سورة الأعراف الآية ٢٣.
٢- سورة البقرة الآية ٢٤٨.
٣- البداية والنهاية (ج٢ص٨).
٤- تفسير القرطبي (ج٣ص٢٤٧).

٦- وقال تعالى: **﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**(١): روى أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا يقولون: اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا فينصرون، فلما جاءهم ما عرفوا يريد محمداً صلى الله عليه وسلم ولم يشكوا فيه كفروا به ولهذا الأثر طرق كثيرة.

وفي تفسير النيسابوري ما نصه: قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك أن اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن يسألون به الفتح والنصرة على المشركين إذا قاتلوهم يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وقال في تفسير الكشاف، وفي تفسير الخازن ما نصه: وكانوا يعني اليهود من قبل، أي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون أي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك أنهم كانوا إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما جاءهم ما عرفوا أي الذي عرفوه يعني محمداً صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته وأنه من غير بني إسرائيل كفروا به أي جحدوا وأنكروا بغياً وحسداً، ونحوه في تفسير البغوي والنسفي.

وفي روح المعاني للآلوسي: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه قاله ابن عباس وقتادة، والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين، كما روى السُّدي أنهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم على موضع ذِكرِ النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا:

١- سورة البقرة الآية ٨٩.

اللهم إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزمان أن تنصرنا اليوم على عدونا فينصرون، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، كنّى عن الكتاب المتقدم بما عرفوا لأن معرفة من أنزل عليه معرفة له، ووجه الدلالة من هذه الآية ظاهر، فإن الله سبحانه أقرّ استفتاح اليهود بالرسول و لم ينكره عليهم وإنما ذمهم على الكفر والجحود بعد إذ شاهدوا بركة الاستفتاح بالنبي صلى الله عليه وسلم.

٧- وقال الله تعالى: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾**[١]:

في هذا النص بيان أن الصحابة رضوان الله عليهم استغاثوا بالله سبحانه فاستجاب لهم فأغاثهم وأمدَّهم بألف من الملائكة عليهم السلام، والملائكة من جنود الله تعالى، يغيث بهم من يشاء من عباده، والذي يغيث بالملائكة هو الله تعالى، وقدرته قابلة أن يغيث بها من شاء من عباده، وأن يغيث عباده بعضهم ببعض، لأن الخلق جميعاً سواء من حيث الإمكان والحدوث وجواز تعلق صفات الله تعالى بهم.

ومَن الذي أوجب على الله تعالى أن يمد الملائكة ويمد بهم فقط، ولا يمد بالأنبياء والأولياء الصالحين والجميع حولهم وقوتهم بالله سبحانه وتعالى، والتفريق بين الملائكة والأنبياء والأولياء من قبيل التفريق بين المتماثلين، وهو مخالف لما عليه المحققون.

٨- وقال تعالى: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**[٢]:

قال الزمخشري في الكشاف: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق مستنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص، وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً، لوجدوا الله تواباً أي لتاب عليهم و لم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان.

فهذه الآية وإن نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت فهي عامة تشمل

١- سورة الأنفال ٩.

٢- سورة النساء الآية ٦٤.

كل عاص ومقصر، لأن ظلم النفس المذكور فيها يشمل كل معصية، ثم إنها أي الآية تدل على الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حالتي حياته ووفاته لأن كلاً من المجيء والاستغفار وقع في سياق الشرط فيدل على العموم، الاستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف.

وورد في تفسير ابن كثير: عند قوله تعالى: **﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم..﴾**[1]. ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**، وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد يقول:

**يا خير من دفنت بالقاع أعظمه		فطاب من طيبهن القاع والأكم**

**نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه		فيه العفاف وفيه الجود والكرم**

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: (**الحق بالأعرابي فبشره أن الله قد غفر له**)[2].

وقد جاء في تفسير القرطبي ما نصه: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك، روى أبو صالح عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله فوعينا منك وكان فيما أنزل الله عليك **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر أنه قد غفر لك[3].

فالآية دليل على جواز التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في سائر الأحوال لأنه في قبره الشريف حي يرزق تعرض عليه أعمال أمته فيدعو لهم ويستغفر،

١- سورة النساء الآية ٦٤.
٢- تفسير ابن كثير (ج١/ص٦٤٣).
٣- تفسير القرطبي (ج٥ | ص٢٦٥).

ويلحق به في جواز التوسل كل من تثبت له هذه المزية كالشهداء والعلماء العاملين والأولياء المتقين ونحوهم وا لله أعلم.

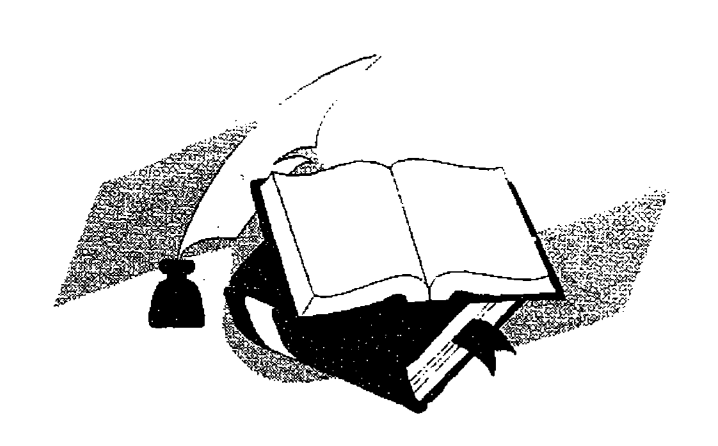
هذا وقد روى هذه القصة غير من مضى من الأئمة:

١- الإمام النووي في كتابه الإيضاح[1].

٢- وابن قدامة في كتابه المغني[2].

٣- وأبو الفرج بن قدامة في كتابه الشرح الكبير[3].

٤- والشيخ منصور البهوتي في كتابه المعروف بكشاف القناع من أشهر كتب المذهب الحنبلي[4]، ولم يذكر واحد منهم أن هذا الفعل إشراك با لله تعالى فيكون إقراراً منهم بالتوسل.



١- الباب السادس (ص٤٩٨).
٢- (ج٣ | ٥٥٦).
٣- (ج٣ | ٤٩٥).
٤- (ج٥ | ٣٠).

الأدلة
من الأحاديث الشريفة وآثار الصحابة

ونبدأ بذكر الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأحياء:

١- عن عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ادع الله لي أن يعافيني" فقال: "إن شئت صبرت وهو خير لك"، قال: "فادعه" وفي رواية: "ليس لي قائد وقد شق عليّ" فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في قضاء حاجتي لتقضى لي اللهم شفعه فيّ " وزاد البيهقي: فقام وقد أبصر وفي رواية: (اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي)[1]، فقوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك.. توسل، وقوله: يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في قضاء حاجتي... استغاثة فها هو النبي صلى الله عليه وسلم لم يرض أن يدعو له هو بنفسه بل أمره أن يتوسل إلى الله به بل ويناديه حال غيابه عنه قائلاً: يا محمد، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر بما فيه طعن في العقيدة أو يرضى به أصلاً، وهذا توسل ظاهر واستغاثة صريحة بذاته وجاهه صلى الله عليه وسلم وقد اعتمدها العلماء المحدثون والحفاظ في كتب السنة في صلاة الحاجة حاثين الأمة عليها.

٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً،

١- أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/١٣٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٨)، والترمذي (٣٥٧٨) وابن ماجه (١٣٨٥)، وقال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح، وعبد بن حميد (٣٧٩)، وابن خزيمة (١٢١٩)، والحاكم (١/٣١٣) وصححه ووافقه الذهبي وفي رواية (فرجع وقد كشف له عن بصره) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٠).

وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك"[1].

وهذا حث ظاهر منه للصحابة على التوسل إلى الله تعالى بجاه ومنزلة السائلين عنده، "والسائلين" جمع يشمل الأموات والأحياء ومن كان حاضراً ومن كان غائباً، وفي الحديث دليل التوسل بالعمل الصالح وهو ممشى الرجل إلى المسجد لوجه الله، فالشرع لم يفرق بين التوسل بالذوات الفاضلة وبين التوسل بالعمل الصالح، بل لقائل أن يقول: كيف لا يجوز التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أشرف خلق الله ويجوز التوسل بصلاة العبد وصيامه وصدقته وكلا الأمرين خلق الله.

٣- وعن سيدنا علي كرم الله وجهه: أن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما قال: (اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي)[2].

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: (اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) قال: فيسقون، وفي الحديث إثبات التوسل به صلى الله عليه وسلم وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل البيت وغيرهم كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري[3].

ومن الشبه التي قد ترد على هذا الحديث أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بالعباس لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد توفي، والجواب أن يقال: هل قال لكم عمر أو العباس إن هذا التوسل لأن الرسول كان قد توفي، كلا، لا قال

١- أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وأحمد (٣|٢١)، والطبراني في "الدعاء" (٢|٩٩٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص (٤٠)، والبيهقي في "الدعوات الكبير) ص (٤٧)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠|٢١٢-٢١١)، وقد حسنه جمعٌ من الحفاظ منهم الحافظ ابن حجر كما في (أمالي الأذكار) (١|٧٢)، والحافظ العراقي كما في (تخريج أحاديث الإحياء) (١|٢٩١)، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في الترغيب والترهيب) (٣|٢٧٣)، والحافظ الدمياطي كما في (المتجر الرابع) ص (٤٧١-٤٧٢) وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة (١|٩٩) رواه ابن خزيمة في صحيحه في طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده).

٢- رواه الطبراني في الأوسط (١|١٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣|١٢١) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩|٢٥٧).

٣- أخرجه البخاري (١٠١٠).

عمر ذلك ولا أشار إليه ولا قال العباس ذلك ولا أشار إليه، وهنا مسائل لا بد من ذكرها:

(١)- ترك الشيء لا يدل على منعه كما تقرر في الأصول، فترك عمر للتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دلالة فيه أصلاً على منع التوسل وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً من المباحات، فهل دل تركه لها على حرمتها؟ لم يقل ذلك أحد من العلماء، ثم إن صاحب الوسيلة لا يتصرف بنفسه في قضاء حاجة المتوسل حتى يحول موته دون ذلك وإنما هو يسعى بالشفاعة عند الله تعالى في قضاء حاجة المتوسل فهل ورد نص بتجرد الأنبياء والصالحين بموتهم مما لهم عند الله من المنزلة والجاه، على أنه سيمر معنا إن شاء الله تعالى الكلام عن الروح وقوة تصرفها بعد مفارقة البدن.

(٢)- أراد عمر أن يبين التوسل بالمفضول مع وجود الأفضل لوجود علي وعثمان رضي الله عنهما.

(٣)- توسل عمر بالعباس في الحقيقة توسل بالنبي، لأن عمر توسل به لمكانته من النبي وكونه عمه فها هو يقول عم نبينا و لم يقل بالعباس بن عبد المطلب.

(٤)- أراد عمر بفعله أن يبين جواز التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الصلاح، ممن ترجى بركته.

قال الحافظ بن حجر: يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة.

(٥)- وعن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الأبدال بالشام هم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب[1].

وفي رواية: (أربعون رجلاً مثل خليل الرحمن)[2].

١- أخرجه أحمد (١/١١٢) وفي (مجمع الزوائد) (١٠/١٦٦٧).
٢- أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠/٦٣) وقال إسناده حسن.

ومعنى المثلية في قوله: مثل خليل الرحمن أنهم على طريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في سلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين.

(٦)- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا كنت لا بد سائلاً فاسأل الصالحين)[١]، فهذا حث ظاهر منه صلى الله عليه وسلم على سؤال الصالحين.

(٧)- وقال عليه الصلاة والسلام: (إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع إليهم في حوائجهم، أولئك هم الآمنون من عذاب الله)[٢].

(٨)- وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا عليّ، يا عباد الله احبسوا عليّ، فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم)[٣].

وفي رواية: (إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم غوثاً، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم).

وفي رواية: (إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني، وفي رواية أعينوا)[٤].

وذكر الإمام الطبراني في الكبير، والإمام النووي في الأذكار بعد روايتهما للحديث بأنهما جربا ذلك بأنفسهما، وهو ظاهر جلي لا يحتمل التأويل ولا التبديل ففي هذا الموقف الذي ينادي فيه الإنسان (يا الله) بفطرته، حيث لا يرى حوله من يآنسه أو يقاسمه همه رغم هذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول (يا عباد الله حثاً على الأخذ بالأسباب فهل بعد الحق إلا الضلال المبين).

(٩)- عن الحارث بن حسان البكري رضي الله عنه قال: خرجت أنا والعلاء ابن الحضرمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث، وفيه: فقلت: أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عادٍ، فقال: أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: وما

١- أخرجه أحمد (٤/٣٣٤)في المسند وأبو داود (١٦٤٦)والنسائي (٢٥٨٦).
٢- رواه الطبراني في الكبير (٣٣٣٤)، وذكره السيوطي في "الجامع الصغير" (٢٣٥٠)،ورمز لحسنه.
٣- أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥١٨)، وأبو يعلى (٥٢٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٠٥).
٤- أخرجه الطبراني في الكبير (١٧).

وافد عاد؟....... إلخ[1].

فها هو رضي ا لله عنه يستعيذ بسيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم، ورغم هذا أقره رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وهل من المعقول أن يقره على الإشراك با لله.

(١٠)- وعن سيدنا جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: (ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال: هل فيكم من صحب محمداً فيستنصرون به فينصرون ثم يقال: هل فيكم من صحب محمداً فيقال: لا، فيقال: فمن صحب أصحابه؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه)[2].

وقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم[3].

وهذا دليل على الاستغاثة بالصحابة والتوسل بهم إلى ا لله طلباً للنصر.

(١١)- وعن عبد ا لله بن دينار رضي ا لله عنه قال: سمعت ابن عمر رضي ا لله عنهما يتمثل بشعر أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل.

وفي لفظ قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى ا لله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[4]

فتمثله رضي ا لله عنه بهذا البيت من قول أبي طالب دون غيره دليل على توسله بالنبي صلى ا لله عليه وسلم، وهو نص لا يحتمل غير هذا الفهم، ومثل سيدنا ابن عمر لا يصدر عنه ما يشك في قبوله شرعاً.

١٢- وعن سيدنا عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما في حديث الشفاعة: (إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى ا لله عليه وسلم فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى

١- ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقال إسناده حسن، الفتح (٨|٥٧٩).
٢- أخرجه أبو يعلى(٢١٨٢).
٣- أخرجه البخاري (٢٧٣٩).
٤- أخرجه البخاري (١٠٠٨).

يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه ا لله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم)[1].

وهذا الحديث ظاهر في أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند اشتداد الأمر عليهم ويستغيثون به، ولو كان التوسل والاستغاثة كفراً لما جاز لسيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم أن يشفع لهم عند ا لله، ومعلوم أن الشفاعة يوم القيامة لا تنال الكافرين، بل لو كان فيهما شيء من الإشراك با لله لبينه لأصحابه عندما أخبرهم بهذا الحديث فلما لم يكن كفراً كان أمره مستحباً ومندوباً إليه في الدنيا والآخرة.

١٣– وعن سيدنا ابن عباس رضي ا لله عنهما عن النبي صلى ا لله عليه وسلم وهو يقصّ على أصحابه حادثة السيدة هاجر هي وابنها بعد أن تركها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في مكة أنها كلما سمعت صوتاً عند الطفل قالت: (إن كنت ذا غوث فأغث)[2]، والمخاطب هو جبريل عليه السلام فغمز الأرض بعقبه فنبعت زمزم التي ما زالت وستبقى إلى يوم القيامة مفضلة على جميع أنواع المياه لبركتها وفائدتها، فهل من المعقول أن يكرم ا لله السيدة هاجر بماء زمزم إن كان في كلمتها شيء من الكفر، ثم إن كان فيها كفر فلماذا لم ينبه النبي صلى ا لله عليه وسلم أصحابه عليها وهو يحدثهم، أيسكت صلى ا لله عليه وسلم عن أمر فيه إخراج أصحابه عن عقيدتهم؟!.

١٤– وعن سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه أنه شكا إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم النسيان لما يسمعه من حديثه الشريف، وهو يريد أن يزول عنه ذلك، فقال رضي ا لله عنه: يا رسول ا لله: إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه فأحب أن لا أنسى، فقال صلى ا لله عليه وسلم: (ابسط ردائك فبسطه فغرف بيديه فيه ثم قال: ضمه، فضمه، قال أبو هريرة: فما نسيت حديثاً بعد،وفي رواية فما نسيت شيئاً قط)[3].

وعدم النسيان من الأمور التي لا يقدر عليها إلا ا لله وحده ورغم هذا لم ينكر عليه سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم وأجابه إلى مطلبه، فهذا توسل منه رضي ا لله عنه بذات سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم ومكانته عند ا لله لا بدعائه فحسب لأنه لم يرد أنه دعا له وإنما اغترف له من الهواء وألقاه في ثوبه وأمره بضمه إلى صدره وهذا

١- هذا الحديث متواتر،وممن رواه البخاري ومسلم (١٩٤).
٢- أخرجه البخاري (٣٣٦٥).
٣- أخرجه البخاري (٣٦٤٨)، والترمذي (٣٨٣٥).

دليل منه رضي الله عنه على جواز سؤال مثل هذه الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله من غير الله تعالى، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له لا تسألني وسل من هو أقرب إليك مني، بل أجابه إلى مطلبه وقضيت حاجته باللحظة التي ضمّ فيها الرداء إلى صدره.

١٥- ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن عمر عسّ[1] ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم يرَ سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إن الناس سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون، فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن يا غوثاه لأمة محمد، وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن يا غوثاه لأمة محمد، فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمة)[2].

وهذا ظاهر في جواز إطلاق لفظ التوسل والاستغاثة.

١٦- وعن قتادة رضي الله عنه أنه أصيبت عينه فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فقال: لا حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأمره فقال: لا، ثم وضع راحته على حدقته ثم غمزها فعادت كما كانت فكانت أصح عينيه[3]، فهذا توسل منه بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى يبرأ من مرضه.

ومثل هذا الفعل مما يختص به الله عز وجل إلا أن يكرم به أحد عباده ويأذن له بفعله.

١٧- وقال صلى الله عليه وسلم: **(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**[4] فهذا دليل جواز استعانة العباد بعضهم ببعض بل والحث على ذلك، وإكرام المعين لغيره بمعونة الله الكبرى.

١- تجول في البلد ليلاً لينظر في أحوالها.
٢- البداية والنهاية (٧|٩٧)، وقال عنه: أثر جيد الإسناد.
٣- أخرجه أبويعلى (١٥٤٩)، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (٤١٦) وابن حجر في أسد الغابة (٤|٣٩٠) والإصابة (٨|١٣٨)، وابن هشام في السيرة (٢|٨٢)، مرسلاً، والطبراني في الكبير (١٩|رقم ١٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨|٢٩٧-٢٩٨) (٦|١١٣)، وابن كثير في الشمائل ص (٥٦٨)، والحاكم (٣|٢٩٥)، وابن كثير في السيرة (٣|٦٦-٦٧).
٤- أخرجه مسلم (٦٧٩٣) وأبو داود (٤٩٤٦).

الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأموات

لابد لنا قبل الخوض في ذكر الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأموات من الإجابة على أسئلة ثلاثة قد تتبادر إلى أذهان كثير من الناس وهي:

١- هل الموتى أحياء في قبورهم فنتوسل بهم؟

٢- وهل يسمعون توسلنا وهم في القبور؟

٣- وهل يستطيعون إغاثتنا ونفعنا وهم قد انتقلوا إلى الحياة البرزخية؟.

الجواب عن الأسئلة الثلاثة (نعم) إنهم أحياء في قبورهم، يسمعون توسلنا، ويقضون حوائجنا، والأدلة على ذلك كثيرة :

١- منها قوله تعالى: **﴿ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾**[1]

٢- وقوله تعالى: **﴿ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون﴾**[2]

فدلت الآيتان على حياة الذين يقتلون في سبيل الله، والقتل في سبيل الله عام يشمل الشهادة في الحروب وفي غيرها كما دلت الأحاديث والآثار على ذلك، ثم إذا كان هذا حال الشهداء فماذا يكون حال الأنبياء عامة وحال نبينا خاصة وقد جمع الله له بين الشهادة والنبوة؟ لاشك أنهم أدنى بهذه المزية منه.

٣- ومنها قوله تعالى **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[3]. فقد قال الحافظ ابن كثير رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية:

١- سورة آل عمران الآية (١٦٩).
٢- سورة البقرة الآية (١٥٤).
٣- سورة التوبة الآية (١٠٥).

(...وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ).

٤- ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**)[١].

٥- ومنها حديث أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ قالوا: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون: بليت. فقال: إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**)[٢].

٦- ومنها حديث الإسراء المتواتر الذي ورد من طريق بضع وأربعين صحابياً[٣]، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم رأى موسى عليه الصلاة والسلام قائماً يصلي في قبره ورأى غيره من الأنبياء يصلون، وأنه أمهم وصلى بهم جماعة، وأن سيدنا آدم وغيره من الأنبياء دعوا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن سيدنا موسى عليه السلام طلب منه العودة إلى ربه ليطلب منه تخفيف الصلاة عنا حتى خففها الله من خمسين صلاة إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، فهذا كله دليل حياتهم في دار البرزخ، أي القبر، بل وحريتهم في الانتقال من مكان إلى آخر، ودعاء سيدنا آدم، وإرشاد سيدنا موسى لأمر تخفيف عدد الصلوات دليل نفعهم لنا وهم في الحياة البرزخية.

٧- ومنها حديث سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

١- أخرجه أبو يعلى (٣٤٢٥) رمز السيوطي لحسنه، وأخرجه أيضاً البيهقي في "حياة الأنبياء" ص (٣) وصححه، والبزار في مسنده (٢٣٣) (٢٥٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤|٢٨٥)، وابن عدي في "الكامل" (٢|٩) و أبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢|٣٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨| برقم ١٣٨١٢) وذكره الحافظ في المطالب العالية (٣٤٥٢)، وصححه المناوي، إسناده صحيح ويشهد له حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مررت بموسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر) أخرجه مسلم (٦١٠٧)، و النسائي (٦٣١) وأحمد (٣|١٤٨) وأبونعيم في الحلية (٦|٢٥٣)، وأبويعلى (٣٣٢٥)، وابن حبان (٥٠) وابن أبي شيبة (١٤|٣٠٧، ٣٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤|١٥٠).

٢- أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٣)، وابن ماجه (١٠٨٥) وأحمد (٤|٨)، والدارمي (١٥٣٥)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن أبي شيبة (٢|٥١٦)، والبيهقي (٣|٢٤٨)،والحاكم (١|٢٧٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٥٨٩).

٣- أخرجه البخاري (٣٤٩) ومسلم (٤١٣)، والدارمي في "الرد على الجهمية" وابن منده في "الإيمان" (٧١٤) وأبو عوانة (١|١٣٣-١٣٥)، والآجري في "الشريعة" ص (٤٨١-٤٨٢).

(إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم)[1].

٨- ومنها حديث سيدنا أبي طلحة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قام على القليب قليب بدر وفيه قتلى المشركين فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يافلان ابن فلان قال: إنا وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟! فقال سيدنا عمر يا رسول الله: ما تكلم من أجساد لاأرواح لها؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)[2]، وهذا قسم منه صلى الله عليه وسلم بأنهم يسمعون كلامه.

٩- ومنها حديث سيدنا عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام)**[3].

١٠- ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: **(مامن أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد السلام)**[4].

والسلام هو الأمان، فهو يدعو للمسلم بالأمان، إذاً يلحق به النفع وهو في قبره صلى الله عليه وسلم. ويرد على الحديث إشكال وهو أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه وهو الموت، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

١- المراد بقوله **(رد الله علي روحي)** أنّ رد روحه كانت سابقة عقب دفنه لأنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد.

٢- سلمنا، لكن ليس هو نزع موت، بل لامشقة فيه.

٣- المراد بالروح الملك الموكل بذلك.

١- أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٧١٤٥)، وأبو داود (٣٢٣١)، والنسائي (٢٠٤٨)، وأحمد (٣/١٢٦)، وعبد بن حميد (١١٨٠)، والبيهقي في "إثبات عذاب القبر" (١٣)، والآجري في "الشريعة" ص (٣٦٥)، وأحمد في "السنة" (١٣٥٥)، والبيهقي في السنن (٤/٨٠)، والبغوي (١٥٢٢)، وابن حبان (٣١٢٠).

٢- أخرجه البخاري (٣٧٥٧) ومسلم (٢٨٧٥).

٣- أخرجه النسائي (١٢٨١) في عمل اليوم والليلة (٦٦)، وأحمد (١/٣٨٧)، وأبويعلى (٥٤١٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣١١٦)، وابن أبي شيبة (٢/٥١٧)، والدارمي (٢٦٢٧)، والبزار (١/٢٩٥)، والطبراني في الكبير (١٠٥٢٨)، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (٢/٢٠٥)، والبغوي (٦٨٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠٤١٥)، وابن القيم في "جلاء الأفهام" ص (٢٤)، والحاكم (٢/٤٢١) وصححه، ووافقه الذهبي، وابن حبان (٩١٤) وفي الحديث الحث على الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وفيه تعظيمه وإجلال منزلته حيث سخر الله تعالى الملائكة الكرام لهذا الشأن العظيم.

٤- أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، وأحمد (٢/٥٢٧).

٤- المراد بالروح النطق، فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه.

٥- أنه يستغرق في أمور الملأ الأعلى، فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من سلم عليه. وقد استشكل ذلك من جهة أخرى، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لايحصى كثرة، وأجيب بأن أمور الآخرة لاتدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الأخرة وا لله أعلم، انتهى كلام الحافظ بحروفه)[١].

١١- ومنها حديث سيدنا ابن مسعود رضي ا لله عنه أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال: (**حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليّ أعمالكم فما رأيت من خير حمدت ا لله عليه، ومارأيت من شر استغفرت ا لله لكم**)[٢] فهذا صريح في أنه صلى ا لله عليه وسلم يستغفر لأمته وهو في الحياة البرزخية، والاستغفار دعاء تنتفع منه الأمة الإسلامية جمعاء.

١٢- ومنها حديث سيدنا أنس رضي ا لله عنه أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: (**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لاتمتهم حتى تهديهم كما هديتنا**).

وفي رواية عن جابر رضي ا لله عنه: (**إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك**)[٣] وهذا دليل نفع الأموات من غير الأنبياء.

١٣- ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه عن سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم أنه قال: (**والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماماً مقسطاً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليصلحن ذات البين، وليذهبن الشحناء وليعرضن المال فلا يقبله أحد، حتى لئن قام على قبري فقال: يامحمد**

١- المقالات السنية ص (١١٥).

٢-أخرجه البزار (٨٤٥)، ورجاله رجال الصحيح، كذا في مجمع الزوائد (١٤٢٥٠)، وقال الحافظ العراقي في "طرح التثريب" (٣/٢٩٧): إسناده جيد، وصححه الحافظ السيوطي كما في الخصائص (٢/٢٨١)، و كذلك الحافظ الغماري في "نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال".

٣- أخرجه الطبراني في الكبير (٤/١٥٤)، وفي إتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/٣٨٥) وفي تفسير ابن كثير (٤/١٤٧) وفي كنز العمال (٤٢٠٢٩)، وفي الحاوي للسيوطي (٢/٣٠٣-٣٠٤).

لأجبته)[1]: وفي قوله لأجبته دلالة ظاهرة على سماعه إياه.

١٤- ومنهاحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مامن أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**)[2].

١٥- ومنها أحاديث السلام على الموتى عند المرور بهم: كحديث بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ذهب إلى المقابر يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية)[3].

فلولا حياة الموتى في قبورهم وصحة سماعهم لم يكن لهذه الخطابات أي معنى ولكانت بمثابة مخاطبة الجمادات.

١٦- ومنها حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم**)[4].

١٧- ومنها حديث سيدنا أبي أمامة عندما مر به سعيد الأودي، أو الأزدي، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة فقال له: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (**إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس القبر ثم ليقل: يافلان بن فلانة فإنه يسمع ولايجيب _أي لايستطيع الجواب_ ثم ليقل: يافلان بن فلانة المرة الثانية فإنه يستوي قاعداً، ثم ليقل يافلان ابن فلانة المرة الثالثة فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله ولكن لاتشعرون...الخ**)[5].

وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير مانصه: (**قوله: ويستحب أن يلقن**

١- ذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٨١٣) ورواه أبويعلى (٦٥٨٤)، (ورجاله رجال الصحيح).

٢- أورده الحافظ السيوطي في الحاوي (١٧٠/٢) وقال: ((صححه الحافظ ابن عبد الحق، وهو إمام في العلل كما قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ)).

٣- أخرجه مسلم (٢٢٥٤)، والنسائي (٢٠٣٦)، وأحمد (٢٢/٦) وابن أبي شيبة (٣٤٠/٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٩٤) والبيهقي (٧٩/٤)، والبغوي (١٥٥٥)، وابن حبان (٣١٧٣)..

٤- أخرجه الترمذي (٩٩٤) وابن ماجه (١٤٧٤) بشطره الأول.

٥- أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٧٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢٤٨).

الميت بعد الدفن، وحديث التلقين إسناده صالح، وقد قواه الضياء في أحكامه)[1].

١٨- ومنها حديث الرجل الذي ضرب خباءه ليلاً على قبر فسمع من القبر قراءة ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾[2] إلى آخرها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (**هي المانعة هي المنجية**)[3].

١٩- ومنها ما قاله سعيد بن عبد العزيز: (**لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ولم يُقم، ولم يخرج سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لايعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم**[4].

٢٠- ومنها مارواه نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (**السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه**)[5].

٢١- ومنها ما ثبت أن أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضع ثيابي، وأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهما فوالله مادخلت إلا وأنا مشدودة حياء من عمر[6].

٢٢- ومنها قول سيدنا أبي بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته: (**بأبي أنت وأمي يانبي الله لايجمع الله عليك موتتين**)[7].

٢٣- ومنها ما ثبت عن سيدنا شيبان بن جسر عن أبيه أنه قال: (**أنا والله الذي لاإله إلا هو أدخلت ثابتاً البناني في لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره**)[8].

١- التلخيص الحبير (٢/١٣٥) وذكره الإمام النووي في المجموع ج٥ ص٢٤٣.
٢- سورة الملك الآية (١).
٣- أخرجه الترمذي (٢٨٩٠) وحسنه السيوطي .
٤- أخرجه الدارمي (٩٣).
٥- رواه الإمام عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح (٣/٥٧٦) حديث (٦٧٢٤).
٦- أخرجه الإمام أحمد (٦/٢٠٢) والحافظ الهيثمي، وقال رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (١٢٧٠٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين (٤/٧) ووافقه الذهبي.
٧- أخرجه البخاري (١٢٤١)، والنسائي (١٨٤٠)، وأحمد (١/١١٧).
٨- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/٣١٩).

٢٤- ومنها قول ابن القيم رحمه ا لله تعالى وهو يتحدث عن الروح ومدى قوة تصرفها وانتقالها بعد انفصالها عن الجسد، فقد ذكر رضي ا لله عنه في كتابه الروح مانصه: فللروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ وسرعة الصعود إلى ا لله تعالى، والتعلق با لله، ماليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه فإذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواتها، وكانت في أصل شأنها روحاً علية زكية كبيرة ذات همة عالية، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر.

وقد تواترت الرؤيا في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لايقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والإثنين والعدد القليل ونحو ذلك. وكم قد رؤي النبي صلى ا لله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم، فإذا بجيوشهم مقلوبة مكسورة، مع كثير عددهم وعددهم، وضعف المؤمنين وقلتهم[1].

ويقول أيضاً: فهي، أي الرؤى، على كثرتها وأنها لايحصيها إلا ا لله، قد تواطأت على هذا المعنى، وقد قال النبي صلى ا لله عليه وسلم: (**أرى رؤياكم قد تواطأت**)[2] على أنها في العشر الأواخر، يعني ليلة القدر، فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كانت كتواطؤ روايتهم له وكتواطؤ رأيهم على استحسانه أو استقباحه، وما رآه المسلمون حسناً فهو عند ا لله حسن، وما رأوه قبيحاً فهو عند ا لله قبيح[3]، ويقول: صح عن النبي صلى ا لله عليه سلم أن الأرض لاتأكل أجساد الأنبياء وأنه صلى ا لله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصاً بموسى، وقد أخبر بأنه: (مامن مسلم يسلم عليه إلا رد ا لله روحه حتى يرد عليه السلام، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لاندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة

١- كتاب الروح ص (١٩١).

٢- أخرجه البخاري (٢٢٠١٥)، ومسلم (٢٧٥٣) ، وأحمد (٢|٥)، وابن خزيمة (٢١٨٢)، والنسائي (تحفة الأشراف) (٨٣١٥)، والبيهقي (٤|٣١٠-٣٦١)، والبغوي (١٨٢٣) وعبد الرزاق (٧٦٨٨)، وابن حبان (٣٦٧٥).

٣- ص (٢٥).

فإنهم أحياء موجودون لانراهم)[1].

ويقول: السلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم.

٢٥- وقد سئل الشيخ ابن تيمية، رحمه ا لله تعالى عن هذه المسألة فأفتى بما يؤيد ذلك[2].

٢٦- ومنها: قول الإمام السيوطي رحمه ا لله تعالى في مرقاة الصعود: تواترت بحياة الأنبياء في قبورهم الأخبار.

وقال في إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء مانصه: (حياة النبي صلى ا لله عليه وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا قطعياً لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وتواترت بها الأخبار الدالة على ذلك).

٢٧- ومنها قول الإمام السخاوي رضي ا لله عنه يحكي الإجماع على ذلك فقد قال بعد سرده الأدلة على عرض الأعمال عليه صلى ا لله عليه وسلم من صلاة وغيرها ما نصه:

السادسة: يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى ا لله عليه وسلم حي على الدوام وذلك أنه محا ل عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل ونهار، ونحن نؤمن ونصدق بأنه صلى ا لله عليه وسلم حي يرزق في قبره، وإن جسده الشريف لاتأكله الأرض والإجماع على هذا، وزاد بعض العلماء، الشهداء والمؤذنين، وقد صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والشهداء فوجدوا لم تتغير أجسامهم والأنبياء أفضل من الشهداء جزماً.

٢٨- ومنها قول الإمام السبكي في شفاء الأسقام: "وأقول إن التوسل بالنبي صلى ا لله عليه وسلم جائز في كل حال: قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة"

٢٩- ومنها ذكر ابن حزم للإجماع أيضاً في كتابه المحلى.

٣٠- وتأليف البيهقي لجزء خاص يثبت فيه حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

١- ص (٥٣. ٥٤).

٢- انظر الفتاوى (٢٤/٣٣١,٣٦٢).

في قبورهم، وغيرها من الأقوال التي سنتطرق إليها إن شاء الله عند ذكر أقوال العلماء في التوسل والاستعانة.

ومما قد يرد على حياة الأموات في قبورهم وسماعهم للأحياء قول الله عز وجل ﴿**وماأنت بمسمع من في القبور**﴾[1]. لكن هذه الآية دليل على أن الكفار المصرين على الباطل لن ينتفعوا بالتذكير والموعظة فهم غارقون في قبور كفرهم وعنادهم محجوبون عن نور الهداية والإيمان، كما هو حال الموتى الذين في القبور، وأنهم لن ينتفعوا بما يسمعونه من التذكير والموعظة، فهذا مؤول لايحمل على الظاهر والدليل عليه قول الله عز وجل ﴿**إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين**﴾[2]، والأموات لايولون مدبرين بعد العظة والتذكير وإنما المراد بذلك الكفار.

يقول الإمام الطبراني في تفسيره: "إنك يامحمد لاتقدر أن تفهم الحقّ من طبع الله على قلبه فأماته، لأن الله قد ختم عليه أن لايفهمه".

﴿**ولاتسمع الصم الدعاء**﴾ يقول : ولاتقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه.

﴿**إذا ولوا مدبرين**﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه لايسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ولايصغون للحق ولايتدبرون ولاينصتون لقائله لكنهم يعرضون عنه وينكرون القول به والاستماع له[3].

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (**مثل الذي يذكر الله والذي لايذكره مثل الحي والميت**)[4].

وإن قيل قد ثبت في الحديث أن الميت إذا مات انقطع عمله إلامن ثلاث... فكيف نثبت للميت النفع والتأثير ولوكان المقصود أنه مجرد واسطة؟

فالجواب: أن المعنى المقصود هنا هو أنه انقطع الثواب والنفع الذي كان يحصل عليه الميت مما كان يعمله هو بنفسه من صلاة وصيام وغير ذلك من الأعمال، لأن هذه

١- سورة فاطر الآية (٢٢).
٢- سورة النمل الآية (٨٠).
٣- المجلد (١١)، (ج ٢٠ص١٢).
٤- أخرجه البخاري رقم (٦٠٤٤)، ومسلم (١٨٢٠)، وابن حبان (٨٥٤).

الأعمال قد توقف عنها بعد الموت إلا ما يصله من صدقة جارية كان عملها أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له، ولايعني بانقطاع عمله أنه لم تعد له قدرة على فعل شيء بعد الموت لما مر من الأدلة والحجج.

ثم من اعتقد أن لأحد من الخلق تأثيراً في الحياة ينقطع عنه بانتقاله إلى البرزخ ففي عقيدته شيء من إشراك العبد لله في الأفعال والتأثير فليس لأحد من الخلق تأثير ذاتي ولاقيام له بنفسه، وحولهم وقوتهم با لله تعالى، هويجري على أيدي خلقه مايشاء من المقادير في حال حياتهم الدنيوية، وكذلك الأمر في حال الحياة البرزخية والأخروية، فلو كان للنبي صلى ا لله عليه وسلم أو لغيره تأثير في حياته كما توهم بعض القاصرين لصح نفيه عنه بعد انتقاله ولجاز حينئذ سؤاله ونداؤه في حياته فقط، أما مادام لاتأثير له في حياته الدنيوية كذلك لاتأثير له بعد انتقاله إلى الحياة البرزخية، وا لله تعالى أجرى بحوله وقوته على يديه الخير في حال حياته الدنيوية، هو الذي يجري على يديه بعد انتقاله، ومن الذي يقيد ا لله تعالى ويوجب عليه أن يفتح على أيدي خلقه في حال حياتهم الدنيوية، ولايفتح على أيديهم في حال انتقالهم إلى حياة أخرى برزخية أو أخروية؟!

فالتوسل حكم مقرر جوازه من أحكام الشريعة المطهرة ومعمول به في عصره لا يتغير بانتقاله عليه الصلاة والسلام كما لاتتغير بقية أحكام التشريع فلايحق لإنسان أن يقول: هل الوضوء جائز بعد موت النبي صلى ا لله عليه وسلم؟ وهل الصلاة جائزة بعد موت النبي صلى ا لله عليه وسلم؟ وهكذا، ومثل ذلك قولهم: هل التوسل جائز بعد موته عليه الصلاه والسلام؟!

لأنها جميعاً أحكام شرعية مقررة بأدلتها وهي معمول بها في حياته وبعد انتقاله[1]، فلو أجزنا التوسل بالحي دون الميت لجعلنا للحي نوع تأثير دون أن نشعر وهذا خلاف عقيدة الإسلام.

وقد مر معنا في بداية باب التوسل أن المتوسل لايعتقد أن للمتوسل به أي تأثير من خير أو نفع إلا ما أثبته له رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مجازاً عندما قال: (...واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه

١- من كتاب الإسعاد ص (٢٢,٢٣)

الله لك وإنهم لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)[1] فأثبت لهم النفع والإضرار وحصره ضمن إرادة الله ومشيئته فالمتوسل به إذاً لايتصرف بنفسه في قضاء حاجة المتوسل حتى يحول موته دون ذلك وإنما هو يسعى بالشفاعة عند الله تعالى في قضاء تلك الحاجة.

وإنه لم يرد نص واحد يثبت أن الله ينزع من أنبيائه وأوليائه المكانة والجاه بعد انتقالهم إلى عالم البرزخ.

أما الآن وبعد أن تبين لنا يقيناً مما مر من الأدلة أن الأنبياء والأولياء أحياء في قبورهم يسمعون توسلنا بهم ويستطيعون بقدرة الله التي أعطاهم إياها أن يغيثونا ويكونوا سبب نفع لنا رغم انتقالهم إلى الحياة البرزخية إجابة عن الأسئلة الثلاثة الماضية فننتقل إلى ذكر الأدلة على التوسل والاستغاثة بالأموات:

١)- عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما: **(اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي)**[2].

٢)- وعن سيدنا أبي الجوزاء أوس بن عبد الله رضي الله عنه قال **(قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا فمطرنا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق)**[3].

٣)- وعن مالك الدار وكان خازن عمر قال أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله **(وفي رواية يا محمداه استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره بأنكم مُسْتَقيون وقل له: عليك الكيس فأتى عمر فأخبره فبكى عمر**

١- أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح وأحمد (١/٢٩٣).
٢- أخرجه الطبراني في الأوسط (١/١٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/١٢١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٥٧).
٣-أخرجه الدارمي في سننه برقم (٩٢).

ثم قال: يارب لاآلو إلا ماعجزت عنه)[1].

٤)- **وعن سيدنا عثمان بن حنيف رضي الله عنه:** أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، وكان عثمان رضي الله عنه لايلتفت إليه ولاينظر في حاجته، فلقيه الرجل فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يامحمد إني أتوجه بك إلى ربك فيقضي حاجتي وتذكر حاجتك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذه بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة[2] وقال: ماحاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال: ماذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة ثم قال: ما كانت لك حاجة فائتنا، ثم إن الرجل لما خرج من عنده لقي عثمان بن حنيف وقال له جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولايلتفت إليَّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان ابن حنيف، والله ماكلمته، ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أوتصبر؟ قال: يارسول الله ليس لي قائد، وقد شق عليّ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات فقال عثمان بن حنيف، فوالله ماتفرقنا ولاطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط[3].

٥)- ومن الأدلة على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته: القياس على جواز التبرك بآثاره المنفصلة في حال حياته وبعد مماته فلقد ثبت في أحاديث صحيحة وردت في الصحيحين أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يتبركون بشَعره، وأم سليم تأخذ من عرق النبي صلى الله عليه وسلم وتضعه في

١- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٣١,٣٢) والبخاري في تاريخه (٧/٣٠٤)، والحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد ص(٦٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٧/٤٧)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٩٥) إسناده صحيح، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧/١٠٥)وفي التفسير (١/٩١) (إسناده صحيح).

٢- الطنفسة: مثلثة الطاء والفاء أيضاً، وقد تفتح الطاء وتكسر الفاء: اسم للبساط، وتطلق على حصير من سعف يكون عرضه ذراعاً.

٣- أخرجه الطبراني في الكبير (٨٣١١٠)، وقال بعد ذكر طرقه (والحديث صحيح)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٢٨)، وصححه الحاكم (١/٥٢٦)، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٦٦٨)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/٤٧٦)، ونقلا تصحيح الطبراني له، والشيخ ابن تيمية في كتابه التوسل والوسيلة ص (١٠١).

زجاجة وكلما نقص زادته ماءً، وغيره من الأدلة التي ستمر معنا إن شاء ا لله في باب التبرك فبقيت إذاً آثار النبي صلى ا لله عليه وسلم بعد وفاته كدواء يستشفى به بإذن ا لله عز وجل.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الذي انفصل من أثر النبي صلى ا لله عليه وسلم في حال حياته ثم بقي إلى مابعد وفاته يأخذ الحكم وهو جعله سبباً للشفاء أو للتبرك والمسبب هو ا لله وحده يأخذ هذا الحكم ذاته بعد وفاته أيضاً.

فمن باب أولى ذات النبي صلى ا لله عليه وسلم وجاهه الكريم عند ا لله عز وجل فإنه لم يتبدل ولم يتغير ولم يبل ولم يخلق، فالأنبياء أحياء في قبورهم يصلون والأرض لاتأكل أجساد الأنبياء، وهذا ماقاله المصطفى صلى ا لله عليه وسلم وعليه الإجماع كما مر معنا.

٦)- وعن الهيثم بن خنيس قال: كنا عند عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما فخدرت رجله فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك فقال: يامحمد، فكأنما نشط من عقال.

وعن عبد الرحمن بن سعد قال (خدرت رجل ابن عمر فقال له رجل اذكر أحب الناس إليك فقال محمد[١].

٧)- وذكر الحافظ ابن كثير خلال كلامه عن وقعة اليمامة مانصه: (وحمل خالد بن الوليد رضي ا لله عنه حتى جاوزهم وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع، ثم وقف بين الصفين ودعا البراز وقال: أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين، وكان شعارهم يومئذ [يامحمد])[٢].

٨)- وها هو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتوسل بسيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم فقد روى سيدنا عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: (**لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فقال ا لله تعالى ياآدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يارب إنك لما**

١- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٦٤) وذكره الشيخ ابن تيمية في الكلم الطيب في الفصل السابع والأربعين ص ١٦٥.

٢- البداية والنهاية (٦/٣٢٤).

خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولامحمد ماخلقتك)[1].

٩)- وها هو سيدنا معاذ رضي الله عنه يتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له لما أرسله إلى اليمن: (**فعلك تمر بقبري ومسجدي**)[2]. فيأتي إلى قبره صلى الله عليه وسلم ويبكي أمامه وإذا بسيدنا عمر يراه فيقول له: مايبكيك؟ فيقول سيدنا معاذ: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اليسير من الرياء شرك**)[3].

١٠)- وروى الخطيب في تاريخه عن علي بن ميمون رضي الله عنه أنه قال: سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: (**إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائراً، فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلىقبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما يبعد عنى حتى تقضى**) وقد صح وبسند صحيح توسل الإمام الشافعي بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما.

١١)- وروى أيضاً عن أحمد بن جعفر القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال وهو شيخ الحنابلة في وقته يقول: (ماهمني أمر فقصدت قبرموسى بن جعفر يعني الكاظم فتوسلت به إلا سهل الله لي ما أحب)[4].

١٢)- وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: (خرج في عضدي شيء يشبه الدّمّل، وكان يبرأ ثم يعود، ودام بذلك زماناً طويلاً، فسافرت إلى أصبهان، وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة، فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ و لم يعد)[5].

١- أخرجه البيهقي في كتابه دلائل النبوة (٥|٤٨٩)، والحاكم (٢|٦١٥) وصححه، والطبراني في الأوسط (٦٤٩٨) وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٣٩١٧). وقد حقق الإمام تقي الدين السبكي في كتابه: (شفاء الأسقام) أن هذا الحديث لاينزل عن درجة الحسن.

٢- أخرجه أحمد (٥|٢٣٥) وذكره الهيثمي في المجمع (١٠|٥٥).

٣- أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠|٥٥)، والحاكم (١|٤) وقال: صحيح لاعلة له، ووافقه الذهبي والطبراني في الأوسط (٧١٠٨).

٤- من كتاب إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء للشيخ عبدالله صديق الغماري.

٥- ذكرها الحافظ ضياء الدين المقدسي المتوفى سنة (٦٤٣) في كتابه (الحكايات المنثورة) بخطه برقم (٣٨٣٤) - الورقة (١١٢) الوجه (أ) السطر (١٠).

١٣)- وقد قال الإمام أحمد نفسه عندما ذكر أمامه صفوان بن سليم: (هذا رجل ينزل القطر من السماء بذكره)[١].

١٤)- وأخرج الخطيب البغدادي في تاريخه أن الإمام إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث قال: (قبر معروف، يعني الكرخي، الترياق المجرب).

وأن أبا عبدا لله المحاملي أحد أئمة الحديث أيضاً قال: "أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، وما قصده مهموم إلا فرّج ا لله همه".

وأخرج أن الإمام عبيد ا لله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال: إن من قرأ عنده مائة مرة **﴿قل هو ا لله أحد﴾**[٢] وسأل ا لله تعالى مايريد قضى ا لله له حاجته.

١٥)- وأخرج أيضاً أن أحمد بن العباس الشامي قال: (خرجت من بغداد أريد الحج فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة، فقال لي: من أين خرجت، قلت: من بغداد خرجت منها لما رأيت فيها من الفساد، فخفت أن يخسف بأهلها، قال: ارجع ولاتخف، فإن فيها قبور أربعة من أولياء ا لله هم حصن لهم من جميع البلايا، قلت: من هم؟ قال: أحمد بن حنبل ومعروف الكرخي وبشر الحافي ومنصور بن عمار، فرجعت وزرت القبور)[٣].

ومن لطائف القول أن بعض الحجاج كان يقبل حديدة حِجر سيد الأولين والآخرين صلى ا لله عليه وسلم فرآه بعض المسلمين هناك فقال لأحد العلماء حوله: (انظر إلىهذا المشرك يقبل حديدة الحجرة، وهو حديد صنعناه بأيدينا لاينفع ولايضر، فنظر إليه العالم فرأى على رأسه قلنسوة، فقبّله منها ثم قال له: ألم نصنع هذه القلنسوة بأيدينا؟ قال: نعم، قال لماذا قبّلتُها أنا، قال: إكراماً لي لأنها على رأسي. فقال له: وهؤلاء يقصدون ذلك).

١- تذكرة الحفاظ ص (٦١).
٢- سورة الإخلاص الآية (١).
٣- من كتاب إتحاف الأذكياء للشيخ عبدا لله صديق الغماري.

أقوال العلماء والصالحين في التوسل والاستغاثة

١ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:

قال في رسالته الموجهة لأهل القصيم مستنكراً بشدة على من نسب إليه تكفير المتوسل بالصالحين: (إن سليمان بن سحيم افترى عليّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي فمنها: أني أكفر من توسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، وأني أحرق دلائل الخيرات، وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: ﴿**سبحانك هذا بهتان عظيم**﴾[١]. [٢]

وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء (لا بأس بالتوسل بالصالحين) فأجاب بكلام كثير منه:

(... ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده)[٣]. وهذا يدل على جواز التوسل عنده.

٢ ـ الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى:

سئل رضي الله عنه: هل يجوز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ فأجاب: (الحمد لله، التوسل بالإيمان به ومحبته وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه مشروع باتفاق المسلمين)[٤].

وقال في موضع آخر: (وكذلك مما يشرع التوسل به صلى الله عليه وسلم في الدعاء كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم علّم شخصاً أن يقول: اللهم إني

١- سورة النور الآية (١٦).
٢- الرسالة الأولى والحادية عشرة من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس ص (١٢) ص(٦٤)
٣- فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات، القسم الثالث ص (٦٨) التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (والغريب من الذين يُقرّون أسبوع محمد ابن عبد الوهاب وينكرون مولد النبي محمد بن عبد الله السنوي...).
٤- الفتاوى الكبرى (١/١٤٠).

أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى ا الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي حاجتي ليقضيها فشفعه فيّ)[1].

وقال في موضع آخر: وأما التوسل بالنبي صلى ا الله عليه وسلم ففيه حديث في السنن: (أن أعرابياً أتى النبي صلى ا الله عليه وسلم فقال: يا رسول ا الله ! إني أصبت في بصري فادع ا الله لي، فقال له النبي صلى ا الله عليه وسلم: (توضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد يا محمد إني أتشفع بك في رد بصري اللهم شفع نبيك فيّ، وقال: فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك، فرد ا الله بصره[2][3].

٣ ـ الشيخ محمد ناصر الألباني:

ذكر الشيخ الألباني أنه يجوز التوسل بأسماء ا الله وصفاته، وبعمل الداعي، ودعاء رجل صالح آخر. فيما نقله عنه عيد العباسي في كتابه (التوسل أنواعه وأحكامه) ذلك الذي قال عنه مؤلفه: إنه مقالات كتبها وألقاها الشيخ ناصر الألباني. فقال:

(فمما سبق تعلم أن التوسل هو مشروع دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وجرى عليه عمل السلف الصالح، وأجمع عليه المسلمون وهو:

١- التوسل باسم من أسماء ا الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته.

٢- التوسل بعمل صالح قام به الداعي.

٣- التوسل بدعاء رجل صالح.

ثم ينقل أقوال الأئمة المعتمدين في مسألة التوسل فيقول:

(فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول صلى ا الله عليه وسلم وحده وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين)[4].

٤ـ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

١- أخرجه الترمذي وصححه في كتاب الدعوات (٣٥٧٨).
٢- أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٧٨) وقال حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه في صلاة الحاجة (١٣٨٥).
٣- الفتاوى الكبرى (١|١٠٥).
٤- شرح العقيدة الطحاوية للشيخ محمد ناصر الألباني ص (٤٦).

قال الإمام أحمد للمروزي رحمهما الله تعالى: (يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه، وجزم به في المستوعب وغيره).

وقد مر معنا قوله عندما ذكر أمامه صفوان بن سليم: (هذا رجل ينزل القطر من السماء بذكره).

٥ـ الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه للخليفة المنصور لماحج وزار قبر النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام وسأل مالكاً قائلاً: يا أبا عبدا لله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى؟ بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك. قال الله تعالى: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾[1][2].

٦ـ الإمام النووي رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه: (..واعلم أن زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم من أهم القربات وأنجح المساعي... إلى أن قال: ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة، ويستقبل جدار القبر، ويقف في مقام الهيبة والإجلال فيقول: السلام عليك يارسول الله.... إلى أن قال: ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى)[3].

٧ـ الإمام تقي الدين أبو الحسن السبكي رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه: (اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروف من فعل الأنبياء والمرسلين وسيرة السلف الصالحين والعلماء المسلمين).

١- سورة النساء الآية (٦٤).

٢- ذكره العلامة ابن حجر في (الجوهر المنظم) والعسقلاني في المواهب اللدنية، والسمهودي في (خلاصة الوفاء)، والقاضي عياض في الشفا بسند صحيح وغيرهم.

٣- كتاب المجموع (٨/٢٧٢)

وقال: (وأقول: إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم جائز في كل حال: قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة)[1].

٨ـ الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:

قال رضي الله عنه: (التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ولايخفاك أنه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته، وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعاً سكوتياً لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس رضي الله عنه، والتوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لايكون فاضلاً إلا بأعماله).

وقال: (ويتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين) أقول: ومن التوسل بالأنبياء: وذكر قصة الأعمى[2]، وأما التوسل بالصالحين: حديث استسقاء سيدنا عمر بسيدنا العباس رضي الله عنهما)[3]،[4]

وينقل رضي الله عنه إجماع الصحابة على جواز التوسل، ثم يقول: (وأما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه من ربه، فقد قال عز الدين بن عبد السلام: إنه لايجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم وعندي (أي عند الشوكاني) أنه لاوجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لأمرين: الأول: ماعرفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم والثاني: أن التوسل إلى الله تعالى بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لايكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله).

٩ـ العلامة الشهاب الرملي الشافعي رحمه الله تعالى:

سئل رضي الله عنه فأجاب: (إن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة

١- كتاب شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام، الباب الثامن وص ١٦١.
٢- أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات (٣٥٧٨) وابن ماجه في صلاة الحاجة (١٣٨٥)
٣- أخرجه البخاري (٢/٣٤) و(٥/٢٥)، وابن خزيمة (١٤٢١).
٤- كتاب تحفة الذاكرين ص (٣٧).

والسلام والأولياء والعلماء الصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء، والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لاتنقطع بعد موتهم وأما الأنبياء فإنهم أحياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الأخبار فتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، والشهداء أيضاً أحياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار، وأما الأولياء فهي كرامة لهم).

١٠ـ الإمام السامري وصاحب التلخيص رحمهما الله تعالى:

قال السامري وصاحب التلخيص: لابأس بالتوسل للاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين، وقال في المذهب: يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح، وقيل يستحب)[١].

١١ـ العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى:

(ذكر أنه يجوز التوسل بصالح وقيل يستحب).

١٢ـ الشيخ علاء الدين علي المرداوي الحنبلي من كبار علماء الحنابلة رحمه الله تعالى:

قال: (ومنها يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب وقيل يستحب)، وقال: (والتوسل بالإيمان به صلى الله عليه وسلم وطاعته ومحبته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحوه مما هو من فعله أو أفعال العباد المأمور بها في حقه مشروع إجماعاً)[٢].

١٣ـ الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى:

قال: (ولايخفى على أحد من المسلمين بل وغير المسلمين ممن عنده أدنى إلمام بمعرفة هذا الدين المبين وأحوال من اتبعه من المؤمنين أن جمهور الأمة المحمدية من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من الخواص والعوام من جميع مذاهب الإسلام متفقون بالقول والفعل على استحسان الاستغاثة والتوسل والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى لقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية، واستحباب شد

١- كشف القناع (٢/٢٩).
٢- كتاب الإنصاف (٢/٤٥٦).

الرحال، والسفر لزيارته صلى ا الله عليه وسلم من الأقطار البعيدة والقريبة حتى صار ذلك عندهم بمنزلة الأمور المعلومة من الدين بالضرورة بحيث لايجهله ولايتصور خلافه أحد، بل لايتوهم خلافه ولايتخيله كثير من طلبة أهل العلم فضلاً عن جمهور العامة الذين لايخطر شيء من ذلك في بال أحد منهم، بل ولايجوز أنه يوجد مخالف من المسلمين في استحسان ذلك، ومازالت الأمة المحمدية بحمد ا الله تعالى كذلك يتلقاه المتأخرون عن المتقدمين، ويعتقدون كما هو الواقع أن ذلك من أفضل الطاعات وأكمل القربات)

١٤ـ الشيخ محمد الحامد رضي ا الله تعالى عنه :

يقول رضي ا الله عنه في باب نداء الصالحين: (يجوز التوسل بهم إلى ا الله تعالى والدعاء يكون لله سبحانه والأدلة على هذا كثيرة، ومن ناداهم بقصد التوسل بهم لا يلام)[١].

وقال أيضاً في باب جواز التوسل: (يجوز التوسل إلى ا الله سبحانه وتعالى برسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وعلى آلهم، وبأوليائه رضوان ا الله عليهم وأما التوسل إلى ا الله سبحانه وتعالى برسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وعلى آلهم، وبأوليائه رضوان ا الله عليهم، فإنه جائز وسائغ عند أهل الحق بل إنه مستحب إذ هو من أسباب إجابة الدعاء وليس فيه أدنى شبه بشرك لأن ا الله تعالى هو المدعو وحده ولاشريك له في الخلق والتأثير، والاستشفاع غير الدعاء فما من ضر يلحق الداعي ولامن لوث يمس عقيدة التوحيد فيه، والناس في الآخرة يستشفعون إلى ا الله برسله وبسيدنا محمد صلى ا الله عليه وسلم)[٢].

وقال أيضاً في باب التوسل: (لوكان التوسل شركاً أو فيه شائبة الشرك ما علّمه نبي ا الله صلى ا الله عليه وسلم للأعمى حين سأله أن يدعو ا الله له، فقد علمه التوسل به. وإجازة التوسل في حياة المتوسل به لابعد مماته لايعتمد شرعاً، وفعل عمر رضي ا الله عنه ليس فيه إلا التوسل بالحي وفعل الشيء لاينفي ما عداه كما هو مقرر)[٣].

١- ردود على أباطيل ص(٢٥) القسم الثاني.
٢- ردود على أباطيل ص (٢٦) القسم الثاني.
٣- ردود على أباطيل ص(٢٥) القسم الثاني.

ونذكر هنا أسماء أشهر من قال بالتوسل أو نقل أدلته من كبار الأمة وحفاظ السنة وبعض المعاصرين:

١- فمنهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي ا لله عنه.

٢- ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رضي ا لله عنه.

٣- ومنهم الإمام مالك بن أنس رضي ا لله عنه.

٤- ومنهم الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رضي ا لله عنه.

٥- ومنهم الإمام أبو زكريا النووي رضي ا لله عنه.

٦- ومنهم الإمام جلال الدين السيوطي رضي ا لله عنه.

٧- ومنهم الإمام أبو بكر البيهقي رضي ا لله عنه.

٨- ومنهم الإمام أبو عبد ا لله الحاكم رضي ا لله عنه.

٩- ومنهم الشيخ الإمام نور الدين القاري المعروف بملا علي قاري رضي ا لله عنه.

١٠- ومنهم الإمام الحافظ القسطلاني رضي ا لله عنه.

١١- ومنهم الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي ا لله عنه.

١٢- ومنهم الإمام ابن القيم الجوزية رضي ا لله عنه.

١٣- ومنهم الإمام القاضي عياض رضي ا لله عنه.

١٤- ومنهم الإمام العلامة أحمد شهاب الدين الخفاجي رحمه ا لله تعالى.

١٥- ومنهم الإمام المحدث علي بن عبد الكافي السبكي رحمه ا لله تعالى.

١٦- ومنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني رحمه ا لله تعالى.

١٧- ومنهم العلامة الحافظ المفسر ابن كثير رضي ا لله عنه.

١٨- ومنهم العلامة المفسر أبو عبد ا لله القرطبي رحمه ا لله تعالى.

١٩- ومنهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه ا لله تعالى.

٢٠- ومنهم الشيخ ابن تيمية رحمه ا لله تعالى.

٢١- ومنهم الشيخ محمد ناصر الألباني.

٢٢- ومنهم الشيخ العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه ا لله تعالى.

٢٣- ومنهم الإمام العلامة ابن حجر الهيثمي رحمه ا لله تعالى.

٢٤- ومنهم الإمام العلامة الشيخ محمد عبد الباقي الزرقاني رحمه ا لله تعالى.

٢٥- ومنهم العلامة الشهاب الرملي الشافعي رحمه ا لله تعالى.

٢٦- ومنهم العلامة الشيخ علاء الدين علي المرداوي الحنبلي رحمه ا لله تعالى.

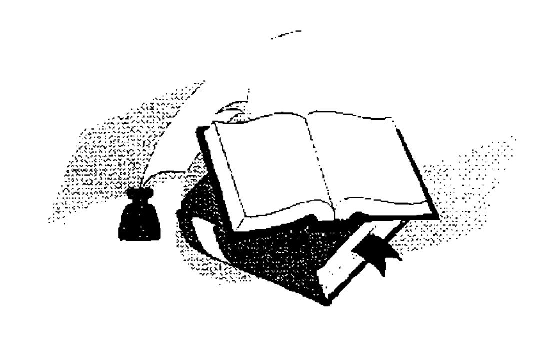
٢٧- ومنهم الشيخ العلامة أحمد المردوي.

٢٨- ومنهم العلامة الشيخ السامري.

٢٩- ومنهم الشيخ يوسف النبهاني.

٣٠- ومنهم الشيخ محمد الحامد.

فهاهي يا أخي أدلة التوسل والاستغاثة، قد سُردت أمامك ظاهرة جلية، فانظر إليها بعين الإنصاف والبحث عن الحقيقة، انظر إليها نظرة الباحث عن الطريقة التي تجمع ذلك الجسد المتشتت الأعضاء الذي أخبر عنه نبي المسلمين كلهم سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم بقوله: (المسلمون كالجسد الواحد...[١] سائلين ا لله أن يهدينا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.



١- أخرجه البخاري (٥٦٦٥)، ومسلم (٣٥٨٦)، والحاكم (٤/٢٧٠).



معنى لفظ المدد:

يختلف معنى كلمة (مدد) باختلاف نية قائلها.

وورد في لسان العرب عن معنى كلمة مدد: مددنا القوم، أي صرنا لهم أنصاراً ومدداً.

وأمدَّ الأمير جنده بالخيل والرجال وأعانهم، وأمدهم بمال كثير وأغناهم.. والمددُ: العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله، والإمداد أن يرسل الرجل مدداً[1].

وقال الإمام الفيومي رحمه الله تعالى: أمددته بمدد: أعنته وقويته به[2].

فإذا قال المسلم: "مدد يا الله، أي أعنّي وأمدّني بقوتك، وانصرني على عدوّك، وزدني بالرحمات والبركات، وأمدني بالمقدرة على طاعتك ومحاربة نفسي وشيطاني.

وأما إذا قال: "مدد يا أولياء الله، فمعناه: علّمونا مما علمكم الله، وأمدُّونا مما أمدكم الله سبحانه به من العلوم والعرفان، وساعدونا بما ينفعنا لسيرنا، وأرشدونا في سلوكنا إلى محبة الله بإذن الله: وما كان هذا إلا لأن أكثر العباد فقدوا من يدربهم ويؤدبهم بالإسلام، وبأخلاق سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، لذلك فإنهم بحاجة إلى من يعينهم ويمدهم بالعلم ، ويعلمهم أدب طريقة السير والسلوك، والمدد بالمعنى الذي ذكرناه موجود حساً ومعنىً في حياتنا، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الإنسان يستعين بوسائط النقل كالسيارة والطيارة والباخرة والقطار لقضاء الحوائج الدنيوية والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر لا يصل إليه الإنسان بدونها إلا بشق الأنفس، هذا وإن

١- لسان العرب مادة (م د د).

٢- المصباح المنير مادة (م د د).

البحارة والطيارين يستولون على وجهة سفرهم بحراً وجواً بواسطة قطعة معدنية يقال لها: البوصلة، ترشدهم إلى الجهة المطلوبة ولا ينكر هذا! فهل الاستعانة بالمعدن تخرج عن الملة؟! وهل تُرفَضُ مساعدة ثمينة يقدمها إلينا من له خبرة في سلوك طريق محبة الله المحفوفة بشتى أنواع المخاطر للوصول من خلال ذلك المدد وتلك المساعدة بلا مشقة ولا تعب... علماً بأن أقل الأعداء في هذا الطريق النفس والشيطان والهوى.؟!

ومن هنا يظهر لنا أن الإنسان بحاجة إلى الاستعانة بأشياء كثيرة من مخلوقات الله لتمدهُ بمدد قد سخره الله له على أيدي خلقه ومصنوعاتهم من أي نوع كانت. وهناك فرق بين مدد الخالق سبحانه ومدد المخلوق، فكلمة مدد تأتي بمعنى المساعدة والمعاونة، وهي مستحبة في كل أنواع البرِّ بجميع الطرق التي أجازها الشرع الحنيف، فاستعانة الناس بعضهم ببعض في الأمور لا مفر منها ولا غنى عنها والإنسان مأمور بها، لا سيما في أمور البر والتقوى، فقد قال الله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[1].

فالتعاون بين الخلائق هو المدد، أي المساعدة ونصرة بعضهم لبعض، فلو طلب الإنسان من بني جنسه الإمداد فليس بمعنى أنه يطلب منه كما يطلب من ربه، ولكن بالمدد والقدرة التي أمده الله بها، والإمداد بالمعنى المذكور على قسمين:

القسم الأول: هو مدد صرف من الله سبحانه وهو ما لا يتم على الحقيقة إلا منه، ولا تكون الإغاثة للخلق إلا به سبحانه، قال الله تعالى: ﴿**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾[2]، والمعنى كما قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى: نزيده من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع، نرزق المؤمنين والكفار وأهل الطاعة وأهل المعصية[3].

والقسم الثاني: وهو ما يجريه الله سبحانه على يد ملائكته الكرام بما آتاهم الله من القوة والأسرار، وعلى يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام بواسطة المعجزات، وعلى يد أوليائه بطريق الكرامات.

١- سورة المائدة الآية (٢).
٢- سورة الإسراء الآية (٢٠).
٣- فتح القدير (٣/٢١٧).

والفرق جليٌ واضح جداً: وهو أن ا لله سبحانه يمد من يشاء من عباده، من خزائن فضله ورحمته بالمعونة والإغاثة والنصرة على الكفار والمشركين، متى شاء، وكيفما شاء، ولا يتوقف عطاؤه تعالى على إذن أحد أو رضاه، وأما أنبياؤه وأولياؤه فلا يكون إمدادهم للطالبين إلا بإذن ا لله ومشيئته ورضاه، وهو بالحقيقة مستمدٌ من إمداد ا لله تعالى، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً.

وقد جعل ا لله تعالى في هذه الدنيا ملائكة لهم وظائف وأعمال ظاهرية وباطنية يخدمون بها خلق ا لله تعالى بما أمرهم به ا لله.

قال الإمام الرازي رحمه ا لله في تفسيره للآية الكريمة: **﴿من ا لله ذي المعارج﴾**[1]: "وعندي فيه وجه رابع: وهو أن هذه السموات كما أنها متفاوته في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر وقوتها وشدة القوة على تدبر هذا العالم (أي بحسب أمر ا لله تعالى لها)، فلعل نور إنعام ا لله وأثر فيض رحمته لا يصل إلى هذا العالم إلا بواسطة تلك الأرواح، إما على سبيل العادة أو لا"[2].

وقال أيضاً رحمه ا لله تعالى في تفسير قول ا لله تعالى: **﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾**[3]: "وهذا يدل على أن لكل واحد منهم مرتبة لايتجاوزها ودرجة لا يتعدى عنها، وتلك الدرجات إشارة إلى درجاتهم في التصرف في أجسام هذا العالم"[4].

ولقد سخر ا لله ملائكة لمعرفة وكتابة أفعال العباد بأمر منه جلّ وعلا وهو في الوقت نفسه ينسب المعرفة والكتابة لنفسه قائلاً سبحانه: **﴿إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾**[5].

قال الإمام الطبري رضي ا لله عنه: "أي ونكتب ما قدموا في الدنيا من خير وشر ومن صالح الأعمال وسيئها"[6].

١- سورة المعارج الآية (٣).
٢- تفسير الفخر الرازي (٢٤/١٢٢).
٣- سورة الصافات الآية (١٦٤).
٤- تفسير الفخر الرازي (٢٦/١٧٤).
٥- سورة يس الآية (١٢).
٦- صفوة التفاسير (٣/٨).

وقال تعالى في حق الملائكة: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1].

وسخرهم أيضاً لحفظ العباد وكذلك نسب الحفظ لذاته سبحانه وتعالى فقال: ﴿فا لله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى أيضاً في حق الملائكة: ﴿له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا لله﴾[3].

وسخر ملك الموت لقبض الأرواح، وفي نفس الوقت أيضاً نسب ذلك لنفسه سبحانه فقال: ﴿وا لله خلقكم ثم يتوفاكم﴾[4].

وقال عز وجل في حق الملائكة: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون﴾[5].

فالفعل في هذه الآية راجع لملك الموت بأمر ا لله وإذنه سبحانه.

وعلى هذا فإن ا لله تعالى قد أمدَّ الملائكة بأسرار يحفظون بها عباد ا لله بتسخير منه عز وجل، فهو فعال لما يريد، فمهما ظهر من الملائكة الكرام من عجائب وغرائب لا يكون ذلك منهم على الحقيقة فهم مسخرون بأمر ا لله، فقد قال عنهم ربنا تعالى: ﴿لا يعصون ا لله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[6].

وقد جعل ا لله تعالى في هذه الدنيا لخلقه ما جعل للملائكة الكرام عليهم السلام من وظائف وأعمال ظاهرية وباطنية، وزَوَّدَهم بإمدادات وقدرات نورانية فقد أكرم ا لله أنبياءه ورسله وأولياءه بشيء من الأسرار التي تجعلهم قائمين بها على نصرة دين ا لله، ويمدون بها من شاؤوا بإذن ربهم ورضاه لإقامة دين ا لله جل جلاله. وقال الإمام البيهقي رحمه ا لله تعالى في تفسير قول ا لله سبحانه: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾[7]، أي لا يعلمون من علمه إلا ما شاء أن يعلمهم إياه بتعليمه[8].

١- سورة ق الآية (١٨).
٢- سورة يوسف الآية (٦٤).
٣- سورة الرعد الآية (١١).
٤- سورة النحل الآية (٧٠).
٥- سورة السجدة الآية (١١).
٦- سورة التحريم الآية (٦).
٧- سورة البقرة الآية (٢٥٥).

وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قوله سبحانه في حق سيدنا الخضر رضي الله عنه: ﴿**وعلّمناه من لدُنّا عِلماً**﴾[1]، أي علم الباطن إلهاماً[2].

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرفع درجة وأجل قدراً عند الله من الملائكة عليهم السلام، فلذلك أمدهم ببعض صفاته وأجرى على أيديهم بعض الخوارق التي لو سمع بها من ينكر المدد لأول وهلة و لم يعلم أنها صدرت عن رسول مؤيد لحكم على قائلها بالكفر والخروج عن الملة فوراً!! وأدل دلالة على هذا ما أجراه الله على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فلنسمع إلى قول الله تعالى وهو ينسب إلى نفسه إحياء الموتى قائلاً: ﴿**فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير**﴾[3]، ثم يقول في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**وإذ تخرج الموتى بإذني**﴾[4]، وكذلك ينسب شفاء المرض إليه سبحانه وتعالى فيقول: ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾[5]، ثم يقول في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني**﴾[6]، وينسب الخلق إلى نفسه سبحانه وتعالى فيقول: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**﴾[7]، ثم يقول في حق سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني**﴾[8]، وليس ذلك فحسب بل بعد أن أمد الله سيدنا عيسى بتلك الصفات نراه يتكلم بلسان المدد الإلهي فينسب الأسباب إلى نفسه والفعل الحقيقي إلى مسبّبها فيقول: ﴿**أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله**﴾[9] **وهذه الآية أكبر دليل على جواز إطلاق مثل هذه الألفاظ على من جعل الله المقدّرات على يديه من باب المجاز الذي لاسبيل لإنكاره كما مر معنا**

٨- الأسماء والصفات للبيهقي ص (١٤٣).
١- سورة الكهف الآية (٦٥).
٢- معالم التنزيل في التفسير (٣/٥٨٤).
٣- سورة الشورى الآية (٩).
٤- سورة المائدة الآية (١١٠).
٥- سورة الشعراء الآية (٨٠).
٦- سورة المائدة الآية (١١٠).
٧- سورة الفرقان الآية (٢).
٨- سورة المائدة الآية (١١٠).
٩- سورة آل عمران الآية (٤٩).

في باب التوسل.

ثم إن هذا في الحقيقة أعظم من كلمة مدد في مضمونها ودلالتها، فالبركات والخيرات التي يمد الله تعالى بها أحداً من مخلوقاته يستفيد منها كل من حوله من المؤمنين فقد قال الله تعالى في حق سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك**﴾[1].

أي وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة[2].

وقال القرطبي: دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيامة[3].

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:

(مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير[4].

وما يمد الله سبحانه وتعالى به رسله وأنبياءه إنما هو في سبيل إقامة الحجة ونشر الدعوة، وقد علمنا أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء على الإطلاق كما قال صاحب الجوهرة رحمه الله تعالى:

وأفضلُ الخلق على الإطلاق ... نبينا فمل عن الشقاق

وبهذا يكون المدد المعطى له صلى الله عليه وسلم من الله سبحانه وتعالى أرقى وأعظم من جميع ما أعطيه سائر الأنبياء والمرسلين، لأن الله بعث كل نبي مبلغاً وداعياً لقومه، ولكن بعثة الحبيب المصطفى كانت للخلق كافة.

قال أحد الصالحين: إن الإمداد الذي يفيضه الله على أنبيائه كالأمانة المستعارة عندهم ليعملوا بواسطتها لهداية الخلق إلى طاعة ربهم، ألم يقل الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾[5]، وقال أيضاً سبحانه وتعالى في حقه صلى الله عليه وسلم: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال**

١- سورة هود الآية (٤٨).
٢- صفوة التفاسير (٢/١٧).
٣- تفسير القرطبي (٩/٤٨).
٤- أخرجه البخاري (٢١٠١) ومسلم (٦٦٣٥)، وأحمد (٤/٤٠٨)، وابن حبان (٥٦١)، والطيالسي موقوفاً (٥١٥)، والقضاعي (١٣٨٠)، عن أبي موسى وأخرجه ايضاً البغوي (٣٤٨٣).
٥- سورة الشورى الآية (٥٢).

مبين﴾[1].

فما دام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حاملاً الرحمة والرأفة الإلهية للعالمين، وأسرار التزكية للعالم بأجمعه فهذا يعني أنه يَمدُّ الخلق بإذن الله بالرحمة والرأفة، والآية الكريمة واضحة في كلمة ﴿ويزكيهم﴾، واستطاع بفضل الله وبواسطة عطاء الله له تزكية من اتبعه وأطاعه، فأصلح من كانوا أشرَّ الناس في الجاهلية وأفظهم قتلاً وكفراً، فأصبحوا بعدها ألطف الناس وأحسنهم أخلاقاً وديناً وإيماناً.

وإن الله تعالى أعطى سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم المقدرة والإمداد ليرشد الخلق

وهو يحمل في صدره المبارك مدداً نورانياً يمدُّ به عباد الله بإذن الله، وقال القاضي البيضاوي في تفسير الآية الكريمة: ﴿**إني جاعل في الأرض خليفة**﴾[2]، قال: (إن استخلافه سبحانه وتعالى ليس مبنياً على العجز والاحتياج، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل هو مبني على قصور المستخلف عليه.. فمعاملته تعالى في إفاضة الكمالات والمعارف على خلقه إنما هي بحسب استعداداتهم، فمن كان مستعداً لاستفاضتها بلا واسطة يفيض عليه بنفسه بلا واسطة مَلَك، ومن كان لا يقبلها إلا ممن كان من جنسه، يفيض عليه بواسطة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن الأنبياء قوتهم النظرية فائقة على قوى سائر الأنام من حيث إنهم يتمكنون بقواهم على استنباط أنوار العلوم والمعارف لكونهم أعطوا مصباح البصيرة المودع في زجاجة القلب الكائنة في مشكاة الجسد، الموقدة تلك الزجاجة من زيت الروح الصافية عن الكدرات بحيث يكاد زيتها لغاية صفائه يضيء ولو لم تمسسه نار)[3] أ.هـ انتهى كلام البيضاوي.

فالمدد إذاً هو النور الرباني الذي يفيضه الله تعالى على قلوب أنبيائه وأوليائه من الرحمات والبركات والأسرار، وفي الحقيقة إن كل دليل ذكرناه في معرض إثبات التوسل عامة وبالغائبين والأموات خاصة يصلح لأن يكون دليلاً لإثبات المدد وسنذكر هنا بعضها ونزيد عليها إن شاء الله تعالى فمن ذلك ما رواه سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إذا انفلتت دابة أحدكم في**

١- سورة الجمعة الآية (٢).
٢- سورة البقرة الآية (٣٠).
٣- حاشية تفسير القاضي البيضاوي (١/٢٤ أو ٢٧).

أرض فلاة فلينـاد: يـا عبـاد ا الله احبسـوا علـيَّ دابـتي، فـإن لله في الأرض حـاضراً سيحبسه عليكم)[1].

وقال الإمام النووي رحمه ا الله تعالى أنه جربه هو وبعض أكـابر شـيوخه ووجـد أثره. وجاء في الحديث الشريف أيضاً عن سيدنا عتبـة بـن غـزوان رضـي ا الله عنـه أنـه قال: قال رسول ا الله صلى ا الله عليه وسلم: **(إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرضٍ ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد ا الله أغيثوني، يـا عبـاد ا الله أغيثونـي، فـإن لله تعالى عباداً لا نراهم)**[2] **وقال الحافظ: ولحديث عتبة شاهد من حديث ابن عباس أن النبي صلى ا الله عليه وسلم قال: إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبـون مـا يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة، فليناد: يا عباد ا الله أعينوني**[3].

والإغاثة هنا ليست كإغاثة ا الله لخلقه، إنما هي تعليم وتعريف وإرشاد ومسـاعدة بإذن ا الله.

وفي هذه الأحاديث دلالة على أن ا الله سبحانه وتعـالى قـد خـص عبـاداً بأسـرارٍ وإمدادات ليخدموا بها المؤمنين مهما كان بين الداعي والمجيب مـن مسـافات شاسـعةٍ، وذلك كله بأمر ا الله تعالى، وهذا دليل صريح بجواز طلب المدد من عباد ا الله.

وهذا لايتعارض مع حديث (إذا سألت فاسأل ا الله وإذا استعنت فاستعن با الله)[4] كما مر معنا في التوسل والاستغاثة.

(نظرة) :

وما يقال في معنى المدد وطلبه من ا الله عن طريق الأحياء والمنتقلين، يقال كذلك في معنى (النظرة) فإن من يقول لفظ (نظـرة) وهـو يتوسـل أو يسـتغيث إنمـا يقصـد أن يقول: انظر إلي (يارسول ا الله أو ياولي ا الله) نظرة رحمة وإغاثة واشفع لي عند ربـك أن يقضي حاجتي.

١- أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥١٨)، وأبو يعلى (٥٢٦٩). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٠٥).
٢- أخرجه الطبراني- الفتح الكبير (١/٨٣).
٣- قال الشيخ عبد القادر أرناؤوط:وقال الحافظ: هذا حديث حسن الإسناد،الأذكار للنووي (ص١٩٢).
٤- أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/٢٩٣).

هذا هو نفس معنى (أغيثوني – أعينوني – يا محمد – يا محمداه) وغيرها من الألفاظ التي مرت معنا بصدد الكلام عن الأدلة.

وطالبو المدد من الأنبياء والصالحين لا يدفعهم إلى ذلك إلا اعترافهم بتقصيرهم في أداء ما افترض الله عليهم على الوجه الكامل، وعدم وصولهم لمقامات الإحسان فطلبوا الإمداد والمساعدة من الله بواسطة المصطفين الأخيار والأولياء الأبرار، لما لهم من قوة ومقدرة كبيرة بفضل الله على الطاعة والصدق والصفاء والعبادة والإخلاص والمعرفة بآداب العبودية وما هذا إلا إقتداء بما أمر الله به صحابة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**[1]، فالآية المباركة ترشدنا إلى أدب السؤال والطلب، فأمر أولاً بالمجيئ إلى رسول الله ثم استغفار المذنب بنفسه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعترافه بعدم أهليته للطلب من الله لسواد صحيفته مع الله فيطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له وما ذلك إلا لأن استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم أفضل وأقرب قبولاً منهم لما عنده من إخلاص وصفاء قلب وقوةٍ في الطاعة أعظم مما عند السائل المستغفر، فالسائل يسأل ربه أولاً، ومن ثم يطلب المدد ممن هو أرفع منه اعترافاً بتقصيره وبأنه ليس أهلاً لإجابة دعائه، وبهذا يكون ملتزماً بالكتاب والسنة حالاً ومقالاً.

فقول السائل: مدد يا رسول الله أي استغفر لي وعلمني مما علمك الله بإذن الله، وكذلك إذا قال: مدد يا أولياء الله أي يطلب منهم التوسط له عند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بطلب الشفاعة والمغفرة والإحسان، فكل إنسان مبتدئٍ في أمور الدين والتزكية يحتاج إلى علم من سبقه في هذا المجال.

والذي يذهب إلى الطبيب ويستغيث به بقوله: يا طبيب خلصني من آلامي، هل يكون مخطئاً لأنه يستغيث بإنسان ليمده بالشفاء بواسطة العقاقير،بالطبع لا، لأن الله جعل الوسائط والأسباب بين خلقه، وسعي العباد لكسب الأرزاق، وكذلك معالجة المرأة العاقر بالعقاقير والأدوية، مع العلم يقيناً أن الله سبحانه هو رازق العباد بالأموال

١– سورة النساء الآية (٦٤).

والبنين لاينافي قول ا لله ﴿ويمددكم بأموال وبنين[1]﴾، ومما لاشك فيه أن ا لله سبحانه وتعالى بحكمته قد سخر الخلائق بعضها لبعض، وليفيد بعضها بعضاً بإذنه تعالى، فكل نوع يفيد نوعه، فالشمس تعكس نورها على القمر في الليل، والقمر يعكس ضوءه على الأرض ويقال لهذه الظاهرة: (مدد انعكاس).

فمن هنا نرى بأن الإنسان يستفيد من هذه الأنوار المخلوقة بوسائط ووسائل، فا لله عز وجل قادرٌ أن ينير الأرض بدون شمس ولا قمر وهو ليس بحاجة لهما ولا لغيرهما من مخلوقاته.

قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً﴾[2]، فالشمس والقمر ليسا أعظم من رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم الذي وهبه قوة أعظم من الشمس والقمر، تضيء بنور سراج قلبه عالم القلوب بإذن ربه، لقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى ا لله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[3].

فإن طلب المريد المدد من شيخه ما هو إلا انعكاس قلب الولي الكامل الذي هو أفضل عند ا لله من الشمس والقمر على قلب المريد ولاشك أن الشيخ هو أحد وراث النبي صلى ا لله عليه وسلم حيث قال إن العلماء ورثة الأنبياء وقال في الحديث نفسه (وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب)[4] قال كفضل القمر لأنه صلى ا لله عليه وسلم هو الشمس المضيئة كما أن الشمس تعكس نورها على القمر والقمر يعكس نوره على الأرض كذلك فإن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يعكس نوره على قلوب الأولياء وهم يعكسون ذلك النور على المريدين.

وإذا ثبت الاستمداد بين الجمادات فيما بينها، فكيف ينتفي بين المخلوقات البشرية وا لله خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرم بني آدم؟!

قال المحدث الورع الفقيه الإمام ابن أبي جمرة الأندلسي رضي ا لله عنه في شرحه لحديث الإفك: "... ولهذا المعنى جعل صلى ا لله عليه وسلم لقيا المؤمن لأخيه

١- سورة نوح الآية (١٢).
٢- سورة يونس الآية (٥).
٣- سورة الأحزاب الآية (٤٥-٤٦).
٤- رواه ابن حبان (ج١/٨٨) وأبو داود (٣٦٤١) وابن ماجه (٢٢٣) والدارمي (١/٩٨) وأحمد (٥/١٩٦) والترمذي (٢٦٨٢).

المؤمن ببشاشة الوجه صدقة لأن المؤمن يستمد من أخيه بحسب ما يظهر على ظاهره، كما أن أهل البواطن **يستمدُّ** بعضهم من بعض بحسب ما يكون في بواطنهم..."[1].

وقد أورد الإمام الفقيه محمد أمين أفندي المشهور بابن عابدين في رسالته: (الفوائد المخصصة)، حيث يقول: "... وقد رأيت فيها رسالتين، الأولى لعمدة المحققين فقيه النفس أبي الإخلاص الشيخ حسن الشرنبلي الوفائي رحمه الله تعالى وشكر سعيه، والثانية لحضرة الأستاذ، من جمع بين علمي الظاهر والباطن مرشد الطالبين ومربي السالكين، سيدي عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سرّه، **وأعاد علينا** من بركاته آمين، فأردت أن أذكر حاصل ما في هاتين الرسالتين مستعيناً بالله تعالى، **مستمداً من مدد** هذين الإمامين الجليلين...".

فهذا الإمام الجليل، ابن عابدين الذي لا يخفى على أحد من طالبي العلم الشريف، مكانته العلمية، يستمد من أمداد الصالحين، وهو رحمه الله تعالى يعلم يقيناً أن الذي أمدَّ هؤلاء الأكارم إنما هو الله سبحانه، وهو يطلب مدد ربه بواسطة صلاح وتقوى هؤلاء الأكارم، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً. ومن هنا يتبيّن لنا جواز الاستمداد من الأولياء (أي طلب المدد منهم) بشرط أن يعتقد المَرْء عند الطلب أن ما من شيء يجري في هذا الكون إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وعلمه.

وإن الوليَّ إذا أمدَّ الطالبين، فإنما يمدهم مما أمدَّه الله به، فهو لا يفيد الناس بشيء من دون الله، إنما الضار والنافع في الحقيقة هو الله تعالى، فجميع الفوائد التي ظهرت على أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء رضي الله عنهم من عجائب المعجزات وغرائب الكرامات، ما هي إلا إشارات على نعم المنعم العظيم سبحانه التي أظهرت على يد من أنعم عليه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإن إمداد الله لرسله وأوليائه يكون حسب ما يُريد الله ويشاء، وإمداد الرسل والأولياء لباقي العباد يكون أيضاً حسب ما يريد الله ويشاء، هذا ولم ترد آيةأو حديث بتكفير من يستمد من الأنبياء والصالحين الاستمداد الشرعي الصحيح، ومن ادّعى يلزمه الدليل: **﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾**[2]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١- بهجة النفوس (٣|٦٢-٦٣).

٢- سورة البقرة (١١١).

٤ المولد

قال ا لله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[١]، وقال صلى ا لله عليه وسلم: (إنما بعثت رحمة و لم أبعث لعاناً)[٢]، وقال أيضاً: (إنما أنا رحمة مهداة)[٣] فرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم هو الرحمة العظمى، وقد أذن ا لله لنا بالفرح والسرور بمولد تلك الرحمة، قال تعالى: ﴿**قل بفضل ا لله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**﴾[٤]، فقد قال السيوطي في تفسير هذه الآية ناقلاً عن ابن عباس رضي ا لله عنهما: (**فضل ا لله العلم ورحمته محمد صلى ا لله عليه وسلم**[٥].

وقال تعالى أيضاً: ﴿**وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك**﴾[٦]، يظهر من ذلك أن الحكمة في قصص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاد النبي صلى ا لله عليه وسلم، ولا شك أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو صلى ا لله عليه وسلم.

وإن المولد الشريف يحث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالى: ﴿**إن ا لله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾[٧]، وما كان يبعث على المطلوب شرعاً فهو مطلوب شرعاً.

وقال تعالى: ﴿**قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين**[٨]﴾، فنزول

١- سورة الأنبياء الآية (١٠٧).
٢- ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٢٥٨٣) ورمز لصحته.
٣- أخرجه الحاكم في مستدركه (١/١٠٠).
٤- سورة يونس الآية (٥٨).
٥- الدر المنثور (٢/٣٠٨).
٦- سورة هود الآية (١٢٠).
٧- سورة الأحزاب الآية (٥٦).
٨- سورة المائدة الآية (١١٤).

المائدة اعتبر عيداً لأهل الأرض للأولين والآخرين ليظهروا فرحهم، فما أحرانا أن نفرح بمولده صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة العظمى للعالمين، قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**[1]﴾، إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وقد انتفع به الكافر به صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم اثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى صلى الله عليه وسلم[2] وقال إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري رحمه الله تعالى في كتابه "عرف التعريف بالمولد الشريف": (قد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ماحالك، فقال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل ليلة اثنين بإعتاقي ثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له) فإذا كان أبو لهب الكافر، الذي نزل القرآن بذمه يخفف عنه العذاب كل ليلة اثنين بسبب فرحه بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، فما حال المسلم الموحِّد من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي سُر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم، إنه سيكون له أجر عظيم عند الله عز وجل ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه ... بتبت يداه في الجحيم مخلداً

أتى أنه في يوم الإثنين دائماً ... يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي كان عمره ... بأحمد مسروراً ومات موحداً

وإنه صلى الله عليه وسلم كان يعظم يوم مولده، ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه، إذ سعد به كل موجود، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء في الحديث عن أبي قتادة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: (**فيه ولدت، وفيه أنزل علي**)[3]، وهذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام طعام أو اجتماع

١- سورة الأنبياء (١٠٧)

٢- أخرجه البخاري (٣|٣٦٢) والسهيلي في الروض الأنف (٥|١٩٢) وفتح الباري (١|١٢٤).

٣- أخرجه مسلم (٢٧٣٨)، وأبو داود (٢٤٢٥)، والترمذي (٧٤٩)، والنسائي (٢٣٨٢)، وفي الكبرى تحفة الأشراف (٩|١٢١١٨)، وابن ماجه (١٧١٣)، وأحمد (٥|٢٩٦)، وابن خزيمة (٢٠٨٧)، وابن حبان (٣٦٤٢)، والبيهقي (٤|٢٨٦)، وابن أبي شيبة (٣|٧٨)، والبغوي (١٧٨٩).

على ذكر أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أو سماع شمائله الشريفة.

وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كان فرصة لتذكرها، وتعظيم يومها، لأجلها ولأنه ظرف لها.

وقد أصّل النبي صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة بنفسه كما صح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم: لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له: إنهم يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومون شكراً لله على هذه النعمة، فقال صلى الله عليه وسلم: "نحن أولى بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"[1].

(وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة)، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته والعقيقة لاتعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاده رحمة للعالمين، وتشريع لأمته كما كان يصلي على نفسه كذلك[2].

ويؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في فضل يوم الجمعة، وعدّ مزاياه، وفيه ولد آدم،تشريف الزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين.

ويكون الفرح والسرور أحياناً في ذكرى الإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانية كما يؤخذ تعظيم المكان الذي ولد فيه نبي من أمر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة ركعتين ببيت لحم ثم قال له: **(أتدري أين صليت؟ قال: لا، قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى)**[3].

وإن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون في جميع البلاد، وجرى به العمل في

١- أخرجه البخاري (٣٩٤٣) ومسلم (٢٦٥١) وأبو داود (٢٤٤٤)، وابن ماجه (١٧٣٤)، وأحمد (١|٣٤٠)، والبيهقي (٤|٩٨٩)، والطبراني في الكبير (١٢٤٤٢)، وابن خزيمة (٢٠٨٤)، وابن أبي شيبة (٣|٥٦)، وعبد الرزاق (٧٨٤٣)، والنسائي في الكبرى "تحفة الأشراف" (٥٤٥٠)، والدارمي (١٧٠٨)، والبغوي (١٧٨٢)، والطحاوي (٢|٧٥)، والحميدي (٥١٥).

٢- الحاوي للفتاوى (١|٢٩٢).

٣- أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢|٣٥٦).

كل صقع،فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف: الـذي ذكره أبو نعيم عند ترجمته قال: (**ما رآه المسلمون حسناً فهـو عنـد ا لله حسـن، ومـا رآه المسلمون قبيحاً فهو عند ا لله قبيح**).

وإن معرفة شمائله ومعجزاته وإرهاصاته تستدعي كمال الإيمان به عليـه الصـلاة والسلام، وزيادة في المحبة، إذ الإنسان مطبوع على حب الجميـل، خُلُقـاً وخَلْقـاً، علمـاً وعملاً، حالاً واعتقاداً، ولا أجمل ولا أكمل ولا أفضل مـن أخلاقـه وشمائلـه صلـى ا لله عليه وسلم، وزيادة المحبة وكمال الإيمان مطلوبان شرعاً فما كان يسـتدعيهما مطلـوب كذلك.

وإن الاحتفال بـالمولد إحيـاء لذكـرى المصطفـى صلـى ا لله عليـه وسـلم وذلـك مشروع عندنا في الإسلام، فأنت ترى أن أكثر أعمال الحج إنمـا هـي إحيـاء لذكريـات مشهورة ومواقف محمودة، فالسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والذبح بمنـى كلهـا حوادث ماضية سابقة، يحيي المسلمون ذكراها بتجديد صورتها في الواقع.

وكل ما ذكرناه سابقاً من الوجوه في مشروعية المولد إنما هو في المولد الذي خلا من المنكرات المذمومة التي يجب الإنكار عليها أما إذا اشتمل المولد على شيء ممـا يجـب الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء، وارتكـاب المحرمـات، وكـثرة الإسـراف ممـا لا يرضى به صاحب المولد الشريف صلى ا لله عليه وسلم فهذا لا شك في تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات، لكن تحريمه حينئذ يكون عارضياً لا ذاتياً كما لا يخفـى علـى من تأمل ذلك.

أول من أحدث المولد:

وأول من أحدث ذلك صاحب إربل، الملك المظفر أبو سعيد كوكبري ابن زيـن الدين علي بن بكتكين، أحد الملوك الأمجـاد، والكـبراء الأجـواد.... قـال ابـن كثـير في تاريخه: كان يعمل المولد الشـريف في ربيـع الأول، ويحتفـل بـه احتفـالاً هـائلاً، وكـان شهماً، شجاعاً، عاقلاً، عادلاً رحمه ا لله وأكرم مثواه[1].



١- الحاوي للفتاوى (١/٢٩٢).

أقوال العلماء في مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

١- قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "... فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم"[١].

٢- وقد قال ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى: "والحاصل أن البدعة الحسنة متفق على ندبها، وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك، أي بدعة حسنة".

٣- ومن ثم قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النووي رحمهما الله تعالى: "ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكراً لله على ما منَّ به من إيجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين".

٤- وقال السخاوي: "لم يفعله أحد من السلف في القرون الثلاثة، وإنما حدث بعد، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم"[٢].

٥- وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "من خواصِّه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام"[٣].

٦- وقال السيوطي رحمه الله تعالى: "هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف"[٤].

وقال أيضاً: "يستحب لنا إظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم والاجتماع

١- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، (١/٨٣-٨٤) وذكره ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم.
٢- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، (١/٨٣-٨٤).
٣- السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، (١/٨٣-٨٤).
٤- الحاوي للفتاوى (١/٢٩٢).

وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وإظهار المسرات"[1].

وقال أيضاً: "ما من بيت أو محل أو مسجد قرئ فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم إلا حفت الملائكة أهل ذلك المكان وعمهم الله تعالى بالرحمة والرضوان"[2].

٧- وقال ابن الحاج رحمه الله تعالى: "فكان يجب أن نزداد يوم الاثنين الثاني عشر في ربيع الأول من العبادات والخير شكراً للمولى على ما أولانا من هذه النعم العظيمة وأعظمها ميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم"[3].

٨- وقال الشيخ أحمد زيني دحلان رحمه الله تعالى: "ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد"[4].

٩- وقال الحافظ العراقي رحمه الله تعالى: "إن اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم إلى ذلك الفرح والسرور بظهور نور النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر الشريف، ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروهاً، فكم من بدعة مستحبة بل قد تكون واجبة"[5].

١٠- وقال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: "أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وجنّب ضدها كان بدعة حسنة، وإلا فلا، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى، فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من التلاوة والإطعام وإنشاد

١- الحاوي للفتاوى (١/١٩٦).
٢- الوسائل في شرح المسائل للسيوطي.
٣- المدخل (١/٣٦١).
٤- الدرر السنية ص (١٩٠).
٥- شرح المواهب اللدنية للزرقاني.

شيء من المدائح النبوية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع وكذا ما كان خلاف الأولى"[1].

١١- وقال ابن عابدين في شرحه على مولد ابن حجر: "اعلم أن من البدع المحمودة عمل المولد الشريف من الشهر الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم: وقال أيضاً: فالاجتماع لسماع قصة صاحب المعجزات عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المعجزات وكثرة الصلوات".

١٢- وقال الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر رحمه الله تعالى: "إن إحياء ليلة المولد الشريف، وليالي هذا الشهر الكريم الذي أشرق فيه النور المحمدي إنما يكون بذكر الله تعالى وشكره لما أنعم به على هذه الأمة من ظهور خير الخلق إلى عالم الوجود، ولا يكون ذلك إلا في أدب وخشوع وبعد عن المحرمات والبدع والمنكرات، ومن مظاهر الشكر على حبه مواساة المحتاجين بما يخفف ضائقتهم وصلة الأرحام، والإحياء بهذه الطريقة وإن لم يكن مأثوراً في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد السلف الصالح إلا أنه لا بأس به وسنة حسنة"[2].

١٣- وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى: "وإكراماً لهذا المولد الكريم، فإنه يحق لنا أن نظهر معالم الفرح والابتهاج بهذه الذكرى الحبيبة لقلوبنا كل عام، وذلك بالاحتفال بها من وقتها..."[3].

١٤- وقال المبشر الطرازي[4] رحمه الله تعالى: "إن الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف أصبح واجباً أساسياً لمواجهة ما استجد من الاحتفالات الضارة في هذه الأيام".

١- الفتاوى الكبرى (١/١٩٦).
٢- فتاوى شرعية (١/١٣١).
٣- على مائدة الفكر الإسلامي ص (٢٩٥).
٤- شيخ الإسلام السابق في تركستان.

قصة عتق ثويبة:

يذكر العلماء في كتب الحديث والسيرة قصة عتق أبي لهب لجاريته ثويبة لما أخبرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وأن العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب في النوم بعد وفاته فسأله عن حاله فقال: لم ألق خيراً بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة، وإنه ليخفف علي في كل يوم إثنين[1].

قلت: هذا الخبر رواه جملة من أئمة الحديث والسير، مثل الإمام عبد الرزاق الصنعاني، والإمام البخاري، والحافظ ابن حجر، والحافظ البيهقي، وابن هشام، والسهيلي، والحافظ البغوي، وابن الديبع، والأشخر، والعامري، وسأبين ذلك بالتفصيل:

فأما الإمام عبد الرزاق الصنعاني فقد رواه في المصنف (٤٧٨/٧)، وأما الإمام البخاري فقد رواه في صحيحه بإسناده إلى عروة بن الزبير مرسلاً في كتاب النكاح باب ﴿**وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم**﴾[2]، وأما ابن حجر فقد ذكره في الفتح وقال: إنه رواه الإسماعيلي من طريق الذهلي عن أبي اليمان، ورواه عبد الرزاق عن معمر وقال: وفي الحديث دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، لكنه مخالف لظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾[3]، وأجيب أولاً بأن الخبر مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولاً فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعد فلا يحتج به، وثانياً على تقدير القبول، فيحتمل أن يكون ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصاً من ذلك، بدليل قصة أبي طالب أنه خفف عنه فنقل من الغمرات إلى الضحضاح، وقال البيهقي: ما ورد من بطلان الخير للكفار فمعناه أنهم لا يكون لهم التخلص من النار ولا دخول الجنة، ويجوز أن يخفف عنهم من العذاب الذي يستوجبونه على ما ارتكبوه من الجرائم سوى الكفر بما عملوه من الخيرات.

١- أخرجه البخاري (٥١٠١) في النكاح، والسهيلي في الروض الأنف (١٩٢/٥)، فتح الباري (١٢٤/١).
٢- سورة النساء الآية (٢٣).
٣- سورة الفرقان الآية (٢٣).

وأما عياض فقال: انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، وإن كان بعضهم أشد عذاباً من بعض، قلت: وهذا لا يرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي، فإن جميع ما ورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه؟ وقال القرطبي: هذا التخفيف خاص بهذا وبمن ورد النص فيه، وقال ابن المنير في الحاشية: هنا قضيتان: أحدهما محال وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مفقود من الكافر، والثانية: إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلاً من الله تعالى، وهذا لا يحيله العقل، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبى لهب لثويبة قربة معتبرة، ويجوز أن يتفضل الله عليه بما شاء كما تفضل على أبي طالب، والمتبع في ذلك التوقيف نفياً وإثباتاً.

قلت وتتمة هذا أن يقع التفضل المذكور إكراماً لمن وقع من الكافر البر له ونحو ذلك والله أعلم[1].

وأما الحافظ عبد الرحمن بن الديبع الشيباني صاحب الأصول فقد رواه في سيرته وقال معلقاً: "قلت: فتخفيف العذاب عنه إنما هو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبي طالب لا لأجل العتق، لقوله تعالى: ﴿**وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾[2]."[3]

وأما الحافظ البغوي فقد رواه في شرح السنة (٩/٧٦).

وأما العامري فقد رواه في بهجة المحافل، وقال شارحه الأشخر، قيل: هذا خاص به إكراماً له صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبي طالب بسببه، وقيل لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيراً[4].

وأما السهيلي فقد رواه في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام وقال بعد نقل الخبر: فنفعه ذلك وهو في النار كما نفع أخاه أبا طالب أن هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب، وإلا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف أي لا يجده في ميزانه،

١- فتح الباري (٩|١٤٥).
٢- سورة هود الآية (١٦).
٣- حدائق الأنوار في السيرة (١|١٣٤).
٤- شرح البهجة ١٠|٤١).

ولا يدخل به جنة[1].

وحاصل البحث أن هذه القصة مشهورة في كتب الأحاديث وفي كتب السير، ونقلها حفاظ معتبرون معتمدون، ويكفي في توثيقها كون البخاري نقلها في صحيحه المتفق على جلالته ومكانته، وكل ما فيه من المسند صحيح الثبوت بلا خلاف، حتى المعلقات والمرسلات فإنها لا تخرج عن دائرة المقبول، ولا تصل إلى المردود، وهذا يعرفه أهل العلم المشتغلون بالحديث والمصطلح.

ثم إن هذه المسألة من المناقب والفضائل والكرامات التي يذكرها العلماء في كتب الخصائص والسير، ويتساهلون في نقلها، ولا يشترطون فيها الصحيح بالمعنى المصطلح عليه، ولو ذهبنا إلى اشتراط هذا الشرط لما أمكننا ذكر كثير من حوادث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعد البعثة مع أنك تجد كتب الحفاظ الذين عليهم العمدة وعلى صنيعهم المعول، والذين منهم عرفنا ما يجوز وما لا يجوز ذكره من الحديث الضعيف تجد كتبهم مملوءة بالمقطوعات والمراسيل وما أخذ عن الكهان وأشباههم في خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن ذلك مما يجوز ذكره في هذا المقام.

أما قول من قال: إن هذا الخبر يعارض قوله تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً**﴾، فهذا قول مردود بما قاله العلماء ونقلناه عنهم سابقاً، وتحرير الكلام في هذا المقام هو أن الآية تدل على أن أعمال الكفار لا ينظر إليها وليس فيها أنهم سواء في العذاب، وأنه لا يخفف عن بعضهم العذاب كما هو مقرر عند العلماء، وكذلك الإجماع الذي حكاه عياض، فإنه في عموم الكفار، وليس فيه أن الله تعالى لا يخفف العذاب عن بعضهم لأجل عمل عملوه، ولهذا جعل الله تعالى جهنم دركات، والمنافقون في الدرك الأسفل منها.

ثم إن هذا الإجماع يرده النص الصحيح، ولا يصح إجماع مع مخالفة النص كما هو معلوم للطلبة، وذلك أنه ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس حين سأله عن عمه أبي طالب وما هو جزاؤه إذ كان يحوطه ويغضب له فقال: "إنه

1- الروض الأنف (٥/١٩٢).

لفي ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل"[1].

فها هو أبو طالب قد نفعه دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك من غمرات النار إلى ضحضاح منها.

فالتخفيف عن أبي لهب من هذا الباب أيضاً لا منكر فيه، والحديث يدل على أن الآية المذكورة فيمن لم يكن لهم عمل يوجب التخفيف، وكذلك الإجماع، وفي حديث أبي طالب المذكور دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم يتصرف الآن وقبل يوم القيامة في أمور الآخرة، ويشفع لمن تعلق به ودافع عنه.

وأما قول من قال: إن هذا الخبر رؤيا منام لا يثبت بها حكم، فإن هذا القائل، هداه الله للصواب، لا يفرق بين الأحكام الشرعية وغيرها، أما الأحكام الشرعية فإن الخلاف واقع بين الفقهاء: هل يجوز أخذ الأحكام وتصحيح الأخبار برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أم لا؟

وأما غيرها فإن الاعتماد على الرؤيا في هذا الباب لاشيء فيه مطلقاً، وقد اعتمد عليها الحفاظ وذكروا ماجاء في رؤيا أهل الجاهلية قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذرة بظهوره وأنه سيقضي على الشرك وما هم عليه من فساد وكتب السنة مملوءة بهذا، وفي مقدمتها كتاب دلائل النبوة وعدّوها من الإرهاصات التي لا مانع من الاستدراك في شأنها بالرؤيا ولولا ذلك لما ذكروها.

فقول القائل في شأن رؤيا العباس: إنها ليست بحجة ولا يثبت بها حكم ولا خبر، خروج عن عمل الأمة من الحفاظ وغيرهم، والمراد به التهويل لا غير، وما هكذا يكون شأن الباحث عن الحق والأمر لله.

وأما من قال: إن الرائي والمخبر هو العباس في حال الكفر، والكفار لا تسمع شهادتهم ولا تقبل أخبارهم، فإن هذا القول مردود، لا رائحة للعلم فيه، وهو باطل، ذلك لأنه لم يقل أحد أن الرؤيا من باب الشهادات مطلقاً، وإنما هي بشارة لا غير فلا يشترط فيها دين ولا إيمان بل ذكر الله تعالى في القرآن معجزة يوسف عليه السلام عن رؤيا ملك مصر وهو وثني لا يعرف ديناً سماوياً مطلقاً، ومع ذلك جعل الله تعالى رؤيته المنامية من دلائل نبوة يوسف عليه السلام، وفضله، وقرنها بقصته، ولو كان ذلك لا

١- أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب ذكر النار حديث (٤٢).

يدل على شيء لما ذكرها الله تعالى، لأنها رؤيا مشرك وثني لا فائدة فيها لا في التأييد ولا في الإنكار.

ولهذا ذكر العلماء أن الكافر يرى الله تعالى في المنام ويرى في ذلك ما فيه إنذار له وتوبيخ وتقريع، والعجب كل العجب من قول القائل: إن العباس رأى ذلك في حال كفره والكفار لاتسمع شهادتهم ولاتقبل أخبارهم، فإن هذا القول يدل على عدم المعرفة بعلم الحديث إذ المقرر في المصطلح أن الصحابي أوغيره إذا تحمل الحديث في حال كفره ثم روى ذلك بعد إسلامه أخذ ذلك عنه، وعمل به، وانظر أمثلة ذلك في كتب المصطلح لتعرف بُعد صاحب هذا عن العلم وإنما الهوى هو الذي حمل المعترض على الدخول فيما لا يتقنه[١].

القيام في نهاية المولد:

مفهوم خاطئ: يظن بعض من يحضر المولد النبوي ويقوم مع القائمين أن الناس يقومون معتقدين أن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل إلى المجلس في تلك اللحظة بجسده الشريف حقيقة، وأن البخور والطيب الذي يوضع هو له، فهذه الظنون باطلة لا أصل لها.

نعم نحن نعتقد أنه صلى الله عليه وسلم حي حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، وإن روحه جوالة في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن تحضر مجالس الخير، وكذلك أرواح الأولياء والصالحين من أتباعه، وقد قال مالك: "بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت"، وقال سلمان الفارسي: "أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت"[٢].

وإن القيام في المولد ليس سنة ولا واجباً، وإنما هي حركة جرت عادة الناس بها واستحسن ذلك من استحسنه من أهل العلم، يقول البرزنجي مؤلف أحد الموالد النبوية مانصه: وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه صلى الله عليه وسلم غاية مرامه ومرماه".

ويقول أيضاً:

١- مفاهيم يجب أن تصحح ص (٣١٥) وما بعدها.
٢- الروح لابن القيم ص (١٤٤).

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى قياماً على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأي مقام فيه يذكر بل دان

فأنت تراه يقول: "وقد سن أهل العلم" ولم يقل سن النبي صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدون، ولم يقل: "سنة مطلقة"، بل قال: "وقد سن أهل العلم" وبعدها يقول: "بتشخيص ذات المصطفى" أي أن هذا القيام لتصور شخص النبي صلى الله عليه وسلم في الذهن، وهذا التصور شيء محمود ومطلوب بل لا بد من أن يتوفر في ذهن المسلم الصادق في كل حين ليكمل اتباعه له صلى الله عليه وسلم، وتزيد محبته فيه صلى الله عليه وسلم ويكون هواه تبعاً لما جاء به، فالناس يقومون احتراماً وتقديراً لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام، وهو أمر عادي كما تقدم ولذلك فإن من لم يقم لا شيء عليه، ولا يكون آثماً شرعاً.

فالقيام كما قدمنا أمر استحسنه العلماء شرقاً وغرباً، والقصدية تعظيم صاحب المولد، وجرى به العمل في سائر البلاد وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن كما مر في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي: وقد وجد القيام عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الأمّة ومقتدى الأئمة ديناً وورعاً، الإمام تقي الدين السبكي، اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره، فأنشد قول البوصيري في مدحه صلى الله عليه وسلم:

قليل لمدح المصطفى الخطّ بالذهب على ورق من خطّ أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جثيّاً على الركب

فعند ذلك قام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير بذلك المجلس، ويكفي مثل ذلك في الاقتداء[1].

١- السيرة الحلبية (١/٨٣-٨٤)، والسيرة النبوية لزيني دحلان، ص (٥١).

كيفية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ليست له كيفية مخصوصة، لا بد من الالتزام وإلزام الناس بها، بل إن كل ما يدعو إلى الخير ويجمع الناس على الطاعة ويرشدهم إلى ما فيه منفعتهم في دينهم ودنياهم، يحصل به تحقيق المقصود من المولد النبوي، ولذلك فلو اجتمعنا على شيء من المدائح التي فيها ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم وفضله وجهاده وخصائصه و لم نقرأ قصة المولد النبوي التي تعارف الناس على قراءتها واصطلحوا عليها حتى ظن بعضهم أن المولد النبوي لا يتم إلا بها، ثم استمعنا إلى بعض المواعظ والإرشادات وقراءة القرآن الكريم، فإن ذلك داخل تحت الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

شبهات وردت حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

الشبهة الأولى: قول القائل: إن الاحتفال بالمولد لم يفعله السلف و لم يكن في الصدر الأول، فهو بدعة محرمة يجب الإنكار عليها.

فالجواب على ذلك: أنه ليس كل ما لم يفعله السلف و لم يكن في الصدر الأول فهو بدعة محرمة، ولو كان الأمر كذلك لحرم جمع أبي بكر وعمر وزيد رضي الله عنهم القرآن وكتبه في المصاحف خوفاً على ضياعه بموت الصحابة القراء رضي الله عنهم، ولحرم جمع عمر رضي الله عنه الناس على إمام واحد في صلاة القيام مع قوله: "نعمت البدعة هذه[1]"، وحرم التصنيف في جميع العلوم النافعة، واتخاذ الربط، والمدارس والمستشفيات والإسعاف ودار اليتامى والسجون.. بل يجب أن يعرض ما أحدث على أدلة الشرع فما اشتمل على مصلحة فهو واجب، أو على محرم فهو محرم، أو على مكروه فهو مكروه، أو على مباح فهو مباح، أو على مندوب فهو مندوب، وللوسائل حكم المقاصد، فكل ما تشمله الأدلة الشرعية و لم يقصد بإحداثه مخالفة الشريعة و لم يشتمل على منكر فهو من الدين، ومن ثم قيد العلماء حديث (كل بدعة

١- أخرجه البخاري (٢٠١٠)، ومالك (١/١١٤-١١٥).

ضلالة)[١]، بالبدعة السيئة، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء"[٢].

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً، فهو البدعة الضالة، وما أحدث من الخير و لم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمود).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "البدعة في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة، ويدل على ذلك أيضاً قول سيدنا عمر رضي الله عنه السابق: "نعمت البدعة هذه"[٣].

الشبهة الثانية: قول القائل: إن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول، وهو نفس الشهر الذي توفي فيه، فلماذا يكون الفرح بولادته ولا يكون الحزن بوفاته؟..

والجواب على ذلك: كما قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: أن ولادته عليه الصلاة والسلام أعظم النعم علينا ووفاته أعظم المصائب لنا والشريعة حثت على إظهار شكر النعم والصبر والسكوت والكتم عند المصائب، وقد أمر الشرع بالعقيقة عند الولادة، و لم يأمر عند الموت بذبح ولا بغيره، فدلت قواعد الشريعة على أنه يحسن في هذا الشهر إظهار الفرح بولادته صلى الله عليه وسلم دون إظهار الحزن.

الشبهة الثالثة: قول القائل: إن الاحتفال بمولده نوع من الإطراء والتقديس له صلى الله عليه وسلم مما يؤدي إلى رفع مقامه عن كونه بشراً وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بنَ مريم. فإنما أنا عبد الله ورسوله)[٤]

١- أخرجه أحمد (٤/١٢٦-١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣)، والدارمي (٩٥)، والبغوي (١٠٢)، والحاكم (١/٩٥-٩٦)، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٦/٥٤١) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/٦٩)، والآجري في "الشريعة" ص (٤٦) وابن عاصم (٢٧).

٢- أخرجه مسلم (٢٣٤٨)، والنسائي (٢٥٥٣)، وأحمد (٤/٣٥٧)، مختصراً والترمذي (٢٦٧٥)، وابن ماجه (٢٠٣).

٣- تهذيب الأسماء واللغات للنووي- (١/٢٢).

٤-أخرجه أحمد (١/١٥٣).

فالجواب: أن هذا الاستدلال غير صحيح لأن الإطراء المنهي عنه هو المشابه لإطراء النصارى بأن المسيح هو ابن الله، حاشاه تعالى من ذلك، أما إطراء النبي صلى الله عليه وسلم في الاحتفال بمولده فلا يعدو عن ذكر فضائله النبوية، وأخلاقه المحمدية، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم أناس من الصحابة، وأثنوا عليه في حياته وبعد مماته، و لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على أحد منهم ذلك بل وربما أيدهم، فهذا كعب بن زهير لما قال أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة: (**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول**) وأتمها، نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خلع عليه عباءته وألبسه إياها جزاءً لصنيعه، وهذا عبد الله بن رواحة يقول مادحاً النبي صلى الله عليه وسلم:

**وفينا رسول الله يتلو كتابه		إذا انشق معروف من الصبح ساطع**

**أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا		به موقنات أن ماقال واقع**

وكذلك استقبال أهل المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منشدين: طلع البدر علينا... فهل كان مدح هؤلاء الصحابة وغيرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وثنائهم عليه أمراً مخالفاً للشرع؟ وإذا كان كذلك فهل يسكت عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا كان صلى الله عليه وسلم يرضى عمن مدحه فكيف لا يرضى عمن جمع شمائله الشريفة؟!

كبار علماء الأمة ومصنفاتهم في المولد النبوي الشريف:

❋**الحافظ محمد بن أبي بكر بن عبد الله القيسي الشافعي** المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المولود سنة (٧٧٧) هـ، المتوفى سنة (٨٤٢) هـ، قال عنه الحافظ ابن فهد في لحظ الألحاظ ذيل تذكرة الحفاظ: هو إمام مؤرخ له الذهن الصافي السليم، تولى مشيخة أهل دار الحديث بالأشرفية بدمشق. وترجم الحافظ جمال الدين عبد الهادي الحنبلي في كتابه (الرياض اليانعة)، لابن ناصر الدين، وقال معظماً للشيخ ابن تيمية محباً له مبالغاً في محبته قد صنف في المولد النبوي الشريف أجزاء عديدة ذكرها صاحب كشف الظنون ص (٣١٩)، ومنها جامع الآثار في مولد النبي المختار، ومنها اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق.

❋**الحافظ العراقي:** وهو الإمام الكبير عبد الرحيم بن حسين بن عبد الرحمن المصري الشهير بالحافظ العراقي، المولود سنة (٧٢٥)، المتوفى سنة (٨٠٨)هـ، برع في الحديث والإسناد والحفظ وهو العلامة الحجة، صنف مولداً شريفاً سماه (المورد الهني في المولد السني) ذكره ضمن مؤلفاته.

❋**الحافظ السخاوي:** وهو محمد بن عبد الرحمن القاهري المعروف بالسخاوي، المولود سنة (٨٣١)، المتوفى سنة (٩٠٢)هـ بالمدينة المنورة، وترجم له الشوكاني في كتابه البدر الطالع، وقال عنه: من الأئمة الكبار، وقال عنه ابن فهد: لم أرَ في الحفاظ المتأخرين مثله، وقال عنه الشوكاني: لو لم يكن له من التصنيف إلا كتاب (الضوء اللامع)، لكان دليلاً على إمامته، وقال صاحب كشف الظنون: للحافظ السخاوي جزء في المولد الشريف.

❋**الحافظ ملا علي القاري بن سلطان بن محمد الهروي:** المتوفى سنة (١٠١٤)هـ، صاحب شرح المشكاة، ترجم له الشوكاني في (البدر الطالع) وقال: أحد مشاهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والإفهام، وقد صنف في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم كتاباً، قال صاحب كشف الظنون: اسمه (المورد الروي في المولد النبوي).

❋**الحافظ ابن كثير:** وهو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير، قال الذهبي في المختص: الإمام المحدث البارع ثقة متقن محدث متفنن، وترجم له العسقلاني في كتابه (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) فقال: اشتغل بالحديث ومتونه ورجاله، وأخذ عن ابن تيمية، ففتن بحبه وامتحن بسببه، كثرت تصانيفه في البلاد، صنف الإمام ابن كثير مولداًنبوياً طبع أخيراً بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

الحافظ ابن الديبع: وجيه الدين بن عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني اليمني الزبيدي الشافعي، والديبع بلغة السودان: هو لقب جده الأعلى، ولد في محرم سنة (٨٦٦)هـ وتوفي يوم الجمعة ثامن رجب الفرد سنة (٩٤٤)هـ، وكان أحد أئمة الزمان، حدث بالبخاري أكثر من مائة مرة، وصنف مولداً مشهوراً حققه الشيخ محمد علوي المالكي حفظه الله.

٥ التبرك

معاني البركة:

للبركة معان شتى تختلف باختلاف سياقها من الآية أو الحديث أو الأثر أو الموضوع، ومن معانيها الزيادة والنماء وهما يشملان المحسوسات والمعنويات جميعاً، والحقيقة أن البركة سرّ إلهي وفيض زاده الله تعالى ونمّى به أعمال البر بملازمة القربات الكريمة، فكانت البركة بهذا ثمرة من ثمرات العمل الصالح، يحقق الله بها الآمال، ويدفع السوء، ويفتح بها مغالق الخير من فضله، فالبركة بهذا المعنى لون من الرحمة والفضل الرباني، والخير الشامل، والفائدة واللطف الخفي الذي يحبو به الله أعمال أوليائه وأحبابه الأبرار، ثم إن الله تعالى بارك القرآن في ذاته فقال: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك**﴾[1]، وبارك المنازل فقال: ﴿**وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً**﴾[2]، وبارك اسمه الكريم فقال: ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**﴾[3]، وبارك الله الأسرة النبوية من سيدنا إبراهيم فقال: ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت**﴾[4]، وتبارك في نفسه تعالى فقال: ﴿**تبارك الله رب العالمين**﴾[5]، وبركاته كثيرة جداً في جميع ما خلق سبحانه وتعالى.

ولما كان (التبرك بالشيء) هو طلب البركة بذلك الشيء من الله تعالى،

١- سورة ص الآية (٢٩).
٢- سورة المؤمنين الآية (٢٩).
٣- سورة الرحمن الآية (٧٨).
٤- سورة هود الآية (٧٣).
٥- سورة الأعراف الآية (٥٤).

(والبركة) هي الزيادة والنماء، كان معنى التبرك بآثار الصالحين طلب الزيادة من الخير من الله عز وجل بجاههم ومنزلتهم عنده.

ولقد تكلم كثير من فقهاء المذاهب الأربعة في كتبهم الفقهية عن التبرك في مناسبات عديدة وأقرّوه بشرط أ ن لايتجاوز حدود الشريعة الإسلامية، واستعمل هؤلاء الفقهاء أنفسهم التبرك تأسياً بسلفهم الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم -وعنا بجاههم.

والتبرك في الحقيقة ليس هو إلا توسلاً إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرَّك به سواء أكان أثراً أو مكاناً أو شخصاً، أما الأعيان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذنه تعالى.

وأما الآثار والأماكن فلأنها منسوبة إلى تلك الأعيان فهي مشرفة بشرفها، ومكرمة ومعظمة ومحبوبة لأجلها.

التبرك بسور القرآن الكريم

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ (كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيده لبركتها)[1].

وفي رواية: قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات)[2].

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (فاسترقوا لها فإن بها نظرة)[3] أي اطلبوا لها من يرقيها.

وعنها أيضاً رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (بها نظرة فاسترقوا لها)[4] يعني بوجهها صفرة.

١-أخرجه البخاري (٥٧٤٨) ومسلم (٥٦٧٩) وأبو داود (٣٩٠٢) وابن ماجه (٣٥٢٩) ومالك في كتاب العين رقم (٩٩).
٢- أخرجه مسلم (٥٦٧٨).
٣- أخرجه البخاري (٥٧٣٩).
٤- أخرجه مسلم (٥٦٨٩).

التبرك بقبر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

عن داود بن أبي صالح قال: (أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ -يقول:(لاتبكوا على الدين إذا وَلِيَه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله)[1].

والحديث فيه التجاء أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ وتمسحه بقبره الشريف. وقال القاضي عياض: (رؤي ابن عمر رضي الله عنهما واضعاً يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه).

وروى القاضي عياض عن أبي قسيط والعتبي (كان أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد جسّوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون).

وقال الملا علي القاري شارح الشفا: رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري[2].

وروى ذلك الشيخ ابن تيمية أيضاً عن الإمام أحمد أنه رخّص في التمسح بالمنبر والرمانة، وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك. ا.هـ[3].

ولما حضرت -الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه عبد الله: (انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم بأمير المؤمنين، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، قال: فاستأذن وسلّم، ثم دخل عليها وهي تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، فقال: ارفعوا، فأسنده رجل إليه، فقال: مالديك؟ قال: الذي تحب ياأمير المؤمنين أذنت،

١- أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٥٧١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
٢- (ج٣/ ٥١٨).
٣- اقتضاء الصراط المستقيم ص (٣٦٧).

فقال: الحمد لله ما كان شيء أهم إليَّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فاحملوني، ثم سلم وقل يستأذن عمر فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين)[1].

وقال إبراهيم الحربي: (يستحب تقبيل حجرة النبي ﷺ)

وقال صاحب غاية المنتهى الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي ما نصه: (ولا بأس بمس قبر بيد لاسيما من ترجى بركته)

وقال المرداوي في الإنصاف ما نصه: (يجوز لمس القبر من غير كراهية).

وقال السمهودي في وفاء الوفاء ما نصه: (لما قدم بلال رضي الله عنه من الشام لزيارة النبي ﷺ أتى القبر فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه).

وقد ورد أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر وأن بلالاً رضي الله عنه وضع خديه عليه).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل يد الآدمي).

وسئل الإمام أحمد عن تقبيل منبر النبي ﷺ وقبره فلم يرَبه بأساً[2].

ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية :جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين.

ونقل الطيب الناشري عن المحب الطبري أنه يجوز تقبيل القبر ومسه،وقال : وعليه عمل العلماء الصالحين[3].

التبرك بشعره ﷺ:

ومن حديث أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، وقال للحلاق: خذ، وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس).

١- أخرجه بطوله البخاري (١٣٩٢).
٢- البداية والنهاية (٢/٨).
٣--المقالات السنية ص (١٢٨-١٢٩).

وقد جاء في رواية حفص بلفظ: (فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم بالأيسر فصنع مثل ذلك)

ومن حديث أنس رضي ا لله عنه أيضاً قال: (لما رمى رسول ا لله ﷺ الجمرة نحر نسكه ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه، فأعطاه أبو طلحة لأم سليم بأمر من النبي ﷺ ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه، فقال: اقسم بين الناس)[1].

وعن محمد بن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس - أو من قبل أهل أنس، فقال: (لأن تكون عندي شعرة منه أحب إليّ من الدنيا وما فيها).

وعن عثمان بن عبدا لله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء، فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي ﷺوكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مِخْضَبَةً. قال: فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراء)[2].

قال الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد بينه وكيع في مصنفه فقال: (كان جلجلاً من فضة صيغ صوناً لشعرات النبي ﷺ التي كانت عند أم سلمة، والجلجل- هو شبه الجرس يتخذ من الفضة أو الصفر أو النحاس، وقد تنزع منه الحصاة التي تتحرك فيه فيوضع فيه -ما يحتاج إلى صيانته.[3]

وقال الإمام العيني: وبيان ذلك على التحرير: أن أم سلمة رضي ا لله عنها كان عندها شعرات من شعر النبي ﷺ حمر في شيء مثل الجلجل، وكان الناس عند مرضهم يتبركون بها، ويستشفون من بركتها، ويأخذون من شعره ويجعلونه في قدح من الماء، فيشربون الماء الذي فيه الشعر، فيحصل لهم الشفاء، وكان أهل عثمان أخذوا منها شيئاً وجعلوه في قدح من فضة فشربوا الماء الذي فيه فحصل لهم الشفاء ثم أرسلوا عثمان بذلك القدح إلى أم سلمة، ووضعته في الجلجل، فاطلع عثمان في الجلجل، فرأى فيه شعرات

١- أخرجه مسلم (٣١٤٢)، وأبو داود (١٩٨٢)، والترمذي (٩١٢)، وأحمد (٣|١١١)، والحميدي (١٢٢٠)، وابن خزيمة (٢٩٢٨)، والنسائي في الكبرى تحفةالأشراف (١٤٥٦)، والبغوي (١٩٦٢)، وابن حبان (٣٨٧٩)، والبيهقي (٥|١٣٤) وفي رواية عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره أخرجه البخاري (١٧١).

٢- أخرجه البخاري (٥٨٩٦) ورواه مسلم (١|٨٣).

٣- كذا في فتح الباري (١|٣٥٢).

حمراء.

قوله: (وكان إذا أصاب الإنسان إلى آخره) كلام عثمان بن عبدا لله بن موهب: أي كان أهلي كذا فسره الكرماني، وقال بعضهم: وكان إذا أصاب الإنسان: أي منهم، والذي قاله الكرماني أصوب يبين به أن الإنسان إذا أصابه عين أو شيء من الأمراض بعث أهله إليها. أي إلى أم سلمة، مِخْضَبَة -بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة-وهي الإجانة ويجعل فيها ماءً وشيئاً من الشعر المبارك، ويجلس فيها فيحصل له الشفاء، ثم يرد الشعر إلى الجلجل)[1].

وعن جعفر بن عبد ا لله بن الحكم أن خالد بن الوليد قد فقد قلنسوة له يوم اليرموك. فقال: اطلبوها فلم يجدوها-فقال: اطلبوها فوجدوها فإذا هي قلنسوة خلقة أي ليست بجديدة فقال خالد: اعتمر رسول ا لله ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر)[2].

وفي سير أعلام النبلاء للذهبي[3] ما نصه: (قال عبد ا لله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه يقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء البارد ويشربه ويستشفي به، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه.

وقد ثبت أن عبد ا لله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النبي ﷺ ويمس الحجرة النبوية، فقال: لا أرى بذلك بأساً).

وفي البداية والنهاية لابن كثير ما نصه: (قال أحمد: فعند ذلك قال لي: يعني قال له المعتصم حين طالبه بالقول بخلق القرآن فامتنع أحمد لعنك ا لله، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه واخلعوه واسحبوه، قال أحمد: فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا أنظر، وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ

١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨/٧٩).

٢- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٤٩) وابن حجر في المطالب العالية (٤/٩٠) وفيه يقول خالد (فما وجهت من جهة إلا فتح لي).

٣- سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢) وروى القصة ابن الجوزي في مناقب الأمام أحمد.

مصرورة في ثوبي فجروني منه وصرت بين العاقبين)[1].

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى في طهارة الشعر: (إن النبي ﷺ فرق شعره بين أصحابه. قال أنس: لما رمى النبي ﷺ جمرة العقبة ونحر نسكه، ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناوله شقّه الأيسر قال: (احلقه)، وأعطاه أبا طلحة فقال: (اقسمه بين الناس)[2].

التبرك بعرقه ﷺ:

عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن سيدتنا أم سليم رضي الله عنها(كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقيل عندها على ذلك النطع، قال: فإذا نام النبي ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته في قارورة ثم جمعته في سك وهو نائم، قال: فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل في حنوطه من السك قال: فجعل في حنوطه)[3].

وفي رواية :(دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا، فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ فقال: أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله من طيبنا وهو من أطيب الطيب)[4].

وفي رواية: (عرق فاستنقع عرقه على قطعة أديم عتيدة فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها فأفاق، فقال: ما تصنعين؟ قالت: نرجوا بركته لصبياننا، فقال: أصبت)[5].

وفي رواية أبي قلابة: (فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال: ما هذا ؟ قالت عرقك أدوف به طيبي)[6].

ويستفاد من هذه الروايات إطلاع النبي ﷺ على فعل أم سليم وتصويبه ولا معارضة بين قولها إنها كانت تجمعه لأجل طيبه، وبين قولها للبركة، بل يحتمل على أنها

١- البداية والنهاية (١٠/٣٣٤).
٢- تقدم تخريجه ص (١٥٧).
٣- أخرجه البخاري (٦٢٨١).
٤- أخرجه مسلم (٦٠٠٩)، وأحمد (٣/١٣٦)، وعبد بن حميد (١٢٦٨).
٥- أخرجه مسلم (٦٠١٠)، وأحمد (٣/٢٢١)..
٦-أخرجه مسلم (٦٠١١)، وأحمد (٦/٣٧٦) وأدوف بمعنى أَبُلُّ به طيبي.

كانت تفعل ذلك للأمرين معاً)[1].

التبرك بجلده الشريف ﷺ:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رضي الله عنه رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم فطعنه رسول الله -ﷺ- في خاصرته فقال: أوجعتني قال صلى الله عليه وسلم: اقتص قال: يا رسول الله إن عليك قميصاً،ولم يكن عليّ قميص، قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه فجعل يقبل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي يارسول الله! -أردت هذا)[2].

وعن حبان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية رضي الله عنه حليف بني عدي بن النجار، وهو مستنصل من الصف أي خارج فطعنه في بطنه بالقدح وقال: استو يا سواد. فقال يا رسول الله! أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف رسول الله ﷺ عن بدنه، فقال: استقد، فاعتنقه، فقبل بطنه فقال: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله! حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير)[3].

وعن الحسن أن النبي ﷺ لقي رجلاً مختضباً بصفرة وفي يد النبي ﷺ جريدة. فقال النبي ﷺ: خط ورس، فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال: ألم أنهك عن هذا؟ فأثر في بطنه دماً أدماه، فقال: القود يا رسول الله! فقال الناس: أمن رسول الله ﷺ تقتص؟ فقال: ما لبشرة أحد فضل على بشرتي، فكشف النبي ﷺ عن بطنه ثم قال: اقتص، فقبل الرجل بطن النبي ﷺ وقال: أدعها[4] لك أن تشفع لي يوم القيامة)[5].

وكان النبي -ﷺ- يقول: (زاهر باديتنا ونحن حاضرته، وكان ﷺ يحبه، فمشى ﷺ يوماً إلى السوق فوجده قائماً، فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحسّ زاهر بأنه رسول الله. قال: فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء بركته).

١- فتح الباري الجزء الحادي عشر ص (٧٢).
٢- أخرجه أبو داود (٥٢٢٤) والحاكم (٣/٢٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٥٧).
٣- أخرجه ابن إسحاق كذا في البداية(٣/٢٧١).
٤- وقوله-أدعها لك: أي أترك المقاصصة.
٥- أخرجه عبد الرزاق (٩/٤٦٦)، وكذا في الكنز (١٥/٩١).

وفي رواية: (فاحتضنه من خلفه ولايبصره فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لايألوما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه ـ فجعل رسول ا لله ﷺ يقول: من يشتري العبد فقال له زاهر: يا رسول ا لله! إذاً تجدني كاسداً. فقال ﷺ: (أنت عند ا لله غالٍ).

وفي رواية أخرى: (لكن عند ا لله لست بكاسد أو قال: أنت عند ا لله غالٍ)[1].[2]

التبرك بلباسه أو بجبته ﷺ:

عن سيدنا سهل بن سعد رضي ا لله عنه في البردة التي استوهبها من النبي ﷺ، فلامه الصحابة به على طلبها فقال: (رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ، لعلي أكفن فيها)[3].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي ا لله عنهما قالت: هذه جبة رسول ا لله ﷺ كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها)[4].

قال الإمام النووي رحمه ا لله تعالى في شرحه على الصحيح (١٤/٤٤): (وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم).

وفي شرح الإحياء للحافظ الزبيدي[5] ما نصه: (عن الشعبي قال: حضرت عائشة رضي ا لله عنها: وهي تقول (إني قد أحدثت حدثاً ولا أدري ما حالي عنده فلا تدفنوني معه فإني أكره أن أجاور رسول ا لله ﷺ ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقة من قميص رسول ا لله ﷺ فقالت: ضعوا هذا على صدري وادفنوها معي لعلي أنجو من عذاب القبر).

١- أخرجه أحمد (٣/١٦١)، والترمذي في الشمائل (٢٣٩)، وأبو يعلى (٣٤٥٦)، والبزار (٢٧٣٥)، والبيهقي (٦/١٦٩)، والبغوي (٣٦٠٤) وعبد الرزاق في المصنف (١٩٦٨٨) وابن حبان (٥٧٩٠) والهيثمي في المجمع (٩/٣٦٨-٣٦٩) وصححه الحافظ في الإصابة (١/٥٢٣).

٢- المواهب اللدنية(١/٢٩٧).

٣- أخرجه البخاري (٦٠٣٦).

٤- أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة (٣/١٤٥).

٥- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١٠/٣٣٣).

وقال الحافظ الزبيدي في الإتحاف[1] ما نصه:

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية إذ قال: (أيها الناس إن من زرع قد استحصد، وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو شر مني كما كان من قبلي خيراً مني، ويا يزيد -يعني ولده- إذا وفى أجلي فولّ غسلي رجلاً لبيباً، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم اعمد _أي أقصد_ إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراظة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني).

التبرك بموضع فمه ﷺ:

عن سيدنا أبي بردة قال: قدمت المدينة فلقيني عبد الله بن سلام، فقال لي: (انطلق إلى المنزل فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله ﷺ وتصلي في مسجده)[2].

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل إلى أم سليم وفي البيت قربة معلقة فشرب من فيها -أي من فم القربة- وهو قائم. قال أنس: فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا)[3].

والمعنى: أن أم سليم قطعت فم القربة الذي هو موضع شربه ﷺ واحتفظت به في بيتها للتبرك بأثر النبي ﷺ.

التبرك بيده وبموضعها ﷺ:

عن محمد بن عبد الملك بن أبي محذورة عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله علمني سنة الأذان، قال: فمسح مقدم رأسه قال: (تقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ترفع بها صوتك... الحديث[4]

وفي رواية: (فكان أبو محذورة يجزُّ ناصيته لا يفرقها لأن النبي ﷺ مسح

١- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (١٠/٣٢١).
٢- أخرجه البخاري (٧٣٤٢).
٣- أخرجه أحمد (٢٢/٧٠).
٤- أخرجه أحمد (٣/٤٠٨، ٤٠٩) و أبو داود (٥٠٠) والنسائي (٦٣٢) وابن حبان (١٦٨٢) والبيهقي في السنن (١/٣٩٤) والبغوي في "شرح السنة"(٤٠٨) وابن خزيمة في صحيحه (٣٧٨).

عليها)[1].

وعن صفية بنت مجرأة: (أن أبا محذورة كانت له قصة في مقدمة رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض. فقالوا له: ألا تحلقها؟ -فقال: إن رسول الله ﷺ مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت).

وعن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة، قال موسى: وحدثني نافع أن ابن عمر كان يصلي في تلك الأمكنة)[2].

وعن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع قال: فلما صلى الصبح انحرف جالساً فاستقبل الناس بوجهه، وذكر قصة الرجلين الذين لم يصليا، قال: ونهض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهضت معهم وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلدهم قال: فما زلت أزاحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فوضعها إما على وجهي أو على صدري، قال: فما وجدت شيئاً أطيب ولا أبرد من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وهو يومئذ بمسجد الخيف.

وفي رواية: ثم ثار الناس يأخذون بيده ويمسحون بها وجوههم[3].

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا وغمس يده فيها فربما جاؤوا في الغداة الباردة فيغمس يده فيها[4].

وعن نافع أن عبدالله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي يشرف الروحاء، وقد كان عبد الله يعلّم المكان الذي صلى فيه النبي ﷺ يقول: ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى، وأنت ذاهب إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك)[5].

١- رواه أبو داود (٥٠١).
٢- أخرجه البخاري (٤٨٣).
٣- أخرجه أحمد (٤/١٦١).
٤- أخرجه مسلم (٥٩٩٦).
٥- أخرجه البخاري (٤٨٥).

التبرك بموضع قدمه ﷺ:

عن أبي مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه، وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ)[1].

التبرك بالأمكنة:

قال العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى: (يتأكد ندب احترام نحو المدارس والربط ومحال العلماء والصلحاء، وكل محل علم أنه ﷺ نزله أو صلى فيه، فله فضل عظيم على غيره على ممر الدهر، فيتأكد الاعتناء به بتحري نزوله والتبرك به كما كان ابن عمر وغيره رضي الله عنهم يفعلون بعد وفاته ﷺ)[2].

وما يقال من أن أمير المومنين عمر رضي الله عنه قطع شجرة بيعة الرضوان لتحريم التبرك بقبور الأنبياء والصالحين فليس في ذلك دليل لهم:

فإنه محمول على أنه تخوف أن يأتي زمان قد يعبد الناس تلك الشجرة وليس مقصوده تحريم التبرك بآثار الرسول، ولو كان الأمر كما ظنوا ما كان ابنه عبد الله ينزل تحتها أي تبركاً، وكان يسقيها الماء كي لاتيبس)[3] ولاشك أن عبد الله بن عمر أفهم بسيرة أبيه من غيره.

التبرك بدار مباركة:

عن محمد بن سوقة عن أبيه قال: (لمابنى عمرو بن حريث داره أتيته لأستأجر منه فقال ما تصنع منه؟ فقلت: أريد أن أجلس فيه وأشتري وأبيع قال: قلت: لأحدثك في هذه الدار بحديث، إن هذه الدار مباركة على من سكن فيها مباركة على من باع فيها واشترى، وذلك أني أتيت النبي ﷺ وعنده مال موضوع فتناول بكفه منه دراهم فدفعها إلي وقال: هاك ياعمرو هذه الدراهم حتى تنظر في أي شيء تضعها. فإنها دراهم أعطانيها رسول الله ﷺ فأخذتها ثم مكثنا ما شاء الله حتى قدمنا الكوفة فأردت شراء دار، فقالت لي أمي: يابني إذا

١ –-أخرجه النسائي (١٧٢٧).
٢ – الفتاوى الكبرى لابن حجر. (٢/١١٩).
٣ – أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧٠٧٤).

اشتريت داراً وهيأت مالها فأخبرني، ففعلت، ثم جئتها فدعوتها فجاءت والمال موضوع فأخرجت شيئاً معها فطرحته في الدراهم ثم خلطتها بيدها، فقلت: يا أمه! أي شيء هذه؟ قالت: يابني! هذه الدراهم التي جئتني بها فزعمت أن رسول الله ﷺ أعطاكها بيده، فأنا أعلم أن هذه الدار مباركة لمن جلس فيها، مباركة لمن باع فيها واشترى)[1].

التبرك بفضل وضوئه صلى الله عليه وسلم:

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء، ورأيت بلالاً أخرج وضوءاً فرأيت الناس يتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل صاحبه[2] وفي رواية (شهدت النبي صلى الله عليه وسلم بالبطحاء وأتى بلال بفضل وضوئه فابتدره الناس فنلت منه شيئاً)[3].

التبرك بتقبيل يد من مسّ رسول الله ﷺ:

عن عبد الرحمن بن رزين قال: (مررنا بالربوة فقيل لنا ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فأتينا فسلمنا عليه فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين نبي الله ﷺ فأخرج كفاً له ضخمة كأنها كف بعير، فقمنا إليها فقبلناها)[4].

وعن ابن جدعان: قال ثابت لأنس رضي الله عنه: (أمسست النبي ﷺ بيدك؟ قال: نعم، فقبلها).

وعن صهيب قال: رأيت علياً رضي الله عنه يقبل يد العباس رضي الله عنه ورجله) [5].

وعن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: أعطني يدك أقبلها، فأعطانيها فقبلتها)[6].

وعن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين، فدخل عليه

١- أخرجه أبو يعلى (٤|١١١).
٢- أخرجه البخاري (٣٧٦) ومسلم (٥٠٣) وأحمد (٤|٣٠٨).
٣- أخرجه النسائي (١٣٧).
٤- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٣) وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٤|٣٠٦).
٥- أخرجهما البخاري في الأدب المفرد ص (١٤٤).
٦- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨|٤٢).

واثلة بن الأسقع رضي ا لله عنه، فلما نظر إليه مدّ يده، فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدره لأنه بايع رسول ا لله ﷺ فقال له: (يايزيد! كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن، فقال: أبشر فإني سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: (إن ا لله تعالى يقول: أنا عند ظنِّ عبدي بي، إن خيراً فخير وإن شراً فشر)[1].

وعن ثابت قال: (كنت إذا أتيت أنساً يخبر بمكاني فأدخل عليه وآخذ يديه وأقبِّلهما وأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول ا لله ﷺ وأقبِّل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول ا لله ﷺ)[2].

تبرك الخلفاء الراشدين بحربة استعملها النبي ﷺ:

عن الزبير رضي ا لله تعالى عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعد بن العاص وهو مدجج لايرى منه إلا عيناه وهو يكنى: أبا ذات الكرش فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات، قال هشام: فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها، قال: عروة: فسأله رسول ا لله ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول ا لله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر، فأعطاه إياها، فلما قبض أخذها، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد ا لله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل)[3].

تبرك الخلفاء الراشدين بخاتم النبي ﷺ والمحافظة عليه:

عن ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: (اتخذ رسول ا لله ﷺ خاتماً من وَرِق وكان في يده ثم كان بعد في يد أبي بكر ثم كان بعد في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع بعد في بئر أريس نقشه محمد رسول ا لله)[4].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه ا لله تعالى: جاء في رواية: (أنه التمس فلم

١- أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/٣٠٦).
٢- ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢/١١١).
٣- أخرجه البخاري (٣٩٩٨)، وقوله في الحديث فحملت عليه بالعنزة: العنزة بفتح النون هي كالحربة.
٤- أخرجه البخاري (٥/٥٥٢٨).

يوجد)[1].

وجاء في رواية ابن سعد: (أنه كان في يد عثمان ست سنين)[2].

وقال العيني: (وبئر أريس حديقة بقرب مسجد قباء)[3].

وهذه البئر صارت معروفة اليوم ببئر الخاتم وهو خاتم رسول الله ﷺ الذي سقط فيها أيام خلافة عثمان، وقد اجتهد ثلاثة أيام في استخراجه بكل ما وجده سبيلاً فلم يَلْقَهُ)[4].

التبرك بآثار الأنبياء السابقين:

عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر الذي كانت تردها الناقة)[5].

وقال النووي في شرحه على هذا الحديث: من فوائد هذا الحديث جواز التبرك بآثار الصالحين.

التبرك بآثار الصالحين:

جاء الإمام السبكي رحمه الله تعالى لزيارة الإمام النووي -رحمه الله تعالى- فوجده قد توفي، فأتى إلى دار الحديث وسأل عن مكان جلوس الإمام النووي فدل عليه فصار يمرغ وجهه ولحيته عليه وأنشد:

وفي دار الحديث لطيف معنى ... أصلي في جوانبها وآوي

لعلي أن أمس بحرِّ وجهي ... مكاناً مسَّه قدم النواوي.

وعن الربيع بن سلمان قال: (إن الشافعي رحمه الله تعالى خرج إلى مصر فقال: لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به وسلمه إلى أبي عبد الله (أحمد بن حنبل) وأتني

١- أخرجه النسائي (٥٢٣٢).
٢- فتح الباري (١٠/ ٣١٣).
٣-- عمدة القاري (٢٢/ ٣١).
٤-- المغانم المطابة في معالم طابه للفيروز آبادي ص (٢٦).
٥-- أخرجه مسلم (٧٣٩١).

بالجواب، قال الربيع: فدخلت بغداد ومعي الكتاب فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصبح، فلما انفتل من المحراب سلمت إليه الكتاب وقلت له: هذا كتاب أخيك الشافعي من مصر، فقال لي أحمد: نظرت فيه؟ فقلت: لا، فكسر الخاتم فقرأ وتغرغرت عيناه فقلت له: إيش فيه يا أبا عبد الله؟ فقال: يذكر فيه أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: (اكتب إلى أبي عبد الله فاقرأ عليه السلام، وقل له: إنك ستمتحن وتُدعى إلى خلق القرآن فلا تجبهم، فسيرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة) قال الربيع: فقلت له: البشارة يا أبا عبدالله، فخلع أحد قميصيه الذي يلي جلده فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر وسلمته إلى الشافعي، فقال: إيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه، فقال الشافعي: ليس نفجعك به ولكن بلّه وادفع إليّ الماء لأتبرك به)[١].

وفي رواية: (قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (لا نبتاعه منك ولا نستهديه، ولكن اغسله وجئنا بمائه، قال: فغسلته، فحملت ماءه إليه فتركته في قنينة، وكنت أراه في كل يوم يأخذ منه ويمسح على وجهه تبركاً بأحمد بن حنبل[٢].

وروي عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به) وإذا كان هذا تعظيمهم لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة؟ أو كيف بآثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)؟!

وجاء في كتاب (الحكايات المنثورة) للإمام الحجة ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى قال: (سمعت الشيخ الإمام أبا محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي يقول: (خرج في عضدي شيء يشبه الدُّمَّل، وكان يبرأ ثم يعود، ودام بذلك زماناً طويلاً، فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى بغداد وهو بهذه الصفة، فمضيت إلى قبر الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه، ومسحت به القبر فبرأ ولم يعد[٣].

والشواهد كثيرة وإنما أردت بما ذكرته الاستشهاد والاستدلال ولم أرد الاستقصاء ومن لم ينفعه القليل لا ينفعه الكثير والله أعلم.

١- أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/أ١٧٠).
٢- أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد بن حنبل ص (٤٥٦).
٣- الحكايات المنثورة (٣٨٣٤).

الخاتمة

والحاصل من هذه الأحاديث والآثار هو أن التبرك به ﷺ وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وكذلك التبرك بالصحابة والصالحين وكل ما هو منسوب إليهم سنة مرغوبة وطريقة محمودة مشروعة، ويكفي في إثبات ذلك فعل خيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتأييد النبي ﷺ لذلك بل وأمره مرةً وإشارته أخرى إلى فعل ذلك، وقد تبين أن كثيراً من الصحابة الكرام كانوا على هذا المسلك كسيدنا ابن عمر والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم - وأم سلمة، وخالد بن الوليد، وواثلة بن الأسقع، وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك، وأم سليم، وأسيد بن حضير، وسواد بن غزية، وسواد بن عمرو، وعبد الله بن سلّام، وأبو موسى، وعبد الله بن الزبير، وسفينة مولى النبي ﷺ وسرة خادم أم سلمة، ومالك بن سنان، وأسماء بنت أبي بكر، وأبو محذورة، ومالك بن أنس وأشياخه من أهل المدينة كسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل والشافعي رضي الله عنهم أجمعين والحمد لله رب العالمين.



٦ الحضرة

❋ **الحضرة** : هي حضور القلب مع ا لله.

❋ **وهي الركن الهام في طريق القوم.**

وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر ا لله عز وجل تحت إمارة الشيخ أو وكيله المسمى بالمقدم، يبدء بتلاوة من القرآن الحكيم، ثم تنشد أناشيد من أقوال العارفين با لله المأخوذة بما فيها من القرآن والسنة وأفهام العلماء با لله مثل الشيخ عبد الغني النابلسي وابن الفارض، ثم تقوم الجماعة للذكر، ويبقون على حالة الذكر حتى يأذن الشيخ أو المقدم بختامها، وبعد ذلك يقرأ أحد الإخوة بعض الآيات من القرآن الحكيم ويتم تفسيرها من قبل الشيخ أو وكيله.

وإن الحضرة منقولة ومتوارثة عن كبار الأشياخ العارفين فهي مقررة في كتبهم ومظهر من مظاهر التصوف في سلوك طريقهم، عند سيدي أحمد الرفاعي، (انظر البرهان المؤيد) والجنيد والجيلاني والشاذلي والشعراني والحاتمي والقشيري وغيرهم رضي ا لله عنهم.

الأصل فيها: ﴿**الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[1].

والاصطلاح على كيفيتها: هو من باب البدعة الحسنة.

❋**وفي كتاب (النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية للشيخ مصطفى حبش المدني)**[2]:

"إن القوم لمّا كان جل قصدهم ذكر ا لله في سائر أوقاتهم أوجب لهم اشتغال أنواره في بواطنهم وأجسادهم، فجعلوا حلقة الذكر والجهر به دواء لحالهم وسبباً لنشاطهم، واستراواحاً لقلوبهم، وزيادة على السير إلى مقصودهم، ولسريان المدد بينهم وجمع الهمة على محبوبهم، وطرداً لداء الكسل والفتور والنوم وسداً لباب الغفلة

١ - سورة آل عمران الآية (١٩١).
٢ - ص (١٧٣).

الموجب للمعاصي، وجعلوا لحلقة الذكر الجهري كيفية وشروطاً وآداباً.... ا.هـ باختصار.

❋ وكل ذلك معروف عند من سلك طريق القوم.

وجواز حلق الذكر شرعاً بشكل جماعي جهراً وقياماً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[1]، فالذين تدل على الجماعة وقياماً تدل على جواز الذكر واقفاً.

وقال تعالى في الذكر الجماعي: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا ا لله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً**﴾[2].

❋ وأما الأحاديث التي وردت في فضيلة الذكر فكثيرة منها مايلي:

قال رسول ا لله ﷺ: (ليبعثن ا لله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، فجثا أعرابي على ركبتيه وقال: يا رسول ا لله حلهم لنا نعرفهم، فقال عليه الصلاة والسلام: هم المتحابون في ا لله من قبائل شتى ومن بلاد شتى يجتمعون على ذكر ا لله)[3].

وقال رسول ا لله ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فقالوا: يا رسول ا لله وما رياض الجنة؟ قال: "حلق الذكر")[4].

وورد في الصحيحين أن النبي ﷺ يقول: (إن لله ملائكة سيارين يتطلبون حلق الذكر فإذا أتوا عليها حفوا بها، فيقول ا لله: غشوهم برحمتي فهم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم).

❋وفي الرواية المطولة: (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فُضْلاً يتبعون مجالس الذكر، فإن وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين سماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم

١ – سورة آل عمران الآية (١٩١).
٢ – سورة الأحزاب الآية (٤١-٤٢).
٣ – أخرجه الطبراني بإسناد حسن وانظر الترغيب والترهيب (٢/٤٠٦-٤/٢١)..
٤ – أخرجه أحمد (٣/١٥٠) والترمذي (٣٥١٠) وقال حديث حسن غريب وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٤٠٧-٤٠٨).

الله عز وجل وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض، يسبحونك ويهللونك ويحمدونك، وفي رواية البخاري ويمجدونك ويسألونك...)[1].

❋**ويستفاد من هذا الحديث أيضاً**: أن المقصود من الذكر هو ما فسرته الملائكة من التسبيح والتهليل والتحميد وليس المراد العلم كما يظنه بعض المسلمين.

وعن سيدنا معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟)، قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: (آلله ما أجلسكم إلا ذاك)، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني، أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة)[2].

وعن ثابت البناني قال: (إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإن عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم من شيء).

وقال ﷺ: (ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة...)[3].

وسئل الإمام السيوطي عن حلق الذكر والجهر في المساجد، فقال: لا كراهة فيه وجوز ذلك العز بن عبد السلام والبلقيني وغيرهم كثير[4].

والحضرة: لفظ اصطلح عليه أهل التصوف، ومعنى الحضرة: حضور القلب مع الله تعالى وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم (حلق الذكر) وسماها أيضاً (مجالس الذكر) كما مر معنا، ويأتي أناسٌ يسمونها كذا وكذا، وهذا لا يهم فلا مشاحة في المصطلحات،المهم أن يكون مجلس الذكر أو حلقة الذكر أو الحضرة خالية من المخالفات الشرعية، وربنا سبحانه وتعالى قال: اذكروا الله ذكراً كثيراً، فلم يقيد أحداً بحالة معينة، وقال أيضاً: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾ وبهذه الآية: جعل الذاكرين في راحة كاملة، لم يقيدهم بحالة واحدة، وتكلم بلسان

١ – أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٦٧٨٠) والترمذي (٣٦٠٠)، وأحمد (١/٢٥١).
٢ – أخرجه مسلم (٦٧٩٧)، والترمذي (٣٣٧٩)، والنسائي (٥٤٤١) وأحمد (٤/٩٢).
٣ – أخرجه مسلم (٢٧٠٠)، والترمذي (٣٣٧٨)، وأحمد (٢/٤٤٧)، وأبو يعلى (١٢٥٢)، وعبد الرزاق (٢٠٥٧٧).
٤ – حقيقة الصوفية.

الجمع، فيمكن أن يذكروا الله جماعة قياماً، وقعوداً، وعلى جنوبهم، على حسب الهيئة التي تناسب الذاكرين، ولم يقيدهم بحالة مخصوصة، وبيوم مخصوص، وبساعة مخصوصة، فإذا فتح ربنا باب الذكر على مصراعيه فلماذا يأتي أحدهم ويقيد باب الذكر بحالة مخصوصة...؟.

فالله وحده أعلم وأرحم[1].

ويقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: والذين يتداعون إلى هذه الحلقات ويحضرونها يحتجون بالعموم الذي يدل عليه قول الله عز وجل: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[2].

وهو عموم بيّن لا يخرج عن نطاقه إلا إذا أخرجه نص آخر من طريق الاستثناء والتخصيص.

وكما أنه لم يرد نص بتحديد حالة أو وقت معين له، كذلك لم يرد نص يأمر بتجنب حالة مخصوصة أو وقت محدود له[3].

* والخلاصة:

"أن غالب طرق التربية والإرشاد لا تخلو من الحضرة كمظهر من مظاهرها وذلك للنفع الحاصل فيها، من ذكر الله عز وجل ومراقبته ونزول الرحمات بذكر الصالحين فيها، والإرشاد الحاصل بالسماع والإنشاد، والبركة الحاصلة بالحركة، فهي مما سنه السادات العارفون، ولا دليل لمنكرها، لأن الأصل في الأشياء الإباحة حيث لا تعارض أصلاً، بل هي سبيل لتحريك القلب والتوجه به نحو ربه سبحانه[4].



---

١ - السلفية للدكتور محمد سعيد البوطي ص ١٩٢.
٢ - سورة آل عمران الآية (١٩١).
٣ - كتاب السلفية ص(٩٢).
٤ - كتاب الإبريز (٢/١٨٠).



٧ الحركة في الذكر

تمهيد

ا لله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد، وعندما برزت الأجساد إلى عالم الوجود أودعت تلك الأرواح فيها.

والروح من طبعها السمو والتعالي عن صفات البشرية، بل هي من مرافقات الملأ الأعلى، فمن صفت روحه من شوائب الأغيار، وطهرت من دنس الأوزار، كان قريباً إلى العالم الروحاني الذي لايغفل فيه عن ربه ولايلتفت إلا إليه.

ومن انكسفت أنوار روحه، وغشتها ظلمات الوهم والشهوات، هوى في وادٍ سحيق عميق من أودية البهيمية قال تعالى: ﴿**إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً**﴾[1].

وحينما يقرأ العبد القرآن، أو يذكر ا لله تستمد الروح من ذلك طاقات فعالة، وتكتسب قوة وصفاء، فتهتز في الجسم، وتضطرب شوقاً لمن ألفتهم من يوم ﴿**ألست بربكم**﴾[2].

وهذا هو سبب تحريك الإنسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن، فكأن الروح تشتاق إلى القرب من حضرة ربها إذا سمعت كلامه أو اسمه، فتكاد تلحق بعالمها وأفقها السماوي الروحاني حيث الملأ الأعلى وتتجرد من ظلمة هذا الجسد وتتخلّص من عوائقه، ولكن الذي يعوقها ضعفها وكدورتها والقيود التي قيدها بها الجسد من شهوات وغيرها.

فكم من رجال ملائكيين بأرواحهم، ربانيين بأخلاقهم، لايقدرون على تثبيت

١ - سورة الفرقان الآية (٤٤).
٢ - سورة الأعراف الآية (١٧٢).

أنفسهم أثناء الذكر لشدة اضطراب أرواحهم في أجسادهم، وانفعال نفوسهم، وربما غابوا عن إدراكهم، وسبحت أرواحهم في عالم الملكوت.

قال بعض العارفين: سبب اضطراب الإنسان بالصوت الحسن أن الروح تتذكر لذيذ الخطاب يوم (ألست بربكم) حين أخرجت من صلب آدم وخوطبت بذلك فتحنّ لما تتذكر ذلك[1].

ومن الأمور المسلم بها، أنّ الإنسان يتأثر بالكلمة الطيبة، ويهتز للصوت الرخي، ويطرب للنغمة الحلوة والإيقاع الموزون، ويأسره المنظر البهيج، ولايدري كيف تتم هذه الأمور في نفسه؟ وأين محالها في ذاته؟ فإن أراد التعبير عنها باللغة الموضوعة للتخاطب، جاء تعبيره ناقصاً، وتخونه العبارة إذا أراد أن يفصح عمّا يشعر به إفصاحاً واقعياً لأنها أمور لاتنال إلا بالذوق، ويقف الحس أمامها مبهوتاً حائراً، قد لايستطيع ضبط نفسه عن ذلك التأثير فتصدر عنه أصوات أو حركات دون إرادته، وقد ينتقده الآخرون عليها، وينفعل بذلك ولكنّه لا يملك التحكم بمشاعره وانفعالاته.

وهكذا يستولي حب الذكر على قلب صاحبه استيلاءً قوياً، ويتمكن منهُ تمكناً لايستطيع ضبط نفسه عنده، وهذا ما عبر عنه العلماء (الوجد والتواجد) فالوجد كما قال الشيخ أمين الكردي في (تنوير القلوب): وارد يرد على القلب من كشف أسرار الذات وأنوارها فيدهش الروح أو يظهر ذلك على الجوارح فيهتز الرأس والبدن. قال تعالى: ﴿**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾[3].

فإن صاحب الخشوع القلب، والوَجدَ بذكر الله تعالى قد يغيب عقله عن احترام الناس واعتبار أهل المجلس فيقوم ويقعد ويدور ويتواجد، وربما يسقط على الأرض على حسب قوة استعداده لتحمل الواردات الإلهية عليه، ولا يجوز سوء الظن به ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين**﴾[4].

❋**وقال ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (مدارج السالكين):**

---

١ – تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر ص (٥١).
٢ – سورة الحديد الآية (١٦).
٣ – سورة الأنفال الآية (٢).
٤ – سورة الزمر الآية (٢٢).

الوجد ما يصادفُ القلب ويرد عليه من واردات المحبة والشوق والإجلال والتعظيم وتوابع ذلك، والمواجيد فوق الوجد، فإن الوجد مصادف، والمواجيد ثمرات الأوراد، وكلما كثرت الأوراد قويت المواجيد[1].

ومعنى الوجد: ما يجده الإنسان ويصيبه في قلبه من الأحوال من غير تطلب ولا تكلف.

وقيل: الوجد مكاشفة الأسرار بمشاهدة المحبوب.

وقيل: الوجد نيران الأنس تثيرها رياح القدس.

وقال النصر أباذي: مواجيد القلوب تظهر بركتها على الأبدان ومواجيد الأرواح تظهر بركتها على الأسرار.

وقال الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام): الوجد رقة نفسية، وهزة قلبية، ونهضة روحانية، وهو ما كان يبدو على جملة من أصحاب رسول الله ﷺ وهو البكاء واقشعرار الجلد التابع للخوف الآخذ بمجامع القلوب، وبذلك وصف الله عباده في كلامه حيث قال: ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾[2].

وورد أن النبي ﷺ صعد أُحداً يوماً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فاهتز الجبل فرحاً وتحرك طرباً وزهواً بمن علاه، فضرب رسول الله ﷺ برجله وقال: (اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) وقال:(إن أُحداًجبل يحبنا ونحبه)[3].

إنّ الجبال الرواسي قد طربت واهتزت فرحاً برسول الله ومحبة فيه، فكيف حال المؤمن الصادق الذي وَلِهَ بذكر محبوبه، واستولى حبه على قلبه؟ وعلينا تحسين الظن بالناس وكل أعلم بنفسه ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾[4] ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن**﴾[5][6].

---

١ - مدارج السالكين (٣/٦٥-٦٦).
٢ - سورة الزمر الآية (٢٣).
٣ - أخرجه مطولاً ومختصراً مالك (٢/٨٨٩) في الجامع، والبخاري (٢٨٨٩) و (٢٨٩٣) و (٣٣٦٧) و(٦٣٦٣) و (٧٣٣٣) ومسلم (١٣٩٣)، وأحمد (٣/١٤٠-١٤٩)، والترمذي (٣٩٢٢)، وابن ماجه (٣١١٥)، وعبد الرزاق (١٧١٧٠).
٤ - سورة القيامة الآية (١٤).
٥ - سورة الحجرات الآية (١٢).

❋ أدلة الحركة في الذكر من القرآن الكريم

يقول ا لله تعالى: ﴿**الذين يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[1].

قال الآلوسي في تفسيره "روح المعاني" عند قوله تعالى: (يذكرون ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) بعد كلام طويل[2]: (وعليه فيحمل ما حكي عن ابن عمر رضي ا لله تعالى عنهما وعروة بن الزبير وجماعة رضي ا لله تعالى عنهم، من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون ا لله تعالى، فقال بعضهم، أما قال ا لله تعالى ﴿يذكرون ا لله قياماً وقعوداً﴾ فقاموا يذكرون ا لله تعالى على أقدامهم، على أنّ مرادهم بذلك التبرك بنوع موافقة للآية في ضمن فرد من أفراد مدلولها).

ويقول العلامة الكتاني: (غاية الرقص عند القوم ذكر من قيام، وهو مشروع بنص القرآن الكريم: ﴿**يذكرون ا لله قياماً وقعوداً**﴾. والتمايل والاهتزاز، منقول عن الصحابة، فقد روى أبو نعيم عن الفضيل بن عياض رحمه ا لله تعالى أنه قال: (كان أصحاب رسول ا لله ﷺ إذا ذكروا ا لله تمايلوا كما تتمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم تراجع إلى وراء)[3].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا ا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم**﴾[4].

وقال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: (ذكر ا لله تعالى ثلاث هيئاتٍ لايخلو ابن آدم منها في غالب أمره، فكأنها تحصُرُ زمانه، ومن هذا المعنى قول عائشة رضي ا لله تعالى عنها:(كان رسول ا لله ﷺ يذكر ا لله على كل أحيانه)[5].....

٦ – تنبيه الفكر ص (٥٧).
١ – سورة آل عمران الآية (١٩١).
٢ – تفسير الآلوسي الكبير روح المعاني (٤/١٤٠).
٣ – التراتيب الإدارية للعلامة عبد الحي الكتاني (٢/١٤٣).
٤ – سورة النساء الآية (١٠٣).
٥ – أخرجه مسلم (٨٢٤)، وأبو داود (١٨)، والترمذي (٣٣٨٤)، وابن ماجه (٣٠٢)، وأحمد (٦/٧٠)، وابن خزيمة (٢٠٧)، وأبو يعلى (٤٦٩٩)، والبيهقي (١/٩٠)، وأبو عوانة (١/٢١٧)، والبغوي (٢٧٤)، والبخاري (١/٤٠٧) تعليقاً، وابن حبان (٨٠٢)، وقال: ((قول عائشة: يذكر ا لله على كل أحيانه، أرادت به أن الذكر هو غير القرآن...)).

إلى أن قال: فذاكر الله تعالى على حالاته مثاب مأجور إن شاء الله)[1].[2]

❋ أدلة الحركة في الذكر من السنة الشريفة

١- عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: (أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبداً) فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب بالدرع، وهو يقول: ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** [3]﴾[4].

الشاهد فيه جواز قراءة كلام الله سبحانه وتعالى في حالة الوثب وهو الطفر والقفز، فجواز ذكر الله تعالى في هذه الحالة من باب أولى.

٢- وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد .... إلى أن قالت: وهو ﷺ يقول: (دونكم يابني أرفدة) حتى إذا مللت قال: (حسبك) قلت: نعم، قال: (فاذهبي)[5].

وفي رواية عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله ﷺ ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح. فقال ﷺ: (ماذا يقولون)؟ فقيل: يقولون: محمد عبد صالح)[6].

قال ابن حجر العسقلاني عند شرحه: (دونكم يابني أَرفِدة) : يقولون دونكم بالنصب على الظرفية بمعنى الإغراء والمغرى به محذوف وهو لعبهم بالحراب، وفيه إذن

---

١ - تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٤/٣١٠و٣١١).

٢ - فالاستدلال بعموم الآية الأولى والثانية التي تنص على جواز ذكر الله تعالى (قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) المراد من ذلك أنهم يذكرون الله على كل الأحيان والحالات كما ورد ذلك في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: (كان يذكر الله على كل أحيانه) وهذا من باب إطلاق النصوص وعموماتها، و لم يوجد نص آخر يخصص هذا العموم أو يقيد هذا الإطلاق، فيعمل بالمطلق على إطلاقه، وبالعام على عمومه، حتى يريد نص يخصصه، فإذا لم يرد نص يخصصه لايجوز إخراج فرد من أفراد مدلوله إلا بدليل، وإخراج فرد من أفراده بدون دليل تحكم وتهجم على كتاب الله تعالى وتخصيص له بالرأي دون دليل.

٣ - سورة القمر الآيات (٤٥و٤٦).

٤ - أخرجه البخاري (٣٩٥٣) وفي تفسير ابن كثير (٢/٢٦٦) وأحمد (١/٣٢٩).

٥ - أخرجه البخاري (٩٤٩)، ومسلم (٢٠٦٢).

٦ - أخرجه الإمام أحمد (٣/١٥٢) وابن حبان (٥٨٧٠)، وإسناده صحيح.

وتنهيض لهم وتنشيط)[١].

ونقل العلامة الكتاني بعد أن ذكر عدداً من أحاديث رقص الحبشة قولـه: (فيها دلالة على أنواع من الرقص:

الأول: اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب.

والثاني: فعل ذلك في المسجد.

والثالث: قوله عليه الصلاة والسلام: (دونكم يابني أَرفِـدة). وهـذا أمـر باللعب والتماس له فكيف يقرر كونه حراماً.

والرابع: منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الإنكار والتغيير، وتعليله بأنه يوم عيد أو وقت سرور.

والخامس: وقوفه طويلاً في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها)[٢].

وقال العلامة الكتاني أيضاً: (وحيث لم ينههم بل أقرهم وأغراهم فهو ذكر قصد به التعبد والطاعة وإظهار الفرح بالله وبرسوله ﷺ، فلذلك أقرهم عليه الصلاة والسلام وعجب من فعلهم، ونالواغاية الرضى منه)[٣].

ونقل العلامة الكتاني من قول القاضي عياض ما نصُّه: (فيه أقوى دليل على إباحة الرقص، إذ زاد النبي ﷺ على إقرارهم أن أغراهم. نقله المـوّاق[٤] في سنن المهتدين، والونشر يسي[٥] في المعيار وأقرّاه)[٦].

٣ـ وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: (جاء حبش يَزْفِنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبيه أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا

١- فتح الباري (٢/٤٤٤).
٢ - التراتيب الإدارية (٢/١٤٤و١٤٥). وهو كلام الإمام الغزالي في الإحياء.
٣ - التراتيب الإدارية (٢/١٤٣).
٤ - المواق: هو محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق فقيه مالكي، وكان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته. توفي عام (٨٩٧) هـ.
٥ - الونشريسي هو أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني أبو العباس فقيه مالكي.
٦ - التراتيب الإدارية (٢/١٤٣).

التي أنصرف عن النظر إليهم)[1].

قال النووي في شرح صحيح مسلم عند شرح: (جاء حبش يَزْفِنون في يوم عيد في المسجد: (هو بفتح الياء وإسكان الزاي وكسر الفاء، ومعناه يرقصون، وحمله العلماء على التواثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص)[2].

وقال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: (والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط، ولو كان حراماً لما نظرت عائشة إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون)[3].

٤-عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ في الطريق إلى مكة فمر على جبل يقال له جُمدان فقال: (سيروا هذا جمدان، سبق المفَرِّدون). قالوا: وما المفردون يارسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيراً)[4].

وفي رواية: (يا رسول الله وما المفرِّدون؟ قال: (المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً)[5].

(والمستهترون بصيغة اسم الفاعل: هم المولعون بالذكر المداومون عليه، لا يبالون ما قيل فيهم، ولا فعل بهم)[6].

٥- وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل أحيانه[7].

٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أكثروا ذكر

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٦٣).
٢ - شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٤٨٦) (٤٢٥-٤٢٦).
٣ - إحياء علوم الدين (٢/٣٠٤).
٤ - أخرجه مسلم في صحيحه (٦٧٤٩)، وأحمد (٢/٤١١) (٢/٣٢٣) كما في صحيح ابن حبان (٨٥٨)، والحاكم (١/٤٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣١٤)، والطبراني في الأوسط (٢٧٩٤).
٥ -أخرجه الترمذي (٣٥٩٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٥٩).
٦ - وقد يقول قائل: إن النبي ﷺ والصحابة والتابعين لم يفعلوا ذلك، وعدم فعلهم دليل على عدم جوازه. والجواب على ذلك أنه قد مر إثبات جواز ذلك بالكتاب والسنة قولاً في حديث الحبشة لأنه عليه الصلاة والسلام أغراهم وقال: (دونكم يابني أرفدة) وفعلاً في حديث عائشة: (كان يذكر الله على كل أحيانه) وإقراراً في حديث الحبشة وحجل سيدنا علي وجعفر وزيد ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم كانوا منصرفين للجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام والفتوح، ولم يكن وقتهم متسعاً لفعل كل مفردات هذه الكليات فيكفي أنهم فعلوا بعضها، وأقروا بعضها، وجاء ذكر عمومها في القرآن الكريم.
٧ - مر تخريجه في الباب نفسه.

الله تعالى حتى يقولوا مجنون). وفي رواية: (حتى يقال إنه مجنون)[1] الشاهد فيه أن الذكر لله تعالى إن كان ساكناً لاموجب لقول الناس عنه مجنون لو لم ير بحالة وهيئة تدفع غيره من الغافلين إلى إلقاء تهمة الجنون عليه.

٧- عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (اختصم علي وجعفر وزيد ابن حارثة في ابنة حمزة، فقال لعلي: (أنت مني وأنامنك) فحجل علي، وقال لجعفر بن أبي طالب (أشبهت خَلْقِي وخُلُقِي) فحجل، وقال لزيد بن حارثة: (أنت أخونا ومولانا) فحجل زيد .... الحديث)[2].

قال العلامة الكتاني: (والحجل بحاء فجيم فلام رقص على هيئة مخصوصة)[3].

وقال ابن حجر العسقلاني عند شرح الحديث: (وحجل بفتح المهملة وكسر الجيم أي وقف على رجل واحدة وهو الرقص بهيئة مخصوصة)[4].

وقال فقيه السادة الشافعية بمكة المكرمة العلامة أحمد زيني دحلان رحمه الله تعالى في كتابه المشهور في السيرة النبوية عند ذكره الحديث ما نصه: (فرقص يعني جعفر - رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب، فلم ينكر عليه ﷺ، وجعل ذلك أصلاً لرقص الصوفية عندما يجدون لذة المواجيد في مجالس الذكر والسماع)[5].

٨- وروى أبو نعيم عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تمايلوا يميناً وشمالاً كما تتمايل الشجرة بالريح العاصف إلى أمام ثم إلى وراء)[6].

٩- وعن أبي أُراكة يقول: صليت مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قدر رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: (والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى

---

١ - أخرجه أحمد (٣/٦٨)، وأبو يعلى (١٣٧٦)، وابن حبان (٨١٧)، والحاكم (١/٤٩٩) وصححه، ووافقه الذهبي كما في كشف الخفاء (١/١٨٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٦١) وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل (٣/٩٨٠)،وابن السني (٤)، وعبد بن حميد (٩٢٥).
٢ - أخرجه أحمد (١/١٠٨) و (١/٩٨).
٣ - التراتيب الإدارية (٢/ ١٤٩).
٤ - فتح الباري (٧/ ٥٠٤).
٥ - السيرة النبوية والآثار المحمدية لزيني دحلان على هامش السيرة الحلبية (٢/ ٢٥٢).
٦ - التراتيب الإدارية (٢/١٤١).

اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبراً، بين أعينهم كأمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله ما دوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم...)[1].

أقوال العلماء في الحركة في الذكر

❋ الإمام السيد الكبير أحمد الرفاعي قدس الله سره:

قال رضي الله عنه: القوم سمعوا وطابوا ، ولكنهم سمعوا أحسن القول فاتبعوه، وسمعوا غير الحسن فاجتنبوه، تحلّقوا وفتحوا مجالس الذكر وتواجدوا وطابت نفوسهم وصعدت أرواحهم، لاحت عليهم بوارق الإخلاص حالة ذكرهم وسماعهم، وترى أنَّ أحدهم كا لغائب على حال الحاضر، كالحاضر على حال الغائب، يهتزون اهتزاز الأغصان التي تحركت بالوارد لابنفسها، يقولون: لاإله إلا الله، ولاتنشغل قلوبهم بسواه.

يقولون: الله، ولا يعبدون إلا إياه.

يقولون: هو، وبه لابغيره يتباهون، إذا غنّاهم الحادي يسمعون منه التذكار، فتعلوا همتهم في الأذكار.

ولك أن تقول ياأخي: الذكر عبادة، فما الذي أوجب أن يذكر في حلقته كلام العاشقين وأسماء الصالحين؟

ولكن يقال لك: الصلاة أجلُّ العبادات، يتلى فيها كلام الله، وفيه الوعد والوعيد ويقال في تحية الصلاة: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) ما أشرك المصلي ولا خرج عن بساط عبادته، ولا عن حدِّ عبوديته، وكذلك الذاكر سمع الحادي يذكر اللقاء، فطاب بطلب لقاء ربه:

---

١ – كذا في البداية والنهاية لابن كثير (٨/٦) ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٦)، وابن عساكر في الكنز(٨/ ٢١٩) كما في حياة الصحابة (١/٤٩).

(من أحب لقاءَ ا لله، أحب ا لله لقاءَه)[1].

سمع الحادي يذكر الفِرَاق، فتأهب للموت، وتفرَّغ من حب الدنيا: (حب الدنيا رأس كل خطيئة)[2].

سمع الحادي يذكر الصالحين، فتقرب بحب أحباب ا لله إلى ا لله، هذه من الطرق إلى ا لله التي هي بعدد أنفاس الخلائق:

غنى بهم حادي الأحبة في الدجى   فأطار منهم أنفساً وقلوباً

فأراد مقطوع الجناح بثينة   وهمو أرادوا الواحد المطلوبا

سمَّى القوم الهزَّ بالذكر رقصاً!! إذا كان وارد الهزة من الروح، فنسبة الرقص للروح لا للجسم، وإلا فأين الراقصون؟ وأين الذاكرون؟

طلب هؤلاء حق، وطلب هؤلاء ضلال!

سارت مشرّقة وسرْت مغرّباً   شتان بين مشرِّق ومغرِّب

الراقصون كذّابون، والذاكرون مذكورون، بين الملعون والمحبوب بوْن[3] عظيم، إذا دخلتم مجالس الذكر فراقبوا المذكور واسمعوا بأذن واعية.

إذا ذكر الحادي أسماء الصالحين، فألزموا أنفسكم اتباعهم، لتكونوا معهم (المرء مع من أحبَّ)[4] أوجبوا عليكم التخلق بأخلاقهم، خذوا عنهم الحال، والوجدَ الحقَّ الوجد الحقُّ: وُجدان الحق[5].

فها هو سيد الطائفة قد بين لنا صدق قصد الذاكرين حينما يهتزون في الذكر، متبرّئاً بذلك من كل ما ينسب إليه وإلى أتباعه من الظنون الكاذبة والدعاوي الباطلة.

---

١ – أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٦٧٦١) والترمذي (٢٣٠٩) والنسائي (١٨٣٧).

٢ –أخرجه البيهقي في الحادي والسبعين من الشعب، بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلاً وهو عند أبي نعيم في مكايد الشيطان له عن مالك بن دينار، وقيل:إنه من قول جندب البجلي.

٣ – البَوْن: البعد. (مختار).

٤– رواه البخاري (٦١٦٨) ورواه مسلم (٢٦٤٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ وذكره أبو داود (٥١٢٧) والترمذي (٣٥٣٥) بروايات مختلفة وزيادات عن أنس وأبي موسى وأبي ذر وصفوان بن عسال.

٥ – قال العلامة الشيخ يوسف النبهاني –رحمه الله– في نظمه البديع في مولد الشفيع:

ومن أراد ههنا الإنشاد   فليختر الرشاد لا الفسادا

كذكره الخلاّق والمعَاد   ومدحه النبي والأولادا

وصحبِهِ الأُسدِ وأي أُسد

❋ الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى:

سئل الحافظ ابن حجر المحدث الكبير عن رقص الصوفية وهل له أصل وهل رقص أحد بحضرة الرسول صلوات الله عليه وآله وصحبه؟

قال: نعم، إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي رسول الله ﷺ لما قال له: أشبهت خَلْقي وخُلُقي وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ. فهو في مصطلح الحديث إقرار، والنبي ﷺ لايسكت عن حرام أو مكروه.

وأفتى بجواز الرقص عند سؤال أحد الحاضرين في مجلسه فقال: يجوز الرقص بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله ﷺ،وكان رقصهم بالوثبات والوجد وإنشاد الشعر جائز بين يدي النبي ﷺ، وأصل هذه الطرائق من الكتاب والسنة الحاثين على كثرة ذكر الله والاجتماع على محبة الله، أما سب المشايخ وتكفيرهم فكفر شرعاً بلا خلاف)[١].

❋ الإمام خير الدين الرملي رحمه الله تعالى:

سئل العلامة خير الدين الرملي عما اعتاده الصوفية من حلق الذكر والجهر في المساجد ونشر القصائد وغير ذلك من عوائدهم. فأجاب: إن الأمور بمقاصدها والأعمال بالنيات[٢].

❋ الإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى:

جاء في الحاوي للفتاوي ما يلي: مسألة: في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر، ثم إن شخصاً من الجماعة قام في المجلس ذاكراً واستمر على ذلك الوارد الذي حصل له. فهل له ذلك سواء باختيار أم لا؟ وهل لأحد منعه وزجره من ذلك؟

الجواب: لا إنكار عليه في ذلك، وقد سئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني[٣]، فأجاب بأنه لاإنكار عليه في ذلك، وليس لِمانع التعدي بمنعه

١ - السيف القاطع للسيوطي والإلهامات الإلهية للشيخ محمود أبي الشامات.
٢ - حقيقة الصوفية ص (١٠٨-١٠٩).
٣ - هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص سراج الدين،

ويلزم المتعدي بذلك التعزير، وسئل عنه العلامة برهان الدين الأنباسي فأجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب، والمنكر محروم، ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب... إلى أن قال في أخر جوابه: وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم.

وأجاب أيضاً بمثل ذلك بعض أئمة الحنيفة والمالكية، كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة. أقول: وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً وقد قال الله تعالى: ﴿**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**﴾[1]. وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)[2] وإن انضم إلى هذا القيام رقصٌ أو نحوه فلا إنكار عليهم، فذلك من لذات الشهود أو المواجيد، وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي ﷺ لما قال له: (أشبهت خَلْقي وخُلُقي)[3] وذلك من لذة هذا الخطاب، ولم ينكر عليه النبي ﷺ. فكان ذلك أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد. وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام العز بن عبد السلام[4].

*العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى:

يقول الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى: (وكل حركة في العالم العلوي أو السفلي فأصلها المحبة...

فلولا الحب ما دارت الأفلاك وتحركت الكواكب النيرات، ولاهبت الرياح المسخرات، ولامرت السحب الحاملات، ولاتحركت الأجنة في بطون الأمهات، ولا انصدع عن الحب أنواع النبات، واضطربت أمواج البحار والزاخرات، ولاتحركت المدبرات والمقسمات ولاسبحت بحمد فاطرها الأرضون والسموات ومافيها من المخلوقات)[5].

وقال أيضاً: (والتكلف والتعامل في أوائل الطريق والسلوك لابد منه، إذلايطالب صاحبه بما يطالب به صاحب الحال ومن تأمله بنية حصول الحقيقة لمن رصد الوجد

مجتهد حافظ للحديث ، من العلماء بالدين. ولي قضاء الشام عام (٧٦٩) هـ توفي بالقاهرة عام (٧٨٥) هـ.

١ – سورة آل عمران الآية (١٩١).

٢ – تقدم تخريجه في هذا الباب (١٧٨).

٣ – تقدم تخريجه في هذا الباب (١٨٢).

٤ – الحاوي للفتاوي (٧/ ١٢٨).

٥ – الجواب الكافي لابن القيم الجوزية ص (٣٨).

لايذم، والتواجد يكون بما يتكلفه العبد من حركات ظاهرة)[1].

❁ الإمام النووي رحمه الله تعالى:

ينص الإمام النووي عمدة المذهب الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه (منهاج الطالبين وعمدة المفتين)، بعد أن ذكر عدداً من المحرمات، نفى منها الرقص فيقول مانصه:

(لاالرقص، إلا أن يكون فيه تكسر كفعل المخنث).

فيقول الرملي[2] في كتابه نهاية المحتاج في شرح المنهاج: (لا الرقص) فلا يحرم ولا يكره، لأنه مجرد حركات على استقامة واعوجاج، ولإقراره ﷺ الحبشة في مسجده يوم عيد.

ويقول عند قول النووي: (إلا أن يكون فيه تكسّر[3] كفعل المخنث: بكسر النون، وهذا أشهر وهو أفصح، فيحرم على الرجال والنساء، وهو من يتخلق بخلق النساء حركة وهيئة)[4].

وقال النووي في الروضة: (والرقص ليس بحرام)[5].

وتجدر الإشارة إلى خطأ من وقف عند كلمة: تكسر، وأغمض عينيه عما قبلها وبعدها وفسّر بانثناء الركبة، فلو كان انثناء الركبة محرماً لذاته لحرم الرَّمَل في الطواف والهرولة في السعي، لأنه يتعذّر على الإنسان المشي بدون ثني ركبة، فكلمة "تكسر" استعملها الفقهاء لعدم وجود أي دليل يحرم الرقص مطلقاً من كتاب الله أو السنة المطهرة وإنما علة التحريم هي التشبه بالمخنثين، والعلة تدور مع المعلول وجوداً أوعدماً والفقهاء عرفوا المخنث بأنه من يتخلق بخلق النساء حركة وهيئة. كما ذكره الرملي في

---

١ – مدارج السالكين للإمام ابن القيم الجوزية (٦٩/٣).

٢ – شمس الدين الرملي (٩١٩-١٠٠٤هـ) محمد بن أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي فقيه الديار المصرية في عصره. ومرجعها في الفتوى، يقال له: الشافعي الصغير، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولي إفتاء الشافعية وجمع فتاوي أبيه، وصنف شروحاً وحواشي كثيرة.

٣ – يفسر التكسر بالتثني: وهو أن المرأة من عادتها إذا مشت في بيتها وأمام زوجها أن تتثنى يميناً ويساراً لأجل أن تلفت نظر زوجها إليها بحركاتها كما تلفت نظره إليها بجمالها وبلباسها.

٤ – نهاية المحتاج في شرح المنهاج للرملي (٢٨٣/٨، ٢٨٢).

٥ – روضة الطالبين للإمام النووي (٢٢٩/١١).

نهاية المحتاج.

غير أني لم أجد هذا المعنى المتعسف في أمهات اللغة العربية كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس وغيرها.

وجاء في **المعجم الوسيط**: (ويقال: فلان فيه تخنث وتكسر: تفكك، ورأيته متكسراً: فاتراً). والقاعدة الأصولية تقول: إذا تعارض معنىً شرعي ومعنى لغوي قدم المعنى الشرعي.ولذا فلا يلتفت إلى هذا الادعاء.

❋ الإمام العلامة محمد السفاريني الحنبلي:

(نقل إبراهيم بن عبد الله القلانسي أن الإمام أحمد رضي الله عنه قال عن الصوفية: لاأعلم أقواماً أفضل منهم قيل: إنهم يستمعون ويتواجدون، قال: دعوهم يفرحون مع الله ساعة. قيل: فمنهم من يموت ومنهم من يغش عليه، فقال: وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ذكره العلامة الإمام في الفروع)[1].

❋ الإمام السيد أبو مدين رضي الله عنه:

يقول رحمه الله تعالى في بعض أبياته:

وقل للذي ينهي عن الوجدأهله ... إذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا ... نعم ترقص الأشباح ياجاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفّص يافتى ... إذا ذكر الأوطان حنّ إلى المغنى
يفرج بالتغريد ما بفوائده ... فتضطرب الأعضاء في الحس والمعنى
كذلك أرواح المحبين يافتى ... تهزها الأشواق للعالم الأسنى
أنلزمها بالصبر وهي مشوقة ... وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى
فيا حادي العشاق قم واشد قائماً ... وزمزم لنا باسم الحبيب وروّحنا.

---

١ - غذاء الألباب لمحمد السفاريني (١/١٢٩).

❋ الإمام الشيخ السنوسي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ السنو سي في نصرة الفقير وغيره: (وقد تواتر النقل عن الصوفية قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، أنهم كانوا يجتمعون لذكر ا لله، ويقومون ويرقصون، و لم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين[1] أنه أنكر عليهم. وقد رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب، مع توفّر العلماء فلم ينكر أحد عليهم. وقد بلغني أن شيخنا شيخ الجماعة سيدي التاودي[2] بن سودة كان يحضر معهم في بعض الأحيان)[3].

❋ الإمام العلامة الكتاني رحمه الله تعالى:

يقول الإمام الكتاني رحمه ا لله تعالى في باب رقص الحبشة في المسجد النبوي أمامه عليه الصلاة والسلام مانصه:

(وقال القاضي عياض[4]: فيه أقوى دليل على إباحة الرقص إذ زاد النبي ﷺ على إقرارهم أن أغراهم) نقله المواق في سنن المهتدين والونشريسي في المعيار، وأقرّاه.

وقال أيضاً: (فإن الرقص الذي أثبته الصوفية ليس قصدهم منه اللهو، وحاشاهم من قصد ذلك، وإنما قصدهم به الاجتماع على الذكر، والإقبال عليه بالقلب والقالب، واستغراق الجوارح كلها فيه)[5].

❋ الإمام ابن ليون التّجيبي[6] رحمه الله تعالى:

---

١ – "بل لو استقرأنا تراجم العلماء منذ نشأة التصوف إلى الآن لوجدنا أكثرهم أو كلهم قد اتخذ مبدأ التصوف وعمل به وألف فيه، وكان من أئمته. ولا يعتبر من شذّ لعدم اطلاعه أو لعناده وجهله".

٢ – هو محمد بن الطالب بن علي بن سودة التاودي (١١١١-١٢٠٩هـ) المري الفاسي فقيه المالكية في عصره، وشيخ الجماعة بفاس ذاعت شهرته بعد رحلة قام بها إلى مصر والحجاز.

٣ – الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ص (٢٨٢- ٢٨٣).

٤ – القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون الحصبي السبتي أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبته، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش عام (٥٤٤هـ).

٥ – التراتيب الإدارية (٢/١٤١و١٤٣).

٦ – هو سعيد بن أحمد بن ليون التجيبي، أبو عثمان، فقيه مالكي من علماء الأندلس وأدبائها المتقدمين، له أكثر من مئة مصنف توفي نحو عام (٧٥٠).

وقال ابن ليون التجيبي ما نصّه : (وأما الرقص في المسجد ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنه أنها قالت: (جاء حبش من الحبشة يزفنون يوم عيدهم في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ، فوضعت كفي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم. قال ابن عيينة: فثبت أن الرقص في أصله مباح، ولو كان حراماً لذاته ما رقصوا بين يدي رسول الله ﷺ)[1].

* الإمام العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى:

قال العلامة المرحوم محمد أمين عابدين في حاشيته الشهيرة(رد المحتار على الدر المختار):

بعد كلام مانصه: (وخلاصة ماأجاب به العلامة النحرير ابن كمال باشا بقوله:

مافي التواجد إن حققت من حرج ولا التمايل إن أخلصت من بأسِ

فقمت تسعى على رجلٍ وحق لمن دعاه مولاه أن يسعى على الراسِ

الرخصة فيما ذكر من الأوضاع، عند الذكر والسماع للعارفين الصارفين أوقاتهم إلى أحسن الأعمال، السالكين المالكين لضبط أنفسهم عن قبائح الأحوال، فهم لايستمعون إلا من الإله، ولايشتاقون إلا له، إن ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا، وإن وجدوه صاحوا، وإن شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرة قربه ساحوا إذا غلب عليهم الوجد بغلباته، وشربوا من موارد إراداته، فمنهم من طرقته بوارق الهيبة فخرّ وذاب، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب، ومنهم من طلع عليه الحِب من مطلع القرب فسكر وغاب، هذا ماعنّ لي في الجواب، والله أعلم بالصواب[2].

وميزّ العلامة ابن عابدين في رسالته (شفاء العليل) بين الصوفية الصادقين السائرين على قدم الرسول ﷺ وبين الدخلاء المارقين.وندد بالدخلاءعلى الصوفية، واستعرض بدعهم ومنكراتهم في الذكر، وحذرمنهم ومن الاجتماع بهم ثم قال: (ولاكلام لنامع الصُّدّق من ساداتنا الصوفية، المبرئين من كل خصلة ردية، فقد سئل

---

١ – الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ص (٢٨٢).

٢ – حاشية الدر المختار لابن عابدين (٣/٢٥٩).

إمام الطائفتين سيدنا الجنيد: إن أقواماً يتواجدون ويتمايلون ؟فقال: دعوهم مع الله تعالى يفرحون..... إلى أن قال: ولا كلام لنا مع من اقتدى بهم، وذاق من مشربهم ووجد من نفسه الشوق والهيام في ذات الملك العلاّم، بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة اللئام...[1]

* الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ عبد الغني رحمه الله: (حديث علي صريح بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتحركون حركة شديدة في الذكر، فثبت مطلقاً إباحة الاهتزاز بهذا الأثر على أن الرجل غير مؤاخذ حين يتحرك ويقوم ويقعد على أي نوع كان حيث لم يأت بمعصية و لم يقصدها).

* الشيخ محمد سعيد البرهاني رحمه الله تعالى:

وقال العلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد البرهاني في تعليقاته على الهدية العلائية: (ولا شك أن التواجد هو تكلف الوجد وإظهاره من غير أن يكون له وجد حقيقة ففيه تشبه بأهل الوجد الحقيقي، وهو جائز بل مطلوب شرعاً بقوله ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)[2]. وإنما كان المتشبه بالقوم منهم لأن تشبهه بهم يدل على حبه إياهم، ورضاه بأحوالهم وأفعالهم، وقد قال ﷺ (إن الرجل إذا رضي هديَ الرجل وعمله فله مثل عمله)[3]. وذكر النووي رحمه الله تعالى أن في هذا الحديث فضل حب الله تعالى ورسوله ﷺ وحب الصالحين والأحياء والأموات. إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا إن التشبه بالكرام فلاح ...إلى أن قال: والحاصل أن تكلف الكمال من جملة الكمال، والتشبه بالأولياء لمن لم يكن منهم أمر مطلوب مرغوب فيه على كل حال)[4]

---

١ – مجموعة رسائل ابن عابدين – الرسالة السابقة– شفاء العليل وبل الغليل لخاتمة محققي الحنفية ابن عابدين رحمه الله تعالى ص (١٧٢و١٧٣).

٢ – أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٢٣).

٣ – أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/٩٢٢).

٤ – هامش الهدية العلائية ص (٢٣٣و٢٣٤) باختصار.

الخلاصة

وبعد فهذه الأدلة المستوفية والقاطعة الملزمة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قولاً وفعلاً وتقريراً، وأخبار الصحابة وأعمالهم رضي الله عنهم وأقوال السادة العلماء سلفاً وخلفاً كافية شافية لشرح الصدر بالحركة في الذكر.هذا وبالإضافة إلى أن الأمر بالذكر مطلق يشمل جميع الأحوال، فمن ذكر الله تعالى قائماً أوقاعداً، متحركاًأو ساكناً، ماشياً أو واقفاً فقد قام بالمطلوب، ومن المعلوم أن الحبيب المصطفى ﷺ كان يذكر الله في جميع أحيانه، وأحوال النبي ﷺمن مشي تارة وركوب تارة أخرى ودعوة وغزوات وإلى غير ذلك من أعماله ﷺ كان يذكر الله فيها ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1].

والذي يدّعي تحريم الحركة في الذكر أو كراهتها هو المطالب بالدليل، لأنه يخصص بعض الحالات المطلقة دون غيرها بحكم خاص، وعلى كل حال فإن الغاية من حلقات الذكر هي القيام بنوع من أنواع عبادة الله ألا وهي الذكر الذي استفاضت الأوامر الإلهية به، وإن الحركة في ذلك ليست شرطاً، ولكنها وسيلة للنشاط في تلك العبادة وتشبهاً بأهل الصفاء والوجد مع خلوص النية:

**فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم		إن التشبه بالكرام فلاح**

والحمد لله رب العالمين

١ - سورة الحشر الآية (٧).



عن سيدنا صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه: "أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، قال: لا تقل نبي فإنه إن يسمعك تقول له نبي كانت له أربع أعين -كناية عن شدة سروره لأن السرور يزيد في حدة البصر والله أعلم- فأتيا رسول الله ﷺ فسألا عن قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾[1]، فقال رسول الله ﷺ: (لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا ولا تسحروا، ولا تمشوا ببرئ إلى ذي سلطان -وفي رواية بدون ذي- فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفرّوا من الزحف، وعليكم اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبت)، فقبلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي، قال: (فما يمنعكما أن تسلما؟)، قالا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود)[2].

وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فحاص الناس حيصة[3] فكنت فيمن حاص، **قال:** فلما برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟، قلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها، ونذهب ولايرانا أحد، قال فدخلنا فقلنا، لو عرضنا أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا، قال فجلسنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا: نحن الفرارون فأقبل إلينا فقال: (**لابل أنتم العكارون**[4]) قال فدنونا فقبلنا يده فقال (**أنا فئة المسلمين**)[5].

---

١ – سورة الإسراء الآية (١٠١).

٢ – أخرجه الترمذي (٣١٤٤)، وأحمد (٤/٢٣٩)، وابن ماجه (٢٧٠٥).

٣ – يقال: حاص الرجل إذا حاد عن طريقه أو انصرف عن وجهه إلى جهة أخرى.

٤ – العكارون: العائدون إلى القتال.

٥ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٢)، والترمذي (١٧١٦)، وقال حديث حسن وابن ماجه (٣٧٠٤)، وأحمد (٢/٢٣)، والحميدي (٦٨٧)، والبيهقي (٧/١٠١) مختصراً، وابن أبي شيبة (١٢/٥٣٦)، وأبو يعلى (٥٥٩٧)، وابن سعد (٤/٢/١٠٧).

وعن أم أبان بنت الوارع بن زارع عن جدها زارع رضي الله عنه، وكان في وفد عبد القيس، قال: لما قدمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبي ﷺ ورجله[1].

وعن ابن جدعان، قال ثابت لأنس: "أمسست النبي ﷺ بيدك؟ قال: نعم فقبلها"[2].

وعن سيدنا حبان بن واسع عن أشياخ من قومه رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ عدّل الصفوف يوم بدر وفي يده قدح، فمر بسواد بن غزيَّة فطعن في بطنه، فقال: أوجعتني فأقدني، فكشف ﷺ فاعتنقه وقبّل بطنه، فدعا له بخير[3].

وعن سيدنا جابر رضي الله عنه أن سيدنا عمر رضي الله عنه قبّل يد النبي [4].

وعن الشعبي: "أن زيد بن ثابت رضي الله عنه صلى على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فأخذ بركابها فقال زيد ابن ثابت رضي الله عنه: خل عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبّل زيد بن ثابت يد عبد الله وقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ"[5].

وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنساً رضي الله عنه، يخبر بمكاني فأدخل عليه، فآخذ بيديه فأقبلها فأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مسّتا رسول الله ﷺ، وأقبّل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله [6].

وعن أبي مالك الأشجعي قال: قلت لابن أبي أوفى رضي الله عنه: "ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ، فناولنيها، فقبلتها"[7].

١ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٥)، وفي التاريخ الكبير (٣/٤٤٧) وفي خلق أفعال العباد (٢٨)، وأبو داود (٥٢٢٥)، والطبراني في الكبير (٥٣١٣)، وأحمد (٢/٧٠) وحكم الحافظ في الفتح على الإسناد بأنه جيد (١١/٥٧).

٢ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٤)، وأحمد (٣/١١١).

٣ – أخرجه الإمام أحمد (٢/٤٢٧ – ٤٨٨).

٤ – أخرجه الحافظ ابن المقرئ الأصبهاني في جزء تقبيل اليد مخطوط (١٦٦/ب).

٥ – أخرجه الحاكم (٥٨٠٨) وابن المقرئ في تقبيل اليد (مخطوط ١٦٦/ب).

٦ – ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢/١١١).

٧ – أخرجه الحافظ أبو بكر بن المقرئ الأصبهاني في جزء تقبيل اليد (مخطوط ١٦٦/ب).

وعن سيدنا الوزاع بن عامر رضي الله عنه قال: "قدمنا، فقيل ذلك رسول الله ﷺ فأخذنا بيديه ورجليه نقبّلها"[1].

وعن صهيب قال: رأيت علياً يقبّل يد العباس ورجليه[2].

وقال حيّان أبو النصر: قال لي واثلة بن الأسقع: قدني إلى يزيد بن الأسود فإنه بلغني أنه ألمَّ به -أي مرض- فقدته، فلما دخل عليه قلت: إنه ثقيل، قد وُجِّه إلى القبلة وذهب عقله- غاب من سكرات الموت- فقال: نادوه، فقلت، هذا أخوك واثلة فجعلتها في يده فجعل يقبّل كفه ويضعها مرّة على فؤاده ومرّة على وجهه وعلى فيه".

وعن عبد الرحمن بن رزين قال: مررنا بالرَّبذة، فقيل لنا ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فأتيته فسلمنا عليه، فأخرج يده فقال: بايعت بهاتين نبي الله ﷺ، فأخرج كفاً له ضخمة كأنها كفُّ بعير، فقمنا إليها فقبّلناها"[3].

وجاء في (فتح الباري) للعسقلاني: "أن أبا لبابة وكعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم، قبّلوا يد النبي ﷺ حين تاب الله عليهم"[4].

وقال ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في فتح بيت المقدس على يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: ".. فلما وصل عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء، كخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر، فأشار أبو عبيدة ليقبّل يد عمر، فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكفَّ أبو عبيدة فكفَّ عمر"[5].

من أقوال فقهاء المذاهب الأربعة

المذهب الشافعي: قال العلامة العسقلاني في كتابه (فتح الباري): "قال الإمام النووي: تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه وعلمه أو شرفه أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب فإن كان لغناه، أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا

١ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٥).
٢ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٦).
٣ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٣).
٤ - فتح الباري (١١/٤٨).
٥ - البداية والنهاية (٧/٥٥).

فمكروه شديد الكراهة[1].

وقال العلامة الباجوري في حاشيته: ".. ويسن تقبيل اليد لصلاح ونحوه من الأمور الدينية كعلم وزهد، ويكره ذلك لغنىً ونحوه من الأمور الدنيوية كشوكة ووجاهة [2].

المذهب الحنفي: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته: "ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم المتورع على سبيل التبرك، وقيل: سنة، قال الشرنبلاني: وعلمت أن مفاد الأحاديث سنيته أو ندبه كما أشار إليه العيني"[3].

وقال العلامة الطحطاوي في حاشيته: "... وفي غاية البيان عن الواقعات: تقبيل يد العالم أو السلطان العادل جائز وورد في أحاديث ذكرها البدر العيني... ثم قال: فعلم من مجموع ما ذكرناه إباحة تقبيل اليد..."[4].

وقال العلامة الزيلعي في كتابه (تبيين الحقائق): "... وفي الجامع الصغير: ورخص الشيخ الإمام شمس الأئمة السرخسي وبعض المتأخرين تقبيل يد العالم أو المتورع على سبيل التبرك... وقال سفيان الثوري: تقبيل يد العالم أو يد السلطان العادل سنة"[5].

المذهب الحنبلي: قال العلامة السفاريني في كتابه (غذاء الألباب): "قال المروزي: سألت أبا عبد الله -الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله عن قبلة اليد، فقال: إن كان على طريق التدين فلا بأس، وإن كان على طريق الدنيا فلا".

وقال أيضاً: "وفي الآداب الكبرى: وتباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وتكرماً واحتراماً مع أمن الشهوة".

وقال أيضاً: "وقال الحافظ ابن الجوزي في مناقب أصحاب الحديث: "ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم ويذلّ له، قال: ومن التواضع تقبيل يده، وقبّل سفيان بن عيينة والفضيل بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي والآخر

---

١ – فتح الباري (١١/٤٨).
٢ – حاشية الباجوري (٢/١١٦).
٣ – حاشية ابن عابدين (٥/٢٥٤).
٤ – حاشية الطحطاوي (٩/٢٠).
٥ – تبين الحقائق (٦/٢٥).

رجله".

وقال أيضاً: "وقال أبو المعالي في شرح الهداية: أما تقبيل يد العالم والكريم لرفده فجائز[1]، وقد علمت أن الصحابة قبلوا يد المصطفى ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند قدومهم من غزوة مؤتة"[2].

المذهب المالكي: قال العلامة العسقلاني في كتابه (فتح الباري): "قال الإمام مالك: إن كانت[3] على وجه التكبر والتعظيم فمكروهة، وإن كانت على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز"[4].

الأحاديث المعارضة للتقبيل والجواب عليها

هناك أحاديث تدل بظاهرها على النهي عن التقبيل وهي:

عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: "قال رجل يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم"[5].

وأخرج الطبراني وأبو يعلى وابن عدي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: (دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ، فجلس إلى البزّاز فاشترى سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السوق وزّان، فقال له ﷺ: (زِنْ وأرجح؟) فقال الوزان: إن هذه الكلمة ما سمعتها من أحد، قال أبو هريرة: فقلت له: كفى بك من الوهن والجفاء، ألا تعرف نبيك، فطرح الميزان ووثب إلى يد النبي ﷺ يريد تقبيلها، فجذب يده منه وقال هذا إنما تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك، إنما أنا رجل منكم).

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً: (قبلة المسلم أخاه المصافحة)[6].

---

١ – الرفد: بكسر الراء العطاء والصلة.
٢ – غذاء الألباب (١/٢٨٧).
٣ – أي قبلة يد الرجل.
٤ – فتح الباري (١١/٨٤).
٥ – أخرجه الترمذي (٢٧٢٨).
٦ – أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٦٠٩٠).

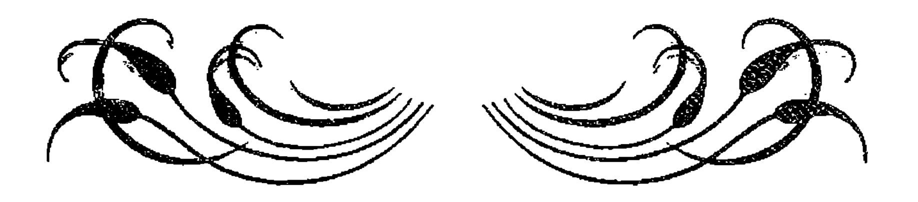
فالجواب على هذه الأحاديث أنها ضعيفة لا تصلح للمعارضة: أما الحديث الأول منها فقد نقل الحافظ العراقي تضعيفه في المغني عن أحمد والبيهقي.

وأما الحديث الثاني: فقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وعن الدارقطني أنه قال: في الإفراد: الحمل فيه على يوسف بن زياد، لأنه مشهور بالأباطيل، ولم يروه عن الإفريقي[1] غيره، وعن ابن حبان أنه قال في الإفريقي: يروي الموضوعات عن الأثبات[2].

وأما الحديث الثالث: فقد قال ابن عدي عنه أنه غير محفوظ، وأعله بأن عَمْرَاً روى عن عمه مناكير.

وبما أن الأحاديث السابقة لم يثبت منها حتى حديث واحد فلا حاجة للعناء في تأويلها.

وفيما ذكرناه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



١ - أحد رواة الحديث.
٢ - أي عن الثقات.



٩ السيادة

ولنبدأ من الأدلة بذكر قول الله عز وجل مطلقاً على سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام لفظ (سيد) حيث قال: ﴿**أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً..**﴾[١]، أفيصح إطلاق لفظ [السيد] على سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام دون سيدنا محمد ﷺ وفضله عليه وعلى بقية الأنبياء وسائر المخلوقات معلوم من الدين بالضرورة؟!.

على أننا لو نظرنا إلى عموم الآيات لوجدناها داعية إلى احترامه وتقديره عليه الصلاة والسلام، ومنها قوله جل جلاله: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾[٢]، وهذا أمر منه جل جلاله، ولئن لم يكن الأمر للوجوب فلا أقل من أن يكون للندب، وما تسويده ﷺ إلا ضرب من أضرب احترامه وتقديره، وقد قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: "كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ" وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير، وقال قتادة: "أمر الله تعالى أن يهاب نبيه ﷺ وأن يجل ويعظم وأن يسوَّد "سيد"، وقال مقاتل ومثله مالك عن زيد بن أسلم "أمرهم أن يشرفوه"[٣].

وأمّا ما ورد من الأحاديث: فها هو ﷺ يطلق على نفسه لفظ السيادة في الدنيا وينبئ عن سيادته يوم القيامة بشكل ظاهر جلي لا يقبل التأويل ولا التبديل فيما ينقله عنه:

١- سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قائلاً: قال رسول الله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)[٤]، وفي رواية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بزيادة: "...

---

١ - الآية (٣٩) من سورة آل عمران.
٢ - الآية (٦٣) من سورة النور.
٣ - تفسير ابن كثير (ج٣/ص٣٠٦).
٤ - رواه الإمام مسلم (٥٨٩٩) وأبو داود (٤٦٧٣)، وأحمد (٢/٥٤٠).

ولافخر"[1].

وفي رواية للبيهقي: "أنا سيد العالمين".

وفي رواية عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: (أنا سيد الناس يوم القيامة)[2].

٢- وعن سيدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: "مررنا بسيل فدخلت فاغتسلت فيه، فخرجت محموماً فنمي ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: مروا أبا ثابت يتعوذ، قال: فقلت يا سيدي والرقى صالحة؟ فقال ﷺ: (لا رقى إلا في نفس أو حمة أو لدغة)[3].

فقد ناداه سيدنا سهل بلفظ يا سيدي و لم ينكر عليه سيدنا محمد ﷺ، وهذا دليل الإقرار، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يقرَّ أصحابه على ما فيه مخالفة شرعية.

٣- هذا وقد صح إطلاقه ﷺ لفظ السيادة على عدد من أصحابه وأتباعه، فمن ذلك ما روته سيدتنا عائشة رضي الله عنها في قصة مجيء سعد بن معاذ ليحكم في بني قريظة قالت: قال ﷺ: (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه...)[4].

قال الخطابي في شرح هذا الحديث: "وفيه من العلم أن قول الرجل لصاحبه: يا سيدي غير محظور إذا كان خيِّراً فاضلاً وإنما جاءت الكراهة في تسويد الرجل الفاجر.

وفي رواية عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (قوموا لسيدكم) من غير لفظة (أنزلوه)[5]، وهذا القيام كان تعظيماً لسيدنا سعد رضي الله عنه و لم يكن من أجل كونه مريضاً وإلا قال: قوموا إلى مريضكم و لم يقل إلى سيدكم، و لم يأمر الجميع بالقيام بل كان يأمر البعض.

---

١ - رواه الإمام أحمد (٣/٢) مطولاً، والترمذي (٣١٤٨) مختصراً، وأخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨).

٢ - رواه الإمام البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (٤٧٩) والترمذي (٢٤٣٤)، وأحمد (٢/٣٣١) وابن ماجه (٣٣٠٧) وفي الشمائل (١٦٧) وابن أبي شيبة (١١/٤٤٤)، وابن خزيمة في التوحيد ص (٢٤٢-٢٤٤) وابن حبان (٦٢٦٥) والبغوي (٤٣٣٢) والنسائي في الكبرى "تحفة الأشراف" (١٠/١٤٩٥٧).

٣ - رواه الإمام أحمد (٣/٤٨٦) وأبو داود (٣٨٨٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٥٧)والحاكم (٤/٤١٣)وقال صحيح وأقره الذهبي.

٤ - رواه الإمام أحمد بسند صحيح (٣/٢٢) والبخاري (٣٠٤٣) وفي الأدب المفرد (٩٤٥) ومسلم (٤٥٧١) وأبو داود (٥٢١٥).

٥ - رواه الإمام البخاري (٣٠٤٣) وأبو داود (٥٢١٥) وأحمد (٣/٢٢).

٤- وعن سيدنا أبي بكرة رضي ا لله عنه قال: (رأيت رسول ا لله ﷺ على المنبر والحسن بن علي على جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا "سيد" ولعل ا لله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[١].

٥- وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً"[٢].

وقال عن سيدنا أبي بكر يوم البيعة: بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فأخذ بيده وبايعه الناس[٣].

٦- وورد في صحيح مسلم أن السيدة أم الدرداء تقول: أخبرني سيدي أبو الدرداء أنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجاب[٤].

٧- وقال رسول ا لله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٥].

٨- وقال رسول ا لله ﷺ: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين[٦].

٩- وقال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام: الحليم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة[٧].

١٠- وقال ﷺ للسيدة الكريمة فاطمة الزهراء رضي ا لله عنها: (أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة[٨].

١١- قال المقبري: كنا مع أبي هريرة رضي ا لله عنه فجاء الحسن بن علي رضي ا لله عنهما فسلّم، فرد عليه القوم، ومضى، ومعنا أبوهريرة لايعلم، فقيل له: هذا حسن بن علي يسلّم، فلحقه فقال: وعليك ياسيدي، فقيل له: تقول: ياسيدي؟ فقال:

---

١ - رواه الإمام البخاري (٣/٣١) والترمذي (٣٧٧٣).
٢ - رواه البخاري (٣/٣٢).
٣ - رواه البخاري (٣/١١).
٤ - رواه مسلم (١٥/٣٩).
٥ - رواه الترمذي (٣٧٦٨) وقال حديث حسن صحيح ورمز له السيوطي بالصحة..
٦ - رواه الترمذي (٣٦٦٤).
٧ - رواه السيوطي في الجامع الصغير (٣٨٣١).
٨ - أخرجه الترمذي (٣٧٨١).

أشهد أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: (إنه سيد)[1].

وحيث أطلق ﷺ لفظ السيد على السيدة فاطمة وعلى سيدنا سعد وسيدنا الحسن والحسين رضي الله عنهما، وسيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وعلى الحليم مطلقاً فإطلاقنا إياها عليه ﷺ أحق وأولى.

ولما مر من الأدلة قال جمهور المتأخرين من علماء أهل السنة والجماعة بجواز إطلاق لفظ السيادة على سيدنا محمد ﷺ، بل قال بعضهم: أنه مندوب وحيث لم يأت ما يخصص هذه الأدلة والنصوص أو تقيدها فإنها تبقى على عمومها وإطلاقها فتشمل جميع الأوقات من صلاة وغيرها.

وها هو الإمام الفقيه ابن عابدين رضي الله عنه يقول في حاشيته موافقة لصاحب الدر وابن ظهيرة والرملي الشافعي في شرحه على منهاج النووي وغيرهم من العلماء قال: "والأفضل الإتيان بلفظ السيادة".

وورد في كتاب الأذكار للإمام النووي رحمه الله تعالى في صفحة (٤): وروينا عن السيد الجليل أبي علي الفضيل بن عياض رحمه الله قال: "ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما".

الشاهد: حقق هذا الكتاب وخرج أحاديثه عبد القادر أرناؤوط: في أسفل ص ٤ رقم (٢) حيث يقول: (٢) فيه إطلاق السيد على غير الله تعالى وهو جائز، وقيل بكراهته إذا كان بأل، وهذا دليل على جواز إطلاق السيد على غير الله تعالى وهذا ما أقره الشيخ عبد القادر أرناؤوط في كتاب الأذكار طبعة ١٩٧١ دار الملاح.

ويستحب أن يقول المصلي في التشهد وفي الصلاة الإبراهيمية "سيدنا" قبل ذكر اسم سيدنا محمد ﷺ، ونقول في الصلاة الإبراهيمية لفظ /سيدنا/ ذلك: لأن السنة لا تؤخذ من فعله ﷺ فقط بل تؤخذ أيضاً من قوله وقد ثبتت السيادة بأحاديث كثيرة من سنة سيدنا محمد ﷺ وقد ناداه الصحابي الجليل ابن مسعود في صيغة الصلاة حيث قال: (إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال: فقالوا له: فعلّمنا قال، قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك

---

١ - أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٩٦) ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (١٥٠٤٩).

على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك... إلخ[١].

واستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور.

وقد جاء في الدر المختار ورد المحتار ما ملخصه: وندب السيادة لأن زيادة الإخبار الواقع هو عين سلوك الأدب فهو أفضل من تركه، ذكره الرملي الشافعي أي في شرحه على منهاج النووي، وذكر ذلك غيره أيضاً ا.هـ.

وزيادة لفظ "سيدنا" فيها تأدب معه ﷺ والله تعالى يقول: ﴿**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾[٢].

والتعزير: التوقير والتعظيم[٣].

فإثباتها مع ورودها في السنة موافق للقرآن الكريم واستدل قوم على ذلك أيضاً بأن التأدب خير من الامتثال وهو استدلال حسن ودلائله من السنة ثابتة في البخاري ومسلم من ذلك قوله ﷺ لسيدنا علي "امح رسول الله" قال سيدنا علي لا والله لا أمحوك أبداً)[٤].

ومنها قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: (ما منعك أن تثبت إذ أمرتك قال: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ)[٥].

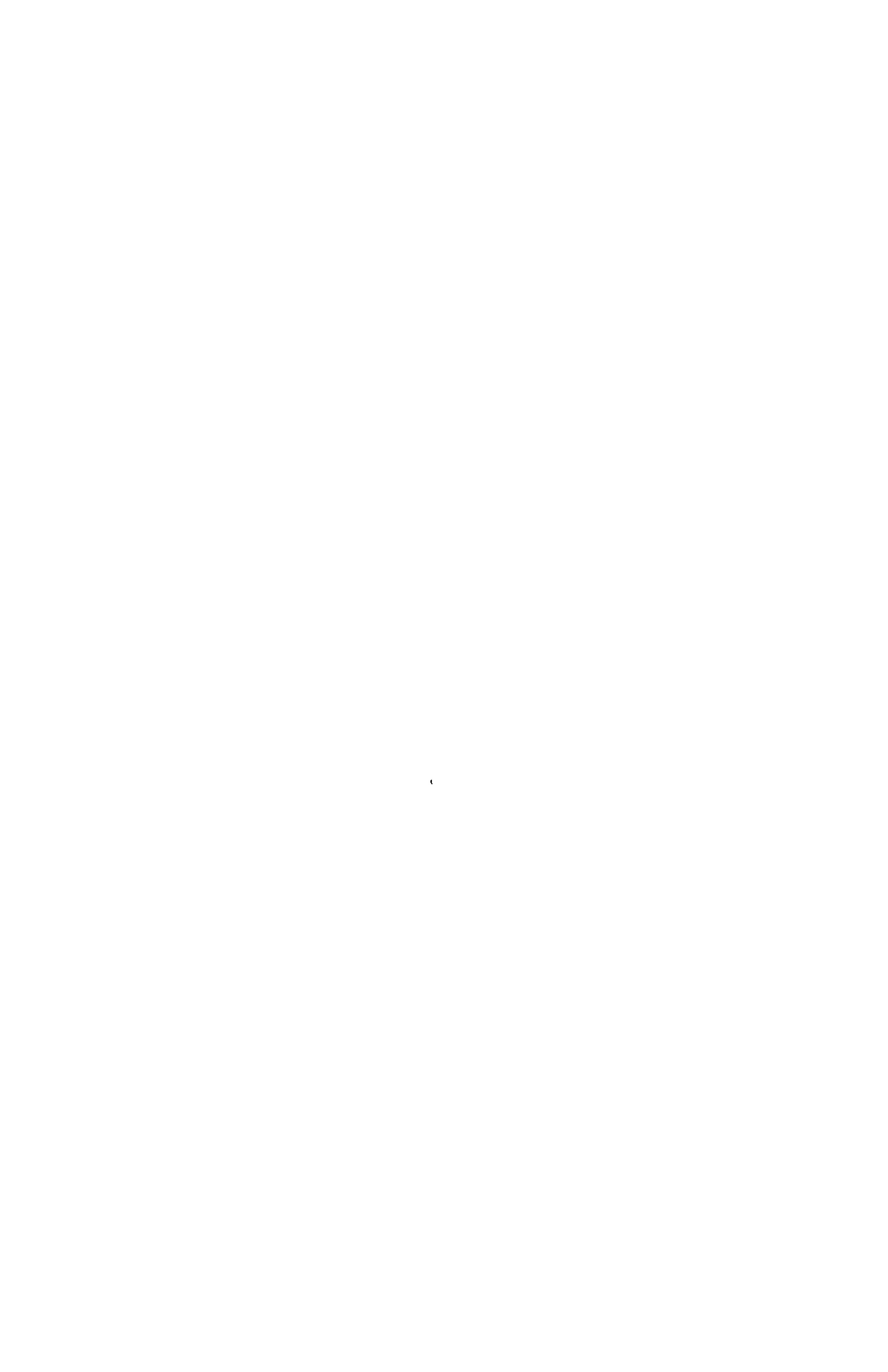
وما يتناقله الناس من قولهم: "لا تسيدوني في الصلاة"، فهو موضوع مكذوب مفترى وليس بحديث قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة لا أصل له.

وهو لحن أيضاً لأنه واوي العين من ساد يسودُ[٦]، فالأصح أن تقول (تسودوني).

وفي هذا القدر كفاية لمن يقبل الدليل والحمد لله رب العالمين.

---

١ – أخرجه ابن ماجه في سننه (١/٢٩٣).
٢ – سورة الأعراف الآية (١٥٧).
٣ – مختار الصحاح مادة (ع ز ر).
٤ – أخرجه البخاري (٧/٤٩٩) ومسلم ـ٣/١٤٠٩).
٥ – أخرجه البخاري (٢/١٦٧ فتح) ومسلم (١/٣١٦).
٦ – المقاصد الحسنة (ص ٤٦٣ برقم ١٢٩٢).





١٠ القيام

❋ أدلة القيام:

أ ـ من القرآن الكريم: قال تعالى : ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾[١].

وقال أيضاً: ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾[٢].

فإذا كان تعظيم شعائر الله- وهي البدن المهداة للبيت المعظَّم- من التقوى وكمال الإيمان، فالأولى تعظيم المؤمن الذي هو أفضل من الحرم، بل أفضل من الكعبة، قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مخاطباً الكعبة: (ما أعظمك وأعظم حرمتك! والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك)[٣].

ومن وجوه تعظيم المؤمن القيام له.

بـ من السنة الشريفة:

عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد، هو ابن معاذ، بعث إليه رسول الله ﷺ وكان قريباً منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوموا لسيدكم) وفي رواية قوموا إلى خيركم أو إلى سيدكم، قال: (إن هؤلاء نزلوا على حكمك). قال: فإني أحكم أن تُقتَل المقاتِلة، وأن تسبى الذُرّيّة. قال: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك)[٤].

وعن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه في حديث تخلفه عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال فيه بعد كلام طويل: (....... وانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنؤونـي بالتوبة ويقولون لي: لتهنك توبة الله

---

١ - سورة الحجر الآية (٨٨).

٢ - سورة الحج الآية (٣٢).

٣ - أخرجه ابن ماجه (٣٩٣٢).

٤ - أخرجه البخاري (٣٠٢٣)،وفي الأدب المفرد (٩٤٥)، ومسلم (٤٥٧١)، وأبو داود (٥٢١٥)، وأحمد (٢٢/٣)، وعبد بن حميد (٩٩٥)، والطبراني في الكبير (٥٣٢٣)، وأبو يعلى (١١٨٨)، والبيهقي (٥٧/٦-٥٨)،و ابن حبان (٧٠٢٦)، وابن سعد (٤٢٤/٣)، والبغوي (٢٧١٨)، وأبونعيم (١٧١/٣).

عليك، حتى دخلت المسجد فإذا رسول ا لله ﷺ جالس حوله النـاس، فقـام طلحـة بـن عبيد ا لله رضي ا لله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني...)[1].

وعن السيدة عائشة رضي ا لله عنها قـالت: مـا رأيـت أحـداً كـان أشبه سمتـاً وهدياً ودلاً، وقال الحسن: حديثاً وكلاماً، (ولم يذكر الحسن السمت والهدي والـدل) برسول ا لله ﷺ من فاطمة كرم ا لله وجهها: كانت إذا دخلـت عليـه قـام إليهـا فـأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبّلتـه وأجلسته في مجلسها)[2].

وعن السيدة عائشة رضي ا لله عنها أنها قالت: (قـدم زيـد بـن حارثـة المدينة ورسول ا لله ﷺ في بيتي، فقرع الباب، فقـام إليـه رسـول ا لله ﷺ عُريانـاً[3] يجُـر ثوبـهُ، فاعتنقه وقبّله)[4].

وأخرج مالك في قصة سيدنا عكرمة بن أبي جهل رضي ا لله عنه أنه لمـا فـرّ إلى اليمن يوم الفتح ورحلت امرأته إليه حتى أعادتـه إلى مكـة مسـلماً، فلمـا رآه النبي ﷺ وثب إليه ورمى عليه رداءه.

وفي قصة سيدنا جعفر لما قدم من الحبشة قـام لـه النـبي ﷺ وقبـل عينيـه والتزمـه وقال: (ما أدري بأيهما أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. (سيرة ابن هشام ص ١٥٩).

وعن سيدنا ابن عباس رضي ا لله عنه قال: (حدثـتـي أمـي أم الفضـل أن النـبي ﷺ رأى العباس قادماً فقام إليه وقبّل مما بين عينيه وأقامه عن يمينه ثم قال: (هذا عمي، فمن شاء فليباه بعمه)[5].

وعن سيدنا عمر بن السائب أنه بلغـه: (أن رسـول ا لله ﷺ كـان جالسـاً فـأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له ثوبه فقعد عليه، ثـم أقبلـت أمـه فوضـع لهـا شـق ثوبـه مـن

١ – أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٦٩٤٧) وأبو داود (٢٢٠٢) مختصراً، والنسائي (٢٤٢٣) مختصراً، وأحمد (٣/٤٥٦)، والأدب المفرد (٩٤٤)، والروايات مطولة ومختصرة..

٢ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٤٧)، وأبو داود (٥٢١٧) والترمذي (٣٨٧٢) في عشرة النساء (٣٥٥)، والبيهقي (٧/١٠١)، والطبراني في الكبير (٢٢/ برقم ١٠٣٨) مختصراً، وابـن حبـان (٦٩٥٣)، والحـاكم (٤/٢٧٢-٢٧٣)، وصححه، ووافقه الذهبي.

٣ – عُرياناً: من غير ما بين السرة والركبة.

٤ – أخرجه الترمذي (٢٧٣٢).

٥ – أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٧٢).

الجانب الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول ا لله ﷺ فأجلسه بين يديه)[1].

وعن سيدنا عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أنه كان في سرية رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، قال: (فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص، فلما نفرنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟! فقلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها لنذهب ولايرانا أحد، قال: فلما دخلنا المدينة، قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول ا لله ﷺ، فإن كان لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا. قال: فجلسنا لرسول ا لله ﷺ قبل صلاة الغداة، فلما خرج قمنا إليه فقلنا: نحن الفرارون، فأقبل علينا وقال: لا، بل أنتم العكّارون[2]، قال: فدنونا فقبلنا يده، فقال: أنا فئة المسلمين)[3].

وروي عن سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه إنه إذا كان النبي ﷺ يحدثهم فقام قاموا حتى يرى أنه دخل إلى بعض أزواجه.

وهذا الأثر يدل على القيام عند الانصراف، أما ما سبقه من أحاديث فإنها تدل على القيام عند القدوم.

جـ من أقوال العلماء:

١- من أقوال شُرّاح الحديث وأصحاب السير:

قال البدر العيني في (عمدة القاري) عند شرحه لحديث أبي سعيد (قوموا لسيدكم)[4]: وقال الخطابي: في حديث الباب (قوموا لسيدكم) جواز إطلاق السيد على الحبر الفاضل وفيه أن قيام المرؤوس للرئيس الفاضل، والإمام العادل، والمتعلم للعالم مستحب، وإنما يكره لمن كان بغير هذه الصفات.

١ – أخرجه أبو داود (٥١٤٥) مرسلاً، ويجوز الاحتجاج بالمرسل عند أكثر الفقهاء.

٢ – العكّارون: مفردها عكّار: وهو الذي يفر إلى إمامه لينصره، ليس يريد الفرار من الزحف.

٣ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٢)، والترمذي (١٧١٦)، وقال حديث حسن، وابن ماجه (٣٧٠٤)، وأحمد (٢/٢٣)، والحميدي (٦٨٧)، والبيهقي (٧/١٠١) مختصراً وابن أبي شيبة (١٢/٥٣٦)، وأبو يعلى (٥٥٩٧) وابن سعد (٤/٢/١٠٧).

٤ – أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، وفي الأدب المفرد (٩٤٥) وأبو داود (٥٢١٥) ومسلم (٤٥٧١) وابن حبان (٧٠٢٦)، وعبد بن حميد (٩٩٥) والطبراني في الكبير (٥٣٢٣) وأبو يعلى (١١٨٨) والبيهقي (٦/٥٧-٥٨).

وعن أبي الوليد بن رشد أن القيام على أربعة أوجه:

●**الأول**: محظور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبراً وتعاظماً على القائمين إليه.

●**والثاني**: مكروه، وهو ما يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه شيء بسبب ما يحذره، ولما فيه من التشبه بالجبابرة.

●**والثالث**: جائز، وهو أن يقع على سبب البر والإكرام لمن لا يريد ذلك ويؤمن معه التشبه بالجبابرة.

●**والرابع**: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحاً بقدومه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها، أو مصيبة فيعزيه بها...

وقال البيهقي: القيام على وجه البر والإكرام جائز، كقيام الأنصار لسعد، وطلحة لكعب، ولا ينبغي لمن يقام له أن يعتقد استحقاقه لذلك حتى إن تُرِك القيام له حنق[1] عليه أو عاتبه أو شكاه[2].

وقال المناوي في كتابه (فيض القدير): في شرح الحديث السابق: (قوموا) خطاباً للأنصار ولجميع من حضر منهم ومن المهاجرين (إلى سيدكم) سعد بن معاذ القادم عليكم لما له من الشرف المقتضي للتعظيم، وقيل معناه: قوموا لإعانته في النزول عن الدابة لما به من الجرح الذي أصاب أكحله يوم الأحزاب، وأيده التوربشتي بأنه لو أراد تعظيمه لقال: قوموا لسيدكم، وردّ الطيبي بأن (إلى) في هذا المقام أفخم من اللام كأن قيل: قوموا إليه تلقياً وإكراماً ويدل له ترتب الحكم على الوصف المناسب المشعر بالعلّيّة، فإن قوله (إلى سيدكم) علة للقيام له وفيه ندب وإكرام أهل الفضل من عالم أو صالح أوذي شرف بالقيام لهم إذا أقبلوا، والتنبيه على شرف ذوي الشرف والتعريف بأقدارهم وتنزيلهم منازلهم. وقد قام المصطفى لعكرمة بن أبي جهل لكونه من رؤساء قريش، ولعدي بن حاتم لكونه سيد بني طيء يتألفهما به. ا. هـ كلام المناوي[3].

وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي تعليقاً على هذا الحديث: وقد

---

١ - حنق: اغتاظ، والحنق الغيظ وجمعها حناق - كجبل وجبال-.

٢ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للبدر العيني ص (٤٩٣-٤٩٤).

٣ - فيض القدير(٤|٥٣٠).

استدل عامة العلماء بهذا الحديث وغيره على مشروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام إليهم في المناسبات الداعية إلى ذلك عرفاً. يقول الإمام النووي في تعليق على هذا الحديث: فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام. قال القاضي: (وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياماً طول جلوسه[1]. قلت: القيام للقادم من أهل الفضل مستحب وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح)[2].

وقال العلامة السفاريني في كتابه: (غذاء الألباب)...: (وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه: (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه) لكن ينصر كون الأمر للقيام له آخر الخبر: وكان رجال بني الأشهل يقولون: (قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ كما في السيرة الشامية)[3].

وقد ذكر هذا الخبر العلامة علي بن برهان الدين الحلبي في كتابه السيرة الحلبية[4].

كما ذكره أيضاً مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة العلامة أحمد زيني دحلان في كتابه السيرة النبوية والآثار المحمدية[5].

٢- من أقوال السلف الصالح:

عن سيدنا حماد بن زيد رضي الله عنه قال: كنا عند أيوب، فجاء يونس، فقال حماد: قوموا لسيدكم، أو لسيدنا[6].

وعن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه أتاه أبو إبراهيم الزهري فسلَّمَ عليه، فلما رآه أحمد وثب قائماً وأكرمه، فلما مضى قال له ابنه عبد الله: ياأبتِ! أبو إبراهيم شاب وتقوم إليه؟! فقال: يابني لاتعارض في مثل هذا ألا أقوم إلى ابن عبد الرحمن بن عوف؟!

---

١ - وليس هذا على إطلاقه أيضاً وسيأتي التنويه عليه في قصة يحيى بن سعيد القطان.

٢ - فقه السيرة النبوية للدكتور البوطي ص (٣٣٣).

٣ - غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للعلامة السفاريني الحنبلي (١/٢٧٦).

٤ - السيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي (٢/ ٣٢٩).

٥ - السيرة النبوية والآثار المحمدية (٢/١٣١).

٦ - الترخيص بالقيام ص (١٣-٣٠).

وقال الإمام أبو عبد الرحمن السّلمي في كتابه (آداب الصحبة): ويقوم لإخوانه إذا أبصرهم مقبلين ولا يقعد إلا بقعودهم، وأنشد:

فلما بصرنا به مقبلاً   حللنا الحبا وابتدرنا القيام

فلا تنكرنّ قيامي له   فإن الكريم يُجلُّ الكرام

وقد أنشد أبو موسى الأصبهاني لبعضهم:

قيامي والعزيز إليك حق   وترك الحق مالا يستقيم

فهل أحد له عقلٌ ولبٌ   ومعرفةٌ يراك ولا يقوم؟!

وقال الشيخ عبد الباسط العلموني رحمه الله تعالى في كتابه (المعيد في أدب المفيد والمستفيد): (...... وروي أن يحيى بن سعيد القطان كان يصلي العصر، ثم استند إلى أصل منارة المسجد، فوقف بين يديه علي بن المديني والشاذكوني وعمرو بن علي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم، يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لايقول لواحد منهم اجلس، ولايجلسون هيبة له وإعظاماً. قلت: وهذا القيام بين يديه لله لا له، وإنما لما خصه الله من العلم .... فلا يدخل في قوله ﷺ: (من أحبّ أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار)[1]. لأنه لايحب ذلك لنفسه وإنما للسر المودع فيه من العلم، ولتهذيب أخلاق الطلبة وصونهم عن التكبر وتخلقهم بالتواضع والله أعلم).

ثم ذكر آداب المتعلم مع شيخه فقال: (... ومنها: أن يقوم بقيام الشيخ، ولا يجلس وهو قائم، ولايضطجع وهو قائم أو قاعد، بل لايضطجع بحضرته مطلقاً، إلا أن يكون وقت نوم ويأذن له، ويقوم له كلما ورد عليه ولو تكرر لزيادة التوقير والإعظام والاحترام)[2].

---

١ - أخرجه أحمد (٤/٩١)، وعبد بن حميد (٤١٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥).

٢ - المعيد في أدب المفيد والمستفيد ص (٦٣-٦٥).

٣ـ من أقوال فقهاء المذاهب الأربعة:

المذهب الشافعي: قال العلامة الشربيني في كتابه: (مغني المحتاج...): (ويسن القيام لأهل الفضل من علم وصلاح أو شرف أو نحو ذلك ولارياءً وتفخيماً، قال في الروضة: وقد ثبتت فيه أحاديث صحيحة)[1].

وقال العلامة الباجوري في حاشيته: (ويسن القيام لأهل الفضل إكراماً لارياءً وتفخيماً، بخلاف غير أهل الفضل فلا يطلب القيام لهم إلا لحاجة أو ضرورة وخرج بالقيام نحو الركوع بين يدي الأمراء فهو حرام، ولو مع الطهارة واستقبال القبلة كما قال العلامة ابن حجر. وقال الإمام الغزالي الشافعي رحمه الله: القيام مكروه على سبيل الإعظام إلا على وجه الإكرام)[2].

المذهب الحنفي: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته: (وفي الوهبانية يجوز، بل يندب القيام تعظيماً للقادم، كما يجوز القيام ولو للقارئ بين يدي العالم، (قال في القنية: قيام الجالس في المسجد لمن دخل عليه تعظيماً، وقيام قارئ القرآن لمن يجيء تعظيماً لايكره إذا كان ممن يستحق التعظيم) وفي مشكل الآثار: (القيام لغيره ليس بمكروه لعينه، إنما المكروه محبة القيام لمن يقام له، فإن قام لمن لا يقام له لايكره. قال ابن وهبان: أقول : وفي عصرنا ينبغي أن يستحب ذلك -أي القيام-لما يورث تركه من الحقد والبغضاء والعداوة ولاسيما إذا كان في مكان اعتيد فيه القيام. وما ورد من التوعد عليه، في حق من يحب القيام بين يديه كما يفعله الترك والأعاجم)[3].

المذهب المالكي: قال القرافي في كتابه (الفروق): (اعلم أن الذي يباح من إكرام الناس قسمان:

القسم الأول: ما وردت به النصوص الشرعية من إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وتشميت العاطس، والمصافحة عند اللقاء ...

القسم الثاني: ما لم يرد في النصوص ولا كان في السلف، لأنه لم تكن أسباب اعتباره موجودة حينئذ وتجددت في عصرنا، فتعين فعله لتجدد أسبابه لأنه شرع

---

١ – مغني المحتاج (٣|١٣٥).
٢ – حاشية الباجوري (٢|١١٦).
٣ – حاشية ابن عابدين (٥|٢٥٤).

مستأنف وتأخر الحكم لتأخر سببه، ووقوعه عند وقوع سببه لايقتضي تجديد شرع ... وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للداخل من الأعيان وإحناء الرأس له... وهو جائز مأمور به مع كونه بدعة. ولقد حضرت يوماً عند الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين والقيام بمصالح المسلمين خاصة وعامة، والثبات على الكتاب والسنة، لاتأخذه في الله لومة لائم، فقدَّمت إليه فتيا، فيها: ما تقول أئمة الدين وفقهم الله في القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع أنه لم يكن في السلف، هل يجوز أم لايجوز أو يحرم؟ فكتب إليه في الفتيا: قال رسول الله ﷺ: **﴿لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولاتدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً﴾**[1]، وترك القيام في هذا الوقت يفضي للمقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيداً)[2].

المذهب الحنبلي: قال ابن قدامة المقدسي الحنبلي في كتابه(مختصر منهاج القاصدين): والقيام على ضربين:

١- قيام على رأسه وهو قاعد، فهذا منهي عنه، قال ﷺ: **(من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)**[3]. وهذه عادة الأعاجم والمتكبرين.

٢ قيام عند مجيء الإنسان، فقد كان السلف لايكادون يفعلون ذلك. وقد قال العلماء: يستحب القيام للوالدين والإمام العادل وفضلاء الناس، وقد صار هذا كالشعار بين الأفاضل، فإذا تركه الإنسان في حق من يصلح أن يُفعل في حقه، لم يأمن أن ينسبه إلى إهانته والتقصير في حقه، فيوجب هذا حقداً، واستحباب هذا في حق القائم، لا يمنع الذي يقام له أن يكره ذلك ويرى أنه ليس بأهل لذلك[4].

❋ أقوال العلماء في أحاديث النهي عن القيام:

هناك بعض الأحاديث التي تدل على النهي عن القيام منها: حديث سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك)[5].

---

١ - أخرجه البخاري (٥٧١٨)، ومسلم (٢٥٥٩)،والترمذي (١٩٣٥).
٢ - الفروق للقرافي (٢/٢٥٠،٢٥١).
٣ - تقدم تخريجه ص (٢١٠).
٤ - مختصر منهاج القاصدين ص (٢٥١-٢٥٢).
٥ - أخرجه الترمذي (٢٧٥٤) وقال حسن صحيح غريب، والبخاري في الأدب المفرد (٩٤٦).

وحديث سيدنا معاوية رضي الله عنه: من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)[1].

وحديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصاً فقمنا إليه فقال: (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً)[2].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: بعد أن أورد هذه الأحاديث في كتابه(الترخيص بالقيام) : (أما الحديث الأول: وهو أقرب ما يحتج به للنهي، فالجواب عنه من وجهين:

الجواب الأول: أن النبي ﷺ خاف عليهم وعلى من بعدهم الفتنة بإفراطهم في تعظيمه ﷺ، كما قال ﷺ في الحديث الآخر: (لا تطروني[3] كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم)[4]. فكره ﷺ قيامهم له لهذا المعنى و لم يكره قيام بعضهم لبعض، بل قام ﷺ لبعضهم وقاموا لغيره بحضرته و لم ينههم عن ذلك، بل أقرّه وأمر به في حديث القيام لسعد.

الجواب الثاني: أن النبي ﷺ كان بينه وبين أصحابه من الأنس وكمال المودة والصفاء ما لا يحتمل زيادة الإكرام، فلم يكن بالقيام مقصود بخلاف غيره) ا.هـ[5].

وقال الشيخ منصور علي ناصيف في كتابه (التاج): وحديث أنس يمكن تأويله بأن هذا كان من النبي ﷺ زيادة في التواضع، وخوفاً على الأمة من زيادة تعظيمه، فربما جرهم إلى ما وقع فيه بعض اليهود والنصارى الذين قال الله تعالى فيهم: **﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾**[6].

---

١ – تقدم تخريجه ص (٢١٠).
٢ – أخرجه أبو داود (٥٢٣٠).
٣ – من الإطراء: وهو المدح والمقصود مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، وإطراء الصالحين: وصفهم بما يصرفهم عن بشريتهم إلى مافوق البشرية.
٤ – أخرجه البخاري (٣٤٤٥)، وأحمد (١/٢٣)، والدارمي (٢٦٨٢) وابن حبان (٦٢٣٩)، وذلك لأن النبي ﷺ خاف أن يصل بالأمة من تعظيمهم لنبيهم ما وصل إليه النصارى من العبادة لعيسى عليه السلام، ورحم الله البوصيري إذ يقول:

**دع ما ادعته النصارى في نبيهم		واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم.**

٥ – الترخيص بالقيام للنووي ص (٢٤-٢٩).
٦ – سورة التوبة الآية (٣٠).

وربما جرهم إلى عمل الأعاجم من السجود لرؤسائهم ... بل قال الجمهور: إن القيام لأهل الفضل مستحب للحديثين الأولين: حديث القيام لسعد، وحديث القيام لفاطمة، ولعمل السلف والخلف على القيام من غير نكير وهذا هو الحق)[1].

وقال الإمام الباجوري رحمه ا لله تعالى في كتابه (المواهب اللدنية): (لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك، وإنما كرهه تواضعاً وشفقة عليهم وخوفاً عليهم من الفتنة إذا أفرطوا في تعظيمه، وكان لايكره قيام بعضهم لبعض ولذلك قال: (قوموا لسيدكم) يعني سعد بن معاذ سيد الأوس، فأمرهم بفعله لأنه حق لغيره فوفاه حقه، وكره قيامهم له لأنه حقه فتركه تواضعاً .... وقد قام ﷺ لعكرمة بن أبي جهل لما قدم عليه، وكان يقوم لعدي بن حاتم كلما دخل عليه كما جاء ذلك في خبرين وهما و إن كانا ضعيفين يعمل بهما في الفضائل، فزعم سقوط الاستدلال بهما وهمٌ، وقد ورد أنهم قاموا لرسول ا لله ﷺ فيناقض ما هنا. إلا أن يقال في التوفيق أنهم إذا رأوه من بُعدٍ غير قاصدٍ لهم لم يقوموا له، أو أنه إذا تكرر قيامه وعوده إليهم لم يقوموا، فلا ينافي أنه إذا قدم عليهم أولاً قاموا وإذا انصرف عنهم قاموا)[2].

وقال الإمام النووي معلقاً على الحديث الثاني من الأحاديث الثلاثة السابقة:
(وأما الحديث الثاني فقد أولع أكثر الناس بالاحتجاج به، والجواب عنه من أوجه: الأصح والأولى والأحسن بل الذي لاحاجة إلى ما سواه أنه ليس فيه دلالة، وذلك أن معناه الصريح الظاهر منه الزجر الأكيد، والوعيد الشديد للإنسان أن يحب قيام الناس له، وليس فيه تعرض للقيام بنهي ولا غيره وهذا متفق عليه، وهو أنه لايحل للآتي أن يحب قيام الناس له، والمنهي عنه هو محبته للقيام، ولا يشترط كراهته لذلك وخطور ذلك بباله، حتى إذا لم يخطر بباله ذلك فقاموا له أولم يقوموا فلا ذمّ عليه. وإذا كان معنى الحديث ما ذكرناه فمحبة أن يقام له محرمة، فإذا أحب فقد ارتكب التحريم سواء قيم له أو لم يقم ، فمدار التحريم على المحبة ولا تأثير لقيام القائم، ولا نهي في حقه بحال، فلا يصح الاحتجاج بهذا الحديث.

فإن قال من لا تحقيق عنده: إن قيام القائم سبب لوقوع هذا في المنهي عنه، قلنا: هذا سؤال فاسد لا يستحق سائله جواباً .... عن أحمد بن المفلس قال: قال أبو نصر

---

١ - التاج(٥|٢٧٠-٢٧١).
٢ - المواهب اللدنية للباجوري ص (١٥٣).

بشر بن الحارث وقد ذكرت بين يديه حديث: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك)[1]

فقال: الحديث إنما كره القيام على طريق الكبر وأما على طريق المودة فلا، وقد قام رسول الله ﷺ إلى عكرمة بن أبي جهل، وألقى ثوبه لظئره، وقال: قوموا إلى سيدكم، وقال ﷺ: (من أحب أن يمتثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)[2]، من أحب أن تقوم له فلا تقم له ... وأما أبو موسى الأصبهاني فقال: معنى الحديث أن يقوم الرجال على رأسه وهو قاعد، كما يقام بين يدي الملوك، أو أن يأمرهم بذلك ويلزمهم إياه على مذهب الكبر والنخوة[3].

وقال ابن بطّال رحمه الله تعالى: وأجاب عنه الطبري بأن هذا الخبر إنما فيه نهي من يقوم له إكراماً له، وأجاب عنه ابن قتيبة بأن معناه من أراد أن يقوم الرجال على رأسه كما يقام بين ملوك الأعاجم، وليس المراد به نهي الرجل عن القيام لأخيه إذا سلم عليه[4]

وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى في كتابه(فقه السيرة النبوية) بعد أن أورد أدلة القيام معلقاً على هذا الحديث: (... واعلم أن هذا كله لايتنافى مع ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لاتستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته، بل من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهاداً في طلب هذا الشيء. أرأيت إلى الفقير المحتاج؟ إن الأدب الإسلامي يوصيه ويعلمه الترفع عن المسألة وإظهار الفاقة والحاجة للناس، ولكن هذا الأدب الإسلامي نفسه يوصي الأغنياء بالبحث عن هؤلاء الفقراء المتعففين، ويأمرهم بإكرامهم وإعطائهم من فضول أموالهم فلكل أدب ووظيفة، ولا ينبغي أن نخلط بينهما أو ننسخ الواحد بالآخر، فإن ذلك من أسوأ مظاهر التسرع والجهل)[5].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في الحديث الثالث: (وأما الحديث الثالث:

---

١ - تقدم تخريجه ص (٢١٢).

٢ - تقدم تخريجه ص (٢١٠).

٣ - الترخيص بالقيام ص (٢٤-٢٩).

٤ - فتح الباري (١١/ ٥٠).

٥ - فقه السيرة النبوية ص (٢٣٤).

فالجواب عنه من وجهين ظاهرين حسنين: أحدهما: جواب الإمامين أبي بكر بن أبي عاصم وأبي موسى الأصبهاني أنه حديث ضعيف لايصح الاحتجاج به.

والثاني: أن الحديث في نفسه بيّن المقصود منه ومن غيره وهو أن الذم لمن قام على طريق التعظيم، كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً، وهذا لاشك في ذمه والله أعلم)[1].

ومن خلال أقوال العلماء والمحدثين في تفسير الأحاديث السابقة نرى أن المنهي عنه هو حب القيام لما يورث من الكبر البغيض، والأمر بالقيام- عدا أمر المعلم تلاميذه والوالد أولاده للتعليم والتربية والتهذيب والقيام على رأس القاعد تشبهاً بملوك الفرس والروم من الأعاجم كما قال بعضهم. وإلى هذا يشير الحديث الذي رواه سيدنا جابر رضي الله عنه إذ قال: (اشتكى[2] النبي ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد، وأبو بكر يُسمع الناس تكبيره، فالتفت إلينا فرآنا قياماً، فأشار إلينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعوداً: فلما سلم قال: (إن كدتم لتفعلوا فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود: فلا تفعلوا، ائتموا بأئمتكم، إن صلى قائماً فصلوا قياماً، وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً)[3].

ولكن يستثنى من هذا النهي جواز القيام في حال قدوم رسل للعدو إلى الإمام أو الخليفة. فقد ورد في حديث صلح الحديبية، حينما جاء عروة بن مسعود يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة قائم على رأس النبي ﷺ أي واقف والنبي جالس، ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ، ضرب يده بنصل السيف وقال له: أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (زاد المعاد) معلقاً على هذه الحادثة: (وفي قيام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد، سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو، ومن إظهار العز والفخر وتعظيم الإمام وطاعته ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين. وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه النبي ﷺ بقوله: (من أحب أن يتمثل له

---

١ – الترخيص بالقيام ص (٢٩).
٢ – اشتكى: مرض.
٣ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٩٤٨).

الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)[1]. كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره)[2].

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وقال أبو محمد البغوي: (كذلك تجوز إقامة الإمام والوالي الرجل على رأسه في موضع الحرب ومقام الخوف)[3].

وقال الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى في كتابه (فقه السيرة النبوية) معلقاً على الحادثة السابقة تحت عنوان: حكم الوقوف على الإنسان وهو قاعد: (لقد علمت مما سبق أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان واقفاً على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف وكلما أهوى عروة بن مسعود بيده إلى النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنصل السيف قائلاً: أخّر يدك عن وجه رسول الله ﷺ. وقد كنا ذكرناه فيما مضى، عند الحديث عن غزوة بني قريظة أنه لايشرع القيام على رأس أحد وهو قاعد، وأن ذلك من مظاهر التعظيم الذي تعارفه الأعاجم فيما بينهم وأنكره الإسلام. فكيف كان الأمر على خلاف ذلك هنا؟ والجواب أن يستثنى من عموم المنع مثل هذه الحالة بخصوصها، أي في حالة قدوم رسل للعدو إلى الإمام أو الخليفة، فلا بأس حينئذ من قيام حرس أو جند على رأسه، إظهاراً للعزة الإسلامية وتعظيماً للإمام وطاعة ووقاية له مما قد يفاجأ من سوء. أما في أعم الأحوال فلا يجوز ذلك لمخالفته مقتضى التوحيد والعقيدة الإسلامية دون أية ضرورة إليه.

ويشبه هذا ما مر بيانه عند الحديث عن أبي دجانة في غزوة أحد، فقد قلنا: إن ما يدل على الكبر أو التجبر في المشي ممنوع شرعاً، ولكنه جائز في حالة الحرب بخصوصها، بدليل قوله ﷺ عن مِشية أبي دجانة:(إنها لَمِشية يكرهها الله إلا في مثل هذا الموضع)[4].

---

١ - تقدم تخريجه ص (٢١٠).
٢ - زاد المعاد (٣/٣٠٤).
٣ - الترخيص بالقيام للنووي ص (٢٣).
٤ -أخرجه الطبراني في الكبير (٦٥٠٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٠٧١).

القيام للجنازة

❋ **حكم القيام للجنازة:** اختلف الفقهاء والمحدثون في حكم القيام للجنازة وذلك لتعارض الأدلة في ذلك، فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع[1]

وعن سيدنا عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد بن عبادة بالقادسية، فمُرَّ عليهما بجنازة فقاما. فقيل لهما إنهما من أهل الأرض أي من أهل الذمة، لأن المسلمين لما فتحوا البلاد أقروهم على عمل الأرض وحمل الخراج، فقالا: مُرَّ على رسول الله ﷺ بجنازة فقام، فقيل له: إنه يهودي فقال: (أليست نفساً؟!)[2]. وتعارض هذان الحديثان بحديث سيدنا علي رضي الله عنه: (أنه ﷺ قام للجنازة ثم قعد) فذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن حديث علي ناسخ للأمر بالقيام، ولكنه في الحقيقة ليس نصاً في النسخ لاحتمال أن قعوده ﷺ كان لبيان الجواز.

قال النووي رحمه الله تعالى: والمختار أنه مستحب، ولم ينسخ حديث الأمر بالقيام، وهذا هو الرأي الراجح. فقد روى البيهقي من حديث أبي هريرة وغيره: (أن القائم كالحامل في الأجر)[3].



١ - أخرجه البخاري (١٣١٠)، ومسلم (٩٥٩)، وأبو داود (١٣١٧٢)، والنسائي (١٩١٧)، والترمذي (١٠٤٢).

٢ - أخرجه البخاري (١٣١٢) تعليقاً، ومسلم (٢٢٢٢)، والنسائي (١٩٢٠)، والبيهقي (٤|٢٧).

٣ - أخرجه أبو داود (٣١٧٥)، والترمذي (١٠٤٤).

(١١) الذكر الجهري

قال الله تعالى: ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[١]﴾

وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً[٢]﴾

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا[٣]﴾

أحاديث وآثار تبين استحباب الجهر بالذكر والحث عليه إما تصريحاً أو التزاماً

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون لا والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة قال: يقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب مارأوها، قال يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول

١ - سورة آل عمران الآية (١٩١).
٢ - سورة الأحزاب الآية (٣٥).
٣ - سورة الأحزاب الآية (٤١-٤٢).

ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[1].

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن لله ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الأرض.... هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)[2].

وفي رواية عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: يا أيها الناس، إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر، فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروا أنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه)[3].

٢- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر)[4].

٣- وعن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده، فقال: إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)[5].

٤- وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾[6]، فخرج يلتمسهم، فوجد قومه يذكرون الله تعالى منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم)[7].

وفي رواية لأحمد في الزهد عن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي ﷺ فكفوا، فقال: (ما كنتم تقولون؟ قلنا نذكر الله، قال: إني رأيت الرحمة

١ - أخرجه البخاري (٨|١٠٧)، ومسلم (٨|٦٨)، والترمذي (٣٦٠٠)، وأحمد (٢|٢٥١).
٢ - أخرجه مسلم (٢٦٨٩) والحاكم واللفظ له (١٨٢١) وصححه والترمذي (٣٥٩٥).
٣ - أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه (١٨٢٠) والبزار (٣٠٦٤).
٤ - تقدم تخريجه ص (١٧٢).
٥ - أخرجه أحمد (١٤|٢٠٥) والترمذي (٣٣٧٩).
٦ - سورة الكهف الآية (٢٨).
٧ - الحاوي للفتاوى للإمام السيوطي مجلد ٢ ص ٢٧ الحديث رقم ١.

تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم).

فكفّ سيدنا سلمان وأصحابه عن الذكر لقدوم رسول الله ﷺ عليهم دليل على أنهم كانوا يجهرون فيه قبل قدومه وهذا دليل الجهر به.

٥- وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: قال ابن الأدرع: انطلقتُ مع النبي ﷺ ليلة، فمر برجل بالمسجد يرفع صوته، قلت: يا رسول الله عسى أن يكون ذلك مرائياً؟ قال: لا ولكنه أواه، وفي رواية عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين: إنه آواه وذلك أنه كان يذكر الله[1].

وقال الحسن بن مسلم: كان رجل من أهل نجد إن دعا رفع صوته، وإن صلى رفع صوته، وإن قرأ رفع صوته، فشكاه أبو ذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إن هذا الأعرابي قد آذاني لئن دعا ليرفعن صوته، ولئن قرأ ليرفعن صوته فقال النبي صلى الله عليه وسلم [دعه فإنه أواه][2].

٦- وعن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة إلا بالله)[3].

٧- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً في الجنة" وفي بعض طرقه "فنادى"[4].

٨- وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، إذ قال: هل فيكم غريب يعني (أهل الكتاب) قلنا: لايارسول الله فأمر بغلق الباب فقال: ارفعوا أيديكم، فقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال: (الحمد لله،اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني

١ - أخرجه أحمد (٤/١٥٩).
٢ - أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦٥٥٩).
٣ - رواه مسلم (٥٩٤)والترمذي (٢٩٩).
٤ - أخرجه الحاكم (١٩٧٤).

عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن ا لله قد غفر لكم)[1].

٩- وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ (أنا عند ظن عبدي بي... وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)[2] والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر.

وعن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: (إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ)[3].

١٠- وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي ا لله عنهما قالا: قال النبي ﷺ: "ما من قوم يذكرون ا لله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم ا لله فيمن عنده[4].

١١- وأخرج بقية بن مخلد عن عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن النبي ﷺ مر بمجلسين، أحد المجلسين يدعون ا لله ويرغبون إليه، والآخر يعلمون العلم فقال: (كلا المجلسين خيرٌ وأحدهما أفضل من الآخر). فإقراره ﷺ لمجلس الدعاء والذكر الذي يفهم منه الجهر فيهما بالخيرية دليل على جواز الجهر فيهما.

١٢- وعن عبد ا لله بن معضل رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: (ما من قوم اجتمعوا يذكرون ا لله (لايريدون بذلك إلا وجهه) إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)[5] والاجتماع على ذكر ا لله دليل الجهرية.

١٣- وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي رزي العقيلي رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال له: (ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خيري الدنيا والآخرة؟ قال: بلى، قال: عليك بمجالس الذكر، وإذا خلوت فحرك لسانك بذكر ا لله).

١٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه عن النبي ﷺ قال: (يقول الرب

---

١ - أخرجه الحاكم (١٨٤٤).
٢ - أخرجه البخاري (٦٩٧٠) ومسلم (٢٦٧٥) وأحمد (١٤/٢٦٨) والترمذي (٢٣٨٨).
٣ - أخرجه البخاري (٨٠٥-٨٠٦).
٤ - تقدم تخريجه ص (١٧٣).
٥ - أخرجه أحمد (١٤/٢٠٢) وأبو يعلى (٤١٤١) والبزار (٣٠٦١) والطبراني في الأوسط (١٥٧٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٦٤).

تعالى يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، قيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد[1].

١٥–وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها)[2].

١٦– وعن أبي الجوزاء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون)[3].

١٧– وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون)[4].

١٨– وعن السائب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (جاءني جبريل فقال: مر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير)[5].

وأخرج المروزي في كتاب العيدين أنه كان كل من عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما يأتيان السوق أيام العشر فيكبران لا يأتيان السوق إلا لذلك.

وكذلك نقل عن سيدنا عمر أنه كان يكبر في قبته فيكبر أهل المسجد فيكبر أهل السوق حتى ترتج منىً تكبيراً.

وقال ميمون بن مهران: أدركت الناس وإنهم ليكبرون في العشر حتى كنت أشبهها بالأمواج من كثرتها.

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن سيدنا ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض[6]﴾، قال: إن المؤمن إذا مات بكى عليه من الأرض الموضع الذي كان يصلي فيه ويذكر الله فيه.

---

١ – أخرجه أحمد (١٤/٢٠٥) وأبو يعلى (١٠٤٦) و(١٤٠٣) وابن حبان (٨١٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٦٣).

٢ – أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٧١٩٩)، ورمز لحسنه.

٣ – أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (١٣٩٨).

٤ – تقدم تخريجه ص (١٨٢).

٥ – أخرجه أحمد (١١/١٨٠) وأبو داود (١٨١٤) والترمذي (٨٢٩) وصححه النسائي (٢٧٥٢) وابن ماجه (٢٩٢٣) والحاكم (١٦٥٣) وابن خزيمة (٢٦٢٨).

٦ – سورة الدخان الآية (٢٩).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عبيد قال: (إن المؤمن إذا مات نادت بقاع الأرض: عبد الله المؤمن مات، فتبكي الأرض والسماء، فيقول الرحمن ما يبكيكما على عبدي؟ فيقولون: ربنا لم يمش في ناحية منّا قطّ إلا وهو يذكرك) فلو لم يكن الذكر جهراً لما سمعته الأرض والجبال.

وقد صح أن سيدنا أبا بكر كان يسر في قراءة القرآن، وكان سيدنا عمر يجهر فيها، فلما سألهما النبي ﷺ عن السبب، أجاب سيدنا أبو بكر بمآثرة الإسرار لمجاهدة النفس وتعليمها طرق الإخلاص، وأن من يناجيه يسمع كلامه، وأجاب سيدنا عمر بمآثرة الجهر لإيقاظ الوسنان وطرد الشيطان وإرضاء الرحمن.

وقد كان ﷺ يأمر من يقرأ القرآن في المسجد أن يسمع قراءته.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يأمر رجلاً يقرأ عليه وعلى أصحابه وهم يستمعون لأنه أكثر عملاً وأبلغ في التدبر، ونفعه متعدٍّ لإيقاظ قلوب الغافلين.

وذكر ابن الجزري في كتاب الحصن الحصين: (أن كل ذكر مشروع أي مأمور به في الشرع واجباً كان أو مستحباً لا يعتد بشيء منه حتى يتلفظ به ويسمع نفسه).

وقال الإمام السيوطي رحمه الله أنه وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به، والجمع بينهما أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، ثم قال: إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من مجموعها أنه لا كراهة البتة في الجهر بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه، إما تصريحاً أو التزاماً، وأما معارضته بحديث: (**خير الذكر الخفي**)[1]، فهو تظهر فيه معارضة أحاديث الجهر بالقرآن بحديث (المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة) وقد جمع النووي بينهما: بأن الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام، والجهر أفضل من غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدى ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، وقال بعضهم: (يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار، لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يكل فيستريح بالإسرار).

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: "وأجمعوا على أنه يجب على المريد الجهر بالذكر بقوة تامة، بحيث لا يبقى منه متسع إلا ويهتز من فوق رأسه

---

١ - أخرجه أحمد (١/١٧٢)، وأبو يعلى (٧٣١)، وعبد بن حميد (١٣٧)، والطبراني في الدعاء (١٨٨٣) والبيهقي في الشعب (١/٣٣٠)، وابن أبي شيبة (١٠/٣٧٥)، وابن حبان (١٠٩).

إلى إصبع قدميه"[1].

وقال الشيخ ابن عطاء الله: "وينبغي إن كان الذاكرون جماعة، فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة موزونة، فذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً، وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب، وأما أن هذا معارض بقوله تعالى: ﴿**واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول**[2]﴾ فالحق ما بينه الإمام السيوطي في كتابه (نتيجة الفكر في الجهر بالذكر) حيث قال: إن الجواب عن هذه الآية يكون من ثلاثة أوجه: الأول: إنها مكية لأنها من الأعراف، وهي مكية كآية الإسراء ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**[3]﴾، وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله، فأمره الله بترك الجهر، سداً للذريعة كما نهى عن سب الأصنام في قوله: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**[4]﴾، وقد زال هذا المعنى.

والثاني: أن جماعة من المفسرين، منهم عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم شيخ مالك وابن جرير حملوا الآية على الذكر حال قراءة القرآن، وأنه أمره بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن الكريم أن ترفع الأصوات عنده، ويقويه اتصاله بقوله تعالى: ﴿**وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون**[5]﴾، قلت: وكأنه لما أمر بالإنصات خشي من ذلك الإخلاد إلى البطالة فنبه على أنه وإن كان مأموراً بالسكوت باللسان، إلا أن تمكين الذكر بالقلب باق حتى لا يغفل عن ذكر الله، ولذا ختم الآية بقوله: ﴿**ولا تكن من الغافلين**[6]﴾.

الثالث: ما ذكره علماء الصوفية من أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ وأما غيره فمن هو محل الوساوس والخواطر فمأمور بالجهر لأنه أشد تأثيراً في دفعها، وأما قوله تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين**[7]﴾، فالجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن الراجح في تفسيره أنه تجاوز المأمور، أو اختراع دعوة لا أصل لها

---

١ - الأنوار القدسية (١/٣٨).
٢ - سورة الأعراف الآية (٢٠٥).
٣ - سورة الإسراء الآية (١١٠).
٤ - سورة الأنعام الآية (١٠٨).
٥ - سورة الأعراف الآية (٢٠٤).
٦ - سورة الأعراف الآية (٢٠٥).
٧ - سورة الأعراف الآية (٥٥).

في الشرع، فعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: "اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فقال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون في الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور)[1]، وقرأ هذه الآية، فهذا تفسير صحابي وهو أعلم بالمراد.

الثاني: على تقدير التسليم، فالآية في الدعاء لا في الذكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه الإسرار لأنه أقرب إلى الإجابة ولذا قال تعالى: ﴿**إذ نادى ربه نداءً خفياً**﴾[2].

هذا وقد نص الإمام النووي رحمه الله في فتاويه على أن الجهر بالذكر حيث لا محذور شرعاً مشروع مندوب إليه، بل هو أفضل من الإخفاء في مذهب الإمام الشافعي، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد، وإحدى الروايتين عن الإمام مالك بنقل الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وهو قول قاضيخان في فتاويه، وقد قال العلامة الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح: (لا يمنع من الجهر بالذكر في المساجد، احترازاً عن الدخول تحت قوله تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه**﴾[3])[4].

وقال الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى: (الأحاديث الصحيحة مع إثباتها مشروعية الجماعة وفضلها في الذكر تثبت الجهرية (أيضاً) وفضله فيه لأنه هو الذي صيرهم جماعة (كما هو المعهود لغة وعرفاً).. إلى أن قال: (وبالتأمل في عموم الآيات والأحاديث، وما نقله الآلوسي في آية الدعاء تعلم أنه لا وجه للقول بكراهة الجهر بالذكر جماعة) إذا خلا من الموانع الشرعية ولم يكن فيه إخلال بشيء من آدابه المعروفة.

وقال الشيخ محمد الحامد رحمه الله تعالى: "والذكر جائز في انفراد وفي اجتماع، بشرط أن لا يكون من الذاكرين جهر يتأذى به الجيران والنائمون والعالمون والعابدون".

١ - أخرجه ابن ماجه (٣٨٦٤) والحاكم في مستدركه وصححه (١٩٧٩).
٢ - سورة مريم الآية (٣).
٣ - سورة البقرة الآية (١١٤).
٤ - مراقي الفلاح ص (٢٠٨)، وانظر حاشية ابن عابدين.



١٢ حكم الذكر بالاسم المفرد

(أما ما ورد في الذكر بالاسم المفرد (الله) من آيات فكثيرة منها: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً**﴾[١].

وقوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿**قل الله ثم ذرهم**﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً**﴾[٣].

❋ وقد وردت أحاديث تبين مشروعية الذكر باسم الله الأعظم منها:

ما رواه أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله).

وفي رواية أخرى عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله، الله)[٤].

فها هو اسم الله المفرد يرد ذكره مكرراً في هذا الحديث.

قال العلامة علي القاري في شرح هذا الحديث: "أي لا يُذْكَرُ الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس، ومن هذا يعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين، والعباد الصالحين، وعموم المؤمنين[٥].

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت رضي الله عنه قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي ﷺ فكفوا فقال: ما كنتم تقولون؟ قلنا: نذكر الله، الله، فقال: إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأحببت أن أشارككم فيها ثم قال: الحمد لله

١ – سورة المزمل الآية (٨).
٢ – سورة الأنعام الآية (٩١).
٣ – سورة الإنسان الآية (٢٥).
٤ – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (٣٧٤).
٥ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ج٥ ص٢٢٦.

الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم[1].

وللعلماء في هذا الباب أقوال كثيرة تؤيد مشروعيته، فقد قال العلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة عند شرح البسملة وبحثه عن لفظ (الله) "روى هشام عن محمد عن أبي حنيفة أنه (أي الله) اسم الله الأعظم وبه قال الطحاوي: وكثير من العلماء وأكثر العارفين حتى أنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به كما في شرح التحرير لابن أمير حاج"[2].

وقال العلامة المحدث المناوي رحمه الله تعالى شارحاً حديث رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه[3]: (فهو مع من يذكره بقلبه، ومع من يذكره بلسانه ولكن معيته مع الذكر القلبي أتم، وخصَّ اللسان لإفهامه دخول الأعلى بالأولى لكن محبته وذكره لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه، ولزوم الذكر عند أهل الطرق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى، وهو ثلاثة أقسام: ذكر العوام باللسان، وذكر الخواص بالقلب، وذكر خواص الخواص بفنائهم عن ذكرهم عند مشاهدتهم مذكورهم، حتى يكون الحق مشهوداً في كل حال، قالوا: وليس للمسافر إلى الله في سلوكه أنفع من الذكر المفرد القاطع من الأفئدة الأغيارَ، وهو الله، وقد ورد في حقيقة الذكر وآثاره وتجلياته مالا يفهمه إلا أهل الذوق)[4].

وقال العلامة الخادمي رحمه الله: "واعلم أن اسم الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم عند أبي حنيفة والكسائي والشعبي وإسماعيل بن إسحاق وأبي حفص وسائر جمهور العلماء، وهو اعتقاد جماهير مشايخ الصوفية ومحققي العارفين فإنه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق مقام الذكر باسم (الله) مجرداً قال الله لنبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام: "قل الله ثم ذرهم".

وقال الإمام الجنيد رضي الله عنه: "ذاكر هذا الاسم (الله) ذاهب عن نفسه، متصل بربه قائم بأداء حقه، ناظر إليه بقلبه قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته".

---

١ - الحاوي للفتاوى مجلد ٢ ص٢٧، الحديث رقم ١.
٢ - حاشية ابن عابدين ج١ ص٥-٧.
٣ - أخرجه البخاري (٤١٠/٤) تعليقاً، ووصله في خلق أفعال العباد (٤٣٦) والإمام أحمد (٥٤٠/٢) في مسنده والحاكم (٤٩٦/١)في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي وابن ماجه (٣٧٩٢) والبغوي (٢٤٢).
٤ - فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٢ ص٣٥٩.

وقال الإمام ابن عجيبة رضي الله عنه: "فالاسم المفرد (الله) هو سلطان الأسماء، وهو اسم الله الأعظم ولا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه، وتسري أنواره في كلياته وجزئياته...)[1].

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه "ليكن ذكرك (الله، الله) فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم وثمرته النور وليس النور مقصوداً لذاته، بل لما يقع به من الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره واختياره على سائر الأذكار، لتضمنه جميع ما في (لا إله إلا الله) من العقائد والعلوم والآداب والحقائق.."[2].

ويقول فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: ولكن عامة المسلمين من غيرهم: "أي الذين ينكرون الذكر بالاسم المفرد (الله) لا يجدون حرجاً من أن يذكروا الله بأي من أسمائه وصفاته المفردة أو يذكروه بشيء من الصيغ أو الجمل الدالة على معنى يتضمن حكماً من أحكام التوحيد أو التنزيه ودليلهم على ذلك صريح قول الله عز وجل: ﴿**واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً**﴾[3].

ومن المعلوم أن أول أسمائه تعالى الله.

وقال تعالى: ﴿**واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين**﴾[4].

وذكر الله في النفس أعم من أن يقيد بمدلول جملة ذات معنى متكامل يتضمن حكماً من أحكام التوحيد أو التنزيه فإن الجملة من مستلزمات التراكيب اللفظية، والذكر النفسي قد لا يعتمد على شيء من هذه التراكيب وإنما يكون بإجراء اسم الجلالة أو أي صفة من صفات الله تعالى كالخالق، الرزاق، المصور، الحكيم... الخ، على القلب بحيث يكون يقظاً لشهود الله تعالى في اسمه المفرد أو أي صفة من صفاته المعروفة[5].

---

١ - تجريد ابن عجيبة على شرح متن الأجرومية ص ١٥.

٢ - نور التحقيق ص ١٧٤.

٣ - سورة الإنسان الآية ٢٥.

٤ - سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

٥ - كتاب السلفية لفضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله ص ١٩٣-١٩٤.

ثم إنه قد وردت آيات وأحاديث كثيرة مطلقة عامة عدا ما مر فيها من أدلة ظاهرة جلية في ذكر اسم الله المفرد تحث على ذكر الله عز وجل من غير تعيين نوع معين من الذكر أو تحريم نوع آخر منه، فيتبين لنا من هذا عدم ورود أي دليل يدل أو يشير إلى حرمة الذكر باسم الله المفرد.

ومما يعترض على الذكر باسم الله المفرد أنه لا يؤلف جملة مفيدة تامة يحسن السكوت عليها كقولنا الله غفور، والجواب: أن الذاكر باسم الله المفرد إنما يخاطب الله وحده وهو جل جلاله عالم بما في نفسه مطلع على سريرته فلا يشترط في الخطاب معه ما يشترط في الخطاب مع البشر من جعل الكلام تاماً مفيداً يحسن السكوت عليه.

وقول (الله، الله) إنما هو نداء بحذف أداة النداء وأصله (يا الله، يا الله) كقوله تعالى ﴿**يوسف أعرض عن هذا**﴾[1]، وأصله يا يوسف ثم إن المنادى عند النحويين مفعول به لفعل محذوف وأصل الكلام (أدعُ الله) وقد يكون المبتدأ الله والخبر الله أو اسم من أسماء الله عز وجل، ويكون هناك في القلب (العفو، الرحيم...) وذلك كما أراد أحدهم أن يشبه شجاعة زيد بشيء آخر فلم يستطع فقال: زيدٌ زيدٌ.

وكذلك من حاول تشبيه الإمام شعبة بشخصية عظيمة تقربه لذهن المخاطب فلم يجد إلا أن يقول: شعبة شعبة.

على أن الذكر باسم الله المفرد أسرع في قلع جذور النفس من منابتها من السكين الحاد فهو يزيل علائق الخلق من القلب ويفرغه من الأكوان فترتحل عن قلوب الذاكرين الغفلة حتى يكون السلام سارياً في عروقهم ممزوجاً بأرواحهم، ويكون المذكور تجاههم لا يغفلون إذا غفل الناس، وعندها يتحققون بمقام الإحسان الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: (.. الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه..)[2].

وفي نهاية الباب أقول: وأما ما ذهب إليه بعضهم من عدم جواز الذكر بالاسم المفرد فلا دليل له على ذلك، بل إن نصوص القرآن الكريم تخالفهم كقوله تعالى: ﴿**قل اللّهُ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون**[3]﴾.

---

١ - سورة يوسف الآية (٢٩).

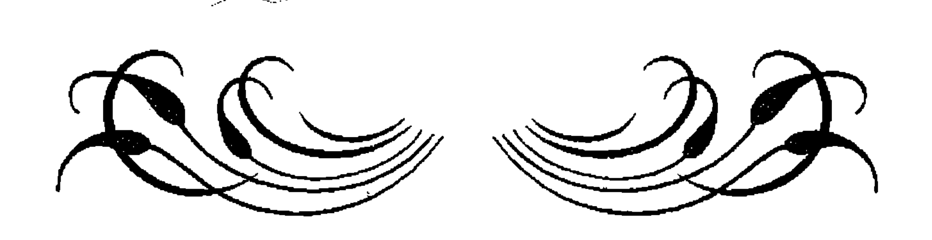
٢ - مر تخريجه (ص١٦).

٣ - سورة الأنعام الآية (٩١).

وقوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن ا لله**[1]﴾ وقول رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لاتقوم الساعة وعلى الأرض من يقول: (ا لله ا لله[2] وقول سيدنا بلال الحبشي رضي ا لله عنه حين كان يعذبه أمية بن خلف أشد العذاب تحت حر شمس مكة: أحد أحد[3] وسيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم يسمع قوله ولاينكر عليه وسكوته عليه الصلاة والسلام إقرار وهذه كلها أدلة على جواز الذكر بالاسم المفرد فإذا كانت قدوتنا وأسوتنا الشريعة المطهرة من كتاب ا لله وسنة رسوله صلى ا لله عليه وسلم فكيف نترك الأدلة الصريحة ونتبع عقولنا إنه لشيء عجاب!!.

وهل يوجد دليل من كتاب ا لله وسنة رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ينهانا عن ذكر ا لله عز وجل.

إنه لشيء أعجب!!.



١ - سورة لقمان الآية (٢٥).

٢ مر تخريجه في أول الباب (٢٢٧).

٣ - كتاب سيدنا محمد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ص٨٨.



وأما ما جاء من الأدلة على جواز ضرب الدف فقد أخرج البخاري عن خالد ابن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ: جاء النبي ﷺ فدخل عليَّ صبيحة عرسي فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل آبائي يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبي الله يعلم ما في غد، فقال ﷺ: (دعي هذا وقولي ما كنت تقولين)[1].

وقوله: دعي هذا وقولي بالذي كنت تقولين: فيه إشارة إلى جواز سماع المدح، مما ليس فيه مبالغة تفضي إلى الغلو.

ويستفاد من هذا الحديث مشروعية إعلان النكاح بالدف والغناء المباح.

وأخرج البخاري أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو[2].

وفي رواية شريك: أن رسول الله ﷺ قال:

(فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قلت: تقول ماذا؟ قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحيَّاكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمرا ء ما سمنت عذاريكم(٣)

وفي الحديث دلالة على جواز اللهو في وليمة النكاح كضرب الدف والغناء

---

١ - أخرجه البخاري (٤٠٠١) و (٥١٤٧) و أبو داود (٤٩٢٢) والترمذي (١٠٩٠)، والطبراني (٢٤/٦٩٨) والبيهقي (٧/٢٨٩) و أحمد (٦/٣٥٩-٣٦٠)، وابن ماجه (١٨٩٧)، وابن حبان (٥٨٧٨).

٢ - أخرجه البخاري (٥١٦٢)،عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (ج٢ - ص٢٠٣).

٣ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (ج٢/ص ١٤٩) وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٨٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (٥٧٣٧).

لإعلان النكاح وإظهاره وانتشاره حتى تثبت الحقوق فيه.

وسئل مالك عن اللهو يكون فيه البوق، فقال: "إن كان كبيراً مشتهراً فإني أكرهه، وإن كان خفيفاً فلا بأس بذلك، وقال مالك: لابأس بالدف في وليمة العرس".

وقال أصبغ من المالكية: "ولا يجوز الغناء في العرس ولا في غيره إلا مثل ما يقول نساء الأنصار أو رجز خفيف[1].

ودخل الشعبي رحمه الله تعالى إلى وليمة فأقبل على أهلها، فقال: مالكم كأنكم اجتمعتم على جنازة!! أين الغناء والدف؟ [إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافخ عن رسول الله [2]].

ودليل الغناء مع الدف وقت النكاح لإعلانه وتشجيعه قوله عليه الصلاة والسلام (فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح)[3].

وكذلك متفق على إباحة الدف بقوله عليه الصلاة والسلام: (أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال[4]).

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: [**أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف**[5]] وهو مباح في النكاح وغيره. أي ضرب الدف لأنه روى الإمام الترمذي عن النبي ﷺ أن امرأة جاءته فقالت: إني نذرت إن رجعت من سفرك سالماً أن أضرب على رأسك بالدف فقال النبي ﷺ أوفي بنذرك)[6] ولو كان مكروهاً لم يأمرها به وإن كان منذوراً[7].

وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار

١ – المفصل (ج٤ ص٦٣).
٢ – رواه البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٦٣٣٤)، والترمذي (٢٨٤٦)، وأحمد بن حنبل (٥|٢٢٢) وأبو داود (٥٠١٣) مختصراً، والنسائي (٧١٥).
٣ – أخرجه الترمذي (١٠٨٨)، وقال: حديث حسن، والنسائي (٣٣٦٩)، وابن ماجه (١٨٩٦) وأحمد (٣|٤١٨).
٤ – أخرجه ابن ماجه (١٨٩٥)، وأبو نعيم (٣|٢٦٥).
٥ – أخرجه الترمذي (١٠٨٩) والسيوطي في الجامع الصغير (١١٩٨).
٦ – رواه أبو داود (٣٣١٢).
٧ – المفصل (ج٤ ص٧١).

يضربن بدُفِّهنَّ ويتغنين ويقلن:

**نحن جوار من بني النجار		يا حبذا محمد من جار**

فقال النبي ﷺ: (وا لله يعلم أني أحبكن)[1].

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: قال رسول ا لله ﷺ: (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف)[2].

قالوا: لا بأس بضرب الدف يوم العيد لما روي عن عائشة أن أبا بكر الصديق رضي ا لله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان، والنبي ﷺ متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال: (**دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد**[3] وتلك الأيام أيام منى.

وعن عائشة رضي ا لله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين[4].

وقد نص الفقهاء على جواز الدف والضرب به لعرس، وختان، وقدوم غائب، وولادة، وعيد، وشفاء مريض، وغير ذلك، وإن كان فيه جلاجل لإطلاق الخبر، ودعوى أنه لم يكن فيه جلاجل تحتاج إلى إثباته، والجلاجل إما نحو حلق تجعل داخله كدف العرب، أو صنوج عراض من صفر تجعل من خروق دائرته كدف العجم وكلها جائزة، ومن قال بالكراهة فقوله مردود، وسواء ضرب به رجل أو أنثى، وتخصيصه بالنساء مردود أيضاً كما أفاده السبكي[5].

* وما جاء من أقوال وحكم للعلماء في الدف:

حكى الإمام البيهقي عن شيخه الإمام الحليمي ولم يخالفه، إذا أبحنا الدف فإنما نبيحه للنساء خاصة. ا.هـ

---

١ – سنن ابن ماجه (١٨٩٩)، وقال: (إسناده صحيح، ورجاله ثقات).
٢ – أخرجه الترمذي (١٠٨٩) والسيوطي في الجامع الصغير (١١٩٨)..
٣ – أخرجه مسلم (٢٠٦٠).
٤ – أخرجه البخاري (٩٥٢) ومسلم (٢٠٥٨)، وابن ماجه (١٨٩١)، وأحمد (٦/٩٩) والبغوي (١١١١)، والبيهقي (١٠/٢٢٤)، وابن حبان (٥٨٧٧).
٥ – نيل الأوطار للشوكاني (٦/ ٣٣٧-٣٣٨).

وعبارة منهجه: وضرب الدف لا يحل لغير النساء لأنه في الأصل من أعمالهن وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين بالنساء. ا.هـ

ونازعه السبكي في الحلبيات بأن الجمهور لم يفرقوا بين الرجال والنساء.

قال: فتفريق الحليمي بينهما ضعيف والأصل اشتراك الذكور والإناث في الأحكام إلا ما ورد الشرع فيه بالفرقة ولم يرد هنا.

وليس ذلك مما يختص بالنساء ليقال: يحرم على الرجال التشبه بهن فيه فينبه على العموم وقد جاء: (أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف)[1].

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء: يباح في العرس والعيد وقدوم الغائب وكل سرور حادث[2]. وهنا الدليل واضح بقوله ﷺ: (اضربوا) فالواو لجمع المذكر السالم ولو كان القصد فقط النساء لقال: (اضربن عليه بالدفوف) فهذا ظاهر في الجواز للرجال والله أعلم.

ويقول الشيخ ابن حجر الهيثمي في رسالته كف الرعاع: "المعتمد من مذهبنا أنه حلال بلا كراهة في عرس وختان وتركه أفضل، وهكذا حكمه في غيرهما فيكون مباحاً أيضاً على الأصح في المنهاج بلا كراهة، وظاهر ندبه لكل سرور مطلوب[3].

وذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي رحمه الله في شرحه الكبير على الجامع الصغير للسيوطي رحمه الله تعالى: عند قوله عليه الصلاة والسلام: (أعلنوا النكاح واجعلوه بالمساجد واضربوا عليه بالدفوف): وقد أفاد الخبر حل ضرب الدف في العرس ومثله كل حادث سرور، ومذهب الشافعية: أن الضرب فيه مباح مطلقاً ولو بجلاجل، وقد وقع الضرب به في حضرة شارع الملة، ومبين الحل من الحرمة وأقره ولا فرق بين ضربه من امرأة أو رجل على الأصح[4].

وسئل أبو يوسف رحمه الله تعالى عن الدف، أتكرهه في غير العرس قال: لا

---

١ - أخرجه الترمذي (١٠٨٩).
٢ - الزواجر [ج٢] ص٢٩١.
٣ - كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع [٢٩٠-٢٩١].
٤ - إيضاح الدلالات في سماع الآلات ، ص٥٤-٥٥).

أكرهه[1].

❊وقال الإمام الجليل بهاء الدين الرواس رحمه الله وقدس سره:

"نعم إن السَّماع قد تكاثرت فيه الأقوال وتباينت عليه الأحوال، إثباتاً، ونفياً، فمنهم من يلحقه بالفسق، ومنهم من يشهد أنه واضح الحق، فيتجاذبون بين الإفراط والتفريط، والحق الاقتصاد، وهو التفصيل في المسموع، أما أصوات الملاهي فغير ما هو من شعار أهل الشرب منها مثل الدف ونحوه فعند الإمام الشافعي الأعظم رضي الله عنه فسحة، وللقول فيها تفاصيل حررتها بقصيدة لي وهي:

اضرب الدُّفَّ وجانِبْ جاهلاً	حكمةَ الشرع لغيٍّ ما درى
قد أباح الدُّفَّ قِدْماً مالكٌ	وعن الأصحاب يروي الخبرا
والإمام الشافعي المنتقى	تَبِع القول وقوَّى الأثرا
وكذا النعمان قد قيَّده	لنكاحٍ أو لعيدٍ وجرى
وأتى عن أحمدٍ بينهما	خبر خُذْ نصَّه معتبِرا
إن يكن في العيد أو في مثله	من دواعي الخير زينٌ لا مِرا
وحكى فيه ثواباً بيناً	لطباق جاء عن خير الورى
نكتة الإجماع إن جاءت على	حكم نص أبداً لن تنكرا
هذه الأخبار عن أربعة	لبقاء الدين أفنوا العمرا
ولشأن النص سرٌّ آخر	نثر الأقوام منه الدررا
كل ما حرّك قلباً ساكناً	ودعا العقل به معتبراً
وأجال الروح في برزخها	تذكر الله وتبغي مظهرا
فهو بِرٌّ والذي يفعله	فعل البر ولله سرى
إن في الدف وفي رنته	نغمة يعرفها من ذكرا
صوته ذكر وفي بحّته	أنّةٌ تذكر أوقات السُّرى

---

١ - الفتاوى الهندية (ص ٣٥٢).

نضـرب الـدّف ومنـه عندنـا ذاكـراً نسـمعه لـن يفـتُرا
وبهـذا اللـف مـن دورتـه دورة الكوكـب إن مـا أبـدرا
يرفـع العـزم إلى ا الله وقـد يحكي معنى كيف تقضي العمرا
كـم صبـاح دار بـالليل وكـم مـن هـلال بالليـالي انحـدرا
وبـه معنـى رقيـق مخـبر كيـف شـق الهـاشمي القمـرا
وبـه رَقّ إلى الـرِّقِ عُـزِي كـل نفـس طيشـها قـد كـبُرا
وبـه الدفـة تـروي خـبر الـ ـدّفة الملسـاء عمـن قُـبِرا
ويريـك الجلـد منـه ميتـاً أذهـب العـين وأبقـى الأثـرا
ويريـك الخشـب الملـوي فيـ ـه بـأن الفقـد يلـوي الشـجرا
دورة في نسـجها دائـرة تـبرز النقطـة فـافهم مـا جـرى
وبـرن الجلـد مـن ضاربـه طلـب الهمـة ممـن قـدرا
فـإذا يُـترك يغـدو سـاكناً وإذا يضـرب طـوراً أحضـرا
لـك هـذا الـرقّ مـن قلبـك إن لم تَرُعـه خِلتـه مـا ذكـرا
وإذا هـز بحـال ضـارب داوم الذكـر وخـاف الخطـرا
قـام في الـدف منـاد كـامن إن رأى الكـف بـدا واشـتهرا
خـذ بـه الكـف عـن الدنيـا وقـم بيـد الذكـر لـه مسـتظهراً
وافهمـن مـن جلـده معنـى إذا أنـت حققـت كمـا الجسـم يـرى
رَقَّ حتـى طـاب منـه صوتـه بعـد شـدٍ فـافهمن مـا أضمـرا
واعمـل الرقـة خلقـاً ثـم شـد لهـا العـزم لتعطـى مظهـراً
وانظـر اللـوح الـذي دار بـه قـد غـدا في جلـده مسـتترا
فاستر الكـامن مـن حـال وكـن لمحيـط سـاتر مفتقـرا
واحـذر المـس لنـار بـالذي خـالف الشـرع لتكفـى الغِـيَرا
جلـدة الـدُّف إذا النـار بهـا عبثـت تدخـل في نـوع الـثرى

يذهب الستر وتبقى خشباً ما بها صوت ولا السر يرى
فاحذر النار وكن ذا فطنة دائماً مستشعراً مستبصرا
وافهم الحكم بهذا عيدنا عن نبي هابه ليث الشرى
سيد قد أيد الدين به وبه قد شرفت أم القرى
فاضرب الدف على حكمته ودع اللاهي بما فيه افترى
ومن الأشياء خذ تسبيحها مثل ما في الآي نصاً ذكرا
وارشد العالم واهجر جاهلاً نظر الشمس كأن ما نظر
واهمل الحاسد في حيرته عرف الحق وولى مدبراً
ولدي كن مهدوي المرتقى أحمدياً واستدق النظرا
إن موسى من أولي العزم وقد لخفاء الحكم لام الخضرا
فاحكِم استدلالَك الدهر وكن ثابت العزم مكيناً وقِرا
قد نظمنا حكمة الدُّف لمن قلبه سر التدلي وقَرا
وكتبناه سطوراً لفتى فهم النظم وللسطر قرا
جاء شعراً مهدوياً رمزه بمعانيه أطاش الشُّعرا
راح في طي مباني نظمه دُرُّنا منسلكا منتشرا
عنه آيات المعاني أحكمت خبراً يحيي قلوب الفقرا
وطوى معنى لطيفاً سائغاً كلما أورد سراً أصدرا(١)

❋ وقال الشيخ عبد الغني النابلسي:

وأما ضرب الدف والرقص فقد جاءت الرخصة في إباحته للفرح والسرور في أيام الأعياد والعرس، وقدوم الغائب والوليمة والعقيقة، وقد ثبت جواز ذلك بالنص[٢].

ومن ذلك كله يتبين أن الغناء في الأفراح والأحزان جائز ولكن ضمن القيود

١ - طي السجل ص١٣٩-١٤٢.
٢ - إيضاح الدلالات (ص٦٦).

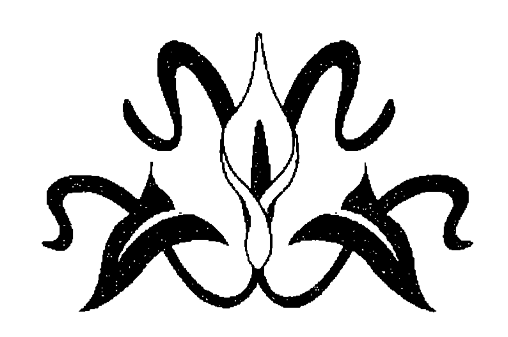
والضوابط التي وضعها العلماء لهذه الإباحة وسيأتي الكلام عنه مفصلاً في باب الإنشاد والسماع إن شاء الله تعالى.

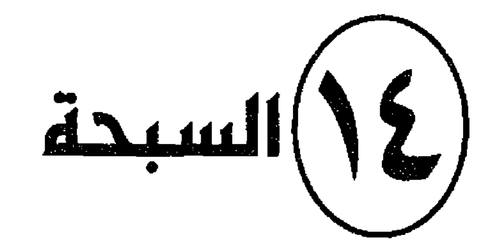
ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته (ج٣/ص٥٧٥)، يجوز الغناء المباح وضرب الدف في العرس والختان بقوله ﷺ: (**أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال**) (وتحرم الأغاني المهيجة للشرور والمشتملة على وصف الجمال والفجور ومعاقرة الخمور في الزفاف وغيره).

وفي مجموعة رسائل الشيخ محمد الحامد في الكلام على الدف ما نصه (ص٦٣): (اللهو في العرس هو الضرب بالدف والغناء السالم من الفسوق).

وقال الشيخ كريم راجح حفظه الله تعالى: قلت للشيخ ملا رمضان البوطي رحمه الله:لماذا لا نحرم الدُّف،فقال الشيخ ملا رحمه الله: كيف نحرم شيئاً أحله الشرع؟! وهذا سمعته من الشيخ كريم راجح حفظه الله تعالى.

وفي هذا القدر كفاية لطالب الحق والدليل والحمد لله رب العالمين.





تعريف السبحة في اللغة: قال الإمام محي الدين النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": (سبحة بضم السين وإسكان الباء الموحدة، خرزات منظومة يسبح بها معروفة يعتادها أهل الخير مأخوذة من التسبيح. والمسبحة: بضم الميم وفتح السين وكسر الباء المشددة، الإصبع السبابة وهي التي تلي الإبهام وسميت بذلك لأن المصلي يشير بها إلى التوحيد والتنزيه، أ.هـ).

وفي "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير" للشهاب الفيومي: التسبيح: التقديس والتنزيه ويكون بمعنى الذكر والصلاة فريضة كانت أو نافلة، ويسبّح على راحلته أي يصلي النافلة عليها، وصلى سبحة الضحى أي صلاة الضحى ومنه ﴿**فلولا أنه كان من المسبحين**[1]﴾ أي من المصلين، والسبحة خرزات معروفة منظومة، قال الفارابي وتبعه الجوهري: كلمة مولدة وجمعها سبح مثل غرفة وغرف. أ.هـ[2].

وفي القاموس: السبحة خرزات للتسبيح تعد، والدعاء، وصلاة التطوع.

وفي شمس العلوم[3]: السبحة: الصلاة، يقال قضيت سبحتي. والسبحة الخرزات التي يسبح بها وجمعها سُبَح[4].

❋ مشروعية اتخاذ السبحة:

١– عن عبدا لله بن عمرو رضي ا لله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح بيده[5].

وأمر رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم النساء بالعقد بأصابعهن فقال: [**عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات**[6]].

١ – سورة الصافات الآية (١٤٣).

٢ – نقل شارح القاموس عن شيخه أنها ليست من اللغة في شيء ولا تعرفها العرب، وإنما حدثت في الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيراً أو تنشيطاً..

٣ – للإمام أبي الحسن نشوان بن سعيد بن فشوان اليمني الحميري الفقيه اللغوي المحقق المؤرخ الشاعر المتوفى سنة (٥٧٣) هـ باليمن.

٤ – نزهة الفكر (ص٨-٩).

٥ – رواه الترمذي (٣٤١١) و (٣٤٨٦)، وأبو داود (١٥٠٢)والنسائي (٣|٧٩) والحاكم (١|٥٤٧) والبيهقي (٢|٢٥٣) وأحمد (٢|١٦٠)، وابن حبان (٨٤٣) والبغوي (١٢٦٨).

٦ – أخرجه أبو داود (١٥٠١) والترمذي (٣٥٨٣)، وأحمد (٦|٣٧٠)، والطبراني في الكبير (٢٥|٧٣ "١٨١") وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/٢٨٩) وصححه الذهبي في "المختصر" وحسنه الحافظ ابن حجر في "أمالي الأذكار" والنووي في "الأذكار".

٢- وعن صفية قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف نواةٍ أسبح بهن، فقال: ما هذا يا بنت حيي؟ قلت أسبح بهن، قال: قد سبحت منذ قمت على رأسك أكثر من هذا، قلت: علمني يا رسول الله، قال قولي سبحان الله عدد خلقه[١].

٣- وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن يونس بن عبيد عن أمه قالت: رأيت أبا صفية رجل من أصحاب النبي ﷺ وكان جارنا قالت فكان يسبح بالحصى.

٤- وأخرج أحمد في الزهد: عن عبد الرحمن قال: كان لأبي الدرداء رضي الله عنه نوى العجوة في كيس، فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفذن.

٥- وأخرج أبو داود في "باب ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابة أهله" من كتاب النكاح عن أبي نضرة حدثني شيخ من طفاوة[٢] قال تثويت أبا هريرة بالمدينة فلم أر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ أشد تشميراً ولا أقوم على ضيف منه، فبينما أنا عنده يوماً وهو على سرير له معه كيس فيه حصى أو نوى وأسفل منه جارية له سوداء وهو يسبح بها حتى إذا نفذ ما في الكيس ألقاه إليها فجمعته فأعادته في الكيس فرفعته إليه فقال: ألا أحدثك عن رسول الله ﷺ. الحديث[٣].

قال السيوطي في "مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود" معنى تثويت: تضيفت ونزلت عنده ضيفاً. أ.هـ[٤].

٦- وكذلك أخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري، أنه كان يسبح بالحصى وكذلك صح أنه كان لأبي هريرة أيضاً خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به.

٧- وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مولاةٍ لسعد أن سعداً كان يسبح بالحصى أو النوى.

٨- وأخرج ابن سعد أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصى.

---

١ - رواه الترمذي (٣٥٥٤).
٢ - أبو نضرة: هو المنذر بن مالك تابعي جليل، وطُفاوة بضم الطاء حي من قيس عيلان.
٣ - رواه أبو داود (٢١٧٤).
٤ - نزهة الفكر (ص١٢).

٩- وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أنه كان يسبح بالنوى المجزع: "أي ما فيه سواد وبياض".

١٠- وأخرج أيضاً عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها.

١١- وورد في الأثر: نعم المذكر السبحة.

* أقوال العلماء في اتخاذ السبحة:

ورد في حديث مسلسل أن الحسن البصري كان يستعمل السبحة وكان هو في عصر الصحابة.

وقال عمر المكي: رأيت أستاذي "الحسن البصري وفي يده سبحة" فقلت له: يا أستاذ، مع عظم شأنك وحسن عبادتك أنت إلى الآن مع السبحة؟ فقال لي: هذا شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات، إني أحب أن أذكر الله بقلبي ويدي ولساني.

وقال محمد الأمير في رسالته: قال الشيخ أبو العباس الرَّوَّاد: تبين من قول الحسن أن السبحة كانت موجودة في زمن الصحابة لأن بدايته في زمنهم[١].

وفي (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لابن حجر المكي الهيتمي الشافعي: يحل نحو الجلوس على الحرير بحائل ولو رقيقاً، ومن استعماله المحرم التدثر به، ويحل جعل الطارز منه على الكم إذا كان بقدر أربعة أصابع وخيط السبحة[٢]، وعلم الرمح وكيس المصحف.

وقال ابن علان وقد أفردت السبحة بجزء لطيف سميته [إيقاد المصابيح في اتخاذ المسابيح] وأوردت فيه ما يتعلق بها من الأخبار والآثار، والاختلاف في تفاصيل الاشتغال بها أو بعقد الأصابع في الأذكار، وحاصل ذلك أن استعمالها في أعداد الأذكار الكثيرة التي يلهي الاشتغال بها عن التوجه للذكر أفضل من العقد بالأنامل ونحوه..."، إلى آخر كلامه، وقال عند قوله ﷺ (وأن يعقدن الأنامل، فإنهن مسؤولات مستنطقات)

---

١ - نزهة الفكر في سبحةالذكر للإمام اللكنوي (ص ١٦-١٨-٣٦).
٢ - أي يحل خيط السبحة وما عطف عليه إذا كان من الحرير.

بعد كلام: "ولهذا اتخذ أهل العبادة وغيرهم السبحة"[١].

وفي شرح المشكاة لابن حجر: ويستفاد من الأمر المذكور في الحديث ندب اتخاذ السبحة وزعم أنها بدعة غير صحيح.....

وقال ابن الجوزي: إن السبحة مستحبة، لما في حديث صفية أنها كانت تسبح بنوى أو حصى وقد أقرها ﷺ على فعلها والسبحة في معناها، إذ لا يختلف الغرض عن كونها منظومة أو منثورة.

وقال عكرمة: قد اتخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم كأبي هريرة كان له خيط فيه ألفا عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثنتي عشرة ألف تسبيحة.

وفي الدر المختار (في مذهب الحنفية): لا بأس باتخاذ السبحة لغير رياء كما بسطه في البحر.

وقال الإمام السيوطي: "وقد أخذ السبحة سادات يشار إليهم ويؤخذ عنهم ويعتمد عليهم فلو لم يكن في اتخاذها غير موافقة هؤلاء السادة، والدخول في مسلكهم لكفى.

وذكر القاضي أبو العباس، أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه رؤي في يد أبي القاسم الجنيد بن محمد يوماً سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ قال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه[٢].

وقد قال العلامة ابن عابدين في حاشيته المشهورة: "لا بأس باتخاذ السبحة ودليل الجواز ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة، وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، فقال: "أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل، فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله

---

١ من الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للعلامة محمد بن علان الصديقي المتوفى سنة (١٠٥٧) هـ (ج١ص٢٥١-٢٥٢).
٢ - الحاوي (ج٢أص٣٧-٤٠).

عدد ما بين ذلك[1]".

فلم ينهها عن ذلك وإنما أرشدها إلى ما هو أيسر وأفضل، ولو كان مكروهاً لبين ذلك. ولا تزيد السبحة على مضمون هذا الحديث إلا بضم النوى في خيط، ومثل ذلك لا يظهر تأثير المنع فلا جرم أنه نقل اتخاذها والعمل بها عن جماعة من الصوفية الأخيار وغيرهم"[2].

وقال علي القاري في المرقاة في شرح حديث سعد المذكور: هذا أصل صحيح لتجويز السبحة بتقريره ﷺ تلك المرأة، إذ لا فرق بين المنظومة والمنثورة ولا يعتد بقول من عدها بدعة وقد قال المشايخ إنها سوط الشيطان[3].

وقال بعض العلماء: عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة ولكن يقال: إن المسبِّح إن أمن الغلط كان عقده بالأنامل أفضل وإلا فالسبحة أولى.

* الشبهات في اتخاذ السبحة:

شبهة: لو كان فيها حسن لا تخذها النبي ﷺ وهدى الصحابة إليها.

"وجوابه": أنه ليس كل ما لم يفعله النبي ﷺ بنفسه فهو ليس بحسن، فإن ما رغب فيه أو قرر عليه أو على نظير له وجد بين يديه أيضاً حسن[4].

والدليل على ذلك عقده صلى الله عليه وسلم بالأنامل وأمره النسوة أن يعقدن بها كما في بداية الأدلة في أول الباب.

شبهة: أن بعض الفقهاء قد حكم بأن مطلق العد بدعة فما بالك بالعد بالسبحة، والأمر إذا دار بين الحسن والابتداع ترك حذراً عن شبهة الاختراع..

"وجوابه": أن قول من قال مطلق العد بدعة مردود ذلك بنص النبي ﷺ وفعله

---

١ - أخرجه بلفظ (سبحان الله عدد ماهو خالق) في المرة الثالثة أبو داود (١٥٠٠) والترمذي (٣٥٦٨) والطبراني في الدعاء (١٧٣٨) والبغوي (١٢٧٩) وابن حبان (٨٣٧) والحاكم (١|٥٤٧-٥٤٨) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر في "أمالي الأذكار".

٢ - من حاشية ابن عابدين [ج١ ص ٤٥٧).

٣ - أي: السوط الذي يُزْجَرُ به ويُطْرَدُ.

٤ - وهنا قرر ﷺ النظير وهو التسبيح بالحصى.

وفعل أصحابه الأجلاء، والأمر الدائر بين الحسن والابتداع، إنما يترك إذا تساوى فيه طرفا الحسن والابتداع وههنا قد ترجح جانب الحسن بالوجوه العديدة، فتكون العبرة له لا للشبهة السخيفة.

وأما القول بأن السبحة منقولة عن الأديان أو الأوطان الأخرى فغير صحيح بعد ما قدمنا من نشوئها وتطورها في الوسط الإسلامي، فإن اتفق وجه شبه بين هذا وذاك فليس معناه النقل والتقليد، ولكنه نوع من توارد الخواطر والأفكار علماً بأنه ليس كل نقل أو تقليد حرام!!..

ولو اتخذ السبحة من نوع جيد بنية تعظيم الذكر والمذكور سبحانه، كان لا بأس به ولا حرج عليه، فإن اتخذها من نوع غال بنية المفاخرة والشهرة ولفت النظر كانت حراماً، واتخاذ السبحة الكاملة أفضل من اتخاذ الثلث قولاً واحداً. كما يحرم اتخاذ السبحة للهو واللعب والمفاخرة ومجرد اشتغال اليد، لأنها أداة عبادة، كما يحرم العد عليها من غير ذكر لأنه تشبه كاذب وعبث، كما أفتى بذلك الإمام ابن الحاج رضي الله عنه، وقد أفتى الشيخ العدوي، بعدم اتخاذ السبح الكبار جداً اللافتة للأنظار ووضعها في العنق أو نحو ذلك، نقول: لما في ذلك من طلب الشهرة والرياء، وحب زعم الولاية واستغلال السبح واستغفال العامة، والله الموفق للصواب.

ومن لطيف العبر ما حكاه الإمام السيوطي عن بعض الثقات، أنه أخبره: أنه كان مع قافلة في درب بيت المقدس، فقامت عليهم سرية عرب، وجردوا القافلة جميعها وجردوني معهم، فلما أخذوا عمامتي سقطت سبحة من رأسي، فلما رأوها قالوا: هذا صاحب سبحة، فردُّوا عليَّ ما كان أخذ مني، وانصرفتُ سالماً منهم.

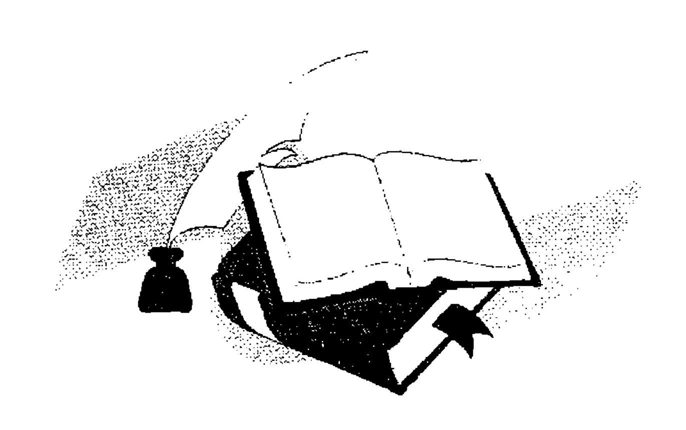
قال السيوطي: فانظر يا أخي إلى أهل الآلة المباركة الزاهرة وما جمع فيها من خيري الدنيا والآخرة[1].

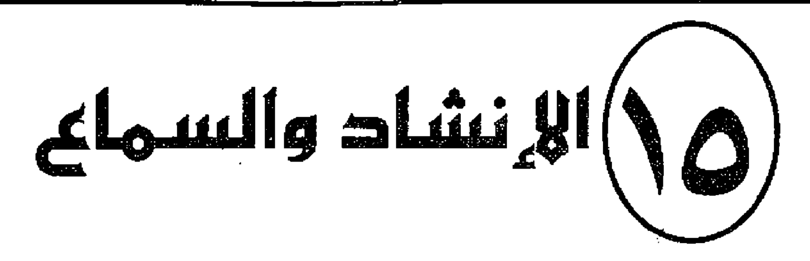
١ـ نزهة الفكر في سبحة الذكر للإمام اللكنوي (٢٥).

الخاتمة

ومن مجموع هذه الآثار نجد أن أصل اتخاذ السبحة قائم في الإسلام لإحصاء الذكر وإن الذي تطور إنما هو النوى والحصى، وتطورت العقد في الخيط وعلى الأنامل إلى حبات مثقوبة على صورة العقد يجمعها خيط يحملها العابد فتذكره بربه وبورده.

وفي هذا القدر كفاية لمن أراد أن يكتفي والحمد لله رب العالمين.





١٥ الإنشاد والسماع

* الأدلة من القرآن الكريم:

لقد استدل القائلون بإباحة الغناء بكثير من الأدلة من القرآن الكريم منها:

قال الله تعالى: ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير**﴾[١]

قال ابن كثير نقلاً عن الإمام الزهري وابن جريج في قوله تعالى: ﴿**يزيد في الخلق ما يشاء**﴾: يعني حسن الصوت. ورواه عن الزهري البخاري في الأدب المفرد[٢].

وقال القرطبي في تفسير الآية: إنه حسن الصوت كما ذكر ابن كثير عن الزهري[٣].

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين كالنسفي والبيضاوي والخازن وغيرهم[٤].

* الأدلة من السنة الشريفة

عن سيدنا أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ كان في سفره وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة، فقال النبي ﷺ: (رويدك ياأنجشة سوقك بالقوارير). قال أبو قلابة: يعني ضعفة النساء[٥].

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أيضاً قال: (كان للنبيَ ﷺ حادٍ يقال له أنجشة وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ: (يا أنجش رويدك لاتكسر القوارير)[٦].

١ - سورة فاطر الآية (١).
٢ - تفسير ابن كثير (٥| ٥٦٧).
٣ - الجامع لأحكام القرآن القرطبي (١٤| ٣٢٠).
٤ - تفسير البغوي بهامش تفسير الخازن (٣/٢٩٦).
٥ - أخرجه البخاري في (٦٢١١) ومسلم (٥٩٩٤)، والبيهقي (١٠/٢٢٧)، والبغوي (٣٥٧٧) وابن حبان (٥٨٠١).
٦- مر تخريجه.

قال قتادة: يعني ضعفه النساء.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: (قال ابن بطّال: القوارير كناية عن النساءاللاتي على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر عليه الصلاة والسلام الحادي بالرفق بالحداء، لأنه يحث الإبل حتى تسرع، فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويداً أمن على النساء السقوط.... إلى أن قال: نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء، وفي كلام بعض الحنابلة خلاف فيه ومن منعه محجوج بالأحاديث الصحيحة.

ويلتحق بالحداء هنا الحداء للحجيج المشتمل على التشوق إلى الحج يذكر الكعبة وغيرها من المشاهد، ونظيره ما يحرّض أهل الجهاد على القتال.

وعن سيدنا أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: (ياأبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل دواد)[1].

وعن عامر بن سعد قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوارٍ يغنين، فقلت: أي صاحبا رسول الله ﷺ ومن أهل بدر يُفعل هذا عندكم؟!... فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا، وإن شئت فاذهب، فإنه قد رخّص لنا في اللهو عند العرس)[2].

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: (ياعائشة ما كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو).

وفي رواية شريك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني؟ قلت: ماذا تقول؟ قال تقول:

**أتيناكم... أتيناكم		فحيانا وحياكم**

**ولولا الذهب الأحمر		ما حلت بواديكم**

---

١ - أخرجه البخاري (٥٠٤٨)،وفي (خلق أفعال العباد) ص ٣٣، ومسلم (١٨٤٩)، والترمذي (٣٨٥٥).

٢ - أخرجه النسائي (٣٣٨٣).

ولولا الحنطة السمراء ... ما سمنت عذاريكم[1]

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث[2]، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت رسول الله ﷺ، وإما قال: (تشتهين تنظرين؟) قلت نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: (دونكم يابني أرفدة، حتى إذا مللت قال: (حسبك؟) قلت: نعم، قال: (فاذهبي).

وفي رواية قالت: (دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: (إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا)[3].

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: (أنشدت رسول الله ﷺ مئة قا فية من قول أمية بن أبي الصلت، كل ذلك يقول: (هيه هيه) ثم قال: (إن كاد في شعره ليسلم)[4].

وعن سيدنا بريدة رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يارسول الله إني كنت نذرت إن ردّك الله سالماً أن أضرب، بين يديك بالدف وأتغنى، قال لها: (إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا) فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل

---

١ - أخرجه البخاري في الصحيح (٥١٦٢)، والحاكم (٢|١٨٤) والبيهقي (٧|١٨٨)، والأبيات هي من بحر الهزج، وهو نوع من بحور الشعر خفيف الإيقاع ووزن الأبيات كالتالي:

أتيناكم أتيناكم ... فحيانا وحيّاكم

أَتَيْنَاْكُمْ أَتَيْنَاْكُمْ ... فَحَيَّاْنَاْ وَحَيَّاْكُمْ:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن.

٢ - يوم بعاث: يوم كان الحرب بين الأوس والخزرج قبل الإسلام، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح، فتح الباري لابن حجر (٨| ٧٧).

٣ - فتح الباري، ط السلفية(٢|٤٤٥)- وأحمد في مسنده (٦| ١٣٤)، ومسلم (٣| ٢١) ط الحلبي، وابن ماجه (١| ٦١٢)، والنسائي في سننه (٣| ١٩٦).

٤ - أخرجه مسلم (٢٢٥٥)، والبخاري في الأدب (٧٩٩).

عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدُّف تحت إستها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان ليخاف منك ياعمر، إني كنت جالساً وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدُّف)[1].

وعن سيدنا قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت)[2].

وعن سيدنا فضالة بن عبيد الله عن النبي ﷺ قال: (لله أشدُّ أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته)[3].

وقالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده الشعر وهو يبتسم)[4].

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرّ ببعض المدينة فإذا هو بجوار صغار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن:

نحن جوارٍ من بني النجار ... يا حبذا محمدٌ من جار

فقال النبي ﷺ: (الله يعلم إني لأحبكن)[5].

عن عبد الله بن الزبير قال: (ماأعلم رجلاً من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم)[6].

---

١ - أخرجه الترمذي (٣٦٩٠) ولقد نظم الشاعر حافظ إبراهيم هذه القصة النبوية في قصيدة شعرية رائعة تقول:

أرأيت تلك التي لله قد نذرت ... أنشودة لرسول الله تهديها
قالت: نذرت لئن عاد النبي لنا ... من غزوة لعلى دُفٍ أغنيها
ويممتْ حضرة الهادي وقد ملأت ... أنوار طلعته أرجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت ... تشجي بألحانها ما شاء مشجيها
حتى إذا لاح من بعدٍ لها عمرٌ ... خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها في ثوبها فرقا ... منه وودَّت لو أن الأرض تطويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها ... فجاء بطش أبي حفص يخشيها
فقال مهبط وحي الله مبتسما ... وفي ابتسامته معنى يواسيها
قد فرّ شيطانها لما رأى عمرا ... إن الشياطين تخشى بأس مخزيها.

٢ - أخرجه الترمذي في الشمائل (٣٣٨٣)، وزاد قوله: (وكان نبيكم حسن الوجه وحسن الصوت).

٣ - أخرجه ابن ماجه (١٧٦).

٤ - أخرجه الترمذي (٢٨٥٠) وقال حديث حسن صحيح.

٥ - أخرجه ابن ماجه (١٨٩٩)وقال حديث صحيح، ورواته ثقات.

٦ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٠|٢٢٥).

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله — اليوم نضر بكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله — ويذهل الخليل عن خليله.
يارب إني مؤمن بقيله

فقال عمر رضي الله عنه: يابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺوفي حرم الله تقول شعراً؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلِّ عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل)[1].

وعن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(إن من الشعر حكمة)[2].

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قالت الأنصار يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً — على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم:

لاعيش إلا عيش الآخرة — فانصر الأنصار والمهاجرة(٣)

وعن سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع: ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحد وبالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا — ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اقتضينا — وثبت الأقدام إن لاقينا

---

١ – أخرجه الترمذي (٢٨٤٧) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٢٨٧٣)، وأبو يعلى (٣٤٤٠)، والبغوي (٣٤٠٤)، والبيهقي (١٠/٢٢٨)، وأبو نعيم (٦/٢٩٢)، وابن حبان (٥٧٨٨) وعبد بن حميد (١٢٥٧).

٢ – أخرجه البخاري (٦١٤٥)، وابن ماجه (٣٧٥٥)، والدارمي (٢٦٠٤) وأبو داود (٥٠١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٥٨)، والطيالسي (٥٥٦)، والبيهقي (١٠/٢٣٧)، وعبد الرزاق (٢٠٤٩٩) وابن أبي شيبة (٨/٦٩١)، وأحمد (٥/١٢٥)، وابنه في زوائد المسند (٥/١٢٦)، والشافعي (٢/١٨٨).

٣ – أخرجه البخاري (٢٩٦١) وفي أماكن كثيرة ومسلم (١٨٠٥) والترمذي (٣٨٥٧) وأحمد (٣/١٧٠) والبيهقي (٦/٣٩) وفي مسند علي بن الجعد (١٥٠٧).

وألقِين سكينة علينا		إنا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا السائق) قالوا: عامر بن الأكوع قال: (يرحمه الله) الحديث[1].

وعن سعيد بن المسيب قال: مر عمر في المسجد وحسان ينشد فلحظه عمر(أي نظر إليه نظرة إنكار) ثم التفت أي حسان إلى أبي هريرة فقال: (أنشدك بالله أسمعت رسول الله ﷺيقول: (أجب عني، اللهم أيده بروح القدس) قال: نعم[2].

وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، ويقول الرسول ﷺ: (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافخ أو فاخر عن رسول الله ﷺ)[3] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال: (هو الكلام حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام[4].

❋ أقوال العلماء

١ـ الإمام السفاريني رحمه الله تعالى:

يقول العلامة السفاريني شارح منظومة الآداب: (وفي رواية أبي بكر بن

---

١ – أخرجه البخاري (٤١٩٦) مطولاً و (٢٤٧٧) مختصراً، ومسلم (٤٦٤٤) مطولاً، وابن ماجه (٣١٩٥) بنحوه مختصراً، وأحمد (٤|٤٧-٤٨) مختصراً ومطولاً، وابن حبان (٥٢٧٦)؛ والبيهقي (٩|٣٣٠)، والبغوي (٣٨٠٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٩٤).

٢ – أخرجه البخاري (٣٢١٢)، ومسلم (٦٣٣٤)، وأبوداود (٥٠١٣) مختصراً، والنسائي (٧١٥)، وأحمد (٥|٢٢٢، ٢٢٣).

٣ – أخرجه الترمذي (٢٨٤٦)، وأحمد (٦|٧٢)، وفي رواية إن روح القدس مع حسان أخرجه أبو داود (٥٠١٥).

٤ – أخرجه أبو يعلى بإسناد حسن (ج٨ |٤٧٦٠) وذكره الهيثمي (٨|١٣٣١٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠|٢٣٩) وقال: وصله جماعة والصحيح عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً، والدارقطني (٤|١٥٥) وذكره في المطالب العالية (٢٥٧٨)، وقال محققه، سكت عليه البوصيري، ويشهد له حديث عبد الله بن عمر، وفي الأوسط (٧٦٩٢): قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام) وإسناده حسن كما في مجمع الزوائد (٨|١٢٣)، وأخرجه أيضاً الدارقطني (٤|١٥٦).

الأنباري، أن كعب بن زهير لما جاء تائباً وقال قصيدته المشهورة:

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول		متيم إثرها لم يفد مكبول.**

إلى أن وصل إلى قوله:

**إن الرسول لسيف يستضاء به		مهند من سيوف الهند مسلول**

رمى ﷺ إليه بردة كانت عليه، وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً، فلما مات كعب بعث معاويةإلى ورثته بعشرين ألفاًأخذها منهم إلى أن قال: تحصَّل من إنشاد قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه البردة عدة سنن: إباحة إنشاء الشعر، واستماعه في المسجد، والإعطاء عليه)[1].

وقال العلامة السفاريني في منظومة الآداب: (قال في الإقناع وغيره ويباح الحداء الذي تساق به الإبل ونشيد الأعراب).

وقال أيضاً: (المذهب الإباحة من غير كراهية لما تضافرت به الأخبار، وتضافرت به الآثار من إنشاد الأشعار، والحداء في الأسفار، وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء)[2].

وقال أيضاً في (غذاء الألباب): (والسماع مهيج لما في القلوب محرك لما فيها، فلما كانت قلوب القوم معمرة بذكر الله تعالى، صافية من كدر الشهوات، محترقة بحب الله، ليس فيها سواه، كان الشوق والوجد والهيجان والقلق كامن في قلوبهم كمون النار في الزناد، فلا تظهر إلا بمصادفة ما يشاكلها، فمراد القوم فيما يسمعون إنما هو مصادف ما في قلوبهم، فيستثيره بصدمة طروقه، وقوة سلطانه، فتعجز القلوب عن الثبوت عن اصطدامه، فتبعث الجوارح بالحركات والصرخات والصعقات لثوران ما في القلوب، لأن السماع يحدث في القلوب شيئاً.

٢ـ الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى:

ذكر الإمام الشاطبي في كتابه (الاعتصام): (أن أبا الحسن القرافي الصوفي يروي

---

١ – غذاء الألباب ص (١٥٥).
٢ – غذاء الألباب (١/١٤٥).

عن الحسن البصري رحمه الله: أن أقواماً أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فقالوا يا أمير المؤمنين إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تغنّى فقال عمر رضي الله عنه: من هو؟ فذكر الرجل، فقال: قوموا بنا إليه، فإنا إن وجهنا إليه يظن أنا تجسسنا عليه أمره. قال: فقام عمر رضي الله عنه مع جماعة من أصحاب النبي ﷺ حتى أتوا الرجل وهو في المسجد، فلما نظر إلى عمر قام فاستقبله فقال: ياأمير المؤمنين ما حاجتك؟ وما جاء بك؟ إن كانت الحاجة لنا كنا الأحق بذلك منك أن نأتيك، وإن كانت الحاجة لله فأحق من عظمناه خليفة رسول الله ﷺ، فقال عمر: ويحك بلغني عنك أمر ساءني قال: وما هو ياأمير المؤمنين، قال: أتتمجَّن في عبادتك؟ قال: لايا أمير المومنين لكنها عظة أعظ بها نفسي، قال عمر: قلها فإن كان كلاماً حسناً قلته معك وإن كان قبيحاً نهيتك عنه، فقال:

**وفؤادي كلما عاتبته		في مدى الهجران يبغي تعبي**
**لاأراه الدهر إلا لاهياً		في تماديه فقد برح بي**
**ياقرين السوء ياهذا الصبا		فني العمر كذا في اللعب**
**وشباب بان عني فمضى		قبل أن أقضي منه أربي**
**ما أُرَجِّي بعده إلا الفنا		ضيق الشيب عليّ مطلبي**
**ويح نفسي لاأراها أبداً		في جميل لاولا في أدب**
**نفس لاكنتِ ولا كان الهوى		راقبي المولى وخافي وارهبي**

فقال عمر رضي الله عنه:

**نفس لاكنتِ ولا كان الهوى		راقبي المولى وخافي وارهبي.**

ثم قال عمر رضي الله عنه: (على هذا فليغنِّ من غنى)[1].

قال الإمام الشاطبي أيضاً: والتطريب مد الصوت وتحسينه، ففيها أن الشعر المغنى به قد اشتمل على أمرين:

١- ما فيه من الحكمة والموعظة وهذا مختص بالقلوب، ففيها تعمل وبها تنفعل، ومن هذه الجهة ينسب السماع إلى الأرواح.

---

١ - الاعتصام للإمام الشاطبي (١/ ٢٢٠).

٢- ما فيه من النفحات المرتبة على النسب التلحينية، وهو المؤثر في الطباع، فيهيجها إلى ما يناسبها، وهي الحركات على اختلافها فكل تأثير في القلب من جهة السماع تحصل عنه آثار السكون والخضوع فهو رقة، وهو التواجد ولا شك أنه محمود وكل تأثير يحصل عنه ضد السكون، فهو طرب لارقة فيه، ولا تواجد، ولا هو عند شيوخ الصوفية محمود[1].

٢ـ الإمام الغزالي رحمه الله تعالى:

- **وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في بحثه عن الغناء:**

اعلم أن السماع هو أول الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد،ويثمر الوجد تحريك الأطراف، إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق أو الرقص.

والقول بأن السماع حرام، معناه أن الله يعاقب عليه، وهذا أمر لايُعرف بمجرد العقل بل بالسمع، ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس إلى المنصوص، ولم يستقم في هذا المجال نص ولاقياس، وبهذا يبطل القول بتحريمه، ويبقى فعلاً لاحرج فيه كسائر المباحات، بل إن هناك نصوصاً تدل على إباحته، فالغناء سماع صوت طيب مفهوم المعنى محرك للقلب، وسماع الصوت الطيب بالنسبة لحاسة السمع كرؤية الخضرة والماء الجاري بالنسبة للعين فلايحرم، فإن أدى المنظر إلى الاطلاع على شيء حرام حرم النظر، كالنظرة إلى العورة، وكالنظر بشهوة وكذلك يحرم السماع إذا كان سماعاً لشيء غير حلال أو أدي بطريق انحرف به عن الحلال[2].

❋ الأصل في أقوال الإمام الغزالي

منهج الإمام الغزالي في تحليل الغناء: يذكر الإمام الغزالي منهجه في تحليل الغناء بعد أن استعرض أقوال الفقهاء في حكم الغناء والمقصود سماع ماليس مُجوناً ولا فساداً،

١ - الاعتصام للإمام الشاطبي (١/١٧٥).
٢ - - إحياء علوم الدين(٢/٢٣٨و٢٣٩).

فمن الفقهاء من ذهب إلى تحريمه، ومنهم من ذهب إلى كراهته، ولكن الإمام الغزالي ينظر إلى الموضوع على أساس آخر، ولايوجد في الدين نص يحرم السماع ولا قياس على نص، فيبقى النظر في السماع من حيث هو، وهنا يأتي منهج الإمام الغزالي في تحليل الغناء إلى عناصره لمعرفتها، وكل منها على حدته ثم النظر فيها مجتمعة، فعند تحليل الغناء نجد أن فيه سماع:

١- صوت طيب، وهذا هو الوصف الأعم، وسماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب حلال بالنص، وهنا يذكر الإمام الغزالي بعض الأحاديث كغناء الجاريتين وهو حلال بالقياس، لأنه تلذذ حاسة السمع بإدراك ماهو مخصص بها، كغيرها من الحواس، وهذه فطرة مجبولة في الإنسان.

٢- صوت طيب موزون، والوزن شيء زائد على حسن الصوت، فقد يكون الصوت حسناً غير موزون أو موزناً عن حسن، ومن الأصوات الموزونة أصوات بعض ذات السجع من الطيور، فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها، ومنها أصوات بعض الآلات الموسيقية فلا حرمة في ذلك إلامانهي عنه من آلات أهل المجون أو الشراب ومايؤدي إليه، وهو أمر عارض[1].

٣- كلام موزون مفهوم، وهو الشعر، وليس فيه من زيادة إلا كونه مفهوماً، والكلام المفهوم غير حرام، والحق في ذلك ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله وهو أن الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح[2]، وإذا كانت العناصر كل منها على حدة مباحة أيضاً، فإن الجملة مباحة أيضاً، إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لاتتضمنه الآحاد، وليس هنا شيء محظور.

٤- كون السماع محركاً للقلب مهيجاً لماهو الغالب عليه، وهنا يطرح الإمام الغزالي مسألة هامة، لم يهتم بها أحد قبله يقول: لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة

١ - إحياء علوم الدين (٢/٢٣٩و٢٤٠).
٢ - إحياء علوم الدين (٢/٢٤١و٢٤٢).

للأرواح، حتى إنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً، فمن الأصوات مايفرح، ومنها مايحزن ومنهاماينوم، ومنها مايضحك ويطرب، ومنها مايستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس.

ويؤكد الإمام الغزالي إلى قيمة هذا الانفعال الانساني أمام الجمال فيقول: (من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعود وأوتاره، فهو فاسد المزاج وليس له علاج).

ومن ثم يشير الإمام إلى تأثير الغناء في صرف الطفل عما يبكيه، والجمال عن ثقل ماتحمله، ثم يزيد رأيه تأكيداً بقوله: (إن تأثير السماع في القلب محسوس، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص، مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجِمال والطيور، بل على جميع البهائم، فإنها جميعاً تتأثر بالنغمات الموزونة[1].

وإذا كان الأمر متعلقاً بتأثير السماع في القلب الإنساني، فإن الحكم في أمره بالإباحة أو التحريم لايصح أن يكون مطلقاً، بل يراعى فيه اختلاف الأحوال والأشخاص، وطرق الأنغام نفسها والغاية منها.

ثم بعد هذا يذكر الإمام الغزالي أن الترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة، ترتبط بها آثار في القلب، وهي ستة مواضع:

أ- غناء الحجيج لمافيه من الشوق إلى حج بيت الله.وإذا كانت عناصر الغناء والألحان كثيرة متنوعة كان التأثير أبلغ[2].

ب- والغناء والألحان من وسائل تحريض الغزاة والمجاهدين، إذا كان مع الألحان شعر يدعو إلى الشجاعة والتضحية، ومن ذلك رجزيات التشجيع في أنواع المباريات، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس، وكل ما في الأمر أن يكون القتال مشروعاً، وأن تكون الألحان نفسها عاملاً على تقوية النفس، لاعلى حل عقدة الشجاعة، وإضعاف صرامتها[3].

---

١ - إحياء علوم الدين (٢/ ٢٤٢).
٢ - إحياء علوم الدين (٢/٢٤٣).
٣ - إحياء علوم الدين (٢/ ٢٤٤).

جـ- أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء، وملازمة الكآبة، وشريطة ذلك ألا تكون على ما فات ونفذ فيه قضاء الله، وإنما تكون على مافات من تقصير الإنسان وما فرط منه، وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود، لأنه يبعث على التشمير للتدارك والمبدأ العام عند الإمام الغزالي أن المفضي إلى المحمود محمود.

ء- ولم ينس الإمام الغزالي حاجات النفس الإنسانية وما يصاحب شعورها بالسرور في أوقاته، مثل أيام الأعياد والأعراس، وقدوم الغائب، وولادة مولود ونحو ذلك، وهذه مناسبات يباح فيها السرور لذلك يقول:(ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب، فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع.

والإمام الغزالي يدرك تماماً الطبيعة البشرية، فيقرر السماح بالتعبير المتنوع من السرور، بالغناء، بالشعر، بالرقص، والحركات في حدود آداب الدين[1] ويؤكد الإمام الغزالي صحة ما ذهب إليه بأدلة نقلية كحديث عائشة حينما كانت تنظر إلى الحبشة ولعبهم في مسجد النبي ﷺ وتشجيع النبي ﷺ لهم بقوله: (دونكم يابني أرفدة)، وقول النبي ﷺ لعائشة: (تشتهين أن تنظري)[2]. ثم قال: (فهذه الأحاديث في الصحيحين، وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام)[3].

هـ- سماع العشاق، تحريكاً للشوق، وتهييجاً للعشق، وتسلية للنفس، فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة، وإن كان في المفارقة فالغرض تهييج الشوق، كل هذا يكون في عشق مباح.

والإمام الغزالي يقدرنفسية العاشق ويتفهمها ويعرف ما يريح قلبه فيقول: (إن الشوق وإن كان ألماً، فيه نوع لذة إذا أضيف إليه الوصال، فإن الرجاء لذيذ واليأس مؤلم، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق، والحب للشيء المرجو، فهذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال، مع الإطناب في وصف

---

١ - إحياء علوم الدين (٢/٢٤٤).
٢ - تقدم تخريجه ص (١٧٩).
٣ - إحياء علوم الدين (٢/ ٢٤٥و٢٤٦).

حسن المحبوب، وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله، كمن يعشق زوجته، فيقضي إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها، فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن، ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب، فتترادف أسباب اللذة، فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا، وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب. وهذا منه)[١].

و- سماع من أحب الله تعالى واشتاق إلى لقاءه، فصار لاينظر إلى شيء إلا رأى آلاء الله فيه، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه، فالسماع في حقه مؤكد لحبه، مهيج لشوقه، ومورٍ زناد قلبه، ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات والملاحظات لايحيط الوصف بها، يعرفها من ذاقها، وينكرها من كَلَّ حسه عن تذوقها، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً، مأخوذاً من الوجد والمصادفة، أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن يصادفها قبل السماع، ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلوب بنيرانها، وتنقيه من الكدورات، كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات هي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها، فالمضي إليها من جملة القربات لامن جملة المعاصي)[٢].

ومن هذا المنطلق يؤكد الإمام الغزالي رضي الله عنه من جديد إمكان محبة الإنسان لله تعالى، لأنه مصدر الموجودات لها، فيقول: (ولا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم، إلا هو حسنة من حسناته، وأثر من آثار كرمه، بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس فهو ذرة من خزائن قدرته، ولمعة من أنوار حضرته)[٣].

***وقال الغزالي والعز بن عبد السلام من أئمتنا:** إنه سنة إن حرك لحال سنيٍ مذكراً للآخرة.

وبه يعلم أن كل شعر فيه الأمر بالطاعة أو كان حكمة أو كان في مكارم الأخلاق أو الزهد ونحو ذلك من خصال البر كحث على طاعة أو سنة أو اجتناب

---

١ - إحياء علوم الدين (٢/٢٤٦).
٢ - إحياء علوم الدين (٢/٢٤٦و٢٤٧).
٣ - إحياء علوم الدين (٢/٢٤٧).

معصية يكون من إنشائه وإنشاده وسماعه سنة كما صرح به غير واحد من أئمتنا وهو ظاهر إذ وسيلة الطاعة طاعة.

وقال الإمام الغزالي أيضاً: (النصوص التي وردت في السماع والدف تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب، والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كان قياساً على يوم العيد فإنه وقت سرور[1].

٣ـ الإمام السهروردي رحمه الله تعالى:

قال الإمام السهروردي: المُنْكِر إما جاهل بالسنن والآثار، وإما جاهل الطبع لاذوق له، وأشار بالسنن إلى ما صح عنه ﷺأنه كان له شعراء يصغي إليهم في المسجد وغيره، منهم حسان بن ثابت وابن رواحة رضي الله عنهما، واستنشد أمية بن الصلت واستمع إليه كما في مسلم[2].

٤ـ الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى:

قال العز بن عبد السلام: أما سماع الإنشاد المحرك للأحوال السنية المذكر للأمور الأخروية فلا بأس به، بل يندب عند الفتور وسآمة القلب ولا يحظر إلا لمن في قلبه هوى خبيث، فإنه يحرك ما في القلب[3].

وثم قال العز في تفسيره: وأما الأشعار والتشبيهات فمأذون بها، وقد أنشد كعب رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ بانت سعاد القصيدة المشهورة فاستمعها و لم ينكر عليها شيئاً، وفيها الاستعارات والتشبيهات حتى شبه الريقة بالخمرة وكانت حرمت.

ولكن تحريمها لم يمنع عندهم طيبها بل تركوها مع الرغبة فيها والاستحسان بها وكان ذلك أعظم لأجرهم.

وذكر الروياني في البحر أن سعاد كانت زوجته وبنت عمه، وأنه إنما أنشد فيها

---

١ – إحياء علوم الدين (٢/ ٣٨٨).
٢ – الزواجر (٢/ ٢٧٤).
٣ – الزواجر (٢/ ٢٧٣).

هذه القصيدة لطول غيبته عنها بهروبه من النبي ﷺ.

وحكي عن العز بن عبد السلام رحمه الله ورضي عنه أنه كان يرقص في السماع[1].

٥ـ الإمام الماوردي رحمه الله تعالى:

قال الأذرعي: وما أحسن قول الماوردي: الشعر في كلام العرب مستحب إن حذّر من الدنيا،أورغب في الآخرة،أو حث على مكارم الأخلاق، ومباح وهو ما سلم من فحش وكذب ومحظور وهو ما اقترن بأحدهما.

وقدروي أنه ذكر عند رسول الله ﷺ الشعر فقال: (هو كلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح)[2].

٦ـ الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

قال ابن عبد البر: لاينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولامن أولي النهى، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على جوازه إن كان كذلك[3].

٧ـ الإمام أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى:

قال أبو بكر بن العربي المالكي شارح سنن الترمذي: (لابأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان في مدح الدين وإقامة الشرع.

وقال ابن العربي: أما الاستعارات والتشبيهات فمأذون بها وإن استغرق الحد وتجاوزت المعتاد واستدل بإنشاد كعب بن زهير النبي ﷺ حين جاء تائباً حيث قال:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البَين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول

---

١ – الزواجر (٢/ ٢٨٢).
٢ – الزواجر (٢/ ٢٧٥) والحديث أخرجه أبو يعلى (٨/٤٧٦٠) والبيهقي (١٠/٣٣٩) والدارقطني (٤/١٥٦).
٣ – فتح الباري (١٣/١٥٥).

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت　　كأنه منهل بالراح معسول

فجاء في القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي ﷺ يسمع ولا ينكر حتى في تشبيهه ريقها بالراح[1].

وقال أبو بكر بن العربي أيضاً: وأما الغناء فإنه من اللهو المهيج للقلوب عند أكثر العلماء منهم مالك بن أنس وليس في القرآن ولا في السنة دليل على تحريمه، أما في الحديث الصحيح فالدليل على إباحته، فإن أبا بكر دخل على عائشة، وعندها جاريتان حاديتان من حاديات الأنصار، ثم ساق الحديث بتمامه وقال: فلو كان الغناء حراماً ما كان في بيت رسول الله وقد أنكره أبو بكر بظاهر الحال، فأقره النبي ﷺ بفضل الرخصة والرفق بالخليقة في إجماع القلوب[2]، ثم قال: وكل حديث يروى في التحريم، أو آية تتلى فيه، فإنه باطل سنداً، باطل معتقداً، خبراً وتأويلاً، وقد ثبت أن النبي ﷺ رخص في الغناء في العيدين، وفي البكاء على الميت من غير نوح[3].

٨ـ الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى:

وردّ ابن حزم على الذين تمسكوا بأحاديث الجارية المغنية أنه لايحل بيعها حيث قال: (طالما أنه يجوز وطؤهن بالبيع، فكيف لايجوز سماع أصواتهن ولو غناء) ثم رد على الآخرين الذين تمسكوا بالآية الكريمة: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله..**﴾[4].

فقال: (وهذه صفة من فعلها كان كافراً بلا خلاف، إذا اتخذ سبيل الله هزواً، ولو أن امرأً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزواً لكان كافراً، فهذا هو الذي ذمه الله تعالى، وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليتملى به ويروح نفسه، لايضل عن سبيل الله تعالى، فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا [5].

---

١ – أحكام القرآن (٣/ ١٤٣٤).
٢ – أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٩).
٣ – أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٠).
٤ – سورة لقمان الآية (٦).
٥ – المحلى: لابن حزم الأندلسي (٩/ ٦٠).

٩ـ الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى:

قال أبو عثمان النيسابوري: (أنشد قوّال بين يدي الحارث المحاسبي هذه الأبيات:

أنا في الغربة أبكي ... ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي ... من بلادي بمصيب
عجباً لي ولتركي ... وطناً فيه حبيبي

فقام يتواجد ويبكي حتى رحمه كل من حضره[1].

١٠ـ الإمام أبو حفص النيسابوري رحمه الله تعالى:

قال رجل لأبي حفص النيسابوري: إن فلاناً من أصحابك أبداً يدور حول السماع فإذا سمع هاج وبكى ومزق ثيابه فقال أبو حفص: إيش يعمل الغريق ؟! يتعلق بكل شيئ يظن نجاته فيه[2].

١١- العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى:

يقول الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى: (إن السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١– منه ما هو حرام محض: وهو لأكثر الناس من الشباب، ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم، وملكهم حب الدنيا.

٢– والقسم الثاني منه مباح: وهو لمن لاحَظّ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح، أو يتذكر به غائباً أو ميتاً.

٣– والقسم الثالث منه مندوب: وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى، والشوق إليه فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة، وتضاعف الشوق إلى الله تعالى، وهذا

١ – طبقات الصوفية للسلمي المتوفى (٤١٢هـ) بتحقيق نور الدين شريبة ص (٦٠).
٢ – طبقات الصوفية ص (١١٩).

القسم الثالث هو سماع الصوفية أهل الصدق والإخلاص في كل زمان)[1].

ويقول في موضع آخر: (وأما المباح من ذلك فهو إذا كان المجلس خالياً من الخمر والزنا واللواط والمس بشهوة والتقبيل والنظر بشهوة لغير الزوجة والأمة، وكان لذلك السامع قصد حسن ونية صالحة، وباطن نظيف طاهر من الهجوم على الشهوات المحرمة، وكان قادراً على ضبط قلبه وحفظ خاطره، من أن يخطر فيه شيء مما حرّمه الله تعالى عليه، فإنه يجوز له أن يسمع هذا السماع المذكور حينئذٍ بأنواعه كلها، ولا يحرم عليه شيء من ذلك ولا يكره له ما دام موصوفاً بما ذكرناه فهو مباح له إن لم يكن من أهل المعرفة با لله تعالى، بأن كان عامياً جاهلاً غافلاً، وأما إذا كان من أهل المعرفة والشهود، فيصير السماع المذكور حينئذ في حقه مستحباً مندوباً إليه، يثاب عليه)[2].

ويقول أيضاً: ومعلوم أن هذه الآلات المطربة بجميع أنواعها ليست حرمتها من حيث ذاتها وصورتها المخصوصة، ولا من حيث ما يصدر عنها من الأصوات المطربة، وإلا لكان كل صوت مطرب حراماً وهو باطل، لأن أصوات الطيور والشحارير المطربة ليست بحرام إجماعاً -كما سيأتي- بل حرمتها لاقتران اللهو بها، ولكونها ملاهي، واللهو بهذا التفسير المذكور يمكن زواله عنها وتعريها عنه، فتصير خارجة عن كونها ملاهي، ويزيل اللهو عن سامعها بها وإلا لكان العبد مكلفاً في الشرع بما ليس في قدرته، ومطلوباً منه ما لايمكنه والله تعالى يقول: ﴿**لايكلف الله نفساً إلاوسعها**﴾[3].[4]

١٢ـ الإمام أبو نصر السراج رحمه الله تعالى:

قال أبو نصر السراج: السماع على ثلاث طبقات: فقوم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم في ما يسعون، وقوم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم فهم مرتبطون بالعلم ومطالبون بالصدق فيما يشيرون به لله من ذلك، وقوم هم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلائق و لم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا

١ – إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (٧٧).
٢ – إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص(١٣١-١٣٣).
٣ – سورة البقرة الآية (٢٨٦).
٤ – إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (٤٠-٤١).

والجمع والمنع فهم يسمعون لطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلامة. وأسلمهم من الفتنة، وكل قلب ملوثٍ بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف.

١٣ـ الإمام ابن البطّال رحمه الله تعالى:

قال ابن بطّال: (ما كان في الشعر والرجز ذكراً لله تعالى، وتعظيماً له، ووحدانيته وإيثار طاعته، والاستسلام له فهو حسن مرغب فيه، وهو المراد من الحديث:(إن من الشعر حكمة)[1] وما كان كذباً وفحشاً فهو مذموم... إلى أن قال: ومحصله: أن الحداء بالرجز والشعر لم يزل يُفعل في الحضرة النبوية، وليس هو إلا أشعاراً توزن بأصوات طيبة وألحان موزونة)[2].

١٤ـ الإمام النحلاوي رحمه الله تعالى:

قال الفقيه خليل النحلاوي الدمشقي في كتابه (الحظر والإباحة): الباب السبعون: الغناء وهوالسماع، قال في الفتاوى الخيرية(١٦٧/٢). بعد نقل أقوال العلماء واختلافهم في مسألة السماع: (وأما سماع السادة الصوفية رضي الله عنهم، فبمعزل عن هذا الخلاف، بل ومرتفع عن درجة الإباحة إلى رتبة المستحب كما صرح به غير واحد من المحققين)[3].

ولما كانت الغاية من الإنشاد الإرشاد والمواعظ والفوائد، حيث إن من طبيعة سماعه إثارة كوامن النفوس، وتهييج مكنونات القلوب، بما فيها من الأنس بالحضرة القدسية، والشوق إلى الأنوار المحمدية، مما اتصف به ساداتنا الصوفية الذين لم يحتجبوا بالأصوات لهواً، ولا يجتمعون عبثاً، وهم في واد والناس في واد آخر، والسر أنهم سمعوا ما لم يسمع الناس، وعرفوا ما لم يعرف الناس، فسماعهم يثير أحوالهم الحسنة، ويظهر وجدهم، ويبعث ساكن الشوق ويحرك القلب، ولما كانت قلوبهم بربهم متعلقة، وعليه عاكفة، وفي حضرة قربه قائمة، فالسماع يسقي أرواحهم، ويسرع في سيرهم إلى الله

---

١ – أخرجه البخاري (٦١٤٥).

٢ – فتح الباري (٤٤٢/١٠).

٣ – الدرر المباحة في الحظر والإباحة للشيخ خليل بن عبد القادر الشيباني الشهير بالنحلاوي ص (٩٣).

تعالى، خلافاً لسماع الفسقة اللئام، يجتمعون على اللهو وآلات الطرب فيبعث ما في قلوبهم من الفحش والفسق، وينسيهم واجباتهم تجاه الله تعالى: وعلى ذلك لايمكن قياس الأبرار بالفجار ولاالصالحين على الطالحين، وفي معرض الحديث عن فوائد الاستماع لدى ساداتنا الصوفية يطيب للنفس ذكر بعض الشواهد المروية عنهم، فمنها:

قال مسلم السواري: ونزلوا على الساحل ذات ليلة فهيأتُ لهم طعاماً، ودعوتُهم إليه فجاؤوا إليّ، ولما وضعتُ الطعام بين أيديهم قال قائل:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ... ولذة نفس غيّها غير نافع

فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشياً عليه، وبكى القوم، فرفعت الطعام من بين أيديهم، وما ذاقوا والله لقمة منه[1].

ولما ورد ذو النون المصري بغداد جاءه قوم من الصوفيه بقوالهم، وطلبوا منه أن يأذن له بأن يقول، فأذن له فأنشد:

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا

وأنت جمعت في قلبي ... هوى قد كان مشتركا

أما ترثي لمكتئبٍ ... إذا ضحك الخلي بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه [2].

وروي أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة، فجرى بينهم مسألة في العلم وأبو الحسين ساكت، ثم رفع رأسه وأنشدهم:

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن

ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً ... وبكت حزناً فهاجت حزني

فبكائي ربما أرقها ... وبكاها ربما أرقني

ولقد أشكو فما أفهمها ... ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضاً بالجوى تعرفني

---

١ - الإحياء (٢/١٥٢).
٢ - الإحياء (٢/ ٢٥٠).

قال: فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه، وإن كان العلم جداً وحقاً)[1].

وقال أبو القاسم الجنيد قدس الله سره: (السماع لايحدث في القلوب شيئاً، وإنما هو مهيج ما فيها، فتراهم يهيجون من وجدهم، وينطقون من حيث قصدهم، ويتواجدون من حيث كامنات سرائرهم، لامن حيث قول الشاعر، ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأن الفهم سبق إلى ما يتخيله الذهن، وشاهد ذلك كما حكي: أن أباحكمان الصوفي سمع رجلاً يطوف وينادي: (ياسعتربري)، فسقط وغشي عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك، فقال: سمعته وهو يقول: (اسْعَ تَرَبِرِّي). ألا ترى أن حركة وجده من حيث هو فيه، لامن قول القائل ولا قصده؟.

وكما روي عن بعض الشيوخ أنه سمع قائلاً يقول: (الخيار عشرة بحبة)، فغلبه الوجد فسئل عن ذلك فقال: (إذا كان الخيار عشرة بحبة، فما قيمة الأشرار؟).

فالمحترق بحب الله تعالى لاتمنعه الألفاظ الكثيفة عن فهم المعاني اللطيفة حيث لم يكن واقفاً مع نغمة، ولا مشاهدة صورة، فمن ظن أن السماع يرجع إلى رقة المعنى، وطيب النغمة، فهو بعيد من السماع.

وقالوا: وأما الحال الذي يلحق المتواجد فمن ضعْفِ حاله عن تحمل الوارد، وذلك لازدحام أنوار اللطائف في دخول باب القلب، فيلحقه دهش فيعبث بجوارحه، ويستريح إلى الصعقة والصرخة والشهقة، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات وأما أهل النهايات فالغالب عليهم السكون والثبوت لانشراح صدورهم، واتساع سرائرهم للوارد عليهم، فهم في سكونهم متحركون، في ثبوتهم متقلقلون، كما قيل لأبي القاسم الجنيد رضي الله عنه: (ما لنا نراك لاتتحرك عند السماع؟) فقال: **﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مَر السحاب﴾**[2].[3]

---

١ - الإحياء (٢/٢٦٣).
٢ - سورة النمل الآية (٨٨).
٣ - غذاء الألباب (١/ ١٣٧).

❋ أقوال الفقهاء

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح).

قال الإمام النووي من الشافعية: ويباح قول الشعر وإنشاده إلا أن يهجو أو يفحش أو يعرض بامرأة معينة.

وقال أيضاً: (لا بأس بإنشاد الشعر في المسجد إذا كان مدحاً للنبوة أو الإسلام أو كان حكمة أو في مكارم الأخلاق أو الزهد ونحو ذلك من أنواع الخير).

وقال الإمام ابن عابدين من الحنفية في حاشيته: جواز القول بالشعر وإنشاده ما لم يذكر فيه ما لايحل كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية ووصف الخمر المهيج إليها، والهجاء لمسلم أو ذمي، وشرط كذلك السادة الحنفية أن لا يكون الغالب عليه هو الشعر بحيث يلهيه عن ذكر الله تعالى وعن أداء الواجبات وطلب العلم.

وقال أيضاً في حاشيته: إن التغني المحرم ما كان في اللفظ ما لايحل كصفة الذكور والمرأة المعينة الحية، ووصف الخمر المهيج إليها، والحانات، والهجاء لمسلم أو ذمي إذا أراد المتكلم هجاءه لاإذا أراد إنشاده للاستشهاد به، أو ليعلم فصاحته وبلاغته، وكان فيه وصف الزهريات المتضمنة وصف الرياحين، والأزهار والمياه، فلا وجه لمنعه على هذا[1].

وقال العلامة ابن جزئ من السادة المالكية: الشعر ليس مذموماً على الإطلاق ثم قال: إن الشعر أربعة أقسام: أحدها حسن وهو الجد والحكمة، والثاني ممنوع مطلقاً وهو الهجو، والثالث المدح والرثاء، فإن كان حقاً فهو مكروه و إن كان باطلاً فهو ممنوع، والرابع التغزل، فإن كان فيمن لايحل له فهو حرام وإلافلا[2].

وقال العلامة ابن قدامة المقدسي من السادة الحنبلية: الشعر كالكلام حسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه، ثم قال: وليس في إباحة الشعر خلاف وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير وتعرف

١ - حا شية ابن عابدين (٥|٣٠٥).
٢ - قوانين الأحكام الشرعية ، محمد بن جزئ المالكي ص (٤٦٥).

معاني كلام الله تعالى ورسوله ﷺ ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ وأيام العرب، ويقال الشعر ديوان العرب[1].

وبعد:

فإن هذه الأدلة تبين لنا بجلاء تام أن الإسلام لم يكن موقفه من الشعر سلبياً بل العكس في ذلك[2] وإليك الآن نماذج من سماع الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنهم:

الغناء والسماع عند الصحابة رضي الله عنهم:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بالحداء[3]، ويقول: الغناء زاد الراكب[4] وكان إذا سمع الحادي قال: لاتعرض بذكر النساء)[5].

وقد حكى الزهري قال السائب بن يزيد: بينا نحن مع عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه في طريق الحج ونحن نؤم مكة، اعتزل عبد الرحمن بن عوف الطريق ثم قال لرباح بن المعترف: غنّنا ياأبا عبد الرحمن، وكان حسن النصْب (بسكون الصاد المهملة ضرب من الغناء عند العرب أرق من الحداء) فبينما رباح يغنيهم أدركهم عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- في خلافته، فقال: ما هذا ؟ فقال عبد الرحمن: لابأس نلهو ونقصّر عنا فقال عمر: فإن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب.

وكان لايفضل على شعر ضرار إلا أن يغني الإنسان بشعر من شعره، لأنه يكون فيه أصدق عاطفة وأسمى إحساساً.

فعن خوّات بن جبير قال: خرجنا حجاجاً مع عمر، فسرنا في ركب منهم أبو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، قال: فقال القوم: غنّنا ياخوات، فغناهم،

---

١ - المغني للإمام ابن قدامة (٩/ ١٧٧و ١٧٨).
٢ - الإسلام وقضايا الفن المعاصر ص(٧٨-٨٠).
٣ - مصنف ابن أبي شيبة (١/١٧٧).
٤ - المغني (٩/١٧٥)، وسنن البيهقي (٥/٦٨).
٥ - سنن البيهقي (٥/٦٧).

فقالوا:غننا من شعر ضرار بن الخطاب، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله يغني من بنيات فؤاده، يعني من شعره، فمازلت أغنيهم حتى إذا كان السَّحَر، قال عمر: لسانَك ياخوات فقد أسْحَرْنا[1].

وكذلك البغوي رحمه الله تعالى في تهذيبه، وصاحب المهذب وغيرهما: أن عبد الرحمن استأذن على عمر فسمعه يترنم. فقال عمر: أسمعتني يا عبد الرحمن؟

فقال: نعم. فقال: إنا إذا خلونا في منازلنا نقول كما تقول الناس، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يترنم بالبيت والبيتين.

عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أما سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد قال الماوردي في الحاوي، وصاحب البيان وغيرهما: (كان له جاريتان تغنيان له، فإذا كان وقت السحر، قال لهما: أمسكا، فإن هذا وقت الاستغفار)[2].

علي بن أبي طالب[3] رضي الله عنه:

إذا كان الغناء حلالاً بشروط، فإن من شرط حله عن سيدنا علي رضي الله عنه ألا يعتاده المرء. قال سيدنا علي رضي الله عنه:(بئس البيت بيتٌ لايُعرف إلا بالغناء)[4].

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

ذكر أهل الأخبار أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتى دار عبد الرحمن فسمعه يتغنى بالركبانية[5] شعراً:

---

١ – موسوعة فقه عمر بن الخطاب (عصره وحياته)، تأليف: الدكتور محمد رواس قلعه جي دار النفائس (سلسلة موسوعات فقه السلف) ط ٣| ١٩٨٦| ص (٦٧١).
٢ – إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (٨٠).
٣ – موسوعة فقة علي بن أبي طالب، تأليف: الدكتور محمد رواس قلعه جي، (سلسلة موسوعات فقه السلف) دار الفكر ط(١)| ١٩٨٣م.
٤ – الروض النضير: (٥|٤٣٠).
٥ – الركبانية: غناء للعرب فيه مدٌّ وتمطيط.

وكيف مثواي بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

روى ابن قتيبة بسنده إلى سليمان بن يسار أنه سمع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يتغنى بين مكة والمدينة فقال سليمان: سبحان الله!!.. أتفعل هذا وأنت محرم؟... فقال سعد: يابن أخي: وهل تسمعني أقول هجراً)

أبو سعيد عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه:

روى البيهقي بسنده أن أبا سعيد عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، وكان قد شهد بدراً مرّ وهو على راحلته وهو أمير الجيش رافعاً عقيرته، يتغنى بالنَّصب.

بلال الحبشي رضي الله عنه:

روى البيهقي بسنده عن وهب بن كيسان، قال: قال عبد الله بن الزبير، تغنى بلال وكان متكئاً. فقال له الرجل: تغنى بالنصب؟ فاستوى جالساً ثم قال: وأي رجل من المهاجرين والأنصار لم نسمعه يتغنى بالنصب.

عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه:

ذكر ابن عبد البر والبيهقي أن عبد الله بن عتبة، سمع عبد الله بن الأرقم رافعاً عقيرته يتغنى. قال عبد الله: لاوا لله ما رأيت رجلاً قطٌّ ممن رأيت وأدركت أراه كان أخشى لله من عبد الله بن الأرقم، وكان عبد الله بن الأرقم من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم[1].

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه:

ثبت في الصحيحين أنه كان عنده قينة تغنيه رضي الله تعالى عنه[2].

---

١ - إيضاح الدلالات ص (٨١،٨٢).

٢ - ولاشك أن هذه القينة كانت تغنيه الغناء المباح وأنها أمته فيجوز له سماعها.

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

روى ابن قتيبة بسنده أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يدعو عبد الله بن أسلم، وخالد بن أسلم فيغنيان له، وقال ابن أبي الدم الحموي في (شرح الوسيط): إن العلماء رووا أن أشعب دخل على عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو في حائط المدينة فسأله أن يوفر له تمراً في غرارة، ففعل، ثم سأله أن يأمر غلمانه أن يكبوا ما يعونه فيها، ثم سأله أن يغني له وكان أشعب طيب الصوت جيد الغناء، فامتنع من أدبه، فألح عليه فأذن له، فغنّى وأطربه.

البراء بن مالك رضي الله عنه:

حكى الحافظ أبو نعيم أنه كان يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: إنه كان لايرى بالغناء بأساً، وقال الأستاذ أبو منصور البغدادي في مؤلفه في السماع: كان عبد الله بن جعفر مع كبر شأنه يصوغ الألحان لجواريه ويسمعه منهن على أوتاره، وكان أمير المؤمنين إذ ذاك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسماع عبد الله بن جعفر مشهور مستفيض، نقله عنه كل من أمعن في المسألة من الفقهاء والحفاظ، وأهل التاريخ الأثبات[1].

المغير ة بن شعبة رضي الله عنه:

وأما المغيرة بن شعبة فقد حكى سماع الغناء عنه أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه (قوت القلوب)، والشيخ تاج الدين الفزاري وغيرهما.

عامر الشعبي رحمه الله تعالى:

وهو من أكابر التابعين علماً وعملاً، وقد حكى عنه الأستاذ أبو منصور: أنه كان يقسم الأصوات إلى الثقيل الأول وإلى الثقيل الثاني وما بعدها من المراتب.

١ - إيضاح الدلالات ص (٨٢-٨٣).

عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى:

وهو من أكابر التابعين، وهو مع علمه وعبادته وزهده ومعرفته بالسنن والآثار، فقد قال عنه الأستاذ أبو منصور: إنه كان يقسم الأصوات إلى الثقيل الأول وإلى الثقيل الثاني وما بعدهما من المراتب، ونقل ابن قتيبة: أن عطاء بن أبي رباح ختن ولده وعنده الأبجر يغني، فكان إذا سكت وإذا لحن ردّ عليه.

عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

قال ابن قتيبة: سئل إسحاق عنه فقال: ما طنّ في سمعه شيء بعد أن أفضت إليه الخلافة، وأما قبلها فكان يسمع من جواريه خاصة، ولا يظهر عنه إلا الجميل، وربما صفّق بيده، وتمرغ على فراشه طرباً، وضرب برجليه.

*الغناء والسماع عند السلف رضي الله عنهم

عبد الله بن جريج رحمه الله تعالى:

وهو من العلماء والحفاظ العباد، المجمع على عدالته، وجلالته، وكان يسمع الغناء ويعرف الألحان، وحكى عنه الأستاذ أبو منصور أنه كان يصوغ الألحان، ويميز البسيط والنشيد والخفيف.

وقال ابن قتيبة: حُكي عن ابن جريج أنه كان يروح إلى الجمعة فيمر على مغنٍّ فيدق بابه عليه، فيخرج فيجلس معه على الطريق ويقول: غنِّ، فيغنيه أصواتاً فتسيل دموعه على لحيته، ثم يقول: (إن من الغناء لما يذكر الجنة)[1].

أبو حنيفة النعمان رحمه الله تعالى:

حكى ابن قتيبة عنه وغيره: أنه كان له جار كل ليلة يغني ويقول شعراً:

**أضاعوني وأي فتى أضاعوا		ليوم كريهة وسداد ثغر**

وكان يستمع إليه، وإنه فقد صوته، فسأل عنه، فقيل له:إنه وجد بالليل وسجن

---

١ - إيضاح الدلالات ص (٩٠ - ٩١).

في سجن عيسى الأمير، فلبس عِمامته وتوجه إلى الأمير وتحدث معه فقال: لاأعرف اسمه، فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: اسمه عمرو. فقال الأمير: أطلقوا كل من اسمه عمرو، فأطلق الرجل، فلما خرج قال له أبو حنيفة رحمه الله تعالى: أضعناك يافتى؟ قال: بل حفظت، فتضمنت هذه الحكاية أنه كان يستمع إليه و لم ينهه عن الغناء.

الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

قال الغزالي رحمه الله تعالى: ليس تحريم الغناء من مذهبه، وحكى عنه الأستاذ أبو منصور البغدادي: أن مذهبه إباحة السماع بالقول والألحان إذا سمعه من رجل أو جارية أو امرأة يحل له النظر إليها في داره أو دار صديقه، و لم يسمعه على قارعة الطريق، و لم يقترن بشيء من المنكر، و لم يضع الصلاة عن وقتها، و لم يضيع بشهادة لزمه أداؤها[1].

الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

قال أبو الوفاء بن عقيل في كتابه المسمى (بالفصول): صحّت الرواية عن أحمد أنه سمع الغناء عند ابنه صالح، وقال شارح المقنع: روي عن أحمد أنه سمع قوالاً فلم ينكره، فقال له ابنه: ياأبت كنت تكرهه، فقال: قيل إنهم يستعملون المنكر معه!!.. وقد قال ابن الجوزي: إنه يحمل قوله وفعله على ما كان يغنى له في زمنه من القصائد الزهديات.

وسأل الإمام أحمد رجل، فقال: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار، أي شيء تقول فيها؟ فقال مثل أي شيء؟ قال يقولون:

إذا ما قال لي ربي ... أما استحيت تعصيني
وتخفي الذنب عن خلقي ... وبالعصيان تأتيني.

فقال: فدخل بيته، وردَّ الباب، فسمعت نحيبه من داخل البيت يردده. وهو يقول هذه الأشعار.

١ – إيضاح الدلالات ص (٩٤–٩٥).

سفيان بن الحارث رحمه الله تعالى:

حكى عنه تلميذه الفقيه العالم الحافظ، الزبير بن بكار في الموفقيّات والماوردي في الحاوي: أنه لما قدم ابن جامع مكة بمال جمّ، قال سفيان لأصحابه: علام يعطى ابن جامع هذه الأموال؟ قالوا: على الغناء، قال: ما يقولون فيه؟: قالوا: يقول شعراً:

أطوف بالبيت مع من يطوف وأرفع من مئزري المسبل

قال: هي السنة، ثم ماذا، فقالوا: يقول شعراً:

وأسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المنزل

قال: أحسن وأصلح، ثم ماذا؟ فقالوا: يقول شعراً:

عسى فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربة المحمل

قال: أفسد الحبيب ما أصلح سخرها الله له.

الإمام ابن مجاهد رحمه الله تعالى:

قال أبو طالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه (قوت القلوب): كان ابن مجاهد لايجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع[1].

فها هوذا سماع الرسول ﷺ والصحابة والتابعين والسلف الصالح وهو كما رأينا سماع هادف، لنوع مخصص من الغناء والنشيد والحداء، إنه غناء يُحي في النفس جذوة الإيمان، ويوقظ في العقل قبس الفكر، أو هو من اللهو المباح الذي يروح به عن النفس في ساعة الضيق، ولكن دون الخروج عن قانون الشريعة الإسلامية، أو تخطّ لحدود الشارع سبحانه وتعالى.

والغناء الإسلامي الهادف: أحد الفنون الإنسانية التي يلجأ إليها الإنسان، يروي بها ظمأ روحه العطشى إلى السكينة والأمان، وقد يلوي عليها ليثبت في نفسه جواً من الفرح والسرور والأنس والطرب.

وقد نظر الإسلام إلى الحياة نظرة جادة فاعلة خلاقة منشئة، وجعل من كل

١ – إيضاح الدلالات في سماع الآلات ص (٩٧-٩٨-٩٩).

مخلوقات الله ما هو مسخر لهذا الهدف النبيل والوجود الأمثل الذي خلق المسلم من أجله. والغناء أحد هذه الأمور التي أراد لها الإسلام أن تكون هادفة مسخرة لقوى المسلم في خصم صراعاته مع الحياة والناس.

ولقد عُني بعض من شعراء الدعوة الإسلامية بنظم قصائد مغناة وأناشيد هادفة، تعبر خير تعبير عن الغناء الإسلامي الهادف، والذي رما إليه الإسلام ولعل أشهر أنواع هذا الغناء الإسلامي الهادف:

أ- النشيد الديني

وهو الذي فيه ذكر الله، ووصف الجنة والنار، وحب الله ورسوله، والتعشق لوصالهم، والحظوة بقربهم. ولعلّ (الموالد النبوية) ذاخرة بمثل هذه الأمور التي يكثر ذكرها والتغني بها. ومثاله قول الشاعر في قصيدة بعنوان(رحماك):

رحماك يا رب العباد رجائي ... ورضاك قصدي فاستجب لدعائي
وحماك أبغي ياإلهي ضارعاً ... منك الرضا فجد بولائي
ناديت باسمك ياإلهي ضارعاً ... إن لم تجبني فمن يجيب دعائي
أنت الكريم فلا تدعني تائهاً ... فلقد عييت من البعاد النائي
مالي سوى أعتاب جودك موئلٌ ... فلئن رددت فمن سواك رجائي
ولقد رجوتك ياإلهي ضارعاً ... متذللاً أن لا ترد رجائي.

ومنه كذلك هذه القصيدة بعنوان (إلهنا ما أعدلك):

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لك
والملك لاشريك لك ... والليل لما أن حلك
والسابحات في الفلك ... على مجاري المنسلك
ما خاب عبدٌ أملك ... أنت له حيث سلك
لو لاك يا ربي هلك ... كل نبي وملك

يا مخطئاً ما أغفلك ... عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك ... لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك ... والعزّ لاشريك لك.

٢- نشيد الحب والمناجاة

وفي هذا النشيد نلمح الحب المطلق، ذلك الذي يتجاوز كل شيء، إنه حب لامحدود، حب الله ورسوله وملائكته وخلقه وبديع صنعه، ذلك الحب الذي يتخذ في بعض الأحيان أشكالاً رمزية، تعطي الألفاظ مدلولات أشمل وأرحب.

ولعل أجمل ما في هذه الأناشيد هو ذلك الحب المثالي، حب المطلق (الله جل جلاله) الذي يعشقه الشاعر فيسبغ على محبته ألفاظاً رقيقةً، ومعانٍ عذبة، فتارةً هو ليلى ومرةً سعدى، ولعل رابعة العدوية، وتحفة الزاهدة، وابن الفارض، والحلاج.. وغيرهم خير ممثل لهذا الاتجاه الرمزي الصوفي العميق، الذي بلغ شأناً عظيماً، ومدرسة مستقلة بذاتها.

ومثاله قول الشاعر:

فما المنازل لو لا أن تحل بها ... وما الديار وما الأطلال والخيم
لولاك ما شاقني ربع ولا طلل ... ولا سعت بي نحو الحمى قدم
في كل جارحة عين أراك بها ... مني وفي كل عضوٍ للثناء فم
فإن تكلمت لم أنطق بغيركم ... وإن سكتُّ فشغلي عنكم بكم
إن متُّ في حبكم شوقاً فيا شرفي ... ويا سروري من موتي لكم بكم
أنا المقرُّ بذنبي فاصفحوا كرماً ... فبانكساري وذلي قد أتيتكم
لا تطردوني فإني قد عرفت بكم ... وصرت بين الورى أدعى بعبدكم

٣- النشيد النبوي

وهو النشيد الذي فيه ذكر النبي ﷺ وسيرته العطرة ومعجزاته وحب الصحابة

والمؤمنين له، ووصفه عليه الصلاة والسلام كاملاً من ناحية خَلْقية وخُلُقية،وتشوق المؤمنين لرؤيته، وورود الحوض معه يوم القيامة، ثم العيش معه في جنة الخلد، ولعل أكثر الموالد النبوية هي التي تأخذ بهذاالنشيد الذي يكثر من حب الرسول ﷺ والحديث عنه بشوق وهيام.

ومنه قول الشاعر في قصيدة بعنوان: (ناشر الإيمان):

ناشر الإيمان مبعوث السما		بهر الدنيا وعزَّ البشر
يا رسول المجد يافخر الحمى		قد تنادى الناس حيرى تنظر
أيها المرسل للكون بما		فيه خير وجمال عطر
أنت مصباح ينير الظلما		حَجَبَته قدرة تستتر
مرسل أرسله رب الأنام		ونبي لم يلاق الوهنا
ينشر الرحمة في قوم نيام		نغماً يحمل طيباً ومنى
مرٍّ يا ذكرى علينا كلما		ضاقت النفس وجَلَّ الخطر
إننا نشتاق ذاك النغما		وينادينا إليه القدر

٤ - نشيد الحكمة والموعظة

وهو نوع من الشعر ينطلق صاحبه بموعظة إسلامية، أو حكمة بالغة مستقاة إما من صميم شر يعتنا أو من وحي تجارب الحياة وصراعاتها، وهو شعر كثير، على أن أكثر المنشدين يعرضون عنه، لخلوّه من العنصر الموسيقي في معظم الأحيان، ومثاله قول الشاعر في قصيدة مليئة بالرضى و الطمأنينة والحكمة، وهي بعنوان: (علمتني الحياة):

علمتني الحياة أن أتلقى		كل ألوانها رضاً وقبولاً
ورأيت الرضا يخفف أثقا		لي ويلقي على المآسي سدولاً
أنا راضٍ بكل ما كتب ا لله		ومزج إليه حمداً جزيلاً
لست أخشى من اللئيم أذاه		لاولن أسأل النبيل فتيلاً
في فؤادي لكل ضيف مكان		فكن الضيف مؤنساً أو ثقيلاً

علمتـني الحيـاة أن لهـا طعـ ـمـين مـراً وسـائغاً معسـولاً
قـد تسـري الحياة عـني فتبـدي سـخريات الـورى قبيـلاً قبيـلاً
فأراهـا مواعظـاً ودروسـاً ويراهـا سـواي خطبـاً جليـلاً
أمعـن النـاس في مخـادع النفـ ـس وضلـوا بصـائراً وعقـولاً
عبـدوا الجـاه والنضـار وعينـاً مـن عيـون المهـا وخـداً أسـيلاً
علمتـني الحيـاة أنـي إن عشـ ـت لنفسـي أعـش حقـيراً هزيـلاً
علمتـني الحيـاة أنـي مهمـا أتعلـم فـلا أزال جهـولاً

* القرآن وأثره البالغ في النفوس:

القرآن وأثره البالغ في نفوس المؤمنين: نزل القرآن على العرب الفصحاء فأثّر فيهم، وترك آثاراً لازالت إلى اليوم، وستبقى إلى يوم الدين، على أن المسلمين الأُول وُعُوا معاني القرآن من صميم كلماته، فكان تأثيره أكبر في نفوسهم، وسماعه أعذب في آذانهم، ومما يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿**والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع**[1]﴾ فارتكن إلى جدار ثم عاد إلى بيته يعوده الناس شهراً كاملاً.

هكذا سمع الصحابة كلام الله سبحانه وتعالى، فكان أن هيمنوا على العالم القديم بكل كيانه ونفوذه، هذا القرآن العظيم هو كلام الله الأزلي الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهيهات أن يأتي بمثله بشر أو أي مخلوق كان.

ولقد تحدى القرآن المشركين والمعاندين على أن يأتوا بقرآن مثله، تحداهم مرة أن يأتوا بمثله كاملاً فقال: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾[2].

ثم تحداهم بما هو أيسر من هذا (أن يأتوا بعشر سور) فقال: ﴿**أم يقولون افتراه،**

١ - سورة الطور الآيات من (١ حتى ٨).
٢ - سورة الإسراء الآية (٨٨).

قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون ا لله إن كنتم صادقين﴾[1].

ثم سهلّ لهم المهمة أكثر من ذلك بكثير ليظهر لهم عجزهم فقال: **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون ا لله إن كنتم صادقين﴾**[2].

لقد سحر القرآن العرب من أول يوم سمعته آذانهم، حتى إن المشركين أنفسهم كا نوا يتنا صحون فيما بينهم بعدم سماعه كيلا يسحرهم ويؤثر فيهم.

وما قصة الوليد بن المغيرة إلا شاهداً حياً على عظمة القرآن وروعة كلماته وعظمتها، فعندما سمع الوليد من الرسول ﷺ شيئاً من القرآن أصغى بكل كيانه فإذا به يتيه في بلاغته، فقالت قريش: صبأ وا لله الوليد، ولتصبون قريش كلها، فأرسلوا إليه أبا جهل يثير كبرياءه واعتزازه بنسبه وماله ويطلب إليه أن يقول في القرآن قولاً يعلم به قومه أنه له كاره، قال: فماذا أقول فيه؟ فو ا لله مامنكم رجل أعلم مني بالشعر ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، وا لله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا، وا لله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإن أعلاه لمثمر، وأسفله لمغدق، فقال أبو جهل: وا لله لايرضى قومك، حتى تقول فيه. قال: فدعني أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا السحر يؤثر،أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ومواليه[3].

هكذا وعى الأقدمون القرآن، فهموا معانيه، وتشربوا أحكامه، واليوم صار القرآن وقفاً على الموتى وشفير القبور، فما عدنا نسمع الآيات تتلى إلا إذا أممنا داراً فيها مأتم، أو شيعنا جنازة إلى قبرها، عند ذلك نسمع القرآن هكذا صار القرآن يتلى على الأموات، في حين أنه بعث للأحياء: **﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾**[4].

١ - سورة هود الآية (١٣)..
٢ - سورة البقرة الآية (٢٣).
٣ - عن السيرة لابن هشام.
٤ - سورة يس الآية (٧٠).

هذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه يقول في رواية: (فلما سمعت القرآن رقّ له قلبي فبكيت فدخلت الإسلام) ويقال عنه في رواية أنه قال: (ما أحسن هذا الكلام وأكرمه).

ثم هذا القرآن يصف لنا أثره في نفوس المؤمنين به، وكذلك نفوس الذين أوتوا العلم من قبله، يقول: ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم، وقلوبهم إلى ذكر ا لله**[1]﴾ ﴿**إن الذين أوتوا العلم من قبله وإذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً، ويقولون: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً**[2]﴾.

لقد اشتركت المعاني والألفاظ في القرآن لتجعل منه منهاج شريعة المسلمين، وحديثهم في حلهم وترحالهم، وفي ليلهم ونهارهم، في جدهم وهزلهم، وإذهو يحكم في كل قضاياهم، المصيرية والعادية على السواء.

(أما طريقته في ذلك فكانت هي الطريقة العامة، طريقة التصوير والتشخيص، التخييل والتجسيم، في هذا المنطق اشتركت الألفاظ المعبرة، والتعبيرات المصوِّرة والصور الشاخصة، والمشاهد الناطقة، والقصص الكثيرة... وكل ما عرض من مشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب، يعد في جملة هذا المنطق الذي يلمس الحس، ويوقظ الخيال، فيلمس البصيرة، ويوقظ الوجدان، ويهيئ النفس للاقتناع والإذعان)[3].

هذا هو القرآن الذي ينبغي علينا أن نلبسه حلّة الخلود في نفوسنا وضمائرنا وأسماعنا، لأنه الكتاب الخالد في أحاسيسنا ويجب أن يبقى كذلك لأنه تنزيل من عزيز حميد.

وهل هناك من غناء أو كلام هو أفضل في مقياس الجمال من كلام ا لله سبحانه وتعالى. هذا هو كلام الخالق، وإنه لكلام رائع باهر، يحي في النفس صور الحياة المثلى ليعبر بها إلى دار الخلود.

---

١ – سورة الزمر الآية (٢٣).

٢ – سورة الإسراء الآية (١٠٨).

٣ – التصوير الفني في القرآن: ص (١٧٧– ١٧٨).

هل تكلم النبي صلى الله عليه وسلم الشعر

من المعلوم أن الرسول ﷺ نشأ في بيئة بني سعد، موطن الفصاحة والبلاغة، ولكن لم تذكر لنا كتب التاريخ والأدب أنه قال شعراً قبل النبوة ولا نظمه بعد النبوة كالشعراء، علماً أنه كان أفصح بني آدم كما تحدث بذلك هو عن نفسه حيث قال ﷺ: (أنا أعربكم، أنا من قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر)[1].

وتتجلى حكمة منعه ﷺ من القول بالشعر كما قال تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين**﴾[2]، حكمة ذلك، لما كان الله قد ادّخر من جعل فصاحة القرآن معجزة له، ودلالة على صدقه لما هو عليه من أسلوب البلاغة، وعجيب الفصاحة الخارجة عن أنواع كلام العرب البلغاء الفُصَّح المتشدقين، كما سلب عنه الكتابة وأبقاه على حكم الأمية تحقيقاً لهذه الحالة، وتأكيداً لها، وذلك قوله تعالى: (وما ينبغي له) لأجل معجزته، والتي صفتها من صفته، ثم هي زيادة عظمى على علو مرتبته[3].

وقد اختلف في جواز تمثل النبي ﷺ بشيء من الشعر وإنشاده حاكياً عن غيره، فالصحيح جوازه.

وقدروي عن شريح عن أبيه قلت لعائشة: أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر ابن رواحة: ويأتيك بالأخبارمن لم تزود)[4].

وأما ما وقع منه في غزوة حنين: (أنا النبي لاكذب أنا ابن عبد المطلب)[5]. فقد وقع منظوماً من غير قصد منه إلى ذلك.

وروي عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يبني

١ - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٢٦٩٦) ورمز لصحته.
٢ - سورة يس الآية (٦٩).
٣ - أحكام القرآن لابن عربي (٤/١٥٩٧).
٤ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨٦٧) والترمذي (٢٨٤٨) وفي الشمائل (٢٤١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٩٧)، وأحمد (٦/١٣٨).
٥ - أخرجه البخاري (٢٩٣) ومسلم (٤٥٩١) وأحمد (٤/٢٨٠) والترمذي (١٦٨٨) وفي الشمائل (٢٤٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٠٥).

المسجد وعبد الله بن رواحة يقول: أفلح من يعالج المساجد، فيقولها رسول الله ﷺ فيقول ابن رواحة: يتلو القرآن قائماً وقاعداً، فيقولها رسول الله ﷺ).

وفي هذا وفي غيره يؤيد أنه ﷺ كان يجوز له أن يحكي الشعر عن ناظمه[1].

وأنشد يوماً وقد قيل له من أشعر الناس فقال: (الذي يقول:

ألم ترياني كلما جئت طارقاً   وجدت بها وإن لم تطيب طيباً

وأنشد يوماً حينما جاءه العباس بن مرداس قال له: أأنت القائل:

أتجعل نهبي ونهب العبيد   يد بين الأقرع وعيينة

فقال أبو بكر: بين عيينة والأقرع، فقال رسول الله ﷺ: (هما واحد) فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: ﴿**وماعلمناه الشعر وما ينبغي له**﴾[2].[3]

وإصابته للوزن أحياناً لايوجب أنه يعلم الشعر، وكذلك يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره:

هل أنت إلا أصبع دميت   وفي سبيل الله ما لقيت(٤)

قال الإمام القرطبي تعليقاً على تلك الأبيات التي أوردناها: (ولا نلزم منه أن يكون النبي ﷺ عالماً بالشعر، ولا شاعراً، إن التمثل بالبيت النزر وإصابة القافيتين من الرجز وغيره، لايوجب أن يكون قائلها عالماً بالشعر، ولا يسمى شاعراً باتفاق العلماء، كما أن من خاط خيطاً لايكون خياطاً قال أبو إسحاق الزجاج، معنى ﴿وماعلمناه الشعر﴾ أي: وماعلمناه أن يشعر، أي: ما جعلناه شاعراً، وهذا لايمنع أن ينشد شيئاً من الشعر. قال النحاس: وهذا من أحسن ما قيل في هذا.

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٣/١٥٨).
٢ - سورة يس الآية (٦٩).
٣ - سيرة ابن هشام (٢/ ٢٩٤).
٤ - أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، وأحمد (٤/٣١٢/٣١٣)،والبيهقي في دلائل النبوة (٧/٤٣/٤٤)، والبغوي (٣٤٠١) والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤/٢٩٩)، والترمذي (٣٣٤٥)،والطبراني في الكبير (١٧٠٣)، ومسلم (٤٦٣٠)، وابن حبان (٦٥٧٧)، والحميدي (٧٧٦)، وابن أبي شيبة (٨/٧١٦).

الألغاز في الشعر والإنشاد

قد اختار بعض الصوفية الألغاز والإشارة والتحجبة باستعمال المجاز والكناية والاستعارات والرموز اللغوية تعبيراً عن أذواقهم، ومواجيد هم وأشواقهم حتى اختصوا بذلك وعُرفوا بأهل الإشارة لأسباب، منها: عدم مساعفة الألفاظ المألوفة والعبارات المألوفة لتصوير مداركهم، ومشاعرهم، فكان اللجوء إلى الإشارة والرمز ضرورة لقربها من حسن عرض المشاعر والأحاسيس، وتصويرها والتعبير عنها.

ثم إن لكل علم مصطلحاً مستحدثاً، وهذا اصطلاحهم الخاص بهم فلماذا يؤاخذون على أنهم استقلوا بنوع من الاصطلاح، ولا يؤاخذ بقية أصحاب العلوم والفنون والحرف وغيرها.

وأما معاني المصطلحات، فتطلب من كتبهم وخصوصاً ما كتبه فيها الشيخ ابن عجيبة والشيخ علي وفاومن قبلهم وبعدهم.

ردود على أدلة التحريم

وأما أدلة التحريم التي تمسك بها القائلون بتحريم الغناء، والاستماع إليه، فلقد ناقشها القائلون بالإباحة مناقشة علمية، وحللوها تحليلاً بحيث يزيل اللبس والإشكال، ويضع النقاط على الحروف فقالوا:

١- إن الآية الكريمة التي تمسك بها القائلون بالتحريم: **﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾**[1].

فقالوا عن لهو الحديث أنه الغناء مستشهدين برواية عن ابن مسعود وغيره من الصحابة، إلا أن العلماء المحققين ذهبوا إلى ضعف الرواية مستدلين بما جاء في سنن الترمذي أن هذه الآية نزلت في مثل حديث: (لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن، ولا تعلّموهن، ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام)[2] كما قال الإمام الترمذي نفسه بعد إيراده لهذا الحديث.

---

١ - سورة لقمان الآية (٦).

٢ - أخرجه الترمذي (٣١٩٥).

ثم إن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث، لأنه يشتري كتب الأعاجم رستم، واسفنديار. فكان يجلس بمكة، فإذا قالت قريش إن محمداً قال كذا ضحك منه، وحدثهم بأحاديث ملوك الفرس ويقول: حديثي هذا أحسن من حديث محمد ﷺ.

وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته. فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه.

وهذا الرأي قد ذكره أكثر المفسرين[1].

ثم إذا أمعنا النظر في منطوق الآية لوجدنا أن احتجاجهم يبطل بها لأن فيها: ﴿**ليضل عن سبيل الله بغير علم**﴾. وهذا القيد متفق عليه كما مرّ من كلام ابن حزم رضي الله عنه في تفسيرها.

٢- وأما الآية الكريمة الثانية التي احتجوا بها وهي قوله تعالى: ﴿**أفمن هذا الحديث تعجبون**﴾.... ﴿**وأنتم سامدون**﴾[2].

ويقول ابن عباس هو الغناء بلغة حِمْيَر. فنقول: ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضاً، لأن الآية تشتمل عليه، فإن قيل: إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم فهذا أيضاً مخصوص بأشعارهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين وكما قال تعالى: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾[3] وأراد به شعر الكفار، ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه[4].

٣- وكذلك الآية الثالثة التي احتجوا بها وهي قوله تعالى: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك**﴾[5].

فقالوا: هو الغناء، وعن ابن عباس قال: كداعٍ إلى المعصية ومن المعلوم أن الغناء

١ - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٣/ ٣٣٥).
٢ - سورة النجم الآية (٥٨-٦١).
٣ - سورة الشعراء الآية (٢٢٤).
٤ - إحياء علوم الدين للغزالي(٢/ ٣٥١).
٥ - سورة الإسراء الآية (٦٤).

من أعظم الدواعي إلى المعصية، ولهذا فسر صوت الشيطان به، وقول مجاهد: إنه الغناء الباطل. ورواية أخرى عنه: صوته هو المزامير[1].

نقول: وذهب أكثر المفسرين إلى القول بصوتك: وصوته كل داع يدعو إلى معصية الله تعالى، لذلك فلا وجه للتخصيص بالغناء فقط، وإنما بكل وسيلة تكون سبباً إلى معصية الله.

٤- قال الحافظ أبو بكر البغدادي: من تمسك بتسمية أبي بكر مزمار الشيطان فقد أخطأ وأساء الفهم من وجوه منها:

تمسكه بقول أبي بكر مع رد النبي ﷺ له قوله وزجره عن عنفه لهن ورجوع أبي بكر إشارة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها: إعراض هذا القائل عن إقراره صلى الله عليه وسلم واستماعه الذي لااحتمال فيه إلا أنه يقتضي الحل والإطلاق إلى لفظ أبي بكر، ومحال أن يعتقد أبو بكر تحريم أمر حضره المصطفى وأقره عليه، مع علم الصديق أنه ﷺ لايقر على باطل، والصحيح أن يفهم من قول أبي بكر ما يليق به، وهو أنه رأى ضرب الدف وإنشاء الشعر لعباً، من جملة المباح الذي ليس فيه عبادة، مما حمله على تنزيه حضرته ﷺ عن صورة اللعب، ورأى أن الاشتغال بالذكر والعبادة في ذلك الموطن الكريم أولى فزجر عنه احتراماً لاتحريماً، فرد عليه النبي ﷺ إنكاره لأمرين:

أحدهما: أن لايعتقد تحريم ما أبيح من شرعه توسعة لأمته ورفقاً بها وتفسحاً في بعض الأوقات.

والثاني: إظهار الشارع مكارم الأخلاق وسعة الصدر لأهله وأمته فتستريح ببعض المباح، فيكون أنشط لهم في العودة إلى وظائف العبادة[2].

٥- وأما حديث الجارية السوداء التي نذرت أن تضرب الدف بين يدي رسول الله ﷺ وتتغنى، وكان ذلك بحضرة جملة من أصحابه إلى أن حضر عمر رضي الله عنه فكفت فقال ﷺ: (إن الشيطان ليخاف منك ياعمر)[3] فادَّعوا بأنه دليل على تحريم

---

١ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية (١/٢٥٥).

٢ - التراتيب الإدارية ونظام الحكومة النبوية لعبد الحي الكتاني، (٢/١٢٢ -١٢٣). وانظر منهل الحديث: موسى شاهين وعبد العال أحمد عبد العال (٣/٨٩).

٣ - تقدم تخريجه ص (٢٧٧).

الغناء، لأن الرسـول الكريـم ﷺ شـبه المغـني بالشـيطان، ولكـن الحقيقـة غـير هـذا، لأن الرسول ﷺ أظهر لأصحابه منقبة من مناقب عمر[1]، هذا من جهة، ومن جهة ثانيـة أن الجارية السوداء كانت قد نذرت بضرب الدف والتغني بين يدي رسول ا لله ﷺ إن هـو عاد سالماً من سفره، والرسول الكريم ﷺ وافقها، فالإقرار دليل الجواز حيـث لانـذر في معصية ا لله كما جاء في الحديث الشريف (ثم إنه كان جالساً يسمع لها هـو وأبـو بكـر وعثمان وعلي و لم ينكر عليها فهب أن سيدنا عمـر لم يأت يومهـا فهـل يقرهـا علـى معصية ا لله أم أنه يؤدي الأمانة أمام بعض الصحابـة ويكتمهـا أمـام الآخريـن!!! حاشـا لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أن يفعل هذا).

٦- وكذلك دعواهم بأن الصحابـة والتـابعين لم يسـمعوا الغنـاء، ولاجلسـوا في مجالسه، و لم يثبت عنهم أبداً، والجواب عن هذا نقول: إن كثيراً من الأخبـار جـاءت في الكتـب الموثوقـة _كالإصابـة في تمييز الصحابـة، والاستيعاب في معرفــة الأصحــاب، وكذلك نيل الأوطار _وذكروا طرفاً من أخبار بعض الصحابــة الذيـن كـانوا يسـمعون الغناء، ولكن ليس في مجالس الفحش والمعصيـة، كمـا جـاء في الإصابة لابـن حجـر في ترجمة حسان بن عكرمة عن ابن عباس قال: مر رسـول ا لله ﷺ بحسـان ومعـه أصحابـه وسماطين وجارية له يقال لها سيرين وهي تغنيهم فلم يأمرهم و لم ينههم[2] وكذلـك مـن مر معنا ذكره من الصحابة والتـابعين في الحديـث عـن الغنـاء والسـماع عنـد الصحابـة والتابعين رضي ا لله عنهم.

الإمام الشعبي الفقيه الشهير الرواية الموثوق به، كان يجعـل مـن داره مكانـاً لابـن سريج يغني فيه عندما استقدمه أهل العراق من الحجاز[3].

ورب سائل يسأل فيقول: إن الآيات الواردة في سورة الشعراء والتي يقـول فيهـا ربنا عز وجل: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كـل واد يهيمـون، وأنهـم يقولـون مـالا يفعلـون، إلا الذيـن آمنـوا وعملـوا الصالحـات وذكـروا ا لله كثـيراً**

١ - والحديث أخرجه الترمذي في باب مناقب عمر (٣٦٩٠).
٢ - التراتيب الإدارية ونظام الحكومة النبوية لعبد الحي الكتـاني (١٣٢/٢)، ونيـل الأوطـار، للشـوكاني (٢٦٥/٢) وما بعدها، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر (٢١١/٣).
٣ - التراتيب الإدارية ونظام الحكومة النبوية لعبد الحي الكتاني (١٣٢/٢- ١٣٣).

وانتصروا من بعد ماظلموا...﴾[1].

أليس هذا دليلاً واضحاً على تحريم الشعر والقول به؟.

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: إن المفسرين ذكروا أن هذه الآيات إنما نزلت في الكفار، كما ذكر ذلك الإمام القرطبي في تفسيره.

حيث روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه حينما نزلت هذه الآيات، جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي ﷺ، فقالوا: يانبي الله، أنزل الله تعالى هذه الآية وهو تعالى يعلم أنا شعراء، فقال: (اقرؤوا مابعدها: **﴿إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات﴾** أنتم، **﴿وانتصروا من بعد ماظلموا﴾** أنتم ولاتذكروا الآباء والأمهات[2].

وأما الإشكال الآخر، فهو الذي ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه، خير من أن يمتلئ شعراً)[3] وفي الصحيح أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر ينشد، فقال رسول الله ﷺ: (خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف رجل قيحاً، خير له من أن يمتلئ شعراً)[4].

قال علماؤنا: إن فعل النبي ﷺ مع ذلك الشاعر، لما علم من حاله، فلعل هذا الشاعر كان مما عرف من حاله، أنه اتخذ الشعر طريقاً للكسب، فيفرط في المديح إذا أعطى، وفي الهجو والذم إذا لم يعط، فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم، ولاخلاف في أن كل من كان على مثل هذا الحال، فكل ما يكسبه بالشعر حرام، وكل مايقوله من ذلك حرام عليه، ولايحل الإصغاء إليه، بل يجب الإنكار عليه، ثم يتابع الإمام القرطبي قوله في تأويل معنى الحديث (لأن يمتلئ): وهذا الحديث أحسن ماقيل فيه وفي تأويله إنه الذي قد غلب عليه الشعر، وامتلأ صدره منه دون علم سواه، يخوض به في الباطل، ويسلك به مسالك لاتحمد عقباها، كالمكثر اللفظ والهذر والغيبة والنميمة وقبيح

---

١ – سورة الشعراء الآية (٢٢٤ –٢٢٧).
٢ – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٣|١٦٥).
٣ – أخرجه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٥٨٥٣) والترمذي (٢٨٥٢) وابن ماجه (٣٧٦٠).
٤ – أخرجه مسلم (٥٨٥٥).

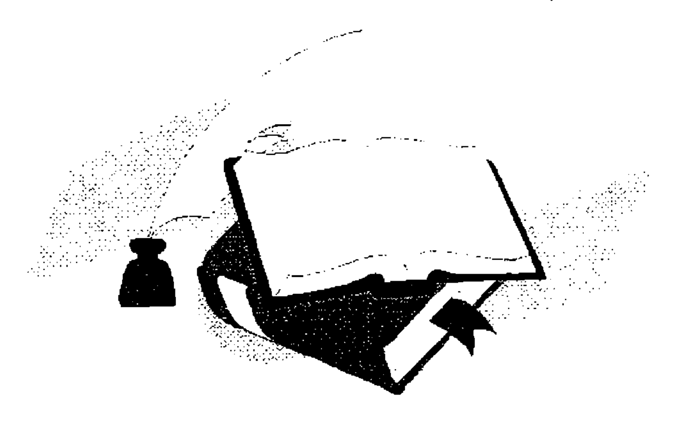
القول[1].

ولقد تابعه في هذا القول الإمام ابن حجر في الفتح حيث قال في حديث (لأن يمتليء): ولكن وجهه عندي أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن وعن ذكر ا لله، فيكون الغالب عليه، وأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوفه ممتلئاً من الشعر.

ولعل ما جاء في الإجابة للإمام الزركشي يوضح الإشكال أكثر فأكثر حيث جاء فيه أن السيدة عائشة رضي ا لله عنها استدركت حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه (لأن يمتلئ) فقالت: لم يحفظ أبو هريرة الحديث، إنما قال رسول ا لله ﷺ: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً، خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به[2].[3]

ولدى التأمل يتضح لنا من خلال هذا الاستدراك، أن الرسول الكريم ﷺ نهى عن لون معين من الشعر، وهو فيما يتعلق بهجائه ﷺ أو مايكون مشابهاً للهجاء، ومن المعلوم أن هجاء الرسول الكريم ﷺ إنما هو هجاء للدعوة الإسلامية وهذا اللون لاخلاف في تحريمه[4].

وفي هذا القدر كفاية لمن يخضع لقول ا لله وقول رسوله صلى ا لله عليه وسلم وا لله الهادي إلى سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.



١ - الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (١٣/١٥٣).
٢ - أخرجه البخاري (٦١٥٥) ومسلم (٥٨٥٣).
٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٣/١٦٧).
٤ - الإجابة لإيراد مااستدركته عائشة على الصحابة: ص (٦٧)، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (١٣/١٦١).



الأدلة النقلية والعقلية (القياس)

عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يَس قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرؤوها على موتاكم[1].

والمراد من (موتاكم) أي الميتين حقيقة، وليس المحتضرين وقال الشوكاني والمحب الطبري في شرح "موتاكم" الواردة في الحديث: اللفظ نص في الأموات وتناوله للمحتضرين مجاز، فلايصار إليه إلا لقرينة[2].

وحيث لا توجد قرينة تصرف ظاهر اللفظ عن حقيقته إلى المجاز فلا يصار إلى المجاز أي لتفسير كلمة (موتاكم) الواردة في الحديث بالمحتضرين، لعدم القرينة الصارفة ويبقى معنى (موتاكم) الميتين حقيقة ومعلوم لدينا أن الأموات إنماهم أحياء في قبورهم يسمعون قراءتنا ودعاءنا وقد مر معنا التفصيل في هذا في باب التوسل والاستغاثة في بداية فصل التوسل بالأموات (المنتقلين) فليراجع هناك.

عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال لي أبي اللجلاج: (يا بني إذا أنا مت فالحد لي لحداً، فإن وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله ثم سنَّ التراب عليَّ سنّاً، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك)[3].

وقال البعض: إن هذا الحديث مرسل، وإننا لو سلمنا أنه مرسل، فجمهور

---

١ - أخرجه أبو داود (٣١٢١) وابن ماجه (١٤٤٨)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٧٤)، وأحمد (٥|٢٦)، والحاكم (١|٥٦٥)، والبغوي (١٤٦٤) وابن أبي شيبة (٣|٢٣٧) والطبراني في الكبير (٢٠ برقم ٥١٠)، والبيهقي (٣|٣٨٣)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (١٣٤٤) ورمز لحسنه، والطيالسي (٩٣١)، وابن حبان (٣٠٠٢) عن أبي هريرة و أبي ذر قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مامن ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هوَّن الله عز وجل عليه) أخرجه الديلمي (٦٠٩٩).

٢ - نيل الأوطار (٣| ٢٥).

٣ - أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦١٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢٤٢) وقال: رجاله موثوقون.

الفقهاء والأصوليين نصوا على الاستدلال بالحديث المرسل.

قال ابن كثير في كتابه الباعث الحثيث: قال ابن الصلاح: والاحتجاج به(المرسل) مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما، قلت: أي ابن كثير- وهو محكي عن الإمام أحمد بن حنبل في رواية. (الباعث الحثيث في مصطلح الحديث ص -٤٨).

وقولهم مرسل: مردود، لأن الحديث متصل وهذا سنده: قال الطبراني: حدثني الحسين بن إسحاق التستري، ثنا علي بن حجر، ثنا مبشر بن إسماعيل، حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: أبي اللجلاج أبو خالد: (يابني إذا أنا مت... الحديث[1].

وأخرج الحافظ السيوطي وأبو القاسم في قواعده: (من دخل المقبرة فقرأ الفاتحة وألهاكم التكاثر وقل هو الله أحد ثم قال: إني جعلت ثواب ما قرأته من كلامك لأهل القبور من المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له يوم القيامة).

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه: (يستحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها)[2].

وعن سيدنا أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما: (ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس إلاهون الله عليه)[3].

وعن أبي الشعثاء صاحب ابن عباس: (أنه يستحب قراءة سورة الرعد وأن ذلك يخفف عن الميت) وفيه عن الشعبي قال: (كانت الأنصار يستحبون أن تقرأ عند الميت سورة البقرة)[4].

وعن الإمام أحمد قال: حدثنا ابن المغيرة، حدثنا صفوان قال: كانت المشيخة يقولون: إذا قرئت أي يس عند الميت خُفِّفَ عنه بها[5].

---

١ - الرد المحكم المتين للشيخ عبدالله الصديق ص٢٨٣، ونصب الراية للزيلعي (٢/٣٠٢).
٢ - الأذكار للنووي ص (١٢٣).
٣ - أخرجه الديلمي (٦٠٩٩).
٤ - ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (٣/٢٥) وورد في سبل السلام (٢/٩١).
٥ - تفسير ابن كثير (٣/ ٥٦٣) والتلخيص (٢/١٠٤).

مذهب السادة الشافعية

قال الحافظ السيوطي في شرح الصدور ما نصه: باب قراءة القرآن للميت أو على القبر: اختلف في وصول ثواب القرآن للميت: فجمهور السلف والأئمة الثلاثة قالوا بالوصول، وخالف ذلك إمامنا الشافعي مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[1] ثم أقر ذلك لقوله رحمه الله تعالى: (.... وأما القراءة على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم) قال الزعفراني: سألت الشافعي رحمه الله تعالى عن القراءة عند القبر؟ فقال: لابأس بها قال الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين (باب الدعاء للميت بعد دفنه):

قال الشافعي رحمه الله: ويستحب أن يُقرأ عنده شيء من القرآن، وإن ختموا القرآن عنده كان حسناً[2].

وقال النووي رحمه الله في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها. نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب، وزاد في موضع آخر: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل.

وقال القرطبي: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث: (العسيب والرطب الذي شقه النبي ﷺ باثنين ثم غرس على قبر نصفاً وعلى قبر نصفاً، وقال: (لعله يخفف عنهما ما لم يَيْبَسَا)[3] قال: يستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن.

وقال النووي: استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر، واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا: إذا وصل النفع إلى الميت بتسبيحهما حال رطوبتهما فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فإن قراءة القرآن من إنسان أعظم وأنفع من التسبيح من عود وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك.

---

١ - سورة النجم الآية (٣٩).

٢ - المجموع للنووي (٥/٢٩٤)، ورياض الصالحين (٩٤٧).

٣ - أخرجه البخاري (٢١٨) ومسلم (١٦٧٥)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١) وابن ماجه (٣٤٧)، وأحمد (١/٢٢٥)، وابن أبي شيبة (٣/٣٧٥)، والبيهقي في "السنن" (١/١٠٤)، وابن خزيمة (٥٦)، والدارمي (٧٣٩)، وعبد بن حميد (٦٢٠).

قال ابن الرفعة: الذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه، إذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارئ نفع الملدوغ نفعته، وأقر النبي ﷺ ذلك بقوله: (وما يدريك أنها رقية)[1] وإذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى[2] وتبعه السبكي في ذلك.

وقال في شرح الروض في كتاب الإجارة (فرع) الإجارة للقراءة على القبر مُدّة معلومة أو قدراً معلوماً جائزة، للانتفاع بنزول الرحمة حين يقرأ القرآن، ويكون الميت كالحي الحاضر سواء أعقب القرآن بالدعاء أو جعل أجر قراءته له أم لا، فتعود منفعة القرآن إلى الميت في ذلك، ولأن الدعاء يلحقه وهو بعدها أقرب إجابةً وأكثر بركة، ولأنه إذا جعل أجره الحاصل بقراءته للميت فهو دعاء بحصول الأجر له فينتفع به، فقول الشافعي: إن القراءة لا تصل إليه محمول على غير ذلك.

وقال الإمام النووي: عن القاضي حسين في (الفتاوى) أن الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر مدّة جائز كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن. واعلم أن عود المنفعة إلى المستأجر شرط، فيجب عودها في هذه الإجارة إلى المستأجر أو الميت، فالمستأجر لاينتفع بقراءة غيره، ومعلوم أن الميت لايلحقه ثواب القراءة المجرد، فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت، ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوسي: أنه إن نوى القارئ بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه، وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الأجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الأجر للميت، فينتفع الميت.

قال النووي: ظاهر كلام القاضي حسين صحة الإجارة مطلقاً وهو المختار، فإنَّ موضع القراءة موضع بركة، وبه تنزل الرحمة، وهذا مقصود ينفع الميت وا لله أعلم[3].

وفي الرملي على المنهاج في باب الوصايا: أن الدعاء بوصول ثواب القراءة للميت مقبول قطعاً، فإنه إذا كان مقبولاً بما لاحق فيه للداعي فكيف بمالا حق فيه ولا عمل؟ أي فهو مقبول من باب أولى، وقال ابن الصلاح: وينبغي الجزم بنفع قوله: اللهم

---

١ – أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٥٦٩٧)، وأبو داود (٣٤١٨)، والترمذي (٢٠٦٤)، وابن ماجه (٢١٥٦)، وأحمد (٣|٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٢٨)، والدارقطني (٣|٦٤)، والبيهقي (٦|١٢٤)، والطحاوي (٤|١٢٦ – ١٢٧).

٢ – المقالات السنية ص (١٧٠-١٧٢)، وإتحاف السادة المتقين(١٠|٣٦٩).

٣ – روضة الطالبين للنووي (٥|١٩١).

أوصل ثواب ما قرأناه لأنه إذا نفعه الدعاء بماليس للداعي فماله أولى ويجري هذا في سائر الأعمال وقال الشبر ماسي على الرَّملي: إنه إن نوى ثواب قراءته، أودعا عقبها بحصول ثوابها للميت، أوقرأ عند قبره حصل لـه ثواب القراءة وحصل للقارئ أيضاً الثواب، فـإذا سقط ثواب القارئ لمسقط كأن غلب الباعث الدنيوي، فينبغي أن لايسقط مثله بالنسبة إلى الميت فيها إذا كانت القراءة بأجرة، وينبغي أن تكفي نية القارئ الثواب للميت ولولم يدع... واختار السبكي وابن حجر والرملي وغيرهم جواز إهداء القراءة للنبي ﷺ قياساً على الصلاة عليه.

وفي شرح المنهاج لابن النحوي: (والمختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته، وينبغي الجزم به لأنه دعا فإذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعي فلأن يجوز ماهو له أولى)[1].

وفي باب الإجارة من فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ما نصه: سئل عن إجارة من يقرأ لحي أو ميت بوصية أو نذر أو غيرهما ختمة هل يصح ذلك من غير تعيين زمان أو مكان، أو لابد من التعيين حتى يمتنع ذلك فيمن أوصى بالقراءة ثم مات غريقاً أولا يعرف له قبر؟ وإذا قلتم بالأول فهل تصح الإجارة لقراءة قرآن بالتعيين المذكور أو لا؟ وإذا فرغ القارئ من القراءة فما صورة ما يدعو به؟ هل يقول: اللهم اجعل ثواب ما قرأته لفلان أو مثلَ ثوابه؟ وهل يهديه أولاً للأنبياء والصالحين ثم للمستأجر له أو يهديه أولاً له ثم لهم؟ فأجاب: بأن الإجارة تصح لقراءة ختمة من غير تقدير بزمن، وتصح قراءة قرآن بتقدير ذلك سواءٌ عيّنَ مكاناً أم لا، وقد أفتى القاضي حسين بصحتها بقراءة القرآن على رأس القبر مدة كالإجارة للأذان وتعليم القرآن، قال الرافعي: والوجه تنزيله على ما ينفع المستأجر له إما بالدعاء عقب القراءة وهو بعدها أقرب إجابة وأكثر بركة، وإما بجعل ما حصل من الأجر له، والمختار كما قاله النووي صحة الإجارة مطلقاً كما هو ظاهر كلام القاضي لأن محل القراء محل بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود بنفع المستأجر له، وبذلك علم أنه لافرق بين القراءة على القبر وغيره، وصورة ما يدعو به: اللهم اجعل مثل ثواب ذلك... إلخ، إذ المعنى على مثل ثواب ذلك، كما لو أوصى لزيد بنصيب ابنه فإنه يصح على معنى مثل نصيب ابنه،

١ - نيل الأوطار (٤|١٠٥)، سبل السلام (٢|١١٨-١١٩).

وإن كان المعنى على ذلك فله أن يهدي ثواب ذلك للأنبياء والصالحين ثم للمستأجر له بل هو أولى لما فيه من التبرك بتقديم من يطلب بركته، وهو أحب للمستأجر غالباً.

وقال العسقلاني عندما سئل عن وصول ثواب القراءة للميت مايلي: هي مسألة مشهورة والحاصل أن أكثر المتقدمين من العلماء نصوا على الوصول، وأن المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والإكثار منه[1].

وقال العلامة الشربيني في تفسير قوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[2].

ما يلي: (وأن ليس للإنسان) كائناً من كان (إلا ما سعى) فلا بد أن يعلم الحق في أي جهة فيسعى فيه، ودعاء المؤمنين للمؤمن من سعيه بموادَّته ولو بموافقته لهم في الدين فقط وكذا الحج عنه والصدقة ونحوها فكذلك، وتضحية النبي ﷺعن أمته أصل كبير في ذلك فإن من تبعه وادَّه وهو أصل في التصدق عن الغير وإهداء ما له من الثواب في القراءة ونحوها إليه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، أي وإنما هو في صحف موسى وإبراهيم عليهما السلام بقوله: ﴿**ألحقنا بهم ذريتهم**﴾[3]، فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء، وقال عكرمة: إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما السلام، أما هذه الأمة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما يروى أن امرأة رفعت صبياً فقالت: يا رسول الله ألهذا حج. فقال: (نعم ولك أجرٌ)[4]. وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها[5]، وأُراها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقْتُ عنها؟ قال: (نعم)[6].

---

١ - الرسائل المنيرية (٤| ٤١).

٢ - سورة النجم الآية (٣٩).

٣ - سورة الطور الآية (٢١).

٤ - أخرجه مسلم (٣٢٤١) وأبو داود (١٧٣٦)، والنسائي (٢٦٤٦)، وأحمد (١|٢١٩)، ومالك (١|٤٢٢)، والحميدي (٥٠٤)، وابن خزيمة (٣٠٤٩)، والبيهقي (٥|١٥٥)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (٢|٢٢٩)، وفي "شرح معاني الآثار" (٢|٢٥٦) وابن الجارود في "المنتقى" (٤١١)، والبغوي (١٨٥٢)، والطبراني في الكبير (١٢١٧٦)، والطيالسي (٢٧٠٧)، والشافعي في مسنده (١|٢٨٩)، وابن حبان (١٤٤).

٥ - افتلتت نفسها: ماتت، وأُراها بضم الهمزة أي أظنها.

٦ - أخرجه البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (٢٣٢٣)، وأبو داود (٢٨٨١)، والنسائي (٣٦٥١) وابن ماجه (٢٧١٧)، وأحمد (٦|٥١)، والحميدي (٢٤٣)، وابن خزيمة (٢٤٩٩) والبيهقي (٦|٢٧٧)، والبغوي (١٦٩)، وابن حبان (٣٣٥٣) ومالك (٢|٧٦٠)..

وقال السيد الآلوسي في تفسير الآية السابقة ما نصه: (وقال بعض أجلة المحققين إنه ورد في الكتاب والسنة ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية فتقيد بما لايهنه العامل).

وقال الشيخ محمد العربي معقباً على قول الآلوسي السابق: على أن المحققين من المفسرين قالوا: إن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه (وهو أن يكون مؤمناً) كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعاً له وقائماً بقيامه، ولأن سعي غيره لاينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه به فهو به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه.

وقد قال تعالى: ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾[1]، ولو آمنوا لانتفعوا بشفاعة إخوانهم المؤمنين، وكذلك سعي المؤمن لأخيه المؤمن لو لم يكن مؤمناً لما انتفع به فإيمانه هو سبب قبول شفاعة أخيه وسعيه، وحيث إن إيمانه من سعيه وعليه ترتب قبول سعي غيره له دخل ذلك تحت نطاق قوله تعالى: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[2]. حيث قد سعى بإيمانه في قبول سعي الغير له.

ويدل على ذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده[3]: أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشاماً ابنه نحر عنه حصته خمسين، وأن عمراً ابنه سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال له: (أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك)[4].

مذهب السادة الحنفية

قال العلامة المرغيناني في كتابه (الهداية) في أول باب الحج عن الغير ما نصه: (الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها عند أهل السنة والجماعة، لما روي عن النبي ﷺ: (أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته ممن أقر بوحدانية الله وشهد له بالبلاغ)[5].

---

١ – سورة المدثر الآية (٤٨).
٢ – سورة النجم الآية (٣٩).
٣ – وقد حقق ابن القيم في إعلام الموقعين صحة مسند عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
٤ – أخرجه أحمد (١٨٢/٢).
٥ –أخرجه أبو داود (٢٧٩٥)، وأحمد (٣٦٢/٣)، وأبو يعلى (ج١٧٩٢/٣) وذكره الهيثمي في المجمع (٤| برقم ٥٩٦٩).

وقال العلامة البدر العيني في شرحه على كنز الدقائق ما نصه: (يصل إلى الميت جميع أنواع البر من صلاة أو صوم أو حج أو صدقة أو ذكر أو غير ذلك)[1].

وقال العلامة الزيلعي في شرحه على الكنز أيضاً في باب الحج عن الغير ما نصه: الأصل في هذا الباب أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره عند أهل السنة والجماعة صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن أو الأذكار إلى غير ذلك من جميع أنواع البر، ويصل ذلك إلى الميت وينفعه... فقد ورد في الأثر: (إن من البر بعد الموت أن تصلي لهما -أي الوالدين- مع صلاتك وأن تصوم لهما مع صومك).

وورد أيضاً: (من مرّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجرهما للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات).

وورد: (من دخل المقابر فقرأ سورة يَس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات).

وورد أنه يصل ثواب من يهدي إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدي إليه).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرؤوا على موتاكم سورة يس)[2].

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه ضحى بكبشين أملحين أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته)[3]، أي جعل ثوابه لأمته.

وهذا تعليم منه عليه الصلاة والسلام أن الإنسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به هو الاستمساك بالعروة الوثقى.

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يارب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار

١ – انظر نيل الأوطار للشوكاني (٤|١٢٥).
٢ – تقدم تخريجه ص (٢٩٣).
٣ – أخرجه مسلم (٥٠٦٤)، وأبو داود (٢٧٩٢)، وأحمد (٦|٧٨) وقد تقدم تخريجه بلفظ مقارب.

ولدك لك][1].

ولهذا قال تعالى: ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾[2]. وما أمر الله به من الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم وما ذكره في كتابه العزيز من استغفار الأنبياء والملائكة لهم حجة لنا عليهم، لأن كل ذلك عمل الغير، وأما قوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[3] فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان**﴾[4] وقيل هي خاصة بقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، لأنه وقع حكاية عما في صحفهما بقوله تعالى: ﴿**أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى**﴾[5]، وقيل: أريد بالإنسان الكافر، وأما المؤمن فله ما سعى له أخوه).

وقال ابن عابدين رحمه الله تعالى: صرح علماؤنا في باب الحج عن الغير بأنَّ للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاةً أو صوماً أو صدقة أو غيرها، واستدلوا بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (وإذا تصدق بصدقة تطوعاً فيجعلها عن أبويه، فيكون لهما أجرها ولا ينتقص من أجره شيئاً)[6] بل قال بعضهم: إن الأفضل لمن يتصدق نفلاً أن ينوي لجميع المؤمنين والمؤمنات، لأنها تصل إليهم ولا ينتقص من أجره شيء، وهو مذهب أهل السنة والجماعة. وقال أيضاً: والذي حرره المتأخرون من الشافعية وصول القراءة للميت إذا كانت بحضرته أودُعي له عقيبها -ولو غائباً- لأن محل القراءة تنزل فيه الرحمة والبركة، والدعاء عقبها أرجى للقبول، ولهذا اختاروا في الدعاء: اللهم أوصل مِثل ثواب ما قرأته إلى فلان، وأما عند (الحنفية) فالواصل إليه الثواب نفسه.

وقال أيضاً: وبهذا علم أنه لافرق بين أن يكون المجعول له ميتاً أو حياً، والظاهر أنه لافرق بين أن ينوي به عند الفعل للغير أو يفعله لنفسه، ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره وروي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن

---

١ - أخرجه الإمام أحمد رقم (١٠٢٠٢)، وقال ابن كثير في تفسيره: إسناده صحيح.
٢ - سورة محمد الآية (١٩).
٣ - سورة النجم الآية (٣٩).
٤ - سورة الطور الآية (٢١).
٥ - سورة النجم الآية (٣٦- ٣٧).
٦ - مسند أحمد بشرح البنا (١٠١/٨).

أمي افتُلِتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: (نعم)[1].

وعن سيدنا بريدة رضي الله عنه قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت قال : فقال: (وجب أجرك ورجعت إليك في الميراث). قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: (صومي عنها). قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: (حجي عنها)[2]
وقال أيضاً: وفي شرح اللباب للمُلا علي القاري: ثم من آداب الزيارة(أي زيارة القبور) ما قالوا: أنه يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى لامن قبل رأسه لأنه أتعب لبصر الميت بخلاف الأول، لأنه يكون مقابل بصره، هذا إذا أمكنه وإلا فقد ثبت أنه ﷺ (قرأ أول سورة البقرة عند رأس الميت وآخرها عند رجليه)[3].

ويقرأ يس لما ورد: (من دخل المقابر فقرأ سورة يَس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها من حسنات).[4]

مذهب السادة المالكية

قال القاضي أبو عياض في شرحه على صحيح مسلم في حديث الجريدتين عند قوله ﷺ : (لعله يخفف عنهما مادامتا رطبتين)[5] ما نصه: (أخذ العلماء من هذا الحديث استحباب قراءة القرآن على الميت، لأنه إذا خفف عنه بتسبيح الجريدتين وهما جماد فقراءة القرآن أولى).

وقال ابن رشد في كتابه النوازل ما نصه: (وإن قرأ الرجل وأهدى ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت أجره).

وقال العلامة ابن الحاج في كتابه (المدخل) ما نصه: (لو قرأ في بيته وأهدى إليه لو صلت، وكيفية وصولها: أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له، أو قال: اللهم اجعل

---

١ - تقدم تخريجه ص (٢٩٨).
٢ - أخرجه مسلم (٢٦٩٢)، وأبو داود (١٦٥٦) مختصراً، والترمذي (٦٦٧) مختصراً، وابن ماجه (١٧٥٩) مختصراً، وأحمد (٥|٣١٥)، وانظر النووي في شرحه على مسلم (٨|٢٦٥-٢٦٩).
٣ - أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٦١٣) وأورده الهيثمي في المجمع (٤٢٤٢).
٤ - الحاشية (٢|٢٤٢).
٥ - تقدم تخريجه ص (٢٩٥).

ثوابها له، فإن ذلك دعاء بالثواب لأن يصل إلى أخيه والدعاء يصل بلا خلاف).

وقال العلامة عبد الحق الإسنيلي في كتابه (العاقبة) ما نصه: (واعلم أن الميت كا لحي فيما يعطاه ويهدى إليه، بل الميت أكثر وأكثر، لأن الحي قد يستقل ما يهدى إليه ويستحقر ما يتحف به، والميت لايستحقر شيئاً من ذلك ولو كان مقدار جناح بعوضة أو وزن مثقال ذرة لأنه يعلم قيمته، وقد كان يقدر عليه فضيعه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به)[1].

فهذا دعاء الولد يصل إلى والده وينتفع به، وكذا أمره عليه الصلاة والسلام: بالسلام على أهل القبور والدعاء لهم، ما ذاك إلا لكون ذلك الدعاء لهم والسلام عليهم يصل إليهم ويأتيهم وا لله أعلم.

وورد في الأثر أن: (الميت في قبره كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها).

وقال صاحب كتاب مواهب الجليل ما نصه: (ونقل ابن الفرات عن القرافي أنه قال: الذي يتجه أنه لهم (الأموات) بركة القراءة كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده) ثم قال في مسألة وصول القراءة للميت ما نصه: (وإن حصل الخلاف فيها فلا ينبغي إهمالها، فلعل الحق هو الوصول)[2].

مذهب السادة الحنابلة :

قال ابن تيمية رحمه ا لله تعالى: (الأمر الذي كان معروفاً بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون ا لله بأنواع العبادات المشروعة، فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر ا لله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاتهم على الجنازة، وعند زيارة القبور وغير ذلك، وروي عن طائفة من السلف: عند كل ختمة دعوة مُجابة، فإذا دعا الرجل عقيب الختم

---

١ - أخرجه مسلم (٤١٩٩)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦) والنسائي (٣٦٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٨)، وأحمد (٢/٣٧٢) وابن حبان (٣٠١٦)، والبغوي (١٣٩)، والطحاوي (٢٤٦)، والبيهقي (٦/٢٧٨)، وأبو يعلى (٦٤٥٧) والدارمي (٥٦٥)، وابن خزيمة (٢٤٩٤)..

٢ - مواهب الجليل (٢/ ٢٣٨).

لنفسه ولوالديه ولمشايخه وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات كان هذا من الجنس المشروع، وكذلك دعاؤه لهم في قيام الليل وغير ذلك من مواطن الإجابة وقد صح عن النبي ﷺ أنه أمر بالصدقة عن الموتى من الأعمال الصالحة وكذلك ما جاءت به السنة في الصوم عنهم، وبهذا وغيره احتجَّ من قال من العلماء إنه يجوز إهداء ثواب العبادات المالية والبدنية إلى موتى المسلمين كما هو مذهب أحمد وأبي حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي، فإذا أهدي لميت ثواب صيام أو صلاة أو قراءة جاز ذلك.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً: من اعتقد أن الإنسان لاينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب ثم لأهل الجنة في دخولها ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بعمل الغير.

ثالثها: أن كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض وذلك منفعة بعمل الغير.

خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم.

سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير.

سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين (وكان أبوهما صالحاً)[1] فانتفعا بصلاح أبيهما وليس هو من سعيهما.

ثامنها: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق، بنص السنة والإجماع وهو من عمل الغير.

تاسعها: أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة وهو انتفاع

---

١ - سورة الكهف الآية (٨٢).

بعمل الغير.

عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: أن المدين الذي امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي ﷺ وبردت جلدته بقضاء دينه وهو من عمل الغير.

ثاني عشرها: أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده (ألارجل يتصدق على هذا فيصلي معه[1] فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير.

ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديوان الخلق إذا قضاها قاضٍ عنه وذلك انتفاع بعمل الغير.

رابع عشرها: أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها سقطت عنه وهذا انتفاع بعمل الغير.

خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في المحيا والممات كما جاء في الأثر وهذا انتفاع بعمل الغير.

سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره.

سابع عشرها: الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره.

ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجماعة بكثرة العدد وهو انتفاع للبعض بالبعض.

تاسع عشرها: أن الله قال لنبيه ﷺ: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾**[2]

---

١ - أخرجه أحمد (٣|٥) والترمذي (٢٢٠)، وأبو داود (٥٧٤)،والدارمي (١٣٤١)، وأبو يعلى (١٠٥٧) والحاكم (١|٢٠٩) وصححه ووافقه الذهبي .
٢ - سورة الأنفال الآية (٣٣).

وقال تعالى: ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾[1] ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾[2] فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير.

عشرونها: أن صدقة الفطر تجب على الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له.

حادي عشرينها: أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له. ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لايكاد يحصى فكيف يجوز أن تَتَأول الآية على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والمراد بالإنسان العموم[3].

وقال الشيخ ابن القيم في كتاب الروح ما نصه: وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصَوا أن يُقرأ عند قبورهم وقت الدفن، قال عبد الحق: يروى أن عبدالله ابن عمر أمر أن يُقرأ عند قبره سورة البقرة، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع، وقال الخلال في كتاب الجامع: القراءة عند القبور: عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: قال أبي: إذا أنا متُّ فضعني في اللحد، وقل: بسم الله وعلى سنة رسول الله، وسنَّ عليّ التراب سناً، واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك. قال عباس الدوري: سألت أحمد بن حنبل، قلت تحفظ في القراءة عند القبر شيئاً، فقال: لا، وسألت يحيى بن معين فحدثني بهذا الحديث. قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوارق حدثني علي بن موسى الحداد، وكان صدوقاً، قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: ياهذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال نعم، قال: فأخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع

١ – سورة الفتح الآية (٢٥).
٢ – سورة الحج الآية (٤٠).
٣ – إسعاف المسلمين والمسلمات ص (٥٠-٥٣) وحاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٦/٢٨).

وقل للرجل يقرأ، (وورد مرفوعاً في بداية الباب).

وذكر الخلال عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن.

وعزا رحمه الله وصول ثواب العبادات البدنية للميت كالصلاة والصوم وقراءة القرآن والذكر للإمام أحمد وجمهور السلف، وعدم الوصول إلى أهل البدع من علماء الكلام.

وقال رحمه الله أيضاً في جواب عن قوله تعالى: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[1].

ما لفظه: وقالت طائفة أخرى: القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لايخفى،[2] وأخبر تعالى أنه لايملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أبقاه لنفسه، وهو سبحانه لم يقل لاينتفع إلا بما سعى، وكان ابن تيمية يختار هذه الطريقة ويرجحها.

وقال رحمه الله في الجواب على شبه المانعين ما نصه: فصل، وأما استدلالكم بقوله ﷺ: (إذا مات العبد انقطع عمله)[3]:

فالاستدلال ساقط، لأنه ﷺ لم يقل انقطع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له فقد وصل إليه ثواب عمل العامل لاثواب عمله هو، فالمنقطع شيء والواصل إليه شيء آخر.

وقال رحمه الله أيضاً: (وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجره فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحج، فإن قيل: فهذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم على الخير ولا أرشدهم النبي ﷺ إليه، وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه ولكانوا يفعلونه:

---

١ – سورة النجم الآية (٣٩).

٢ – فقد يسكنك صديقك في داره بلا أجر فقد انتفعت بما ليس لك، فإن ادعيت ملكيتها وأنها لك فهذا كذب وخطأ، وبهذا يتضح أن انتفاعك بما لاتملك قد يصح، بخلاف دعوى الملكية من غير سعيك فإنه لايصح.

٣ – تقدم تخريجه ص (٣٠٣).

فالجواب أن مورد هذا السؤال إن كان معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار، قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟ وهل هذا إلا تفريق بين المتماثلات؟ وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع. (وقد مرَّت معنا الأدلة واضحة جلية).

ثم إنه ﷺ لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرد نية وإمساك وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟ وقال رحمه الله ما نصه: وهذا عمل الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكير من العلماء. أ.هـ

وقال الشيخ الإمام أبو محمد بن قدامة المقدسي في آخر كتاب الجنائز من **(مغنيه) ما نصه**: لابأس بالقراءة عند القبر، وقدروى عن أحمد أنه قال: **(إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا آية الكرسي وثلاث مرات قل هو الله أحد، ثم قل: اللهم إن فضله لأهل المقابر)**.

وقال الخلال: حدثني أبو علي الحسن بن الهيثم البزار شيخنا الثقة المأمون، **قال**: رأيت أحمد بن حنبل يصلي خلف ضرير يقرأ على القبور، وقد ورد في الأثر أنه **(من** دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات)، وورد أيضاً أنه: (من زار والديه فقرأ عنده أو عندهما يَس غفر له)، ثم قال: فصل: وأي قربة فعلها وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إن شاء الله تعالى.

أما الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافاً إذا كانت الواجبات مما تدخله النيابة، وقد قال تعالى: ﴿**والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾[2]، ودعا النبي ﷺ لأبي سلمة حين مات، وللميت الذي صلى

١ - سورة الحشر الآية (١٠).
٢ - سورة محمد الآية (١٩).

عليه في حديث عوف بن مالك، ولكل ميت صلى عليه، وسأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت أفينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: (نعم)[1]، ورروي ذلك عن سعد بن عبادة رضي الله عنه، وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يارسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لايستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال (نعم)[2].

وقال للذي سأله: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأصوم عنها؟ قال: (نعم[3] وهذه أحاديث صحاح وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب، لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادة بدنية، وقد أوصل نفعها إلى الميت، وكذلك ما سواها مع ما ذكرنا من الحديث في ثواب من قرأ يس، وتخفيف الله تعالى عن أهل المقابر بقراءته، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال لعمرو بن العاص: (لو كان أبوك مسلماً فأعتقتم أو تصدقتم عنه أو حججتم عنه بلغه ذلك)[4]، وهذا عام في حج التطوع وغيره، ولأنه عمل بر وطاعة، فوصل نفعه وثوابه كالصدقة والصيام والحج الواجب، ثم قال: والدليل لنا ماذكرناه وأنه إجماع المسلمين فإنهم في كل عصر ومصر يجتمعون ويقرؤون القرآن ويهدون ثوابه إلى موتاهم من غير نكير، ولأن الحديث صح عن النبي ﷺ: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)[5]، والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه ويحجب عنه الثواب. أ.هـ

وقال صاحب الروض المربع شرح زاد المستنقع ما نصه: ولاتكره القراءة على القبر...

وصح عن ابن عمر (أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عنده بفاتحة البقرةو خاتمتها) ثم قال: وأي قربة من دعاء واستغفار وصلاة وصوم وحج وقراءة وغير ذلك فعلها مسلم

---

١ - تقدم تخريجه ص (٢٩٨).

٢ - أخرجه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (٣٢٣٨)، وأبو داود (١٨٠٩)، والنسائي (٢٦٣٣)، وأحمد (١|٢١٩)، ومالك (١|٣٥٩)، والحميدي (٢٥٠٧) والدارمي (١٧٧٧)، وابن خزيمة (٣٠٣١)، والبيهقي (٤|٣٢٨)، والطبراني في الكبير (١٨| برقم ٧٢٢)، والبغوي (١٨٥٤) وابن حبان (٣٩٨٩).

٣ - أخرجه البخاري (١٩٥٣) ومسلم (٦٨٨)، وأبو داود (٣٣١٠)، وأحمد (١|٢٢٤)، والبيهقي (٤|٢٥٥)، والدارقطني (٢|١٩٥)، والبغوي (١٧٧٤)، والطيالسي (٢٦٣٠)، والطبراني في الكبير (١٢٣٢٩)،وابن حبان (٣٥٧٠).

٤ - تقدم تخريجه ص (٢٩٩).

٥ - أخرجه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٤١٤٦)، والنسائي (١٨٥٧)، والبيهقي (٤|٧٣)، والبغوي (١٥٣٧)، وعبد الرزاق (٦٦٧٥)، والشافعي في "المسند" (١ برقم ٥٥٨)، وابن حبان (٣١٣٦).

وجعل ثوابها لميت مسلم أوحي نفعه، قال أحمد: (الميت يصل إليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيه)، وذكره المجد وغيره حتى ولو أهداها للنبي ﷺ جاز ووصل إليه ثوابها)[1].

وقال الشيخ محمد المنبجي الحنبلي في كتابه(تسلية أهل المصائب) :أما احتجاج بعض من خالف من أصحاب الشافعي وما لك بهذه الآية: ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[2] على أن الميت لاينتفع بثواب من سعي غيره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)[3].

قالوا: لأن نفع العبادة لايتعدى فاعلها. فيقال لهم: قد ثبت بالسنة المتواترة وإجماع الأمة أن الميت يصلى عليه ويدعى له ويستغفر له وهذا من سعي غيره.

والرد بالنسبة للآية: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾[4]، فأدخل الأبناء بصلاح الآباء.

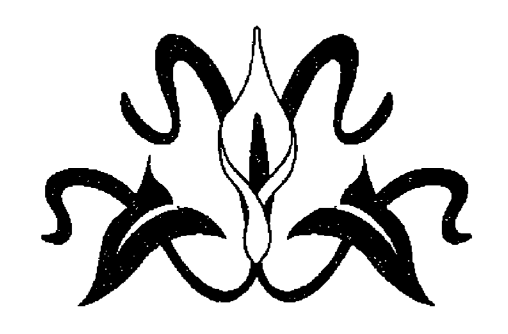
ولاخلاف بين العلماء في مشروعية تلقين من حضره الموت لاإله إلا الله للحديث الصحيح: (لقنوا موتاكم لاإله إلا الله) وأما تلقينه بعد الدفن على القبر فاستحبه الشافعية والأكثر من الحنابلة والمحققون من الحنفية والمالكية لحديث أبي أمامة.

قال المحقق ابن الهمام: ولامانع من حمل موتاكم في الحديث الصحيح على حقيقته فيشمل التلقين على القبر، وهذا نص كيفية التلقين: عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا مات أحد من إخوانكم فسوى يتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس القبر ثم ليقل: يافلان بن فلانة، فإنه يسمع ولايجيب، ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لاتشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لاإله

١ - الروض المربع (١/ ١٥٣).
٢ - سورة النجم الآية (٣٩).
٣ - تقدم تخريجه (٣٠٣).
٤ - سورة الطور الآية (٢١).

إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما نقعد عند من لقن حجته فيكون الله حجيجه دونهما قال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: (ينسبه إلى حواء -يافلان بن حواء)[1]، قالوا: ويكون تلقينه بعد انصراف المشيعين بصوت بين الجهر والإسرار والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين



١ - أخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٧٩) والهيثمي في المجمع (٤٢٤٨)، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٢/١٣٥) إسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه ونقل كلام الحافظ ابن حجر الإمام النووي في المجموع ج٥ ص٢٤٣.



١٧ زيارة القبور

مقدمة

قد أُمرنا بزيارتها، وزارها رسول ا لله ﷺ والصحابة الكرام رضوان ا لله عليهم جميعاً قال تعالى: ﴿**ولا تصل على أحد منهم**﴾. أي من المنافقين ﴿**مات أبداً، ولا تقم على قبره**﴾[1]. معنى هذا أن يقوم الرسول على غير قبور المنافقين كقبور الصالحين وقد فعل هذا مع المرأة التي كانت تقمّ المسجد.

وأما شدّ الرحال فالممنوع شدها إلى المساجد لا إلى القبور، وفرق كبير بين المساجد والقبور، فتأمل بعمق، على أنه مما ثبت عن سيدنا عمر رضي ا لله عنه أنه قال: (لو أن مسجد قباء في طرف الدنيا لشددنا إليه الرحال) مما يؤكد أن حديث شد الرحال ليس على إطلاقه، والصوفية لا ييأسون من الموتى ﴿**كما يئس الكفار من أصحاب القبور**﴾[2] وهم يرون أن الموت مرحلة من مراحل السفر الإنساني الكادح إلى ا لله. فالميت عندهم حي حياة برزخية، وللميت علاقة أكيدة بالحي، بما صح عن رسول ا لله ﷺ من أحاديث، رد الميت السلام،على الزائر، ومعرفته، وبتشريع السلام على الميت عند قبره ومحادثته ﷺ الموتى (القليب يوم بدر) كما وردت في عدة أحاديث ثابتة مما سيأتي معنا إن شاء ا لله تعالى.

ومن القرآن حسبك قوله تعالى: ﴿**ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم**﴾[3] فهناك علاقة مؤصلة بين الحي والميت، وإلا كان الدعاء والسلام، على الميت موجهاً إلى الأحجار!! وإلا فما معنى زيارة الرسول ﷺ لأهل البقيع، والسلام عليهم، وتكليمهم، والدعاء لهم.

---

١ – سورة التوبة الآية (٨٤).

٢ – سورة الممتحنة الآية (١٣).

والصوفية يعتقدون -بحق- أن الولي في الدنيا ولي بخصائصه الروحية، ومواهبه الربانية، والخصائص والمواهب من متعلقات الأرواح، ولا ارتباط لها بالأجسام البتة، فالولي حين يموت ترتفع خصائصه ومواهبه مع روحه إلى برزخه، ولروحه علاقة كاملة بقبره. بدليل ما سيمرّ معنا من السلام عليه ورده السلام...الخ.

ومن هنا جاء تكريم هؤلاء السادة الصالحين من أصحاب القبور.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ وضع حجراً على قبر بعض الصحابة، وهو عثمان ابن مظعون رضي الله عنه وقال: (أتعرف به قبر أخي)[1].

وكان هذا الحديث، بعد حديث علي رضي الله عنه بتسوية القبور المشرفة، فاستدلوا به على جواز اتخاذ ما يدل على القبر، وعلى فضل صاحب القبر، بلا إغراق ولا مبالغة، رجاء استمرار زيارته والدعاء له والاقتداء به والصدقة عليه، وحفظ أثره..

ومن هنا جاز نقل الميت من مكان إلى مكان أفضل كما صح في حديث جابر وغيره.

وقد أصلح الناس القبور بحسن نية من جانب، وخوف اندثار القبر من جانب آخر فاتُخِذَ الأمر بتصور الصورة التي تراها، ولكن الأمر يدور مع علته، وقد كانت علة تسوية القبور والمنع الأول من زيارتها هي مخافة الانتكاس والعودة إلى الشرك، وقد استقر الإيمان والتوحيد في قلوب الناس فلا بأس بعمل ما يذكر بالصالحين للقدوة والاعتبار والقيام بحق صاحب القبر من الزيارة وغيرها.

هذه هي وجهة النظر عندهم بصفة عامة، وقد مرت مئات السنين على هذه الأضرحة فما عُبِدَ منها ضريح من دون الله، ولا صلى مسلم لولي ركعة، والمثل العملي مضروب بقبر سيدنا رسول الله ﷺ، وقبور كبار الأئمة.

وما وراء القبور إلا الحياة البرزخية وهي ليست كحياتنا هذه بل هي حياة خاصة لا ثقة بهم وبالعالم الذي هم فيه، ولأن حياتنا أقل وأضيق وأضعف.

فالإنسان فيها بين عبادة وعادة وطاعة ومعصية وواجبات مختلفة لنفسه وأهله

---

٣ - سورة آل عمران الآية (١٧٠).

١ - أخرجه أبو داود (٣٢٠٦) وابن ماجه (١٥٦١).

ولربه وأنه تارة يكون على طهارة وتارة يكون على ضد ذلك، وتارة يكون في المسجد وتارة يكون في غفلة، وإنه لا يدري. بم يختم له؟؟! فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر فيصير من أهل النار وبالعكس، أما في البرزخ فإنه إن كان من أهل الإيمان فإنه قد جاوز قنطرة الامتحان التي لا يثبت عندها إلا أهل السعادة ثم إنه قد انقطع عنه التكليف، وأصبح روحاً مشرقة طاهرة مفكرة سياحة سباحة جوالة في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالى، لا همٌ ولا حزنٌ ولا بأسٌ ولا قلقٌ لأنه لا دينار ولا عقار ولا ذهب ولا فضة فلا حسد ولا بغي ولا حقد ولا غيره.

أدلة زيارة القبور من السنة الشريفة والآثار

١ – قال رسول الله ﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[١].

وفي رواية: (فزوروها فإنها تذكر الآخرة)[٢].

وفي رواية: (كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة)[٣].

وفي رواية: (وترق القلب وتدمع العين، فلا تقولوا هجراً)[٤].

وفي رواية: (فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت)[٥].

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)[٦].

وفي رواية أخرى: (زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله)[٧].

ولا يلزم من البكاء عند القبر عذابها وكفرها بل يمكن تحققه مع النجاة والإسلام، فبكاؤه ﷺ لمزيد شفقته على والديه وقيامه بحقوقهما حق القيام.

---

١ – أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٦/٧) والنسائي (٧٣/٤) والحاكم في المستدرك (١٣٨٦).
٢ – أخرجه الترمذي (١٥٩/٤).
٣ – أخرجه ابن ماجه (٥٠١/١) والحاكم (١٣٨٧).
٤ – أخرجه الحاكم من حديثه مع الزيادة (١٣٩٣).
٥ – أخرجه أبو داود (٣٢٣٥) والحاكم (١٣٨٨).
٦ – أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣٣) والحاكم (١٣٩١) وابن حبان في صحيحه (٣١٦٩).
٧ – أخرجه مسلم (٢٢٥٦) والحاكم في المستدرك (١٣٩٠).

٣- عن سيدنا ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: (**مامن أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**[1]).

٤- عن سيدنا أبي طلحة رضي ا لله عنه أنه صلى ا لله عليه وسلم قام على القليب قليب بدر وفيه قتلى المشركين فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يافلان بن فلان قال:[**إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً**]؟! فقال سيدنا عمر: يارسول ا لله ما تكلم من أجساد لاأرواح لها؟! فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم:[**والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم**[2]].

٥- ومنها أحاديث كيفية السلام على الأموات وذاك عند زيارتهم ومنها ماروته سيدتنا عائشة وجاء فيه وكيف أقول يا رسول ا لله؟ قال (**قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم ا لله المستقدمين منكم والمستأخرين وإنا إن شاء ا لله تعالى بكم للاحقون**)[3]

٦- ومنها حديث سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه أنه صلى ا لله عليه وسلم قال: [**ما من أحد يسلم علي إلا رد ا لله علي روحي حتى أرد السلام**[4]]

وهذا الحديث يتناول السلام عليه عند زيارته صلى ا لله عليه وسلم.

٧- ومنها حديث الصحابي الذي ضرب خباءه ليلاً على قبر فسمع من القبر قراءة ﴿**تبارك الذي بيده الملك**[5]﴾ **إلى آخرها، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقال: هي المانعة هي المنجية**[6].

---

١ - أورده الحافظ السيوطي في الحاوي (٢/١٧٠) وكذلك ابن تيمية في الفتاوى وقال: قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وصححه عبد الحق صاحب الأحكام الفتاوى (٢٤/٣٣١)، والحافظ عبد الحق إمام في العلل كما قال الذهبي في تذكرة الحفاظ.
٢ - أخرجه البخاري (٣٧٥٧)، ومسلم (٢٨٧٥)، والنسائي (٢٠٧٣).
٣ - أخرجه مسلم (٢٢٥٣) وأحمد (٦/٢٢١) والنسائي (٢٠٣٨) وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩٢) والبيهقي (٤/٧٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٩٧) وابن حبان (٣١٧٢).
٤ - أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، وأحمد (١٤/١١١-٣١٢)، الفتح الرباني.
٥ - سورة الملك الآية (١).
٦ - أخرجه الترمذي (٢٨٩٠) وحسنه السيوطي.

٨- ومنها ماورواه نافع أن ابن عمر كان يـزور قـبر النبي صلـى ا لله عليـه وسـلم ويقول: [السـلام عليـك يارسـول ا لله، السـلام عليـك يـا أبـا بكـر، السـلام عليـك يـا أبتاه[1]].

٩- ومنها حديث سيدنا أنس رضي ا لله عنه قال (مرّ النبي صلى ا لله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقـال: (**اتقـي ا لله واصـبري**) قـالت:إليـك عـني، فـإنك لم تصـب بمصيبتي و لم تعرفه فقيل لها: إنه النبي صلى ا لله عليه وسلم فأتتـه فلـم تجـد عنـده بوابـين فقالت: لم أعرفك فقال: **إنما الصبر عند الصدمة الأولى**[2].

١٠- ومنها قول سيدنا أبي بكر عند مايزور قـبر النـبي صلـى ا لله عليـه وسـلم: **بأبي أنت وأمي يانبي ا لله لايجمع ا لله عليك موتتين**[3].

١١- ومنها ماورواه البيهقي عن سيدنا أبي هريرة أنه صلى ا لله عليه وسلم وقـف على مصعب بن عمير حين رجع من أحد وعلى أصحابـه فقـال: (**أشـهد أنكـم أحيـاء عند ا لله فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسـي بيـده لايسـلمن عليهـم أحـد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة**).

١٢- ومنها ماورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق والبيهقي عن سعيد بن المسـيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع علي بن أبي طالب كرم ا لله وجهه فنادى: (**يا أهل القبـور السلام عليكم ورحمة ا لله .....الخ**).

١٣ - وأخرج ابن أبي الدنيا في كتابه (من عاش بعد الموت) عن العطاف بـن خالد، قال: حدثتني خـالتي، قـالت:ركبـت يومـاً إلى قبـور الشـهداء، وكـانت لا تـزال تأتيهم، قالت: فنزلت عند قبر حمزة رضي ا لله عنه فصليت عنـده، ومـا في الـوادي داعٍ ولا مجيب، فلما فرغت من صلاتي قلت: السلام عليكم فسمعت رد السلام عليَّ يخرج من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن ا لله خلقني، وكما أعرف الليل والنهار فاقشعرت كل شعرة مني).

---

١ - أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح (٦٧٢٤).
٢ - أخرجه البخاري (١٢٨٣) ومسلم (٩٢٦).
٣ - أخرجه البخاري (١٢٤١) والنسائي (١٨٤٠)، وأحمد (١/١١٧).

١٤ – وأخرج ابن أبي الدنيا أيضاً عن ابن ميناء قال: دخلت الجبانة، فصليت ركعتين خفيفتين، ثم اضطجعت إلى قبر، فوا لله إني لنبهان إذ سمعت قائلاً في القبر يقول: (قم فقد آذيتني، إنكم لتعملون ولكن لا تعلمون، ونحن نعلم ولا نعمل، فوا لله لأن أكون صليت مثل ركعتيك أحب إليّ من الدنيا وما فيها).

١٥– وأخرج الذهبي في تاريخه أن أحمد بن نصر الخزاعي أحد أئمة الحديث، دعاه الواثق إلى القول بخلق القرآن فأبى، فضرب عنقه، وصلب رأسه ببغداد، ووكّل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح، فذكر الموكل به أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلة بوجهه فيقرأ سورة يَس بلسان طلق. قال الذهبي: رويت هذه الحكاية من غير وجه، ومن طرقها عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال: كان أحمد بن نصر خالي، قد قتل في المحنة وصلب، وأخبرت أن الرأس يقرأ القرآن، فمضيت فبت قريباً منه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ: ﴿**الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناوهم لا يفتنون**﴾[١]. فاقشعر جلدي.

أقوال العلماء في زيارة القبور

✻ **درجة مشروعيتها:** أما درجة مشروعية زيارة القبور فهي الاستحباب والسنّيّة لورود الأمر بها:

١ـ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى:

وقد روى ابن قدامة في المغني أن الإمام أحمد سئل عن زيارة القبور وهل تركها أفضل أو زيارتها؟ فقال: زيارتها أفضل[٢].

٢ ـ الإمام النووي رحمه الله تعالى:

استحباب زيارة القبور للرجال: قال الإمام النووي: قوله ﷺ:

كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها[٣] هذا من الأحاديث التي تجمع

---

١ – سورة العنكبوت الآية (١-٢).
٢ – المغني (٢|٥٦٥).
٣ – أخرجه مسلم (٧|٤٦)، والنسائي (٤|٧٣).

الناسخ والمنسوخ وهو صريح في نسخ نهي الرجال عن زيارتها، وأجمعوا على أن زيارتها سنة لهم[1].

وقال **النووي أيضاً في المجموع**: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على أنه يستحب للرجال زيارة القبور، وهو قول العلماء كافة، ونقل العبدري فيه إجماع المسلمين ودليله مع الإجماع الأحاديث الصحيحة المشهورة[2]

حتى إن ابن حزم قال بوجوب زيارتها ولو مرة في العمر لورود الأمر بها كما نقل ذلك عنه الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري (١٤٨/٣).

٣ ـ الإمام الرواس رضي الله عنه:

قال الإمام الرواس رضي الله عنه: بويعت على زيارةالقبور والدعاء لأموات المسلمين، والدعاء عند مقابرهم، فإن الدعاء عند مقابر المسلمين مستجاب لأنها محل الرحمات[3].

٤ ـ وقال أبو عبد الله القوري رحمه الله تعالى:

إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم، ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الديار وهو يوم وفاتهم فزيارتهم فيه تهنئة لهم وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم[4].

٥ ـ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله:

وقال الدكتور محمد سعيد البوطي عن والده: اتجه والدي قاصداً إلى جبلة لزيارة إبراهيم بن أدهم رحمه الله وبعض الصالحين من الأحياء فيها، وذهب إلى الرقة متجشماً بعض الصعوبات لزيارة أويس القرني فيها، وكان ذلك في شهر شباط (١٩٧٢) وكان أبي يقول: كما تتنزل الرحمات عند ذكر الصالحين فإنها تتنزل في أماكن وجودهم

١ – صحيح مسلم بشرح النووي (٤٦/٧ و ٤٧).
٢ – المجموع للنووي (٢٨١/٥).
٣ – بوارق الحقائق ص (٣١٠).
٤ – قواعد التصوف القاعدة (١٥٤).

سواء كانوا في الأحياء أو الأموات. وزار القدس ومسجد الخليل وزار سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني والجنيد البغدادي والإمام أبا حنيفة وبعض من يمكن أن يراهم من الصالحين الأحياء.

وكان يحرصُ على زيارة قبر الإمام النووي رحمه الله في قرية نوى جنوب دمشق كلما أتيح له ذلك، وكان عمل أبي في زيارة هؤلاء الموتى يتلخص في السلام عليهم بأدب تام كما لو كانوا في الحياة، وربما تلى بعد ذلك شيئاً من القرآن ثم إنه يدعو ما شاء الله له أن يدعو لنفسه وللمسلمين.

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله أيضاً: في الناس اليوم من ينكر قراءة القرآن على الموتى، ويهون من أمر زيارتهم، وربما كان فيهم من ينكرها على الرغم من أمر الرسول ﷺ بها[1].

جواز زيارة النساء للقبور

تجوز الزيارة للنساء: وهذا قول أكثر العلماء وأدلتهم على ما ذهبوا إليه ما يأتي:

الدليل الأول: النساء دخلن في عموم الإذن بزيارة القبور المستفاد من قوله ﷺ:(كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها)[2].

وهذا الخطاب يتناول بعمومه النساء والرجال، لأن النساء قد نهين عن الزيارة فيتناولهن الإذن بالزيارة، وهذا إذا أمنت الفتنة في خروجهن لزيارة القبور[3].

الدليل الثاني: عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى)[4] ووجه الدلالة بهذا الحديث أنه ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر، وتقريره ﷺ حجة ودليل[5].

١ - كتاب هذا والدي ص (٨٨- ٩١).
٢ - تقدم تخريجه ص (٤٥٢).
٣ - صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٣/١٤٨).
٤ - أخرجه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦).
٥ - صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٣/١٤٨).

الدليل الثالث: وممن حمل الإذن بالزيارة للرجال وللنساء السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. فقد روي عن عبدا لله بن مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، فقال لها: (أليس قد نهى النبي ﷺ عن ذلك؟ قالت: نعم، كان قد نهى عنها ثم أمر بزيارتها)[1].

الدليل الرابع: ومما يؤيد جواز زيارة النساء للقبور الحديث المروي عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وجاء فيه قلت: (أي قالت عائشة): (كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم ومناو المستأخرين، وإنا إن شاء الله تعالى بكم للاحقون)[2].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: فيه استحباب هذا القول لزائر القبور وفيه دليل لمن جَوَّز للنساء زيارة القبور[3].

الدليل الخامس: إن تعليل الإذن بزيارة القبور بأنها تذكرة الآخرة هو مما يشترك في الحاجة إليه الرجال والنساء، فالمرأة المسلمة تحتاج كما يحتاج الرجل المسلم إلى ما يذكرها بالآخرة ويزهدها في الدنيا، فليس الرجال بأحوج من النساء فيما يذكر بالآخرة ويزهد بالدنيا[4].

الدليل السادس: وأما حديث: لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور فقد قال الترمذي بعد أن رواه في جامعه قال: (وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور، فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء)[5].

قال ابن عبد البر: يمكن أن يكون هذا - أي لعن زائرات القبور - قبل الإباحة بزيارتها[6]، أو أن الأحاديث الدالة على تحريم زيارة النساء للقبور محمولة على زيارتهن

---

١ - صحيح البخاري بشرح العسقلاني (٣/١٤٩) والأثر أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣٩٢) وقال الذهبي في التلخيص حديث صحيح.
٢ - أخرجه مسلم (٢٢٥٣) وأحمد (٦/٢٢١) والنسائي (٢٠٣٨) وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩٢) والبيهقي (٤/٧٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٩٧) وابن حبان (٣١٧٢).
٣ - صحيح مسلم بشرح النووي (٧/٤١ - ٤٢)
٤ - عون المعبود في شرح سنن أبي داود (٩/٥٩).
٥ - جامع الترمذي (٤/١٦٠).
٦ - عمدة القاري بشرح صحيح البخاري للعيني (٨/٦٩).

المقترنة بمحرّم كالنوح وغيره[1].

الدليل السابع: أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده[2]

حكم الذكر خلف الجنائز

جرت عادة الماشين خلف الجنازة أنهم يشتغلون باللغو، وبأحوال الدنيا فينبغي أن لا ينكر على المؤذن الذي يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا ينبغي لفقيه أن ينكر ذلك إلا بنص أو إجماع، فإن للمسلمين الإذن العام من الشارع بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله كل وقت شاؤوا، يا لله!! العجب ممن ينكر مثل هذا، وهو يرى المنكرات علناً ولا ينكر عليها، وينكر شيئاً سنه المسلمون على جهة القربة إلى الله ورأوه حسناً. فكيف ينكر ذلك؟ وقد فتح رسول الله ﷺ هذا الباب لعلماء أمته، وأباح لهم أن يسنوا ما استحسنوه، ويلحقوه بالشريعة بقوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)[3] ولا إله إلا الله محمد رسول الله من أكبر الحسنات، ولو كان ذكر الله تعالى في الجنازة منهياً عنه بلغنا ولو في حديث، كما بلغنا في قراءة القرآن في الركوع، وشيء سكت عنه الشارع في أوائل الإسلام لا يمنع منه في آخر الزمن، وبالجملة فلا يجوز لأحد أن يمنع الناس من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلا أن يجد في ذلك حديثاً يمنع ذلك. ا.هـ باختصار من شرح الطريقة المحمدية لسيدي عبد الغني النابلسي قدس الله تعالى سره ورحمه[4].

ما يقول زائر القبور

عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: (إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول

---

١ – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٤/١٦١).

٢ – أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣٩٦) ورواته عن آخرهم ثقات.

٣ – أخرجه مسلم (٢٣٤٨)، والنسائي (٢٥٥٣) وأحمد (٤/٣٥٧) مختصرا والترمذي (٢٦٧٥) وابن ماجه (٢٠٣).

٤ – إسعاف المسلمين والمسلمات بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات للعلامة محمد العربي المغربي المكي. طبعة ثالثة بإشراف الأستاذ محمد سعيد البرهاني ص (٦٠ و ٦١).

ا لله؟! قال: (قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم ا لله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء ا لله بكم للاحقون)[1] وفي رواية: (السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء ا لله بكم للاحقون، أسأل ا لله لنا ولكم العافية)[2].

وعن الحسن البصري رضي ا لله عنه قال: (من دخل المقابر فقال: اللهم رب الأجساد البالية، والعظام النخرة، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليها روحاً منك، وسلاماً مني). استغفر له كل مؤمن مات منذ خلق ا لله آدم فالسلام على الأموات مشروع عند زيارتهم، وكذا الدعاء لهم بالعافية، وباستحباب ذلك قال جمهور العلماء.

وقال النووي رحمه ا لله: ويستحب للزائر أن يسلم على المقابر، ويدعو لمن يزوره ولجميع أهل المقبرة، والأفضل أن يكون الدعاء والسلام بما ثبت في الحديث ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسّر، ويدعو له عقيبها، نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب، والزائر بالخيار إن شاء زار قائماً، وإن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه حال الحياة، ورُوي القيام عند القبر عن عدد من الصحابة، كأبي أمامة، والحكم بن الحارث، وابن عمر، وأنس رضي ا لله عنهم، وعن جماعةمن السلف.

سماع أهل القبور

قد تطرقنا لهذا الموضوع باستفاضة في باب التوسل بالأموات ونذكر هنا بعض الأدلة مما يليق بالمقام اختصاراً.

عن أبي طلحة وعمر وابنه عبد ا لله أن النبي ﷺ أمر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فألقوا في طوى من أطواء بدر فناداهم رسول ا لله ﷺ وسمّاهم:(يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا فلان بن فلان! أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً!!)

---

١ - أخرجه مسلم (٢٢٥٣) ، والنسائي (٢٠٣٦) وأحمد (٦/٢٢١)، وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩٢) والبيهقي (٤/٧٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٩٧) وأحمد (٦/١٨٠) وابن حبان (٣١٧٢).

٢ -أخرجه مسلم (٢٢٥٤) والنسائي (٢٠٣٩) وفي عمل اليوم والليلة (١٠٩١) وابن ماجه (١٥٤٧) وأحمد (٥/٣٥٣) وابن أبي شيبة (٣/٣٤٠) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٩٤) والبيهقي (٤/٧٩) والبغوي (١٥٥٥) وابن حبان (٣١٧٣).

فقال عمر:يار سول ا لله! ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها، فقال عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون)[1].

وعن سيدنا أنس رضي ا لله عنه عن النبي ﷺ قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه)[2].

وذكر الحديث في سؤال القبر، وسماع الميت خفق النعال وارد في عدة أحاديث منها الأحاديث الواردة في سؤال القبور وهي كثيرة منتشرة،وفيها التصريح بسؤال الملكين له وجوابه بما يطابق حاله من سعادة أو شقاء، ومنها ما شرعه النبي ﷺ لأمته من السلام على أهل القبور ومخاطبتهم بلفظ: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين).

قال ابن القيم رحمه ا لله في كتابه (الروح): وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة المعدوم والجماد، والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به....) ثم ذكر رحمه ا لله تعالى جملة من الآثار عنهم.

وعن زيد بن أسلم قال: مرّ أبو هريرة وصاحب له على قبر، فقال أبو هريرة: (سلّم) فقال الرجل: أسلم على القبر؟ فقال أبو هريرة: (إن كان رآك في الدنيا يوماً قط إنه ليعرفك الآن)[3].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه عن النبي ﷺ: (إن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين)[4].

وقد تطرقنا أيضاً لبعض الأدلة فيما يثبت سماعهم للزائر في بداية هذا الباب عند الكلام عن الأدلة على زيارة القبور من السنة الشريفة والآثار.

---

١ – أخرجه مسلم (٧١٥١)، والنسائي (٢٠٧٣).
٢ – أخرجه البخاري (٣٩٧٩) ومسلم (٢١٥١) والنسائي (٢٠٧٥ وأحمد (٢/٣٨).
٣ – أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/٥٧٧).
٤ – أخرجه ابن حبان(٣١٧٠) وصححه وتقدم نحوه.

إيذاء أهل القبور

لا تؤذ الميت لئلا يؤذيك: رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد اتكأ على قبر فقال له: (لا تؤذ صاحب القبر)[1].

وعن ابن عمر بن حزم بلفظ: رآني رسول الله ﷺ على قبرٍ فقال: (انزل عن القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك)[2].

صفاء الأرواح بزيارة قبور الصالحين

قال الإمام فخر الدين الرازي في المطالب في الفصل الثالث عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى: إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر ووقف هناك ساعة حصل تأثير في نفسه من تعلقه بزيارة تلك التربة، ولا يخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً، فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة، فصارت هاتان النفسان شبيهتين صقيلتين متقابلتين بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما إلى الأخرى، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت، وكل ما حصل في ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة ينعكس منه نُور إلى روح هذا الحي الزائر، وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر، فهذا هو السبب والأصل في مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل منها أسرار أخرى أدق وأخفى مما ذكرنا، وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى.

فتوى ابن تيمية في موضوع السلام على أهل القبور

وسئل الشيخ عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم؟ وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره؟ فأجاب:

(الحمد لله، نعم جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على

---

١ - ذكره ابن تيمية في المنتقى (٢/١٠٤) وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح (٣/١٧٨) وقال: إسناده صحيح.
٢ - أخرجه الطحاوي في معاني الآثار (١/٢٩٦)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٦١).

الأموات، كماروى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال: (إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها الرحماء من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعضهم: انظروا أخاكم يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه ويسألونه مافعل فلان وما فعلت فلانة هل تزوجت)..الحديث.

وأما علم الميت بالحي إذا زاره وسلم عليه ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)[1].

قال ابن المبارك: ثبت ذلك عن النبي ﷺ وصححه عبد الحق صاحب الأحكام[2].

وجاء في موضع آخر أيضاً سئل الشيخ ابن تيمية: هل الميت يسمع كلام زائره ويرى شخصه وهل تعاد روحه إلى جسده في ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله؟ **فأجاب:**

(الحمد لله رب العالمين، نعم! يسمع الميت في الجملة كما ثبت عن النبي الله صلى الله عيله وسلم أنه قال: (يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه)[3]... ثم ساق أحاديث متعددة في هذا المعنى، ثم قال: فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع في الجملة كلام الحي ولايجب أن يكون السمع له دائماً، بل قد يسمع في حال دون حال، كما قد يعرض للحي فإنه قد يسمع أحياناً خطاب من يخاطبه، وقد لايسمع لعارض قد يعرض للحي فهذا السمع سمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء ولاهو السمع المنفي بقوله: **﴿إنك لا تسمع الموتى﴾**[4] فإن المراد بذلك سمع القبول والامتثال، فإن الله جعل الكافر كالميت الذي لايستجيب لمن دعاه وكالبهائم التي تسمع الصوت ولاتفقه المعنى، فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى فإنه لايمكنه إجابة الداعي ولاامتثال ما أمر به ونهى عنه فلا ينتفع بالأمر والنهي، كذلك الكافر لاينتفع بالأمر والنهي وإن سمع الخطاب

---

١ - تقدم تخريجه ص (٣١٦).
٢ - مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (٢٤/٣٣١).
٣ - تقدم تخريجه ص (٣٢٤).
٤ - سورة النمل الآية (٨٠).

وفهم المعنى كما قال تعالى: ﴿**ولو علم ا لله فيهم خيراً لأسمعهم**﴾[1]، وأما رؤية الميت فقد روي في ذلك آثار عن عائشة رضي ا لله عنها وغيرها.

أما قول القائل: هل تعاد روحه إلى بدنه ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره في ذلك الوقت وغيره؟ فإن روحه تعاد إلى البدن في ذلك الوقت كما جاء في الحديث وتعاد أيضاً في غير ذلك ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء ا لله وذلك في اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم، وهذا جاء في عدة آثار أن الأرواح تكون في أفنية القبور، قال مجاهد: الأرواح تكون في أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لاتفارقه، فهذا يكون أحياناً، وقال مالك بن أنس: بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت وا لله أعلم.

وقال الشيخ ابن تيمية في موضع أخر: أما ما أخبر ا لله من حياة الشهيد ورزقه ما جاء في الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة فذهبت طوائف إلى أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم، والصحيح الذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصاً بالشهيد كما دلّت على ذلك النصوص الثابتة، ويختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك ليزول المانع من الإقدام على الجهاد والشهادة كما نهى عن قتل الأولاد خشية الإملاق لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لايجوز مع عدم خشية الإملاق[2].

قصد القبور للدعاء

ومن الأدلة على قصد القبور للدعاء قصة سيدتنا عائشة عندما شكوا إليها القحط فقالت: (انظروا قبر النبي صلى ا لله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف قال ففعلوا فمطروا مطراً حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق[3] وفي رواية أنهم قحطوا فجاء رجل إلى قبر النبي صلى ا لله عليه وسلم وقال يا محمد استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا[4]...

---

١ – سورة الأنفال الآية (٢٣).
٢ – مجموع فتاوي الشيخ ابن تيمية (٢٤|٣٦٢|٣٣٢).
٣ – أخرجه الدارمي في سننه برقم (٩٢).
٤ – أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢|٣١-٣٢) والبخاري في تاريخه (٧|٣٠٤) والحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد ص (٦٣) والبيهقي في دلائل النبوة (٧|٤٧) وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢|٤٩٥): إسناده صحيح وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٧|١٠٥) وفي التفسير (١|٩١): إسناده صحيح.

وورد أن فاطمة بنت النبي صلى ا الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده[1].

وذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي يقول ابن عساكر: ودفن بنيسابور وقبره يزار وتجاب الدعوة عنده.

وروى الخطيب في تاريخه عن علي بن ميمون رضي ا الله عنه أنه قال: سمعت الشافعي رضي ا الله عنه يقول: (إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم يعني زائراً فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت ا الله تعالى الحاجة عنده فما يبعد عنه حتى تقضى).

وروى أيضاً عن أحمد بن جعفر القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال وهو شيخ الحنابلة في وقته يقول (ماهمني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر يعني الكاظم وتوسلت به إلا سهل لي ما أحب.

وقال إبراهيم الحربي: قبر معروف ترياق مجرب ذكره الحافظ البغدادي في تاريخ بغداد وذكر الحافظ المحدث شيخ القراء شمس الدين بن الجزري في كتابه الحصن الحصين أن من مواضع إجابة الدعاء قبور الصالحين[2].

وقال الشافعي رحمه ا الله تعالى: (قبر موسى الكاظم الترياق المجرب)[3].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: (خرج في عضدي شيء يشبه الدمّل وكان يبرأ ثم يعود، ودام بذلك زماناً طويلاً فسافرت إلى أصبهان وعدت إلى بغدادوهو بهذه الصفة فمضيت إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي ا الله عنه وأرضاه ومسحت به القبر فبرأ و لم يعد[4].

---

١ – أخرجه الحاكم في المستدرك (١٣٩٦) ورواته عن آخرهم ثقات.

٢ – المقالات السنية ص (١٣٣).

٣ – قواعد التصوف القاعدة: (١٥٤).

٤ – ذكرها الحافظ ضياء الدين المقدسي المتوفى سنة (٦٤٣) في كتابه (الحكايات المنثورة) بخطه برقم (٣٨٣٤) الورقة (١١٢) الوجه (أ) السطر (١٠).

عذاب القبر

عن سيدنا أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلو لا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه) ثم أقبل علينا بوجهه فقال: (تعوذوا بالله من عذاب النار) قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار فقال: (تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال: (تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن) قالوا: نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن. قال: (تعوذوا بالله من فتنة الدجال) قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[1].

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم

قال العلامة زين الدين بن حسين المراغي: ينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارة قبر النبي ﷺ قربة للأحاديث الواردة ولقوله تعالى: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**[2].

الدليل من السنة الشريفة

واعلم أن زيارة قبره الشريف ﷺ من أعظم القربات وأرجى الطاعات والسبيل إلى أعلى الدرجات، ومن اعتقد غير هذا فقد خالف الله ورسوله وجماعة العلماء الأعلام.

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى: زيارة قبر النبي ﷺ سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها. فمن السنة المؤكدة قصد المدينة المنورة مهاجر الحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ لمشاهدة الروضة المطهرة من رياض الجنة: قال النبي ﷺ: (مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي)[3].

وقال رسول الله ﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[4].

---

١ - أخرجه مسلم في صحيحه (٧١٤٢).
٢ - سورة النساء الآية (٦٤) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية (٥٩٦).
٣ - أخرجه البخاري (١١٩٦) ومسلم (٣٣٥٧).
٤ - أخرجه الدارقطني (٢/٢٧٨)، والبزار (١١٩٨)، والطبراني في الكبير (٣١٤٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٤١).

وقال رسول ا لله ﷺ: (من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة)[1].

وروي: (من حج البيت و لم يزرني فقد جفاني).

وفي حديث ابن عدي والخطيب: (من وجد سعة و لم يفد إليّ فقد جفاني).

وإن هذه الزيارة للسيد الأعظم ﷺ بعد مماته كزيارته في حياته، فقد ورد عنه ﷺ: (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي)[2].[3]

وقال النبي ﷺ: ليسلكن عيسى بن مريم حاجاً أو معتمراً أو بنيتهما وليأتين قبري حتى يسلم علي ولأردن عليه)[4].

وقال النبي ﷺ: (من جاءني زائراً لاتُعلمه حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة)[5].

وقال رسول ا لله ﷺ: (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة)[6].

وروي أن سيدنا عمر رضي ا لله عنه خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول ا لله ﷺ يبكي فقال: مايبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول ا لله ﷺ قال: (اليسير من الرياء شرك، وإن من عادى ولي ا لله فقد بارز ا لله تعالى بالمحاربة، وإن ا لله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، و لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة)[7].

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن رسول ا لله ﷺ: (من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كُتبت له حجتان مبرورتان).

---

١ – أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٨٧١٦) ورمز لحسنه.

٢ – أخرجه الدارقطني (٢/٢٧٨) والطبراني في الكبير (١٣٤٩٧) والأوسط (٣٤٠٠) وذكره الهيثمي في المجمع (٥٨٤٣).

٣ – زيارة الرسول ﷺ وأثر محبته في رقي النفس المؤمنة ص (١٢).

٤ – أخرجه الحاكم (٤١٦٢) وصححه ووافقه الذهبي.

٥ – أخرجه الطبراني في الكبير (١٣١٤٩) والأوسط (٤٥٤٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٤٢).

٦ – أخرجه الدار قطني (٢/٢٧٨).

٧ – أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٧٩٣٣).

آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وكيفيتها

كلام الإمام الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة (٥٦١)هـ:
قال رضي الله عنه في كتابه (الغنية) بعد الكلام على الحج والعمرة: فإذا مَنَّ الله تعالى بالعافية وقدم المدينة، فالمستحب له أن يأتي مسجد النبي ﷺ فليقل عند دخول المسجد: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وافتح لي أبواب رحمتك، وكف عني أبواب عذابك، الحمد لله رب العالمين، ثم يأتي القبر وليكن بحذائه بينه وبين القبلة، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنبر عن يساره، وليقم مما يلي المنبر، وليقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمقام المحمود الذي وعدته، اللهم صلِّ على روح محمد في الأرواح وصلِّ على جسده في الأجساد، كما بلغ رسالتك، وتلا آياتك، وصدع بأمرك، وجاهد في سبيلك، وأمر بطاعتك ونهى عن معصيتك وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين، اللهم أنت قلت في كتابك لنبيك ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾[1]، وإني أتيت نبيك تائباً من ذنوبي مستغفراً، فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته فأقر عنده بذنوبه فدعاله نبيه فغفرت له، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبي الرحمة، يارسول الله إني أتوجه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك بحقه أن تغفر لي وترحمني، اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين، اللهم كما آمنّا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبداً غير خزايا ولاناكثين ولامارقين ولاجاحدين ولامرتابين ولامغضوباً عليهم ولاضالين، واجعلنا من أهل شفاعته، ثم يتقدم عن يمينه ثم ليقل: السلام عليكما ياصاحبا رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك ياعمر الفاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيراً، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك

---

١ - سورة النساء الآية (٦٤).

رؤوف رحيم، ثم يصلي ركعتين ويجلس ويستحب أن يصلي بين القبر والمنبر في الروضة، وإن أحب أن يتمسح بالمنبر تبركاً به والصلاة بمسجد قباء وأن يأتي قبور الشهداء والزيارة لهم فعل ذلك، وأكثر الدعاء هنالك، ثم إذا أراد الخروج من المدينة أتى مسجد النبي ﷺ وتقدم إلى القبر وسلم على رسول الله ﷺ وفعل كما فعل أولاً وودعه وسلم على صاحبيه كذلك ثم قال: اللهم لاتجعله آخر العهد مني بزيارة قبر نبيك، وإذا توفيتني فتوفني على محبته وسنته آمين يا أرحم الراحمين، انتهت الغنية.

وهو وإن لم يصرح فيها بالسفر بقصد الزيارة فهي مفيدة لذلك بذكر الاستغاثة به وسؤال الله تعالى بحقه والاعتناء بزيارته أولاً ثم العود إلى زيارته مرة أخرى ووداعه والدعاء عنده بحاجاته، وقوله: اللهم لاتجعله آخر العهد من زيارة قبر نبيك. كل ذلك يفيد أنه رضي الله عنه يرى أن السفر لزيارته ﷺ من أحسن الطاعات وأقرب القربات كما هو الواقع، وكون هذا هو بلا شك مذهب هذا الغوث الأعظم وعقيدته السُّنية السَّنية من الأمور البديهية، لأنه من أكبر أئمة أهل السُّنة من الفقهاء والمحدثين والصوفية، وقد صرح أيضاً بطلب الدعاء عند زيارة قبور الشهداء[1].

قال الإمام النووي الشافعي المتوفى سنة (٦٧٦) هـ في إيضاح المناسك: قال رحمه الله تعالى: الباب السادس في زيارة قبر سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وشرف وكرم وعظم وما يتعلق بذلك:

اعلم أن لمدينة رسول الله ﷺ أسماء خمسة: المدينة وطابة وطيبة والدار ويثرب، وذكر سبب تسميتها بهذه الأسماء ثم قال: في الباب مسائل:

الأولى: إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي، وقد روى البزار والدارقطني بإسنادهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[2].

الثانية: يستحب للزائر أن ينوي مع زيارته ﷺ التقرب إلى الله تعالى بالسفر إلى مسجده ﷺ والصلاة فيه.

---

١ - شواهد الحق للنبهاني (٩٣)ومابعدها.
٢ - تقدم تخريجه ص (٣٢٩).

الثالثة: يستحب أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه ﷺ في طريقه فإذا وقع بصره على أشجار المدينة وحرمها وما يعرف بها زاد من الصلاة والتسليم عليه ﷺ ويسأل الله تعالى أن ينفعه بزيارته وأن يتقبلها منه.

الرابعة: يستحب أن يغتسل قبل دخوله ويلبس أنظف ثيابه.

الخامسة: يستحضر في قلبه حينئذ شرف المدينة، وأنها أفضل الدنيا بعد مكة عند بعض العلماء، وعند بعضهم أفضلها على الإطلاق، وأن الذي شرفت به ﷺ خير الخلائق أجمعين، وليكن من أول قدومه إلى أن يرجع مستشعراً لتعظيمه ممتلئ القلب من هيبته كأنه يراه ﷺ.

السادسة: إذا وصل إلى باب مسجده ﷺ فليقل ما قدمناه في دخول المسجد الحرام، وهو أعوذ با لله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، بسم الله والحمد لله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج قال هذا إلا أنه يقول: وافتح لي أبواب فضلك، ويقدم رجله اليمنى في الدخول واليسرى في الخروج، وكذا يفعل في جميع المساجد ويدخل فيقصد الروضة الكريمة، وهي ما بين المنبر والقبر، فيصلي تحية المسجد بجنب المنبر، وفي (إحياء علوم الدين) أنه يجعل عمود المنبر على حذاء منكبه الأيمن، واستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله ﷺ، وقد وسع المسجد بعده ﷺ، وفي كتاب المدينة أن ما بين المنبر ومقام النبي ﷺ الذي كان يصلي فيه حتى توفي أربع عشرة ذراعاً وشبراً، وأن ما بين المنبر والقبر ثلاثاً وخمسون ذراعاً وشبراً.

السابعة: إذا صلى التحية في الروضة أو غيرها من المسجد شكر الله تعالى على هذه النعمة ويسأله إتمام ما قصده وقبول زيارته، ثم يأتي القبر الكريم فيستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر، ويبعد من رأس القبر نحو أربعة أذرع. وفي (إحياء علوم الدين) يستقبل جدار القبر على نحو أربعة أذرع من السارية التي عند رأس القبر في زاوية جداره ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه، ويقف ناظراً إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر غاض الطرف في مقام الهيبة والإجلال، فارغ القلب من علائق الدنيا

مستحضراً في قلبه جلال موقفه، ومنزلة من هو بحضرته ﷺ، ولايرفع صوته، بل يقتصد فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يانبي الله، السلام عليك ياخيرة الله، السلام عليك ياخير خلق الله، السلام عليك ياحبيب الله، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا بشير، السلام عليك ياطاهر، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا نبي الأمة، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين، السلام عليك ياخير الخلائق أجمعين، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وذريتك وأصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء وجميع عباد الله الصالحين، جزاك الله يارسول الله عنا أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك ذاكر وغفل عن ذكرك غافل أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين، أشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، اللهم وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته وآته نهاية ماينبغي أن يسأله السائلون، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ومن عجز عن حفظ هذا وضاق وقته عنه اقتصر على بعضه، وأقله: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم. وجاء عن ابن عمر من السلف رضي الله عنهم الاقتصار جداً، فكان ابن عمر يقول: (السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه) وعن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. ثم إن كان قد أوصاه أحد بالسلام على رسول الله ﷺ فليقل: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يارسول الله أو نحو هذا من العبارات، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه، لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ فيقول: السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله وثانيه في الغار، جزاك الله عن أمة نبيه ﷺ خيراً، ثم يتأخر إلى صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضي الله عنه، فيقول: السلام عليك

يا عمر أعز الله بك الإسلام جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله ﷺ ويتوسل به في حق نفسه، ويتشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن حُسْنِ ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يارسول الله سمعت الله يقول: **﴿ولوأنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**[1] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه	**فطاب من طيبهن القاع والأكم**
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	**فيه العفاف وفيه الجود والكرم**
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته	**على الصراط إذا مازلت القدم**
وصاحباك فلا أنساهما أبداً	**مني السلام عليكم ما جرى القلم**

قال: ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيناي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي وبشره بأن الله تعالى قد غفر له[2].

ثم يتقدم إلى رأس القبر فيقف بين القبر والاسطوانة التي هناك ويستقبل القبلة ويحمد الله تعالى ويمجده ويدعو لنفسه بما أهمه وما أحبه ولوالديه ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين، ثم يأتي الروضة فيكثر فيها من الدعاء والصلاة، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي)[3] ويقف عند المنبر ويدعو.

الثامنة: لايجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ.

التاسعة: ينبغي له مدة إقامته بالمدينة أن ينوي الاعتكاف فيه كما قدمناه في المسجد الحرام.

العاشرة: يستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع خصوصاً يوم الجمعة ويكون

---

١ - سورة النساء الآية (٦٤).

٢ - ذكرها ابن كثير في تفسيره (ج١ص٦٤٣) والقرطبي (ج٥ص٢٦٥) والإمام النووي في الإيضاح الباب السادس (ص٤٩٨) وابن قدامه في المغني (ج٣/٥٥٦) وغيرهم.

٣ - تقدم تخريجه ص (٣٢٩).

ذلك بعد السلام على رسول الله ﷺ، فإذا انتهى إليه قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ونحن إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد اللهم اغفر لنا ولهم، ويزور القبور الظاهرة فيه كقبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ وعثمان والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن جعفر، وجعفر بن محمد وغيرهم، ويختم بقبر صفية رضي الله عنها عمة رسول الله ﷺ وقد ثبت في الصحيحين فضل قبور البقيع وزيارتها في أحاديث كثيرة.

الحادية عشر: يستحب أن يزور قبور الشهداء بأحد وأفضله يوم الخميس وابتداؤه بحمزة عم رسول الله ﷺ ويبكر بعد صلاة الصبح بمسجد رسول الله ﷺ حتى يعود ويدرك جماعة الظهر فيه.

الثانية عشر: يستحب استحباباً متأكداً أن يأتي مسجد قباء وهو في يوم السبت أولى، ناوياً التقرب بزيارته، والصلاة فيه، للحديث الصحيح في كتاب الترمذي وغيره عن أسيد بن ظهير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة في مسجد قباء كعمرة)[1] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين)[2]، وفي رواية صحيحة (كان يأتيه كل سبت) ويستحب أن يأتي بئر أريس التي روي أن النبي ﷺ تفل فيها وهي عند مسجد قباء فيشرب من مائها.

الثالثة عشر: يستحب أن يأتي سائر المشاهد بالمدينة وهي نحو ثلاثين موضعاً يعرفها أهل المدينة فليقصد ما قدر عليه منها وكذا يأتي الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل فيشرب ويتوضأ، وهي سبع آبار.

الثالثة عشر: ينبغي له أن يلاحظ بقلبه في مدة مقامه بالمدينة جلالتها وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لهجرة نبيه ﷺ واستيطانه ومدفنه وليستحضر تردده ﷺ فيها ومشيه في بقاعها.

الرابعة عشر: يستحب المجاورة بالمدينة بالشرط المتقدم بالمجاورة بمكة، وهو قوله المختار: إن المجاورة بها مستحبة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المحذورة.

---

١ – أخرجه ابن ماجه (١٤١١).

٢ – أخرجه البخاري (١١٣٤-١١٣٥-١١٣٦) ومسلم (١٣٩٩).

عن ابن عمر وأبي هريرة رضي ا لله عنهم عن النبي ﷺ قال: (من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة)[1].

الخامسة عشر: يستحب أن يصوم بالمدينة ما أمكنه وأن يتصدق بما أمكنه على جيران رسول ا لله ﷺ، فإن ذلك من جملة بره ﷺ.

السادسة عشر: ليس له أن يستصحب شيئاً من الأكر المعمولة من تراب حرم المدينة ولا الأباريق ولا الكيزان ولاغير ذلك من ترابه وأحجاره كما سبق في حرم مكة.

السابعة عشر: يحرم صيد حرم المدينة وقطع أشجاره على الحلال والمحرم كما سبق في حرم مكة، وحد حرم المدينة ما بين عير إلىأحد، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: (لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ماذعرتها)[2].

وقال رسول ا لله ﷺ: (مابين لابتيها حرام)[3]. وكذا رواه جماعة من الصحابة في الصحيح، واللابتان الحرتان، والحرة في الأرض ذات الحجارة السود، والمدينة واقعة بين حرتين.

الثامنة عشر: إذا أراد السفر من المدينة والرجوع إلى وطنه أو غيره استحب أن يودع المسجد بركعتين، ويدعو بما أحب، ويأتي القبر ويعيد نحو السلام والدعاء المذكور في ابتداء الزيارة، ويقول: اللهم لاتجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك، ويسر لي إلى الحرمين سبيلاً سهلة، وارزقني العفو والعافية في الدنيا الآخرة، وردنا سالمين غانمين، وينصرف تلقاء وجهه.

التاسعة عشر: في أشياء مهمة تتعلق بمسجد رسول ا لله ﷺ ومما ذكره: منها أن خارجة بن زيد قال: بنى رسول ا لله ﷺ سبعين ذراعاً وذكر الزيادات ثم قال: فإذا عرفت حال المسجد فينبغي أن تعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في عهد رسول ا لله ﷺ، فإن الحديث الصحيح: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف فيما سواه إلا

---

١ - أخرجه مسلم (١٣٧٧) والترمذي (٣٩١٨).

٢ - أخرجه مسلم (١٣٧٢) وابن حبان (٣٧٥١) والترمذي (٣٩٢١).

٣ - أخرجه مسلم (١٣٦١) والترمذي (٣٩٢١) وابن حبان (٣٧٥١).

المسجد الحرام)[1] إنما يتناول ما كان في زمنه ﷺ لكن إذا صلى جماعة فالتقدم إلى الصف الأول ثم ما يليه أفضل فليتفطن.

انتهى كلام الإمام النووي باختصار قليل لفوائد تاريخية ولغوية ونحوها مما يلي لم أرَ ذكره لازماً، وذكر أن زيارة الخليل عليه السلام قربة مستقلة لاتَعَلُّقَ لها بالحج ولابزيارة النبي [2] وبحذف بعض المسائل أيضاً.

الإمام كمال الدين بن الهمام الحنفي المتوفى سنة (٨٦١)هـ:

قال رحمه الله تعالى في فتح القدير في آخر الكلام على الحج: المقصود الثالث في زيارة قبر النبي ﷺ: قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات وفي مناسك الفارسي وشرح المختار أنها قريبة من الوجوب لمن له سعة.

وقال عليه الصلاة والسلام: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[3] وعنه أيضاً عليه الصلاة والسلام: (من جاءني زائراً لاتحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة)[4] وقال ﷺ أيضاً: (من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي)[5] هذا والحج إن كان فرضاً، فالأحسن أن يبدأ به يثني بالزيارة وإن كان تطوعاً كان بالخيار، فإذا نوى زيارة القبر فلينو معه زيارة المسجد، أي مسجد رسول الله ﷺ، فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وفي الحديث: (لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى)[6]. وإذا توجه إلى الزيارة يكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ مدة الطريق والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبر النبي ﷺ ثم إذا حصلت له أن قدم ينوي زيارة المسجد أو يستمنح فضل الله سبحانه في مرة أخرى ينويهما فيها لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله، ويوافق ظاهر ما ذكرناه من قوله عليه الصلاة والسلام: (لاتعمله

١ – أخرجه البخاري (١١٣٣) ومسلم (١٣٩٤) والنسائي (٦٩٣).
٢ – شواهد الحق ص (٩٣ وما بعدها).
٣ – تقدم تخريجه ص (٣٢٩).
٤ – أخرجه الطبراني في الكبير (١٣١٤٩)،والأوسط (٤٥٤٣) والهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٤٢).
٥ – تقدم تخريجه ص (٣٣٠).
٦ – أخرجه البخاري (١٧٦٥) ومسلم (١٣٣٨) والنسائي (٦٩٩).

حاجة إلا زيارتي) وإذا وصل إلى المدينة اغتسل بظاهرها قبل أن يدخلها أو توضأ والغسل أفضل، ولبس نظيف ثيابه والجديد أفضل وما يفعله بعض الناس من النزول بالقرب من المدينة والمشي على أقدامه إلى أن يدخلها حسن، وكل ماكان أدخل في الأدب والإجلال كان حسناً، وإذا دخلها قال: بسم ا لله ﴿**رب أدخلني مدخل صدق**﴾ الآية[1]. اللهم افتح لي أبواب رحمتك وارزقني من زيارة رسولك ﷺ مارزقت أولياءك وأهل طاعتك واغفر لي وارحمني يا خير مسؤول، وليكن متواضعاً متخاشعاً معظماً لحرمتها لايفتر عن الصلاة على النبي ﷺ مستحضراً أنها بلدته التي اختارها ا لله تعالى داراً لهجرة نبيه ومهبطاً للوحي والقرآن ومنبعاً للإيمان والأحكام الشرعية. قالت عائشة رضي ا لله عنها: (كل البلاد فتحت بالسيف إلا المدينة فإنها افتتحت بالقرآن العظيم).

وليحضر قلبه أنه ربما صادف موضع قدمه صلى ا لله عليه وسلم، لهذا كان مالك رحمه ا لله ورضي عنه لايركب في طرق المدينة وكان يقول: أستحي من ا لله أن أطأ تربة فيها رسول ا لله ﷺ بحافر دابة. وإذا دخل المسجد فعل ما هوالسنة في دخول المساجد من تقديم اليمين ويقول: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ويدخل من باب جبريل أوغيره ويقصد الروضة الشريفة فيصلي تحية المسجد مستقبلاً السارية التي تحتها الصندوق بحيث يكون عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن إن أمكنه، فذلك موقف رسول ا لله ﷺ فيما قيل قبل أن يغيّر المسجد، وفي بعض المناسك يصلي تحية المسجد في مقامه عليه الصلاة والسلام. وقال الكرماني وصاحب الاختيار: ويسجد لله تعالى شكراً على هذه النعمة ويسأله تمامها والقبول، وقيل ذرع ما بين المنبر وموقفه عليه الصلاة والسلام الذي كان يصلي فيه أربعة عشر ذراعاً وشبر، ومابين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعاً وشبر، ثم يأتي القبر الشريف فيستقبل جداره ويستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من السارية التي عند رأس القبر في زاوية جداره، عن أبي الليث أنه يقف مستقبلاً مردود بما روى أبو حنيفة رضي ا لله عنه في مسنده عن ابن عمر رضي ا لله عنهما قال: (من السنة أن يأتي قبر النبي ﷺ من قبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة ا لله وبركاته) إلا أن تحمل على نوع مامن استقبال القبلة وذلك أنه عليه الصلاة والسلام في القبر الشريف

١ - سورة الإسراء الآية (٨٠).

المكرم على شقه الأيمن مستقبل القبلة، وقالوا في زيارة القبور مطلقاً: الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجل المتوفى لامن قبل رأسه، فإنه أتعب لبصر الميت، لأنه يكون مقابلا بصره ناظراً إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه، فعلى هذا تكون القبلة عن يسار الوقف من جهة قدميه عليه الصلاة والسلام بخلاف ماإذا كان من جهة وجهه الكريم، فإذا أكثر الاستقبال إليه عليه الصلاة والسلام لاكل الاستقبال فيكون استدباره القبلة أكثر من أخذه إلى جهتها وينبغي أن يكون وقوف الزائر على ماذكرناه بخلاف تمام استدباره القبلة واستقباله ﷺ فإنه يكون البصر ناظراً إلى جنب الواقف، وعلى ماذكرنا يكون مستقبلاً وجهه عليه الصلاة والسلام وبصره فيكون أولى ثم يقول في موقفه: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك ياخير خلق الله، السلام عليك ياخيرة الله من جميع خلقه، السلام عليك ياحبيب الله، السلام عليك يا سيد ولد آدم، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته يارسول الله إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأنك عبده ورسوله، وأشهد أنك يا رسول الله قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة فجزاك الله عنا خيراً، جزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته، اللهم أعطِ سيدنا عبدك ورسولك محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وأنزله المنزل المقرب عندك إنك سبحانك ذو الفضل العظيم، ويسأل الله تعالى حاجته متوسلاً إلى الله بحضرة نبيه عليه الصلاة والسلام، وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة، ثم يسأل النبي ﷺ الشفاعة فيقول: يارسول الله أسألك الشفاعة يارسول الله أسألك الشفاعة وأتوسل بك إلى الله في أن أموت مسلماً على ملتك وسنتك، ويذكر كل ما كان من قبيل الاستعطاف والرفق، ويجتنب الألفاظ الدالة على الإدلال والقرب من المخاطب فإنه سوء أدب،وعن ابن أبي فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي**﴾[1].

ثم قال: صلى الله عليك وسلم يا محمد سبعين مرة ناداه ملك وعليك يافلان و لم تسقط له حاجة، هذا وليبلغ سلام من أوصاه بتبليغ سلامه فيقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان أو فلان بن فلان يسلم عليك يا رسول الله، ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان يوصي بذلك ويرسل البريد من الشام إلى المدينة

١ - سورة الأحزاب الآية (٥٦).

الشريفة بذلك، ومن ضاق وقته عما ذكرناه اقتصر على مايمكنه، وعن جماعة من السلف الإيجاز في ذلك جداً، ثم يتأخر عن يمينه إن كان مستقبلاً قيد ذراع فيسلم على أبي بكر رضي الله عنه فإن رأسه حيال منكب النبي ﷺ، وعلى ما ذكرنا يكون تأخره إلى ورائه بجانبه فيقول: السلام عليك ياخليفة رسول الله ﷺ وثانيه في الغار أبا بكر الصديق جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيراً ثم يتأخر كذلك قدر ذراع فيسلم على عمر فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر الفاروق الذي أعز الله به الإسلام جزاك الله عن أمة محمد ﷺ خيراً، ثم يرجع إلى حيال وجه النبي ﷺ فيحمد الله ويثني عليه ويصلي ويسلم على نبيه ويدعو ويستشفع له ولوالديه ولمن أحب ويختم دعاءه بآمين والصلاة والتسليم، وقيل ماذكر من العود إلى رأس القبر الشريف لم ينقل عن الصحابة ولا التابعين، وعن القاسم بن محمد قال: (دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أماه اكشفي لنا قبر رسول الله ﷺ وصاحبه فكشفت عن ثلاثة قبور لامشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء فرأيت رسول الله ﷺ مقدماً وأبا بكر رأسه بين كتفي رسول الله ﷺ، وعمر رأسه عند رجل النبي ﷺ)[1].

وإذا فرغ من الزيارة يأتي الروضة فيكثر فيها من الصلاة والدعاء إن لم يكن في وقت تكره فيه الصلاة، ففي الصحيحين: (مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[2].

وفي رواية (قبري ومنبري)[3] ويقف عند المنبر ويدعو، ففي الحديث: (إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة)[4]، وكان السلف يستحبون أن يضع أحدهم يده على رمانة المنبر النبوي التي كان عليه الصلاة والسلام يضع يده عليه عند الخطبة، وهناك الآن قطعة تدخل الناس أيديهم من طاقة في المنبر إليه يتبركون بها يقال: إنها من بقايا منبره عليه الصلاة والسلام ويجتهد أن لايفوته مدة مقامه صلاة في المسجد، فقد ثبت أن صلاة في مسجده ﷺ تعدل ألف صلاة في غيره على ماقدمناه وهذا التفضيل مختص بالفرائض وقيل في النفل أيضاً[5].

---

١ – أخرجه الحاكم (١٣٦٨).
٢ – أخرجه البخاري (١٨٨٨) ومسلم (١٣٩٠) وابن حبان (٣٧٥٠) والنسائي (٦٩٤) والترمذي (٣٩١٦).
٣ – تقدم تخرجه ص (٣٢٩).
٤ – أخرجه النسائي (٦٩٥) وابن حبان (٣٧٤٩).
٥ – شواهد الحق ص (١٠٠ وما بعدها).

ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بقيع الغرقد فيزور القبور التي به خصوصاً يوم الجمعة ويبكر كي لاتفوته صلاة الظهر مع الإمام في المسجد، فقد كان ﷺ يزوره، وإذا انتهى إليه قال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، إنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم اغفر لنا ولهم، ويزور القبور المشهورة كقبر عثمان بن عفان رضي الله عنه وقبر العباس وهو في قبته المشهورة، وفيها قبران الغربي منهما قبر العباس رضي الله عنه والشرقي قبر الحسن بن علي زين العابدين وولده محمد الباقر وابنه جعفر الصادق رضي الله عنهم كلهم في قبر واحد، وعند باب البقيع عن يسار الخارج قبر صفية أم الزبير عمة رسول الله ﷺ، وفيه قبر فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما، ويصلي في مسجد فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالبقيع وهو المعروف ببيت الأحزان، وقيل قبرها فيه، وقيل بل في الصندوق الذي هو أمام مصلى الإمام في الروضة الشريفة، واستبعده بعض العلماء، وقيل إن قبرها في بيتها وهو في مكان المحراب المخشب الذي خلف الحجرة الشريفة داخل الدرابزين. قال وهو الأظهر وبالبقيع قبة يقال إن فيها قبر عقيل في داره، وفيه حظيرة مستهدمة مبنية بالحجارة يقال: إن فيها قبور من دفن من أزواج رسول الله ﷺ ورضي الله عنهن وفيه قبر إبراهيم ابن سيدنا رسول الله ﷺ وهو مدفون إلى جنب عثمان بن مظعون، ودفن إلى جنب عثمان بن مظعون عبد الرحمن بن عوف رضوان الله عنهم أجمعين، وعثمان هذا أول من دفن بالبقيع في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، ويأتي أُحداً يوم الخميس مبكراً كي لاتفوته جماعة الظهر بالمسجد، فيزور قبور شهداء أحد، ويبدأ بقبر حمزة عم النبي ﷺ ويزور جبل أحد نفسه، ففي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: (أحد جبل يحبنا ونحبه)[1] وفي رواية (إنه على ترعة من ترع الجنة، وعَيرٌ على ترعة من ترع النار)[2].

ويستحب أن يأتي مسجد قباء يوم السبت اقتداء به ﷺ لأنه كان يأتيه في كل سبت راكباً وماشياً)[3] وهو أول مسجد في الإسلام وأول من وضع فيه حجراً رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم، وينوي زيارته والصلاة فيه، فقد

---

١ - أخرجه البخاري (٤٠٨٣) ومسلم (١٣٩٣) وابن حبان (٣٧٢٥)

٢ - أخرجه ابن ماجه (٣١١٥).

٣ - تقدم تخريجه ص (٣٣٦).

صح عنه ﷺ أن الصلاة فيه كعمرة، ويأتي في قباء بئر أريس التي تفل فيها رسول الله ﷺ وفيها سقط خاتمه ﷺ من عثمان رضي الله عنه فيتوضأ و يشرب ويزور مسجد الفتح وهو على قطعة من جبل سلع من جهة الغرب فيركع فيه ويدعو.

وروى جابر: (أنه ﷺ دعا فيه ثلاثة أيام على الأحزاب فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين)[1].

والمساجد التي هناك منها مسجد يقال له: مسجد بني ظفر وفيه حجر جلس عليه النبي ﷺ، ويقال: (ماجلست عليه امرأة لتريد الولد إلا حبلت) ويقال إن جميع المساجد والمشاهد المفضلة التي بالمدينة ثلاثون يعرفها أهل المدينة. ويقصد الآبار التي كان ﷺ يتوضأ منها ويشرب وهي سبعة: منها بئر بضاعة، والله أعلم.

(فصل): وإذا عزم الرجوع إلى أهله، يستحب له أن يودع المسجد بصلاة ويدعو بعدها بما أحب، وأن يأتي القبر الكريم فيسلم ويدعو بما أحب له ولوالديه وإخوانه وأولاده وأهله وماله، ويسأل الله تعالى أن يوصله إلى أهله سالماً غانماً في عافية من بليات الدنيا والآخرة، ويقول غير مودع يا رسول الله، ويسأل الله تعالى أن يرده إلى حرمه وحرم نبيه في عافية وليكثر دعاءه بذلك في الروضة الشريفة عقيب الصلوات وعند القبر ويجتهد في خروج الدمع فإنه من أمارات القبول، وينبغي أن يتصدق بشيء على جيران النبي ﷺ ثم ينصرف متباكياً متحسراً على فراق الحضرة الشريفة النبوية والقرب منها)[2].

وقال الشيخ النبهاني رحمه الله تعالى: ثم نرجع إلىماكنا بسبيله من زيارة القبور فيما ذكر من الآداب وهوفي زيارة العلماء والصلحاء ومن يتبرك بهم، وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فيأتي إليهم الزائر ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والحاجة والاضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم، وإلى مشاهدتهم، بعين قلبه لابعين بصره، لأنهم لايبلون ولايتغيرون، ثم يثني على الله تعالى بما هو أهله ثم يصلي ويترضى عن أصحابه، ثم يترحم علىالتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتوسل إلى

---

١ - أخرجه أحمد(٢١/ ٨٠).
٢ - شواهد الحق ص (١٠٣).

الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه، ويستغيث بهم ويطلب حوائجه، ويجزم الإجابة ببركتهم، ويقوي حسن ظنه في ذلك فإنهم باب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل السلام عليهم ويذكر مايحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام، والكرام لايردون من سألهم، ولامن توسل بهم، ولامن قصدهم، ولامن لجأ إليهم وهذا الكلام في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً.

وأما زيارة سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه، فكل ما ذكر يزيد عليه أضعافه أعني الانكسار والذل والمسكنة، لأنه الشافع المشفع الذي لا ترد شفاعته، ولا يخيب من قصده، ولا من استعان أو استغاث به، إذ أنه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة.قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾[1]. وقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم: إن الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته إذ لا فرق بين موته وحياته، أعني في مشاهدته ﷺ لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم، وذلك عنده ﷺ جلي لا خفاء فيه، فإن قال قائل: هذه الصفات مختصة بالمولى سبحانه وتعالى، فالجواب: أن كل ما انتقل إلى الآخرة من المؤمنين فهم يعلمون أحوال الأحياء غالباً، وقد وقع ذلك في الكثرة بحيث المنتهى من حكايات وقعت منهم، ويحتمل أن يكون علمهم بذلك حين عرض أعمال الأحياء عليهم، ويحتمل غير ذلك، وهذه أشياء مغيبة عنا، وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلابد من وقوع ذلك، والكيفية فيه غير معلومة والله أعلم بها[2].

---

١ – سورة النجم الآية (١٨).

٢ – شواهد الحق ص (٨٧–٨٨).

أقوال العلماء في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

قال الإمام ابن حجر في شرحه على البخاري عند قوله: (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)[1]. قوله إلا إلى ثلاثة مساجد المستثنى منه محذوف، فإما أن يقدر فيصير: لاتشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا الثلاثة، أو أخص من ذلك، ولا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة وصلة الرحم وطلب العلم وغيرها، فتعين الثاني، والأولى أن يقدر ما هو أكثر مناسبة وهو: لاتشد الرحال إلىمسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغير ه من قبور الصالحين، وا لله أعلم.

وقال السبكي الكبير: وقد التبس ذلك على بعضهم فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ، لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لاتشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة وشد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان بل إلى من في ذلك المكان وا لله أعلم[2].

قال رسول ا لله ﷺ: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[3]. رواه وصححه جماعة كعبد الحق والتقي السبكي، وبلفظ: (من جاءني زائراً لاتحمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة)[4] و المراد بقوله: لا تحمله حاجة إلا زيارتي، اجتناب قصد مالا تعلق له بالزيارة.

أما ما يتعلق بها من نحو قصد الاعتكاف في المسجد النبوي، وكثرة العبادة فيه، وزيارة الصحابة وغير ذلك مما يندب للزائر فعله، فلا يضر قصده في حصول الشفاعة له، فقد قال أصحابنا وغيرهم: يسن أن ينوي مع التقرب بالزيارة التقرب بشد الرحال للمسجد النبوي والصلاة فيه كما ذكره المصنف.

---

١ - تقدم تخريجه ص (٣٣٨).
٢ - فتح الباري (٣/٦٦).
٣ - تقدم تخريجه ص (٣٢٩).
٤ - تقدم تخريجه ص (٣٣٨).

ثم الحديث يشمل زيارته ﷺ حياً وميتاً، ويشمل الذكر والأنثى الآتي من قرب أو بعد، فيستدل به على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة إذْ للوسائل حكم المقاصد.

وقد أخرج أبو داود بسند صحيح: (ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه)[1].

فتأمل هذه الفضيلة العظيمة وهي ردُّه ﷺ على المسَلِّم عليه إذ هو ﷺ حي في قبره كسائر الأنبياء لما ورد مرفوعاً: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)[2]. ومعنى رد روحه الشريفة، رد القوة المنطقية في ذلك الحين للرد عليه[3].

الإمام الفيروز آبادي رحمه الله تعالى :

وقال الإمام شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس في كتابه (الصلات والبِشر): اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ عند قبره آكد فيستحب إعمال المطى لإدراك الفوز بهذا الشرف العظيم والمنصب الكريم قال القاضي ابن كجٍ: (وهو القاضي يوسف بن أحمد بن كجٍ) فيما حكاه الرافعي: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندي وقد علم أنه لا يلزمه بالنذر إلا العبادات وممن صرح باستحبابها وكونها سنة من أصحابنا الرافعي في آواخر باب أعمال الحج، والغزالي في الإحياء والبغوي في التهذيب والشيخ عز الدين بن عبد السلام في مناسكه وأبو عمرو بن الصلاح، وأبو زكريا النووي رحمهم الله تعالى.

ومن الحنابلة: الشيخ موفق الدين، والإمام أبو الفرج البغدادي وغيرهما.

ومن الحنفية: صاحب الاختيار في شرح المختار له، عقد لها فصلاً وعدها من أفضل المندوبات المستحبات.

وأما المالكية: فقد حكى القاضي عياض منهم الإجماع على ذلك، وفي كتاب

---

١ – أخرجه أحمد (١٤/٣١١-٣١٢) الفتح الرباني، وأبو داود (٢٠٤١).
٢ – تقدم تخريجه ص (١٠٢).
٣ – من الإيضاح ص (٤٨٨).

تهذيب المطالب لعبد الحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة، قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة، وفي كلام العبدي المالكي في شرح الرسالة: أن المشي إلى المدينة لزيارة قبر الرسول ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب تقتضي السفر للزيارة لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة، ومن ضرورتها: السفر، وأما نفس الزيارة فالأدلة عليها كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا ا لله واستغفر لهم الرسول لوجدوا ا لله تواباً رحيماً**﴾[1].

ولا شك أنه ﷺ حي، وأن أعمال أمته معروضة عليه. ثم ذكر الشيخ جملة من أحاديث الزيارة[2].

الإمام محمد بن علان الصديقي رحمه الله تعالى

قال الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي شارح الأذكار معلقاً على قول النووي:

(فإن زيارته أفضل القربات وأنجح المساعي): وكيف لا وقد وعد الزائر بوجوب شفاعته ﷺ وهي لا تجب إلا لأهل الإيمان، ففي ذلك التبشير بالموت على الإيمان مع ما ينضم إلى ذلك بسماعه ﷺ سلام الزائر من غير واسطة. وأخرج أبو داود وغيره عن أبي هريرة عنه ﷺ: (ما من أحد يسلم عليّ إلا رد ا لله إليَّ روحي حتى أرد عليه السلام)[3]. قال الحافظ: حديث حسن أخرجه أحمد والبيهقي وغيرهما، وأنبئت عن الشيخ السبكي في شفاء السقام قال: اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في استحباب زيارة قبره ﷺ وهو اعتماد صحيح لأن الزائر إذا سلم عليه وقع الرد عليه من قرب، وتلك فضيلة مطلوبة.

أقول: ورده عليه كذلك بنفسه ولو لم يكن للزائر من القرى إلا هذا الخطاب لكان فيه الغنى، وكيف وفيه الشفاعة العظمى ومضاعفة الصلاة في ذلك الحرم الأسنى، وقد أورد جملة من الأحاديث في ذلك التقي السبكي في شفاء السقام، وابن حجر

---

١ - سورة النساء الآية (٦٤).
٢ - الصلاة والبشر في الصلات على خير البشر للفيروز آبادي ص (١٤٧).
٣ - ورد في الفتح الرباني (١٤/٣١١، ٣١٢) وأبي داود (٢٠٤١).

الهيثمي في الدر المنظم، وتلميذه الفاكهي في حسن الاستشارة في آداب الزيارة.[1]

الإمام الكرماني رحمه الله تعالى

وقال الشيخ الكرماني في شرحه على البخاري عند قوله: (إلا إلى ثلاثة مساجد): والاستثناء مفرغ، فإن قلت فتقدير الكلام لا تشد الرحال إلى موضع أو مكان فيلزم أن لا يجوز السفر إلى مكان غير المستثنى، حتى لا يجوز السفر لزيارة إبراهيم الخليل عليه السلام ونحوه، لأن المستثنى منه في المفرغ لا بد أن يقدر أعم العام.

قلت: المراد بأعم العام ما يناسب المستثنى نوعاً ووصفاً كما إذا قلت: ما رأيت إلا زيداً كان تقديره: ما رأيت رجلاً أو واحداً إلا زيداً، لا ما رأيت شيئاً أو حيواناً إلا زيداً فههنا تقديره: لا تشد إلى مسجد إلا إلى ثلاثة، وقد وقع في هذه المسالة في عصرنا مناظرات كثيرة في البلاد الشامية، وصنف فيها رسائل من الطرفين لسنا الآن لبيانها[2].

الإمام القاضي عياض رحمه الله تعالى

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في شرحه للحديث الذي رواه مسلم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى حجرها)[3].

قال: وقوله ﷺ: وهو يأرز إلى المدينة معناه: أن الإيمان أولاً وآخراً بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجراً مستوطناً وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلماً منه ومتقرباً، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سُرُجَ الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم، فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهدة وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن[4].

---

١ - الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (٥|٢٣١) مفاهيم ص (٢٦٩).
٢ - شرح الكرماني (٧|١٢).
٣ - أخرجه أحمد (١|١١٥) ومسلم (١٤٦).
٤ - شرح صحيح مسلم للنووي ص (١٧٧).

الإمام أبو محمد ابن قدامة إمام الحنابلة رحمه الله تعالى

قال الشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة في كتابه المغني: (ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي)[1] وفي رواية (من زار قبري وجبت له شفاعتي)[2] وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (ما من أحد يسلم عليّ عند قبري إلا ردَّ الله عليّ روحي حتى أردَّ عليه السلام)[3].

ويروى عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً**﴾[4] وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه — فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه — فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي، فحملتني عيني فنمت فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عتبي الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له[5].

الإمام الشيخ بدر الدين العيني

قال الشيخ العيني في شرح البخاري: وحكى الرافعي عن القاضي ابن كج أنه قال: إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، قال: ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان عندي، وقال القاضي عياض، وأبو محمد الجويني من الشافعية: أنه يحرم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة لمقتضى النهي، وقال النووي: وهو غلط، والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون أنه لا يحرم ولا يكره، وقال الخطابي: لا تشد لفظة خبر ومعناه الإيجاب فيما نذره الإنسان من

١ - تقدم تخريجه ص (٣٣٠).
٢ - تقدم تخريجه ص (٣٢٩).
٣ - تقدم تخريجه ص (٣١٦).
٤ - سورة النساء الآية (٦٤).
٥ - المغني لابن قدامة (٣/٥٥٦).

الصلاة في البقاع التي يتبرك بها أي لا يلزم الوفاء بشيء من ذلكم حتى يشد الرحل له ويقطع المسافة إليه غير هذه الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأما إذا نذر الصلاة في غيرها من البقاع فإن له الخيار في أن يأتيها أو يصليها في موضعه ولا يرحل إليها، وقال شيخنا زين الدين: من أحسن محامل هذا الحديث أن المراد منه حكم المساجد فقط، وأنه لا يشد الرحل إلى مسجد من المساجد غير هذه الثلاثة، فأما قصد غير المساجد من الرحلة في طلب العلم وفي التجارة والتنزه وزيارة الصالحين والمشاهد وزيارة الإخوان ونحو ذلك فليس داخلاً في النهي، وقد ورد ذلك مصرحاً به في بعض طرق الحديث فعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)[1]، وإسناده حسن[2].

الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي رحمه الله تعالى

قال الشيخ منصور البهوتي في كتابه (كشاف القناع عن متن الإقناع): فصل: وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدراقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي).

وفي وراية: (من زار قبري وجبت له شفاعتي[3]

تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شد الرحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحال، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحال لزيارته [4].

الشيخ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى

وقد ذكر الشيخ ابن القيم في قصيدته المعروفة بالنونية كيف تكون الزيارة وما هي الآداب المطلوبة فيها، وكيف ينبغي أن يكون شعور الزائر وهو واقف أمام المواجهة

١ - أخرجه أحمد (ج١٣ ص٢٠) الفتح الرباني.
٢ - عمدة القاري (٢٥٤/٧).
٣ - تقدم تخريجه ص (٣٢٩).
٤ - كشاف القناع (٥٩٨/٢).

الشريفة، وماذا ينبغي أن يحس به تجاه صاحب القبر، وذكر في آخر تلك الأبيات أن الزيارة بهذا الإحساس والشعور وبتلك الكيفية هي من أفضل الأعمال فقال:

فإذا أتينا المسجد النبوي صلـ ـينا التحية أولاً ثنتان
بتمام أركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ قبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل في السر والإعلان
فكأنه في القبر حي ناطق فالواقفون نواكس الأذقان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاصت على الأزمان
وأتى المسلم بالسلام بهيبة ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقَان
كلا ولم يُر طائفاً بالقبر أسـ ـبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجهاً لله نحو البيت ذي الأركان
هذي زيارة من غدا متمسكاً بشريعة الإسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا رة وهي يوم الحشر في الميزان

(انظر النونية المشهورة لابن القيم) وتدبر قوله رحمه الله: (من أفضل الأعمال هاتيك الزيارة).

الشيخ ابن عابدين رحمه الله تعالى

وقال الشيخ صاحب الحاشية ابن عابدين عند قوله (مندوبة) أي بإجماع المسلمين كما في اللباب، قال في شرح اللباب: هل تستحب زيارة قبره ﷺ للنساء؟ - الصحيح نعم بلا كراهة بشروطها على ما صرح به بعض العلماء. أما على الأصح من مذهبنا وهو قول الكرخي من أنّ الرخصة في زيارة القبور ثابتة للرجال والنساء جميعاً، فلا إشكال، وأما على غيره فكذلك نقول بالاستحباب لإطلاق الأصحاب والله أعلم بالصواب، وقال عند قوله ولينو معه زيارة مسجده): قال ابن الهمام: وفيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ثم يحصل له إذا قدم زيارة

المسجد، أو يستمنح فضل الله تعالى في مرة أخرى ينوي زيارة المسجد فيها، لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله، ويوافقه ظاهر ما ذكرناه من قوله ﷺ: (من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة)[1]. ونقل الرحمتي عن العارف المنلاجامي أنه أفرد الزيارة عن الحج حتى لا يكون له قصد غيرها في سفره[2].

وقال الشيخ ابن عابدين أيضاً: وهل تندب الرحلة للزيارة كما اعتيد من الرحلة إلى زيارة خليل الرحمن وأهله وأولاده وزيارة السيد البدوي وغيره من الأكابر الكبار؟ لم أرَ من صرح به من أئمتنا ومنع بعض أئمة الشافعية إلا لزيارته ﷺ قياساً على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة ورده الغزالي بوضوح الفرق فإن ما عدا المساجد الثلاثة مستوية في الفضل فلا فائدة في الرحلة إليها، وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم. ونقل عن ابن حجر في فتاويه قوله: ولا تترك الزيارة - لما يحصل عندها من منكرات ومفاسد كاختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك، لأن القربات لا تترك لمثل ذلك، بل على الإنسان فعلها وإنكار البدع بل إزالتها إن أمكن. قلت ويؤيده عدم ترك اتباع الجنازة وإن كان معها نساء نائحات، تأمل[3].

وقال صاحب الدر المختار: وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم مندوبة بل قيل واجبة لمن له سعة وذكر أن الحاج يبدأ بالحج إن كان فرضاً ثم يزور، وإذا كان تطوعاً فإنه مخير بين البدء بالحج أو الزيارة ولينوِ مع زيارته زيارة مسجده عليه الصلاة والسلام لأنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصلاة فيه خير من ألف صلاة في غير مسجده إلا المسجد الحرام وكذلك بقية القرب فإن كل قربة فيه بألف قربة في غيره.

الشيخ أبو عبدالله السامري الحنبلي: قال في كتاب "المستوعب" في باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه:

وإذا قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم استحب له أن يغتسل لدخوله

١ - تقدم تخريجه ص (٣٣٨).
٢ - رد المحتار لابن عابدين (٢/٢٦٣ و ٢٦٤).
٣ - رد المحتار (١/٦٣١).

ثم يأتي مسجد رسول الله ويقدم رجله اليمنى في الدخول، ثم يأتي القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطالَ ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك..**﴾[1]، وإني قد أتيتك مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته، اللهم إني أتوَجه إليك بنبيك، وذكر دعاءً طويلاً، ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع وكذلك ذكر أبو منصور الكرماني من الحنفية أن يدعو ويطيل الدعاء عند القبر المكرم، وفي مناسك الإمام أبي زكريا النووي ما نصه: فصل في زيارة النبي ﷺ، وذكر كلاماً مطولاً ثم قال: فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر، وسلم مقتصداً لا يرفع صوته.

وقال الحصني: كان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرئ النبي ﷺ السلام ثم يرجع.

وقالت الحنفية: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات صرح بذلك الإمام محمد الكرماني أبو منصور في مناسكه والإمام عبد الله بن محمود في شرح المختار، وقال الإمام أبو العباس السروجي.

وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ لزيارة قبره فإنها من أنجح المساعي.

وقال ابن الخطاب محفوظ الكلوذي الحنبلي من أئمة الحنابلة في كتابه الهداية في آخر باب صفة الحج: استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه. وعقد الإمام ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام باباً في زيارةقبره عليه الصلاة والسلام.

وقال أبو عمران المالكي: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واجبة. وقال العبدي المالكي في شرح الرسالة: إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس[2].

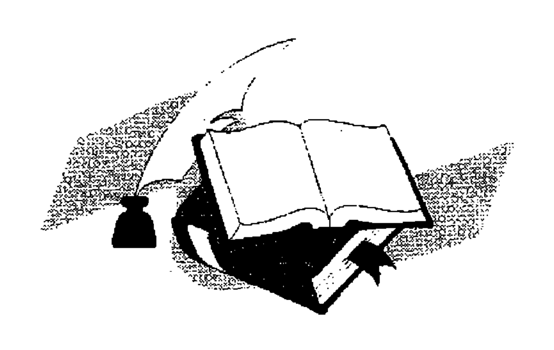
---

١ - سورة النساء الآية (٦٤).
٢ - المقالات السنية ص (١٥٢ و ١٥٣).

والحنابلة قد نصّوا كغيرهم على كون زيارة قبر النبي ﷺ سنة قصدت بالسفر لأجلها أو لم تقصد بالسفر لأجلها، وأما الحديث فمعناه الذي فهمه السلف والخلف أنه لا فضيلة زائدة في السفر لأجل الصلاة في مسجد إلا السفر إلى هذه المساجد الثلاثة لأن الصلاة تضاعف فيها إلىمئة ألف وذلك في المسجد الحرام، وعلى ألف وذلك في مسجد الرسول، وإلى خمسمائة وذلك في المسجدالأقصى.

والحديث المراد به السفر لأجل الصلاة، يبين ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من طريق شهر بن حوشب من حديث أبي سعيد مرفوعاً: (لا ينبغي للمطي أن تعمل إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة إلا إلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)[1].

وهذا الحديث حسنه الحافظ ابن حجر والعيني، وهذا الحديث الذي يستشهدون به على تحريم زيارة القبور،ليس فيه ذكر القبور مطلقاً فمن أين جاءت الحرمة؟!![2].



١ – أخرجه أحمد (ج١٣ ص٢٠) في الفتح الرباني.

٢ – المقالات السنية بتصرف (١٣٨) وفي الفتح الرباني ما نصه وقد أجاب الجمهور عن حديث شد الرحال أن القصر فيه إضافي باعتبار المساجد لاحقيقي، قالوا والدليل على ذلك أنه قد ثبت بإسناد حسن في بعض ألفاظ الحديث (ولاينبغي للمطي أن يشد رحالها إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير مسجدي هذا أو المسجد الحرام والمسجد الأقصى) فالزيارة وغيرها خارجة عن النهي (وأجابوا ثانية) بالإجماع على جواز شد الرحال للتجارة وسائر مطالب الدنيا، وعلى وجوبه إلى عرفة للوقوف. وإلى منى للمناسك التي فيها، وإلى مزدلفة، وإلى الجهاد والهجرة من دار الكفر، وعلى استحبابه لطلب العلم وأجابوا عن ماروي (لاتتخذوا قبري عيدا) بأنه يدل على الحث على كثرةالزيارة لاعلى منعها وأنه لايهمل حتى لايزار إلا في بعض الأوقات كالعيدين، ويؤيده قوله ولاتجعلوا بيوتكم قبوراً أي لاتتركوا الصلاة فيها، كذا قال الحافظ المنذري (وقال السبكي) معناه أنه لاتتخذوا لها وقتاً مخصوصاً ولاتكون الزيارة إلا فيه.

الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية

الجزء الثاني

1. الذكر مع الجماعة
2. الحب في الله (الرابطة)
3. المبايعة
4. المرشد
5. الصحبة
6. الفرقة الناجية
7. الورد
8. الفرق بين الكرامة والاستدراج
9. الشطح
10. وحدة الوجود
11. الاتحاد والحلول
12. حل الإشكالات حول الشيخ محي الدين بن عربي
13. المجاهدة
14. الطريقة والحقيقة
15. السنة والبدعة
16. الاستعانة بالقرآن العظيم
17. المذاهب
18. الأدب مع العلماء والصالحين
19. حجاب المرأة المسلمة
20. المصافحة بعد الصلاة
21. صلاة الأوابين
22. مس غير الطاهرين المصحف
23. سنة الجمعة القبلية
24. صلاة الظهر بعد الجمعة
25. صنع أهل الميت الطعام
26. تلقين الميت بعد الدفن
27. قضاء الفوائت
28. الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان
29. تحريك الإصبع في التشهد
30. صلاة التراويح
31. التأويل وإثبات المجاز عند السلف

(١) الذكر مع الجماعة

كثير من الآيات القرآنية تدل على الذكر الجماعي منها:

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم[١]﴾.

وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[٢]﴾.

وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً[٣]﴾.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً[٤]﴾.

أحاديث شريفة تبين استحباب الذكر الجماعي والحث عليه

١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدواقوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم . قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم -وهو أعلم بهم-: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول : هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال:يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليهاحرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار قال: يقول: وهل رأوها؟ قال : يقولون: لا

١ – سورة البقرة الآية (١٥٢).
٢ – سورة آل عمران الآية (١٩١).
٣ – سورة الأحزاب الآية (٣٥).
٤ – سورة الأحزاب الآية (٤١-٤٢).

وا لله ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ فقال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم)[1].

٢ – وعن معاوية رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر ا لله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا، قال: آ لله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: وا لله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن ا لله عزوجل يباهي بكم الملائكة)[2].

٣ – وعن أنس رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا: يا رسول ا لله وما رياض الجنة؟ قال: حلَق الذكر)[3].

٤ – وعن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف رضي ا لله عنه قال: نَزَلَتْ على رسول ا لله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**﴾[4] فخرج يلتمسهم، فوجد قومه يذكرون ا لله تعالى، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم)[5].

٥ – وعن أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: يقول ا لله عزوجل يوم القيامة: (سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم) فقيل ومن أهل الكرم يا رسول ا لله؟ قال: (أهل مجالس الذكر)[6].

٦ – وعن شداد بن أوس رضي ا لله عنه قال: إنا لعند رسول ا لله ﷺ، إذ قال:

---

١ – أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٦٧٨٠) والترمذي (٣٦٠٠) وأحمد (٢|٢٥١) و (٢|٢٥١) و الروايات مختصرة ومطولة.
٢ – أخرجه مسلم (٦٧٩٧) والترمذي (٣٣٧٩) والنسائي (٥٤٤١)، وأحمد (٤|٩٢).
٣ – أخرجه أحمد (٣|١٥٠) والترمذي (٣٥١٠) وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٩٥)، ورمز لصحته.
٤ – سورة الكهف الآية (٢٨).
٥ – الحاوي للفتاوى، للإمام السيوطي مجلد |٢| ص ٢٧، الحديث رقم ١.
٦ – أخرجه أحمد (٣|٦٨-٧٦) وابن حبان (٦١٦).

ارفعوا أيديكم، قولوا لا إله إلا الله، ففعلنا، فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة إنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم)(١).

٧ – وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ: (يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة)(٢).

٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي.... وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)(٣).

٩ – وفي رواية البزار والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (عبدي إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم وأكثر).

١٠ – وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال النبيﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)(٤).

١١– وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لايريدون بذلك إلاوجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات)(٥).

١٢– وأخرج بقي بن مخلد عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ مرَّ بمجلسين، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يعلمون العلم فقال: (كلا المجلسين خير

---

١ – أخرجه الحاكم (١٨٤٤) و أحمد (٤/١٢٤) والطبراني في الكبير (٧١٦٣) والبزار (١٠).
٢ – أخرجه أحمد بإسناد حسن (٢٢/٢٨٦).
٣ – أخرجه البخاري (٦٩٧٠) ومسلم (٢٦٧٥) وأحمد (١٤/٢٦٨) والترمذي (٢٣٨٨) وابن ماجه (٣٨٢٢).
٤ – أخرجه مسلم (٢٧٠٠) والترمذي (٣٣٧٨) وقال حديث حسن صحيح.
٥ – رواه أحمد (١٤/٢٠٢).

وأحدهما أفضل من الآخر).

١٣- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال: فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يارسول الله: حلهم لنا _صفهم_ نعرفهم؟ قال: المتحابون في الله من قبائل شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه)[١].

١٤- وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي رزي العقيلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: (ألا أدلك على ملاك الأمر الذي تصيب به خيري الدنيا والآخرة؟ قال: بلى، قال: عليك بمجالس الذكر، وإذا خلوت فحرِّك لسانك بذكر الله).

١٥- وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلي من الدنيا وما فيها)[٢].

من أقوال العلماء والعارفين في مشروعية الذكر الجماعي

١- قال العلامة ابن عابدين في حاشيته في معرض ذكر الله تعالى مع الجماعة: (وقد شبه الإمام الغزالي ذكر الإنسان وحده وذكر الجماعة بأذان المنفرد وأذان الجماعة قال: فكما أن أصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت المؤذن الواحد كذلك ذكر الجماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب الكثيفة من ذكر شخص واحد)[٣].

٢- وقال الإمام الشعراني في (ذكر الذاكر للمذكور والشاكر للمشكور): (أجمع العلماء سلفاً وخلفاً على استحباب ذكر الجماعة في المساجد وغيرها من غير نكير إلا أن يشوش جهرهم على نائم أو مصلٍّ أو قارئ)[٤].

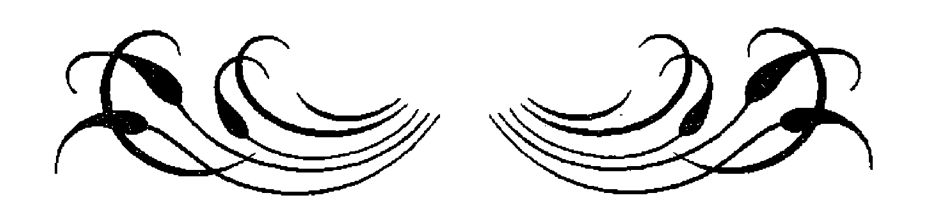
---

١ - أخرجه الطبراني بإسناد حسن انظر الترغيب والترهيب (٢/٤٠٦، ٤/٢١).
٢ - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٧١٩٩) ورمز لحسنه.
٣ - حاشية ابن عابدين (٥/٢٦٣).
٤ - حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٢٠٨.

٣- ويقول الإمام السيد محمد بهاء الدين المشهور بالرواس رحمه الله تعالى: (كمال الأدب حالة ذكر الله سواء كان مع الإخوان أو بالانفراد، فإن طريقنا يشمل الذكرين الجلي والخفي، أما الجلي فمع الإخوان في حلق الذكر، وأما الخفي فهو ورد المرء يخلو به مع الله تعالى ولاينفع كلاهما بغير الأدب الصحيح، وهو صحة الحضور مع المذكور ليذكره الذاكر معتبراً بآياته معظماً لجلال سلطانه، ألا إلى الله تصير الأمور)[1].

٤- يقول ابن المنير في كتابه "تحفة السالكين" في معرض ذكر جملة من آداب الذكر: (وعليهم مراعاة الوفاق في الأصوات علواً وخفضاً لأن في ذلك نشطة للنفس ولذة للروح وراحة للسر وقهراً للشيطان وفراراً ولايكثر أحدهم الالتفات ولا يعبث بلحيته، ولايلعب بيده ولابشيء من ثيابه لأنه مجلس الله عز وجل ولاينظر بعضهم بعضاً لأنه مانع من الحضور بل يغمض عينيه).

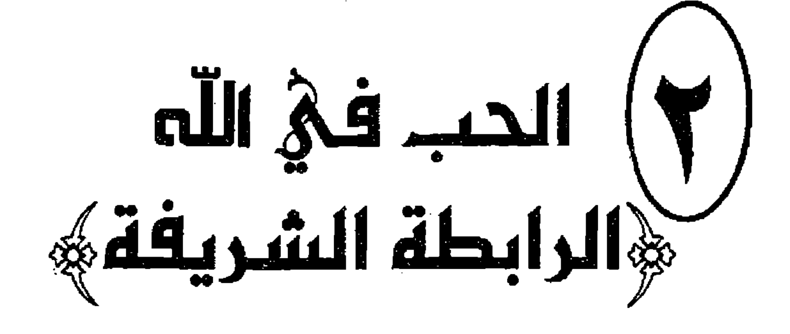
ثم إن الجماعة قوة، قال الله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا**﴾[2] والحجارة لايستطيع كسرها إلا الجماعة، وقد شبه الله تعالى القلوب القاسية بالحجارة في شدة قساوتها فقال عز من قائل: ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**﴾[3]. فكما أن الحجارة لايستطيع كسرها إلا الجماعة فكذلك القلب القاسي يسهل تليينه إذا تساعدت عليه جماعة الذاكرين.



١ - تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر [ص٤٢].

٢ - سورة آل عمران الآية (١٠٣).

٣ - سورة البقرة الآية (٧٤).



يقول محقق كتاب مكتوبات العارف با لله الشيخ خالد النقشبندي في مقدمته على كتاب المكتوبات مانصه: (الإنسان لايخلو من رابطة ما، فمن مرابط لماله، ومن مرابط لحرفته، ومن مرابط للنساء، ومن مرابط لأصحابه وأخدانه، إلى غير ذلك. فالرابطة في اصطلاح الصوفية ليست إلا عبارة عن نفي هذه الروابط عن القلب وصرفه عنها، وربطه بالشيخ وتخيله كأنه معه. ومن المقرر أن إعمال الفكر في أمر من الأمور ربطه به على سبيل المحبة، لاسيما إذا استولت هذه الخطرة على القلب، يعمل في نفس الإنسان عمل مزاولة ذلك الأمر، فإعماله في الأمور المحمودة محمود، وفي الأمور المذمومة مذموم...).

وقال الشيخ خالد النقشبندي: (الرابطة هي من أعظم أسباب الوصول بعد التمسك التام بالكتاب العزيز وسنةالرسول[1].

وقال من الأئمة الشافعية الإمام الغزالي في الإحياء وفي باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من الصلوات ما نصه: (وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم، وقل السلام عليك أيها النبي، وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ماهو أوفى منه.

وقال منهم العلامة الشهاب ابن حجر المكي، شيخ الشهاب الخفاجي في شرح العباب، في بيان معاني كلمات التشهد مانصه: (وخوطب ﷺ كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلين من أمته، حتى يكون كالحاضر معهم، ليشهد لهم بأفضل أعماهم وليكون تذكر حضوره سبباً لمزيد الخشوع والخضوع) ثم أيده بما مر عن الإحياء.

---

١ - الرسالة الخالدية في الطريقة النقشبندية (٢٥).

وقال منهم أيضاً محشي الأشباه: أحمد بن محمد الشريف الحموي في كتابه: (نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال) ما خلاصته: (إن الأولياء يظهرون في صور متعددة، بسبب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم، وحمل على هذا المعنى ما في بعض روايات الحديث الصحيح حيث قال ﷺ: (ينادى من كل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة) فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وهل يدخل من تلك الأبواب كلها؟ فقال: (نعم وأرجو الله أن تكون منهم)[1]. والأنبياء يظهرون في صور متعددة أكثر من باب أولى، كما حصل مع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام حين مر بسيدنا موسى صلى الله عليه وسلم في قبره فوجده يصلي ليلة إسراءه، ثم صلى به في المسجد الأقصى، ثم وجده في السماء السادسة، وهو الذي كان سبباً في تخفيف الصلاة من الخمسين إلى خمس، وأجساد الأنبياء لاتبلى، وهم أحياء في قبورهم.

وقال منهم الحافظ الجلال السيوطي في رسالة حافلة ألفها في مثل هذه المادة، سماها (كتاب المنجلي في تطور الولي) نقلاً عن الإمام السبكي الشافعي في (الطبقات الكبرى): (الكرامات أنواع:.... إلى أن قال: الثاني والعشرون: التطور بأطوار مختلفة، وهو الذي يسميه الصوفية المثال، وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال، واستأنسوا بقوله تعالى: ﴿**فتمثل لها بشراً سوياً**﴾[2].

وقال منهم أيضاً العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية في كتابه (الروح): إن للروح شأناً آخر غير شأن البدن، وتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت، بحيث إذا سلم على صاحبها رد السلام وهي من مكانها هناك، انتهى نقلاً عن الحافظ السيوطي في كتابه المنجلي.

وقد جاء في كتاب (رشحات عين الحياة) أيضاً في معنى قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[3] إن للكينونة معهم معنيين: كينونة بحسب الصورة، وهي التزام مجالسة أهل الصدق ومصاحبتهم حتى ينور باطنه بأنوار صفاتهم وأخلاقهم، بسبب دوام الصحبة معهم، وكينونة بحسب المعنى، وهو أن يلتزم طريق الرابطة بحسب الباطن

---

١ - أخرجه البخاري (١٧٨٩)، ومسلم (١٠٢٧)، والترمذي (٣٦٧٤).

٢ - سورة مريم الآية (١٧).

٣ - سورة التوبة الآية (١١٩).

بطائفة يستحقون الوساطة، ولاتنحصر الصحبة في المجالسة الصورية والنظر بالعين، بل ينبغي أن يجعل الصحبة دائمة، وأن يتجاوز عن الصورة إلى المعنى، حتى تكون الواسطة في نظره دائماً، ويكون المقصود الأصلي حاصلاً حقيقة بتلك الواسطة.

وقال الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة: (فاعلم أنه كما لايتوجه الوجه إلىجهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه.

وأما الاعتدال قائماً فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضاءك مطرقاً مطأطئاً منتكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال: واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل، وهو مطلع عليك، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان، إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك، أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك، وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه، ألا تستحين من استجرائك عليه؟ مع توقيرك عبداً من عباده، أو تخشين الناس ولاتخشينه وهو أحق أن يخشى؟ ولذلك لما قال أبو هريرة: كيف الحياء من الله؟ قال ﷺ: (تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك)[1].

وقال الشهاب بن حجر في "الفتاوى الصغرى" إن الرابطة هي الطريقة السالمة من كُدُرات جَهَلة الصوفية وهي مندوبة لأنها من الوسائل الموجبة لدفع الخطرات، ونفي الغفلة والوسائل لها حكم المقاصد، والأمر الذي لم ينهَ عنه الشرع يسوغ فعله، إما عن طريق الإباحة إن أدى إلى مباح، أو الندب إن أوجب مندوباً، أو الواجب إن

---

١ – أخرجه الخرائطي والبيهقي في الشعب (العراقي على إحياء علوم الدين: (١/١٦٦).

حَصَّل واجباً لايحصل بغيره.

فقد حصل لنا بالتجربة أنا إذا تصوَّرنا الرابطة انتفت عنا الأغيار كلها وبقي هذا الغير وحده، فتعرض حينئذ وهذا مثل إنسان له أعداء، فتودد إلى بعضهم وسلَّطه على باقيهم، فإذا أهلكهم عنه لم يبق إلا واحد فيقدر على إزالته فيزيله وهذا وجهٌ ينبغي للمنصف أن يتأمله، فإنه ظاهر الحسن مطابق للواقع لأن الرابطة ليست مرادة لعينها، بل مرادة لغيرها.

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**[1]﴾، والوسيلة بالأعمال الصالحات، ولاتكون الأعمال الصالحة إلا بالإخلاص، ولايكون العمل خالصاً إلا إذا خلا من الشوائب، وقد حصل بالتجربة أنا إذا اشتغلنا بالرابطة خلت أعمالنا من شوائب الغفلة والعمل في الغفلة غير معتد به، لأنه لايكتب للعبد من صلاته إلا ماعقل منها، فهي من الوسائل الموجبة للغفلة، وزوال الغفلة مقصود وما أوصل إلى المقصود فهو مقصود ومن لوازم زوال الغفلة الحضور وهو من أشرف الوسائل والرابطة لزوال الغفلة فهي أيضاً من أشرف الوسائل الموجبة للخشوع والحضور ومن أوثق الأسباب لتذكر العبد أثناء الذكر أو غيره أنه عبدالله وأنه إنما يجلس بين يدي رب العزة والجلال، من بيده مقاليد أمره كله، ومن لايستطيع جميع الناس ولو اجتمعوا أن يلحقوا به ضراً أو نفعاً إلا بإذنه، فهل يليق به بعد هذا كله أن يجالسه بجسده وقد شتت قلبه وفكره هنا وهناك وهو يعلم أنه يعلم السر وأخفى فتراه عندها يهرع إلى الرابطة وما ذاك إلا عملاً بقوله الصريح صلى الله عليه وسلم (**خير الوجوه من إذا رأيته ذكرك الله**[2])فينقطع بذلك كل مايشوشه أو يعرقل تفكره في خالقه وجليسه جل وعلا، وحسبنا هذا الحديث دليلاً لمن يرضى بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ويخضع من خلالها للحق، ويصم سمعه عن الافتراء ولسانه عن الجدل والمراء، ويكون مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، يجمع بين المسلمين ولايفرقهم.

---

١ –سورة المائدة الآية (٣٥).

٢ – أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ [قال رجل يا رسول الله من أولياء الله؟ قال (الذين إذا رؤوا ذكر الله)] (١٦٧٧٩). وفي رواية [إن من الناس مفاتيح لذكر الله إذا رؤوا ذكر الله] (١٦٧٨٠). ورواه أبو يعلى (٢٤٣٧)، والطبراني في الكبير (١٠٤٧٦) وابن المبارك في الزهد بإسناد صحيح (٢١٨) بلفظ [قيل يا رسول الله: أي جلسائنا خير؟ قال: (من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله].

ويقول الإمام الغزالي في الصحيفة (١٦٩) من الجزء الأول أيضاً عند الكلام على الصلاة والسلام على الرسول ﷺ: (وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه، ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين).

ويقول العارف بالله المرحوم الشيخ محمد أمين الكردي الإربلي الشافعي النقشبندي، المتوفى سنة (١٣٣٢) هـ صاحب كتاب (تنوير القلوب) في هذا، عند بيان آداب الذكر عن السادة النقشبندية: (التاسع: رابطة المرشد: وهي مقابلة قلب المريد بقلب شيخه، وحفظ صورته في الخيال، ولو في غيبته، وملاحظة أن قلب الشيخ كالميزان، ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد المرابط، واستمداد البركة منه، لأنه الواسطة إلى التوسل، ولايخفى ما في ذلك من الآيات والأحاديث قال الله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾. [المائدة الآية ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[1].

وقال ﷺ: (المرء مع من أحب)[2].

وقال العارفون: (كن مع الله، فإن لم تستطع فكن مع من كان مع الله).

قال الشيخ الأكبر مولانا عبد الله الأحرار المشهور بخواجه أحرار: (إن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين على قسمين: كون بحسب الصورة، وهي مجالستهم حتى تنطبع فيه صفاتهم، وكون بحسب المعنى، ثم فسر الكينونة بمعنى الرابطة)[3].

فإن قال أحد: من أين لكم أن استحضار صورة رجل في الذهن -ولو كان من الصالحين- تحصل به هذه المطالب كلها؟

وإن استحضاركم بسبب تعلق القلب؟ وإنه جائز؟

والجواب عن هذا من وجوه: الأول: قولك من أين لكم أن استحضار صورة

١ - سورة التوبة الآية (١١٩).

٢ - أخرجه البخاري (٥٨١٧) ومسلم (٢٦٤٠) وأبو داود (٥١٢٧) والترمذي (٣٢٥٢٩).

٣ - تنوير القلوب ص (٥١٧).

رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلها؟

أقول: قال تعالى: ﴿**فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾[1]، ألاترى أنك إذا كبرت تكبيرة الإحرام اشتغلت برابطة التاجر الذي يعطيك زكاة أو صدقة، أو برابطة الحاكم أو الوزير الذي يعدك بمنصب أو عطية، أو برابطة أهلك ومالك، أو بكلٍّ في الركعة أو السجدة، وتنسى من أنت واقف بين يديه، ولا تستحي منه، وتنسى نفسك وتخرج من الصلاة ولاتدري أي شيء قلت، أتنكر ذلك؟!، ما أراك تجحد ذلك!! ومن المعلوم أنَّ زوال الغفلة مطلوب، وهو مفتاح السعادة، وأن الحضور روح العبادة وزوال الغفلة لايكون إلا بنزول رحمة الله تعالى على عبده، ومن أسباب نزول الرحمة: ذكر الصالحين قال سفيان بن عيينة (عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة) وذكْرُهم من لوازم محبتهم، ومحبتهم فرضٌ لقوله عليه الصلاة والسلام [**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، فقد استكمل الإيمان**[2]] ومحبتهم محبة لله لقوله صلى الله عليه وسلم: حاكياً عن الله تعالى: [**حقت محبتي على المتحابين فيَّ والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتصادقين فيَّ**[3]] وعداوتهم محاربة لله تعالى لقوله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**﴾[4].

وقال الشيخ صاحب الرسالة أيضاً وهو يتكلم عن رابطة المصطفى ﷺ وأهميتها؟ ونفع السالك في الطريق الوصول إلى مراقبة الله عز وجل ونفي ما سواه: (واعلم أيها الأخ في الله - ألهمك الله رشدك، إن رابطة الشيخ الكامل توصلك إلى رابطة رسول الله ﷺ، وذلك من أجلِّ النعم، وأوفر القسم ﴿**وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾[5]، والفناء في النبي ﷺ موجب للولوج في حضرة القدس، والهيجان في مفاوز الأنس. والتعرض لنفحات الله تعالى مأمور به، ومحبة رسول الله ﷺ فرض، وروي عن أنس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لايؤمن أحدكم حتى أكون

---

١ - سورة الحج الآية (٤٦).

٢ - رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢٤).

٣ - رواه ابن حبان في صحيحه (٥٧٧) وأحمد (٥/٢٣٩)، والترمذي في الزهد باب ماجاء في الحب في الله والطبراني (٢٠/١٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٥/١٢١).

٤ - رواه البخاري (٦١٣٧).

٥ - سورة فصلت الآية (٣٥).

أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[١].

والنفس تدخل في عموم قوله: (والناس أجمعين) وقد وقع التنصيص بذكر النفس في حديث عبد الله بن هشام وهو أن عمر رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: (لاوالذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك). فقال عمر رضي الله عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال ﷺ: (الآن ياعمر)[٢]. ويكفيك قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾[٣].

فمن هو أولى بك من نفسك، فكيف لاينبغي أن يكون أحب إليك منها؟! قال سهل رضي الله عنه: (من لم يرَ ولاية رسول الله ﷺ في جميع أحواله ويرُ نفسه في ملكه لايذوق حلاوة سنته)[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من أشدِّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله)[٥].

وفي كتاب (الشفا) سئل علي رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟. قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ[٦].

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه: خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس، فرأى مصباحاً في بيت عجوز تنفش صوفاً وتقول:

**على محمد صلاة الأبرار		صلى عليه الطيبون الأخيار**

**قد كنت قواماً بكاً بالأسحار		ياليت شعري والمنايا أطوار**

هل تجمعني وحبيبي الدار

١ – أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، والنسائي (٥٠١٣).
٢ – أخرجه البخاري (٥/١٦ و٨/٧٣ و١٦١) وأحمد (٤/٢٣٣ و ٣٣٦).
٣ – سورة الأحزاب الآية (٦).
٤ – الشفا للقاضي عياض (٢/١٩).
٥ – أخرجه مسلم (٢٨٣٢)،وابن حبان في صحيحه (٧٢٣١).
٦ – الشفا للقاضي عياض (٢/٢٢).

فجلس عمر رضي الله عنه يبكي[1].

وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما خدرت رجله فقيل له: أذكر أحب الناس إليك يزل منك، فصاح: (يامحمداه) فانتشرت[2].

قال: واعلم أن من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه، وكان مدعياً، فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامات ذلك عليه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (يابني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل). ثم قال لي:(يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة)[3]

وكان أصحاب النبي ﷺ بعده لايذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم، وبكوا، وكذلك كثير من التابعين.

وقال بعضهم: المحبة دوام الذكر للمحبوب.

وقال آخر: الميل الدائم بالقلب الهائم.

وقال آخر: أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب.

وقال آخر: إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

وقال آخر: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

وقال آخر: أن تهب كلك لمن أحببت.

وحقيقة الحب: الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما بإدراكه كحب الصور الجميلة، والأصوات الحسنة، والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها، أو استلذاذه بإدراكه، بحاسة عقله وقلبه معانيَ شريفة باطنة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة، فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء.

---

١ – الشفا للقاضي عياض (٢/٢٣).

٢ – الشفا للقاضي عياض (٢/٢٣) والبخاري في الأدب المفرد (٩٦٤).

٣ – أخرجه الترمذي (٢٦٨٠).

وقال الشهاب ابن حجر في شرح الهمزية عند قول الناظم:

فاملاء السمع من محاسن يمليها   عليك الإنشاد والإنشاء

فإنها تحدث للسامع سكراً وأريحية وطرباً، وتحريكاً للنفس إلى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب وإحضاره في الذهن، وقرب صورته من القلب، واستيلاؤها على الفكر، فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب، وألذ من عناق الشوابِّ!.

ومن فوائد الصلاة على النبي ﷺ محبة المصطفى للمصلي عليه ﷺ، بل زيادة المحبة المذكورة اللازمة لها ازدياد للشوق مع استحضار للمحاسن النبوية في القلب والجنان، بحيث يمثل خياله به، ولا يكاد يفتر عن ذكر القلب واللسان.

واعلم أنه يتأكد على المصلي على النبي ﷺ أن يتصور وقت الصلاة عليه ﷺ صورته النبوية الكريمة في مرآة قلبه، كأنه بين يديه، سائلاً من الله الصلاة والسلام عليه، لأنه إذا واظب المصلي على ذلك تدوم عليه أسرار أنواره الكريمة المحمدية).

واعلم أن من ثمرات الصلاة على النبي ﷺ انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعاً ثابتاً متأصلاً متصلاً).

وقال القاضي في (الشفا): (إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك، وإني ذكرت موتي وموتك، فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلتُها لا أراك، فأنزل الله تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾[1]، فدعاه فقرأها عليه)[2].

وفي حديث آخر: (كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه لايطرف، فقال عليه الصلاة والسلام: (ما بالك؟) قال: بأبي أنت وأمي: أتمتع بالنظر إليك، فإذا كان يوم

---

١ - سورة النساء الآية (٦٩).

٢ - (الشفا: (٢/٢٠)، وانظر أسباب النزول للواحدي ص (١٤٠و ١٤١).

القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية)[1].

فقد تبين من المقالات السابقة: أن الرابطة كانت تحصل للصحابة رضي الله عنهم أجمعين، من شدة محبتهم وكمال اتباعهم لرسول الله ﷺ، وكذلك كان حصوله للتابعين وأتباعهم، من صحبة الخلفاء الراشدين، والأئمة المرشدين، ولما تمادى الزمان وتكدرت بالأشغال الدنيوية قلوب الأنام، وفترت عزائمهم في المحبة بالإخلاص التام، احتاجوا إلى التنبيه عليها والتصريح بها، فأمر الخلفاء المرشدين شيوخ العلم والتربية السالكين بالتكلف بها لجمع قلوبهم، وتلقيح أرواحهم بأرواحهم، وتأليفها لأجل الاستفاضة منهم، ثم عبّروا عن هذه المحبة الروحانية الدينية بالرابطة، لأن العشق والمحبة يربط قلب المحب بالمحبوب ويقيده به، فيحصل الارتباط الروحاني بينهما، وقد يسمونها -نسبة- لانتسابه وإضافته بها إليهم، فصارت اصطلاحاً شائعاً فيما بينهم، كما أن لكل قوم اصطلاحاً، ولما كانت الرابطة من أخص أوصافهم، وأعظم أركان طريقتهم، ومدار أمرهم، اشتهروا بها بين الناس، حتى سموهم مرابطين، فلم يزالوا يسمونهم في بلاد العرب بهذا الاسم إلى يومنا هذا فيعنون به الصوفية المقربين والأولياء العارفين قدس الله أسرارهم،وكذلك سميت طريقتهم طريق العشق والمحبة، لأن مدار الأمر والعمدة فيه كما عرفت هو المحبة الدينية للرفيق الديني، والواصل الموصل إلى الله العارف بأسرار السلوك في سبيل الله، وفي الله، وفي تحصيل رضى الله ،لالغرض مما سواه، وفي مثل هذه المحبة يقول الله عز وجل: في الحديث القدسي: (أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لاظل إلا ظلي)[2] ، ومن الصور الواضحة لمصداقية الرابطة الشريفة الطاهرة، ما حصل مع سيدنا بلال الحبشي عند سكرات الموت، عندما كانت تقول له زوجته: واكرباه، واحزناه، وهو يقول: وافرحتاه، واطرباه، غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه، فهل نقول أن سيدنا بلالاً أشرك لأنه نسي الله في هذا المقام إنه لشيء عجاب!! وهل إذا تذكر الإنسان في صلاته أمور الدنيا أشرك أيضاً فلماذا بعد هذا كله تقولون إذا تذكر الشيخ وهو يذكر الله يكون قد أشرك؟ لذلك لابد أن نعرف ونميز بين الشرك والحب (أي الرابطة) لذلك قالوا: من قل علمه كثر اعتراضه،

---

١ - (الشفا: (٢/ ٢١).

٢ - أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/٩٥٢)، والإمام أحمد في مسنده (٢/٢٣٧). ومسلم (٢٥٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٤).

ومن كثر علمه قل اعتراضه.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (يقول الله عز وجل: حقت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ، والمتصادقين فيَّ)[1].

وفي تفسير ابن مسعود عند قوله تعالى: **﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[2]، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من الله تعالى) قالوا: يا رسول الله! خبرنا من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم. قال:(هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام منهم، ولا أموال يعاطونها، فو الله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور، لايخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس)[3].

وهذه المحبة اختيارية وعقلية، فإن العاقل إذا تيقن منفعته وسلامته في شيء يختاره لنفسه بحكم عقله، ولو كان خلاف طبعه، كشرب المريض الدواء المرّ باختياره بخلاف ما تحبه النفوس بالميل الطبيعي كالمحبة الكائنة بين الآباء والأولاد، أو الحاصلة من النظر إلى الأشياء العجيبة والصور الجميلة، فإنها جبلة اضطرارية، وقد تنقلب المحبة الاختيارية اضطرارية، وذلك حين مشاهدة كمالات المحبوب، بعد حصول الاتحاد الروحاني بينهما، ثم إن الرابطة وإن كانت أصالة لرسول الله ﷺ إلا أنه لاشك في جوازها أيضاً لأولياء الله العارفين، والمشايخ الكاملين، الذين هم مأمورون بتسليك العباد وإرشادهم، فإنهم آله وأتباعه، ونوابه وورثته عليه االصلاة والسلام ، الذين أمرنا بحبهم وإكرامهم والبربهم، كما وقعت الإشارة في الحديث السابق إليهم.

فكما جازت الصلاة والتسليم عليهم تبعاً للنبي ﷺ، جازت الرابطة إليهم أيضاً لأنها ليست من الخصائص النبوية، بل هي من لوازم الدعوة وتتمة الإرشاد والتربية، وهم يشاركونه فيها، وفي لوازمها، من حيث كونهم أتباعه ونوابه إلى يوم القيامه، فكيف لا؟ ألا ترىقوله تعالى: **﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن**

---

١ - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٧٧) وأحمد (٥|٢٣٩) والترمذي في الزهد باب ما جاء في الحب في الله، والطبراني (٢٠|١٦٨) وأبو نعيم في الحلية (٥|١٢١).

٢ - سورة يونس الآية (٦٢).

٣ - أخرج نحوه أبو داود (٣٥٢٧)| وابن حبان في صحيحه(٥٧٣) وأحمد (٥|٣٤٣) والحاكم في المستدرك (٤|١٧٠) وصححه ووافقه الذهبي.

اتبعني﴾[1]. فانظر كيف أشركهم به في الدعوة والإرشاد، وامتثالاً لقوله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾**[2]. فهم أحق الناس اقتداءً به واتباعاً.وتأمل – أيضاً– كيف أوجب لهم الطاعة علينا بقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[3].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ مانوى**[4]] والأعمال بدنية وقلبية، فالحركات والتصورات المباحة إذا نوى بها الإنسان الطاعة أو التقوي بها عليها فله مانوى ولو لم يدرك مراده، فكيف إذا تحقق حصول المراد؟!! ولايخفى أن قول الجائع للشبعان (أنت جائع) مثلاً لايوجب له جوعاً، فكذلك قول المعترض (مانرى صحة ماترونه) لايوجب عدم صحة رؤيتنا، فعليه أن يقول: ماتدَّعونه حقاً، فأنتم وشأنكم، ولايسوغ له غير ذلك إن نصح نفسه[5]!!.

وقال الفقهاء: يسن للمصلي أن لايجاوز بصرُه إشارته، وذلك لأنه أجمع لِلْهَمِّ وأدفع للتفرقة، فكذلك الرابطة تستعمل لدفع الأغيار واستجلاب الحضور، فحين القيام في الصلاة ينظر لموضع سجوده، وحين الركوع ينظر لظاهر القدمين وحين الجلوس ينظر لِحِجْره وحين السجود ينظر لأرنبة أنفه، وحين التسليم إلى منكبيه.

وقد ورد في الأثر إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون عباد الله إلى الله، ويمشون في الأرض بالنصيحة).

فهذا الذي ذكر في الأثر هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله[6].

إن قيل: كيف يتصور النبي ﷺ من لم يره أصلاً، وكيف يحضره في قلبه؟.

فالجواب: (يكون هذا): بمطالعة شمائله الشريفة وضبط حليته المنيفة من كتب الأحاديث الصحيحة، وقد ألف العلماء الكتب الكثيرة في هذا الشأن وبينوها بأوضح بيان. وإن كان ممن تشرف بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، فيتصور في نفسه كأنه حاضر في الروضة المطهرة، ومشغول بزيارته، فهذا أسهل من الأول.

وهل لو شعر الإنسان قلبياً بأن عليه حافظين كراماً كاتبين في كل لحظة يكون

---

١ – سورة يوسف الآية (١٠٨).

٢ – سورة الأحزاب الآية (٢١).

٣ – سورة النساء الآية (٥٩).

٤ – رواه البخاري (١/٧،١٥) وأبو داود (٢٢٠١) والترمذي (١٦٤٧) والنسائي (١/٥٩–٦٠).

٥ – السفر الأسنى في الرابطة الحسنى (٧٤).

٦ – عوارف المعارف ص (٧٣) المطبوع بملحق إحياء علوم الدين.

قد أشرك؟! وهل ما يخطر على بال العبد من صور الملائكة والجن والعرش، والتماثيل، والأشخاص، وغيرها في الصلاة ومختلف العبادات يعتبر شركاً؟! خصوصاً إذا جاء ذكرها فيما يتلوه من القرآن؟!.

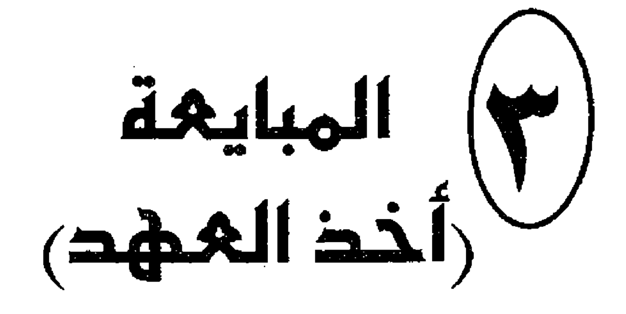
الأصل أن المريد يبدأ دخوله الحضرة الإلهية بتصور من كان سبباً في صلته با لله وفاءً له وتبركاً به، ثم هو يفنى بعد هذا من ذهنه وتصوره بمجرد اندماجه في الذكر، فهو نوع من الاستصحاب الروحي المؤقت، لطرد الشيطان والخواطر الصارفة استعداداً للقيام بحق ا لله والاستغراق في أنواره، وهو ليس من الشروط الأكيدة في السلوك، ولكنه نوع من العلاج، ووسائل التصفية والتنقية، وطرد الشيطان وبخاصة للمبتدئين.

فلا شرك، ولا خوف من شرك، بل هو التوحيد كل التوحيد.

ونصيحتي في الخاتمة لهذا الباب أن أقول:

بعد وضوح هذه الأدلة الساطعة يجب عليك إذا كنت ممن يرضى بما قال ا لله ورسوله صلى ا لله عليه وسلم أن تنقاد للحق وتخضع، وتصم سمعك عن الافتراء، ولاتصحب من كذب وافترى، وأن تصون لسانك عن الجدل والمراء والكذب وأن تكون مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، تجمع المسلمين ولاتفرقهم فقد قال المصطفى صلى ا لله عليه وسلم: [**بشروا ولاتنفروا، ويسروا ولاتعسروا**[1]] ولاداعي لمحاربة الذاكرين المحبين للصالحين وهذا نوع من أنواع تحريش الشيطان بين المسلمين فلا تكن بريداً له وكن على حذر، وإياك أن تقطع الناس عن طريق الذاكرين الصالحين فإن الخطب جلل فعندما تقطعهم عن أهل الذكر والصلاح يتصيدهم الشيطان، ومحاربة إبليس وجنوده ومانرى من الكبائر التي تهز عرش الرحمن أمامي وأمامك والتي تحصل عياناً ولاتنكر وكأنها جائزة فمحاربتها أولى وهذا مايقوله أي إنسان فيه حرارة الإيمان الصادق والوعي الناضج.

١ - أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٤٥٠٠) وأبو داود (٤٨٣٥) وأخرجه البخاري بلفظ [يسرو ولاتعسر، وسكنوا ولاتنفروا] (٩٦) و (٦١٢٥).



٣ المبايعة (أخذ العهد)

مُقَدِّمَة

سر المبايعة وأهميتها

قال العارف با لله السيد حسين برهان الدين الرفاعي قدس سره حين سئل عن سرِّ البيعة: (حدٌّ من حدود الحقِّ، يقف عنده أهل الصدق، الذين صدقوا ما بايعوا الله عليه، وما عاهدوا ا لله عليه فخافوا سُؤْله، وعظموا جلاله، فتغلَّب على قلوبهم سلطان الهيبة، وأخذهم من علَّة نفوسهم إلى حضرته العلية. فانطمست قوابس أوهامهم بأشعَّة أنوار عظمته، فإذا سوَّل لهم الشيطان خروجاً أو دخولاً؛ وقفوا على قدم الاستقامة ذاكرين ا لله، قائلين: ﴿**إن العهد كان مسؤولاً**﴾[1]، أولئك ﴿**الذين قالوا ربنا ا لله ثم استقاموا**﴾[2] وانحجبت بصائرهم عن غيره فأبصروه بها، وعن الأغيار تعاموا، وعلى طريق رضاه قعدوا، وإلى داعيه قاموا. ومالبيعة إلا بيعة النفس وقطع علائقها والأعِنَّةِ: ﴿**إن ا لله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾[3]. فإن انطبع المبايع على الصدق، ودخل حضرة قومٍ تجردوا من علائق رَطْبهم ويابسهم؛ فقد لوحظ من النبي ﷺ بمعونة: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾[4] وعلى هذا يقوم منار الأمر ويتمُّ نظام الخير، وتصحُّ الوصلة إلى ا لله، ويأخذ القلب عن ا لله، ويصير العبد صفةً من صفات ا لله، يصل بـا لله، ويقطع بـا لله، ويتكلم عن ا لله، ويستهدي با لله، ويسير إلى ا لله، ويُعان من ا لله عزوجل. قال ا لله لحبيبه صلى ا لله عليه وسلم:

---

١ - سورة الإسراء الآية (٣٤).
٢ - سورة فصلت الآية (٣٠).
٣ -سورة التوبة الآية (١١١).
٤ - سورة الأحزاب الآية (٦).

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾[1]. وإن بيعة الإمام المبين، والصادق الأمين عليه الصلاة والسلام، نافذةٌ سارية، باقيةٌ، هي هي، تتلقاها النفس السليمة، وتُعقَد عليها الأكُفُّ الكريمة، لا تبديل لكلمات الله، وأهل الله نُوَّاب رسول الله ﷺ [2].

الأدلة على مشروعية المبايعة (أخذ العهد):

أ- من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾[3].

٢- قال أيضاً: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾[4].

٣- قال أيضاً: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾[5].

ب- من السنة الشريفة:

مبايعة النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم:

أولاً: بيعة الرجال

١- عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: (بايعوني على أن لاتشركوا بالله شيئاً، ولاتسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم، ولاتعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله،ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه). فبايعناه على ذلك[6]

٢- وعنه رضي الله عنه أيضاً أنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع

---

١ - سورة الفتح الآية (١٠)
٢ - السيَّر والمساعي ص (٢٢٢-٢٢٤).
٣ - سورة الفتح الآية (١٠).
٤ - سورة النحل الآية (٩١).
٥ - سورة الإسراء الآية (٣٤).
٦ - أخرجه البخاري (١٨)، واللفظ له، ومسلم (٤٤٣٦)،والترمذي(١٤٣٩)، والنسائي(٤١٧٢)، وأحمد (٥/٣١٤)،والحميدي(٣٨٧)، والدارمي (٢٣٦٢).

والطاعة، في العسر واليسر،والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لاننازع في الأمر أهله، وأن نقول الحق حيثما كنا، لانخاف في ا لله لومة لائم)[1].

ثانياً: بيعة النساء

١- عن السيدة أميمة بنت رقيقة رضي ا لله عنها أنها قالت: أتيت النبي ﷺ في نسوة يبايعنه فقلنا: يارسول ا لله نبايعك على أن لانشرك با لله شيئاً،ولانسرق،ولانزني، ولانأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا،ولا نعصيك في معروف. قال (فيما استطعتن وأطقتن). قالت: ا لله ورسوله أرحم بنا، هَلُمَّ نبايعك يارسول ا لله! فقال رسول ا لله ﷺ: (إني لاأصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة، أو مثل قولي لامرأة واحدة)[2].

٢- وعن سيدنا عبدا لله بن عمرو رضي ا لله عنه قال: جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول ا لله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال: (أبايعك على أن لاتشركي با لله شيئاً، ولاتسرقي، ولاتزني، ولاتقتلي ولدك، ولاتأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولاتنوحي،ولاتبرَّجي تبرج الجاهلية الأولى)[3].

٣- وعن السيدة سلمى بنت قيس رضي ا لله عنها _وكانت إحدى خالات رسول ا لله ﷺ قد صلت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عديٍّ بن النجار قالت: جئت رسول ا لله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار، فلما شرط علينا أن لانشرك با لله شيئاً، ولانسرق، ولانزني، ولانقتل أولادنا، ولانأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولانعصيه في معروف، قال: (ولاتغشُشْنَ أزواجكنَّ) قالت: فبايعناه، ثم انصرفنا. فقلت لامرأة منهنَّ: ارجعي فاسألي رسول ا لله ﷺ ما غِشُّ أزواجنا؟ قالت: فسألته، فقال: (تأخذ ماله فتحابي به غيره)[4].

---

١ - أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (٤٧٤٥)، واللفظ له، والنسائي(٤٠٦٠)، وابن ماجه (٢٨٦٦)، وأحمد (٥|٣١٦)، ومالك (٢|٤٤٥-٤٤٦)، وابن حبان (٤٥٤٧)، والبغوي (٢٤٥٦).

٢ - أخرجه الترمذي (١٥٩٧)، مختصراً ،وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي (٤١٩٢)، واللفظ له، وابن ماجه (٢٨٧٤)، مختصراً، وأحمد (٦|٣٥٧)، والحميدي (٣٤١)،ومالك (٢|٩٨٢-٩٨٣)، والبيهقي (٨|١٤٦)، والطيالسي (١٦٢١)، وابن حبان (٤٥٥٣)، والطبراني في "الكبير" (٢٤|رقم ٤٧٠) وصححه الحاكم (٤|١٧) ووافقه الذهبي.

٣ - أخرجه أحمد (٢|١٩٦)، ورجاله ثقات، كذا في (مجمع الزوائد) (٩٨٥٨).

٤ - أخرجه أحمد (٦|٣٧٩ - ٣٨٠)، وأبو يعلى (٧٠٧٠)، والطبراني في الكبير (٢٤| رقم ٧٥١)، ورجاله

ثالثاً: بيعة من لم يحتلم

١- عن سيدنا محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أن النبي ﷺ بايع الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبدالله بن جعفر، رضي الله عنهم، وهم صغار لم يبلغوا قال: ولم يبايع صغيراً إلا منا[1].

٢- وعن سيدنا عبد الله بن الزبير، وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهما، أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين، فلما رآهما رسول الله ﷺ، تبسم، وبسط يده فبايعهما)[2].

رابعاً: التلقين الجماعي

❋ عن سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه _وعبادة بن الصامت حاضر يصدِّقه قال: كنا عند النبي ﷺ، فقال: (هل فيكم غريب؟) _يعني أهل الكتاب_ فقلنا: لا،يارسول الله! فأمر بغلق الباب، وقال: (ارفعوا أيديكم وقولوا: لاإله إلا الله). فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: (الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لاتخلف الميعاد) ثم قال: (أبشروا فإن الله قد غفرلكم)[3].

خامساً: التلقين الفردي

١- عن سيدنا جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم)[4].

وفي رواية: (بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: (فيما استطعت)، والنصح لكلِّ مسلمٍ)[5].

ثقات، كذا في (مجمع الزوائد) (٩٨٦٣).

١ - أخرجه الطبراني في "الكبير" (٢٨٤٣)، وهو مرسل، ورجاله ثقات، كذا في (مجمع الزوائد) (٩٨٧٥).

٢ - أخرجه الطبراني في الكبير، والأوسط (٣٤٢٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٣٨).

٣ - أخرجه أحمد (٤|١٢٤)، والطبراني في "الكبير" (٧١٦٣)، والبزار (١٠)، والحاكم (١|٥٠١)، ورجاله موثقون، في "مجمع الزوائد" (٢٣).

٤ - أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (١٩٧)، والترمذي (١٩٢٥)، وأحمد (٤|٣٦٠)، والحميدي (٧٩٥)، وابن خزيمة (٢٢٥٩)، والدارمي (٢٤٤٥).

٥ - أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (١٩٩)، والنسائي (٤٢٠٠)، وأحمد (٤|٣٦٤)، والحميدي (٧٩٨).

٢- وعنه رضي الله عنه أيضاً قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يبايع، فقلتُ: يا رسول الله! ابسط يدك حتى أبايعك، واشترطْ عليَّ، فأنت أعلم بالشرط، قال: (أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين)[١].

٣- وعن سيدنا بشير بن الخصاصيَّة السَّدوسِّي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه، قال: فاشترط عليَّ شهادة أن لاإله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدي الزكاة، وأن أحجَّ حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد في سبيل الله، فقلت: يارسول الله! أما اثنتان فوالله ما أطيقهما: الجهادُ، والصدقة، فإنهم زعموا أنه من ولى الدُّبر فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرْتُ تلك خشِعَتْ نفسي، وكرِهَتْ الموت، والصدقة: فوالله، مالي إلا غُنَيْمَةٌ، وعشرُ ذَوْدٍ، هُنَّ رُسْلُ أهلي وحَمُولتهم. قال: فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرَّك يده، ثم قال: (فلا جهاد ولاصدقة! فلِمَ تدخل الجنة إذاً؟!) قال: قلت: يارسول الله! أنا أبايعك عليهن كلِّهنَّ[٢].

وأخرج الطبراني والبزار عن سيدنا عليٍّ كرَّم الله وجهه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: يارسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله، وأسهلها على عباده، وأفضلها عنده تعالى، فقال النبي ﷺ: (عليك بمداومة ذكر الله سراً وجهراً). فقال علي: كل الناس ذاكرون، فخصَّني بشيء. قال رسول الله ﷺ: (أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي: لاإله إلا الله، ولو أن السموات والأرضين في كفةٍ، ولاإله إلا الله في كفَّةٍ لرجحت بهم، ولاتقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول: لاإله إلا الله) ثم قال عليّ: فكيف أذكر؟ قال النبي ﷺ: (غمِّضْ عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قلها ثلاثاً وأنا أسمع). ثم فعل ذلك برفع الصوت.

مبايعة الصحابة لخلفاء رسول الله ﷺ:

١- عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه، عن جدِّه قال: (كانت بيعة النبي ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾[٣]، التي بايع الناس عليها البيعة لله، والطاعة للحق، وكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه: (تبايعوني ما أطعت الله)،

---

١ - أخرجه النسائي (٤١٨٨)، وأحمد (٤|٣٦٥).

٢ - أخرجه أحمد (٥|٢٢٤)، ورجاله موثقون، كذا في (مجمع الزوائد) (١١٨)، وأخرجه أيضاً الطبراني في (الكبير) (١٢٣٣)، "والأوسط" (مجمع البحرين ص ٧)، وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (١٠|١٦٩-١٧٠)، وصححه الحاكم (٢|٧٩-٨٠)، ووافقه الذهبي.

٣ - سورة الفتح الآية (١٠).

وكانت بيعة عمر رضي الله عنه، ومن بعده، كبيعة النبي [1].

٢- وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: (قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه، واستخلف عمر رضي الله عنه، فقلت لعمر: ارفع يدك أبايعك على مابايعت عليه صاحبك قبلك، على السمع والطاعة فيما استطعت)[2].

ثم نهج الوُرَّاث من مرشدي سلوك منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، في أخذ البيعة في كل عصر، فقد ذكر الأستاذ الندوي في كتابه (رجال الفكر والدعوة في الإسلام): (أن الشيخ عبد القادر الجيلاني فتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه، يدخل فيه المسلمون من كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، يجددون العهد والميثاق مع الله، ويعاهدون على ألا يشركوا، ولايكفروا، ولايفسقوا، ولايبتدعوا، ولايظلموا، ولايستحلوا ما حرم الله، وقد دخل في هذا الباب _وقد فتحه الله على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني_ خلق لايحصيهم إلا الله، وصلحت أحوالهم، وحسن إسلامهم، وظلّ الشيخ يربيهم ويحاسبهم، ويشرف عليهم، وعلى تقدمهم، فأصبح هؤلاء التلاميذ الروحيون يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان) وقد ذكر العلامة ابن حجر الهيثمي في فتاويه في باب الشهادات وأتى بأوجه له أيضاً.

ومما ثبت من الأدلة الصريحة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يتبين لنا أنه يجب على مر يد الوصول إلى الكمال أن يلتحق بمرشد مربي يتعهده بالإرشاد والتوجيه إلى الطريق المستقيم، وينور قلبه حتى يعبد الله على بصيرة ونور وهدى فيبايع المربي المرشد ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والرذائل والتحلي بالصفات الحسنة والفضائل، ويترقى في المقامات النورانية الإيمانية ويتحقق بركن الإحسان، ويصاحب أهل الصدق والإيمان، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**[3]﴾.

---

١ - الإصابة (٣/٤٥٨).
٢ - حياة الصحابة (١/٢٣٧).
٣ - سورة التوبة الآية (١١٩).

٤ المرشد

أهمية المرشد

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ولكل قوم هاد**﴾[١] فدل على أن قضية المعلم الهادي والدليل المرشد ضرورة لزومية طبعاً وشرعاً، ومن هنا أرسل ا لله الرسل مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على ا لله حجة بعد الرسل. ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[٢] ولم يدع الناس لأفكارهم وحدها وإن سمت، فإن العقل مهما بلغ فهو محل للخطأ، ولأن العلم وحده قد يكون طريق الهلاك، والأدلة شتى في تواريخ الفلاسفة والمفكرين بين العقليين وأصحاب المذاهب الاجتماعية المختلفة، والواقع المكرر.

ومن هنا وجد الإشراف والتوجيه البشري في كل شيء سواء كان وظيفة أو تجارة، أو تعليماً أو احترافاً، أو إدارة، أو غير ذلك.

ومن هنا جاء أمر ا لله باتخاذ القدوة الصالحة: ﴿**لقد كان لكم في رسول ا لله أسوة حسنة**﴾[٣]. ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه**﴾[٤].

ولاتكون القدوة حسنة إلا إذا كان ا لله غايتها: ﴿**واتبع سبيل من أناب إلي**﴾[٥] ﴿**ولاتتبع سبيل المفسدين**﴾[٦]. ﴿**يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد**﴾[٧]. ﴿**اتبعوا من لايسألكم أجراً وهم مهتدون**﴾[٨] وعندما ذكر ا لله أنماطاً من أهل القدوة الصالحة الداعية إليه تعالى في سورة الأنعام، قال لرسوله: ﴿**أولئك الذين هدى ا لله**

---

١ - سورة الرعد الآية (٧).
٢ - سورة الإسراء الآية (١٥).
٣ - سورة الأحزاب الآية (٢١).
٤ - سورة الممتحنة الآية (٤).
٥ - سورة لقمان الآية (١٥).
٦ - سورة الأعراف الآية (١٤٢).
٧ - سورة غافر الآية (٣٨).
٨ - سورة يس الآية (٢١).

فبهداهم اقتده﴾[1].

ولو شاء الله لأنزل كتاباً بغير نبي، ولكنه لم ينزل كتاباً إلا وأنزل معه نبيه ليبين للناس مانزل إليهم.

ربما كان الأخذ السليم عن الكتاب السليم فيه الأجر فقط، أما الأخذ عن الشيخ ففيه الأجر وفيه الوصول معاً، لأن فيه سر الإمداد بالبركة، وربط المريد بالحبل المحمدي وذلك أشبه بالتيار الكهربائي، لاينتقل إلا بالموصل.

وفي قضية جبريل والنبي ﷺ معنى اتخاذ المرشد الهادي والدليل المعلم، وإلا فربما كان يكفي النور الإلهي المنقدح في القلب المحمدي عن مصاحبة جبريل والأخذ عنه.

وقد طلب سيدنا موسى الشيخ المعلم المرشد الهادي الدليل، وسعى إليه حتى وجده، في العبد الصالح، وتتلمذ عليه ولم يكتف بأنه كليم الله.

وهل يمكن لأي إنسان أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة بغير موفق خبير؟! وكذلك شأن جميع الصناعات والفنون.

إن اتخاذ الشيخ مما لايتم الواجب إلا به، فهو واجب كما رأيت طبعاً وشرعاً، مؤيداً بالواقع العلمي والتاريخي، والموضوعية التي لاتقبل النقاش. ومجال اتخاذ الشيخ إن خلا شغله الشيطان بيقين، وقد أشار الله سبحانه إلى أهمية القدوة والمرشد بآيات كثيرة منها قوله تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾**[2] وقوله **﴿ولاينبئك مثل خبير﴾**[3] وقوله **﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾**[4] وقوله **﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾**[5] وقوله **﴿الرحمن فاسأل به خبيراً﴾**[6].

إذن فلابد من هاد ذي قدرة، ذي ذكر، خبير بوسائل الفرار إلى الله، والهجرة إليه، وإن لم يكن للمريد شيخ في العلم ضلّ وافترسه الشيطان واستهواه وجعل إلهه

١ - سورة الأنعام الآية (٩٠).
٢ - سورة الأنبياء الآية (٧).
٣ - سورة فاطر الآية (١٤).
٤ - سورة الأنعام الآية (٩٠).
٥ - سورة لقمان الآية (١٥).
٦ - سورة الفرقان الآية (٥٩).

هواه فهلك، وما لم يكن للمرء معلم في بقية الصناعات لما أصاب ولما أجاد وربما هلك وهو يطلب الحياة ولابد للسالك أيضاً إلى الله من إمام يرشده ويوجهه ويسدده ويكشف له أحابيل الشيطان في العبادات والمعاملات والخطوات النفسية والإرادات القلبية التي قد تكون على صاحبها أخطر من الكفر الصريح لأن من أراد الله هديه هيء له مرشداً وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿**ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً**﴾[1].

وإن المنهج التربوي يحتم وجود معلم ومتعلم، والسلوك الصوفي يؤكد بشكل قطعي وجود المربي المعلم والمرشد، ويشترط علماء التصوف في هذا المنهج وجود الشيخ المربي الذي سمت روحه إلى درجة الإحسان، وعرجت نفسه في معارج الكمال، وتهذبت أخلاقه، وتنامت قدراته الروحية، والعقلية إلى درجة القرب والأنس والطمأنينة الكاملة.

والرسول عليه الصلاة والسلام كانت له وظيفة كبرى قبل التعليم وهي التزكية قال تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون**﴾[2].

والمعلم دوره خطير في تزكية النفوس وتطهيرها من عيوبها وتخليصها من أمراضها، ثم الرقي بالنفس إلى مراحل متقدمة في السلوك الإسلامي الصحيح، ومكانة المربي هي وراثة للقدوة المحمدية الكاملة، ولذا قال الرسول ﷺ: (العلماء ورثة الإنبياء)[3].

والشيخ العارف بالله، والعالم بكتابه، والمقتدي بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام هو الصادق الذي لابد لنا من الحياة معه، والاسترشاد بمواعظه، والتأدب في مجلسه، وحسن الاستماع له، والعمل بالوصايا التي يأمر بها، وخاصة إن كانت متقيدة بالدليل الشرعي القاطع.

وهومن أولياء الله الذين قال عنهم في كتابه العزيز: ﴿**ألا إن أولياء الله**

١ - سورة الكهف الآية (١٧).

٢ - سورة البقرة الآية (١٥١).

٣ - رواه البخاري معلقاً (١-٣٧)، وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٣) وابن ماجه (٢٢٣) وصححه ابن حبان (٨٠).

لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكان يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الأخرة﴾[1].

وقد أمر الله تعالى المسلمين أن يعيشوا مع الصادقين، قال الله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[2].

والصادقون في كتاب الله هم كما قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾**[3].

ولذا نجد أن وجود المربي في العملية التربوية الروحية، والسلوك الإيماني والتزكية النفسية حتم مطلوب شرعاً وعقلاً وعملاً.

والدليل الشرعي لأهمية المربي والمعلم والمرشد هو قول الله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾**[4] فهؤلاء الذين نفروا ليتفقهوا في الدين وليتعمقوا في السلوك التربوي السليم والذين تكاملت صفاتهم النفسية وازداد قربهم إلى الله تعالى سلوكاً وفكراً ونضوجاً فهم الذين يكونون قادرين علىتزكية النفوس وتطهيرها من أمراضها المتعددة.

فالشيخ العارف بالله تعالى يختصر لك طريق السلوك فيعطيك خلاصة ما وصل إليه ويعينك على كشف خفايا نفسك وأمراضها لتتخلص منها، ولاريب في أنك بصحبة الشيخ تأخذ منه حالاً ترتقي به، ولذا قيل: لاتصاحب من لاينهضك حاله ويدلك على الله مقاله.

وقصة نبي الله موسى عليه السلام مع المعلم قد وردت بالتفصيل، وترشد السالكين إلى درب العلم اللدني. قال الله تعالى عن المعلم الذي اتخذه موسى عليه السلام: ﴿**فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنّا علماً * قال له موسى هل أتبعك علىأن تعلمن مما علمت رشداً * قال إنك لن تستطيع معي**

---

١ – سورة يونس الآية (٦٢-٦٤).
٢ – سورة التوبة الآية (١١٩).
٣ – سورة الحجرات الآية (١٥).
٤ – سورة التوبة الآية (١٢٢).

صبراًوكيف تصبر على مالم تحط به خبراً ❁ قال ستجدني إن شاء ا لله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾[1] وهذا دليل شرعي على حاجة الناس إلى المعلم والمربي الذي علم ما لم يعلموا وفقه ما لم يفقهوا.

وإن الارتباط الروحي بين الشيخ والمريد يولد الطاقة التربوية للعروج بالمريد السالك في مقامات وأحوال السلوك الروحي الرفيع.

وقلما يعرف الرجل نقائض النفس وعلل الباطن، وإذا عُرفت وفُهمت، فقلما يعرف الرجل طرق علاجها وإصلاحها، وإذا علم ذلك وعرف لتَعَسَّر إذن العمل به لصراع النفس، ومن هنا يحتاج الإنسان إلى الشيخ الكامل، لأنه هو الذي يعرفه بهذه الأمور بعدما يتفهمها ويتعرفها، ثم يصف لها علاجاً وتدابير لمداواتها[2].

❁ شروط المرشد وصفاته:

من شروطه أن يكون عالماً بكتاب ا لله وسنة رسوله ﷺ، وينبغي أن يكون موصوفاً بصفات أهل الكمال، ويكون معرضاً عن حب الجاه والدنيا وما أشبه ذلك، ويكون قد أخذ الطريق عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسول ا لله ﷺ، وارتاض بأمره رياضة بالغة من قلة الطعام والكلام والنوم وقلة الاختلاط مع الأنام وكثرة الصلاة والصيام والصدقة ونحو ذلك وبالجملة يكون متخلقاً بأخلاق النبي ﷺ.

ولايصلح للتربية والمشيخة المجذوب، فإنه وإن ذاق المقصود لكنه لم يذق الطريق إلى ا لله، وكذا لايصلح للمشيخة السالك فقط.

وكان أبو القاسم القشيري رحمه ا لله تعالى يقول: قد درج أشياخ الطريق كلهم علىأن أحداً منهم لم يتصدر للطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة، و لم يكن أحد في عصر من العصور إلا وعلماء ذلك الزمان يتواضعون له ويعملون بإشارته[3].

وقال الإمام أبو العباس المرسي رحمه ا لله تعالى: من كان فيه خمس خصال لاتصح مشيخته:

---

١ –سورة الكهف من الآية (٦٥) وحتى الآية (٦٩).

٢ – بين التصوف والحياة ص (٢١٧).

٣ – الأنوار القدسية للإمام الشعراني ص (٦٣).

١- الجهل بالدين.
٢- وإسقاط حرمة المسلمين.
٣- والدخول فيما لايعني.
٤- واتباع الهوى في كل شيء.
٥- وسوء الخلق من غير مبالاة.

وقال ابن عطاء السكندري رحمه الله: سمعت شيخنا أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول: (العارف لا دنيا له ولا آخرة، لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه)[1].

وعرفه الشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره فقال: الشيوخ نواب الحق في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام في زمانهم بل هم الورثة الذين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء عليهم السلام، غير أنهم لا يشرِّعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة في العموم وليس لهم التشريع، ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب في الخصوص، وهم من العلماء بالله بمنزلةِ الطبيب. وقد جمع الشيخ بين الأمرين.

والشيوخ هم العارفون بالكتاب والسنة قائلون بها في ظواهرهم، متحققون بها في سرائرهم يراعون حدود الله تعالى، ويوفون بعهد الله قائمون بمراسم الشريعة لا يتأولون في الورع، آخذون بالاحتياط، مجانبون لأهل التخليط، مشفقون على الأمة، لا يمقتون أحداً من العصاة يحبون ما أحب الله ويبغضون ما أبغض الله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر المجمع عليه، يسارعون في الخيرات، ويعفون عن الناس، يوقرون الكبير ويرحمون الصغير، يميطون الأذى عن الطريق، طريق الله وطريق الناس، يؤدون حقوق الناس، يبرون عباد الله، هينون لينون رحماء بين خلق الله.

وشرط الشيخ الذي يلقي المريد إليه نفسه:

ذوق صريح وعلم صحيح وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة، فمن فيه ما مضى من الوصف صحت مشيخته ويحق له التصدر للإرشاد، أما إن كان جاهلاً بالدين، متهاوناً بحرمة المسلمين، يتدخل فيما لا يعنيه، متبعاً للهوى في كل شيء، سيء الخلق، مجالساً للأحداث يطمع بما في أيدي الناس، فهذا شيطان أخرس ليس له حظ في

١ - تاج العروس ص (٩٠).

المشيخة، والأولى أن يرشد نفسه[1].

وقال سيدي السيد أحمد عز الدين الصياد قدس سره: اعلم أن من تصدر للمشيخة في هذه الطريقة العلية الرفاعية فقد جلس على بساط النيابة عن شيخ الأمة سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه، فيجب عليه أن يكون عالماً بما أمره الله ونهاه عنه، فقيهاً في الأمور التعبدية، حسن الأخلاق، طاهر العقيدة، عارفاً بأحكام الطريقة، سالكاً مسلكاً كاملاً، شيخاً زاهداً متواضعاً، حمولاً للأثقال، صاحب وجد وحال وصدق مقال، ذا فراسة وطلاقة لسان في تعريف أحكام الطريقة، متبرئاً عن عوائق الشطح، طارحاً ربقة الدعوى والعلو، محباً لشيخه، حافظاً شأن حرمته في حياته وبعد مماته، يدور مع الحق أين دار، منصفاً في أقواله وأفعاله متكلاً على الله في جميع أحواله.

وذكر شيخنا السيد محمد أبو الهدى رحمه الله تعالى في كتابه (العقد النضيد في آداب الشيخ والمريد) فقال: وينبغي أن يتصف الشيخ المسلك باثنتي عشرة صفة:

- **صفتان** من حضرة الله تعالى وهما: الحلم والستر.
- **وصفتان** من حضرة النبي ﷺ وهما: الرأفة والرحمة.
- **وصفتان** من حضرة الصديق الأكبر رضي الله عنه وهما: الصدق والتصديق.
- **وصفتان من حضرة الفاروق الأعظم رضي الله عنه وهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**
- **وصفتان** من حضرة عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه وهما:الحياء والتسليم.
- **وصفتان** من حضرة علي الكرار رضي الله عنه وهما: الزهد الأتم والشجاعة.

ومتى اتصف الشيخ بهذه الأوصاف وتمكنت قدمه وذكت شيمه صَحَّ أن يكون قدوة في الطريق.

وقد نقل نحو ذلك من حضرة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره، ومن كلامه رضي الله عنه وأرضاه في وصف الشيخ المرشد هذه الأبيات الشريفات:

**إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد		وإلا فدجّال يقود إلى جهل**

---

١ - حقيقة الصوفية ص (٢٩ - ٣١).

عليم بأحكام الشريعة ظاهراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للورَّاد بالبشر والقِرى ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره عليم بأحكام الحرام من الحل
يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبلُ ذو كرم كُلّي[٢]

وقال الشيخ عبد العزيز الدباغ قدس الله سره: ولشيخ التربية علامات ظاهرة، وهي:

- أن يكون سليم الصدر على الناس.
- أن يكون كريماً إذا طلبته أعطاك.
- وأن يحب من أساء إليه.
- وأن يغفل عن خطايا المريدين.
- وأن يكون الشيخ خالياً من الأهواء، وأن يكون ذا بصيرة ولايكون مغترا[١].

وقال الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى في كتابه (حقائق عن التصوف) متحدثاً عن الوارث المحمدي وشروطه: (ومما سبق يتبين أهمية صحبة الوارث المحمدي للترقي في مدارج الكمال وتلقي دروس الآداب والفضائل واكتشاف العيوب الخفية والأمراض القلبية.

ولكن قد يسأل سائل كيف الاهتداء إليه؟ والوصول إلى معرفته؟! وما هي شروطه وأوصافه؟!! فنقول:

حين يشعر الطالب بحاجته إليه كشعور المريض بحاجته إلى الطبيب، عليه أن يصدق العزم، ويصحح النية ويتجه إلى الله تعالى بقلب ضارع منكسر، يناديه في جوف الليل ويدعوه في سجوده وأعقاب صلاته: (اللهم دلني على من يدلني عليك وأوصلني إلى من يوصلني إليك).

ثم عليه أن يبحث في بلده، ويفتش ويسأل عن المرشد بدقة وانتباه غير ملتفت

٢ - السير والمساعي ص (٢٠٨ - ٢١١).
١ - الإبريز ص (١١٩-١٢١).

لما يشيعه بعضهم من فقد المرشد المربي في هـذا الزمـن[1] فـإذا لم يجـد أحـداً في مدينتـه فليبحث عنه في مدن أخرى، ألا ترى المريض يسافر إلى بلدة ثانيـة للتـداوي إذا لم يجـد الطبيب المختص، أو حين يعجز أطباء مدينته عن تشخيص دائه ومعرفة دوائه. ومـداواة الأرواح تحتاج إلى أطباء أمهر من أطباء الأجسام.

وللمرشد شروط لا بد منها حتى يتأهل لإرشاد الناس، وهي أربعة:

- **أن يكون عالماً بالفرائض العينية.**
- **وأن يكون عارفاً بالله تعالى.**
- **وأن يكون خبيراً بطرائق تزكية النفوس ووسائل تربيتها.**
- **وأن يكون مأذوناً بالإرشاد من شيخه.**

١ – أمـا الشـرط الأول: فينبغـي أن يكـون المرشـد عالمـاً بـالفرائض العينيـة: كأحكام الصلاة والصوم والزكاة إن كان مالكاً للنصاب، وأحكام المعـاملات والبيـوع إن كان ممن يتعاطى التجارة....وأن يكون عالماً بعقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد فيعرف ما يجب لله تعالى، وما يجوز وما يسـتحيل إجمـالاً وتفصيـلاً، وكذلـك في حـق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهكذا سائر أركان الإيمان.

٢ – أما الشرط الثاني: فينبغي أن يتحقق المرشد بعقيدة أهـل السـنة والجماعـة

---

١ – يقول ابن عجيبة رحمه الله تعالى: (والناس في إثبات الخصوصية ونفيها على ثلاثة أقسام:
١ – قسم أثبتوها للمتقدمين ونفوها عن المتأخرين وهم أقبح العوام.
٢ – وقسم أقروها قديماً وحديثاً، وقالوا: إنهم أخفياء في زمانهم، فحرمهم الله بركتهم.
٣ – وقوم أقروا الخصوصيـة في أهـل زمـانهم، مـع إقرارهـم بخصوصيـة السـلف، وعرفوهـم وظفـروا بهـم، وعظموهم،وهم السعداء الذين أراد الله أن يرحلهم إليـه ويقربهـم إلى حضرتـه، وفي الحِكَم: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)... وبهـذا يرد على من زعم أن شيخ التربية انقطع، فإن قدرة الله تعالى عامة، وملك الله قـائم، والأرض لا تخلو ممن يقـوم بالحجة حتى يأتيَ أمر الله) – البحر المديد في تفسير القـرآن المجيـد لابـن عجيبـة (١|٧٧). ويحضرني في هـذا الموضوع أبيات لبعضهم يرد فيها على من يدعي أن المرشدين قد عدموا في هذا العصر أوقلوا، قال:

يقـول قـوم عـن هداهـم ضلـوا قـد عُدمـوا في عصرنـا أوقلـوا
فقلـت: كـلا إنمـا قـد جَلّـوا عـن أن تراهـم أعيـن الجهـال

وقد أدركنا والحمد لله في زماننا هذا رجالاً عارفين مرشدين قد توفرت فيهم شروط التربية على الكمال ذوي همة وحال ومقال، تَخرّج على أيديهم خلق كثير، وانتفع بهم جم غفير، ولكـن الخفـاش لا يسـتطيع أن يبصر النور.

عملاً وذوقاً بعد أن عرفها علماً ودراية، فيشهد في قلبه وروحه صحتها، ويشهد أن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، ويتعرف على حضرات أسماء الله ذوقاً وشهوداً، ويرجعها إلى الحضرة الجامعة، ولا يشتبه عليه تعدد الحضرات، إذ تعدد الحضرات لا يدل على تعدد الذات.

٣ – **وأما الشرط الثالث**: فلا بد أن يكون قد زكّى نفسه على يد مربٍ ومرشد، فخبر مراتب النفس وأمراضها ووساوسها وعرف أساليب الشيطان ومداخله. وآفات كل مرحلة من مراحل السير، وطرائق معالجة كل ذلك بما يلائم حالة كل شخص وأوضاعه.

٤ – **وأما الشرط الرابع**: فلا بد للمرشد من أن يكون قد أجيز من شيخه بهذه التربية وهذا السير، فمن لم يشهد له الأخصّائيون بعلم يدّعيه لا يحق له أن يتصدر فيه. فالإجازة: هي شهادة أهلية الإرشاد وحيازة صفاته، وعليها أسست الآن فكرة المدارس والجامعات، فكما لا يجوز لمن لا يحمل شهادة الطب أن يفتح عيادة لمداواة المرضى، ولا يصح لغير المجاز في الهندسة أن يرسم مخططاً للبناء، وكما لا يجوز للذي لا يحمل شهادة أهلية التعليم أن يدرس في المدارس والجامعات، فكذلك لا يجوز أن يدعي الإرشاد غير مأذون له به من قبل مرشدين مأذونين مؤهلين، يتصل سندهم بالتسلسل إلى رسول الله [١].

وكما أنه لا يصح من العاقل أن يتداوى عند جاهل الطب، كذلك لا يجوز للمرء أن يركن إلى غير المرشد المأذون المختص بالتوجيه والإرشاد وكل من دَرَس الوضع العلمي في الماضي يعرف قيمة الإجازة من الأشياخ وأهمية التلقي عندهم، حتى إنهم أطلقوا على من لم يأخذ علمه من العلماء اسم (الصحفي)، لأنه أخذ علمه من الصحف والمطالعة الخاصة.

قال ابن سيرين رحمه الله تعالى: ﴿**إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم**﴾[٢].

---

١ – على غرار علماء الحديث الذين تناقلوا أحاديث رسول الله ﷺ بالسند رجلاً عن رجل إلى رسول الله ﷺ، واعتبروا السند أساساً لحفظ السنة النبوية من الضياع والتحريف ولهذا قال ابن المبارك: (الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء).

٢ – أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرين (١|٨٤) وابن حبان في المجروحين (١|٢٢).

وقد أوصى رسول الله ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما بذلك فقال: (يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك ودمك، فانظر عمن تأخذ، خذ الدين عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا)[1].

وقال بعض العارفين: (العلم روح تنفخ لا مسائل تنسخ، فليتنبه المتعلمون عمن يأخذون، وليتنبه العالمون لمن يعطون).

ثم اعلم أن من علامات المرشد أموراً يمكن ملاحظتها:

◆ **منها:** أنك إذا جالسته تشعر بنفحة إيمانية، ونشوة روحية، لا يتكلم إلا بالله، ولا ينطق إلا بخير، ولا يتحدث إلا بموعظة أو نصيحة، تستفيد من صحبته كماتستفيد من كلامه، تنتفع من قربه كما تنتفع من بعده، تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه.

◆ **ومنها:** أن تلاحظ في إخوانه ومريديه صور الإيمان والإخلاص والتقوى والتواضع، وتتذكر وأنت تخالطهم المُثُل العليا من الحب والصدق والإيثار والأخوة الخالصة، وهكذا يعرف الطبيب الماهر بآثاره ونتائج جهوده، حيث ترى المرضى الذين شفوا على يديه، وتخرجوا من مصحِّه بأوفر قوة، وأتم عافية.

علماً أن كثرة المريدين وقلتهم ليست مقياساً وحيداً، وإنما العبرة بصلاح هؤلاء المريدين وتقواهم وتخلصهم من العيوب والأمراض واستقامتهم على شرع الله تعالى.

◆ فالظفر به يدفع الطالب للأخذ بيده، والتزام مجالسه، والتأدب معه والعمل بنصحه وإرشاده، في سبيل الفوز بسعادة الدارين [2].

◆ وإذا أردت أخي القارئ زيادة في شروط المرشد والمريد فارجع إلى باب الصحبة من هذه الموسوعة ففيه ما يغني بإذن الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

---

١ - أخرجه الحافظ ابن عدي عن ابن عمر، كنز العمال (٣/١٥٢).
٢ - حقائق عن التصوف ص(٧٦-٨١).



الصحبة: هي الطريق الأسوى والسبب الأقوى في حصول ثمرة السلوك وبها يصل المملوك إلى درجات الملوك.

وورد في الأثر: الصحبة مع العاقل زيادة في الدين والدنيا والآخرة، والصحبة مع الأحمق نقصان في الدين والدنيا وندامة عند الموت وخسارة في الآخرة.

الأدلة على أهمية الصحبة من القرآن العظيم:

قال تعالى: ﴿**يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[1] والصادقون: هم الصفوة من المؤمنين الذين عناهم الله تعالى بقوله: ﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه**﴾[2].

قال تعالى: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾[3].

الخطاب هنا لرسول الله ﷺ من قبيل تعليم أمته وإرشادها.

وقال تعالى: ﴿**واتبع سبيل من أناب إليّ**﴾[4].

وقال تعالى: ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * ياويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً**﴾[5]. وقال تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض**

---

١ - سورة التوبة الآية (١١٩)

٢ - سورة الأحزاب الآية (٢٣).

٣ _ سورة الكهف الآية (٢٨).

٤ - سورة لقمان الآية (١٥).

٥ - سورة الفرقان الآية (٢٧-٢٨-٢٩).

عدو إلا المتقين﴾[1].

الأدلة على أهمية الصحبة من السنة الشريفة

١- قال رسول الله ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة)[2].

٢- عن حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت ياحنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله، ماتقول؟! قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً. قال أبو بكر رضي الله عنه: (فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يارسول الله فقال رسول الله ﷺ (وما ذلك؟) قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والضيعات، نسيناً كثيراً. قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ماتكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة -ثلاث مرات-)[3].

٣- عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[4].

٤- عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه قال: يارسول الله، الرجل يحب القوم ولايستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: (أنت يا أبا ذر مع من أحببت) قال فإني أحب الله ورسوله، قال: (فإنك مع من أحببت) قال: فأعادها أبو ذرّ، فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].

---

١ - سورة الزخرف الآية (٦٧).
٢ - أخرجه البخاري (٥٢١٤) ومسلم (٢٦٢٨).
٣ - أخرجه مسلم (٢٧٥٠).
٤ - أخرجه أبو داود (٤٨٣٣).
٥ - أخرجه أبو داود (٥١٢٦).

٥- عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء، ولا شهداء،يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله) قالوا يارسول الله تخبرنا من هم؟ قال: (هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولاأموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنورٌ، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولايحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية ﴿**ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾[١].[٢]

٦- عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يارسول الله أي جلسائنا خير؟ قال: (من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم في الآخرة عمله)[٣].

٧- وعن سيدنا أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار[٤].

٨- ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله: رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه[٥].

٩- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لاتصاحب إلا مؤمناً، ولايأكل طعامك إلا تقي)[٦].

١٠- وعن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أعددت لها؟) قال: حب الله ورسوله قال: (أنت مع من أحببت)[٧].

---

١ - سورة يونس الآية (٦٣).
٢ - تقدم تخريجه ص (٣٧١).
٣ - أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد (١٠/٢٢٦).
٤ - أخرجه البخاري (١/٥٦) ومسلم (١٠٣١).
٥ - أخرجه البخاري (٢/١١٩) ومسلم (١٠١٣).
٦ - أخرجه الترمذي (٢٣٩٧) وأبو داود (٤٨٣٢) وصححه ابن حبان (٢٠٤٩).
٧ - أخرجه البخاري (١٠/٤٦٢) ومسلم (٢٦٣٩) وأبو داود (٥١٢٧) والترمذي (١٣٨٦).

أقوال العلماء في أهمية الصحبة

١ ـ الإمام الرفاعي قدس الله سره:

قال السيد أحمد الكبير الرفاعي قدس الله سره: (ذكر الله يثبت في القلب ببركة الصحبة (المرء على دين خليله)[1].

وقال أيضاً خطاباً دالاً على حرقته: ما الفائدة من علم بلا عمل؟ ما الفائدة من عمل بلا إخلاص؟ الإخلاص على حافة الطريق، من ينهض بك إلى العمل! من يداويك من سم الرياء من يدلك على الطريق الأمين من بعد الإخلاص؟ ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[2]. هكذا أنبأنا العليم الخبير.

وذكر رضي الله عنه صفة الصاحب فقال:

اصحب من الإخوان من قلبه ... أصفى من الياقوت والجوهر
ومن إذا سرك أودعته ... لم يظهر السر إلى المحشر
ومن إذا أذنبت ذنباً أتى ... معتذراً عنك كمستغفر
ومن إذا غبت عن عينه ... أقلقه الشوق ولم يصبر

أين هذا الأخ، وأين الأخوة الحقيقية!؟ ماهم إلا كعنقاء الزمان، لكن مالايدرك كله لايترك كله، فيلزم على الداخل تحت تربية المرشد أن يكون مراعياً لإخوانه محباً لهم ولايخص نفسه بشيء دونهم، ويحب لهم ما يحب لنفسه، ويعودهم إذا مرضوا، ويسأل عنهم إذا غابوا، وليبتدرهم بالسلام وطلاقة الوجه ويراهم خيراً منه يطلب منهم الرضا، ولايزاحمهم علىأمر دنيوي، ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم، يتعاون معهم على حب الله وليجعل رأس ماله مسامحة إخوانه[3].

٢ ـ الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي قدس الله سره:

وقال الشيخ الأكبر محي الدين في كتابه الوصايا: (عليك بمجالسة من تنتفع

١ - تقدم تخريجه ص (٣٩٤) بلفظ الرجل...
٢ - سورة النحل الآية (٤٣).
٣ - السير والمساعي ص(١١١-١١٣) بتصرف يسير.

بمجالسته في دينك من علم تستفيده منه، أو عمل يكون فيه، أو خلق حسن يكون عليه، فإن الإنسان إذا جالس من تُذَكِّر مجالسته الآخرة فلابد أن يتحلى منها بقدر ما يوفقه الله لذلك)[1].

٣ ـ الإمام الشيخ علي الخواص:

قال رضي الله عنه:

لاتسلكن طريقاً لست تعرفها ... بلا دليل فتهوي في مهاويها(٢)

لأن الدليل والمرشد يوصل السالك إلى ساحل الأمان ويجنبه مزالق الأقدام ومخاطر الطريق، وذلك لأن هذا الدليل المرشد قد سبق له سلوك الطريق على يد دليل عارف بخفايا السير واطلع على مجاهله ومآمنه، فلم يزل مرافقاً له، حتى أوصله إلى الغاية المنشودة ثم أذن له بإرشاد غيره وإلى هذا أشار ابن البنا في منظومته:

وإنما القوم مسافرونا ... لحضرة الحق وظاعنونا

فافتقروا فيه إلى دليل ... ذي بصر بالسير والمقيل

قد سلك الطريق ثم عاد ... ليخبر القوم بما استفاد(٣)

٤ ـ الشيخ أبو مدين رضي الله عنه:

وقال سيدي أبو مدين: (من لم يأخذ الآداب من المتأدبين، أفسد من يتبعه)[4].

٥ ـ الشيخ أبو حامد الغزالي:

قال: يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه، قاده الشيطان إلى طرقه لامحالة. فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، فمعتصم المريد شيخه فليتمسك به)[5].

---

١ – كتاب الوصايا للشيخ ابن عربي ص (٤٥).
٢ – المنن للشعراني (١/٥١)؟
٣ – أحمد بن محمد التجيبي المعروف بابن البنا، الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية (١/١٤٢).
٤ – النصرة النبوية ص (١٣).
٥ – الإحياء للغزالي (٣/٦٥).

وقال أيضاً رضي الله عنه: (كنت في مبدأ أمري منكراً لأحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى صحبت شيخي (يوسف النساج) فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات، فرأيت الله تعالى في المنام، فقال لي: يا أبا حامد، دع شواغلك، واصحب أقواماً جعلتهم في أرضي محل نظري وهم الذين باعوا الدارين بحبي، قلت: بعزتك إلا أذقتني برد حسن الظن بهم، قال: قد فعلت، والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا، فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً، فقد أفضت عليك أنواراً من جوار قدسي. فاستيقظت فرحاً مسروراً وجئت إلى شيخي (يوسف النساج) فقصصت عليه المنام، فتبسم وقال: يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية، بل إن صحبتني ستكحل بصيرتك بإثمد التأييد...الخ)[1].

وقال أيضاً: (إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولايرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق:

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه، ويتبع إشاراته في مجاهداته، وهذا شأن المريد مع شيخه، والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه، ويعرفه طريق علاجها....الخ)[2].

وقال أيضاً مؤكداً على اتباع المرشد: (فما يجب في حق سالك طريق الحق أن يكون له مرشد ومرب ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة، ومعنى التربية أن يكون المربي كالزارع الذي يربي الزرع، فكلما رأى حجراً أو نباتاً مضراً بالزرع قلعه وطرحه خارجاً، ويسقي الزرع مراراً إلىأن ينمو ويتربى، ليكون أحسن من غيره، وإذا علمت أن الزرع محتاج للمربي علمت أنه لابد للسالك من مرشد البتة لأن الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلاً لهم ويرشدوهم إلىالطريق المستقيم، وقبل انتقال المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نواباً عنه ليدلوا الخلق إلى طريق

---

١ - شخصيات صوفية لطه عبد الباقي سرور ص (١٥٤).

٢ - الإحياء للغزالي (٣|٥٥).

ا لله وهكذا إلى يوم القيامة، فالسالك لايستغني عن المرشد البتة)[1].

٦ ـ الإمام ابن عطاء الله السكندري:

قال رضي ا لله عنه: (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق، تارك لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه فإذا وجده فليمتثل ما أمر، ولينته عما نهى عنه وزجر)[2].

وقال أيضاً: (لاتصحب من لاينهضك حاله ولايدلك على ا لله مقاله)[3].

وقال أيضاً: (ليس شيخك من سمعت منه، وإنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته، وإنما شيخك الذي سرت فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، وإنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله، وإنما شيخك الذي نهض بك حاله.

شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى، شيخك هو الذي مازال يجلو مرآة قلبك، حتى تجلت فيها أنوار ربك، أنهضك إلى ا لله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه، ومازال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزجَّ بك في نور الحضرة وقال: هاأنت وربك)[4].

٧ـ الشيخ عبد الوهاب الشعرا ني:

قال رحمه ا لله تعالى في كتابه العهود المحمدية: (أُخذ علينا العهد العام من رسول ا لله ﷺ أن نواظب على الركعتين بعد كل وضوء بشرط أن لانحدث فيهما أنفسنا بشيء من أمور الدنيا أو بشيء لم يشرع لنا في الصلاة. ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به حتى يقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب ا لله تعالى...فاسلك ياأخي على يد شيخ ناصح، يشغلك با لله تعالى، حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك: أروح لكذا، أفعل كذا، أقول كذا، أونحو ذلك،

---

١ – خلاصة التصانيف في التصوف لحجة الإسلام الغزالي ص (١٨).

٢ – مفتاح الفلاح ص(٣٠).

٣ – إيقاظ الهمم في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة (٧٠٩)هـ لأحمد بن عجيبة الحسني (٧٤/١).

٤ – لطائف المنن ص(١٦٧).

وإلا فَمِنْ لازِمِكَ حديث النفس ولايكاد يسلم لك منه صلاة واحدة ولافرض ولانفل، فاعلم ذلك، وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ، كما عليه طائفة المجادلين بغير علم، فإن ذلك لايصح لك أبداً)[1].

وقال رضي الله عنه: (ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخذ أدبهما عن شيخ مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم: (كل من قال: إن ثم طريقاً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عز وجل) فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان: (قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب) وأثبتا طريق القوم ومدحاها)[2].

وقال أيضاً: (وكانت صورة مجاهداتي لنفسي من غير شيخ أنني كنت أطالع كتب القوم كرسالة القشيري، وعوارف المعارف، والقوت لأبي طالب المكي، والإحياء للغزالي ونحو ذلك، وأعمل بما ينقدح لي من طريق الفهم، ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك فأترك الأول وأعمل بالثاني.... وهكذا، فكنت كالذي يدخل درباً لايدري هل ينفذ أم لا؟ فإن رآه نافذاً خرج منه، وإلا رجع، ولو أنه اجتمع بمن يعرّفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بين له أمره وأراحه من التعب، فهذا مثال من لاشيخ له، فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد، ومن سلك من غير شيخ تاه، وقطع عمره و لم يصل إلى مقصوده لأن مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة)[3].

وقال أيضاً: (وكفى شرفاً لأهل الطريق قول سيدنا موسى عليه السلام، للخضر: ﴿**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً**﴾[4].

واعتراف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه لأبي حمزة البغدادي بالفضل عليه، واعتراف الإمام أحمد بن سريج رحمه الله تعالى لأبي القاسم الجنيد، وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدله على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام، وكذلك

---

١ – لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للعارف بالله عبد الوهاب الشعراني (١/٥١).
٢ – لطائف المنن والأخلاق للإمام الشعراني(١/٢٥).
٣ – لطائف المنن والأخلاق (١/٤٨-٤٩).
٤ – سورة الكهف الآية (٦٦).

طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنه لقب بسلطان العلماء... وكان رضي الله عنه يقول: ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه، فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى شيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى)[1].

٨ ـ الشيخ محمد الهاشمي:

قال رحمه الله تعالى: (فاسلك يا أخي على يد شيخ حي عارف بالله، صادق، ناصح، له علم صحيح، وذوق صريح، وهمة عالية وحالة مرضية، سلك الطريق على يد المرشدين، وأخذ أدبه عن المتأدبين، عارف المسالك ليقيك في طريقك المهالك ويدلك على الجمع على الله، ويعلمك الفرار من سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله، يوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فإذا عرفته أحببته، وإذا أحببته جاهدت فيه، وإذا جاهدت فيه هداك لطريقه، واصطفاك لحضرته. قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[2] فصحبة الشيخ والاقتداء به واجب والأصل فيه قوله تعالى: ﴿**واتبع سبيل من أناب إلي**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[4]. ومن شرطه أيضاً أن يكون له الإذن في تربية الخلق من مرشد كامل ذي بصيرة نافذة، ولايقال: أين من هذا وصفه؟ لأنا نقول كما قال ابن عطاء الله السكندري في لطائف المنن: (لايعوزك وجود الدالين، وإنما يعوزك وجود الصدق في طلبهم) جدّ صدقاً تجد مرشداً.

**لكن سرّ الله في صدق الطلب		كم رِيءَ[5] في أصحابه من العجب**

وقال في لطائف المنن أيضاً: إنما يكون الاقتداء بولي دلك الله عليه، وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته، فألقيت إليه القياد فسلك بك إلى سبيل الرشاد...الخ.

وقال ابن عطاء الله في حكمه: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من

---

١ – لطائف المنن والأخلاق (١/٥٠).
٢ – سورة العنكبوت الآية (٦٩).
٣ – سورة لقمان الآية (١٥).
٤ – سورة التوبة الآية (١١٩).
٥ – على وزن (قيل) مبني للمجهول.

حيث الدليل عليه و لم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)[١].

٩ ـ الإمام ابن حجر الهيتمي:

قال رحمه الله تعالى في كتابه الفتاوى الحديثية: (والحاصل أن الأولى بالسالك قبل الوصول إلى هذه المعارف أن يكون مديماً لما يأمره به أستاذه الجامع لطرفي الشريعة والحقيقة، فإنه هو الطبيب الأعظم فبمقتضى معارفه الذوقية وحكمه الربانية يعطي كل بدن ونَفْس مايراه هو اللائق بشفائها، والمصلح لغذائها)[٢].

١٠ ـ الإمام فخر الدين الرا زي:

قال رحمه الله تعالى في تفسيره عند تفسير سورة الفاتحة (الباب الثالث في الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة (الفاتحة) فيه مسائل... اللطيفة الثالثة: قال بعضهم: إنه لما قال: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ لم يقتصر عليه بل قال: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ وهذا يدل على أن المريد لاسبيل له إلى الوصول إلىمقامات الهداية والمكاشفة إلا إذا اقتدى بشيخ يهديه إلىسواء السبيل، ويجنبه عن مواقع الأغاليط والأضاليل، وذلك لأن النقص غالب على أكثر الخلق، وعقولهم غير وافية بإدراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط، فلا بد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل الكامل، فحينئذ يصل إلى مدارج السعادات ومعارج الكمالات)[٣].

١١ ـ الإمام ابن قيم الجوزية:

قال رحمه الله تعالى: (فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل، فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإذا كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً... فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإذا وجده كذلك فليبتعد عنه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى، واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره، فليستمسك بغرزه)[٤].

---

١ – شرح شطرنج العارفين (١٤).
٢ – الفتاوى الحديثية ص (٥٥).
٣ – تفسير مفاتيح الغيب (١/١٤٢).
٤ – الوابل الصيب من الكلم الطيب ص(٥٣).

١٢ـ الشيخ أبو علي الثقفي:

قال رحمه الله تعالى: (لوأن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه عن آمر له وناه، ويريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات)(١).

١٣ـ الشيخ إبراهيم الباجوري:

قال رحمه الله تعالى عند شرحه كلام الشيخ إبراهيم اللقاني صاحب جوهرة التوحيد:

**وكن كما كان خيار الخلق		حليف حلم تابعاً للحق**

(أي كن متصفاً بأخلاق مثل الأخلاق التي كان عليها خيار الخلق... وإذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كانت أنضج لقولهم: حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل، فينبغي للشخص أن يلزم عارفاً على الكتاب والسنةبأن يزنه قبل الأخذ عنه، فإن وجده على الكتاب والسنة لازمه، وتأدب معه، فعساه يكتسب من حاله مايكون به صفاء باطنه، والله يتولى هداه)(٢).

١٤ـ الإمام الطيبي:

قال رحمه الله تعالى: (لاينبغي للعالم، ولو تبحر في العلم حتى صار أوحد أهل زمانه أن يقنع بما علمه، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الطريق المستقيم، حتى يكون ممن يحدثهم الحق في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، ويخلص من الأدناس، وأن يتجنب ما شاب عليه من كدورات الهوى وحظوظ نفسه الأمارة بالسوء، حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه والاقتباس من مشكاة أنوار النبوة، ولايتيسر ذلك عادة إلا على يد شيخ كامل عالم بعلاج أمراض النفوس، وتطهيرها من النجاسات المعنوية، وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً ليخرجه من رعونات نفسه الأمارة بالسوء ودسائسها الخفية، فقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان شيخاً له،

---

١ – طبقات الصوفية ص (٣٦٥).

٢ – شرح جوهرة التوحيد ص (١٣٣).

يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من دخول حضرة ا لله بقلبه، ليصح حضوره وخشوعه في سائر العبادات من باب مالايتم الواجب إلا به فهو واجب،ولاشك أن علاج أمراض الباطن واجب فيجب على كل من غلبت عليه الأمراض أن يطلب شيخاً يخرجه من كل ورطة، وإن لم يجد في بلده أو إقليمه وجب عليه السفر إليه)[1].

١٥ ـ الشيخ ابن أبي جمرة:

شرح الإمام الحافظ المحدث الورع أبو محمد عبدا لله بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي حديث رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم: عن عبدا لله بن عمر رضي ا لله عنهما قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: (أحي والداك؟ قال: نعم قال: ففيهما فجاهد)[2]. وبعد أن بيَّن عشرة وجوه له. قال في الوجه العاشر: (فيه دليل على أن الدخول في السلوك والمجاهدات، السنة فيه أن يكون على يد عارف به فيرشد إلى ماهو الأصلح فيه، والأسدُّ بالنسبة إلى حال السالك، لأن هذا الصحابي رضي ا لله عنه لما أراد الخروج إلى الجهاد لم يستبد برأي نفسه في ذلك حتى استشار من هو أعلم منه وأعرف، هذا ماهو في الجهاد الأصغر فكيف به في الجهاد الأكبر؟!)[3].

١٦ ـ الشيخ عبد الواحد بن عاشر:

قال رحمه ا لله تعالى في منظومة العقائد وعبادات فقه مالك المسماة (المرشد المعين) مبيناً ضرورة صحبة الشيخ المرشد وما تفتح من آثار طيبة:

يصحب شيخاً عارف المسالك ... يقيه في طريقه المهالك
يذكّر ا لله إذا رآه ... ويوصل العبد إلى مولاه
يحاسب النفس على الأنفاس ... ويزن الخاطر بالقسطاس
ويحفظ المفروض رأس المال ... والنفل ربحه به يوالي
ويكثر الذكر بصفو لبه ... والعون في جميع ذا بربه

---

١ - تنوير القلوب ص(٤٤-٤٥).
٢ - أخرجه ابن أبي شيبة (٧ - كتاب ٣١ - باب ١٤٦ - رقم ٢).
٣ - بهجة النفوس مختصر صحيح البخاري (٣/١٤٦).

يجاهد النفس لرب العالمين	ويتحلى بمقامات اليقين
يصير عند ذاك عارفاً به	حراً وغيره خلا من قلبه
فَحَبَّه الإله واصطفاه	لحضرة القدوس واجتباه

قال شارح هذه المنظومة الشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي في كتابه (النور المبين على المرشد المعين): (إن من نتائج صحبة الشيخ السالك، مايحصل لمريده من أنه يذكّره الله أي يكون سبباً قوياً في ذكر المريد ربه إذا رأى الشيخ لما عليه من المهابة التي ألبسه الله إياها ويشهد لذلك ماورد عن سيدنا أنس رضي الله عنه: (أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى لرؤيتهم)[1].

ومن ثمرة صحبة هذا الشيخ السالك أيضاً أنه يوصل العبد إلى مولاه بسبب مايريه من عيوب نفسه ونصحه بالهروب من غير الله إلى الله تعالى، فلايرى لنفسه ولا لمخلوق نفعاً ولاضراً، ولايركن لمخلوق في دفع أو جلب، بل يرى جميع الانقلابات والتصرفات في الحركات والسكنات لله تعالى، وهذا معنى الوصول إلى الله تعالى.

ففائدة الشيخ مع المريد هي إظهار العيوب القاطعة عن الله تعالى للمريد، فيشخصها له ويريه دواءها. ولايتم هذا إلا مع مريد صادق ألقى مقاليد نفسه لشيخه وألزم نفسه ألا يكتم خاطراً ما عن شيخه وأما إذا كتمه ولو واحداً فلا ينتفع بشيخه البتة)[2].

١٧ ـ الأمير عبد القادر الجزائري:

قال رحمه الله تعالى في كتابه "المواقف": قال الله تعالى حاكياً قول موسى لخضر عليهما السلام: ﴿**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً**﴾[3]، اعلم أن المريد لاينتفع بعلوم الشيخ وأحواله إلا إذا انقاد له الانقياد التام، ووقف عند أمره ونهيه، مع اعتقاده الأفضلية والأكملية، ولايغني أحدهما عن الآخر، كحال بعض

١ – أخرجه أبو يعلى (٢٤٣٧) بلفظ: قيل يارسول الله: أيُّ جلسائنا خير؟ قال: (من ذكركم الله رؤيتُه)، ومن زاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله»، وابن المبارك في الزهد (٢١٨) ورواه الطبراني (١٢٣٢٥) ورجاله ثقات كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٧٨).

٢– النور المبين على المرشد المعين ص(١٧٨).

٣ – سورة الكهف الآية (٦٦).

الناس يعتقد في الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه في نيل غرضه، وحصول مطلبه، وهو غير متمثل ولافاعل لما يأمره الشيخ به، أوينهاه عنه. فهذا موسى عليه السلام مع جلالة قدره وفخامة أمره، طلب لقاء الخضر عليه السلام وسأل السبيل إلى لقيه، وتجشم مشاق ومتاعب في سفره، كما قال: ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾[1]. ومع هذا كله لما لم يمتثل نهياً واحداً وهو قوله: ﴿**فلاتسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً**﴾[2]. ما انتفع بعلوم الخضر عليه السلام، مع يقين موسى عليه السلام الجازم أن الخضر أعلم منه بشهادة الله تعالى، لقوله تعالى عندما قال موسى عليه السلام: ﴿**لاأعلم أحداً أعلم مني: بلى عبدنا خضر**﴾ وماخص علماً دون علم، بل عمم وكان موسى عليه السلام أولاً ما علم أن استعداده لايقبل شيئاً من علوم الخضر عليه السلام وأما الخضر عليه السلام، فإنه علم ذلك أول وهلة فقال: ﴿**إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾[3]. وهذا من شواهد علمية الخضر عليه السلام فلينظر العاقل إلى أدب هذين السيدين. قال موسى عليه السلام: ﴿**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً**﴾ أي: هل تأذن في اتباعك لأتعلم منك؟ ففي هذه الكلمات من حلاوة الأدب مايذوقها كل سليم الذوق قال الخضر عليه السلام: ﴿**فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً**﴾ وما قال: فلاتسألني وسكت فيبقى موسى عليه السلام حيران متعطشاً، بل وعده أنه يحدث له ذكراً أي: علماً بالحكمة فيما فعل، أو ذكراً بمعنى تذكيراً.

فأكملية الشيخ في العلم المطلوب منه المقصود لأجله لاتغني عن المريد شيئاً إذا لم يكن ممتثلاً لأوامر الشيخ، مجتنباً لنواهيه:

وماينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة

وإنما ينفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة إلى المقصود وإلا فالشيخ لايعطي المريد إلا ما أعطاه له استعداده، واستعداده مُنْطو فيه وفي أعماله، كالطبيب الماهر إذا حضر المريض وأمره بأدوية فلم يستعملها المريض، فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب؟ وعدم امتثال المريض دليل على أن الله تعالى ما أراد شفاءه من

١ – سورة الكهف الآية (٦٢).
٢ – سورة الكهف الآية (٧٠).
٣ – سورة الكهف الآية (٦٧).

علته،فإن ا لله إذا أراد أمراً هيأله أسبابه، وإنما وجب على المريد طلب الأكمل والأفضل من المشايخ خشية أن يلقي قياده بيد جاهل بالطريق الموصل إلى المقصود، فيكون ذلك عوناً على هلاكه)[1].

١٨ ـ الشيخ أحمد زروق:

قال رحمه ا لله تعالى: (أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه دونهم: **﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾**[2]. **﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾**[3] فلزمت المشيخة، سيما والصحابة أخذوا عنه ﷺ، وقد أخذ هو عن جبريل، واتبع إشارته في أن يكون عبداً نبياً، وأخذ التابعون عن الصحابة، فكان لكل أتباع يختصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج من أبي هريرة، وطاوس ووهب ومجاهد لابن عباس، إلىغير ذلك، فأما العلم والعمل فأخذه جلي فيما ذكروا كما ذكروا. وأما الإفادة بالهمة والحال، فقد أشار إليها أنس بقوله: (مانفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام حتى أنكرنا قلوبنا)[4].

فأبان أن رؤية شخصه الكريم كانت نافعة لهم في قلوبهم، إذ من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها، فلذلك أمر بصحبة الصالحين، ونهى عن صحبة الفاسقين)[5].

فالطبع يسرق من الطبع، وما أسرع أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه وللعدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام، بل إن الرَّوح الذي يسود المجلس قد يكون مصدره من شخص قوي، يغمر من حوله بفيض مما يتفجر من باطنه.

وقد شوهدا أن عدوى السيئات أشد سرياناً وأقوى فتكاً من عدوى الحسنات، ففي أحيان كثيرة تنتقل عدوى التدخين من المصاب بها إلى البريء منها، ويندر أن يقع العكس.

---

١ – المواقف (١|٣٠٥).

٢ – سورة العنكبوت الآية (٤٩).

٣ – سورة لقمان الآية (١٥).

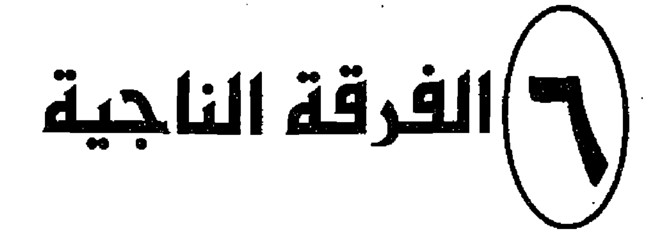
٤ – أخرجه ابن ماجه (١٦٣١).

٥ – قواعد التصوف لأحمد زروق القاعدة (٦٥).

فالصداقة يجب أن تعتمد على قوة العقائد وسمو الأعمال، وخير من يستديم المرء عشرتهم، ويستبقي للدنيا والآخرة مودتهم، أولئك الذين عناهم الأثر: (من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته، ووجبت أخوته[1].



١ - خلق المسلم ص٢٠٢ بتصرف.



٦ الفرقة الناجية

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**)[١].

وقد تكلم المحدثون في سند هذا الحديث ومتنه وأعلّوه فلم يصل عندهم إلى رتبة الصحة التي يسوغ معها الاحتجاج به علمياً، وعلى تقدير صحة الحديث فإننا نقول:

إن من المُسَلَّم به أن تعدد السبل إلى المقصد الواحد أمر طبيعي وشرعي، فلا ينسحب عليه حكم: (تعدد الفرق والعقائد) لأن الذي يطلق عليها تجاوزاً أو مجازاً اسم (الفرق) في الإسلام، كلها دائرة في فلك الكتاب والسنة فهي على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فهي "مذاهب" أو "مشارب" أو "سبل" تبتدئ من الشهادتين وتنتهي عند حقهما فالسادة الشافعية والمالكية والأحناف والحنابلة والزيدية والظاهرية والإمامية والهادوية والصوفية والسلفية والأشعرية والماتريدية والمعتزلة المعتدلون، كل هؤلاء وأمثالهم يسيرون في طريق واحد على أساليب مختلفة مع اتحاد المضمون، وهذه نتيجة طبيعية للاستنباط والمقارنة والبحث والنقل والتلقي في حدود الكتاب والسنة.

هذه الأساليب هي السبل الشرعية التي هداهم الله إليها بقوله تعالى:

﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[٢]، والتي سماها الله تعالى: ﴿**سبل السلام**﴾[٣]، وهي سبل الله الواحد كما جاء على لسان الأنبياء ﴿**وقد هدانا سبلنا**﴾[٤]...

---

١ – أخرجه ابن ماجه (٣٩٩١).
٢ – سورة العنكبوت (٦٩).
٣ – سورة المائدة الآية (١٦).
٤ – سورة إبراهيم الآية (١٢).

ويلحق بهؤلاء جميعاً سائر الهيئات والجماعات الإسلامية السليمة المنتشرة في بقاع الأرض.

ثم لماذا؟ وبأي دليل؟ نطبق هذا الحديث على الطرق الصوفية وحدها ولا نطبقه على الجمعيات والهيئات الإسلامية والروابط المعاصرة وفروعها الأخرى، وهي أضعاف هذا العدد؟.

وإنما ينطبق هذا الحديث "على فرض صحته" على أمثال غلاة الخوارج، والباطنية والقرامطة والبهائية، والقاديانية، ونحو هؤلاء من الفرق التي ذكرها أصحاب كتب "الملل والنحل" ممن خالفوا الأصول عمداً، وأنكروا المعلوم من الدين بالضرورة.

وليس في طوائف الصوفية خاصة وفي بقية الطوائف الإسلامية عامة من خالف الأصول عمداً أو أنكر المعروف من الدين بالضرورة.

ربما كان فيهم المقصرون أو المنحرفون أو العصاة، وهذا لا يخرجهم من الدين ولا يسحب إليهم حكم الفرق الكافرة.

فبعض الفرق أشد غلواً وانحرافاً وتطرفاً وانجرافاً مع هذا فهي مسلمة، فالمعصية شيء والردة شيء آخر.

ثم إنه قد ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم (وتفترق أمتي) أمةُ الدعوة لا أمة الإجابة والفرق بينهما أن أمة الدعوة هي من بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم سواء آمن به أم كفر، جناً وإنساً منذ بعثه إلى يوم القيامة فهو صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وشريعته ناسخة لما قبلها.

وأمة الإجابة: هي كل من آمن به وأقر بأنه لا إله إلا الله وأن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. سواء الظالم منهم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ولا يعارض هذا أن بعضهم يعذب عذاب تطهير وإعداد إن احتاج إليه و لم تشمله رحمة الله الواسعة ولا شفاعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير، وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا**

الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾**[1].

وأخرج الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلهم ناجٍ وهي هذه الأمة).

فأصحاب الجنة هم الذين فصلتهم آيات فاطر إلى ثلاثة ويدخل فيها جميع الفئات والمذاهب والجماعات التي لا تخالف أو تنكر معلوماً من الدين بالضرورة وقد مرَّ معنا ذكر بعض هذه الجماعات في بداية البحث وكلهم داخلون في قوله صلى الله عليه وسلم: (.... ما عليه أنا وأصحابي)[2].

وفي الرواية الأخرى: (كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)[3].

وأصحاب النار في الآية هم الذين كفروا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقروا بنسخ شريعته لما هم عليه وكونه بُعث إليهم أيضاً فهم يعتبرون بذلك من أمة الدعوة الإسلامية (المحمدية) لا من أمة الإجابة لأنهم لم يدخلوا الإسلام.

ولا يخفى على كل من علم أوليات أحكام الإسلام بأن ملة الكفر واحدة وملة الإسلام واحدة ولكن الحق واحد لا يتعدد والتعدد إنما وقع في ملة الكفر لا أمة الإجابة لقوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾**[4].

ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) قالوا: يا رسول الله ومن أبى؟ قال: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)[5].

وإني أرى في هذا القول جمعاً لشتات المسلمين وسداً لباب التكفير والتضليل بين صفوفهم وهذا ما ينبغي أن نسعى إليه في هذا الزمان الممزق.

---

١ – سورة فاطر الآية (٣٢) وما بعدها.

٢ – أخرجه الطبراني في الكبير (٤١٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢٩٣).

٣ – أخرج هذه الرواية الترمذي (٢٦٤١).

٤ – سورة الأنعام الآية (١٥٣).

٥ – أخرجه البخاري (٦٨١٥).



تعريف الورد

الورد بالكسر، كما في المصباح: الوظيفة من قراءة ونحو ذلك، والجمع أوراد، يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحاً بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب. والوارد في اللغة: هو الطارق القادم، يقال: ورد علينا فلان أي قدم، وفي الاصطلاح: ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من التفحات الإلهية فيكسبه قوة محركة وربما يدهشه أويغيبه عن حسه ولايكون إلا بغتة ولايدوم على صاحبه.

والورد يضم ثلاثة صيغ من صيغ الذكر المطلوبة شرعاً، والتي دعا إليها كتاب الله عز وجل، وبينت السنة الشريفة فضلها ومثوبتها:

١- كلمة التوحيد بصيغة: [لاإله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير]. مائة مرة، أو [لاإله إلا الله] فقط، مائةمرة مع التفكير بأنه لاخالق ولارازق ولانافع ولاضار ولاقابض ولاباسط...إلا الله وحده، مع محاولة محو مايسيطر على القلب من حب الدنيا والأهواء والشهوات والوساوس والشواغل والعلائق والعوائق الكثيرة حتى يكون القلب لله وحده لالسواه.

ولهذا دعانا الله تعالى إلى هذا التوحيد الخالص فقال: ﴿**فاعلم أنه لاإله إلا الله**﴾[1]. وكذلك رغبنا رسول الله ﷺ في الإكثار من ترداد كلمة التوحيد وبين أفضليتها ومثوبتها فقال: (أفضل الذكر لاإله إلا الله)[2].

ويقول العلامة ابن علان في شرح هذا الحديث: (إنها [أي لاإله إلا الله] تؤثر تأثيراً بيناً في تطهير القلب عن كل وصف ذميم راسخ في باطن الذاكر، وسببه أن

---

١ - سورة محمد الآية (١٩).

٢ - أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) والنسائي في (عمل اليوم والليلة) (٨٣١) والحاكم (١|٥٠٣) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٣٨٠٠) وابن حبان -(٨٤٦).

(لاإله) نفي لجميع أفراد الآلهة، و(إلا ا لله) إثبات للواحد الحق الواجب لذاته المنزه عن كل مالايليق بجلاله، فبإدمان الذكر لهذه المقولة ينعكس الذكر من لسان الذاكر إلىباطنه، حتى يتمكن فيه فيضيئه ويصلحه ثم يضيئ ويصلح سائر الجوارح ولذا أمر المريد وغيره بإكثارها والدوام عليها)[1].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: (جددوا إيمانكم، قيل: يارسول ا لله كيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لاإله إلا ا لله)[2].

وقال ﷺ أيضاً: (من قال: لاإله إلا ا لله وحده لاشريك له،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه)[3].

٢- الاستغفار: بصيغة [استغفر ا لله] مائة مرة بعد محاسبة النفس على الزلات لتعود صفحة الأعمال نقية بيضاء، وقد أمرنا ا لله تعالى بذلك بقوله: ﴿**وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند ا لله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا ا لله إن ا لله غفور رحيم**﴾[4].

وقال تعالى أيضاً: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً**[5]﴾.

وقد كان رسول ا لله ﷺ يكثر من الاستغفار تعليماً لأمته وتوجيهاً كما روى سيدنا أبو هريرة رضي ا لله عنه قوله: (وا لله إني لأستغفر ا لله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[6].

وعن سيدنا عبد ا لله بن بسر رضي ا لله عنه قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول:

---

١ - من كتاب الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للعلامة ابن علان الصديقي (١/٢١٣).
٢ - أخرجه أحمد في المسند (٢/٣٥٩).
٣ - أخرجه مسلم (٢٦٩١)، والترمذي (٣٣٩٠).
٤ - سورة المزمل الآية (٢٠).
٥ - سورة نوح الآية (١٠-١١-١٢).
٦ - أخرجه البخاري (٥٩٤٨) وابن ماجه (٣٨١٦).

(طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً)[1].

٣- الصلاة على النبي ﷺ بصيغة: [اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم[2]] مائة مرة مع استحضار عظمته ﷺ وتذكر صفاته وشمائله والتعلق بجنابه الرفيع محبة وتشوقاً. ولامانع أن يصلي عليه بأي صيغة كانت.

وقد أمرنا الله تعالى بذلك بقوله: **﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾**[3].

وكذلك رغب رسول الله ﷺ بكثرة الصلاة والسلام عليه فقال: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً)[4].

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر سيئات، ورفعت له عشر درجات)**[5].

وقال ﷺ **أيضاً:** (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة)[6].

مع الملاحظة أن هذا الورد يكون في الصباح والمساء في جلسة يخلو فيها العبد بربه، وبذلك يكون قد افتتح نهاره بذكر الله تعالى وختمه بذكره وطاعته، ولعله يكون من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[7].

ولاينبغي للسالك في طريق أهل الله أن يكون ورده مقصوراً على العدد المذكور بل ينبغي له أن يزيد ذكره لله تعالى، لأن قلب السالك في ابتداء سيره كالطفل الصغير، فكما أن الطفل كلما كبر زيدت له كمية الغذاء كذلك كلما كبر المريد في سيره إلى

---

١ – أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) في الأدب،وقال في الزوائد إسناده صحيح ورجاله ثقات.
٢ – رواه أبو داود (٩٨١) ورواه الحاكم (١/٢٦٨) والبيهقي في السنن (٢/١٤٦) وابن خزيمة (٧١١) وابن حبان (١٩٥٩).
٣ – سورة الأحزاب الآية (٥٦).
٤ – أخرجه النسائي (١٢٩٦).
٥ – أخرجه النسائي في (١٢٩٦).
٦ – أخرجه الترمذي (٤٨٤) وابن حبان (٩١١).
٧ – سورة الأحزاب الآية (٣٥).

ا لله تعالى زاد ذكره لله، لأن الذكر غذاء لقلبه وحياة له. مع مراعاة إرشادات شيخه، حتى يبقى دائماً في حالة اطمئنان وسكينة وثبات.

والورد كله بأمر من ا لله عز وجل وبأمر من سيدنا محمد ﷺ من الاستغفار، ومن الصلاة على سيدنا رسول ا لله ﷺ، ومن قول لاإله إلا ا لله، فليس لأحد أن ينكره أو يتركه، فمن أنكر فلجهله، ومن حرم الأوراد في بدايته حرم الواردات في نهايته، فعليك بالأوراد ولو بلغت المراد.

والذكر مع وجود الغفلة سبب قلة الذكر، فلا بد من كثرة الذكر حتى تنقل إلى الحضور ﴿**اذكروا ا لله ذكراً كثيراً**﴾[1]، وهذا صعب وليس بسهل، فلابد من المجاهدة، ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[2].

ولما كان الورد منهج وسبيل السالكين إلى ا لله تعالى وقف الشيطان في طريقهم يصدهم عن ذكرربهم سبحانه بمغاليطٍ خفية وحجج شتى وتلبيسات منوعة فقد زين الشيطان لبعض الذاكرين أن يتركوا الذكر بحجة أن ذكرهم لايسلم من الوساوس والذكر لايفيد إلا إذا كان الذاكر حاضر القلب مع ا لله تعالى، ولكن مرشدي الصوفية حذروا مريديهم من هذا المدخل الشيطاني الخطير. فقال أحد ساداتنا الإمام ابن عطاء ا لله السكندري رحمه ا لله تعالى: (لاتترك الذكر لعدم حضورك مع ا لله فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على ا لله بعزيز)[3].

وقد يترك بعض المريدين قراءة أورادهم محتجين بكثرة أشغالهم وأعمالهم وعدم فراغهم لها، ويوحي إليهم شيطانهم أن هذا عذر مشروع، ومبرر مقبول وأنه لابأس بتأجيل الأوراد لوقت الفراغ، ولكن المرشدين حذروا السالكين من الإهمال والتسويف وانتظار الفراغ لأن العمر سرعان ماينتهي، والمشاغل لاتزال في تجدد. قال الإمام ابن عطاء ا لله رحمه ا لله تعالى في حكمه:

١ - سورة الأحزاب الآية (٤١).

٢ - سورة العنكبوت الآية (٦٩).

٣ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم (٧٩/١).

(إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس). وقال الشارح ابن عجيبة رحمه الله تعالى: (فالواجب على الإنسان أن يقطع علائقه وعوائقه، ويخالف هواه، ويبادر إلى خدمة مولاه، ولاينتظر وقتاً آخر إذ الفقير (الصوفي) ابن وقته[1].

وإقامة الورد في وقته عند إمكانه لازم لكل صادق، فإذا عارضه عارض بماهو واجب من الأمور الشرعية لزم إنفاذه بعد التمسك بما هو فيه، من غير إفراط مخل بواجب الوقت، ثم يتعين تداركه بمثله لئلا يعتاد البطالة، ولأن الليل والنهار خلفة والأوقات كلها لله، فليس لك اختصاص وجه إلا من حيث ماخصص.

فمن ثم قال بعض المشايخ: ليس عند ربكم ليل ولا نهار يشير للكون بحكم الوقت لاكما يفهمه البطالون من عدم إقامة الورد، وقيل لبعضهم وقد رؤيت بيده سبحة: أتعد عليه؟ قال : لا ولكن له: فكل مريد أهمل أوقاته فبطّال، وكل مريد تعلق بأوقاته دون نظر للحكم الإلهي فهو فارغ من التحقيق، ومن لايعرف موارد الأحوال عليه فغير حاذق بل هو غافل.

ولذلك قيل: من وجد قبضاً أو بسطاً لايعرف له سبب فلعدم اعتنائه بقلبه وإلا فهما لايردان دون سبب والله أعلم[2].

وقد رأى رجل الإمام الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقال له: (أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة؟! فقال: نعم، سبب وصلنا إلى ماوصلنا فلا نتركه أبداً).

وقال الإمام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى: (لايستحقر الورد إلا جهول، الوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار، وأولى ما يعتنى به مالايخلف وجوده: الورد هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه؟)[3].

وإن المريد إذا ترك ورده بسبب من الأسباب السابقة ثم عاد إلى يقظته، والتزم عهده، فلا يقنط من رحمة ربه نتيجة تقصيره، بل عليه أن يتوب إلى الله تعالى، ثم يقضي ما فاته من الأوراد، لأنها تقضى كسائر العبادات والطاعات.

---

١ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم (٤٩أ).

٢ - قواعد التصوف للعلامة البرنسي المغربي ص (١١٣).

٣ - شرح الحكم العطائية للشرنوبي ص (٩٢).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: (ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار، أوعقيب صلاة أو حالة من الأحوال ففاتته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن منها، ولايهملها، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها يسهل عليه تضييعها في وقتها.

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل)[١]،[٢].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز مفتي المملكة العربية السعودية: الأفضل أن تقرأ بعد صلاة الفجر و المغرب التسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد ثلاثاً وثلاثين والتكبير ثلاثاً وثلاثين ولاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تمام المئة ثم آية الكرسي ثم يقرأ **﴿قل هو الله أحد﴾** و**﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و**﴿قل أعوذ برب الناس﴾** ثلاث مرات وهذا ما نص عليه ابن باز مع أن (سورة الصمد والمعوذات ثلاثاً ليس فيها نص شرعي صريح على قراءتها بعد الصلاة إنما اجتهادٌ منه وهكذا اجتهد العلماء وأهل السلوك نفعنا الله بهم جميعاً.



١ - أخرجه مسلم (٧٤٧).
٢ - الأذكار للنووي ص (١٣).

(٨) الفرق بين الكرامة والاستدراج

الأدلة على كرامات الأولياء

أ ـ من القرآن الكريم:

قال تعالى في قصة مريم: ﴿**وهـزي إليـك بجـذع النخلـة تسـاقط عليـك رطبـاً جنياً**﴾[١] فاخضر الجذع بعد أن كان يابساً وتساقط منه الرطب الجني في غير أوانه.

وقال تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً**﴾[٢] فقد بقوا طوال هذه المدة في حالة نوم أحياء محفوظين من كل الآفات.

وقال تعالى في قصة صاحب سليمان عليه السلام (آصف بن برخيا) : ﴿**أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾[٣] فجاءه بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد طرفه عليه السلام.

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام مع مريم: ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله**﴾[٤].

ب ـ من السنة النبوية الشريفة:

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لم يتكلم من المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج، كان يصلي فجاءته أمُّه، فدعته، فقال أجيبها أو أصلي؟ فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجه المومسات. وكان

---

١ - سورة مريم الآية (٢٥).
٢ - سورة الكهف الآية (٢٥).
٣ - سورة النمل الآية (٤٠).
٤ - سورة آل عمران الآية (٣٧).

جريج في صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته، فأبى، فأتت راعياً، فأمكنته من نفسها، فولدت غلاماً، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى، ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي. فقالوا: نبني صومعتك من ذهب؟ قال: لا، إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة، فقالت اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال اللهم لاتجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه) قال أبو هريرة رضي الله عنه: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه (ثم مرّ بأمَة قالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها: فقالت: ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمَة يقولون: سرقت، زنت، ولْم تفعل)[1].

وعن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي المسير في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج) قال النبي ﷺ: (وقال الآخر) اللهم إنه كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي فأردتها على نفسها، فامتنعت مني: حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا يحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها). قال النبي ﷺ: (وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني

١ - أخرجه البخاري (٢٢١٥) ومسلم (٦٨٨٤) وأحمد (٢/٣٠٧-٣٠٨).

بعد حين فقال: يا عبد الله! أدّ إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله! لا تستهزيء بي. فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون)[1].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (بينما رجل راكب على بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، وإنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم!! فقال النبي ﷺ: آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر)[2].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد كان فيمن قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر)[3].

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند رسول الله ﷺ في حاجة حتى إذا ذهبت من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، خرجا وبيد كل واحد منهما عصا، فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله)[4].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: أن خبيباً كان أسيراً عند بني الحارث بمكة في قصة طويلة، وفيها أن بنت الحارث تقول: (مارأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله)[5].

وعن سيدنا جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: شكا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر، (فبعث معهم يسأل عنه بالكوفة، فطيف به في مساجد

١ – أخرجه البخاري (٤/٣٦٩) ومسلم (٢٧٤٣).
٢ – أخرجه البخاري (٢٣٢٤) ومسلم (٦١٣٦) والترمذي (٣٦٧٧).
٣ – أخرجه البخاري (٧/٤٠)ومسلم (٢٣٩٨).
٤ – أخرجه أحمد (٣/١٣٧) وعبد بن حميد (١٢٤٤) والنسائي في فضائل الصحابة (١٤١).
٥ – أخرجه البخاري تعليقاً (٦٠٢) وأحمد (١/١٩٧-١٩٨).

الكوفة، فلم يقل له إلا خيراً حتى انتهى إلى مسجد، فقال رجل يدعى أبا سعدة: أما إذا أنشدتنا فإن سعداً كان لايقسم بالسوية ولايسير بالسرية ولا يعدل في القضية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال ابن عمير: فرأيته شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقد افتقر يتعرض للجواري في الطريق يغمزهن، فإذا قيل له: كيف أنت؟ يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد)[1].

وفي صحيح البخاري تعليقاً أن سيدنا أبا بكر الصديق كان عنده أضياف فقدم لهم الطعام فلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته: يا أخت بني فراس ماهذا؟ قالت: وقرة عين لهي [أي القصعة] أكثر منها قبل أن يأكلوا... إلى آخر القصة.

وعن سيدنا عروة بن الزبير رضي ا لله عنه: (أن أروى بنت أويس ادّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلىمروان بن الحكم، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول ا لله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول ا لله ﷺ؟ قال: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: (من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين) فقال له مروان: لاأسألك بينة بعد هذا فقال: اللهم إن كانت كاذبة فَعَمِّ بصرها واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت)[2].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: (رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبداً، رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين، وقدم من المدينة يريد البحرين، فلما كانوا بالدهناء نفد ماؤهم فدعا ا لله فنبع لهم من تحت رملة فارتووا وارتحلوا، ونسي رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه و لم يجد الماء. وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة فلما كنا بلياسٍ مات ونحن على غير ماء، فأبدى ا لله لنا سحابة فمطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا و لم نلحد له، فرجعنا لنلحد له فلم نجد

---

١ - أخرجه البخاري (٧٥٥).
٢ - أخرجه البخاري (٣١٩٨) ومسلم (٤١١٠) وأحمد (١/١٨٨).

موضع قبره)[1].

وعن سيدنا أبي السفر رضي ا لله عنه قال: (نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له احذر السم لاتسقيكه الأعاجم. فقال: ائتوني به، فأخذه بيده وقال. بسم ا لله وشربه، فلم يضره شيئاً)[2].

وعن سيدنا حمزة الأسلمي رضي ا لله عنه قال: (كنا مع النبي ﷺ في سفر، فتفرقنا في ليلة ظلماء، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا ظهرهم وما هلك منهم، وإن أصابعي لتنير)[3].

وعن سيدنا عثمان بن القاسم رضي ا لله عنه قال: (خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول ا لله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر، فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش، قال: وهي بالروحاء أوقريباً منها، فلما غابت الشمس قالت: إذا أنا بخفيف شيء فوق رأسي، فرفعت رأسي، فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض، قالت: فدنامني حتى إذا كان حيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت، قالت: فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش وما عطشت بعدها)[4].

وعن سيدنا ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لايحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿**تبارك الذي بيده الملك**﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول ا لله: إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها، فقال رسول ا لله ﷺ: (هي المانعة، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر)[5].

وأخرج البيهقي عن سيدنا قيس رضي ا لله عنه قال: (بينما أبو الدرداء وسلمان يأكلان من صحفة إذ سبَّحت ومافيها).

---

١ - أخرجه ابن سعد (٤|٣٦٣).

٢ - ذكرها ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣|١٢٥) و كذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء.

٣ - ذكرها ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣|٣٠).

٤ - أخرجه أبو نعيم (٢|٦٧).

٥ - أخرجه الترمذي (٢٨٩٠).

وعن سيدنا محمد بن المنكدر رضي الله عنه أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: (ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد، فأقبل إليَّ يريدني، فقلت: ياأبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه وأقبل إليَّ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق، وهمهم فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به)[1].

وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: (دخلنا مقابر المدينة مع علي رضي الله عنه، فنادى: ياأهل القبور السلام عليكم ورحمة الله، تخبرونا بأخباركم أم نخبركم؟ قال: فسمعنا صوتاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين، خبرنا عما كان بعدنا. فقال علي: أما أزواجكم فقد تزوجن، وأما أموالكم فقد اقتسمت، والأولاد قد حشروا في زمرة اليتامى، والبناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم، فهذه أخبار ماعندنا، فما أخبار ما عندكم؟ فأجابه ميت: قد تخرقت الأكفان، وانتشرت الشعور، وتقطعت الجلود، وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر بالقيح والصديد، وما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه، ونحن مرتهنون).

وقال التاج السبكي رحمه الله تعالى: (كان عمر رضي الله عنه قد أمر سارية ابن زنيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين، وجهزه على بلاد فارس، فاشتدعلى عسكره الحال على باب نهوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر رضي الله عنه بالمدينة، فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: (ياسارية! الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم فأسمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر، فلجؤوا إلى الجبل، وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا).

وذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في الطبقات وغيره: (أنه دخل على عثمان رضي الله عنه رجل كان قد لقي امرأة في الطريق فتأملها، فقال له عثمان رضي الله عنه: يدخل أحدكم وفي عينيه أثر الزنا؟ فقال الرجل: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ قال لا، ولكنها فراسة المؤمن) وإنما أظهر عثمان هذا تأديباً للرجل، وزجراً له عن فعله.

١ - أخرجه الحاكم (٣/٦٠٦)وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/٦٧١-٦٧٢) وأبو نعيم في الحلية (١/٣٦٨).

من أقول العلماء:

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (العقيدة الواسطية): (ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرةوالتأثيرات، والمأثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلىيوم القيامة).

وقال أيضاً: (وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين[1].

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿**ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً**﴾[2] : احتج أصحابنا الصوفية بهذه الآية على صحة القول بالكرامات وهو استدلال ظاهر، فنقول: الذي يدل على جواز كرامات الأولياء القرآن والأخبار والآثار، والمعقول....)[3].

وقال الإمام النسفي رحمه الله تعالى: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة.

وقال العلامة اليافعي رحمه الله تعالى: (والناس في إنكار الكرامات مختلفون، فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقاً، وهؤلاء أهل مذهب معروف، عن التوفيق مصروف، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه، ويصدق بكرامات الذين ليسوا في زمانه كمعروف الكرخي والإمام الجنيد وسهل التستري وأشباههم رضي الله عنهم، فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ماهي إلا إسرائيلية، صدَّقوا بموسى وكذَّبوا بمحمد ﷺ لأنهم أدركوا منه، ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لايصدق بأحد معين من أهل زمانه)[4].

١ - مختصر الفتاوى المصرية ص (٦٠٠).
٢ - سورة الكهف الآية (٢٥).
٣ - التفسير الكبير (٦٨٢/٢).
٤ - روض الرياحين ص(٤٢).

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين، والمرضي عندنا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات[1].

وقال الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى في متن جوهرة التوحيد:

**وأثبتن للأوليا الكرامه		ومن نفاها فانبذن كلامه**

الفرق بين الكرامة والاستدراج:

الكرامة لاتكون إلا لولي والولي هو صاحب العقيدة الصحيحة المواظب على العمل الصالح والمتابعة للنبي ﷺ، وأما ما يجري على أيدي بعض الزنادقة كطعن أجسادهم بالأسلحة الحادة وأكل النار والزجاج وغير ذلك مع كونهم مجاهرين بالمعصية، منحرفين عن دين الله تعالى، فهو من قبيل الاستدراج،وإن الولي لايستأنس بالكرامة ولايتفاخر بها على غيره.

قال العلامة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره الكبير: إن صاحب الكرامة لايستأنس بتلك الكرامة، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد، وحذره من قهر الله أقوى، فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج. وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقاً لها، وحينئذ يحتقر غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولايخاف سوء العاقبة، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجاً لاكرامة).

وقال أيضاً: (إن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقاً لكرامة بسبب عمله حصل لعمله وقع عظيم في قلبه، ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلاً، ولو عرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير وكل شكرهم في جنب آلائه ونعمائه قصور، وكل معارفهم وعلومهم في مقابلة عزته حيرة وجهل، رأيت في بعض الكتب أنه قرأ المقرئ في مجلس الأستاذ أبي علي الدقاق قوله تعالى: ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[2]. فقال: علامة أن الحق رفع عملك أن لايبقى

---

١ - بستان العارفين ص (٩٥).

٢ - سورة فاطر الآية (١٠).

عندك (أي عملك) فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع وإن لم يبق معك فهو مرفوع[١].

وبناء على ذلك فإننا حين نرى أن أحداً من الناس يأتي بخوارق العادات لا نستطيع أن نحكم عليه بالولاية وأن نعتبر عمله هذا كرامة حتى نقيس أعماله على الكتاب والسنة.

قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: "لو رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي[٢].

موقف الصوفية من الكرامات:

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى: قال المحققون "أكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات، فلا جرم أن ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أنواع البلاء".

وقال الإمام الكبير أحمد الرفاعي رضي الله عنه: (ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات، فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض)[٣].

وقال الشيخ عبد الله القرشي رحمه الله تعالى: (من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة، فإن خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك، فإذا فني عند إراداته جملة فكان له تحقيق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الألطاف والتحقق بمراتب الصديقين)[٤].

وقال علي الخواص رحمه الله تعالى:"الكُمَّل يخافون من وقع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلاً وخوفاً لاحتمال أن تكون استدراجاً[٥].

---

١ -التفسير الكبير للعلامة فخر الدين الرازي (٥/٦٩٢).
٢ - الزواجر (٢/٢٨٥).
٣ - البرهان المؤيد (١٦١)..
٤ - نور التحقيق ١٢٧
٥ - اليواقيت والجواهر (٢/١١٣).

ويجوز إظهار الكرامة عند الصوفية لغرضين أحدهما نصرة شريعة ا لله أمام الكافرين والمعاندين، كما وقع مع الشيخ محي الدين بن عربي رحمه ا لله تعالى مع ذلك الفيلسوف الذي ينكر معجزات الأنبياء حيث يقول رحمه ا لله تعالى: حضر عندنا سنة ست وثمانين وخمسمائة فيلسوف النبوة على الحد الذي يثبتها المسلمون وينكر ما جاءت به الأنبياء من خرق العوائد، وأن الحقائق لا تبدل وكان زمن البرد والشتاء وبين أيدينا منقل عظيم يشتعل ناراً فقال المنكر المكذب: إن العامة تقول: إن إبراهيم عليه السلام ألقي في النار فلم تحرقه، والنار محرقة بطبعها الجسوم القابل للاحتراق، وإنما كانت النار المذكورة في القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام عبارة عن غضب نمرود وحنقه فهي نار الغضب، فلما فرغ من قوله قال له الشيخ محي الدين بن عربي قدس ا لله سره: فإن أريتك أنا صدق ا لله في ظاهر ما قاله في النار أنها لم تحرق إبراهيم وأن ا لله جعلها عليه كما قال: برداً وسلاماً، وأنا أقوم لك في هذا المقام مقام إبراهيم في الذب عنه فقال المنكر: هذا لا يكون فقال له: أليست هذه النار محرقة قال نعم فقال تراها في نفسك ثم ألقى النار التي في المنقل في حجر المنكر وبقيت على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده فلما رآها لم تحرقه تعجب ثم ردها إلى المنقل ثم قال له: قرب يدك أيضاً منها، فقرب يده فأحرقته: فقال له هكذا كان الأمر وهي مأمورة تحرق بالأمر وتترك الإحراق كذلك وا لله تعالى الفاعل لما يشاء، فأسلم ذلك المنكر واعترف"[1].

والغرض الثاني الذي يجوز إظهار الكرامة فيه عند الصوفية إبطال سحر الفسقة والمشعوذين الذين يضلون الناس عن دينهم كما ذكر العلامة ابن حجر الهيثمي رحمه ا لله تعالى: أن صوفياً ناظر برهمياً، والبراهمة قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات، فطار البرهمي في الجو، فارتفعت إليه نعل الشيخ ولم تزل تضرب رأسه وتصفعه حتى وقع على الأرض منكوساً على رأسه بين يدي الشيخ والناس ينظرون[2].

وأما إظهار الكرامة بدون سبب مشروع فهو مذموم لما فيه من خطر النفس والمفاخرة والعجب.

قال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه ا لله تعالى: "ولا يخفى أن الكرامة عند

---

١ – الفتوحات المكية (٢|٣٧١).

٢ – الفتاوي الحديثية ص (٢٢٢).

أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس إلا إن كانت لنصر دين أو جلب مصلحة، لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم، هذا مشهد هم وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم، فإذا أحيا كبشاً مثلاً أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله لا بقدرتهم وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب[1].

وإن أعظم الكرامات عند الصوفية الاستقامة على الشريعة.

قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: "واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات، والحفظ من المعاصي والمخالفات[2].

وذكرت عند سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى الكرامات فقال: "وما الآيات وما الكرامات؟! أشياء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود[3].

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: "الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها. ومرجعها أمران: صحة الإيمان بالله عز وجل، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليها ولا تكون له همة إلا في الوصول إليها، وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين إذ قد يرزق بها من لم تكتمل استقامته، وقد يرزق بها المستدرجون": وقال "إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان، كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ليس ذا حظ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا، فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا"[4].

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى: (واعلم أن الكرامة على قسمين حسية ومعنوية، ولا تعرف العامة إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر، والإخبار

---

١ - اليواقيت والجواهر (٢|١١٧).

٢ - الرسالة القشيرية ص (١٦٠).

٣ - كتاب اللمع للطوسي ص (٤٠٠).

٤ - نور التحقيق لحامد صقر ص (١٢٨).

بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والأخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الأرض والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعاء في الحال ونحو ذلك، فالعامة لا تعرف الكرامة إلا مثل هذا، وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى، والعامة لا تعرف ذلك، وهي أن يحفظ على العبد آداب الشريعة، وأن يوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل والحقد من صدره للناس والحسد وسوء الظن وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله تعالى في نفسه وفي الأشياء وتفقد آثار ربه في قلبه ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها، فيتلقاها بالأدب إذا وردت عليه ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله عز وجل، فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا يدخلها مكر ولا استدراج)[1].

وقال الشيخ أحمد الحارون رحمه الله تعالى: (كرامتان ليس بعدهما كرامة: الإيمان والاستقامة، فإذا وجدتم رجلاً مستقيماً فلا تطلبوا منه كرامة)[2].

* ليس صاحب الكرامة مفضلاً على غيره عند الصوفية:

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لايلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى)[3].

* عدم ظهور الكرامة ليس دليلاً على عدم الولاية عند الصوفية.

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: (لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً).

---

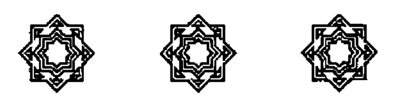
١ - الفتوحات المكية (٢/٣٦٩).
٢ - كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال ص (١٥).
٣ - كتاب نشر المحاسن الغالية ص (١١٩).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لرسالة القشيري عند هذا الكلام: (بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة[1].

الكرامة بعد الموت

قد يتساءل البعض فيقول: هل تختص كرامات الأولياء بحال حياتهم؟ وهل يخرج الولي عن ولايته بالموت؟ والجواب على ذلك: أن كرامات الأولياء إنما هي تصرف بإذن الله تعالى، لا بتأثير مؤثر، ولا بقوة أخرى مودعة، وإذا كانت كذلك لا تتغير بموتهم بل هي بعد الحياة أولى منها، لأن النفس أصفى، والروح أنقى، وإظهارها أحوج، وكم رُئِيَت لكثير من المستورين كرامات لم تظهر إلا بعد انقضاء حياتهم، وبعضهم ظهرت قبيل موتهم بعد أن كان سرهم مع الله عز وجل، فلما أظهرها اختاروا لقاءه كتماناً للسر، ورغبة في الستر، ثم إنه لا ينعزل الولي عن ولايته بالموت، ولا يخرج منها كالأنبياء في نبوتهم، لأن الاختصاص باقٍ كحال الحياة، وليس معلقاً بها لحاجة، بل اختيار الله تعالى من شاء من خلقه لولايته امتياز باق ما بقي على العهد، لا فرق بين حياة ومماتٍ أو إقامة وانتقال، أو ظعن وسفر[2].

ثم إذا فقدت مكانة الولي عند موته فما الفرق الكبير بينه وبين العاصي؟؟..



١ - الرسالة القشيرية ص (١٥٩).

٢ - كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال ص (١٤-١٥).



الشطح: هو عبارة عن كلمات تصدر من بعض الصوفية غير الكُمَّل في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الله تعالى عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق، وهذه الكلمات لو صدرت عنه وعقله معه لأنكرها، وهذه الحالة غير محمودة عند الصوفيين، ولكن صاحبها معذور في ذلك لذهوله وعدم انضباط فكره حينئذ، ولكن كما أنه لا جناح عليه بسبب هذا العذر فلا يجوز الاقتداء به لمن كان في حالة صحو، ولا حمل كلامه وأفعاله على الصحة، بل ينظر إلى ذلك على أنه شطحات يعفى عنها لأهل الأحوال والمواجيد الصحيحة كما حصل مع الرجل الذي أضل راحلته في الصحراء وعليها طعامه وشرابه ومتاعه وعندما وجدها أصابه حال سرور فأخطأ من شدة فرحه فقال (**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**[1] فهذا قد فرح براحلته فكيف بالذي يفرح بالله وهذه العبارة وغيرها مما يصدر عن الذي خرجت عنه بغير صحو، ويؤاخذ بها كل من رددها أو أيدها عقلاً ممن لم يكن في مثل ذلك الحال وإلى هذا يشير الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه إذ يقول:

(هذه الكلمات ومثلها من الشطحات التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة مثل صاحبها: كمثل رجل نام في بيت الخلاء فرأى في منامه أنه جلس على سرير سلطنة فلما استيقظ خجل وعرف مكانه: الله الله بالوقوف عند الحدود، عضوا على سنة السيد العظيم ﷺ بالنواجذ).

مالي وألفاظ زيد　　　ووهم عمرو
ووجه الشريعة أهدى　　　من سر ذاك وسري(٢)

---

١ - أخرجه البخاري (١١/٩١-٩٢)،وم (٢٧٤٧) والنووي في رياض الصالحين (١٥).
٢ - كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال ص ١٤-١٥.

(١٠) وحدة الوجود

إن وجود الله عز وجل ذاتي، أي لا تأثير لغيره به إذ أن الله تعالى هو الأول فليس قبله شيء، وقد ورد في الحديث: "كان الله ولم يكن شيء غيره"[١].

أما وجود الموجودات فهو حاصل من إيجاد الله عز وجل لها، ومستمر بإمداد الله تعالى لها بالوجود، ولو انقطع الإمداد لعادت عدماً.

وعليه فمن نظر إلى الموجد الممد سبحانه وتعالى رآه هو الموجود حقيقة ومن لاحظ الإمداد رأى الأشياء عدماً لولاه سبحانه، فوجودها ليس ذاتياً كوجود الله عز وجل، ولذلك قالوا:"الوجود الحقيقي واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ووجود غيره لا يشابه وجوده".

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[٢].

وقال أحدهم:

فالكل دون الله إن حققته — عدم على التفصيل والإجمال(٣)

أي عدم في حقيقة أصله، موجود بمدد الله تعالى له، وهذه هي وحدة الوجود.

وقال الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى في كتابه (حقائق عن التصوف): **إن الوجود نوعان:** وجود قديم أزلي، وهو واجب وهو الحق سبحانه وتعالى **﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾**[٤] أي الثابت الوجود المحقق، ووجود جائز عرضي ممكن، وهو وجود من عداه من المحدثات.

وإن القول بوحدة الوجود، وأن الوجود واحد هو الحق تعالى يحتمل معنيين:

١ - أخرجه البخاري (٢/٣٠١٩).
٢ - أخرجه البخاري (٢/٣٦٢٨).
٣ - شرح الصاوي ص (٧٧).
٤ - سورة الحج الآية (٦٢).

أحدهما حق، والثاني كفر، ولهذا فالقائلون بوحدة الوجود فريقان: الفريق الأول أرادوا به اتحاد الحق بالخلق، وأنه لا شيء في هذا الوجود سوى الحق، وأن الكل هو وأنه هو الكل، وأنه عين الأشياء، وفي كل شيء له آية تدل على أنه عينه... فقوله هذا كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصارى وعبدة الأوثان وقد شدد الصوفية النكير على قائله، وأفتوا بكفره، وحذروا الناس من مجالسته.

قال العارف با لله أبو بكر محمد بناني رحمه ا لله تعالى: "فاحذر يا أخي كل الحذر من الجلوس مع من يقول: ما ثمَّ إلا ا لله، ويسترسل على الهوى، فإن ذلك هو الزندقة المحضة، إذ العارف المحقق إذا صحح قدمه في الشريعة، ورسخ في الحقيقة، وتفوه بقوله: ما ثمَّ إلا ا لله، لم يكن قصده من هذه العبارة إسقاط الشرائع وإهمال التكاليف حاشا لله أن يكون هذا قصده[1].

الفريق الثاني: قالوا ببطلان وكفر ما ذكر، من أن الخالق عين المخلوق، وإنما أرادوا بوحدة الوجود القديم الأزلي وهو الحق سبحانه فهو لا شك واحد منزه عن التعدد، ولم يقصدوا بكلامهم الوجود العرضي المتعدد وهو الكون الحادث نظراً لأن وجوده مجازي، وفي أصله عدمي لا يضر ولا ينفع فالكون معدوم في نفسه، هالك فان في كل لحظة قال تعالى ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾[2].

وإنما يظهره الإيجاد، ويثبته الإمداد، والكائنات ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته، وإنما يمسكه سر القيومية فيه، وهؤلاء قسمان: قسم أخذ هذا الفهم بالاعتقاد والبرهان ثم الذوق والعيان، وغلب عليه الشهود فاستغرق في لجج بحار التوحيد ففني عن نفسه فضلاً عن شهود غيره، مع استقامته على شرع ا لله تعالى وهذا قوله حق.

وقسم ظن أن ذلك علم لفظي، فتوغل في تلاوة عبارته، وتمسك بظواهر إشاراته، وغاب في شهودها عن شهود الحق، فربما هانت الشريعة في عينيه لما يلتذ به من حلاوة تلك الألفاظ، فيقع على أم رأسه، ويتكلم بما ظاهره أن الشريعة في جهة يختص بها أهل الغفلة، والحقيقة في جهة أخرى يختص بها أهل العرفان، ولعمري إن هذا لهو عين الزور والبهتان، وما ثمَّ إلا شريعة ومقام إحسان[3].

---

١ - مدارج السلوك إلى ملك الملوك للعارف الكبير محمد بناني المتوفى سنة (١٢٨٤) هـ.

٢ - سورة القصص الآية (٨٨).

٣ - حقائق عن التصوف ص (٥٥٣ - ٥٥٦).



١١ الاتحاد والحلول

أقوال العلماء في الاتحاد والحلول

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى في تبرئة السادة الصوفية من هذه التهمة الباطلة ما نصه: "ليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتمد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات، ولا اتحاده به، وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون من الاتحادية الإباحية الذين أضلهم الشيطان وألحقهم بالطائفة النصرانية[١].

وقال أيضاً: (كل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث وتمييز الخالق عن المخلوق، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا[٢].

وقال الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: (ولعمري إذا كان عُباد الأوثان لم يتجرؤوا أن يجعلوا آلهتهم عين الله، بل قالوا: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[٣].

فكيف يظن بأولياء الله تعالى أنهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة؟! هذا كالمحال في حقهم رضي الله عنهم، إذ ما من ولي إلا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق، وأنها الخارجة عن جميع معلومات الخلائق، لأن الله بكل شيء محيط[٤].

وقد تحدث الإمام الغزالي عن هذه العقيدة الفاسدة وأظهر بطلانها فقال:

---

١ – مجموع الفتاوى (١١/٧٤ و ٧٥).
٢ – مجموع الفتاوى (٢/٢٢٣).
٣ – سورة الزمر الآية (٣).
٤ – اليواقيت والجواهر (١/٨٣).

"وأما القسم الرابع وهو الاتحاد: فذلك أيضاً أظهر بطلاناً، لأن قول القائل: إن العبد صار هو الرب كلام متناقض في نفسه، بل ينبغي أن ينزه الرب سبحانه وتعالى عن أن يجري اللسان في حقه بأمثال هذه المحالات، ونقول قولاً مطلقاً: إن قول القائل: إن شيئاً صار شيئاً آخر محال على الإطلاق، لأننا نقول إذا عقل زيد وحده وعمرو وحده ثم قيل إن زيداً صار عمراً واتحد به، فلا يخلو عند الاتحاد إما أن يكون كلا هما موجودين، أو كلاهما معدومين، أو زيد موجوداً وعمرو معدوماً أو بالعكس، ولا يمكن قسم وراء هذه الأربعة فإن كانا موجودين فلم يصر عين أحدهما عين الآخر، بل عين كل واحد منهما موجود، وإنما الغاية أن يتحد مكانهما، وذلك لا يوجب الاتحاد، فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة، ولا تتباين محالها، ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإرادة، ولا يكون قد اتحد البعض بالبعض وإن كانا معدومين فما اتحدا بل عدما ولعل الحادث شيء ثالث.

وإن كان أحدهما معدوماً والآخر موجوداً فلا اتحاد إذ لا يتحد معدوم بموجود فالاتحاد بين شيئين مطلقاً محال، وهذا جار في الذات المتماثلة فضلاً عن المختلفة، فإنه يستحيل أن يصير هذا السواد ذاك السواد، كما يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك البياض أو ذلك العلم، والتباين بين العبد والرب أعظم من التباين بين السواد والعلم، فأصل الاتحاد إذاً باطل.

وأما القسم الخامس وهو الحلول: فذلك أن يتصور أن يقال: إن الرب تبارك وتعالى حل في العبد، أو العبد حل في الرب، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين، وهذا لو صح لما وجب الاتحاد، ولا أن يتصف العبد بصفات الرب، فإن صفات الحال لا تصير صفة المحل، بل تبقى صفة للحال كما كان.

ووجه استحالة الحلول لا يفهم إلا بعد فهم معنى الحلول، فإن المعاني المفردة إذا لم تدرك بطريق التصور لم يمكن أن يفهم نفيها أو إثباتها، فمن لا يدري معنى الحلول فمن أين يدري أن الحلول موجود أو محال.

فنقول: المفهوم من الحلول أمران:

أحدهما: النسبة التي بين الجسم ومكانه الذي يكون فيه، وذلك لا يكون إلا

بين جسمين، فالبريء عن معنى الجسيمة يستحيل في حقه ذلك.

والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر، فإن العرض يكون قوامه بالجوهر، فقد يعبر عنه بأنه حال فيه، وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه.

فدع عنك ذكر الرب تعالى وتقدس في هذا العرض، فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام فلا يتصور الحلول بين عبدين، فكيف يتصور بين العبد والرب[1].

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في عقيدته الصغرى: (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها).

وقال في عقيدته الوسطى: (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء، أو يحل في شيء، أو يتحد في شيء).

وقال في الباب التاسع والستين والمائة: "القديم لا يكون قط محلاً للحوادث ولا يكون حالاً في المحدث[2].

وقال في الباب الثاني والتسعين ومئتين: (من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلاً أن القمر ليس فيه من نور الشمس شيء، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها، وإنما كان القمر محلاً لها، فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شيء ولا حل فيه).

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة: (لو صح أن يرقى الإنسان عن إنسانيته والملك عن ملكيته، ويتحد بخالقه تعالى، لصح انقلاب الحقائق، وخرج الإله عن كونه إلهاً، وصار الحق خلقاً و الخلق حقاً، وما وثق أحد بعلم، وصار المحال واجباً، فلا سبيل إلى قلب الحقائق أبداً.

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل: "وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق، ولا حل فيه الحق، إذ لو كان عين الحق، أو حل فيه لما

---

١ - المقصد الأسنى ص (١٦٨).

٢ - الفتوحات المكية كما في اليواقيت والجواهر (١/٨٠و ٨١).

كان تعالى قديماً ولا بديعاً.

وقال في باب الأسرار: "لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله، ولو بلغ أقصى درجات القرب، وحاشا العارف من هذا القول حاشاه، إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل[1].

وقال في باب الأسرار أيضاً: (من قال بالحلول فهو معلول، فإن القول بالحلول مرض لا يزول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول).

وقال في باب الأسرار أيضاً: (الحادث لا يخلو عن الحوادث، ولو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلاً).

وجاء في شعره ما ينفي الحلول والاتحاد كقوله:

ودع مقالة قوم قال عالمهم ... بأنه بالإله الواحد اتحدا

الاتحاد محال لا يقول به ... إلا جهول به عن عقله شردا

وعن حقيقته وعن شريعته ... فاعبد إلهك لا تشرك به أحدا

وقال صاحب كتاب نهج الرشاد في الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد: "حدثني الشيخ كمال الدين المراغي قال: اجتمعت بالشيخ أبي العباس المرسي تلميذ الشيخ الكبير أبي الحسن الشاذلي وفاوضته في هؤلاء الاتحادية، فوجدته شديد الإنكار عليهم والنهي عن طريقهم، وقال: أتكون الصنعة هي عين الصانع؟![2]

وأما ما ورد من كلام السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهرة الحلول والاتحاد، فهو إما مدسوس عليهم، بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة،وإما لم يقصدوا به القول بهذه العقيدة الضالة، ولكن المغرضين حملوا المتشابه من كلامهم على هذا الفهم الخاطئ ورموهم بالكفر والضلال، أما العلماء المنصفون فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة وأولوه بما يلائم ما ورد عنهم من نصوص صريحة موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

---

١ - الفتوحات المكية كما في اليواقيت والجواهر (١/٨٠ و ٨١).

٢ - الحاوي للفتاوي (٢/١٣٤).

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما قول الشاعر في شعره:

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا

فهذا إنما أراد به الشاعر الاتحاد المعنوي، كاتحاد أحد المحبين بالآخر الذي يحب أحدهما ما يحب الآخر، ويبغض ما يبغضه ويقول مثل ما يقول، ويفعل مثل ما يفعل، وهذا تشابه وتماثل، لا اتحاد العين بالعين، إذا كان قد استغرق في محبوبه، حتى فني به عن رؤية نفسه، كقول الآخر:

غبـت بـك عـني فظننـت أنـك أنـي

فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ[1]

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه (مدارج السالكين) ما نصه: (... الدرجة الثالثة من درجات الفناء: فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين، وهو الفناء عن إرادة السوى، شائماً برق الفناء عن إرادة ما سواه، سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه ويرضاه، فانياً بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه فضلاً عن إرادة غيره، قد اتحد مراده بمراد محبوبه، أعني المراد الديني الأمري لا المراد الكوني القدري فصار المرادان واحداً... وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا والاتحاد في العلم والخبر، فيكون المرادان والمعلومان والمذكوران واحداً مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين، فغاية المحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب، فهذا الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم، قد فنوا بعبادة محبوبهم عن عبادة ما سواه، وبحبه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه، ومن تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا فيه، ولا يوالي إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فيكون دينه كله ظاهراً و باطناً لله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فلا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه بل:

يعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المصافيا

وحقيقة ذلك فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربه تعالى وحقوقه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ومعرفة وعملاً وحالاً وقصداً

---

١ مجموع رسائل ابن تيمية ص (٥٢).

وحقيقة هذا النفي والإثبات التي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء، فيفنى عن تألهه ما سواه علماً وإقراراً وتعبداً ويبقى بتألهه وحده، فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي اتفقت عليه الرسل صلوات الله عليهم وأنزلت به الكتب،وخلقت لأجله الخليقة، وشرعت له الشرائع وقامت عليه سوق الجنة، وأسس عليه الخلق والأمر وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة، والمعصوم من عصمه الله وبالله المستعان والتوفيق والعصمة).

وقال أيضاً: (وإن كان مشمراً للفناء العالي، وهو الفناء عن إرادة السوى، لم يبق في قلبه مراد يزاحم مراده الديني الشرعي النبوي القرآني، بل يتحد المرادان فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد، وهذه حقيقة المحبة الخالصة، وفيها يكون الاتحاد الصحيح، وهو الاتحاد في المراد، لا في المريد ولا في الإرادة)[1].

وقال العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (الحاوي للفتاوى): (واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد، إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد، فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد، والتوحيد معرفة الواحد والأحد، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشارتهم فحملوه على غير محمله، فغلطوا وهلكوا بذلك..).

فإن أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً بإجماع الأنبياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء والمسلمين، وليس هذا مذهب الصوفية وإنما قاله طائفة غلاة لقلة علمهم وسوء حظهم من الله تعالى، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: اتحد ناسوته بلاهوته وأما من حفظه الله تعالى بالعناية، فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولاً وإن وقع منهم لفظ الاتحاد، فإنما يريدون به محو أنفسهم، وإثبات الحق سبحانه... وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات، وبقاء الموافقات، وفناء حظوظ النفس من الدنيا، وبقاء الرغبة في الآخرة وفناء الأوصاف الذميمة، وبقاء الأوصاف الحميدة، وفناء الشك، وبقاء اليقين، وفناء الغفلة وبقاء الذكر... وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: (سبحاني ما أعظم شأني) فهو في معرض الحكاية عن الله، وكذلك قول من قال: (أنا الحق) محمول على الحكاية، ولا يظن بهؤلاء

---

١ – مدارج السالكين (١/٩٠ و ٩١).

العارفين الحلول والاتحاد لأن ذلك غير مظنون بعاقل، فضلاً عن المميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات، ولا يظن بالعقلاء المتميزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الغلط بالحلول والاتحاد، كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام، وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك.. والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك، فيطلق على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول، وهو كفر، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحاً اصطلح عليه الصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاح، إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح، لا محذور فيه شرعاً ولو كان ذلك ممنوعاً لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد وأنت تقول: بيني وبين صاحبي زيد اتحاد، وكم استعمل المحدثون والفقهاء وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثية وفقهية ونحوية، كقول المحدثين: اتحد مخرج الحديث وقول الفقهاء: اتحد نوع الماشية, وقول النحاة: اتحد العامل لفظاً أو معنىً.

وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققي الصوفية، فإنما يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه، لا ذاك المعنى المذموم الذي يقشعر له الجلد، وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفا، فقال من قصيدة له:

يظنوا بي حلولاً واتحاداً   وقلبي من سوى التوحيد خالي

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول، وقال في أبيات أخر:

وعلمك أن كل الأمر أمري   هو المعنى المسمى باتحاد

فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم الأمر كله لله،وترك الإرادة معه والاختيار، والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض وترك نسبة شيء ما إلى غيره[1].

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى ما نصه: (ولقد كان من تأثير التباس تلك الفلسفة الفكرية الجانحة، بهذه الحالة الشهودية الوجدانية، على كثير من الناس، جهلهم بتلك التعابير والكلمات التي تطفح على ألسنة أصحاب

---

١ - الحاوي للفتاوى (٢/١٣٤).

تلك الأحوال، كتلك الألفاظ التي اشتهرت عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله. فظنوا أن قوله (ما في الجبة إلا الله) عقيدة فكرية يتبناها الشيخ، فهو يعتنق إذن عقيدة الحلول وينادي بها ولو أنهم تمهلوا وأمعنوا في حقيقة الأمر وواقعه، ووقفوا على تراجم هؤلاء الرجال وأحوالهم، لما تسرعوا في الانجراف في هذا الفهم الباطل، والتهمة الشنعاء! بل لعلموا أنه ما من مؤمن بالله حق الإيمان، إلا وله حظ من هذا الفناء، ولكنه ليس فناء الشعور عن كل ما سوى الله، بل هو فناء الإرادة لكل ما عدا الله، وهو يتمثل في اليقين بأن الله هو النافع والضار، وفي صدق التوكل عليه، والتفويض إليه، وإخضاع إرادته وحبه، لما يحبه الله ويرضاه إلا أن هؤلاء الرجال رحمهم الله تعالى لما استرسلوا في هذا الحال، وواصلوا مراقبتهم لله عز وجل وعودوا أنفسهم أن لا يبصروا شيئاً من مظاهر الكون إلا وتتجلى لهم صفات الله من خلاله، تجاوزوامرحلة ذلك الفناء الإرادي إلى الفناء الشعوري، فمنهم من استمر على هذه الحال، ومنهم من عاد إلى حالة الصحو والبقاء، واستقام على منهج التنسيق بين الجمع والفرق، وذلك هو المقام السامي الذي بعث به الرسل والأنبياء وتحلوا به، وهو الذي يجب أن يكون مطمح أبصار السالكين إلى الله عز وجل[1].

والحمدلله رب العالمين

١ – السلفية ص (٢٠١ – ٢٠٢).

١٢ حل الإشكالات حول الشيخ محي الدين بن عربي

ترجمة الشيخ محي الدين بن عربي قدس الله سره

٥٦٠ – ٦٣٨ هـ، ١١٦٥ – ١٢٤٠م

هو محمد بن علي بن عربي، أبو بكر الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر من أشهر فلاسفة المتصوفة وأكبر أئمة المتكلمين في كل علم، ولد بمريسة من الأندلس ونشأ بها وتلقى العلم فيها ثم انتقل إلىإشبيلية واختلف بعد ذلك إلى كثير من بلاد المشرق كمصر والحجاز وبغداد والموصل وأخذ عن كبار العلماء ثم رحل إلى بلاد الروم وأقام بها مدة طويلة ثم أتى إلى الشام وظل بها حتى مات ودفن هنا ونسب إليه الحي الذي دفن فيه، فيقال: (حي الشيخ محي الدين) وفي هذا الحي مسجد عظيم دفن الشيخ قدس سره في غرفة ملحقة به، اشتهر الشيخ بالتصوف وأخذ نفسه بالزهد في ملذات الحياة ليخلص إلى الله تعالى، وكان في الفقه ظاهري المذهب، حصَّل فنون العلم وأتقنها، وله في الأدب الشأو الذي لايلحق، وله مؤلفات قيمة في التصوف والفلسفة والآداب لاسيما الشعر الصوفي، ولو قيس بأمثاله من المتفلسفين كابن سينا والغزالي لبزهم[1] جميعاً في ميدان التأليف، فقدألف نحواً من مائتين وتسعة وثمانين كتاباً ورسالة، وقال الشعراني في الجواهر: بلغت أربعمائة كتاب وهو أخصب المؤلفين إنتاجاً.

عدّ طائفة من العلماء كتبه الصوفية من إشارات العارفين ورموز السالكين، وعدّها طائفة من متشابه القول وأن ظاهرها كفر، وباطنها حق وعرفان وأنها صحيحة في نفسها كبيرة القدر، والصواب أنه مات علىالحق، فقد كان عالماً بالآثار والسنن

١ – بزهم: غلبهم.

قوي المشاركة في العلوم، وقولي أنا[1] فيه: يجوز أن يكون من أولياء الله تعالى الذين اجتذبهم الحق إلى جناته عند الموت، وختم لهم بالحسنى، ومن قوله في الله عز وجل:

يـامن يرانـي ولاأراه كـم ذا أراه ولايرانـي

فلما تسامع الناس بهذا القول أنكروه فزاد بيتين أُخَر فَسَّراه وأزالَ غموضه:

يـامن يرانـي مذنبـاً ولاأراه آخـذاً

كـم ذا أراه منعمـاً ولايرانـي لائـذاً

فهدأت موجة اعتراضهم إذ رأوا القول ممكن التأويل، ويكاد يكون معظم كلامه الذي اعترض به عليه من هذا القبيل أما مانسب إليه مما لايمكن تأويله فالراجح أنه مدسوس عليه كما سيمر بك إن شاء الله تعالى.

غلبهُ التوحيد علماً واعتقاداً وحالاً، وجمع بين العلوم الكسبية ومنح كثيراً من العلوم الوهبية، وقد أثنى عليه أقرانه وعلماء وقته كابن النجار وابن نقطة وابن العديم والذكي المنذري، ومارُئي في كلامهم طعن عليه وأجازه الكثير من العلماء الأعلام، قال ابن المديني: قدم بغداد سنة ثمان و ستمائة فكان يومى إليه بالفضل والمعرفة، غلب عليه طريق أهل الحقيقة، قال ابن النجار: صحب الصوفية وأرباب القلوب وسلك طريق الفقر وحج وجاور[2]، وله أشعار حسان وكلام مليح، وقد أطراه الكمال ابن الزملكاني، ووصفه بأنه البحر الزاخر في المعارف الإلهية، وقال ابن المنصور (وكان من أكابر علماء الطرق) وقد أشار بكراماته القشاش والشعراني والمناوي والنبهاني، وقال الشيخ شمس الدين: توسع في علم الكلام[3] و لم يكن به بأس ولعل ذلك[4] وقع منه حال سكر[5].

---

١ – المقصود: هو الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، راجع لسان الميزان (٥/٣١١)وما بعدها.

٢ – أي أقام بجوار الكعبة أو جاور في المدينة المنورة.

٣ – علوم العقيدة والتوحيد.

٤ – أي تكلمه بالشطحات.

٥ – السُّكر غيبة بوارد قوي يغيب فيه العارف عن التمييز فيشطح بكلمات لو صدرت عن قائلها وعقله معه لاعتبرناه ضالاً، وهذا الحال ليس مرغوباً ولاهو وصف كمال بل غاية صاحبه أنه يكون معذوراً لضعف عقله عن احتمال التمييز، راجع أصفى الموارد في مكتوبات مولانا خالد لجامعها الشيخ أسعد صاحب ص (٢٨-٢٩)، والرسالة القشيرية.

دراسة لإشكالات أثيرت حول الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره:

إن الحقائق عندما تعالج ينبغي أن لاتعالج بالعواطف، بل بالتجرد والعقل الذي يكون رائده الحق، فنحن إزاء أي مشكلة لاينبغي أن نعالجها حسب ميولنا ومصالحنا وأهوائنا بل نناقشها مناقشة من يبحث عن الحق ليظفر به، فالحق أحق أن يتبع، ذلك لأنه الميزان الدقيق الذي توزن به الاعتبارات وميزان الحق لايعول: وكثيرون هم الذين تكلموا عن الشيخ الأكبر وخاضوا في أحواله وتناولوه بالدراسات المختلفة ولكن هل كان رائد كل أولئك أن ينصفوه؟

فمن تجرد من بحثه عن المؤثرات والأهواء، رأى الشيخ عالماً جليلاً ووليا قائماً على حدود الشرع ملتزماً بالكتاب والسنة فيما يأتي ويذر، ورأى عذره في الشطحات ورآها أحوالاً خارجة عن إرادته تطرأ عليه كظل سحابة ما يلبث أن يمر ثم يعود إلى صحوه فينكر ما قاله أثناء الغيبوبة، ولاخلاف في أن حال الصحو أفضل من حال الشطح، ولايجوز لمن في حال الصحو أن يقتدي بأهل الشطح، ولااعتبار لأقوالهم هذه، ولايؤاخذون عليها في ذلك الحال بسبب الذهول الذي يرافقهم في ذلك الحال ويسلبهم الإرادة، وسيمر بك الآن شيء من كلام الشيخ عدّه منكروه من عظائم الأمور، لكنه حينما يؤول يزول إشكاله ويسقط عنه حجاب الغموض والاستنكار.

فمن ذلك البيت الذي مر بك في ترجمته آنفاً:

يامن يراني مذنباً		ولاأراه آخذاً

كم ذا أراه منعماً		ولايراني لائذاً

فينبغي أن لانبادر بالإنكار على أصحاب هذه الحالات بل علينا أن نلتمس لهم الأعذار ما دام كلامهم ممكن التأويل، فمن هذا القبيل ما سئل عنه أبو عثمان الخيري النيسابوري رضي الله عنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بك منك)[1]، فقال: استعمل الصدق في اللفظتين يبلغ فهمك إلى هذه الكلمة وهو قوله صلى الله عليه وسلم (أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك)[2].

---

١ - أخرجه مسلم (٥٤٢)، والنسائي (١٣/٣) والدارقطني (٢٩/٤).

٢ - أخرجه أحمد في مسنده (٩٦/١).

ومن ذلك دعوى أن الشيخ يقول في كتبه: (لاموجود إلا الله) والجواب أن معنى ذلك بتقدير صحة القول عنه: أنه لاموجود قائم بنفسه إلا هو تعالى، وما سواه قائم بغيره كما أشار إليه بيت لبيد المشهور: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)[1]، ومن كانت حقيقته كذلك فهو إلى العدم أقرب، إذ هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجود ترددبين وجود وعدم لاتخلُّصَ لأحد الطرفين فإن صح أن الشيخ قال: (لاموجود إلا الله) فإنما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه: (من شهد الحق تعالى بقلبه لم يشهد الخلق)، وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمس مائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل مانصه: وهذا يدلك صريحاً على أن العالم ماهو عين الحق تعالى، إذلو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالىبديعاً.

ومن ذلك

دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون، وذلك كذب وافتراء عليه فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات: بأن فرعون من أهل النار الذين لايخرجون منها أبد الآبدين، والفتوحات آخر مؤلفاته، فإنه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين.

قال شيخ الإسلام الخالدي رحمه الله تعالى: والشيخ محي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفردبه، بل ذهب جمع كثير من السلف إلى قبول إيمانه لما حكى الله عنه أنه قال ﴿**آمنت أنه لاإله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين**﴾[2]، وكان ذلك آخر عهده بالدنيا، وقال أبو بكر الباقلاني: قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال، و لم يردنا نص صريح أنه مات على كفره، ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وإيمان أهل اليأس لايقبل.

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله تعالى يقول بجواز إباحة المكث[3] للجنب في المسجد، فإن صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لمولانا عبد الله بن عباس

١ – البيت للبيد تمامه: و كل نعيم لامحالة زائل.

٢ – سورة يونس الآية (٩٠).

٣ – المكث مثلثة الميم، اللبث.

رضي الله عنه، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو مذهب المزني وجماعة من التابعين والفقهاء، فقول المنكر إن الشيخ محي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الأئمة مردود.

ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول: الولي أفضل من الرسول، والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك، وإنما قال: اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما أفضل، والذي أقول به: إن ولايته أفضل، لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة، فإنها تتعلق بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف، ووافقه على ذلك عز الدين بن عبد السلام، فإن الكلام في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع ولايته، لافي رسالته ونبوته مع ولاية غيره، ذلك لأن الولاية نسبة ذاتية بين الله وبين عبده، أي أنه اصطنعه لنفسه وأعده مظهراً لأسمائه وصفاته واصطفاه لمعرفته وتولاه بمحبته، أما النبوة فهي نسبة إضافية بمعنى أنه سبحانه كلف هذا العبد أن يبلغ دعوته لخلقه، فلو فرض عدم المرسل إليهم ما حدث لهذا العبد اسم نبي ولارسول ولكان يدعى بالولي، فالنسبة الأولى أصل لايمكن انفكاكها والنسبة الثانية فرع عارض ترتفع بارتفاع التكليف عند الانقلاب إليه تعالى، فولاية كل نبي بهذا الاعتبار أفضل من نبوته، لا أن مطلق الولاية أفضل من النبوة، وكيف يذهب السادة الصوفية إلى تفضيل الأولياء على الأنبياء وفيهم (محمد) صلى الله عليه وسلم، وهم يعتقدون أنه أفضل الأنبياء وأشرف المخلوقات[1]، وفي (قوانين الاستشراق) ص (٥٩) أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى نقل عنه أنه لما سئل: هل يصل الولي إلى رتبة يزول عنه فيها كلفة التكليف؟ فأجاب بقوله: (قلنا يكون الولي أولاً يجد كلفة التعب فإذا وصل وجد بالتكليف الراحة والطرب من باب قوله صلى الله عليه وسلم: (أرحنا بها يا بلال)[2] وخلاصة الكلام أن مانراه في كتب الصوفية من الأمور التي يخالف ظاهرها نصوص الشريعة وأحكامها، هي إما أن تكون مدسوسة عليهم من قبل الزنادقة والحسدة أعداء الإسلام كما بينا، وإما أن تكون قابلة للتأويل كما في كثير من الكلام العربي فمن جملة التأويل الذي لامحيد عنه ما في هذه الآية الشريفة: ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾[3]، فإما أن نستعمل الصفات

---

١ – مجلة الأنصار والصوفية لفضيلة العلامة الشيخ حسين رمضان علامة الفرات وشيخها.

٢ – أخرجه أبو داود (٤٩٨٥).

٣ – سورة القصص الآية (٨٨).

في معانيها المجازية وإما القول بهلاك ما أثبته الله لذاته، من الصفات سوى وجهه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[1]، وكما في تأويل هذا الحديث الشريف: (إن الله خلق آدم على صورته)[2]. فإن عاد الضمير في (صورته) إلى الله وجب التأويل على ماهو معروف من مذهب الخلف، وهناك غير هذه الاعتراضات موجودة في مظانها كاليواقيت والجواهر للإمام الشعراني وأجوبتها، وسيمر معنا الكلام عن هذا مفصلاً في باب السنة والبدعة وباب التأويل وإثبات المجاز عند السلف إن شاء الله تعالى. ولعمري إن قام المنكرون والمعترضون في وجه هذا العالم الجليل والولي الكامل فأنكروا كلامه وتعرضوا له بالأذى والنكران وضروب التشويش والإزعاج وإثارة الجهلة والمغرضين عليه، فقد حدث مثل ذلك للأنبياء والصالحين على مدى الدهور وقد قال الله تعالى: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون**﴾[3] وقد نقل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه (التحدث بالنعمة): ومما أنعم الله به علي أن أقام لي عدواً يؤذيني ويمزق عرضي لتكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون)[4]، فلا يخفى مقدار ماتحمله النبي صلى الله عليه وسلم من المنكرين والكافرين والأقرباء المقربين، قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى: (ما كان كبير في عصر إلا كان له عدومن السفلة) إذ الأشراف لم تزل تبتلى بالأطراف فكان لآدم إبليس، ولنوح حام، ولداود جالوت، ولسليمان صخر، ولإبراهيم النمرود، ونسبوا عبدالله بن الزبير رضي الله عنه إلى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا على رأسه ماءً حميماً فزلع[5] وجهه ورأسه وهو لايشعر فلما سلم من صلاته قال: ماشأني؟ فذكروا له القصة، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، ومكث زماناً وهو يتألم من رأسه ووجهه، وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع الأزرق وكان يؤذيه أشد الأذى ويقول: إنه يفسر القرآن بغير علم، وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة، وأما الأئمة المجتهد ون فلا يخفى ما قاساه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من الضرب والحبس وما قاساه الإمام

١ – ردود على شبهات السلفية لمحمد نوري الدير ثوي.
٢ – أخرجه مسلم في صحيحه (٢٨٤١).
٣ – سورة الفرقان الآية (٢٠).
٤ – أخرجه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (٣/٣٤٣).
٥ – زلع: انقشر الجلد عن اللحم.

البخاري حين أخرجوه من بخارى إلى خرتنك[1]، ونفوا أبا يزيد البسطامي سبع مرات، وشيعوا ذا النون المصري من مصر إلى بغداد مقيداً مغلولاً، وكذلك سمنون وسهل التستري وأسعد الخراز والجنيد ورويم وابن عطاء وآخرون لقوا عظائم الأمور من المنكرين من الهزء والسخرية والتنكير والإيذاء، ومهما يكن فهذه سنة الكون التي لم يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، لأننا لو استعرضنا سيرته نجدكم لقي من قومه وأهله المقربين، وصحابته أيضاً نالهم حظهم من الإيذاء والابتلاء، ولقد لقي القوم ما لقوا حين نظر الناس في ظاهر عباراتهم ولم يستعينوا بهم على فهم معانيها وإدراك مراميها، فلكل قوم لغة ولكل فئة اصطلاح، والمتصوفة حين يكتبون إنما يفعلون ذلك تخاطباً فيما بينهم باصطلاحاتهم حسبما درجوا عليه، وهم في هذا كما يكتب منطقي لمنطقي أو عروضي لعروضي، فإذا جاء غير المنطقي يقرأ ما كتب المنطقي فربما ضحك حينما يجدهم يسمون الإنسان حيواناً ناطقاً ويسمون أحقر الأشياء جوهراً، ويشاهد العروضي يستعمل البيت والوتد والإقواء والتكاوس والتواتر فيأخذه العجب من هذه الكلمات ويبقى مدهوشاً مستنكراً، فهل يستقيم لنا آن نعترض عليهم لأنهم يتفاهمون فيما بينهم بهذه الاصطلاحات التي لايفهمها غير المختص، وفي الجملة فإن هذا الوضع أحوال ومنازل واصطلاحات وتعابير لاتنال بقراءة الأوراق بل بصحبة أهل الأذواق، ولابد لمن يريد الفهم من صحبتهم لمعرفة إشاراتهم وإدراك مصطلحاتهم لتتضح له مقاصدهم وتستنير سبلهم، مثلما فعل إمامنا حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى.

عقيدة الشيخ محي الدين بن عربي قدس سره:

إن الذين رموا الشيخ الأكبر قدس سره بالحلولية تارة وبالزندقة تارة أخرى لو نظروا بعين الإنصاف في كل ماكتب لخرجوا من ذلك بما لامجال فيه للشك أن الشيخ من أكابر الموحدين وأن عقيدته واضحة لالبس فيها، وأن المعروف من حاله يخالف مارمي به من عظائم الأمور مما قيل عنه من اتحاد وحلول إن الشيخ وإن كان قد قال شيئاً من هذه الأقوال ففي حال سكر وذهول عن الوعي والحالة السوية وسرعان[2] ما يتبرأ من ذلك كما سيمر بك إن شاء الله والمعروف من اعتقاده أن الله لايحل في شيء فهو مباين عن الحوادث بقدمه لكن الذي دفع أولئك إلى ماقالوا عن هذا الموحد الجليل

---

١ - خرتنك: قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ بها قبر إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري.

٢ - سرعان: مثلثة السين، أي ما أسرع مافعلت كذا.

والعالم الفذ كلمات دست عليه وعلى غيره من العلماء الأعلام فاعتبروا لازم هذه الأقوال حالاً مصاحباً، لكنهم لو أنصفوا لفرقوا بين حالي الصحو والسكر، ولقد ثبت من أقوال العارفين أن إحساسهم بشدة القرب من الحظيرة الإلهية يحجبهم عما حولهم تغمرهم أنوار الفيوضات مستغرقين في الواردات استغراقاً يسلبهم اليقظة والوعي، لكن الله جلت قدرته لايديم عليهم هذا الحال فاستغراقهم في هذه المواجيد ومضات وجيزة يعودون بعدها إلى حالهم الأول، ولولا ذلك لما خلفوا لنا مما كتبوا هذه الأسفار الجليلة من الآداب والسلوك والحكم وما كانوا أرشدوا الناس بالحجة والبرهان، أما أقوالهم تلك فيمكن تأويلها بكل يسر إن كان ثمة تجرد وإنصاف فإذا بها أقوال ليس فيها مايخالف الشرع أو يستغرب أو يستنكر، وفي الجملة فهذه عقيدة الشيخ بين يديك وأمام ناظريك فانظر فيها تشاهد التنزيه من أجلى مظاهره، والتوحيد في أنقى معانيه، اقرأ قوله في عقيدته الصغرى[1]: (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها) وقال في عقيدته الوسطى: (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أويحل في شيء أو يتحد بشيء) وقال في الباب الثامن من الفتوحات: (اعلم أنه ليس في أحد شيء من الله ولايجوز ذلك بوجه من الوجوه)، وقال في باب الأسرار: (لايجوز لعارف أن يقول: (أنا الله)، ولو بلغ أقصى درجات القرب، وحاشا العارف من هذا وحاشاه، إنما يقول: (أنا العبد الذليل في المسير والمقيل)، وقال في باب المائة والتاسع والستين: (القديم لايكون قط محلاً للحوادث ولا يكون حالاً في المحدث، وإنما الوجود الحادث والقديم مربوط ببعض ربط إضافة وحكم لاربط وجود عين بعين، فإن الرب لايجتمع مع عبده في مرتبة واحدة[2]، هذه هي أيها القارئ عقيدة الشيخ مع ما مر معنا من أقواله التي اتخذناها شاهداً في باب الشطح والحلول والاتحاد فهي كاشفة عن حقيقة هذا الموحّد الجليل ومظهرة أنه رضي الله عنه يتمتع بعقيدة طاهرة هي في أعلى مراتب التنزيه والتوحيد الخالص بعيداً عن التشبه والتعطيل، وقد مر بك في ترجمته أنه كان متخصصاً في علم التوحيد، بل إماماً من أبرز أعلامه، فإن غلبه الوجد في لحظة عابرة عند إحساسه بمقام القرب فسرعان ما يعود إلى وعيه وصفائه ويعود إليه حاله الطبيعي، لذلك فالإنصاف والأدب أن نغض الطرف عن هذه الحالات الطارئة إزاء هذا الرسوخ

---

١ - العقيدة الصغرى والوسطى اسما كتابين للشيخ محي الدين وهما في العقيدة.
٢ - اليواقيت والجواهر للإمام الشعراني ص (٤).

الإيماني في تنزيه واجب الوجود مما يستحيل عليه من صفات الحوادث وأعراضها.

وإليك رأي كبار الشيوخ والعلماء في الشيخ محي الدين بن عربي وما دس عليه من كلام.

فقد تناول العالم الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ما ورد من الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن عربي قدس سره من أقوال مستغربة لدى من لم يدرك معناها ممن لم يذق حُمَيَّا القوم ولم تهبط على أفئدتهم الفيوضات وتغمرهم الواردات فعالج هذه الأقوال وناقشها بتؤدة العالم المنصف والباحث المطلع والناقد الموضوعي القدير بعيداً عن سطوة الهوى وتحكم العاطفة، كما أورد الشيخ آراءهم فيه فأدرى الناس بالمرء معاصروه ممن هم في أحواله، فقال: إني طالعت من كلام أهل الكشف مالايحصى من الرسائل فما رأيت أوسع عبارة من الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى، لكني رأيت في كتابه (الفتوحات المكية) مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الإسلام، فلا تظن يا أخي أني ذكرتها لكوني أعتقد صحتها، فمعاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين (أما التفسير المزعوم والمنسوب إلى ابن عربي فقد وضعه عليه أحد الملاحدة، وهو القاشاني الباطني الشهير فقد أقامه على منهج وحدة الوجود القائمة على اعتبار أن كل العالم بظواهره ومظاهره ماهو إلا مجال لوجود الحق، أي الله تعالى، وقد نسب هذا الكتاب إلى القاشاني المؤرخ حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكان شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى يقول: (لايخلو كلام الأئمة عن ثلاثة أحوال لأنه إما أن يوافق صريح الكتاب والسنة، فهذا يجب اعتقاده جزماً، وإما أن لايظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف، وإما أن يخالف الكتاب والسنة ولايمكن تأويله فمرفوض مردود لايصح قبوله، وقد أخبرني العارف بالله الشيخ أبو الطاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محي الدين مما خالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه لأنه رجل كامل بإجماع المحققين والكامل لايصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة، فمن كلامه يعني الشيخ محي الدين بن عربي: أن (من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك)، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه، ولقد كانت عند الشيخ أبي طاهر المغربي نسخة من الفتوحات كان قد قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه، فلم أرَ فيها مما كنت قد توقعت فيه، وإن هذا الإمام إن

كان قد دُسَّ عليه، فقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائفة، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته، فهذا هو ابن الفراء يقول في طبقاته نقلاً عن أبي بكر المروزي ومسدد وحرب: أنهم رأوا الكثير من المسائل ونسبوها إلى الإمام أحمدبن حنبل ويضيف رجلين صالحين بليا بأصحاب سوء: وهما جعفر الصادق وأحمد بن حنبل، أما جعفر الصادق فقد نسبت إليه أقوال كثيرة دونت في فقه بعض الفئات الإسلامية على أنها له وهو منها بريئ، وأما أحمد بن حنبل فقد نسب إليه بعض الحنابلة آراء في العقائد لم يقل بها[1]، كما قال الإمام ابن حجر في فتاويه الحديثية[2]: (إن عقيدة الإمام أحمدبن حنبل موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وكل مانسب إليه مما يخالفها كذب وافتراء وبهتان)، وكذلك دسوا على مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط كتاباً في الرد على أبي حنيفة رضي الله عنه وتكفيره، فأعلن الفيروز آبادي براءته من هذا الكتاب وأنه يجب حرقه. وكذلك دسوا عليّ أنا[3] في كتابي المسمى بالبحر المورود، وأنا منه بريء: من جملة ما دس على الإمام الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى (١٣٥/٢) في ترجمة سيدي علي بن وحيش مالا أطيق كتابته من الفاحشة المنسوبة إلى هذا الرجل الصالح، ولابد أن هذا الدس قد حصل بعد وفاة الإمام الشعراني رحمه الله، والوضع في هذه الفريةظاهر وأراد مختلقها أن يحتال لها فيجعلها في حالة قد تنطلي على البسطاء والمغفلين فقال: إن هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة، وإننا إزاء هذا القول المختلق وأمثاله يكفينا رداً ماهم عليه من الأحوال السامية والمقامات الشريفة المستنيرة بضوء الكتاب والسنة.

ويتابع الشيخ الشعراني رضي الله تعالى عنه فيقول: ولقد قال المجد الفيروز آبادي: والذي أقوله وأتحققه وأدين الله به أن الشيخ محي الدين كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً وإمام التحقيق حقيقة ورسماً، الخ.

وكان سراج الدين المخزومي شيخ الإسلام بالشام يقول: إياكم والإنكار على شيء من كلام الشيخ محي الدين، فإن لحوم الأولياء مسمومة، وقد أثنى عليه العلماء

---

١ - التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص(٨٢).

٢ - الفتاوى الحديثية لابن حجر ص (١٤٨).

٣ - المقصود هو الشيخ عبد الوهاب الشعراني مؤلف كتاب اليواقيت والجواهر.

أمثال الشيخ قطب الدين الحموي، وممن أثنى عليه الحافظ أبو عبد الله الذهبي والشيخ قطب الدين الشيرازي، وكان مؤيد الدين الخجنيدي يقول: ما سمعنا بأحد من أهل الطرق اطلع على ماطلع عليه الشيخ محي الدين، وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي، مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشد الناس إنكاراً على من يخالف ظاهر الشريعة، وممن أثنى عليه أيضاً الشيخ فخر الدين الرازي، وقال: كان الشيخ محي الدين ولياً عظيماً، وسئل الإمام محي الدين النووي عن الشيخ محي الدين بن عربي، فقال: تلك أمة قد خلت، ولكن الذي عندنا أنه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم مادام لم يلحق بدرجتهم، ولايعجز[1] عن ذلك إلا قليل التوفيق. قال في شرح المهذب: (ثم إذا أوّل، فليؤول كلامهم إلى سبعين وجها ولانقبل تأويلاً واحداً). وممن أثنى عليه الشيخ محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي، وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتاباً في الرد عن الشيخ محي الدين، وأما قاضي القضاة المالكي فقد ترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وانقطع لخدمته. وبالجملة فما أنكر على الشيخ إلا الفقهاء الذين لاحظ لهم في شرب المحققين[2]، ونحن إزاء موضوع الدس لابد أن نعلم أن كثيراً من العلوم لم تسلم من آفة الدس والتحريف فلا يخفى أن بعض تفاسير القرآن يكاد ينوء بالإسرائيليات، ومثله الحديث الشريف، حين دسوا على الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث جمة لم يقلها، وهي الأحاديث المعروفة بـ (الموضوعة) كأحاديث إسناد الجهة إلى الله تعالى مثل الفوقية وأحاديث التجسيم والتشبيه ونحو ذلك من العقائد الزائفة، لكن الله تعالى قيض للرد على هؤلاء علماء مخلصين أزالوا كل شائبة عن هذين العلمين، وإن الدس وإن يكن قد نال من هذين العلمين، فإن التاريخ الإسلامي أيضاً قد سرى إليه هذا الداء قديماً، كقصص ألف ليلة وليلة ومافيها عن هارون الرشيد رحمه الله، وحديثاً ككتابات المستشرقين الحاقدين أمثال فيليب حتي وبركلمان وجرجي زيدان أما جرجي زيدان فقد شوه التاريخ الإسلامي حين صاغه في أسلوب روايات غرامية جردها من دوافعها الإيمانية. وكذلك دس على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، كما فعل الشريف الرضي علي بن

---

١ - العجز: الضعف وهو من باب ضرب وسمع.

٢ - اليواقيت والجواهر للإمام الشعراني ط (البابي الحلبي ١٩٥٩) ص (٧) وما بعدها.

الحسين على ماذكره الذهبي حين قال: (وهو المتهم بوضع نهج البلاغة) ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله تعالى عنه ففيه السب الصريح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وفيه التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين والصحابة وغيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل[1].

وكذلك دسوا على حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله تعالى فها هو الشيخ الشعراني يقول: ومما دسوا على الغزالي وأشاعه بعضهم عنه أنه قال: (إن لله عباداً لو سألوه أن لايقيم الساعة لم يقمها، وإن لله عباداً لو سألوه أن يقيم الساعة الآن لأقامها) فإن مثل ذلك كذب وزور على الإمام حجة الإسلام رحمه الله، وإن وجد في بعض مؤلفات الإمام فذلك مدسوس عليه من بعض الملاحدة وقد رأيت كتاباً كاملاً مشحوناً بالعقائد المخالفة لأهل السنة والجماعة صنفه بعض الملحدين ونسبه إلى الإمام الغزالي فاطلع عليه الشيخ بدر الدين بن جماعة فكتب عليه (كذب والله وافترى من أضاف هذا الكتاب إلى حجة الإسلام)[2].

ورابعة العدوية رضي الله عنها لم تسلم من التقول عليها فقالوا بأنها قالت عن الكعبة (الصنم المعبود في الأرض) وقد كذب ابن تيمية هذا القول وقال إنه مدسوس عليها لما سألوه عنها فقال: (وأما ماذكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت (إنه الصنم المعبود في الأرض) فهو كذب على رابعة العدوية المؤمنة التقية، ولو قال هذا من قال لكان كافراً يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو كذب فإن البيت لايعبده المسلمون ولكنهم يعبدون رب البيت بالطواف والصلاة إليه[3][4].

وقد سبق أن ذكرنا أن الشيخ الأكبر رضي الله عنه تناول أحواله بالدراسة كثيرون، لكن لم يجعل كل أولئك نصب أعينهم أن ينصفوه فلم يلتمسوا له الأعذار، فيا أيها القراء الكرام: أما وقد اطلعنا على جانب مهم من جوانب حياة هذا الشيخ الكبير والعالم الجليل والمرشد الرباني الكامل وعلمنا مقدار رسوخه في علم التوحيد

---

١ – ميزان الاعتدال (٣/١٢٤).

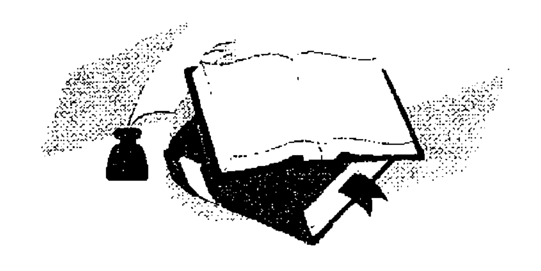
٢ – لطائف المنن والأخلاق للشيخ الشعراني (١/١٢٧).

٣ – مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/٨٠) ومابعدها.

٤ – من كتاب الصوفية والتصوف للشيخ عدنان حقي حفظه الله ص ١٠٤.

ووقوفه عند النصوص التي أجمع عليها جمهور المتكلمين فينبغي أن لانغدو أسارى دعاوى وأضاليل قيلت من غير برهان وثيق، أو بناءً على قناعات سابقة من غير تمحيص شأن المغرضين، فعلى القارئ الذي يسعى نحو معرفة حقيقة هذا الحبر الجليل أن يسلك في دراسته طريقة التحقيق العلمي مع التماس الأعذار كما ورد بذلك الأثر: (التمس لأخيك سبعين عذراً) بعيداً عن دائرة جاذبية العاطفة أو الارتجال، ومالم نعتق أنفسنا من تأثيرات الظنون الآثمة والعواطف الآسرة فلن نهتدي إلى سواء السبيل.

وحسبنا في هذا رادعاً قول الله جل وعلا: **﴿ولا تقفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً[1]﴾**.



١ - سورة الإسراء الآية (٣٦).



١٣ المجاهدة

تمهيد

تعريف المجاهدة: قال الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن[١]. "الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهرة ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده**[٢]﴾ وقوله: ﴿**وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**[٣]﴾.

ولا شك أن النفس الإنسانية قابلة لتغيير صفاتها الناقصة وتبديل عاداتها المذمومة، وإلا لم يكن هناك فائدة من بعثة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ولا ضرورة لمن بعده من ورثته العلماء العاملين والمرشدين المصلحين.

وإذا كان كثير من سباع الطيور والبهائم قد أمكن ترويضها وتبديل كثير من صفاتها فالإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل وخلقه في أحسن تقويم من باب أولى.

وليس المراد من مجاهدة النفس استئصال صفاتها، بل المراد تصعيدها من سيء إلى حسن، وتسييرها على مراد الله تعالى وابتغاء مرضاته.

فصفة الغضب مذمومة حين يغضب المرء لنفسه، أما إذا غضب لله تعالى فعندها يصبح الغضب ممدوحاً كما كان رسول الله ﷺ يغضب إذا انتكهت حرمات الله أو عُطِّلَ حد من حدوده ولكنه حين أوذي في الله وضُرب وأدمي عقبه يوم الطائف لم يغضب لنفسه، بل دعا لمن آذوه بالهداية والتمس لهم العذر فقال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[٤].

---

١ – المفردات في غريب القرآن (٢٠٨) مادة جهد.

٢ – سورة الحج الآية (٧٨).

٣ – سورة التوبة الآية (٤١).

٤ – أخرجه: البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٢)، وأحمد (١/٣٨٠-٤٢٧)، والطبراني (٥٦٩٤)، وابن حبان (٩٧٣)، والفسوي في تاريخه (١/٣٢٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١١٧).

وكذلك صفة الكبر فهي مذمومة حين يتكبر المسلم على إخوته المسلمين، أما حين يتكبر على المتكبرين الكافرين فتصبح هذه الصفة محمودة لأنها في سبيل الله وضمن حدود شرعه.

وهكذا معظم الصفات المذمومة تحول بالمجاهدة وتُصعَّد إلى صفات ممدوحة.

فمجاهدة النفس فَطْمُها وحَمْلها على خلاف هواها المذموم، وإلزامها تطبيق شرع الله تعالى أمراً ونهياً.

الأدلة على مشروعية المجاهدة:

أ ـ من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[1].

قال العلامة المفسر القرطبي في تفسير هذه الآية: (قال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال) وهذا يدل على أن المراد بالجهاد هنا هو جهاد النفس كما قال العلامة المفسر ابن جزي في تفسيرها: "يعني جهاد النفس".

ب ـ من السنة الشريفة:

عن فضالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في الله)[2].

وفي رواية: (في طاعة الله)[3].

حكم المجاهدة

تزكية النفس فرض عين ولا تتم إلا بالمجاهدة ومن هنا كانت المجاهدة فرض عين أيضاً من باب: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

١ – سورة العنكبوت الآية (٦٩).

٢ – أخرجه الترمذي (١٦٢١). وقال حديث حسن صحيح، وأحمد (٢٠٦). والطبراني في الكبير (١٨|٧٩٧). وابن حبان (٤٧٠٦).

٣ – أخرجه أحمد (٦|٢١)، والحاكم (١|١٠ – ١١). وصححه ووافقه الذهبي.

قال الشيخ عبد الغني النابلسي رحمه الله: "المجاهدة في النفس عبادة، ولا تحصل لأحد إلا بالعلم، وهي فرض عين على كل مكلف[1].

طريقة المجاهدة

وأول مرحلة في المجاهدة عدم رضى المرء عن نفسه، وإيمانه بوصفها الذي أخبر عنه خالقها ومبدعها: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾[2]، وعلمه أن النفس أكبر قاطع عن الله تعالى[3] كما أنها أعظم موصل إليه وذلك أن النفس حينما تكون أمارة بالسوء لا تتلذذ إلا بالمعاصي والمخالفات، ولكنها بعد مجاهدتها وتزكيتها تصبح راضية مرضية لا تسر إلا بالطاعات والموافقات والاستئناس بالله تعالى.

وإذا اكتشف المسلم عيوب نفسه وصدق في طلب تهذيبها لم يعد عنده متسع في الوقت للانشغال بعيوب الناس وإضاعة العمر في تعداد أخطائهم، وإذا رأيت أحداً من الناس قد صرف وقته في إحصاء أخطاء الآخرين غافلاً عن عيوب نفسه فاعلم أنه جاهل ممكور به قال أبو مدين:

ولا ترَ العيب إلا فيك معتقداً ... عيباً بداييناً لكنه استترا

وقال بعضهم:

لا تلم المرء على فعله ... وأنت منسوب إلى مثله

من ذمّ شيئاً أتى مثله ... فإنما دل على جهله

ولذا قالوا: لا ترعيب غيرك ما دام فيك عيب، والعبد لا يخلو من عيب أبداً".

فإذا عرف المسلم ذلك أقبل على نفسه يفطمها عن شهواتها المنحرفه وعاداتها الناقصة، ويلزمها بتطبيق الطاعات والقربات.

---

1 - شرح الطريقة المحمدية (١/٣٢٢).

2 - سورة يوسف الآية (٥٣).

3 - والقواطع عن الله تعالى أربعة: النفس والدنيا، والشيطان، والخلق، أما عداوة النفس والشيطان فظاهرة، وأما الخلق فملاحظة مدحهم وذمهم تعرقل سير السالك إلى ربه، وأما الدنيا فالاهتمام بها والانشغال القلب بتقلباتها قاطع كبير عن الله تعالى، ففي حالة الفقر تكثر هموم المرء فتشغله عن الله، وفي حال الغنى ينشغل بزينتها وزخرفها عن الله تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ أما إذا أخرج حبها من قلبه فإنها لا تضره، كما قال شيخ الصوفية سيدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "أخرج الدنيا من قلبك، وضعها في جيبك أو في يدك فإنها لا تضرك".

ويتدرج في المجاهدة على حسب سيره، فهو في بادئ الأمر يتخلى عن المعاصي التي تتعلق بجوارحه السبعة وهي:

اللسان والأذنان والعينان واليدان والرجلان والبطن والفرج[1] ثم يحلّي هذه الجوارح السبعة بالطاعات المناسبة لكل منها[2] فهذه الجوارح السبعة منافذ على القلب إما أن تصب عليه ظلمات المعاصي فتكدره وتمرضه وإما أن تدخل عليه أنوار الطاعات فتشفيه وتنوره.

ثم ينتقل في المجاهدة إلى الصفات الباطنة فيبدل صفاته الناقصة كالكبر والرياء والغضب... بصفات كاملة كالتواضع والإخلاص والحلم.

وبما أن طريق المجاهدة وعر المسالك متشعب الجوانب، يصعب على السالك أن يلجه منفرداً كان من المفيد عملياً صحبة مرشد خبير بعيوب النفس، عالم بطرق معالجتها ومجاهدتها يستمد المزيد من صحبته خبرة عملية بأساليب تزكية نفسه، كما يكتسب من روحانيته نفحات قدسية تدفع المريد إلى تكميل نفسه وشخصيته، وترفعه فوق مستوى النقائص والمنكرات فقد كان رسول الله ﷺ المرشد الأول والمزكي الأعظم الذي ربى أصحابه الكرام وزكى نفوسهم بقاله وحاله، كما وصفه الله تعالى بقوله: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلواْ عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[3].

---

١ – لكل جارحة من الجوارح السبعة معاص تتعلق بها: فمن معاصي اللسان: الغيبة والنميمة والكذب والفحش: ومن معاصي الأذنين: سماع الغيبة والنميمة والأغاني الفاحشة. ومن معاصي العينين: النظر للنساء الأجنبيات وعورات الرجال. ومن معاصي اليدين: إيذاء المسلمين وقتلهم، وأخذ أموالهم بالباطل ومصافحة النساء الأجنبيات. ومن معاصي الرجلين: المشي إلى محلات المنكرات والفجور. ومن معاصي البطن: أكل المال الحرام وأكل لحم الخنزير، وشرب الخمور. ومن معاصي الفرج: الزنا واللواطة..

٢ – فمن طاعات اللسان: قراءة القرآن الكريم وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ومن طاعات الأذنين: سماع القرآن الكريم والأحاديث النبوية والنصائح والمواعظ. ومن طاعات العينين: النظر إلى وجوه العلماء والصالحين والنظر إلى الكعبة المشرفة، والنظر التأملي لآيات الله في الكون. ومن طاعات اليدين مصافحة المؤمنين وإعطاء الصدقات ومن طاعات الرجلين المشي إلى المساجد وإلى مجالس العلم وعيادة المريض، والإصلاح بين الناس: ومن طاعات البطن: تناول الطعام الحلال بنية التقوي على طاعة الله تعالى. ومن طاعات الفرج: النكاح المشروع بغية الإحصان وتكثير النسل.

٣ – سورة الجمعة الآية (٢). ومن هنا نجد أن التزكية شيء وتعليم الكتاب والحكمة شيء آخر، لذا قال تعالى: ﴿ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ ففرق كبير بين علم التزكية وحالة التزكية، كما يلاحظ الفرق الواضح بين علم الصحة وحالة الصحة، إذ قد يكون الطبيب الماهر الذي عنده علم الصحة فاقداً حالة الصحة ومصاباً بالأمراض والعلل الكثيرة. وكذلك الفرق ظاهر بين علم الزهد وحالة الزهد، كالمسلم الذي عنده علم واسع بالآيات والأحاديث والشواهد المتعلقة بالزهد ولكنه يفقد حالة الزهد ويتصف بالطمع والشره والتكالب على الدنيا الفانية.

والذي يحقق النفع للمريد هو استقامته على صحبة مرشده واستسلامه له كاستسلام المريض للطبيب، فإذا ما أدخل الشيطان على قلب المريد داء الغرور والاكتفاء الذاتي فأعجب بنفسه واستغنى عن ملازمة شيخه باء بالفشل ووقف وهو يظن أنه سائر، وقطع وهو يظن أنه موصول[١].

صور من مجاهدة النبي ﷺ وصحابته الكرام:

١- عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض)[٢].

٢- وعنها رضي الله عنها قالت: (كان فراش رسول الله ﷺ من أُدمٍ[٣] وحشوه ليف)[٤].

٣- وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه، وقد عصب بطنه من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة، وهو زوج أم سليم بنت ملحان فقلت: يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع. فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟ قالت: نعم عندي كِسْرٌ من خبزٍ وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ أشبعناه، وإن جاء آخر معه قَلَّ عنهم، وذكر تمامَ الحديث[٥].

٤- وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لقد رأيتُني وإني لأخرُّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها مغشياً عليَّ فيجيء الجائي، فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون[٦] وما بي من جنون ما بي إلا الجوع[٧].

٥- وعن سيدنا فضالة بن عبيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا

---

١ - حقائق عن التصوف ص (١١٥ - ١١٩).
٢ - أخرجه البخاري (٩|٤٧٨) ومسلم (٢٩٧٠).
٣ - أي جلد.
٤ - أخرجه البخاري (١١|٥).
٥ - أخرجه البخاري (٦|٤٢٩-٤٣٢) ومسلم (٢٠٤٠).
٦ - أي وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق.
٧ - أخرجه البخاري (٧٣٢٤). والترمذي (٢٣٦٧).

صلى بالناس يَخِرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة[1] وهم أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين، فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم، فقال: (لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة)[2].

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مافيهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم منها مايبلغ نصف الساقين ومنها مايبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[3].

٧- وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا و لم يشبع من خبز الشعير[4].

٨- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم، مايجد من الدقل[5] ما يملأ به بطنه[6].

من أقوال العارفين بالله في أهمية المجاهدة

١- قال الإمام البركوي رحمه الله تعالى: "المجاهدة: وهي فطم النفس وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات، فهي بضاعة العُبَّاد ورأس مال الزهاد، ومدار صلاح النفوس وتذليلها، وملاك تقوية الأرواح وتصفيتها ووصولها إلى حضرة ذي الجلال والإكرام. فعليك أيها السالك بالتشمير في منع النفس عن الهوى وحملها على المجاهدة إن شئت من الله الهدى، قال الله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾**[7]، وقال أيضاً: **﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾**[8].

---

١ - الخصاصة: الفاقة والجوع الشديد.

٢ - أخرجه الترمذي (٢٣٦٨). وقال حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان (٧٢٤). وأحمد (٦/١٨). والطبراني في الكبير (١٨/ برقم ٧٩٨) وأبو نعيم (٢/١٧).

٣- أخرجه البخاري (١/٤٤٧).

٤ - أخرجه البخاري (٩/٤٧٨).

٥ - الدقل: تمر رديء.

٦ - أخرجه مسلم (٢٩٧٨) والترمذي (٢٣٧٣).

٧ - سورة العنكبوت الآية (٦٩).

٨ - سورة العنكبوت الآية (٦).

٢- **وقال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى:** "من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة وقال الله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ واعلم أنه من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمة[١].

٣- **وقال أبو عثمان المغربي رحمه الله تعالى:** (من ظن أنه يفتح له بهذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها لا بلزوم المجاهدة فهو في غلط).

٤- **وقال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى:** "سمعت السري السقطي يقول: يا معشر الشباب جدُّوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا وتقصروا كما ضعفت وقصرت. وكان في ذلك الوقت لا يلحقه الشباب في العبادة.

٥- **وقال ابن عجيبة رحمه الله تعالى:** "لا بد للمريد في أول دخوله الطريق من مجاهدة ومكابدة وصدق وتصديق، وهي مظهر ومجلاة للنهايات، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته، فمن رأيناه جاداً في طلب الحق باذلاً نفسه وفلسه وروحه وعزه وجاهه ابتغاء الوصول إلى التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية، علمنا إشراق نهايته بالوصول إلى محبوبه، وإذا رأيناه مقصراً علمنا قصوره عما هنالك[٢].

٦- **وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى في تعليقاته على الرسالة القشيرية:** "إن نجاة النفس أن يخالف العبدُ هواها، ويحملها على ما طلب منها ربها".

رد الشبهات حول المجاهدة

إن قال قائل: إن رجال التصوف يحرمون ما أحل الله من أنواع اللذائذ والمتع، وقد قال الله تعالى: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا**

١ - الرسالة القشيرية ص (٤٨ - ٥٠).
٢ - إيقاظ الهمم (٢/٣٧٠).
٣ - سورة الأعراف الآية (٣٢).

تعتدوا إن ا لله لا يحب المعتدين﴾[1] فنقول: إن رجال التصوف لم يجعلوا الحلال حراماً، إذ أسمى مقاصدهم هو التقيد بشرع ا لله، ولكنهم حين عرفوا أن تزكية النفس فرض عين وأن للنفس أخلاقاً سيئة وتعلقات شهوانية، توصل صاحبها إلى الردى وتعيقه عن الترقي في مدراج الكمال وجدوا لزاماً عليهم أن يهذبوا نفوسهم ويحرروها من سجن الهوى.

وبهذا المعنى يقول الصوفي الكبير الحكيم الترمذي رحمه ا لله رداً على هذه الشبهة، وجواباً لمن احتج بالآية الكريمة **﴿قل من حرم زينة ا لله...﴾** فهذا الاحتجاج تعنيف، ومن القول تحريف لأنا لم نرد بهذا التحريم ولكنا أردنا تأديب النفس حتى تأخذ الأدب وتعلم كيف ينبغي أن تعمل في ذلك ألا ترى إلى قوله جل وعلا: **﴿إنما حرم ر بي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق﴾**[2] فالبغي في الشيء الحلال حرام، والفخر حرام، والمباهاة حرام، والرياء حرام، والسرف حرام، فإنما أوتيت النفس هذا المنع من أجل أنها مالت إلى هذه الأشياء بقلبها، حتى فسد القلب فلما رأيت النفس تتناول زينة ا لله والطيبات من الرزق تريد بذلك تغنياً أو مباهاة أو رياء علمتُ أنها خلطت حراماً بحلال فضيَّعت الشكر، وإنما رزقت لتشكر لا لتكفر، فلما رأيت سوء أدبها منعتها، حتى إذا ذلت وانقمعت، ورآني ربي مجاهداً في ذاته حق جهاده، هداني سبيله كما وعد ا لله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن ا لله لمع المحسنين﴾**[3] فصرت عنده بالمجاهدة محسناً فكان ا لله معي، ومن كان مع ا لله فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل، وقذف في القلب نوراً عاجلاً في دار الدنيا حتى يوصله إلى ثواب الآجل. وتجافى عن دار الغرور بما قذف في قلبه من النور فأبصر به عيوب الدنيا ودواهيها وآفاتها وخداعها وخرابها، فغاب عن قلبه البغي والرياء والسمعة والمباهاة والفخر والخيلاء والحسد، لأن ذلك إنما كان أصله من تعظيم الدينا وحلاوتها في قلبه، وحبه لها، وكان سبب نجاته من هذه الآفات برحمة ا لله رياضته هذه النفس بمنع الشهوات منها[4]. وقد تسرع بعض الناس فزعموا جهلاً أن التصوف في مجاهداته ينحدر من أصل بوذي أو براهيمي ويلتقي مع

---

١ - سورة المائدة الآية (٨٧).

٢ - سورة الأعراف الآية (٣٣).

٣ - سورة العنكبوت الآية (٦٩).

٤ - كتاب الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذي ص (١٢٤).

الانحرافات الدينية في النصرانية وغيرها التي تعتبر تعذيب الجسد طريقاً إلى إشراق الروح وانطلاقها، ومنهم من جعل التصوف امتداداً لنزعة الرهبنة التي ظهرت في ثلاثة رهط سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فلما أخبروا عنها كأنهم تقالوها فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثاني: أما أنا فأقوم الليل ولا أنام، وقال الثالث: أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج. ولما عرض أمرهم على رسول الله ﷺ صحح لهم أفكارهم، وردهم إلى الصراط المستقيم والنهج القويم[1].

والجواب على ذلك أن التصوف لم يكن في يوم من الأيام شرعة مستقلة ولا ديناً جديداً، ولكنه تطبيق عملي لدين الله تعالى واقتداء كامل برسوله عليه الصلاة والسلام. وإنما سرت الشبهة على هؤلاء المتسرعين لأنهم وجدوا في التصوف اهتماماً بتزكية النفس وتربيتها وتصعيدها ومجاهدتها على أسس شرعية ضمن نطاق الدين الحنيف، فقاسوا تلك الانحرافات الدينية على التصوف قياساً أعمى دون تمحيص أو تمييز، غائبين عن مواقف المجاهدة العظيمة التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام مما لو سمع به أحد هؤلاء المنكرين ولم يعلم أنه موقف لرسول الله لاتهم صاحبه بأنه متنطع بالعبادة وأنه يشادّ الدين ويحرم على نفسه ما أحل الله لها ولكنه ثمة فرق كبير بين المجاهدة المشروعة المقيدة بدين الله تعالى وبين المغالاة والانحراف وتحريم الحلال وتعذيب الجسد كما عليه البوذيون الكافرون.

ومن الظلم والبهتان أن يحكم على كل من جاهد نفسه وزكاها أنه ينحدر من أصل بوذي أو براهيمي كما يزعم المستشرقون ومن خدع بهم، أو أنه يقتدي بهؤلاء الرهط الذين تقالوا عبادة رسول الله ﷺ كما يقوله المتسرعون السطحيون، مع أن رسول الله ﷺ صحح لهم خطأهم فرجعوا إلى هديه وسنته.

وإذا وجد في تاريخ التصوف من حرم الحلال أو قام بتعذيب الجسد على غرار الانحرافات الدينية السابقة فهو مبتدع ومبتعد عن طريق التصوف لذا ينبغي التفريق بين التصوف والصوفي فليس الصوفي بانحرافه ممثلاً للتصوف، كما أن المسلم بانحرافه لا يمثل الإسلام.

والمعترضون لم يفرقوا بين الصوفي والتصوف وبين المسلم والإسلام فجعلوا

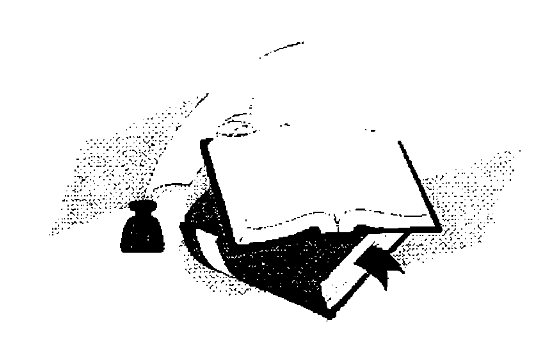
---

١ - أخرجه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (١٤٠١).

تلازماً بينهما فوقعوا في الكاملين قياساً على المنحرفين.

وبعد، فإن منتهى آمال السالكين ترقية نفوسهم فإن ظفروا بها وصلوا إلى مطلوبهم، والنفس تترقى بالمجاهدة والرياضة من كونها أمارة إلى كونها لوامة وملهمة وراضية ومرضية ومطمئنة... الخ فالمجاهدة ضرورية للسالك في جميع مراحل سيره إلى الله تعالى ولا تنتهي إلا بالوصول إلى درجة العصمة وهذه لا تكون إلا للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام[1] فالأولياء يصلون لدرجة الحفظ، والأنبياء لدرجة العصمة.

إذاً فالمجاهدة أصل من أصول طريق الصوفية، وقد قالوا: (من حقَّق الأصول نال الوصول، ومن ترك الأصول حرم الوصول).



١ - حقائق عن التصوف ص (١٢٤ - ١٢٧).

١٤ الطريقة والحقيقة

معنى الطريقة والحقيقة

الشريعة اسم لمجموع الأحكام التكليفية، وهي تحيط بالأعمال الظاهرة والباطنة جميعاً وكانوا يرون الفقه مرادفاً لها لدى المتقدمين كما أُثر عن الإمام أبي حنيفة في التعريف بالفقه "معرفة النفس ما لها وما عليها" ثم جاء المتأخرون فأصبح في مصطلحهم العنصر من الشريعة الذي يخص الأعمال الظاهرة فقهاً وأما ما يخص الأعمال الباطنة من شعب الشريعة فصار تصوفاً[١].

إنه يقال لطرق هذه الأعمال الباطنة طريقة، ثم ما يتولد من الصفاء والانجلاء في القلب لصلاح هذه الأعمال الباطنة، يتكشف به للقلب بعض الحقائق الكونية المتعلقة بالأعيان والأعراض، وعلى الأخص الأعمال الحسنة، والحقائق الإلهية من صفاتية وذاتية، وعلى الأخص المعاملة التي بين ا لله وبين العبد، ويقال لهذه المكشوفات حقيقة، ويسمى الانكشاف معرفة، ويدعى صاحب الانكشاف محققاً وعارفاً.

فجميع هذه الأمور تبع للشريعة، وأما ما شاع عند العامة من أن الشريعة إنما تدعى بها الأعمال الظاهرة والحقيقة تختص بالأعمال الباطنة، فليس بمأثور عن أي رجل عالم، وليس مفهومه عند العامة بسديد كذلك، إذ هو اعتقاد لتضاد الظاهر والباطن[٢].

من أقوال العلماء والعارفين في معنى الطريقة والحقيقة:

١- الإمام الرفاعي قدس ا لله سره: قال رضي ا لله عنه في البرهان المؤيد: "الطريقة: الشريعة، والشريعة: الطريقة، والفرق بينهما لفظي، والمادة والمعنى والنتيجة واحدة.

---

١ - لكن هذين المصطلحين ليسا متخالفين ولا متضادين، بل إن التالي تكميل للأول.

٢ - بين التصوف والحياة ص (٢٢١ - ٢٢٢).

٢- **الإمام الرواس قدس الله سره:** قال رضي الله عنه في قصيدة له مبيناً أحكام الطريقة وآدابها وأنها مستمدة من الكتاب والسنة:

طريقتنا تنجي الفؤاد من الغوى	وتحفظه من زيغه وتسلم
طريقتنا حال النبي وطوره	وعن سره للعارفين تترجم
طريقتنا صدق وزهد ورأفة	وذل إلى المولى ونهج مقوم
طريقتنا أن لا يرى المرء نفسه	وفيها أخير القوم فهو المقدم
طريقتنا أن تصلح العبد صحبة	فنحن سكوت والهوى يتكلم
طريقتنا أن يجعل الشرع سلماً	أجل وبه السلاك ترقى وتعظم
طريقتنا قلب سليم ونية	مطهرة أنف المآمل ترغم
طريقتنا أن لا نرى الغير فاعلاً	سوى أنه الرحمن يعطي ويحرم
طريقتنا حب النبي وآله	وأصحابه والذكر للخير عنهم
طريقتنا ذوق وشوق وعِبرة	وعَبرة عين دمعها كلّه دم
طريقتنا جدٌّ وجهد ولوعة	وخلوة صدق خالص وتكتم
طريقتنا أن لا نرى الشق للعصا	فإنّ موالاة الجماعة ألزم
طريقتنا ود لكل موحد	وأن نسدي إحساناً لمن هو مسلم
طريقتنا بالآدميين رحمة	كما أمر الهادي الرسول المكرم
طريقتنا أن نشهد الخلق كلهم	بخير وأن نزوي الأذيّة عنهم
طريقتنا محو الرياء وطرحه	وحفظ نظام الصدق إذ نتكلم
طريقتنا صون الجوارح كلها	فإن سؤال الحشر بالصون ملزم
طريقتنا أن نجذب القلب دائماً	إلى الله بل في ذكره نترنم
طريقتنا دوم الهيام توهاً	وهل مرتضى المحبوب إلا المهيم
طريقتنا وجه مع الناس حاضر	وقَلب بذكر الله لا يتلعثم
طريقتنا إعظام شأن محمد	كما هو فهو الهاشمي المعظم

طريقتنا نهج الرفاعي أحمد		فمنهاجه من جملة القوم أقوم
طريقتنا أن نملأ العين دمعة		إذ الناس في فرش البطالة نُوَّم
طريقتنا أن نبدي في الله شدة		ونبغض فيه من به الزيغ يرسم
طريقتنا نصر المحق وغوثه		وإذلال من للناس يؤذي ويظلم
طريقتنا إكرام شيخ لسنه		ورحمة طفل إنما الطفل يرحم
طريقتنا الإيثار والبذل دائماً		بلا ريبة والله أغنى وأكرم
طريقتنا هجر الكذوب وتركه		وحب صدوق هكذا القوم ألزموا
طريقتنا غسل الفؤاد من الهوى		ومن بعده وفقاً له نتوسم
طريقتنا رد الفراسة للذي		به الشرع يقضي في الأمور ويبرم
طريقتنا إن جاء بالصدق وارد		نحكمه في أمرنا ونسلم
طريقتنا التحكم للنص بالذي		به في الإشارات الغوامض نلهم
طريقتنا إعزاز من شاد سنة		بها ركن زيغ في البرية يهدم
طريقتنا أن لا نقول بوحدة		ولا بحلول والمصيبة أعظم
طريقتنا أن نحفظ الشرع ظاهراً		وهذا هو السر الخفي المطلسم
طريقتنا رد الشطوحات كلها		إذا لم يكن منها المؤول يفهم
طريقتنا أن يأخذ القلب عبرة		ولو من هبوب الريح إذ يتنسم
طريقتنا أن نتبع النص خضعاً		وإن جاء طيشاً غيره لا نسلم
طريقتنا أن البدايات كلها		بتصريف أمر الله تبدو وتختم

هذه طريقتنا التي سقنا القلوب إليها، وعولنا في المسير إلى الله عليها، وهي طريق المتمسكين بسنة سيد المرسلين [1].

٣- **الإمام ابن عابدين:** قال رحمه الله تعالى: (الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين من قطع المنازل، والترقي في المقامات) وقال في الصفحة التي تليها (فالحقيقة

---

١ - رفرف العناية ص (١٣٥ - ١٣٨).

هي مشاهد الربوبية بالقلب، ويقال: هي سر معنوي لاحد له ولاجهة، والطريقة والشريعة متلازمة، لأن الطريق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة والطريقة، وباطنها الحقيقة، فبطون الحقيقة هي الشريعة والطريقة، كبطون الزبد في لبنه، ولايظفر من اللبن بزبده بدون خضّه، والمراد من الثلاثة (الشريعة والطريقة والحقيقة)، إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد[1].

٤- صاحب كشف الظنون: قال صاحب كشف الظنون في حديثه عن علم التصوف: (ويقال: علم التصوف علم الحقيقة أيضاً، وهو علم الطريقة، أي تزكية النفس عن الأخلاق الردية، وتصفية القلب عن الأغراض الدنية، وعلم الشريعة بلا علم الحقيقة عاطل، وعلم الحقيقة بلا علم الشريعة باطل، علم الشريعة وما يتعلق بإصلاح الظاهر بمنزلة العلم بلوازم الحج، وعلم الطريقة بإصلاح الباطن بمنزلة العلم بالمنازل وعقبات الطريق، فكما أن مجرد علم اللوازم ومجرد علم المنازل لايكفيان في الحج الصوري بدون إعداد اللوازم وسلوك المنازل، كذلك مجرد العلم بأحكام الشريعة، وآداب الطريقة لايكفيان في الحج المعنوي بدون العمل بموجبيهما[2].

٥- الشيخ عبدا لله اليافعي: قال رحمه ا لله تعالى: (إن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية، ولها طريقة هي عزائم الشريعة، فمن سلك الطريق وصل إلى الحقيقة، فالحقيقة نهاية عزائم الشريعة، ونهاية الشيء غير مخالفة له، فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشريعة)[3].

٦- الحافظ محمد صديق الغماري: قال رحمه ا لله تعالى: (أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي ﷺ بعدما بينها واحداً واحداً ديناً بقوله: (فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)[4] وهو الإسلام والإيمان والإحسان فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة (أن تعبد ا لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه

١ - حاشية ابن عابدين (٣/٣٠٣).
٢ - كشف الظنون (١/٤١٣).
٣ - نشر المحاسن الغالية (١/١٥٤).
٤ - جزء من حديث أخرجه مسلم (٨) وأبو داود (٢٦١٣) والترمذي (٤٦٩٥) والنسائي (٨/٩٧).

يراك..) ثم قال رحمه الله تعالى (فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة، فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنا من أركانه. فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان)[1].

٧- **الشيخ محمد متولي الشعراوي**: قال رحمه الله تعالى: (كل إنسان وصل إلى الله بطريق من الطرق، أو صيغة من الصيغ يعتقد أن الطريق الذي سلكه إلى الله هو أقصر الطرق، ولذلك اختلف الناس لأن وسائل عبادة الله متعددة فإذا دخل إنسان من باب وطريق وأخس أنه نقله وأوصله، بادر إلى نقله لمن يحب.

ومن هنا فإن معنى أن هناك طرقاً صوفية هو أن أناساً وصلوا إلى الصفاء من الله سبحانه وتعالى، وجاءتهم الإشراقات والعلاقات التي تدل على ذلك في ذواتهم، فعلموا أن الطريق الذي سلكوا فيه إلى الله صحيح وكلما زادوا في العبادة زاد الله في العطاء[2] وبعد هذا نرى من يتحامل على السادة الصوفية ويتهمهم زوراً وبهتاناً بأنهم يهتمون بالحقيقة فقط ويهملون جانب الشريعة، فهذا كله افتراء باطل، ويشهد على بطلانه كلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتاويه حيث قال متحدثاً عن تمسك السادة الصوفية بالكتاب والسنة: (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والسري السقطي، والجنيد بن محمد، وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ حماد، والشيخ أبي البيان، وغيرهم من المتأخرين، فهؤلاء لايسوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين، بل عليه أن يفعل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير في كلامهم)[3].

وفيما يلي نورد بعض أقوال السادة الصوفية التي تدل على تمسكهم بالكتاب والسنة تذكير وزيادة على ما أوردناه في باب التصوف من هذه الموسوعة.

---

١ - الانتصار لطريق الصوفية ص (٦).

٢ - أصول الوصول ص ٣٣٧،٣٣٨.

٣ - مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٥١٦ - ٥١٧).

١- قال الإمام الجنيد رحمه الله تعالى: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة).

وقال أيضاً: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ. واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه[١]. وذكر رجل عنده المعرفة فقال: (أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات (الأعمال) من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل)، فقال الجنيد رحمه الله تعالى: إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال الصالحة التكليفية، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها[٢].

٢- قال الشيخ سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: (أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى، والاقتداء بسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق)[٣].

٣- وقال الشيخ عبد القادرالجيلاني رحمه الله تعالى: (كل حقيقة لاتشهد لها الشريعة فهي زندقة، طِر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ).

وقال أيضاً: (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، ولاتسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال)[٤].

٤- وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى: (إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون)[٥].

٥- وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: (إذا عارض كشفك الصحيح

---

١ - طبقات الصوفية للسلمي ص (١٥٩).
٢ - الرسالة القشيرية ص ٢٢.
٣ - طبقات الصوفية للسلمي ص ٢١٠.
٤ - الفتح الرباني ص (٢٩).
٥ - لطائف المنن والأخلاق (١/٢).

الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك، إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في الكشف والإلهام)[1].

٦- وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى: (كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل)[2].

٧- وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله تعالى: (لايصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه ﷺ في شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول من غير الاقتداء يضل من حيث ظن أنه مهتد)[3].

٨- وقال أبو يزيد البسطامي رحمه الله تعالى: (لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود،وأداء الشريعة)[4].

وقال رحمه الله تعالى في الصوفي: (هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة، وبالأخرى إلى النار، ويأتزر بالدنيا، ويرتدي بالآخرة، ويلبي من بينهما للمولى: لبيك اللهم لبيك)[5].

٩- وقال الشيخ إبراهيم بن محمد النصر أباذي رحمه الله تعالى: (أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع، وتعظيم الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء)[6].

١٠- وقال الشيخ أحمد زروق رحمه الله تعالى: في قواعده (وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلايصح اتباعه لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف ألف

---

١ - إيقاظ الهمم (٢/٣٠٢ - ٣٠٣).

٢ - الرسالة القشيرية ص٢٧.

٣ - طبقات الصوفية ص ٣٠٠.

٤ - الرسالة القشيرية ص ١٦.

٥ - شطحات الصوفية ص ٩٦.

٦ - طبقات الصوفية ص ٤٨٨.

كرامة من أمره)[1].

وقال أيضاً: (لاتصوف إلا بفقه، إذ لاتعرف أحكام ا لله الظاهرة إلا منه،ولا فقه إلا بتصوف، إذ لاعمل إلا بصدق وتوجه لله تعالى، ولاهما(التصوف والفقه) إلا بإيمان، إذ لايصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع لتلازمها في الحكم، كتلازم الأجسام للأرواح، ولاوجود لها إلافيها، كما لاحياة لها إلابها، فافهم)[2].

ولقد جمع علماء الشريعة الإسلامية من الفقهاء والمحدثين بين الشريعة والطريقة والحقيقة مقتفين بذلك أثر النبي ﷺ، فقد ذكر صاحب الدر المختار: أن أبا علي الدقاق رحمه ا لله تعالى قال: (أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر آباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي ا لله عنه، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله...) ثم قال صاحب الدر معلقاً: (فياعجباً لك يا أخي! ألم تكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا متهمين في هذا الإقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة؟ ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع، وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع)[3].

وقال ابن عابدين رحمه ا لله تعالى في حاشيته معلقاً على كلام صاحب الدر السابق في حديثه عن أبي حنيفة رحمه ا لله تعالى: (هو فارس هذا الميدان، فإن مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس، وقد وصفه بذلك عامة السلف، فقال أحمد بن حنبل رحمه ا لله تعالى في حقه: إنه كان من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لايدركه أحد، ولقد ضرب بالسياط لِيَلِيَ القضاء، فلم يفعل.

وقال عبدا لله بن المبارك رحمه ا لله تعالى: ليس أحد أحق أن يقتدى به من أبي حنيفة، لأنه كان إماماً تقياً نقياً ورعاً عالماً فقيهاً، كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى: وقال الثوري لمن قال له: جئت من عند أبي حنيفة: لقد

---

١ – قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق ص ٧٦.

٢ – قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق قاعدة(٣). ص٣.

٣ – الدر المختار (١/٤٣).

جئت من عند أعبد أهل الأرض)[1].

فإن قيل: لو كان التصوف أمراً مشروعاً لوضع فيه الأئمة المجتهدون كتباً!!

وفي الجواب على ذلك يقول الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: (إنما لم يضع المجتهدون في ذلك كتاباً لقلة الأمراض في أهل عصرهم، وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق، ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك، فكان ذلك في بعض أناس قليلين، لايكاد يظهر لهم عيب، وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هي في جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم، التي هي مادة كل علم، وبها تعرف موازين جميع الأحكام، فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لايظهر بها شعار الدين.

ولايقول عاقل قط: إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد رضي الله عنهم، يعلم أحدهم من نفسه رياءً أو حسداً أونفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولايناقشها أبداً، ولو لا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدَّموا الاشتغال بعلاجها على كل علم)[2].

حكمة تعدد الطرق:

والتعدد والاختلاف في الطرق الشرعية ليس اختلافاً في الحقيقة والهدف، وإنما الاختلاف هو في الوسيلة والأساليب والمناهج ليس إلا، فالطرق الصوفية الشرعية على تعددها سبل تعددت إلى الله لتلائم حاجات كل سالك إليه فيجد فيها كل مريد ما يناسب طاقته ووقته ومزاجه وبيئته قطعاً لأعذار القاعدين عن الهجرة إلى الله عز وجل، فليس كل الناس سواء في الطاقة والمزاج، ولنتأمل بإمعان قوله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾[3]، إذن فهناك سبل شتى توصل إليه تعالى كما قال عز وجل: ﴿**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام**﴾[4] وهذه السبل المتعددة القويمة تمضي متوازية متحاذية في اتجاه واحد فكأنها طريق واحد، ولذلك جاءت في أكثر من آية

---

١ – حاشية ابن عابدين (١/٤٣).

٢ – لطائف المنن والأخلاق (١/٢٥ – ٢٦).

٣ – سورة العنكبوت الآية (٦٩).

٤ – سورة المائدة الآية (١٦).

بلفظ المفرد، نحو(سبيلي أو سبيله أو سبيل ربك) لاتحاد البداية والنهاية، فهي مجتمعة ضمن صراط ا لله المستقيم الواحد المتبع، وذلك أن الطرق الشرعية جميعاً تبدأ بالتوبة وتنتهي بالمعرفة فإذا تصورنا (دائرة ذات مركز) كانت كل الطرق الشرعية خطوطاً داخلية تصل ما بين محيط الدائرة ونقطة المركز، وكيفما كان اتجاه نقطة البداية فلا خلاف في النهاية ولا في الأصول العامة، ولكن في الفروع وكيفية الوصول.

ولهذا يندفع الاعتراض بقوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾[1] فالمنهي عنه هو سبل الشيطان وأما سبل الرحمن فا لله ذكرها كما قدمنا، ووعد المجاهدين فيه بهدايتهم إليها، قال تعالى: ﴿**لنهدينهم سبلنا**﴾[2] وسماها تعالى ﴿**سبل السلام**﴾[3] واعتز بها الأنبياء فقالوا: ﴿**وقدهدانا سبلنا**﴾[4] فكلها متوازية متحاذية وكلها شرائح يتكون فيها (سبيله) تعالى فهي وإن تعددت سبيل واحدة للاتحاد في البداية والنهاية والنية، والهدف الأعظم أن الحق واحد لايتعدد ولكن السبل تتعدد في إدراكه أو الوصول إليه، شأن الناظرين إلى الشمس والقمر في كافة أقطار الدنيا تختلف موقع الطالب ويتعدد، ولايختلف المطلوب المحدد فعند الانتقال من مكان لآخر قريباً كان أو بعيداً يستطيع المرء أن يتخذ أية وسيلة نقل شاء ماشياً أو راكباً،دابة أو سيارة، طيارة أو سفينة، وكلها سبل توصل إلى الحقيقة الواحدة التي لاتتعدد[5].

---

١ – سورة الأنعام الآية (١٥٣).
٢ – سورة العنكبوت الآية (٦٩).
٣ – سورة المائدة الآية (١٦).
٤ – سورة إبراهيم الآية (١٢).
٥ – أصول الوصول ص(٢٦٢).

١٥ السنة والبدعة

* السنة

لغة: هي الطريقة.

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لتتسع لأنواع الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة[١].

* شرعاً:

للسنة عدة تعريفات اتجه إليها العلماء وكل عرفها بحسب اختصاصه وعلمه من أصوليين وفقهاء ومحدثين وأقرب هذه التعاريف إلى الموضوع الذي أبحثه هنا هو ما قاله الأصفهاني في (مفردات القرآن): "سنةرسول الله ﷺ وهي طريقته التي كان يتحرّاها" أي طريقته في الفعل والأمر والقبول والرد".

البدعة

لغة: قال الراغب الأصفهاني في (مفردات القرآن): "الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء ولا اقتداء، وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله، والبديع يقال للمبدع نحو قوله: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾[٢]، ويقال للمبدع -بفتح الدال- نحو بديع، وكذلك البدع، يقال لها جميعاً بمعنى الفاعل والمفعول، وقوله تعالى: ﴿**ما كنت بدعاً من الرسل**﴾[٣]، قيل معناه: مبدعاً لم يتقدمني رسول، وقيل: مبدعاً فيما أقوله".

وقال الفيومي في (المصباح): "أبدع الله تعالى الخلق إبداعاً خلقهم لا على مثال، وأبدعت الشيء وابتدعته: استخرجته وأحدثته".

---

١ - كتاب الاقتضاء ص (٧٦).
٢ - سورة البقرة الآية (١١٧).
٣ - سورة الأحقاف الآية (٩).

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند شرح حديث: "وشر الأمور محدثاتها.."[1].

❋ **البدعة لغة:** كل شيء أحدث على غير مثال".

وقال أيضاً عن شرح حديث: (نعمت البدعة هذه)[2]: "البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق".

❋ **شرعاً:** قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في (تهذيب الأسماء واللغات): "هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ".

وقال الفيومي: "هي الزيادة أو النقص في الدين، لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة وهي ما شهد لجنسها أصل في الشرع أو اقتضتها مصلحة تندفع بها مفسدة".

هذا وقد قسم العلماء البدعة إلى قسمين اثنين:

فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم.

وأخرج البيهقي عن الإمام الشافعي في مناقبه: المحدثات ضربان: ما أُحدث يخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً فهو بدعة الضلالة، وما أحدث في الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهو محدثة غير مذمومة.

حتى إنه نفى اسم البدعة عما له أصل في الشرع فقال رضي الله عنه: كل ما له مستند من الشرع، فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف، لأن تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت، أو لما هو أفضل منه، أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به.

وقال الإمام النووي في (تهذيب الأسماء واللغات) عند كلامه عن البدعة: "هي منقسمة إلى حسنة وقبيحة".

---

١ - أخرجه مسلم من حديث طويل (٢٠٠٢) والنسائي (١٥٧٧)، وابن ماجه (٤٥) والدارمي (٢٢١٠) وأحمد (٣/٣١٠) وابن خزيمة (١٧٨٥) وأبو يعلى (٢١١١) والبيهقي (٣/٢٠٦) والبغوي (٤٢٩٥) وابن حبان (١٠).
٢ - أخرجه البخاري (١٩٠٦) ومالك (١/١١٤-١١٥).

وقال الحافظ ابن الأثير في (النهاية): "البدعة بدعتان، بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم مما ندب الله إليه، وحض عليه الله ورسوله ﷺ فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء، وفعل المعروف، فهو في الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به".

وقال الحافظ ابن العربي في شرحه على سنن الإمام الترمذي عند الكلام على حديث: (إياكم ومحدثات الأمور)[1]:

"اعلموا علّمكم الله أن المحدَث على قسمين: محدَث ليس له أصل إلا الشهوة والعمل بمقتضى الإرادة، فهذا باطل قطعاً، يعني هو المراد ببدعة الضلالة، ومحدث يحمل النظير على النظير، فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء، يعني فليس المراد به بدعة الضلالة، قال: وليس المحدث والبدعة مذمومين للفظ محدث وبدعة ولا لمعناهما، فقد قال الله تعالى: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث**﴾[2]، وقال عمر نعمت البدعة، وإنما يذم من البدع ما خالف السنة ويذم من المحدثات ما دعا إلى ضلالة.

حتى إن بعض العلماء أوصلها إلى خمسة أقسام:

واجبة: تعلم النحو، ونظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين.

مندوبة: الأذان على المنابر، وتصنيف كتب العلم، وبناء المدارس وغير ذلك.

مباحة: استعمال المنخل والتوسع في المأكل والمشرب.

مكروهة: تزيين المصاحف وزخرفة المساجد.

---

١ - رواه الإمام أحمد (٤/١٢٦-١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وقال حسن صحيح، وابن ماجه (٤٣) والدارمي (٩٥) والبغوي (١٠٢) والحاكم (١/٩٥-٩٦) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي (٦/٥٤١) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/٦٩) وابن حبان (٥) والطبراني في الكبير (١٨/ برقم ٦١٧) والآجري في "الشريعة" ص (٤٦) وابن أبي عاصم (٢٧).

٢ - سورة الأنبياء الآية (٢).

محرمة: وهي ما أحدث لمخالفة السنة و لم تشمله أدلـة الشـرع العامـة، و لم يحتـو على مصلحة شرعية.

هذا وقد أثبت القرآن الكريم جواز ابتداع ما فيه خير وزيادة قربى إلى ا لله، فقد قال أبو أمامة رضي ا لله عنه: (إن ا لله فرض عليكم صوم رمضان و لم يفـرض قيامـه، وإنما قيامه شيء أحدثتموه، فدوموا عليه، فإن أناسـاً مـن بـني إسـرائيل ابتدعـوا بدعـاً، فعابهم ا لله بتركها فقال: ﴿**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناهـا عليهـم إلا ابتغـاء رضـوان ا لله فما رعوها حق رعايتها**﴾[1].[2]

وأما حديث: (كل بدعة ضلالة)[3] فهو من قبيل العام المخصوص.

فقد قال الإمام النووي رضي ا لله عنه: هذا عام مخصوص والمـراد بـه المحدثـات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة فهي المراد بالبدع.

وقال الحافظ ابن رجب في شرحه للحديث: المـراد بالبدعـة مـا أحـدث ممـا لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليـس ببدعـة شرعاً وإن كان بدعة لغة.

وقال الحافظ ابن حجر: المراد بقوله: (كل بدعة ضلالة) ما أحدث ولا دليل له من الشرع بطريق خاص ولا عام.

فليس هذا الحديث إذاً كلية تقتضي شمول الضلالة لكل محدث، بل هو من قبيـل العام المخصوص، أو العام الذي أريد به الخصوص.

وأمثلة ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

مـن ذلـك قـول ا لله عـز وجـل: ﴿**إنكـم ومـا تعبـدون مـن دون ا لله حصـب جهنم**﴾[4]، واسم الموصول من حيث العموم، ولكن ممـا لا شـك فيـه أن عيسـى عليـه السلام وأمه والملائكة عُبدوا من دون ا لله، لكنهم غـير مقصوديـن في الآيـة، فتبـين أنـه

١ – سورة الحديد الآية (٢٧).
٢ – أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٤٤٦).
٣ – تقدم تخريجه ص (١٤٩).
٤ – سورة الأنبياء الآية (٩٨).

العام الذي أريد به الخصوص.

ومنه قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى[1]﴾، ومعلوم أن هناك أدلة كثيرة تثبت أن المسلم ينتفع بعمل غيره من إخوانه المسلمين ودعاء الملائكة كما قرر ذلك الشيخ ابن تيمية وذكر أكثر من عشرين موضعاً بدلائلها أولها صلاة الجنازة والصدقة عن الميت ثم دعاء المؤمنين[2].

ومنه قوله تعالى: **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾**[3].

فالمراد بالناس في الأول المخبرين وهم لا شك عدد محدود، وفي الثاني أبو سفيان وجماعته من مشركي مكة الذين قاتلوا المسلمين في أحد.

ومنه قوله تعالى: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾**[4]، وأبواب الرحمة لم تفتح عليهم.

ومنه قوله تعالى: **﴿وشاورهم في الأمر﴾**[5].

فمن المعلوم أنه لا يشاورهم في التشريع والأحكام، قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنه: (وشاورهم في الأمر)، أي في بعض الأمر.

ومنه قوله تعالى: **﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾**[6].

ومن ذلك قوله ﷺ: (لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)[7]، وهو من حيث العموم، وقطعاً ليس على عمومه فمن صلى في هذين

---

١ - سورة النجم الآية (٣٩).

٢ - نقلها الشيخ الجمل في حاشيته على (الجلالين) عن ابن تيمية رحمه الله تعالى عند تفسير هذه الآية، (وقد أوردتها في باب وصول ثواب القرآن ص ٣٠٤).

٣ - سورة آل عمران الآية (١٧٣).

٤ - سورة الأنعام الآية (٤٤).

٥ - سورة آل عمران الآية (١٥٩).

٦ - سورة طه الآية (١٥).

٧ - أخرجه مسلم (٦٣٤) وابن حبان (١٧٤٠) وقال إسناده صحيح وأبو داود (٤٢٧) والنسائي (٤٧٠) وأحمد (٤/٢٦١) والبيهقي (١/٤٦٦) وابن أبي شيبة (٢/٣٨٦) وابن خزيمة (٣١٨) والبغوي (٣٨٢).

الوقتين وترك بقية الصلوات لا يدخل في عموم هذا الحديث فهو من العام الذي أريد به الخصوص أو من العام المخصوص بالنصوص.

ومنه قوله ﷺ: (الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)[1]، وأجمع الشراح على أنه ليس على عمومه مع أن فيه الكلية(كل).

ويخصص حديث: (كل بدعة ضلالة) الحديث الذي روته سيدتنا عائشة رضي الله عنها عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2].

قال ابن رجب: هذا الحديث يدل منطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود.

وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه.

مما تقدم تبين لنا أنه ليس معنى ترك النبي ﷺ للشيء هو أن ذلك الشيء لا يجوز فعله فإن القاعدة الأصولية مشهورة بين أهل العلم: (ترك الشيء لا يدل على حرمته)، ونقصد بالترك أن يترك النبي ﷺ شيئاً لم يفعله أو تركه السلف الصالح من غير أن يأتي حديث أو أثر بالنهي عن ذلك الشيء المتروك بمقتضى تحريمه أو كراهته.

ثم إن للترك أنواعاً ومنها

أن يكون تركه عادة كترك النبي ﷺ أكل الضب في حديث سيدنا خالد أنه دخل مع النبي ﷺ بيت ميمونة، فأتي بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده فقيل: هو ضب يا رسول الله، فرفع يده، فقلت: أحرام هو يا رسول الله؟ فقال: (لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه) قال خالد: فاجتررته فأكلته والنبي ﷺ

١ - أخرجه البخاري (٥٣٦٤).
٢ - أخرجه البخاري (٢٥٥٠) وفي خلق أفعال العباد (٤٣)، ومسلم (١٧١٨) ، وأحمد (٦|٧٣) في المسند، وابن ماجه (١٤)، وأبو داود (٤٦٠٦)، والدار قطني (٤|٢٢٤-٢٢٥) وابن حبان في صحيحه (٢٦-٢٧) وابن أبي عاصم في "السنة" (٥٢) والبغوي (١٠٣) وأبو عوانة (٤|١٨) والقضاعي في مسند الشهاب (٣٥٩) والطيالسي (١٤٢٢) وأبو يعلى (٤٥٩٤).

ينظر[1].

والحديث يدل على أمرين:

١- أن تركه للشيء ولو بعد الإقبال عليه لا يدل على تحريمه.

٢- أن استقذاره الشيء لا يدل على تحريمه أيضاً.

* أن يكون تركه نسياناً، سها ﷺ في الصلاة فترك منها شيئاً فسئل: هل حدث في الصلاة شيء؟ قال: (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني)[2].

* أن يكون تركة مخافة أن يفرض كصلاة التراويح.

* أن يكون تركه لعدم تفكيره فيه و لم يخطر على باله - مثل إحداث المنبر له ﷺ.

* أن يكون تركه لدخوله في عموم آيات أو أحاديث كتركه كثيراً من المندوبات لأنها مشمولة في قوله تعالى: ﴿**وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾[3]، وغيرها.

* أن يكون تركه خشية تغير قلوب بعض الصحابة، قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزمته بالأرض وجعلت له بابين باباً شرقياً وباباً غربياً فبلغت به أساس إبراهيم عليه السلام[4].

والترك وحده إن لم يصحبه نص على أن المتروك محظور لا يكون حجة في ذلك، بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع.

وهذه قاعدة في الأصول وأدلتها هي:

---

١ - أخرجه البخاري (٥٥٣٧) ومسلم (١٩٤٥) وأبو داود (٣٧٩٤) وابن ماجه (٣٢٤١) ومالك (٢|٩٦٨) والطبراني في الكبير (٣٨١٦) والبيهقي (٩|٣٢٣) والدارمي (١٩٤٩) وأحمد (٤|٨٨) وابن حبان (٥٢٦٣) والبغوي (٢٧٩٩) والشافعي (٢|١٧٤) والنسائي (٤٣٢٧).

٢ - أخرجه البخاري (١٢٢٥) ومسلم (٥٧٢) والدارقطني (١|٣٧٥) وأبو داود (١٠٢٠) والنسائي (١٢٤٠) ومختصراً وابن ماجه (١٢١١) وابن حبان (٢٦٦٢) وابن أبي شيبة (٢|٢٥) والبيهقي (٢|٣٣٥) وأبو عوانة (٢|٢٠٢) وأحمد (١|٣٧٩)..

٣ - سورة الحج الآية (٧٧).

٤ - أخرجه ومسلم (١٣٣٣) والنسائي (٢٩٠٣) وابن حبان (٣٨١٨) وأحمد (٦|١٧٩-١٨٠) وأبو يعلى (٤٦٢٨).

❋ **أحدها:** أن الذي يدل على التحريم ثلاثة أشياء:

النهي نحو: ﴿**ولا تقربوا الزنا**﴾[1]، ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾[2].

لفظ التحريم نحو: ﴿**حرمت عليكم الميتة..**﴾[3].

ذم الفعل والتوعد عليه بالعقاب نحو: (من غشنا فليس منا)[4].

والترك ليس واحداً من هذه الثلاثة فلا يقتضي التحريم.

❋ **ثانيها:** إن الله تعالى قال: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[5].

و لم يقل ما تركه فانتهوا عنه، فالترك لا يفيد التحريم.

❋ **ثالثها: قال النبي ﷺ:** (ما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه)[6].

و لم يقل ما تركته فاجتنبوه، فكيف دل الترك على التحريم؟.

❋ **رابعها:** أن الأصوليين عرفوا السنة بأنها قول النبي ﷺ وفعله وتقريره و لم يقولوا وتركه، لأنه ليس بدليل.

❋ **خامسها:** تقدم أن الترك يحتمل أنواعاً غير التحريم، والقاعدة الأصولية (أن ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال).

❋ **سادسها:** أن الترك أصل، لأنه عدم فعل، والعدم هو الأصل والفعل طارئ

---

١ - سورة الإسراء الآية (٣٢).

٢ - سورة البقرة الآية (١٨٨).

٣ - سورة المائدة الآية (٣).

٤ - أخرجه مسلم (١٠٢) والترمذي (١٣١٥) وابن ماجه (٢٢٢٤) والحاكم (٢/٩) والبيهقي (٥/٣٢٠) وابن منده في "الإيمان" (٥٥٢) والبغوي (٢١٢٠) وأحمد (٢/٢٤٢) وأبو داود (٣٤٥٢) وأبو عوانة (١/٥٧) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/١٣٤) وابن حبان (٤٩٠٥).

٥ - سورة الحشر الآية (٧).

٦ - أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (٦٠٦٨) وأحمد (٢/٢٥٨) والبغوي (١/١٩٩) وابن حبان (١٨).

والأصل لا يدل على شيء لغة ولا شرعاً، فلا يقتضي الترك تحريماً[1]، فيعلم أن النبي ﷺ لم يفعل جميع المندوبات المباحات، لأنها كثيرة لا يستطيع بشر أن يستوعبها ولاشتغاله بمهام أعظم استغرقت معظم وقته من تبليغ للدعوة ومحاربة للمشركين ونقاش مع الكتابيين والكفار وغيرها مما هو مهم لتأسيس الدولة الإسلامية.

بل إنه ترك بعض المندوبات عمداً مخافة أن تفرض على أمته أو يشق عليهم إذا هو فعلها، فها هي سيدتنا عائشة تخبرنا بذلك فتقول: (إن الرسول ﷺ يترك العمل وفعله أحب إليه خشية أن يستن به الناس فيفرض عليهم، وكان يحب ما خفف عليهم)[2].

وقالت رضي الله عنها: (خرج النبي ﷺ من عندي مسروراً، ثم رجع وهو كئيب فقال: (إني دخلت البيت وددت أني لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي)، وفي رواية: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي)، وفي رواية: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها، إني أخاف أن أكون شققت على أمتي)[3].

وقالت أيضاً في قصة صلاته بعد العصر: (وكان لا يصليها في المسجد مخافة أن تثقل على أمته، وكان يحب ما خف عليهم).

وفي باب (يسروا ولا تعسروا) في البخاري قال: (وكان يحب أن يخفف على الناس وييسر عليهم).

وهذا المعنى موجود في كثير من المواضع في السواك وفي تأخير صلاة العشاء إلى ثلث الليل: (لو لا أن أشق على أمتي...).

ثم إن رسول الله ﷺ قال موضحاً لنا هذا الإشكال: (ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم الله فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا: ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾[4]. [5]

---

١ – من كتاب إتقان الصنعة للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري.

٢ – أخرجه البخاري (١١٧٧).

٣ أخرجه أبو داود (١٧٨٤) والحاكم (١٧٦٢) وصححه ووافقه الذهبي.

٤ – سورة مريم الآية (٦٤).

٥ – أخرجه الدار قطني (٢/١٣٧) والبزار (٢٢٣١)، والحاكم (٣٤١٩) وصححه ووافقه الذهبي وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٦٦٠) وقال ورجاله ثقات.

وقال ﷺ: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه[1]. ولم يقل: إذا تركت شيئاً فاجتنبوه.

وكذلك ترك السلف لشيء -أي عدم فعلهم له- لا يدل على أنه محظور، قال الإمام الشافعي: (كل ما له مستند من الشرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السلف)، لأن تركهم العمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت، أو لما هو أفضل منه، أو لعله لم يبلغ جميعهم علم به.

فإذاً ليس كل ما لم يفعله الرسول ﷺ خارجاً عن السنة بل إنّ الحوافز القولية الكثيرة لعمل الخير والترغيبات الكثيرة القولية بالفضائل العامة والخاصة هي أيضاً من السنة، كما أن التقريرات الصادرة عن الرسول ﷺ فيما يحدث من الخير مما لا يخالف المشروع هي أيضاً من السنة، بل هي طريقة الرسول وسنته التي حثّ على اتباعها والتمسك بها.

من هذا المنطلق فعل كثير من الصحابة باجتهاداتهم أموراً، فكانت سنة الرسول ﷺ وطريقته قبول ما كان من العبادة والخير ويتفق مع المشروع ولايخالفه، وردّ ما كان مخالفاً لذلك، فهذه سنته وطريقته التي سار عليها خلفاؤه وصحابته واقتبس منها العلماء رضوان الله عليهم قولهم: إن ما يحدث يجب أن يعرض على قواعد الشريعة ونصوصها فما شهدت له الشريعة بالحسن فهو حسن مقبول، وما شهدت له الشريعة بالمخالفة والقبح فهو المردود وهو البدعة المذمومة، وقد يسمون الأول بدعة حسنة من حيث اللغة باعتباره محدثاً وإلا فهو في الواقع ليس ببدعة شرعية بل هو سنة مستنبطة ما دامت شواهد الشريعة تشهد له بالقبول.

سماها بذلك سيدنا محمد ﷺ نفسه حين قال: (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من

---

١ – تقدم تخريجه ص (٤٨٦).

أوزارهم شيء)[1].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات، والتحذير من الأباطيل والمستقبحات.

وفي هذا الحديث تخصيص قوله ﷺ: (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة.

وسن سنة أو استنانها يعني إنشاؤها باجتهاد واستنباط من قواعد الشرع أو عمومات نصوصه، أي من أنشأ سنة حسنة مستنداً في ابتداع ذاتها إلى دلائل الشرع كان له أجرها، ومن أنشأ سنة سيئة مستنداً في ابتداع ذاتها إلى ما تنكره الشريعة كان عليه إثمها وإثم من عمل بها[2].

ولنورد الآن بعض الصور من عمل الصحابة في عهد النبوة وإتيانهم بما لم يروا رسول الله ﷺ يفعله أو يقوله وإقراره ﷺ على أفعالهم:

١- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: (كان الناس على عهد رسول الله ﷺ إذا جاء الرجل وقد فاته شيء من الصلاة أشار إليه الناس فصلّى ما فاته ثم دخل في الصلاة، ثم جاء يوماً معاذ بن جبل فأشاروا إليه فدخل و لم ينتظر ما قالوا، فلما صلى النبي ﷺ ذكروا له ذلك، فقال لهم النبي ﷺ: (سن لكم معاذ)[3].

وفي رواية سيدنا معاذ بن جبل: (إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا)[4].

٢- وعن العاص بن وائل قال: قدم بكر بن وائل مكة فقال النبي ﷺ لأبي بكر: (ائتهم فاعرض عليهم)، وفيه: فأتاهم فعرض عليهم الإسلام فقالوا: حتى يجيء شيخنا، قال خلاد: أحسبه قال المثنى بن خارجة، فلما جاءهم قال: من القوم؟ قالوا بنو ذهل بن شيبان فعرض عليهم أبو بكر، قالوا: إن بيننا وبين الفرس حرباً فإذا فرغنا فيما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا، فقال أبو بكر: أرأيت إن غلبتموهم أتتبعنا على أمرنا؟

---

١ - أخرجه مسلم (٢٣٤٨) والنسائي (٢٥٥٣) وأحمد (٤/٣٥٧) مختصراً والترمذي (٢٦٧٥) وابن ماجه (٢٠٣).

٢ - من كتاب إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة للشيخ عبد الله بن الصديق الغماري الحسيني.

٣ - أخرجه الطبراني (٢٠/٢٧١).

٤ - أخرجه أحمد (٥/٢٣٣) وصححه ابن دقيق العيد وابن حزم (٢٠/٢٧٢).

قالوا: لا نشترط لك ذلك علينا ولكن إذا فرغنا بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول، فلما التقوا يوم ذي قار مع الفرس قال شيخهم: ما اسم الذي دعاكم إلى الله؟ قالوا: محمد، قال: هو شعاركم، فنصروا على القوم فقال الرسول ﷺ: (بي نصروا)[1].

فهذا منهم توسل باسمه ﷺ وقد أقرهم على ذلك بل قد قال مؤكداً قولهم: (بي نصروا) وأقر سيدنا أبا بكر عندما قال لهم: (أرأيت ان غلبتموهم أتتبعنا على أمرنا...) وذلك من كمال اعتقاده بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أو هو نفسه إن دعا لهم بالنصر فإن الله لن يخزيه لأنه يطلب ذلك لنشر دين الله وإعلاء كلمته.

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دُفَّ نعليك في الجنة) قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي)[2].

وفي رواية: قال لبلال: (بم سبقتني إلى الجنة؟ قال: ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال النبي ﷺ: (بهما) أي نلت تلك المنزلة[3].

وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح): يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة لأن بلالاً توصَّل إلى ما ذكره بالاستنباط فصوبه الرسول ﷺ.

٤- وعن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد قال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان بمنزلتي أحد أقل حديثاً مني، إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: (آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟) قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: (أما إني لم أستحلفكم تهمة

---

١ - أخرجه الطبراني ورجاله ثقات رجال الصحيح (٥٥٢٠) كما في مجمع الزوائد (٦/١٠٣٦١).

٢ - أخرجه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٦٢٧٤) وأحمد (٢/٣٣٣) والنسائي في "فضائل الصحابة" (١٣٢) والبغوي (١٠١١) وابن حبان (٧٠٨٥) وأبو يعلى (٦١٠٤) وابن خزيمة (١٢٠٨).

٣ - أخرجه أحمد (٥/٣٥٤) وابن خزيمة (١٢٠٩) والحاكم (١/٣١٣) وصححه ووافقه الذهبي والترمذي (٣٦٨٩) والطبراني في الكبير (١/١٠١٢).

لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)[1].

٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا الناس يصلون في ناحية المسجد، فقال ﷺ: (ما هؤلاء؟)، فقيل: أناس ليس معهم قرآن وأبيّ ابن كعب يصلي بهم وهم يصلون بصلاته، فقال: (أصابوا)، أو قال: (نعم ما صنعوا)[2].

٦- وعن سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في عمرة اعتمرها فحلق شعره فاستبق الناس إلى شعره فاستبقت إلى الناصية فأخذتها فاتخذت منها قلنسوتي فجعلتها في مقدم القلنسوة فما وجّهتها في وجه إلا فتح علي)[3].

٧- وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل منهم[4].

٨- عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها فأتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال: (ما تصنعين يا أم سليم؟)، فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال: (أصبت)[5].

٩- وعن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع قال: فلما صلى الصبح انحرف جالساً فاستقبل الناس بوجهه وذكر قصة الرجلين اللذين لم يصليا، قال: ونهض الناس إلى رسول الله ﷺ ونهضت معهم وأنا يومئذ أشب الرجال وأجلدهم قال فما

---

١ - تقدم تخريجه في باب الذكر مع الجماعة وغيره ص (٣٥٦).

٢ - أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٥٤١) وأبو داود (١٣٧٧) وابن خزيمة (٢٢٠٨) والبيهقي مرسلاً (٢/٤٩٥).

٣ - أخرجه ابن الأثير في "أسد الغابة" (٢/١١١) وصححه الحاكم (٣/٢٩٩) وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/٣٨٠٤) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨٨٢) وأبو يعلى (٧١٨٣) وذكره الحافظ في المطالب العالية (٤/٤٠٤٤) وعزاه إلى أبي يعلى وفي سير أعلام النبلاء (١/٣٧٤-٣٧٥) "فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر" كذا في المجمع.

٤ - أخرجه مسلم (٦٠١٠) وأحمد (٣/٢٢١).

٥ - أخرجه مسلم (١٣٠٥).

زلت أزاحم الناس حتى وصلت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بيده فوضعها إمّا على وجهي أو صدري، قال: فما وجدت شيئاً أطيب ولا أبرد من يد رسول الله ﷺ، وقال: وهو يومئذ بمسجد الخيف، وفي رواية ثم ثار الناس يأخذون بيده ويمسحون بها وجوههم[1].

١٠- وعن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في قبة حمراء، ورأيت بلالاً أخرج وضوءاً فرأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء فمن أصاب منه شيئ تمسح به ومن لم يصب منه أخذ من بلل صاحبه[2].

وفي رواية: (شهدت النبي ﷺ بالبطحاء وأتى بلال بفضل وضوئه فابتدره الناس، فنلت منه شيئاً)[3].

١١- وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بإناء إلا وغمس يده فيها، فربما جاؤوا في الغداة الباردة فيغمس يده فيها[4].

١٢- وعن أم ثابت كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما قالت: (دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من قربة معلّقة قائماً فقمت إلى فيها فقطعته)[5].

١٣- عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتيت النبي ﷺ في آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست، فصلى رسول الله ﷺ، فلما انصرفت قال: (ما شأنك؟ أجعلك حذائي فتخنس) فقلت: يا رسول الله، أوينبغي لأحد أن يصلي بحذائك وأنت رسول الله

---

١ - أخرجه أحمد (٤/١٦١).

٢ - أخرجه البخاري (٣٧٦) ومسلم (٥٠٣) وأحمد (٤/٣٠٨) وأبو داود (٦٨٨) والنسائي (٢/٧٢) وابن خزيمة (٨٤١) والبيهقي في السنن (٢/٢٧٠) وأخرجه الطيالسي (١/٨٨) والشافعي (١/٦٦-٦٧) وعبدالرزاق (٢٣١٤) وابن أبي شيبة (١/٢٧٧) وابن حبان (١٢٦٨) في صحيحه.

٣ - أخرجه النسائي (١٣٧).

٤ - أخرجه مسلم (٥٩٩٦).

٥ - أخرجه الترمذي (١٨٩٢).

الذي أعطاك ا لله؟ قال: فأعجبه فدعا لي أن يزيدني ا لله علماً وفقهاً[١].

١٤- وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه قال: خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيداً طيباً وصليا ثم وجد الماء في الوقت فأعاد أحدهما و لم يعد الآخر، ثم أتيا رسول ا لله ﷺ فذكرا له ذلك، فقال للذي لم يُعِد: (أصبت السنة وأجزأتك صلاتك) وقال للذي أعاد: (لك الأجر مرتين)[٢].

١٥- وعن سيدنا علي رضي ا لله عنه قال: كان أبو بكر يخافت بصوته إذا قرأ، وكان عمر يجهر بقراءته، وكان عمار إذا قرأ يأخذ من هذه السورة وهذه السورة، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال لأبي بكر: (لِمَ تخافت؟) قال: إني أسمع من أناجي، وقال لعمر: (لِمَ تجهر بقراءتك؟)، قال: أفزع الشيطان وأوقظ الوسنان، وقال لعمار: (لِمَ تأخذ من هذه السورة وهذه السورة؟)، قال: أتسمعني أخلط به ما ليس منه؟ قال: (لا)، ثم قال: (فكله طيب)[٣].

١٦- عن سيدنا عمرو بن العاص رضي ا لله: عنه أنه لما بعث في غزوة ذات السلاسل قال: احتلمت في ليلة باردة شديدة البرودة فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح فلما قدمنا على الرسول ﷺ ذكروا له ذلك، فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟!)، فقلت: ذكرت قول ا لله تعالى: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن ا لله كان بكم رحيماً﴾**[٤]، فتيممت وصليت، فضحك رسول ا لله ﷺ و لم يقل شيئاً[٥].

١٧- وحديث سيدنا خباب رضي ا لله عنه أنه أول من سن الصلاة لكل مقتول صبراً ركعتين[٦].

---

١ - أخرجه أحمد (١|٣٣٠).

٢ - أخرجه النسائي (٤٣١-٤٣٢) وأبو داود (٣٣٨) والدارمي (٧٤٤).

٣ - أخرجه أحمد (١-١٠٩).

٤ - سورة النساء الآية (٢٩).

٥ - أخرجه أبو داود (٣٣٤) وأحمد (٤|٢٠٣-٢٠٤) والدار قطني (١|١٧٨) وصححه الحاكم (١|١٧٧) ووافقه الذهبي والبيهقي (١|٢٢٦) و ابن حبان (١٣١٥) وعلقه البخاري (١|٤٥٤) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (وهذا التعليق وصله أبو داود والحاكم... وإسناده قوي).

٦ - أخرجه البخاري (٣٠٤٥) وأبو داود (٢٦٦٠) وأحمد (٢|٢٩٤-٢٩٥) والطيالسي (٢٥٩٧) والبيهقي في "دلائل النبوة" (٣|٣٢٣-٣٢٥) والطبراني في الكبير (٤١٩١) وعبد الرزاق (٩٧٣٠) وابن حبان (٧٠٣٩) وأبو نعيم في الحلية (٦|٢٩٤).

١٨- وعن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم وفد الحبشة على رسول الله ﷺ يلعبون في المسجد، قال الزهري: وأخبرني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال: دخل عمر.. والحبشة يلعبون في المسجد فزجرهم، فقال رسول الله ﷺ: (دعهم يا عمر فإنما هم بنو أرفدة)[١].

وفي رواية: (لتعلم يهود أن في ديننا فسحة)[٢].

**١٩- وعن سعيد بن المسيب أن سيدنا بلالاً أتى النبي ﷺ يؤذن بصلاة الفجر، فقيل: هو نائم، فقال: (الصلاة خير من النوم)[٣]، فأقرت في صلاة الفجر.

وفي رواية: (ما أحسن هذا فاجعله في أذانك)[٤].

وفي رواية: أن المؤذن جاء إلى عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من النوم، فأقره عمر أن يجعلها في أذان الفجر[٥].

٢٠- عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: جاء رجل والناس في الصلاة، فقال حين وصل إلى الصف: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: (من صاحب الكلمات؟) قال الرجل: أنا يا رسول الله، والله ما أردت بها إلا الخير، قال: (لقد رأيت أبواب السماء فتحت لهن)، قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعتهن[٦].

٢١- وعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (أَهَلَّ رسول الله ﷺ فذكر التلبية مثل حديث ابن عمر، قال: والناس يزيدون ذا المعارج ونحوه من الكلام والنبي ﷺ يسمع فلا يقول لهم شيئاً)[٧].

---

١ - أخرجه البخاري (٢٩٠١) ومسلم (٨٩٣) وأحمد (٢/٣٠٨) و ابن حبان (٥٨٦٧) وعبد الرزاق (١٩٧٢٤) والبيهقي (١٠/١٧) والبغوي (١١١٢).
٢ - أخرجه أحمد (٢٢/١١١) الفتح الرباني.
٣ - أخرجه ابن ماجه بإسناد رجاله ثقات (٧٠٧).
٤ - أخرجه الطبراني (١/١٠٨١).
٥ - أخرجه مالك في الموطأ (٧٨/٨).
٦ - أخرجه مسلم (١٣٥٧) ، والترمذي _٣٥٩٢) والنسائي (٨٨٤) وأحمد (٢/١٤).
٧ - أخرجه مسلم (١٢٨٥) وأبو داود (١٨١٣).

وفي رواية مسلم: وأَهَلَّ الناس بهذا الذي يهلون فلم يَرُدَّ رسول الله ﷺ شيئاً ولزم رسول الله ﷺ تلبيته[1].

٢٢- وعن سيدنا رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي وراء النبيﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: (سمع الله لمن حمده)، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف قال: (من المتكلم؟) قال: أنا، قال: (رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها)[2].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش).

٢٣- وعن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً قال ذات يوم ودخل في الصلاة: الحمد لله ملء السماء، وسبح ودعا، فقال رسول الله ﷺ: (من قائلهن؟) فقال: أنا فقال النبي ﷺ (لقد رأيت الملائكة تلقي به بعضها بعضاً)[3].

٢٤- وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في الحلقة إذ جاء رجل فسلّم على النبي ﷺ وعلى القوم، فقال: السلام عليكم، فقال رسول الله ﷺ: (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته)، فلما جلس قال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، فقال النبي ﷺ: (والذي نفسي بيده لقد ابتدرها عشرة أملاك كلهم حريصون على أن يكتبوها فما دَرَوا كيف يكتبونها، فرجعوا إلى ذي العِزَّة جل ذكره، فقال: (اكتبوها كما قال عبدي)[4].

٢٥- وعن سيدنا رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: صليت مع النبي ﷺ فعطست، فقلت: الحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه كما يحب ربنا ويرضى، فلما انصرف قال: (من المتكلم؟ ثلاثاً)، فقلت: أنا، فقال: والذي نفسي بيده لقد ابتدرها بضعة وثلاثون ملكاً أيهم يصعد بها[5].

---

١ - أخرجه مسلم (١٢٨٢).
٢ - أخرجه البخاري (٧٩٩) والنسائي (١٠١٦) وأبو داود (٧٧٠) وأحمد (٤/٣٤٠) وابن خزيمة (٦١٤)..
٣ - أخرجه أحمد (٣/١٧٩-١٨٠) وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢٦١٣).
٤ - أخرجه أحمد ورجاله ثقات (٣/١٥٨) كذا في "مجمع الزوائد" (١٦٨٩٤).
٥ - أخرجه الترمذي (٤٠٤).

٢٦- وعن سيدنا عِلاقة بن صُحار السليطي التميمي رضي ا لله عنه أنه أتى النبي ﷺ ثم أقبل راجعاً من عنده، فمرَّ على قوم عندهم رجل موثق بالحديد، فقال أهله: إنه قد حُدِّثنا أن صاحبكم قد جاء بخير، فهل عندك شيء ترقيه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطوني مائة شاة، فأتيت النبي ﷺ فقال: (خذها فلعمري لمن أكل برقية باطل قد أكلت برقية حق)[1].

٢٧- وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه أن رهطاً من أصحاب النبي ﷺ انطلقوا في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوا فأبوا أن يضيفوهم، فَلُدغ سيد ذلك الحي فسعَوْا له بكل شيء، لا ينفعه شيء فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذي نزل بكم لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ فسعينا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فهل عند أحدكم شيء؟ فقال بعضهم: نعم وا لله إني لراق، ولكن وا لله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل ويقرأ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ حتى كأنما نَشَط من عقال، فانطلق يمشي ما به قَلَبَة قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، وقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول ا لله ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا به، فقدموا على الرسول ﷺ فذكروا له فقال: (وما يدريك أنها رقية ثم قال: قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم بسهم)[2].

٢٨- **وعن سيدنا ابن مسعود رضي ا لله عنه:** أنه قرأ على مبتلٍ في أذنه فأفاق، فقال له الرسول ﷺ: (ما قرأت؟) قال: ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً**﴾[3]، إلى آخر السورة، فقال الرسول ﷺ: (لو أن رجلاً مؤمنا قرأ بها على جبل لزال)[4].

٢٩- **عن سيدنا أنس رضي ا لله عنه قال:** إن النبي ﷺ مرّ على أعرابي وهو

١ - أخرجه ابن حبان (٦١١١) وأبو داود (٣٨٩٦) وأحمد (٥/٢١٠-٢١١).

٢ - أخرجه البخاري (٢١٥٦) ومسلم (٢٢٠١) وأبو داود (٣٩٠٠) والترمذي (٢٠٦٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٢٨) وابن ماجه (٢١٥٦).

٣ - سورة المؤمنون الآية (١١٥).

٤ - أخرجه أبو يعلى (٨/٥٠٤٥) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٦٣١) وأبو نعيم في الحلية (١/٧) وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥/٨٤٦٩) وذكره الحافظ في المطالب العالية (٢/٣٤٩ برقم ٢٤٤٤) وذكره ابن كثير في التفسير (٥/٤٥).

يدعو في صلاته: يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون، ولا تغيِّره الحوادث، ولا يخش الدوائر، ويعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماء سماءً، ولا أرض أرضاً، ولا بحر إلا يعلم ما في قعره، ولا جبل إلا يعلم مافي وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه، فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابي رجلاً فقال: (إذا صلى فأتني به) وكان قد أهدي لرسول الله ﷺ ذهب من بعض المعادن، فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال: (ممن أنت يا أعرابي؟) فقال من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله، قال: (يا أعرابي، هل تدري لما وهبتُ لك الذهب؟) قال: للرحم الذي بيني وبينك، قال ﷺ: (إن للرحم حقاً، ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله)[1].

٣٠- عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في الحلقة ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الإجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: (لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل أعطى)[2].

٣١- وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿**قل هو الله أحد**﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: (سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟) فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: (أخبروه أن الله يحبه)[3].

نبذة مما أحدثه الصحابة رضي الله عنهم بعد عهد النبوة

أخرج البزار بسنده: خرجنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في يوم عيد فسأله قوم من أصحابه عن الصلاة قبل العيد وبعدها فلم يرد عليهم شيئاً، ثم جاءه قوم

---

١ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٤٤٤) ورجاله رجال الصحيح والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/١٧٢٦٧).

٢ - أخرجه الحاكم (١٨٥٦) وقال: صحيح.

٣ - أخرجه البخاري (٦٩٤٠) ومسلم (١٨٨٧) والنسائي (٩٩٢) وفي عمل اليوم والليلة (٧٠٣) وابن حبان (٧٩٣).

فسألوه فلم يردّ عليهم شيئاً، فلما انتهينا إلى الصلاة فصلى بالناس فكبر سبعاً ثم خطب الناس ثم نزل فركب فقالوا: يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم يصلون! قال: فما عسيت أن أصنع؟ سألتموني عن السنة، إن النبي ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها، فمن شاء فعل ومن شاء ترك، أترونني أمنع قوماً يصلون فأكون بمنزلة من منع عبداً إذا صلى.

عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر رضي الله عنه: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله[1].

قال ابن الأثير في النهاية عند ذكر البدعة الحسنة: (ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه، لما كانت من أفعال الخير، وداخلة في حيز المدح، سماها بدعة ومدحها، لأن النبي ﷺ لم يسنها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركها، ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنما عُمر جمع الناس عليها وندبهم إليها، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة لقوله ﷺ: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)[2]، وقوله: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر[3]، وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر: كل بدعة ضلالة)[4]، وإنما يريد ما خالف أصول الشريعة و لم يوافق السنة.

وعند البيهقي عن السائب بن يزيد رضي الله عنه بإسناد صحيح قال: كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب بعشرين ركعة، وكانوا يتوكؤن على عصيِّهم في عهد عثمان من شدة القيام.

---

١ - تقدم تخريجه ص (١٤٨).

٢ - تقدم تخريجه ص (١٤٩).

٣ - حديث صحيح أخرجه الترمذي (٣٦٦٣) وابن سعد (٢/٣٣٤) وأحمد (٥/٣٣٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٢/٨٥) وابن ماجه (٩٧) في المقدمة، والحاكم (٣/٧٥)، والخطيب في التاريخ (١٢/٢٠) وأبونعيم في الحلية (٩/١٠٩) وابن حبان (٦٩٠٢).

٤ - تقدم تخريجه ص (١٤٩).

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول في التشهد بعد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته: (السلام علينا من ربنا) فيزيد على اللفظ الذي رواه عن النبي ﷺ لفظة: (من ربنا).

وثبت أن النبي ﷺ كان يلازم في أسفاره كلها القصر فيصلي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين، ولم يثبت قط أنه صلى الرباعية أربعاً في السفر، ومع ذلك فقد صلى عثمان رضي الله عنه في منى أربعاً وأنكر عليه ابن مسعود ثم صلاها معه أربعاً، فلما قيل له، قال: إني أكره الخلاف[1].

وأخرج ابن أبي شيبة عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال: ألا يقوم أحدكم فيصلي أربع ركعات ويقول فيهن: (تم نورك فهديت فلك الحمد، وعظم حلمك فعفوت فلك الحمد، وبسطت برَّك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أعظم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل عطية وأهنأها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى فتغفر، وتجيب المضطر، وتكشف الضر، وتشفي السقيم، وتغفر الذنب، وتقبل التوب، ولا يجزي بآلائك أحد، ولا يبلغ مدحك قول قائل).

وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر، على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه، وكثر الناس، زاد النداء الثالث على الزوراء وهي دار في سوق المدينة، وسمي هذا الأذان ثالثاً باعتبار إضافته إلى الأذان الأول والإقامة، ويقال له: ثانٍ بإسقاط اعتبار الإقامة[2].

وقتال أبي بكر رضي الله عنه لما نعي الزكاة واستباحة دمائهم حتى يُذعنوا له حتى قال قولته المشهورة: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، مع قول عمر ومراجعته له ثم إذعانه لرأيه فقال: فعلمت أنه الحق[3].

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه أن تلبية رسول الله ﷺ: لبيك اللهم

---

١ - أخرجه البخاري (١١٠٧) ومسلم (٧٠٤).

٢ - أخرجه البخاري (٩١٢) وابن ماجه (١١٣٥) وابن خزيمة (١٧٧٣) وأبو داود (١٠٨٧) وأحمد (٣/٤٤٩) والنسائي (١٣٩١) والترمذي (٥١٦).

٣ - أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (١٢٤) والنسائي (٢٤٤٢) وأبو داود (١٥٥٦) والترمذي (٢٦٠٧) وأحمد (١/١٩).

لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لـك، وكـان عبد الله بن عمر يزيد في تلبيته: لبيك لبيك وسعديك والخـير بيديـك، لبيـك والرغبـاء إليك والعمل)[1].

وعن ابن عمـر رضـي الله عنـه أيضـاً: (أن عمـر كـان يقـول هـذه الزيـادة في تلبيته)[2]، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يزيد أيضاً: (لبيك مرغوب إليك ذا النعمـاء والفضل الحسن)[3].

وكان الناس يزيدون في التلبية: (ذا المعارج)[4].

وذكر الحافظ في المطالب العالية أنه كان سيدنا أنس رضي الله عنـه يقـول في تلبيته: (لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً).

والذي ثبت عن سيدنا محمد ﷺ فيما رواه عنـه البخـاري ومسـلم وغيرهمـا أنـه كان يستلم الركنين اليمانيين من الكعبة المشرفة، ولم يستلم غيرهما، وصح عن جماعـة من الصحابة استلام الأركان الأربعة.

فعن أبي الطفيل قال قدم معاوية وابن عباس الكعبة فاستلم ابـن عبـاس الأركـان كلها فقال له معاوية إنما استلم رسول الله ﷺ الركنين اليمانيين! قال ابن عبـاس: ليـس شيء من البيت مهجوراً[5].

وحكى ابن المنذر ذلك عن جابر وأنس والحسن والحسـين رضـي الله عنهـم: جاء سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي بكـر رضـي الله عنـه يقـول لـه: يـا خليفـة رسول الله ﷺ أرى القتل قد استمر في القراء فلو جمعـت القـرآن في مصحـف، فيقـول الخليفة: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فيقول عمر: إنه والله خير، ولم يزل به حتى قبل، فيبعثان إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فيقولان له ذلك، فيقـول: كيـف

---

١ - أخرجه البخـاري (٢/١٧٠) ومسـلم (١١٨٤) وأبو داود (١٨١٢) والنسـائي (٥/١٦٠) ومالك في الموطأ (٢١٩) وأحمد (٢/٣٤-٤٨٩٦).

٢ - أخرجه مسلم (١١٨٤).

٣ - أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح (٤/كتاب (١١٢) باب (١١٥) رقم (١١).

٤ - أخرجه أبو داود (١٨١٣) بإسناد صحيح وأحمد (٣/٣٢٠) وابن خزيمة (٢٦٢٦).

٥ - أخرجه البخاري (١٦٠٨) والترمذي (٨٢٨) والطبراني في الكبير (١٠٦٣١) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ برقم ٥٤٧٤)..

تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فيقولان له: إنه والله خير، فلا يزالان به حتى شرح الله صدره كما شرح صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[1].

وقد أقر الشاطبي بهذا العمل وأنه واجب، وسماه مصلحة وأبى أن يسميه بدعة، لأن البدعة عنده ما قصد بها الزيادة على الشارع، ويعني بهذا البدعة السيئة.

وعن أبي مدينة الدارمي وكانت له صحبة قال: كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة **﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾**[2].[3]

ولما جمع زيد بن ثابت القرآن في صحف، وضعها عند أبي بكر، فلما توفي كانت عند عمر فلما توفي كانت عند حفصة، وفي أوائل خلافة عثمان رضي الله عنه حصل الاختلاف في قراءة القرآن، فقال حذيفة بن اليمان لعثمان رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وأهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضاً، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي علينا الصحف، ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف وأرسل إلى كل أفق بمصحف، وحبس واحداً بالمدينة، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أن يحرق وتركوا القراءات الشاذة.

وهذا العمل وإن لم يكن على عهد النبوة، لكنه يعد من أهم وأكبر حسنات سيدنا عثمان وأكثرها فائدة للإسلام والمسلمين.

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه: أنه شهد جنازة رجل من الأنصار قال: فأظهروا الاستغفار فلم ينكر ذلك أنس، وأدخلوه من قبل رجل القبر[4].

---

١ - أخرجه البخاري (٤٦٧٩) والترمذي (٣١٠٣) وأحمد (١|١٠) والنسائي في فضائل القرآن (٢٠).

٢ - سورة العصر الآية (١،٢).

٣ - أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٢٠).

٤ - أخرجه أحمد (٨|٥٨-٥٩).

وعن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فقال: "اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين".

وأخرج الطبراني عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده ودعا لهم.

وعن داود بن أبي صالح قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب، فقال: نعم، جئت رسول الله ﷺ ولم آتِ الحجر[1].

وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان يقول في تشميت العاطس: "يرحمنا الله وإياكم ويغفر الله لنا ولكم" والمأثور: "فليقل له صاحبه: يرحمك الله، **فإذا قال له ذلك فليقل:** يهديكم الله ويصلح بالكم"[2].

وأخرج أحمد في الزهد عن سيدنا أبي صفية رضي الله عنه -رجل من الصحابة كان خازناً- أنه كان يسبح بالحصى.

وأخرج ابن سعد أن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان يسبح بالحصى.

وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أيضاً صح عنه أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به. **وقد قال رضي الله عنه:** (إني لأستغفر الله عز وجل وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر ذنبي)[3].

وأخرج الطبراني في معجمه الأوسط عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه كان يعلّم صيغة جديدة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أولها: (اللهم يا داحي المدحوات..).

وأورد الحافظ ابن حجر في المطالب العالية -ورمز له بالصحة- عن ثوبة مولى

---

١ - تقدم تخريجه ص (١٥٥).
٢ - أخرجه مالك في الموطأ موقوفاً على ابن عمر (٨٢٥|١٤٥).
٣ - وأورده الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤|٩٤).

بني هاشم قال: قلت لابن عمر: كيف الصلاة على النبي صلى ا لله عليه وسلم؟ فقال ابن عمر: (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير، اللهم ابعثه يوم القيامة مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون، وصل اللهم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).

وعن سيدنا الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبدا لله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدا لله على سفاط ولا صاحب بيعة ولامسكين ولا أحد إلا سلم عليه فقلت له: ماتصنع وأنت لا تقف على البيع ولاتسأل عن السلع ولاتسوم بها ولاتجلس في مجالس السوق؟ فقال: يا أبا بطن -وكان الطفيل ذا بطن- إنما نغدوا من أجل السلام لنسلم على من لقيناه[1].

وعن سيدنا ابن عمر رضي ا لله عنهما أن المسجد على عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم كان مبنياً باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفضة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج (خشب هندي).

وعن سيدتنا عائشة رضي ا لله عنها قالت: إن المقام كان في زمن النبي صلى ا لله عليه وسلم وزمن أبي بكر ملتصقاً بالبيت ثم أخره عمر.

وقال الحافظ في فتح الباري: ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم فصار إجماعاً وكأن عمر رأى إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع فيه الحرج، وتهيأ له ذلك لأنه الذي كان أشار باتخاذ مصلى، وأول من عمل عليه المقصورة الموجودة الآن.

وقال الإمام الشافعي رضي ا لله عنه: (أول من أرزق المؤذنين إمام هدى عثمان ابن عفان).

---

١ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٠٦).

وإن مايعتقدبعض الناس بدعيته وهو ثابت في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

ا- مسألة رفع اليدين في الدعاء عامة وبعد الصلاة خاصة .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردها صفراً**[1].

وعن عمير مولى أبي اللحم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء يدعو رافعاً كفيه قبل وجهه[2].

وفي رواية أخرى عنه (**مقبلاً بباطن كفه إلى وجهه**)[3].

وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله جل وعلا يستحي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردهما خائبتين**[4].

وعن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه[5].

(وهذه الأحاديث كلها عامة تشمل كل الأوقات)، وفي مشروعية رفع اليدين أحاديث كثيرة أفردها المنذري في جزء سرد منها النووي في (الأذكار) وفي [شرح المهذب] جملة، وعقد لها البخاري أيضاً في [الأدب المفرد] (٢١٤-٢١٦) باباً ذكر فيه عدة أحاديث وانظر كذلك فتح الباري (١١/١٤٢-١٤٣) فرفع اليدين مشروع معهود بين السلف والخلف.

---

١ - أخرجه الترمذي (٣٥٥٦) وحسنه، وأبو داود (١٤٨٨)، والطبراني (٦١٤٨) والبغوي في شرح السنة (١٣٨٥) وابن حبان (٨٧٦).

٢ - أخرجه أحمد (٥/٢٢٣) والترمذي (٥٥٧) والنسائي (٣/١٥٩) وابن حبان (٨٧٨) والحاكم (١/٥٣٥) وصححه ووافقه الذهبي وأبو داود (١١٦٧).

٣ أخرجه ابن حبان (٨٧٩).

٤ - أخرجه أحمد (٥/٤٣٨) وابن حبان (٨٨٠) والطبراني (٦١٣٠) والحاكم (١/٤٩٧) وصححه ووافقه الذهبي وجوّد إسناده الحافظ في الفتح (١١/١٤٣).

٥ - أخرجه مسلم (٨٩٥) وعلقه البخاري (٦٣٤١) وانظر تعليق التعليق (٢/٣٩٣) وأحمد (٣/٢٠٩) وابن أبي شيبة (٣٧٩١٠) وابن حبان (٨٧٧).

٢- مسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة

فقد قال ا لله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً[١]﴾ وأحاديث الحث على الصلاة على النبي صلى ا لله عليه وسلم كثيرة تبين فضل الصلاة عليه وما يجنيه العبد جراءها من أنه يصلي ا لله عليه بها عشراً ويرفع بها عشر درجات ويعطيه بها عشر حسنات ويمحو عنه بها عشر سيئات وما إلى ذلك.

وقد جاءت مطلقة دون تقيدها بوقت دون وقت فهي عامة تشمل جميع الأوقات ومعلوم أن العام يعمل به في جميع جزئياته.

على أنه قد ورد الحث عليها في أوقات معينة منها عند الأذان وعند الدعاء وعند دخول المسجد وعند الخروج منه ولكن ذلك ليس بعبرة، فإن تخصيص بعض أفراد العام بالذكر لايخصص العام.

٣- مسألة بناء المساجد على القبور

قال الشيخ عبدا لله بن الصديق الغماري في كتاب اتقان الصنعة:

استدل الذين قالوا بكراهة بناء المساجد على القبر بحديث: (**لعن ا لله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**[٢]).

والحديث صحيح ولكن الاستدلال به غير صحيح لأمور:

١- أن معنى اتخاذ القبور مساجد: الصلاة إليها تعبداً أو السجود لها.

٢- إن عائشة لما روت قوله صلى ا لله عليه وسلم أعقبته بقولها: (ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً).

قال الحافظ في الفتح: قولها: لأبرزوا قبره: أي لكشف قبر النبي صلى ا لله عليه وسلم و لم يتخذ عليه الحائل والمراد الدفن خارج بيته.

---

١ - سورة الأحزاب الآية (٥٦)

٢ - أخرجه البخاري (٤٣٧) ومسلم (٥٣٠) وأبو داود (٣٢٢٧) وأحمد (٢|٢٨٤) والبيهقي (٤|٨٠) وابن حبان (٢٣٢٦).

بقي أمر لابد أن ننبه عليه وهو: إذا كان مسجد مبنياً ثم دفن فيه ميت أو أدخل فيه قبر، فلا يدخله الخلاف في بناء المسجد على القبر لأنه لم يبن عليه والدليل على ذلك أمور:

١- استشارة سيدنا أبي بكر للصحابة الكرام في اختيار موضع دفنه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم: عند المنبر، وقال بعضهم حيث كان يصلي يؤم الناس.

فهؤلاء الصحابة لم يشيروا بدفنه صلى الله عليه وسلم في هذه الأماكن إلا لعلمهم بأن هذا لا يشمله بناء مسجد على قبره، وهؤلاء هم أصحابه الكرام.

٢- أن القبر الشريف أدخل في المسجد النبوي في عهد الوليدبن عبد الملك على يد عمر بن عبد العزيز و لم يغير ذلك عمر في خلافته بأن يفصل الحجرة الشريفة والمسجد بجدار، و لم يفعل ذلك خلفاء بني العباس ولا أرشدهم أحد إليه مع كثرة من زار المسجد النبوي من الأئمة والحفاظ والفقهاء والزهاد وغيرهم وكان الإمام مالك مسموع الكلمة عند المنصور ولو أشار عليه بإقامته حاجز بين القبر والمسجد لفعله، وماذاك إلا لأن إدخال قبر في مسجدٍ ليس كبناء المسجد عليه وهو في المسجد النبوي إجماع من الأمة بجميع طبقاتها وأمة النبي صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة.

ومما يستأنس في هذا الباب حكاية الله عز وجل لقول الذين اكتشفوا أهل الكهف وقالوا: ﴿**لنتخذن عليهم مسجداً**[1]﴾ وهم مسلمون كما قال ابن عباس، فذكر الله جل جلاله قولهم و لم ينكر عليهم.

والآن وبعد جميع ما ذكر من صور إحداث الصحابة رضي الله عنهم لأمور في زمن النبوة وبعدها لم تكن موجودة في عهد النبوة، وأنها من باب قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها...)[2].

نستطيع أن نصل إلى قاعدة نجعلها أساساً لنا خلال مسيرتنا في هذه الحياة لنكون دعاة إلى جمع شتات المسلمين ألا وهي: "ليس كل جديد بدعة"، لأن الحياة ما تزال

---

١ - سورة الكهف الآية (٢١).

٢ - تقدم تخريجه ص (١٤٩).

تتحول بأصحابها من حال إلى حال ومن طور إلى طور، وهذه سنة الله تعالى في الكون، فلا مطمع في إمكان التغلب عليها وربطها بمسمار من الثبات والجمود على حالة واحدة على مرِّ الأزمنة والعصور، وكانت هذه التطوّرات موجودة في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان يرحب بسنة الحياة إذا لم تكن مخالفة لقواعد الشريعة.

فالبدعة بمعناها الشرعي هي التي يجب الابتعاد عنها والتحذير من الوقوع فيها، وأصل ذلك قول النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1]، وليس المقصود منها معناها اللغوي وهو ما تعارف عليه الناس بأنه كل جديد طارئ على حياة المسلم مما لم يفعله رسول الله ﷺ ولا أصحابه الكرام ولم يكن معروفاً لديهم. إذ لو كان المقصود من قوله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، المعنى اللغوي إذاً لكان المسلمون اليوم كلهم يعانون من ضلالات لا مفر لهم منها، ويتقلبون في بحار من البدع أينما حلوا وأينما سكنوا: أبنية بيوتهم، وموائدهم، وطراز ثيابهم، والأساليب التي تنهض عليها أنشطتهم الثقافية والعلمية والاجتماعية طامّات متراكمة بدأت بعد عصر الصحابة إلى يومنا هذا، ولا مطمع في إمكانية التغلب عليها!! فلا يعقل إذاً أن يكون المقصود من البدعة هو المعنى اللغوي.

على أننا بعد هذا كله لابدلنا أن نتذكر قول إبراهيم النخعي التابعي: (كانوا يكرهون أشياء لايحرمونها) وكذلك كان مالك والشافعي وأحمد كانوا يتوقون إطلاق لفظ الحرام على ما لم يتيقن تحريمه لنوع شبهة فيه أو اختلاف أو نحو ذلك بل كان أحدهم يقول "أكره كذا" لايزيد على ذلك ويقول الإمام الشافعي تارة: أخشى أن يكون حراماً ولايجزم بالتحريم.

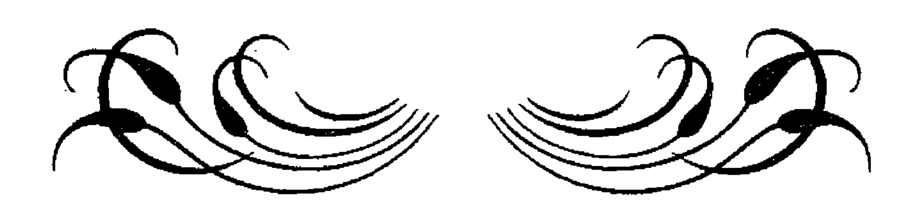
يخاف أحدهم إذا جزم بالتحريم أن يشمله قول الله تعالى: ﴿**لاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب**[2]﴾ فمن نحن أمام الإمام الشافعي والإمام أحمد وأئمة السلف الصالح؟!!

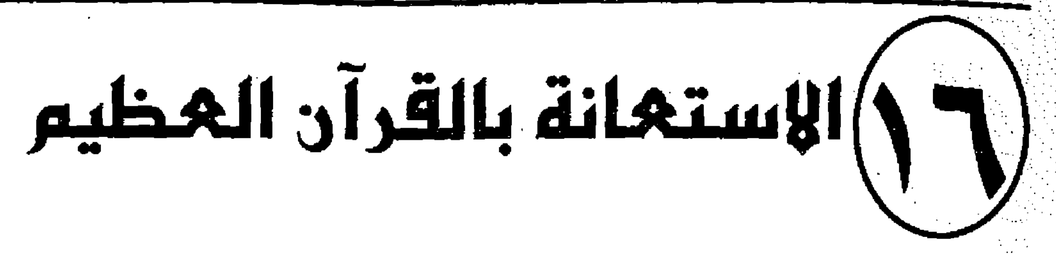
---

١ - تقدم تخريجه ص (٤٨٤).

٢ - سورة النحل الآية (١١٦).

هل بلغنا من العلم القدر الذي فقناهم فيه حتى يجوز لنا أن نسارع بالتحريم والتحليل من ذات أنفسنا؟!! اللهم اهدنا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.





١٦ الاستعانة بالقرآن العظيم

أدلة الإستعانة بالقرآن العظيم:

أ ـ من القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾[٢]، وقال أيضاً: ﴿قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾[٤]، وقال أيضاً: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾[٥]، وقال أيضاً: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾[٦]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾[٧].

ب ـ من السنة الشريفة

عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيّفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم:

---

١ - سورة يونس الآية (٥٧).
٢ - سورة الإسراء الآية (٨٢).
٣ - سورة فصلت الآية (٤٤).
٤ - سورة التوبة الآية (١٤).
٥ - سورة المؤمنون الآية (٩٧-٩٨).
٦ - سورة آل عمران الآية (١٧٣-١٧٤).
٧ - سورة الأنبياء الآية (٨٧-٨٨).

لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فهل عند أحدٍ منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم وا لله إني لأرقي، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قَلَبة قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول ا لله ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول ا لله ﷺ فذكروا له ذلك فقال: (وما يدريك أنها رقية) ثم قال: (قد أصبتم اقتسموا واضربوا لي سهماً)[1].

وعن أبي هريرة رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: قال ا لله تعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال ا لله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليَّ عبدي، أو مجّدني عبدي، وإذا قال العبد: ملك يوم الدين، قال: فوّض إليَّ عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال فهذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال فهذا عبدي ولعبدي ما سأل[2].

وعن سيدنا أبي هريرة رضي ا لله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول ا لله! ما لقيت من عقرب لدغني البارحة، قال: أما لو قلت حين أمسيت: (أعوذ بكلمات ا لله التامات من شر ما خلق لم تضرك)[3].

وعن السيدة خولة بنت الحكيم السلمية رضي ا لله عنها قالت: سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: (من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات ا لله التامات من شر ما خلق، لم

---

١ - أخرجه البخاري (١٠|١٧٨) ومسلم (٢٢٠١)، وأبو داود (٣٩٠٠) والترمذي (٢٠٦٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٢٨) وابن ماجه (٢١٥٦)..

٢ - أخرجه البخاري (١١) في القراءة خلف الإمام، ومسلم (٨٧٦) والترمذي (٢٩٥٣) ، وابن ماجة (٣٧٨٤) والنسائي (٣٨)، في فضائل القرآن وأحمد (٢|٢٤١) والحميدي (٩٧٣) وابن خزيمة (٤٩٠) بنحوه وصححه، وقال العلامة المبرد معلقاً على هذا الحديث: (احتج بعضهم من هذا الحديث على أنه ما قرأ أحد الفاتحة لقضاء حاجة وسأل حاجته إلا قضيت) الاستعانة بالفاتحة ص (١٩).

٣ - أخرجه مسلم (٦٨١٩) ومالك (٢|٩٥١).

يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿**قل هو الله أحد**﴾، و﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾، و﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات)[2].

وعن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: نعم، فقال جبريل عليه السلام: بسم الله أرقيك، من كل داءٍ يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك)[3].

وعن سيدنا عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال النبي ﷺ: (ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر)[4].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: (إذا فزع أحدكم من النوم فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنه لن تضره)[5].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبها في صك ثم علقها في عنقه.

وعن سيدنا علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير الدواء القرآن"[6].

---

١ – أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

٢ – أخرجه البخاري (٨/١٠٠) و (٩/٥٦) ومسلم (٢١٩٢) وأبو داود (٣٩٠٢) والترمذي (٣٣٩٩).

٣ – أخرجه مسلم (٥٦٦٤) والترمذي (٩٧٢) وابن ماجه (٣٥٢٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٠٥) وأحمد (٣/٢٨).

٤ – أخرجه مسلم (٥٧٠١).

٥ – أخرجه أبو داود (٣٨٩٣) والترمذي (٣٥٢٨)وقال حديث حسن.

٦ – أخرجه ابن ماجه (٣٥٠١).

وروي أن النبي ﷺ كان يقول: (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء)[1].

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي، إذ سجد فلدغته عقرب في أصبعه، فانصرف رسول الله ﷺ، وقال: (لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره، قال: ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ: ﴿**قل هو الله أحد..**﴾ والمعوذتين حتى سكنت)[2].

والأحاديث في هذا كثيرة متناثرة في كتب السنة الشريفة ولكن الدليل الواحد يكفي لمن كان اعتقاده متوقفاً حقاً على دليل من الكتاب أوالسنة.

من أقوال السلف الصالح:

قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض.

وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتاباً من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع.

وقال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى:

ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة، فما الظن بكلام رب العالمين الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه، الذي هو الشفاء التام والعصمة النافعة والنور الهادي والرحمة العامة، الذي لو أنزل على جبل لتصدّع من عظمته وجلالته، قال تعالى: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾[3]، و(من) هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا أصح القولين كقوله تعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً**﴾[4]، فما الظن بفاتحة الكتاب التي لم ينزل في القرآن ولا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلها؟ المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على أصول أسماء الرب سبحانه ومجامعها، وهي الله والرب والرحمن والرحيم.

---

١ - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٥٨٢٧).

٢ - أخرجه ابن أبي شيبة]٥ أ كتاب (١٦) باب (٢٢) رقم (١)[.

٣ - سورة الإسراء الآية (٨٢).

٤ - سورة الفتح الآية (٢٩).

وقال رحمه الله أيضاً: ولقد مرَّ بي وقت بمكة سقمت فيه وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بها، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مراراً، ثم أشربه فوجدت بذلك البرء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع فأنتفع به غاية الانتفاع[1].

وقال رحمه الله تعالى: "... فما تضمنته الفاتحة من أعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل: إن موضع الرقية منها ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء الدواء..."[2].

وقال رحمه الله تعالى أيضاً: "... إن أم القرآن هي السبع المثاني، والشفاء التام والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنى والفلاح، وحافظة القوة ودافعة الهمّ والغمّ والخوف والحزن، لمن عرف مقدارها وأعطاها حقها وأحسن تنزيلها على دائه، وعرف وجه الاستشفاء والتداوي بها، والسر الذي لأجله كان كذلك".

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: "ومن ساعده التوفيق، وأُعينَ بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثبات الشرع، والقدرة والمعاد، وتجريد توحيد الربوبية الإلهية، وكمال التوحيد والتفويض إلى من له الأمر كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، والافتقار إليه من طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين، وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحها ودفع مفاسدها، فإن العافية المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها، موقوفة على التحقيق بها: أغنته عن كثير من الأدوية والرقى، واستفتح بها من الخير أبوابه ودفع بها من الشر أسبابه".

وقال العلامة ابن المبرد رحمه الله: ".. وقد شاهدت أنا من نجاح الأمور بها أمراً عظيماً، فقلَّ حاجة من الحوائج تعرض لي من الحوائج الدنيوية والأخروية، فأقرؤها عليها إلا قضيت ونجح أمرها، وكم من حاجة تعسَّرت واستدتْ طرقها[3] وحالت دونها الموانع فقرأتها لنجاحها فقضيت وعادت أتمَّ ما كانت...".

---

١ - الطب النبوي (١٣٧-١٣٩) وزاد المعاد (٣/١٢١-١٢٢).

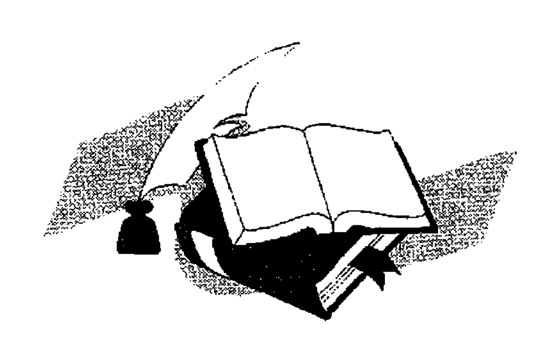
٢ - الطب النبوي (١٣٩-١٤٠).

٣ - استدت طرقها: بمعنى سدت أي: عميت عليه مذاهبها.

ثم قال رحمه الله تعالى: "وهي سورة عظيمة، فعليك رحمك الله بالإكثار منها على أمورك وحوائجك، وأدوائك ومهماتك وكل ما عرض لك، وتأمل ذلك تجد منه ما يظهر لك".

وقال رحمه الله تعالى أيضاً معلقاً على حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي.." احتج بعضهم من هذا الحديث على أنه: ما قرأ أحد الفاتحة لقضاء حاجة وسأل حاجته إلا وقضيت[١].

وقال العلامة محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى: في كتابه روح القدس في (محاسبة النفس) في ترجمة فاطمة بنت أبي المثنى ما نصه: "كانت سورتها من القرآن الفاتحة قالت لي: أعطيت الفاتحة أصرفها في كل أمر شئته"[٢].



١ - الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور ص (١٩).

٢ - روح القدس لابن عربي ص (٨٤).



إذا قال قائل

(فدين الإسلام واحد لامذاهب فيه ولاطرق يجب اتباعها إلا طريق محمد صلى ا لله عليه وسلم).

وقال أيضاً:

(اعلم أن المذهب الحق الواجب الذهاب إليه والاتباع له هو مذهب سيدنا رسول صلى ا لله عليه وسلم، و لم يقل الإمام أبو حنيفة ولامالك ولاأحد من الأئمة خذوا بقولي أو تمذهبوا بمذهبي، بل ولا قال ذلك أبو بكر ولا عمر رضي ا لله عنهم، بل نهوا عن ذلك، فإن كان الأصل هكذا فمن أين جاءت المذاهب؟ ولماذا شاعت وألزمت على ذمم المسلمين، فتدبر وتأمل أنها ما شاعت إلا بعد خير القرون، وما ألزمت إلا من الأمراء الغاشمين والحكام الجاهلين، والعلماء المضلين).

فالجواب: إذا قلنا إن الاتباع ينبغي أن يكون للكتاب والسنة فقط، أليس ذلك ينبغي أن يكون مبنياً علىفهم الصحابة والأئمة المجتهدين. نعم إن أحداً من الصحابة لم يقل خذوا بقولي، و لم يقل أحد أيضاً بأن اتباع واحد بعينه دون الآخر فرض محتم، ولكن اتباع الكتاب والسنة بناء على فهم الصحابة والأئمة المجتهدين لهما إنما يكون باتباع أقوالهم، ولاشك أن هذا لاخلاف فيه، وإنما الإشكال في كيفية اتباع أقوال الصحابة والأئمة المجتهدين رضي ا لله عنهم.

ففي الماضي اجتهد الصحابة رضي ا لله عنهم والأئمة الأوائل الذين جاؤوا بعدهم واعتمد بعضهم في اجتهاده على الدليل، واعتمد البعض الآخر على الرأي المعتمد على القياس أو الأصول العامة في الشرع المجمع عليها نحو: ﴿**وماجعل عليكم في الدين من حرج**﴾[1]. (لاضرر ولاضرار)[2]. وهكذا، وذلك إما لعدم وصول دليل

١ - سورة الحج الآية (٧٨).

٢ - أخرجه مالك (٢|٧٤٥) وأحمد (١٥|١١٠) وابن ماجه (٢٣٤١) والطبراني (١١| رقم ١١٨٠٦)

الغير إليه وعدم علمه بالدليل، أو لأن لديه دليلاً اعتمد عليه ووجده أقوى من دليل غيره، أو لاختلافه مع غيره في تفسير النص، أو لاختلافهم في نوع الحكم على المسألة، هل هي فرض أو سنة مثلاً، بسبب اختلافهم في قواعد الاجتهاد... وهكذا أما من لم يصله الدليل من الصحابة والأئمة المجتهدين واجتهد برأيه فرأيه ناقشه العلماء المجتهدون فيما بعد حينما صارت الأدلة متوفرة لدى الجميع أي بعد القرن الثالث، فعلماء المذاهب فيما بعد على مر العصور ناقشوا هذه الآراء وأخذوا بما يدعمه الدليل منها وتركوا ما يتعارض مع الأدلة، وليس أدل على ذلك من مخالفة كثيرين من الأئمة في كل مذهب لقول الإمام أو لقول غيره عملاً بالدليل الأقوى، وسنبين ذلك إن شاء الله، وهذا الوضع لم يشكل سبباً هاماً من أسباب نشوء المذاهب واستمرارها.

لكن الوضع الثاني، وهو الحال الذي يكون كل طرف فيه معتمداً على دليل قوي يتمسك به، أوله رأي بدليل غيره، أو تفسير أو حكم مختلف فيه عن تفسير غيره أو حكمه في المسألة، أوله قواعد تختلف عن قواعد غيره في الاجتهاد، هو السبب الأهم في نشوء المذاهب واختلاف الآراء.

ونضرب لذلك مثلاً في اختلاف الصحابة في تفسير قوله تعالى: ﴿أولامستم النساء﴾[1] قال ابن عباس: إن اللمس والمس والمباشرة: الجماع، ولكن الله يكني ما يشاء بما يشاء وقال بعده ابن جرير بذلك واحتج بحديث عائشة الصحيح: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبّل ثم يصلي ولايتوضأ)[2].

أما عبدالله بن مسعود فقد قال: اللمس مادون الجماع، والقبلة من المس وفيهما الوضوء وروى مالك عن عبدالله بن عمر أنه كان يقول: قبلة الرجل امرأته وجسه بيده من الملامسة، فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء.

وتابعهم على ذلك الشافعي وأصحابه ومالك وأحمد بن حنبل، وقالوا: قد قرئ في هذه الآية -أي قراءة متواترة- (لامستم) و(لمستم). واللمس يطلق في الشرع على الجس في اليد، قال تعالى: **﴿ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه**

والدارقطني (٤/٢٢٧)، والحاكم (٢٣٤٥) وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

١ - سورة المائدة الآية (٦).

٢ - أخرجه أحمد (٢/٩٠) وابن ماجه (٢٥٥٤) ورمز السيوطي لصحته.

بأيديهم﴾[1] أي جسوه.

وقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لما عز حين أقرَّ بالزنا يعرض له بالرجوع عن الإقرار: (لعلك قبلت أو لمست) وفي حديث آخر (واليد زناؤها اللمس)[2].

وأنت تلاحظ أن الاختلاف هنا واقع بين الصحابة الذين كانوا في عصر واحد وفي بلد واحد، وقد اختلفوا في تفسير النصوص وترجيح بعضها على بعض، وكل منهم تمسك بدليله، وتبعهم على ذلك الأئمة الأربعة، ولا شك أن كل طرف من أطراف الخلاف قد اطلع على دليل الآخر في هذه المسألة.

فالإمام مالك هو شيخ الشافعي، والشافعي قرأ على محمد بن الحسن كبير أصحاب أبي حنيفة في العراق، وهو أي الشافعي شيخ الإمام أحمد بن حنبل، ومع ذلك نجد أن هؤلاء الأئمة افترقوا في الحكم في هذه المسألة على افتراق الصحابة و لم يتفقوا على حكم واحد فيها.

وذكر هذه الأقوال وغيرها ابن كثير والقرطبي مثلاً، فلم يقولا: قال العلماء: إن سبب الخلاف بين الصحابة هنا هو عدم وصول الدليل إلى من قال: إن لمس المرأة ينقض الوضوء، ولاقالوا: بخطأ هذا القول وبعدم صحة العمل به كما يفعل بعضهم، بل ذهب بعضهم إلى تأييد القول الأول، وذهب البعض الآخر إلى تأييد القول الثاني على أنه أخذ بظاهر النص، وهو مع ذلك متوافق مع القاعدة الأصولية عندهم، والتي تقول: إنه يجوز استعمال الكلمة في كل من معناها الحقيقي والمجازي بآن واحد إذا كان ذلك ممكناً شرعاً وعقلاً.

والملامسة هنا تعني المس على المعنى الحقيقي، والجماع على المعنى المجازي، وفي هذه القاعدة خلاف بين الأصوليين.

والاختلاف في بعض قواعد الاجتهاد وقواعد الأخذ بالأدلة هو من الأسباب الهامة في اختلاف الاجتهادات ونشوء المذاهب في الأقوال.

فالأئمة من السلف الصالح رضي ا لله عنهم وضعوا قواعد وأصولاً لمعرفة أحوال

---

١ - سورة الأنعام الآية (٧).

٢ - أخرجه البخاري (٦٤٣٨).

الأدلة واستفادة الأحكام الشرعية منها، وهذه القواعد إنما وضعوها ليبينوا المنهج العلمي الصحيح للاجتهاد وتفسير النصوص واستنباط الأحكام، وليقطعوا الطريق على من يفهم من النصوص فهماً لايستقيم مع الشرع، ولا يصح في الدين وأول من فعل ذلك هو الإمام الشافعي رضي الله عنه في (الرسالة).

وهذه القواعد تنبثق من دلالات اللغة وفقهها، والأساليب الصحيحة في فهم النصوص واستنباط الأحكام، وهي بمثابة ميزان تستقيم عليه هذه الأمة في فهم الكتاب والسنة، وتحتكم إليه عند الاختلاف في تفسير النصوص وتأويلها، وعند الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام.

ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا في غنىً عن هذا المنهج،لأنهم كانوا يجتهدون بناء على سليقتهم في اللغة وفطرتهم السليمة في فهم معاني النصوص، وهم الذين عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقفوا على أسباب نزول الآيات القرآنية، وورود الأحاديث النبوية الشريفة، وعرفوا أسلوب الفهم الصحيح للدين، فساغ لهم ذلك الاجتهاد.

أما الذين جاؤوا بعدهم فقد صاروا يعانون من شوائب العجمة، وظهور الزندقة وظهور من يتاجرون بالشبهات والصناعة الجدلية وأساليب اللجاج للتشويش على المسلمين، ولإقحام أسباب الريبة في الطريق إلى الفهم الصحيح للعقيدة والأحكام، وهم ممن لازالوا متأثرين بعقائدهم الفاسدة، وأديانهم السابقة، فكان لابد من وضع هذا المنهج الذي سمي بعلم أصول الفقه وهذا مثال يوضح لنا صورة من صور اختلاف العلماء في بعض القواعد الأصولية مما أدى إلى اختلافهم في بعض الأحكام الفقهية مع وجود الأدلة:

يقول ابن حجر في "الخيرات الحسان" في معرض الدفاع عن أبي حنيفة والرد على من قال إنه خالف صرائح الأدلة من غير حجة:

وأما مخالفته (أعني خبر الواحد) لظاهر عموم القرآن، لأن أبا حنيفة لا يرى تخصيص عمومه أي عموم القرآن بخبر الواحد لأن خبر الواحد ظني الثبوت، والقرآن قطعي الثبوت، وتقديم أقوى الدليلين واجب.

من ذلك خبر: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)[1] مخالف لعموم: ﴿ **فاقرؤوا ما تيسر منه**﴾[2]. لذلك جعل الحنفية قراءة أي آية من القرآن شرطاً لصحة الصلاة للنص المذكور: ﴿**فاقرؤوا ما تيسر منه**﴾، وجعلوا قراءة الفاتحة واجباً من الواجبات، فلو لم يقرأ شيئاً من القرآن في الصلاة لم تصح صلاته، ولو قرأ شيئاً غير الفاتحة صحت مع الكراهة، لأنه أنقص واجباً من واجبات الصلاة وهو تعيين قراءة الفاتحة، وتعيين الفاتحة إنما اعتبروه من الواجبات لخبر الآحاد المذكور: مع مراعاة العمل بالدليل الثاني، ولكنهم لم يجعلوا الدليل الثاني خبر الآحاد بمرتبة المتواتر بحيث لوترك العمل به لم يصح العمل بالمتواتر، لأنه ليس بدرجته في الثبوت.

أما الشافعية فإنهم يرون تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ولو كان دون المتواتر في المرتبة، ولذلك جعلوا قراءة الفاتحة فرضاً، مع أن الآية تفيد كفاية قراءة ما تيسر من القرآن وقالوا: إن الحديث يخصص الآية ولو كان دونها في الثبوت.

ثم يقول ابن حجر: (وأما مخالفة خبر الآحاد للسنة المشهورة لأن الخبر المشهور أقوى من خبر الآحاد، كخبر الشاهد واليمين، فإنه مخالف لعموم الخبر المشهور:(البينة على المدعي واليمين على من أنكر)[3]. وأما كونه زائداً على القرآن كهذا، فإن الذي في القرآن رجلان أو رجل وامرأتان، فالشاهد واليمين زائد عليهما -أي على الخبر المشهور والقرآن – ولذلك رده).

ثم يقول ابن حجر: (إذا تقرر ذلك علم منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه إليه أعداؤه والجاهلون لقواعده، بل لمواقع الاجتهاد من أصلها، من تركه لخبر الآحاد بغير حجة، وأنه لم يترك خبراً إلا لدليل أقوى عنده وأوضح).

وقال ابن حزم: (جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي، فتأمل هذا الاعتداد بالأحاديث وعظيم جلالتها وموقعها عنده).

---

١ – أخرجه البخاري (٧٥٦) ومسلم (٨٧٢) وأبو داود(٨٢٢) والترمذي (٢٤٧) والنسائي (٩١٠) وابن ماجه (٨٣٧).

٢ – سورة المزمل الآية (٢٠).

٣ – أخرجه البخاري، (٢٥٢٦) ومسلم (١٧١١) وأبو داود (٢٢٥٤).

وهذا الحال بالنسبة للاهتمام بالأحاديث النبوية لم يكن ميزة أبي حنيفة وحده أو الأحناف الذين بنوا مذهبهم على هذه القاعدة وحدهم، وإنما كان ميزة جميع أئمة المذاهب وعلمائها، ولكن اجتهاداتهم في ترجيح الأدلة، وطرق استفادة الأحكام منها هو سبب الاختلاف الذي وقع في أقوالهم.

وهكذا نرى مما مّر من الأمثلة أن اختلاف الأئمة رضي الله عنهم قد كانت له أسباب علمية وموضوعية وجوهرية، أدى إليها اجتهادهم الصحيح والمشروع والمبني على أساس الكتاب والسنة.

ذكر الدكتور إبراهيم سلقيني في كتابه (أصول الفقه الإسلامي): أن الدارس لأصول الفقه يتعرف على الطريقة العلمية الصحيحة التي كتب بها هذا التراث العظيم من الفقة الإسلامي والمعايير الدقيقة العميقة التي كانت متحكمة في أذهان كاتبيه ومهيمنة على بحوثهم.

فيطمئن الباحث إلى أنهم لم يكتبوا إرضاءً لنزعة شخصية، أو انبعاثاً عن هوىً متبع، أو تحقيقاً لمطلب دنيوي، أو مجاراةً لتسلط عابث، ويتخذ من فقههم ومنهجهم فيه نموذجاً يحتذي به، ويتأكد الباحث أن أسباب الاختلاف بين الأئمة والمذاهب هي أسباب موضوعية علمية وليست أسباباً شخصية.

فإذا أدركنا أن أسباب الاختلاف بين الأئمة والمذاهب هي أسباب موضوعية علمية، أدركنا أن هذا الاختلاف هو توسع في الاجتهاد، وفسحة في الأحكام المستفادة من نصوص الكتاب والسنة لا خروج عن مضمونهما وأصولهما، فالاختلاف هنا هو نتيجة طبيعية للاجتهاد وأدركنا أن كل مجتهد مصيب بما وصل إليه من طريق الاجتهاد الذي أقره الشارع عليه وذلك إذا عرف أدلة الغير، وكان مقتنعاً بدليله وبما أوصله إليه اجتهاده، وبذلك لايكون هذا النوع من الاجتهاد هو المقصود بالذم الذي ذم به رسول الله صلى الله عليه وسلم المختلفين، ولا هو المقصود من التحذير الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث الشريف: (وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)[1].

---

١ – أخرجه أبو داود(٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٨) وابن ماجه في المقدمة (٤) وأحمد (٤/ ١٢٦).

ولكن الاختلاف الذي حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يخرج بأصحابه عن دائرة الإسلام، لا الاختلاف الذي يدور ضمن هذه الدائرة، وأن الفِرَقَ الضالة علامتها أنها تخرج عن الكتاب والسنة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)، وسنة الخلفاء الراشدين شيء غير سنته، ولكنه معتمد عليها، وهنا تنبغي الإشارة إلى أن سنته وسنة خلفائه إنما تفهم على ضوء ما يفهمه العلماء الثقات من الأمة كأئمة المذاهب ومن جاء بعدهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، فتكون سنتهم كسنة الخلفاء الراشدين مبنية على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمثلون بمجموعهم أهل السنة والجماعة.

ولذلك يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رضي الله عنه: لو لابيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجتهدين لنا ما أجمل في الكتاب والسنة لما قدر أحد منا على ذلك، وهذا الذي بينوه من مجمل الكتاب والسنة بعضهم قال عنه فرض وبعضهم قال عنه واجب كقراءة الفاتحة في الصلاة وبعضهم قال: يصح العمل بتركه، وبعضهم قال: لايصح كالنية في الوضوء مثلاً وهكذا كانت أقوالهم مختلفة بحسب ما وصلت إليه اجتهاداتهم رضي الله عنهم.

والحاصل أن هذه القواعد التي وضعها السلف الصالح رضي الله عنهم وأولهم الشيخ الشافعي لاستنباط الأحكام من النصوص والاجتهاد في فهم الكتاب والسنة، قد أخذوها من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وقواعد اللغة العربية وإجماعات الصحابة المدونة في كتب أصول الفقه، هذه القواعد إما أن تكون صحيحة وإما أن تكون غير صحيحة، فإذا كانت صحيحة، فلا يسعنا إلا أن نقبل نتائجها التي وصل إليها المجتهدون عبر القرون الماضية بناء عليها، ولو تسببت هذه القواعد في وقوع الاختلاف في الاجتهادات بينهم طالما أن هذا الاختلاف ناتج عن الاجتهاد، والاجتهاد حق المجتهدين، ولو سرنا عليها فلن نصل لغير ما وصلوا إليه وإن كانت غيرصحيحة فكيف وضعها الأئمة وأولهم الشافعي رضي الله عنه؟ وكيف سار عليها علماء الأمة عبر العصور الإسلامية؟.

إننا إن أخذنا بهذه القواعد والموازين سلّمنا لمن أخذ بها فيما وصل إليه من الاجتهاد في فهم الكتاب والسنة وقبول النصوص أوردّها، لأن عمله هذا مبني في

الأصل على الكتاب والسنة إذ أن هذه القواعد مستنبطة منهما، وإن لم نأخذ بها خرجنا عن منهج السلف وأئمة المسلمين عبر عصور الإسلام في فهم الكتاب والسنة، ونحن ندعي اتباعهم في فهمهم لهما، وهم إنما فهموهما وضبطوا فهمهما بناءً على هذه الأصول.

هل نقحت هذه المذاهب؟

فإن قال أحدهم: (ولما كان من أكبر أسباب الخلاف بين المذاهب الفقهية هو ظهور الفقيه ونشوؤهُ قبل استكمال جمع السنة، وتدوينها ودراستها وتحقيقها وشرحها، وكان من الواجب بعد أن تم للسنة الجمع والتمحيص والشرح والتحقيق أن يعاد النظر في آراء المذاهب المختلفة لتعدل وتنقح بناءً على ذلك، ولكن تعصب كل قوم لمذهبهم وإمامهم وضيق صدرهم عن الرجوع عن قوله، وضعف علمهم، كل ذلك حال دون إعادة النظر في كثير من المسائل الموجودة في كل مذهب مما ظهر بطلانه وتهافت دليله).

فالجواب: أن القول [بأن أئمة المذاهب بعد استكمال جمع السنة وتدوينها، أي بعد نهاية القرن الثالث الهجري، لم يقوموا بدراستها وتحقيقها وتمحيصها ولم يعيدوا النظر في أقوال أئمة مذاهبهم، ولم ينقحوها بناءً على ذلك، ولكن كل قوم قد تعصبوا لإمامهم وضاق صدرهم عن الرجوع عن قوله وكانوا جهلة مما حال ذلك كله دون إعادة النظر في الكثير من المسائل الموجودة في كل مذهب مما ظهر بطلانه وتهافت دليله]، باطل وغير صحيح، وهذا الكلام إن دل على شيء فإنما يدل على أن المفكرين يرون أن أكثر علماء المذاهب والمحققين من أقوام الأئمة الأربعة كانوا متهمين في دينهم وأمانتهم، وضربوا بالسنة عرض الحائط، وأخذوا بالأقوال المخالفة لها ظلماً وعدواناً، وهذا كذب صريح على علماء المذاهب، وشتم خطير لأمانتهم وصدقهم، وطعن في الدين ليس مثله طعن، فإن علماء المذاهب قد أعادوا النظر في أقوال أئمتهم ونقحوها، ونظروا في أقوال وأدلة الغير أيضاً، وكانوا يرجعون عن أقوال أئمتهم لدى توفر الحديث والدليل الأقوى لديهم، وليس أدل على ذلك من تعديل الكثير من أقوال المذاهب خلال عصور الاجتهاد ولم تثبت في المذاهب إلا الأحكام التي لها أدلتها والتي أقرها إمام المذهب بعد أن عرف أدلة الغير فيها أو التي أقرها غيره من أئمة مذهبه،

وتعرضت للدراسة من آلاف الأئمة الكبار في كل مذهب، ممن شهدت لهم الأمة عبر العصور بعلمهم وأمانتهم، وعدالتهم].

حتى الأئمة الحنفية رضي الله تعالى عنهم الذين اشتهروا بأصحاب الرأي، نجدهم يقدمون العمل بالحديث الضعيف (إذا لم يوجد لمسألة دليل غيره) على القياس.

ويقول الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله تعالى في رسالته (السهام الصائبة):
ومن راجع تخريج أحاديث الهداية للإمام الزيلعي - المتوفى سنة (٧٦٣هـ)- يتحقق أن مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه هو أيضاً مذهب أهل الحديث كباقي المذاهب إذ القاعدة عند جميعهم الاستدلال على المسألة من القرآن فإن لم يجد فيه دليلاً لها فمن السنة فإن لم يوجد فمن الإجماع فإن لم يوجد فحينئذ يقيسون على أقرب المسائل إليها وأشبهها بها بما ثبت دليله بالكتاب أو السنة أو الإجماع.

وقد مرّ كلام ابن حجر الهيثمي عن ابن حزم بذلك، ومثله يذكره ابن القيم في إعلام الموقعين حيث يقول إن أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله تعالى مجمعون على أن ضعيف الحديث مقدم على القياس والرأي وعلى ذلك بناء مذهبه.

وفي كتاب نصب الراية يعرض الإمام الزيلعي رضي الله عنه بعض أدلة المذهب الحنفي كما يعرض فيه أدلة الغير أيضاً من الحديث، ونجد فيه أن الحنفية اطلعوا على السنة اطلاعاً واسعاً وأخذوا بها.

ويقول الشيخ المحقق محمد زاهد الكوثري في مقدمة له على كتاب نصب الراية: (وكتاب الزيلعي هذا يجد فيه الحنفي صفوة ما استدل به أئمة المذهب من أحاديث الأحكام، ويلقى المالكي فيه نقاوة ما خرجه ابن عبد البر في (التمهيد) و(الاستذكار) وخلاصة ما بسط عبد الحق في كتبه في أحاديث الأحكام، والشافعي يرى فيه غربلة ما خرّجه البيهقي في (المسند والمعرفة) وغيرهما، وتمحيص ما ذكره النووي في (المجموع) و(شرح صحيح مسلم)، واستعراض مابينه ابن دقيق العيد في (الإلمام) و(الإمام) و(شرح العمدة) وكذلك الحنبلي يلاقي فيه وجوه النقد في كتاب (التحقيق) لابن الجوزي و(تنقيح التحقيق) لابن عبد الهادي وغير ذلك من الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، بل يجد الباحث فيه سوى ما في الصحاح والسنن والمسانيد والآثار والمعاجم من أدلة الأحكام أحاديث في الأبواب، من مصنف ابن أبي شيبة - أهم كتاب في نظر

الفقيه ومصنف عبد الرزاق ونحوهما مما ليس بمتناول يد كل باحث اليوم. ثم يقول: وهذا حافظ واحد من حفاظ الحنفية قام بمثل هذا العمل العظيم الذي وقع موقع الإعجاب الكلي بين طوائف الفقهاء كلهم، في عصره وبعد عصره، فمن قلّب صحائف هذا الكتاب، ودرس ما في الأبواب من الأحاديث تيقن أن الحنفية في غاية التمسك بالأحاديث والآثار في الأبواب كلها، ولكن لاتخلوا البسيطة من متعنّت يتقول فيهم إما جهلاً أو عصبية جاهلية... فمرة يتكلمون في أخذهم بالرأي عند فقدان النص، مع أنه لافقه بدون رأي، ومرة يرمونهم بقلة الحديث، وقد امتلأت الأمصار بأحاديثهم.... إلخ.

ويقول الشيخ عبد السلام عيرط: وقد حاولت أن أنظر في بعض الأقوال التي يدعي اللامذهبيون أن الأئمة خالفوا الحديث الصحيح فيها أو أنها لم تصل إليهم ولا إلى أتباعهم فرأيت أن هذه الأحاديث قد وصلت إليهم وإلى أتباعهم وفهموا منها غير الذي فهمه دعاة اللامذهبية، وبعضها وصل إليهم و لم يأخذوا به لمعارضته بعموم الكتاب أو أحاديث أخرى، ولكن هؤلاء ليس عندهم قواعد في الأصول والترجيح، يسيرون عليها حتى يصلوا إلى الفهم الصحيح ويعرفوا الصواب.

وهذه كتب أهل المذاهب في الحديث والفقه والأصول أكبر دليل على أن علماء المذاهب قد حققوا مذاهبهم ونظروا في أدلة الغير وأخذوا بما هو أقرب للكتاب والسنة، ولكن كل حسب اجتهاده وفهمه للنصوص وقواعد الاستنباط التي اعتمد عليها ورآها أفضل لفهم النصوص ومعرفة الأحكام وما هذه الشهادات التي مرت من هؤلاء العلماء وغيرهم بعد معرفتهم لكتبهم وأقوالهم، وما استمرار الأئمة والعلماء والآلاف المؤلفة من أكابر هذه الأمة وصالحيها عبر القرون على هذه المذاهب إلا الدليل الأكبر والبرهان الأعظم على أن هذه المذاهب قد درست ونقحت وبينت على الكتاب والسنة من غير زيغ ولا انحراف.

وإن الذي يقول غير ذلك إنما يحمله على ذلك القول جهله وقلة علمه وسوء ظنه بالمسلمين، وإن من الغريب أن تجد أناساً من المسلمين يسيئون الظن بهذا الجمهور الواسع من أتباع المذاهب، ويشككون بهم إلى الحد الذي يخالفون فيه النصوص التي شهدت لهذه الأمة وعلمائها وهم يزعمون الدعوة إلى الإصلاح.

لقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[1].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم.

وروي من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضلت هذه الأمة على سائر الأمم)[2]، وقد ساق ابن كثير الأحاديث الكثيرة والمختلفة عن فضل هذه الأمة.

ومنها ما روي عن حصين بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم: (عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق الأحمر، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)[3].

ويقول ابن كثير: ومن الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله عز وجل، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة) فكبرنا، ثم قال:(ألا ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة) فكبرنا، ثم قال:(إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة)[4].

ثم روي بعدة روايات كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومئة صف أنتم منهم ثمانون صفاً)[5]، وقوله صلى الله عليه وسلم:(أنتم ثلث أهل الجنة أو نصف أهل الجنة)[6].

١ - سورة آل عمران الآية (١١٠).
٢ - أخرجه الإمام أحمد (٥|٣٨٣).
٣ - أخرجه البخاري (٦٥٤١) ومسلم (٢٢٠) و(٣٧٤) والترمذي (٢٤٤٦) وابن منده (٩٨٢-٩٨٣-٩٨٤) والبغوي (٤٣٢٢) وابن حبان (٦٤٣٠).
٤ - أخرجه البخاري (٥٢٨) والترمذي (٢٥٤٨) وابن ماجه (٤٢٨٣) وأبو يعلى (٥٣٨٦) وأحمد (١|٣٨٦) وأبو نعيم في الحلية (٤|١٥٢) وفي صفة الجنة (٦٤) وأبو عوانة (١|٨٧-٨٨) والطبري في تهذيب الآثار في مسند ابن عباس (٧٠٥) وابن منده في الإيمان (٩٨٥) والطبري في تفسيره (١٧|١١٢) وهناد بن السري في الزهد (١٩٥) و الطحاوي (٣٦٠) والطيالسي (٣٢٤) وابن حبان (٧٢٤٥).
٥ - أخرجه أحمد (١|٤٥٣) وأبو يعلى (٥٣٥٨) والبزار (٣٥٣٤) والطبراني في الكبير (١٠٣٥٠) وفي الأوسط (٥٤٣) ورجالهم رجال الصحيح في مجمع الزوائد (١٨٦٧٧) وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٦٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢٣٩) مختصراً وابن أبي شيبة (٥|٤٧١).
٦ -أخرجه الطبراني في الكبير (١٩٠٢) وإسناده جيد كما في مجمع الزوائد (١٠|٧٤٥) برقم (١٨٠٦٨٠).

وهل هذه الأمة المقصودة هنا إلا السلف من الصحابة والتابعين وأهل المذاهب الذين تتهمون علماءهم بالتعصب الموقع بالكفر من جراء ردِّهم للآية والحديث وأخذهم بقول مذهبهم المخالف.

أين أنتم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها)[1].

فهل حصل التجديد الذي يعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لم يحصل؟ ومن الذي كان يقوم به؟ أليس علماء المذاهب الذين تطعنون بهم وتتهمونهم وتضللون من سار على مذاهبهم؟ وهل الأمة إلا أهل هذه المذاهب؟!.

أين أنتم من الحديث الذي رواه جمع من المحدثين عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[2].

والذي قال النووي رحمه الله في شرحه: هذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاً من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهو من أعلام النبوة، ولا يضرّ كوْن بعض الفساق يعرف شيئاً من علم الحديث فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لأن غيرهم لايعرف شيئاً منه[3].

ما رأيكم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الأمة؟ وما رأيكم بقول الإمام النووي هذا؟ أليس هؤلاء العدول من كل عصرٍ هم من أتباع المذاهب؟ أليست هذه شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعدالة لهم ولمن تبعهم بإحسان أيضاً؟!. ألا ينبغي أيها الأخوة أن تنتبهوا إلى هذه النواحي، وأن لايحملكم الغرور والكبر والتعصب للرأي والثقة الزائدة بالنفس على اتهام الأمة وعلمائها، والطعن بمن شهد لهم الكتاب والسنة؟.

---

١ - أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٤|٥٢٢) والطبراني في الأوسط (٦٥٢٣).
٢ - أخرجه البزار (١٤٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠١).
٣ - تهذيب الأسماء واللغات.

رأي المنكرين في علماء المذاهب

فإن قيل: (لا تقل إنه وجد في كل مذهب على ممر القرون علماء محققون هذبوا المذاهب وحققوا أقوالها، وتركوا ما فيها من ضعف وخطأ. وهذا الإمام النووي مثلاً رجح بعض الأقوال خلاف مذهبه الشافعي، لاتقل ذلك لأننا نعلم أن أكثر علماء المذاهب والمحققين فيها لم يفعلوا ذلك بل كان كل عنايتهم وهمهم الدفاع عن مذاهبهم فقط، وكانوا يبحثون في الأدلة بروح التعصب لمذاهبهم، ويحاولون تقويتها بكل سبيل، ولو كانوا أنفسهم غير مقتنعين به ولا يقبله المنهج العلمي. أما الإمام النووي فهو واحد من مئات لم يفعلوا فعله، ثم هو نفسه لم يسلك هذه الطريق، ويترك رأي مذهبه في كل مسألة رأى فيها ضعف دليله، بل فعل ذلك في مسائل قليلة، وربما كان ذلك خوفاً من الرأي العام المذهبي، الذي كان يلهب بسياطه ظهر كل عالم يخرج على المعتاد والمتوارث، ويحاول التفلت من قيود التعصب المذهبي، وإنك لتلمس فرقاً واضحاً بين ما كتبه النووي في المجموع وبين ما كتبه في شرحه لصحيح مسلم، حيث حاول أن يبحث الأمور بروح موضوعية متجردة حرة)!!.

هذا هو رأي المنكرين في علماء الأمة الذين مروا على المذاهب عبر القرون، وعليه فإن أقل منكر من المنكرين هو أحرص على دين الله، وأكثر غيرةً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل هؤلاء العلماء والأئمة فأنت ترى المنكر يتحرق على الانتصار للكتاب و السنة ويتفانى في سبيل التمسك بهما، والذود عنهما، بينما ترى وللأسف آلاف الأئمة والعلماء والشيوخ من هذه الأمة، يصرون على مخالفتهم للشريعة، ويتعصبون زوراً وبهتاناً للأقوال المناقضة لها على الرغم من عدم قناعتهم بها، ويتواطؤون على إقناع الناس بالخطأ، من غير خوف من الله ولا وجل، حتى الإمام النووي، شيخ الإسلام، هو نفسه لم يسلك طريقة المنكرين و لم يترك رأي مذهبه في كل مسألة رأى فيها ضعف دليله، إلا في مسائل قليلة، وما الكتاب الذي ألفه في الفقه الشافعي، وهو يعلم أن الناس سيتلقونه عنه ويتعلمون دينهم منه، إلا شاهد ودليل على أن النووي لم يكن موضوعياً في بحثه، و لم يكن متجرداً ولا حراً في نقله للعلم وتقريره للشرع.

وأمام هذه النظرة التي تشمل معظم علماء الأمة، والآلاف المؤلفة منهم، يجد

المسلم سؤالاً يطرح نفسه، ترى هل درس المنكرون تراجم كل هؤلاء الأئمة وكتبهم وأعمالهم قبل أن يحكموا عليهم بهذه التهمة؟ أم هل هذا بإمكانهم؟ لكنه ما إن ينظر في بعض التراجم لهؤلاء العلماء حتى يكشف كذب هذه التهمة الموجهة إليهم، وجرأة هذا المتهم الذي يريد أن يشوه سيرتهم، ويخيل للناس تواطأهم عبر القرون الطويلة على الكذب، زاعماً أنه ينتصر للكتاب والسنة، وأنه جاء بعد كل هذه العصور ليدعو إلى ما تجاهلت الأمة الدعوة إليه، وليصحح ما تغافلت الأمة عن تصحيحه.

ونتناول مثالاً على ذلك مختصراً لترجمة الإمام النووي الشافعي، وذلك نقلاً عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، يقول الذهبي: (النووي: الإمام، الحافظ، الأوحد، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء،محي الدين، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الشافعي، صاحب التصانيف النافعة، لازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر، والصبر على المعيشة الخشنة في المأكل والملبس.

قال ابن العطار: ذكر لي شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع وقتاً في ليل ولا في نهار حتى في الطريق، وأنه دام ست سنين ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصيحة، وقول الحق، قلت: مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحقها من أغراضها.

كان حافظاً للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله، رأساً في معرفة المذهب وقال ابن العطار: كلّمته في الفاكهة -أي بأن يأكل من فواكه دمشق فلم يكن يأكل منها ورعاً- فقال: دمشق كثيرة الأوقاف وملاك لمن تحت الحجر والتصرف لهم، ولا يجوز إلا على وجه الغبطة لهم، ثم المعاملة فيها على المساقاة وفيها خلاف، فكيف تطيب نفسي بأكل ذلك.

وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار، ويكتب إليهم ويخوفهم با لله تعالى.

وقال ابن فرج: الشيخ محي الدين قد صار إلى ثلاثة مراتب، كل مرتبة لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال: العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني: كان -أي النووي- أو حد زمانه في العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش، وفي دار العدل في قضية الغوطة لما أرادوا

وضع الأملاك على بساتينها رد عليهم ذلك، وقام على الملك الظاهر في مسائل غيرها، فحكي عن الملك الظاهر أنه قال: (أنا أفزع منه). ا. هـ كلام الذهبي وجاء في طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي: (الشيخ العلامة محي الدين أبو زكريا، شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجة الله على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين).

هذه هي صورة الإمام النووي عند أعلام الأمة فهو حافظ وقدوة ومحي الدين، وصاحب التصانيف النافعة، يصف ويفيد وينصح، ويقول الحق، مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه، والعمل بدقائق الورع والمراقبة لله عز وجل....وبعد، فهل يتصور من رجل هذا حاله وهذه سيرته أن يسير على رأيه ويقرره في كتبه ولا يتركه وهو يرى خطأه وضعف دليله وقد تحصل لديه الأصح؟!

إذن فأين عمله بدقائق الورع؟ وأين مراقبته لله؟ وأين غيرته على الحق،وأين نصحه وإفادته إذا كان يقرر في تصنيفاته وكتبه ما يراه مخالفاً للصحيح من الكتاب والسنة، ولماذا سمي محققاً للمذهب الشافعي؟ ثم هل خدع به هؤلاء الذين يشهدون به هذه الشهادات؟ أم أنهم متهمون في دينهم وأقوالهم مثله،لا شك أن هذا القول الثاني هو الذي يرجحه المنكرون، ويعللون ذلك بخوف الجميع من الرأي العام المذهبي الذي كان يلهب بسياطه ظهر كل عالم يخرج عن المعتاد المتوارث، ويحاول التفلت من قيود التعصب المذهبي.

وليت شعري، أين شجاعة النووي إذن؟ أين جرأته التي كان يواجه بها الملوك، ويأمر بها بالمعروف وينهى عن المنكر؟ ويقوم على الملوك حتى يرد الحق إلى نصابه ويقف في وجه الباطل حتى يمنعه، ومن أي شيء يخاف هذا الرجل إذا كان الملك يخاف منه ويفزع؟.

هل بقي ما يرده عن كلمة الحق عندما يريد أن يقولها؟ هل يتصور أن مثل هذا الرجل الذي لا يخاف في الله من الملوك والظلام يخاف من الناس والعوام وهو على هذه الدرجة العالية من النزاهة والتقوى والورع والعلم؟!!

ثم كيف يؤلف كتابه المجموع في الفقه الشافعي، وهو مغلوب على أمره؟ فيقرر فيه ما ليس مقتنعاً به، وينقل فيه ما يخالف الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله، وهو يرى تلامذته من كبار العلماء، ويعلم أنهم سوف ينقلونه عنه إلى الناس، وكيف بقيت

المواربة هذه خافية على علماء الأمة والمذاهب قروناً شتى؟ حتى جاء المنكرون اليوم فاكتشفوها وفضحوا أمرها، إنها تساؤلات يجيبنا إليها العلماء الأكثر علماً من هؤلاء المنكرين والأئمة الأكثر معرفة وفهماً للشرع ولكلام النووي في (المجموع) وفي (شرح صحيح مسلم) فيبطلون بها هذه التهم التي افتراها هؤلاء الناس على هذا الإمام الجليل والتي لا تليق إلا بالفساق والمتهاونين والمنافقين.

ويقول سيدنا الشيخ صالح الفرفور -رحمه الله تعالى- في شرحه على الأربعين النووية عند ترجمة الإمام النووي -رضي الله عنه-: (ومن أشهر ما كتب - أي النووي - في الفقه الشافعي شرح المهذب للشيرازي المسمى (المجموع)، وهو أعظم ما كتب - أي النووي - في الفقه، ولم يصنف في مذهب الإمام الشافعي على مثل أسلوبه لكنه لم يكمله.

قال الأسنوي وابن الملقن: (ليته أكمله ونقصت كتبه كلها).

وقال ابن كثير في تاريخه: (إنه لو كمل لم يكن له نظير في بابه، لأنه أبدع فيه وأجاد وأفاد، وأحسن الانتقاء وحرر الفقه في المذهب وغيره، وحقق الحديث على ما ينبغي، وبحث في اللغة، ولا أعرف في كتب الفقه (أي الفقه الشافعي) أحسن منه).

وقال في طبقات الشافعية متحدثاً عن المجموع: (سلك فيه طريقاً وسطاً سهلاً جامعاً لأشتات الفضائل، وعيون المسائل، ومذاهب العلماء، ومفردات الفقهاء وتحرير الألفاظ وبيان صحة الحديث من سقمه، وبالجملة فهو كتاب ما رأيت أحداً نسج على منواله من المتقدمين ولا حذا على أمثاله مصنف من المتأخرين).

وقال العثماني: (إنه لا نظير له، ولم يصنف مثله، ولكنه ما أكمله ولا حول ولا قوة إلا بالله إذ لو أكمله ما احتيج إلى غيره -أي في فقه الشافعية - وبه عرف قدره واشتهر فضله).

وقد حاول السبكي تكملة شرح المهذب، وقال في أول التكملة مترجماً للنووي رحمه الله: (الشيخ الإمام العلامة، علم الزهاد،وقدوة العباد، محي علوم الأولين، وممهد سبل الصالحين) ووصل في التكملة إلى كتاب التفليس.

وقال الحافظ السخاوي: ولم يتهيأ إكماله لأحد ممن انتدب لذلك من العلماء لا

إسماعيل الحسباني، ولا التاج السبكي، ولا الشهاب، ولا ابن النقيب، ولا السراج البلقيني، ولا الزين العراقي ولا ولده، وعدّ ذلك من كرامات مؤلفه.

وهكذا أخي المسلم، يستبين لك من خلال ما مرّ جهل هؤلاء الناس بالفقه والحديث، وقصورهم في العلم والفهم، من خلال أقوالهم الشاذة التي يخالفون فيها من هو أوثق منهم، ويخطئون فيها من هو أصوب قولاً منهم. ويطعنون فيها بأصح ما اتفق عليه العلماء، ويتحاملون فيها على الأكابر والفضلاء.

وما أكثر ما يصدق على هؤلاء قول الشاعر:

إذا وصفَ الطائيَّ بالبخل مادرٌ وعيّرَ قساً بالفهامة باقلُ

وقال السها للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى يا صبحُ لونُك حائلُ

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشهبَ الحصا والجنادلُ

فيا موت زُر إن الحياة ذميمةٌ ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ولو قرأنا تاريخ المذهب الشافعي مثلاً لوجدنا أنه قد مر على المذهب أئمة عظماء وكبار وأتقياء، هم الذين وضعوا أحكامه وحققوا أدلتها وبينوا اعتمادها على الكتاب والسنة، وكانوا محل ثقة الناس بهم واتباعهم لهم وتمسكهم بهم وإليك أمثلة عنهم من كل قرن[1]. فهذا أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبراني الشهير بابن القاضي صاحب التصانيف المشهورة - التخليص والمفتاح وأدب القاضي، وله مصنف في أصول الفقه، وكان إماماً جليلاً، توفي سنة (٢٢٥هـ).

وهذا أبو العباس أحمد بن عمرو بن سريج: كان يفضل على جميع أصحاب الشافعي له مصنفات كثيرة، يقال: إنها بلغت (٤٠٠ مصنف) توفي (٣٠٦هـ).

وهذا أبو عثمان بن سعيد الأنماطي الذي اشتهرت به كتب الشافعي وتوفي سنة (٣٨٨هـ).

١ - عن كتاب تاريخ التشريع الإسلامي لخضر بك باختصار، وكتاب تاريخ التشريع للشيخ الدكتور عبد اللطيف الفرفور.

وأولئك هم بعض أصحابه في العراق أما أصحابه في مصر فهم

يوسف بن يحيى البويطي المصري، وهو أكبر أصحاب الشافعي المصريين، تفقه بالشافعي وحدث عنه وعن عبد الله بن وهب وغيرهما، وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي، وكان الشافعي يعتمده في الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسألة، واستخلفه على أصحابه بعد موته، فتخرج به أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق، توفي سنة (٢٣١هـ).

ومنهم أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني المصري - ولد سنة (١٧٥هـ) - وهو الذي ألف الكتب التي عليها مدار مذهب الشافعي، وأخذ عنه كثيرون من علماء خراسان والعراق والشام - توفي سنة (٢٦٤هـ).

ومنهم الربيع بن سليمان المرادي وحرملة بن يحيى التجيبي ويونس بن عبد الأعلى الصدفي، وكلهم قد ألفوا في فقه الشافعي ونشروا عنه مذهبه.

ثم جاء بعدهم أئمة المذهب أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي إمام عصره في الفتوى والتدريس في القرن الثالث والرابع، توفي سنة (٣٤٠)هـ.

وهذا محمد بن سعيد بن أبي القاضي الخوارزمي صاحب كتاب الحاوي والعمدة القديمين في فقه الشافعية في نفس العصر، وهذا أبو بكر أحمد بن إسحاق الضبعي النيسابوري صاحب كتاب الأحكام، توفي سنة (٤٣٢هـ).

وهذا أبو السائب عتبة بن عبد الله بن موسى القاضي أحد العلماء الأئمة أول من ولي قضاء القضاة ببغداد توفي سنة (٣٥٠) هـ.

وهذا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر المروزي صاحب كتاب الجامع وهو محيط بالأصول والفروع وهو عمدة عند أصحاب الشافعي توفي سنة (٣٦٢هـ).

وهذا القفال أكبر فقهاء الشافعية بما وراء النهر، وعنه انتشر فقه الشافعي بما وراء النهر، توفي سنة (٣٦٥هـ).

وهذا أبو حامد الإسفراييني، انتهت إليه رياسة بغداد في العلم في عصره، والذي قال القدوري في حقه: هو أفقه من الشافعي، توفي سنة (٤٠٨هـ).

وهذا أحمد بن محمد الضبي صنف المجموع والمقنع واللباب، توفي سنة (٤١٥)هـ وإبراهيم بن محمد الاسفراييني، وطاهر بن عبد الله الطبري، انتهت إليه رياسة العلم في بغداد في عصره وعنه أخذ العراقيون العلم، توفي (٤٥٠)هـ.

وهذا علي بن محمد الماوردي صاحب الحاوي والإقناع في الفقه، توفي سنة (٣٥٠) هـ وهذا أبو إسحاق الشيرازي وابن الضباع في القرن السادس وأبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني المعروف بإمام الحرمين وإمام المشرق، صنف النهاية في الفقه لم يصنف في المذهب مثلها، توفي سنة (٤٨٧)هـ.

وعبد الواحد بن إسماعيل الروياني صاحب كتاب البحر إمام أئمة المذهب.

وحجة الإسلام الغزالي الذي قالوا عنه: بأنه مجدد القرن الخامس.

وهذا ابن أبي عصرون قاضي القضاة في دمشق، وعبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي الذي قيل عن كتابه: (فتح العزيز) لا مثل له، وكان من أفراد زمانه، وكان في الفقه عمدة المحققين وصل إلى درجة الاجتهاد، توفي سنة (٦٢٣)هـ.

وهذا شيخ الإسلام يحيى بن شرف النووي وقد مر الكلام عنه مفصلاً، وله في المذهب الشافعي كتب كثيرة منها المجموع والمنهاج، توفي سنة (٦٧٦)هـ.

وهذا تقي الدين السبكي الفقيه الأصولي والمحدث وله كثير من المؤلفات وقد أكمل شيئاً من كتاب المجموع للنووي، توفي سنة (٧٥٦)هـ.

وهذا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الذي انتهت إليه رياسة العلم في مصر، له تآليف كثيرة في الفقه والحديث وغيرهما، منها في الفقه (منهاج الطلاب) وشرحه المسمى (فتح الوهاب)، وله (تحفة الباري شرح صحيح البخاري) توفي سنة (٩٢٦)هـ وهذا شهاب الدين بن حجر الهيثمي، كان بحراً في الفقه وقدوة الأئمة في زمانه، له مؤلفات قيمة منها (تحفة المحتاج شرح المنهاج للنووي) و(الزواجر عن اقتراف الكبائر) وغير ذلك، توفي سنة (٩٩٥)هـ.

كل هؤلاء وغيرهم مروا عبر القرون العشرة الأولى وكانوا بحاراً في العلم ومثالاً في التقوى والورع والمخافة من الله عزوجل، وكتبهم وأقوالهم هي عمدة المذهب الشافعي.

وأمثال هؤلاء قد مروا على بقية المذاهب، وكانت كتبهم وأقوالهم واجتهاداتهم هي سبب نشوء المذاهب واستمرارها وتمسك الناس بها، وبقاء الإسلام واستمراره، فهل هؤلاء الأئمة هم العلماء المضلون الذين يقصدهم المنكرون؟!!

إنني كمسلم يخاف من الله ويغار على دينه ويصيبه كثير من الأسى والحزن عندما يرى مثل هذا الطعن يوجه إلى صميم الإسلام من خلال توجيهه إلى أئمته وعلمائه وعامة أهله، وذلك بأيدي مسلمة، أراني لا أجد ما أقوله لهؤلاء الذين يزعمون ذلك إلا قولي: إن كانت عندكم مخافة من الله وإيمان باليوم الآخر، وإن كنتم تحسبون حساباً للوقوف بين يدي الله عز وجل فاتقوا الله... اتقوا الله أيها المسلمون... اتقوا الله في أوليائه... اتقوا الله في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، اتقوا الله ولا تقفوا بين يديه خصوماً لهؤلاء الأئمة الكبار يوم القيامة، لا تتهموا أئمة الإسلام، لا تشككوا المسلمين بعلمائهم، لا تشككوا المسلمين بدينهم وما وصلهم عن طريق هؤلاء الثقات، وأسأل الله أن يجعل لرجائي هذا سبيلاً إلى قلوبكم.

هل يحرم التزام مذهب معين

اجتهد المنكرون في الحكم على من يقلد مذهباً معيناً بأنه يحرم عليه ذلك، وأوجبوا عليه عدم التزام مذهب معين لعدة أمور رأوها أنها أدلة على ذلك الحكم.

قالوا: (إن التزام المذهب خطأ وبدعة في الدين لأمور منها: أن عدم التزام مذهب هو الأصل والأيسر والأقرب إلى الفهم الصحيح لمراد الله تعالى، لأن الله تعالى حين أمر الجاهل بسؤال أهل الذكر لم يحدد واحداً معيناً منهم بل أطلق ذلك، ومن المعروف أن المطلق يبقى على إطلاقه حتى يأتي ما يقيده).

أقول: وهذا السبب كما يفهم منه عدم وجوب الأخذ من أكثر من واحد، فالأمر مباح إن شاء أخذ المقلد أو المتبع من واحد وإن شاء أخذ من أكثر، وليس هناك ما يوجب عليه أن يأخذ من أكثر من واحد، والقول بأن الأصل كان كذلك مخالف للواقع.

وذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في اللامذهبية ص (٧٩) عن شذرات الذهب لابن العماد (١٤٨/١): ومعلوم أن اتباع مذهب معين لا يعتبر اتباعاً

لإمام المذهب فحسب، وإنما هو اتباع لجمهور من العلماء ممن ساروا على هذا المذهب ودعوا إليه وألفوا فيه كتبهم وعلموها للناس، فإذا عرفنا أنهم كانوا من خيرة الناس، وهم معظم علماء هذه الأمة فكيف يستسيغ هؤلاء المنكرون تضليلهم وتسفيه عملهم والحكم عليه بأنه بدعة محرمة يجب الرجوع عنها؟!!.

ثم إن القول بأن الأيسر والأقرَب إلى الفهم الصحيح لمراد الله تعالى هو عدم التزام مذهب بعينه عكس الواقع تماماً، فإن الذي يجد أهل قريته أو بلده على مذهب واحد وحالة واحدة في العمل بالأحكام، غير متفرقين بين أقوال هذا المجتهد وأقوال ذاك يسهل عليه معرفة أحكام دينه وتعلمها أكثر بكثير من أن يجد هناك أقوالاً مختلفة بين المجتهدين لا يعرف أيها الأصح وأيها بإمكانه أن يختاره.

الذي يجد نفسه يسير على مثل ما يسير عليه الناس يكون أكثر راحة في نفسه من الذي يجد نفسه مخالفاً لغيره في أعماله.

وسنتكلم فيما بعد عن عدم إمكانية توحيد الناس في مذهب واحد وعدم إمكانية تركهم يأخذون من أي مجتهد شاؤوا لما يترتب على ذلك من وقوع العنت والمشقة على الناس من جراء اختلاف أحوالهم وأفعالهم، وأن حصرهم في أربعة مذاهب أسهل بكثير من ترك كل واحد منهم على مذهب مختلف عن غيره.

أما السبب الثاني في عدم صحة اتباع مذهب معين فقد جاء عن المنكر: (وأن عدم التزام مذهب معين واجب للتفريق بين اتباع المعصوم صلى الله عليه وسلم واتباع غير المعصوم، لأن من يلتزم اتباع مذهب ما يكون قد سوى في واقع الأمر بين اتباع النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم وبين اتباع الفقيه الذي يخطئ ويصيب).

الرد: ذكرنا فيما مرّ أن اتباع النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم، إنما يكون باتباع أقوال أهل الذكر، واتباع المذهب إنما هو اتباع لجمهرة كبيرة من العلماء، فكيف لا يكون المتبع للمذهب متبعاً للمعصوم، وهل يستطيع أن يرجع إلى نصوص الشرع لينظر فيها كما نظر فيها الذين يتبعهم وغيرهم ليكون متبعاً للمعصوم تماماً؟.

ومن أين له ذلك؟ وقد كفاه ذلك من هو أقدر عليه منه وهم جمهرة العلماء في مذهبه، وهو يتبعهم بناء على ذلك، فإذا قلنا إنهم لم يفعلوا ذلك فهذا كذب عليهم

وافتراء وطعن بهم قد بيناه فيما مرّ، وإذا عرفنا أنهم فعلوا ذلك عرفنا أن اتباعهم إنما هو اتباع للمعصوم، ولكن بالصورة الصحيحة لا بالاجتهاد لجهل وغير علم.

ويقول الدكتور محمد سعيد حفظه الله في كتابه اللامذهبية: (ولو أن الناس جميعاً عرفوا كيفية اتباع المعصوم والوسيلة إلى فهم المراد من كلامه لما انقسموا إلى قسمين: مقلدين ومجتهدين، ولما قال الله تعالى للصنف الأول: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1]، فقد أمرهم باتباع أهل الذكر مع أنهم غير معصومين و لم يأمرهم بالرجوع إلى ألفاظ الكتاب والسنة مع أنهما معصومان)

وقال أحد المنكرين

(وإن فعل الصحابة والسلف الصالح من أهل القرون الثلاثة الفاضلة الذين أُمرنا بالاقتداء بهم هو عدم الالتزام بمذهب معين، فكان الذي لايعرف استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية فيهم يسأل أي واحد من العلماء دون تعيين).

الرد: مر معنا أن هذا لم يكن عاماً بين الناس، فقد كان هناك من يتبع واحداً بعينه أو جماعة بعينها، ثم إن الظروف فيما بعد اختلفت عما كانت عليه وتطورت تطوراً دعا الناس إلىالالتزام بالمذاهب وعدم الأخذ من أي مجتهد في أي مسألة.

فمعلوم أن الظروف والأوضاع التي كان عليها السلف رضي الله عنهم في بداية العصور الإسلامية كانت بسيطة وسهلة، وأن المسائل الحياتية كانت قليلة ومحدودة، وأن المجتهدين في البلاد الإسلامية كانوا قلائل، ولذلك كان من السهل أن يسأل المسلم أي واحد من العلماء ويأخذ من أي المجتهدين شاء، لكن هذه الظروف الاجتماعية فيما بعد قد تطورت بتطور المجتمع الإسلامي، وبدأت أمور الحياة تنعقد أكثر فأكثر والمسائل تزيد أكثر فأكثر والمعاملات بين الناس تتطور وتتغير، والمستجدات تكثر وتتوسع وزاد العلماء والمجتهدون، وتوسعت آراؤهم بسبب تطور الظروف وكثرة المستجدات، وكثرت المذاهب بين الناس حتى صارت بالعشرات، وكان هذا هو السبب الذي دعا بعض الحكام إلى أن يحمل الناس على مذهب أو على بعض المذاهب حرصاً على أوضاع المجتمع، لا بدافع الجور والغشم كما يصوره بعضهم ، وكان ذلك

١ – سورة النحل الآية (٤٣).

من أهم العوامل التي أحوجت الناس إلى الالتزام بمذهب معين من المذاهب المختلفة لئلا يختلف الناس اختلافاً واسعاً في أخذهم من المجتهدين وتطبيقهم لمسائل الشريعة ولئلا يصير لكل واحد منهم مذهب.

وسارت الأمة على هذا الحل، وحسم ذلك الوضع الذي كان من المحتمل وقوعه، وجعل الناس يلتزمون في بعض المذاهب ويتركون البعض الآخر مما تسبب في انقراض المذاهب الأخرى، وكان في ذلك حكمة كبيرة، حيث ضاقت شقة الخلاف بين المسلمين بصورة كبيرة، فلم يتسبب حق الاجتهاد الشرعي في تفريق الناس وتبديد المجتمع الإسلامي بسبب سوء استعماله، و لم يخسر المسلمون ثمرات هذا الحق في الوصول إلى معرفة أحكام الشرع في كل الأمور المستجدة والمختلفة عن طريق ما بقي من أقوال المجتهدين الثقات.

فإذا قال أحد: لا يجب على المسلم اتباع مذهب معين والالتزام به وللمسلم أن يتبع في كل مسألة من شاء من المجتهدين.

نقول: هذا صحيح وقد ذكره العلماء، ولكنه كما لا يصح أن نلزم أحداً بإتباع مذهب معين فإنه لا يصح أيضاً أن تمنع أحداً من التزام مذهب معين إذا شاء.

وهذه الأمور السابقة التي استنبطتم منها الحكم بحرمة التزام مذهب معين لا تصح أدلة على ذلك الحكم، ولا نسلم لكم بهذا الاجتهاد الذي لم يقل به الأئمة والعلماء، ولا نراه في نفس الوقت صحيحاً.

ثم لنفترض أن الناس استجابوا لهذه الدعوة، وصار كل واحد منهم يتبع في كل مسالة من شاء من المجتهدين، فعند هذه المسألة يسأل مجتهداً وعند مسألة أخرى يسأل مجتهداً آخر أو يأخذ من قول مجتهد مضى، والمسائل كثيرة، والمجتهدون كثر، والآراء مختلفة في كل مسألة، فما الذي سينجم عن ذلك؟ إنه سينجم عنه صور كثيرة جداً ومختلفة، يمكن أن يصل إليها الناس من خلال اعتماد كل واحد منهم على الأخذ ممن شاء من المجتهدين في كل مسألة.

وسنرى الناس فيما بعد وليس فيهم واحد يطبق أحكاماً في كل أموره الشرعية مشابهة لما يطبقه الآخر، وسيبدو الناس وكأن لكل واحد منهم مذهباً يختلف عن غيره

فيه، وفي ذلك مالا يخفى من الفساد، سيما وأن الظروف كما قلنا تعقدت وتطورت والمسائل والمستجدات قد زادت وكثرت، والآراء قد توسعت، والمجتهدين قد كثروا ويمكن أن يزيدوا على حد قولكم، ويقع الناس في مآزق أعقد وأخطر من التي حدثت في الماضي عندما وقعت هذه الحالة وكثرت المذاهب وتشعبت الآراء، وسلم الله عز وجل الإسلام والمسلمين منها بثبات الناس على هذه المذاهب الأربعة وتمسكهم بها.

وتصور هذا الاختلاف الواسع في الآراء والتطبيق وذلك من كثرة الصور المحتملة من المسائل والاجتهادات، وما يمكن أن يسببه للناس من عنت ومشقة وضياع.

توحيد المذاهب:

فإذا قال قائل: يمكن أن نخرج من ذلك كله بتوحيد المذاهب في مذهب واحد.

كما قال بعضهم وذكر السبيل إلى ذلك قائلاً

(نص المشروع: تؤلف لجنة تضم أكبر علماء المسلمين في العالم الإسلامي وتضم مختلف الاختصاصات الشرعية وتكون مهمتها توحيد المذاهب الفقهية الإسلامية في مذهب واحد).

نقول: كيف ندعو الناس إلى الاجتهاد، ونطالب باحترام حق الاجتهاد والرأي لكل مجتهد ملك الأهلية، ثم نتصور أن بالإمكان توحيد الاجتهادات والآراء سواء فيما مضى من الأقوال أو فيما يمكن أن يستجد اليوم؟.

إن اقتراح قيام مؤتمر يجمع القادرين على الاجتهاد، لا نتصور من أصحابه المقدرة على الاتفاق في كل مسألة من المسائل على قول واحد، لأن آراءهم في المسألة ستختلف على حسب قواعد كل منهم في تفسيرها وفهمها وطبقاً لما وصله من العلم، ولما ترجح لديه من الأدلة وأقوال الأئمة والعلماء السابقين، وهؤلاء قد اختلفت أقوالهم وأدلتهم وقواعدهم، فلا بد أيضاً أن تختلف اجتهادات من بعدهم، إذ أن أسباب اختلاف السابقين ستكون هي نفسها أسباب اختلاف اللاحقين مع وجود أسباب أخرى جديدة تنتج عن عدم وجود الكفاءة عند الجدد كما كانت عليه عند الذين سبقوا.

ولو كان بالإمكان الوصول إلى التحقق من القول الأصح في كل مسألة مختلف بها بين المذاهب لوصل إليه المتقدمون الذين كانوا أوسع علماً، وأكثر كفاءة وقدرة، وأوسع معرفة واطلاعاً على أدلة الغير وقواعدهم، ولوجدناهم تجاوزوا أسباب الاختلاف هذه لو كان يصح تجاوزها وعدم اعتبارها.

إن الاختلاف بين المذاهب لم ينتج عن التعصب أبداً، وإنما نتج عن هذه الأمور التي ذكرناها والتي لا تزال قائمة، ولا نستطيع تجاهلها وعدم اعتبار دورها عند كل اجتهاد ولو أن واقع المذهب يتعارض مع مصلحة الدين ولا يعتبر نتيجة طبيعية لحق الاجتهاد الشرعي لما وسع الأئمة والعلماء السابقون إقراره والسير عليه، ولما وجدناهم يؤلفون الكتب في مذاهبهم، ويعلمونها الناس خدمة لدين الله عز وجل وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، بل ولما أباح الله تعالى الاجتهاد أصلاً.

إن الأئمة رضي الله عنهم كانوا يرون أن مصلحة الدين هي في موافقة حكمة الله عز وجل في فتح باب الاجتهاد للمسلمين، وترك المسلمين يتبعون ما شاؤوا من المذاهب طالما أن ذلك يحمي المسلمين من التشتيت، ويضيق شقة الاختلاف بينهم أكثر بكثير مما كان يمكن أن يحصل لو لم يلتزم المسلمون بهذه المذاهب. وشيء آخر يدل على عدم إمكانية توحيد المذاهب أو آراء المجتهدين هو أن المنكرين الحاليين ممن يبيحون لأنفسهم الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة أو أقوال العلماء، هم أنفسهم مختلفون في اجتهاداتهم، ولا يسلم بعضهم للبعض الآخر برأيه، ولا يرجع أحدهم عن قوله.

أحدهم قال في مناظرة جرت بينه وبين شيخنا الشيخ أديب الكلاس رداً على سؤال أظنه: كيف تنكرون علينا تمسكنا بأقوال أئمتنا علماً أنكم أنتم أيضاً لا تخرجون عن قول شيخكم؟ سمعته يومها يقول: أنا لا أتفق مع الشيخ (...) في كل مسألة، وضرب مثالاً على ذلك اختلافه معه فيمن استيقظ قبل طلوع الشمس بوقت لا يسعه فيه الوضوء والصلاة يتيمم ويدرك الوقت أم يتوضأ ولو فاته الوقت فذكر أن أحدهما يقول بقول والآخر يخالفه إلى القول الثاني، وهذا خلاف شيخ وتلميذه لم يمكن التوصل فيه إلى الاتفاق وكل منهما يطرح دليلاً لرأيه ولا يسلم لدليل مخالفه، فما بالك بما قد يقع بين مجتهد من المشرق وآخر من المغرب لكل منهما ظرفه ومحيطه وعلمه ورأيه ودليله.

إذا كان هذا هو كلام هذا المنكر حول مخالفته لشيخه... وذاك كلامه حول الدعوة إلى توحيد المذاهب، فهل هذا إلا التناقض بعينه؟!

ما حكم الاختلاف في الاجتهادات بين المذاهب

يقول العلماء: إن الذي انتهى إليه الأئمة من الاجتهاد يعتبر من الدين بدليل ثبوت الأجر عليه وبدليل وجوب التعبد به مادام صاحبه ثقة وغير منتبه إلى خطئه أو أن صاحبه يراه صحيحاً ولايقر بقول من خطأه بذلك وخاصة إذا جاء أئمة وعلماء أقروا بصحة اجتهاد هذا المجتهد و لم يؤيدوا من قال بخطئه، ولو كان هناك من أيد من قال بخطئه فلكل اجتهاده، والاجتهاد من الدين وما أدى إليه الاجتهاد فهو من الدين أيضاً طالما قرره المجتهد و لم يعتبر قول من خالفه وهذا ما يحصل في الاجتهاد وهو ما يحصل بين الأئمة الأربعة في كثير من المسائل وتبعهم على ذلك من بعدهم فمثلاً الإمام أبو حنيفة قال: إن لمس المرأة لاينقض الوضوء، وجاء بعده الإمام الشافعي وأحمد ومالك رضي الله عنهم فقالوا: ينقض، وهم يعرفون دليله ولهم أدلتهم كمامر.

والمنكرون يقولون لاينقض ويخطئون القائلين بأنه ينقض ويقولون: لايكون القول ونقيضه حقاً فهل يكون القول بأن لمس المرأة ينقض الوضوء خطأً؟

إذن فكيف سار عليه هؤلاء الذين جاؤوا بعد أبي حنيفة وهم يعرفون الدليل الذي اعتمده الأحناف ويرون أن دليلهم أصح وأصوب ولايرون أنفسهم مخطئين ولايسلمون لمن يخطئهم.

فإن قال قائل: إذن فكيف يكون القول ونقيضه صواباً؟

نقول: يكون القول ونقيضه صواباً بالنسبة لاجتهاد صاحبيه ولايكون صواباً بالنسبة لقول أحدهما فقط فالعمل وضده يكونان صواباً صحيحين باعتبارين، إذ إن لمس المرأة ينقض الوضوء بالنسبة لمن يعتبر أدلة المالكية والشافعية والحنابلة أرجح من أدلة الأحناف، وهو لا ينقض بالنسبة لمن يعتبر دليل الأحناف أرجح من أدلة أولئك، ولكل اجتهاده وحقه في الاجتهاد، والعلم عند الله سبحانه، والمتبعون إذا لم يثبت لهم خطأ إمامهم في المسألة، بقي قوله صحيحاً ولو خالفه فيه غيره، وهذا هو ما حصل بين أصحاب المذاهب في كل المسائل التي يختلفون فيها.

وقد ورد في السنة ما يؤيد صحة ما وصل إليه المجتهدون ولو تناقض هذا الذي وصلوا إليه، فقد روي أن صحابيين خرجا في سفر، فحضرتهما الصلاة ولم يجدا ماءً فتيمما وصليا، ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما ولم يعد الآخر، فلما قصَّا أمرهما على الرسول صلى الله عليه وسلم أقرّ كلاً منهما على ما فعل، فقال للذي لم يعد: (أصبت السنة، وأجزأتك صلاتك)، وقال للذي أعاد:(لك الأجر مرتين)[1] فإعادة الصلاة وعدم إعادتها أمران متناقضان، وكل واحد منهما صحيح بالنسبة لاجتهاد صاحبه.

والحاصل هو أن الاجتهاد من الدين وما أدى إليه الاجتهاد فهو من الدين أيضاً، ولو اختلف المجتهدون.

أما أن نعلل هذا الاختلاف باتهام الأئمة والعلماء بالتعصب ومخالفة الكتاب والسنة عن قصد وإصرار فهذا ما لم يقع ولا يصح أن يصدر عن مؤمن ومسلم في رجالات العلم وأئمة المسلمين.

وذكر أحد المنكرين: محتجاً على الاختلاف الذي بين المذاهب بعد أن ذكر أمثلة عليه من أقوال بعض الأئمة في المذاهب، أو من التي فعلها بعض المتعصبين ولم تكن معتمدة في المذاهب، وهكذا شأنهم في تعميم كل حادثة جزئية ليجعلوا من هذه الجزئيات مبرراً لرفضهم للمذاهب كعدم صلاة بعضهم خلف بعض أو عدم تزويج الحنفية من الشافعي، مما لاتجده يعمل به ولايعتبر هو القول المعمول به في المذهب: ذكر قوله: (وليت أن اختلافهم المذكور انحصر ضرورة فيما بينهم ولم يتعد إلى غيرهم من أمة الدعوة إذن لهان الخطب بعض ويالالأسف تجاوزهم إلى غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار، فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجاً فقد جاء في كتاب (ظلام من الغرب) للأستاذ الفاضل محمد الغزالي ص (٢٠٠) ما نصه: (حصل في المؤتمر الذي عقد في جامعة (بريستون) بأمريكا أن أثار أحد المتحدثين سؤالاً كثيراً ما يثار في أوساط المستشرقين والمهتمين بالنواحي الإسلامية قال: بأي التعاليم يتقدم المسلمون إلى العالم، ليحددوا الإسلام الذي يدن إليه؟. أبتعاليم الإسلام كما يفهمها السنيون؟ أم بالتعاليم التي يفهمها الشيعة من إمامية أو زيدية، ثم إن كلاً من

---

١ - أخرجه: النسائي (٤٣١-٤٣٢) وأبو داود (٣٣٨-٣٣٩) واللفظ له.

هؤلاء وأولئك مختلفون بينهم.

وقد يفكر فريق منهم في مسألة ما تفكيراً تقدمياً محدوداً، بينما يفكر آخرون تفكيراً قديماً متزمتاً، والخلاصة أن الدعاة إلى الإسلام يتركون المدعوين في حيرة، لأنهم هم أنفسهم في حيرة). والجواب على هذا المنكر وعلى هذا المستشرق:

لقد كان هناك في الإسلام في الماضي ولايزال فرق وجماعات دسها أعداء الإسلام ضمن المسلمين لإثارة الشك والفوضى في نفوس الناس تجاه الدين، وصارت هناك أقوال وآراء مختلفة، كلها ينسبها أصحابها إلى الإسلام، فهل منع هذا أصحاب الصدق والإنصاف من المسلمين وغير المسلمين أن يبحثوا عن القول الحق في دين الله وأن يتبعوه.

إن وجود الاختلافات بين العلماء في كل العلوم قديم، فهل حمل ذلك الأوربيين على نبذ العلوم والتنكر للعلم بسبب ما يقوم بين أصحابها من خلاف؟ اليوم مثلاً: يوجد في علم الطب مدارس مختلفة وأساليب وطرق متعددة وآراء وأقوال متناقضة بين علماء هذا الفن، وما تثبته جماعة تنفيه جماعات أخرى في بعض الأمور، فهل حمل ذلك الناس على ترك علم الطب؟ أم أن كلاً منهم يتبع مدرسة معينة أو طريقة معينة في المعالجة، وكل حسب اجتهاده.

واليوم في علم الحياة يتصارع العلماء حول النظرية القائلة بأن أصل الإنسان قرد، ومع ما يثبت من الأدلة والبراهين الكثيرة والمختلفة على بطلانها نجد أناساً من العلماء يحاولون عبثاً إثباتها من أجل أغراضهم وأهوائهم، ونجد في الوقت الذي يقول فيه بعض العلماء: إن أصل الإنسان قرد نجد أن أحد العلماء الألمان يقول: إن أصل القرد إنسان متقهقر وليس الإنسان قرداً مترقياً، ويستخدم نفس الأدلة التي استخدمها داروين في إثبات قوله.

فهل رفض الناس وعابوا علم الحياة لوجود أمثال هذه التناقضات فيه؟ إن كل فروع العلم يدور فيها الخلاف والتناقض في الآراء و لم يستطع العلم أن يقول القول الفصل في كل مسألة، فلماذا لانعيب هذه العلوم؟ لماذا يريد هؤلاء المستشرقون أن يتخذوا من هذه الخلافات ذريعة للتهجم على الشريعة والمسلمين مع أن الشريعة علم واسع كبقية العلوم مفتوح فيها الباب للاجتهاد، ويمكن أن يقع فيها كما وقع في بقية

العلوم من اختلاف الاجتهادات، ويمكن بالدراسة والإنصاف أن يصل الإنسان إلى معرفة الحق من الباطل فيما ينسب إليها ويمكن بالدراسة والإنصاف أن يصل إلى التمييز بين الاجتهادات الصحيحة ولو تعددت، وبين الافتراءات الكاذبة الخارجة عن أساس الكتاب والسنة ولو تعددت.

ثم يقول المنكر نفسه

(وفي مقدمة رسالة (هدية السلطان إلى مسلمي بلاد جابان) للعلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى:

(إنه كان ورد عليَّ سؤال من مسلمي بلاد جابان، (يعني اليابان) من بلدة (طوكيو) (أوصاكا) في الشرق الأقصى حاصله: ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنى المذهب؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب على أحد المذاهب الأربعة؟ أي أن يكون مالكياً أو حنفياً أو شافعياً، أو غيرها أو لايلزم؟

لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم، ونزاع وخيم، وحينما أراد عدة أنفار من متنوري الأفكار من رجال (يابونيا) أن يدخلوا في دين الإسلام وتشرفوا بشرف الإيمان، فعرضوا ذلك على جمعية طوكيو، فقال جمع من أهل الهند: ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة، لأنه سراج الأمة، وقال جمع من أهل أندونيسيا (جاؤوا): يلزم أن يكون شافعياً، فلما سمع اليابانيون كلامهم تعجبوا جداً، وتحيروا فيما قصدوا وصارت مسألة المذهب سداً في سبيل إسلامهم).

الرد: أمام ما في هذا العرض لهذه القصة من التهويل والتعقيد المزعوم يجد الإنسان نفسه متعجباً من تجاهل هؤلاء للمسألة أو جهلهم بها! وهو يعلم أن المسلم يكون شافعياً فيسكن في بلد أهله أحناف فيتابعهم على مذهبهم لقربه منهم أو لتوفر من يعلمه المذهب الحنفي لديه، لاعتقاده أن المذاهب كلها حق، وأنها مبنية على الكتاب والسنة وأنها تمثل الجماعة الإسلامية، لا لأن الإمام أبا حنيفة رحمه الله هو سراج هذه الأمة، ويعلم أن الرجل يكون حنفياً فيحصل معه مثل ذلك فيصير شافعياً، وأن المسألة لاتحتاج لكل هذا التعقيد الذي يصوره هؤلاء وأنها لايتصور منها أن تقف سداً في سبيل إسلام هؤلاء أو غيرهم، وكان بإمكانه أن يقول لهم: تعلموا على يدي أقرب العلماء إليكم، فإن لم يوجد لديهم علماء أرسلنا إليهم من يتوفر لدينا من العلماء

القادرين على تعليمهم أياً كان مذهبهم، وتنحل هذه المعضلة التي استعصت على المنكرين ومسلمي بلاد اليابان، ورأوا فيها وبأمثالها مبرراً لمحاربة المذاهب، ويسع مسلمي اليابان ما وسع الأمة عبر العصور.

ولكن المنكر يعتقد بما يقوله شيخه الشيخ... وهو: (إن كل الذي ندعوا إليه ترك اتخاذ المذاهب ديناً، ونصبها مكان الكتاب والسنة، بحيث يكون الرجوع إليها عند التنازع، أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة، لحوادث طارئة، كما يفعل متفقهة هذا الزمان).

فالمذاهب في نظر هذا الشيخ وتلميذه شيء غير الكتاب والسنة وهي مخالفة لهما وهي تريد أن تحل مكانهما، ولذلك فإن الرجوع إليها عند التنازع أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة لحوادث طارئة هو خروج عن الكتاب والسنة بالطبع وقد تبين بطلان هذا الزعم.

أمور لا خلاف فيها

هناك أمور لا خلاف فيها، لابد من إبعادها عن دائرة البحث في أصل الدعوة الخطيرة الذي يذكرها المنكرون:

فأولها: أن المقلد لأحد المذاهب، ليس ثمة ما يلزمه شرعاً بالاستمرار في تقليده وليس ثمة ما يمنعه من التحول عنه إلى غيره، فقد أجمع المسلمون أن للمقلد أن يقلد من شاء من المجتهدين إذا توصل إلى حقيقة مذاهبهم وآرائهم فله مثلاً أن يقلد كل يوم إماماً من الأئمة الأربعة، ولئن ظهر في بعض العصور المتأخرة من استهجن تحول المقلد من مذهب إلى آخر فهو التعصب المقيت الذي أجمع المسلمون على بطلانه، ومعلوم لكل باحث، أن هذا الذي لاخلاف فيه، هو غير دعوى أن على المقلد أن لايلتزم مذهباً بعينه، وأن عليه أن يلوّن ويغير، أي أن عدم وجوب الالتزام لايستلزم حرمة الالتزام.

ثانيها: أن المقلد إذا ما تمرس في فهم مسألة من المسائل، وتبصر بأدلتها من الكتاب والسنة وأصول الاجتهاد، وجب عليه أن يتحرر من الأخذ بها من مذهب إمامه وحرم عليه التقليد فيها ما أمكنه أن يجتهد فيها معتمداً على طاقته العلمية المتوفرة

لديه، أجمع على ذلك العلماء وأئمة المذاهب أنفسهم، وبديهي أنه يحرم عليه إذاً ترجيح إمامه على ماهداه إليه اجتهاده في تلك المسألة التي توفر على دراستها والتعمق في فهم أدلتها وأصولها، ولئن ظهر أيضاً في بعض العصور المتأخرة من جنح إلى هذا التعصب وخرج بذلك عن إجماع المسلمين، فإنه مظهر آخر من مظاهر التعصب والتحزب البغيض الذي يجب التنبيه إليه والتحذير منه، ومعلوم لكل باحث أيضاً، أن هذا الذي لاخلاف فيه، لايستلزم بحال دعوة المقلد الجاهل بأدلة الأحكام إلى نبذ التقليد والاعتماد مباشرة على نصوص الكتاب والسنة.

ثالثها: أن جميع الأئمة الأربعة على حق، بمعنى أن اجتهاد كل منهم جعله معذوراً عند الله عز وجل إن هو لم يستيقن حقيقة الحكم الذي أراده الله عز وجل لعباده في تلك المسائل الاجتهادية، فليس عليه إلا أن يسير فيه حسب ما هداه إليه اجتهاده. ومن هنا كان اتباع المقلد لمن شاء منهم اتباعاً لحق وتمسكاً بهدى، وهو إذ يختار اتباع واحد منهم لاينبغي أن يتصور أن الآخرين على خطأ، ولذلك أجمع العلماء على صحة اقتداء الحنفي بالشافعي والمالكي والعكس، ولقد ظهر أخيراً في بعض البلدان، وعلى يد فريق من الناس ما يخالف هذا الحق المتفق عليه، ولكنه أيضاً امتداد للتعصب السيء الذي لاوجه له في الدين، ويجب تحذير المسلمين منه بكل وسيلة. إن تعداد المحاريب في المساجد وتسمية كل محراب منها باسم مذهب من المذاهب الأربعة، أسوأ مظهر يتجسد فيه التحزب المقيت الذي لامعنى له ولامسوغ، وإن ما يفعله بعض العوام من الانزواء في طرف من المسجد وصلاة الجماعة قائمة تؤدى أمام عينيه ولايمنعه من القيام إليها إلا أن الإمام ينتمي إلي غير مذهبه، فهو ينتظر إمامه الذي من حزبه، لايقتدي بغيره ولا يرى أن صلاته تصح إلا من ورائه، نقول: إن هذا الذي شاع عند كثير من العوام أو من يتسم بسمة العلم، شيء لا يستند إلى أي أصل من أصول الدين، وما أجمع الأئمة والعلماء في عصر وزمن إلا على خلافه، ومايمسك الناس على هذه العادة إلا شيئان اثنان: تعصب لاوجه له من هؤلاء الناس، و(تنفيع) لأناس توارثوا مثل هذه الوظائف واعتادوا على نيل جراياتها والاستفادة منها.

هذه الأمور الثلاثة من الأمور المتفق عليها، ولانخالف منبهاً إليها أو مؤكداً لها.

ولطالما أثبتها العلماء والأئمة رحمهم الله في أبحاثهم وسجلوها في كتبهم.

وكل ما أورده هذا المنكر من نصوص الإمام ابن القيم والعز بن عبد السلام والشاه الدهلوي وغيرهم إنما يدور حول الأمور الثلاثة، ولم يخالفهم فيها أحد ممن يعتد به، وما ينبغي أن يخالفهم فيها أحد.

ولو أن هذا المنكر ركز كلامه عليها، واقتدى في ذلك بما فعله أولئك الأئمة، فشدد النكير على هذه الألوان من التعصب المقيت الذي لاوجه له، لما وسعنا مخالفته والإنكار عليه.

ولكن المنكر عمد إلى هذه النصوص والأدلة، فشدها إلى دعاوى أخرى لاعلاقة لها بها، واتخذ من الأدلة على حرمة مخالفة هذه الأمور المتفق عليها براهين على حرمة التزام مذهب من المذاهب الأربعة لأي أحد من الناس، وأين هذا من ذاك؟

ولذلك جاءت أدلته هذه مناقضة لدعواه، إذ استدل على صدق دعواه بكلام العز بن عبد السلام، والعز بن عبد السلام شافعي المذهب، واستدل بكلام الكمال بن الهمام وهو حنفي المذهب، واستدل بكلام ابن القيم وهو حنبلي المذهب، واستدل بكلام الدهلوي وهو حنفي المذهب، لقد استدل المنكر بأقوال هؤلاء جميعاً على دعواه من حرمة التمذهب بمذهب معين، وهم أنفسم متلبسون بهذا الذي يدعي حرمته!!.

الجديد الذي يدعيه المنكر و أدلته والرد عليه

والآن وبعد أن جردنا من كلام المنكر كل مالا دخل له في النزاع وجردنا من كلامه أيضاً تلك النصوص التي أثبتها أربابها لتأكيد أمور متفق عليها لانزاع فيها نجد خلف ذلك كله دعوى خطيرة وجديدة هي أصل مارمى إليه المنكر، ألا وهي دعوى أنه يحرم على المسلم أياً كان أن يتمسك بمذهب معين من المذاهب الأربعة، وأن ذلك منه تعصب أعمى وضلال مبين، وأن الذين فعلوا ذلك هم الذين فرقوا دينهم شيعاً.

فلنكشف عن وجه الحق في هذه الدعوة ولنتسائل عن دليلها وأساسها، بعد أن أبعدنا عنها الحجاب الذي كانت تستتر خلفه، حجاب تلك الأمور الثلاثة المتفق عليها وما أثبته الأئمة لها من أدلة وبراهين، فهي أمور لاعلاقة لها من قريب أو بعيد بهذه الدعوى، وليس لأرباب هذه الدعوة أن يستعيدوا لها شيئاً من أدلة تلك الأمور أو أن يقووها بها ويسندوها إليها.

ما هي الأدلة التي اعتمدها المنكر لدعواه هذه؟

تتلخص أدلته فيما يلي:

* **الدليل الأول:** دعوى أن الإسلام ليس أكثر من أحكام معدودة يسيرة يفهمها أي أعرابي أو مسلم، مستدلاً لذلك بأحاديث ساقها وأن المذاهب ليست أكثر من آراء أهل العلم في فهمهم بعض المسائل، وهذه الآراء لم يوجب الله تعالى ولارسوله على أحد اتباعها.

ونقول: كان ينبغي لو صح أن أحكام الإسلام محصورة في تلك الأمور المعدودة التي ألقى بها الرسول إلى سمع ذلك الأعرابي ثم انطلق أن لاتفيض كتب الصحاح والمسانيد بآلاف الأحاديث المتناولة لشتى الأحكام المتعلقة بحياة الإنسان المسلم، وكان ينبغي أن لايقف النبي صلى الله عليه وسلم الساعات الطوال على قدميه يخالف بينهما من التعب، يعلم وفد ثقيف أحكام الإسلام وواجبات الله في أعناقهم، طوال عدة أيام.

إن تلقين الرسول الإسلام وأركانه للناس شيء، وتعليمه إياهم كيفية تنفيذ تلك الأركان شيء آخر، ذلك لايحتاج إلى أكثر من دقائق، وهذا يحتاج إلى جهد وتعلم ومراس.

ولذلك كان يتبع تلك الوفود المسلمة التي لم يكلفها الفهم الإجمالي لأركان الإسلام أكثر من بضع دقائق، برجال من أخص أصحابه ليمكثوا فيهم ويعلموهم مختلف أحكام الإسلام وواجباته، فأرسل خالد بن الوليد إلى نجران، وعلياً رضي الله عنه إلى اليمن، وأبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن أيضاً، وعثمان بن أبي العاص إلى ثقيف، أرسل هؤلاء جميعاً ليعلموا أمثال ذلك الأعرابي الذي استدل المنكر بسرعة فهمه للإسلام.. ليعلموهم تفاصيل الأحكام الشرعية، بالإضافة إلى ماكان يقوم به عليه الصلاة والسلام من التعليم والبيان.

أجل، كانت المشكلات التي تتطلب من الإسلام حلولاً لها وبياناً لأحكامها، قليلة في صدر الإسلام، بسبب ضيق رقعة الإسلام وبساطة المسلمين إذ ذاك ولكن هذه المشكلات كثرت فيما بعد مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وظهور كثير من التقاليد والعادات والمصالح التي لم تكن من قبل، وهي جميعاً لاتخلو من أحكام تتعلق بها سواء

كان مصدرها نصاً في الكتاب أو حديثاً من السنة أو إجماعاً من الأمة أو قياساً على أصل، فهذه كلها مصادر تنبثق من صميم الإسلام وحكمه، وليس حكم الله عز وجل إلا ما هدانا إليه أحد هذه المصادر حسب شروط معينة في فهمها والترتيب بينها وكيفية الاستنباط منها.

فكيف يفصل إذا بين الإسلام وما استنبطه الأئمة الأربعة وأمثالهم من هذه المصادر الأساسية للإسلام؟!... كيف يقول المنكر: (أما المذاهب فهي آراء أهل العلم وأفهامهم في بعض المسائل واجتهاداتهم، وهذه الآراء والاجتهادات والفهوم لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها؟....).

وهل هذا إلا عين الباطل الذي تفوه به عن مكابرة وعناد المستشرق الألماني المعروف بحقده على الإسلام (شاخت).

يقول شاخت: إن الفقه الإسلامي الذي ألفه أئمة المذاهب ليس إلا عملاً قانونياً أنتجته أدمغة قانونية ممتازة، طاب لها أن تعزوه إلى الكتاب والسنة، وكتابه في هذا هو الكتاب الأول الذي تدرسه جامعات أوربا لطلابها.

وإذا كان كلام كل من المنكر والمستشرق الألماني شاخت كلاماً صحيحاً، فمعنى ذلك أنه لاشيء يلزمنا شرعاً بالتزام أكثر أحكام قانون الأحوال الشخصية لأنها لاتعدو أن تكون اجتهادات وآراء للمذاهب ولم يوجب الله ولارسوله على أحد اتباعها على حد تعبير المنكر، وكذلك لاشيء يلزمنا شرعاً بالتزام قانون مدني إسلامي تؤلفه غداً لجنة من العلماء لأن أكثر أحكامه آراء واجتهادات لم يلزمنا الله ولارسوله باتباع شيء منها!!

وإذاً فكيف يصح لنا أن نقول بأن الإسلام دين ودولة؟!...ولماذا لانصحوا إذاً إلى خطئنا لنعلن كما يريد شاخت بأن الإسلام دين فقط.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إلى القبائل والبلدان من يمتاز من الصحابة بجودة الحفظ والفهم والاستنباط ويكلفهم بتعليم الناس أحكام الإسلام وأمور الحلال والحرام، وقد أجمعت الأمة أنهم كانوا يجتهدون إذا أعوزهم الدليل الصريح من الكتاب والسنة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرهم على ذلك.

وروي عن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: (كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟) قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: (فإن لم يكن في كتاب الله؟) قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) قال: أجتهد رأيي ولاآلو. قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

فهذه اجتهادات وفهوم من علماء الصحابة، كانوا يحكمون بها ويسيرون الناس بموجبها، بموافقة وإقرار من النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يقال عنها: (إنها اجتهادات وفهوم لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها)؟!.

وإذاً فإن أحكام الإسلام ليست من اليسر في فهمها والقلة في عددها كما تصور المنكر مستدلاً بتلك الأحاديث التي نوهنا عنها بل هي من السعة والشمول بحيث تتسع لكل ما يتعلق بشؤون الحياة الخاصة والعامة في مختلف الظروف والأحوال، وهي جميعاً تعود إلى الكتاب والسنة إما بدلالة ظاهرها مباشرة أو بواسطة النظر والاجتهاد والاستنباط وبأي الوسيلتين فهم المسلم الحكم فهو حكم الله عز وجل في حقه لايسعه التحول عنه، وهو أيضاً حكم الله فيمن جاء يستفتيه فأفتاه به، وإلا لكانت بعثة الرسول أصحابه إلىالقبائل والبلدان عبثاً، ولصح لأولئك الناس أن يقولوا لهم: لم يوجب الله ولارسوله علينا اتباع فهومكم واجتهاداتكم!..

❋ **الدليل الثاني**: إن أساس التمسك بالإسلام، إنما هو التمسك بالكتاب والسنة، وهما معصومان عن الخطأ، أما اتباع أئمة المذاهب فهو تحول عن الاقتداء بالمعصوم إلى الاقتداء بغير المعصوم.

ونقول تعليقاً على هذا الكلام العجيب: من هم الذين تخاطبونهم بهذا الدليل وتحاكمونهم إليه..؟ إن كانوا أولئك الذين أوتوا القدرة على فهم الحكم من الكتاب والسنة والقياس عليهما مباشرة، بدون وساطة مفت وإمام فدليلكم صحيح، إذ لاوجه

---

١ – أخرجه أبو داود (٣٥٩٢) والترمذي (١٣٢٧) والدارمي (١/٦٠) وأحمد (٥/٢٣٠) وابن سعد (٢/١٠٧) بألفاظ متقاربة وهو في نصب الراية للزيلعي (٤/٦٣) وجمع الفوائد (١/٦٥) والتلخيص الحبير (٤/١٨٢) وجامع الأصول (١٠/١٧٧).

لتقليده أقوال الأئمة وهو غير عاجز عن فهم قول الله ورسوله مباشرة ولكن هذا خارج عن محل البحث والنزاع، كما أوضحنا، فليس في المسلمين، قديماً وحديثاً، أحد يخاطبكم ويجادلكم في هذا، وإن كان الذين تخاطبونهم بهذا الكلام هم عامة الناس ومن لايملك وسيلة الاجتهاد والاستنباط والتبصر بالأدلة ومفهوماتها فهو كلام عجيب حقاً، ولايملك أن يستقيم له أي معنى.

فالمعصوم عن الخطأ في كلام الله هو ما أراده الله عز وجل بكلامه، والمعصوم عن الخطأ في السنة هو ماأراده الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته، أما فهم الناس منهما فهيهات أن يكون معصوماً سواء كان هؤلاء الناس مجتهدين أو علماء أو جهالاً، (اللهم إلا نصاً في كتاب أو سنة كان قطعي الدلالة والثبوت، وكان الناظر فيه عربياً خليعاً، فعصمة الفهم منه تأتي من قطعية دلالته). وإذا كانت وسيلة الأخذ بالكتاب والسنة هي الفهم، وكان الفهم منهمامحاولة لا يمكن أن تتسم بالعصمة فيما عدا الصورة التي استثنيناها، فما الفرق بين محاولة العامي الفهم ومحاولة المجتهد ذلك، إلاأن تكون محاولة العامي أبعد عن العصمة من محاولة المجتهد ؟ وما معنى دعوة العامي إلى نبذ التقليدبحجة أن القرآن معصوم والإمام المتبع غير معصوم ؟.. وهل كان الناس ينقسمون منذ القديم إلى عامي وعالم ومقلد ومجتهد، لو أتيح للعامي أو الجاهل من الناس أن يتناول من نصوص القرآن الفهم المعصوم من الخطأ والذي هو المراد في علم الله عز وجل ؟...

وكأني بالمنكر يتوهم أن مذاهب الأئمة تستمد اجتهادها من معين آخر غير الكتاب والسنة، فهي مذاهب مستقلة عن مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي إنما ظهرت لتنافسه وتزاحمه، فهو يريد أن يلفت نظر المخدوعين بها إلى المذهب الحق، واستدل على ذلك بأن هذه المذاهب غير معصومة، على حين أن مذهب النبي صلى الله عليه وسلم معصوم، فكيف تتحولون عن المعصوم إلى غيره..؟ وفكّر مهما شئت في معنى هذا الدليل الطريف، فوالله لن تعثر له على وجه من المعنى إلا على هذا التقدير من الفهم والتصور.

❋ **الدليل الثالث:** أنه لم يثبت أي دليل على أن الإنسان يسأل في قبره إذا مات، عن المذاهب أو الطريق....

وهذا الاستدلال يوضح كما ترى أن المنكر يعتقد بأن ميزان معرفة الواجبات التي كلف الله الإنسان بها إنما هو أسئلة الملكين في القبر، فكل ما يتعرض له الملكان بالسؤال عنه فهو الواجب المكلف به، وكل ما لم يتعرض له فهو غير واجب ولامشروع؟

ولست أدري، هل ثبت في أي مصدر من مصادر العقيدة الإسلامية أن الملكين يسألان الميت عن الديون والذمم التي عليه للناس، أوعن بيوعه التي لم تنعقد صحيحة ومعاملاته التي لم تكن مشروعة أو عن إهماله تربية أهله وأولاده، أو عن أوقاته التي كان يقضيها في اللهو والعبث أو عن استغابته للمسلمين وتشكيكهم في دينهم وتفكيك أواصر المحبة والترابط والوحدة فيما بينهم؟!.

إذا كان ثمة ما يدل على أن الملكين يسألان الميت عن كل هذا وأمثاله فلننظر إذاً، أفيسأله الملكان: لماذا قلد الشافعي و لم يجتهد، ولماذا التزم اتباع إمام ومجتهد واحد و لم يغير ويلوّن؟.. إذا كان يسأله الملكان عن هذا، فأشهد أن هذا المنكر على حق، وأشهد أنني وسائر الباحثين والعلماء كنا على خطأ يوم كنا نحسب أن سؤال الملكين إنما يتناول كليات المبادئ الإسلامية المتمثلة في أسئلة معدودة بأعيانها كما ورد في الصحاح، ولابد أن مهمة الملكين مع الميت في قبره هي مهمة محاسبة تفصيلية شاملة!

ولكني لا أزال أقول كما يقول سائر العلماء والمسلمين، بأن الواجبات المنوطة بأعناق المسلمين في دنياهم أوسع بكثير مما تنحصر فيه أسئلة الملكين لهم في قبورهم، ولن نجد أي معنى واضح لهذا الدليل الثالث أيضاً إلا إذا تصورت مرة أخرى بأن المنكر يعتقد بأن مذاهب الأئمة في فهم الأحكام الشرعية من أدلة الكتاب والسنة، إنما هي مذاهب تنافس وتزاحم مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء الأئمة إنما جاؤوا (على حد فهمه) مسابقين ومنافسين له، وطبيعي أن الملكين إنما يسألان الميت عن موقفه من هذا الرجل الذي أرسل فيهم أي عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولن يسألاه عن شيء من المذاهب المنافسة الأخرى التي أخذت تروج نفسها فيما بعد!

وأرجو من القارئ الكريم أن لايحسب أنني أصطنع بهذا الكلام أسلوب سخرية بالمنكر وتقريع له... فهذا والله ما فهمته ويفهمه كل متأمل في كلامه، وقد صرح الرجل بهذا الذي هو معنى كلامه، تصريحاً، وذلك عندما قال: (اعلم أن المذهب الحق

الواجب الذهاب إليه والاتباع له إنما هو مذهب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فحسب وهو الإمام الأعظم الواجب اتباعه، ثم مذهب خلفائه الراشدين رضي الله عنهم، ومامن أحد أمرنا باتباعه بعينه إلا محمد صلى الله عليه وسلم فحسب لاغير، وقد قال الله تعالى: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا**﴾[1] وقال صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)[2].

أفليس واضحاً من هذا الكلام أن المنكر يتصور أن ثمة عدداً من المذاهب ظهرت خلال التاريخ، كل منها يروج لنفسه ويدعو الناس إليه والمذهب الحق من بينها هو مذهب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أما الأخرى فباطلة؟.

وأنت يا أيها القارئ، مهما كانت ثقافتك بتاريخ التشريع الإسلامي قليلة وضعيفة أفيمكن للحقائق كلها أن تغيب عنك حتى تفهم هذا الفهم المقلوب العجيب؟.

ما هو الفرق ين مذاهب الأئمة الأربعة ومذهب زيد بن ثابت أو معاذ بن جبل أو عبدالله بن عباس في فهم بعض أحكام الإسلام؟ وما الفرق بين أرباب المذاهب الأربعة وأرباب مذهب الرأي في العراق وأرباب مذهب الحديث في الحجاز، وقوام هذين المذهبين خيرة الصحابة والتابعين وهؤلاء لهم مقلدون وأولئك لهم مقلدون؟!

أفيقول المنكر إنها عشرات المذاهب وليست أربعة فقط، كلها جاءت تعارض وتنافس مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عساه يقول: إن المذاهب الخارجة على الملة القسيمة لمذهب رسول الله إنما هي هذه الأربعة فقط، أما مذاهب من قبلهم فمذاهب صحيحة جيدة تقوم على قدم المساواة جنباً إلى جنب مع مذهب رسول الله؟!.

لست أدري أي القولين يختار هذا المنكر ولكن الذي أعلمه أنهما قولان أحلاهما مر، وأفضلهما كذب وافتراء، ومعاذ الله أن تكون اجتهادات الصحابة والتابعين أو بقية الأئمة المجتهدين أكثر من خدمة وشرح لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياً من ربه ولكن بعض اجتهاداتهم وتفسيراتهم خالفت بعضها

١ – سورة الحشر الآية (٧).
٢ – تقدم تخريجه ص (١٤٨).

بعضاً، فكانت تلك الاجتهادات المتخالفة مذاهب في فهم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لامذاهب منافسة ومعارضة له!... وكيف يكونون منافسين ومعارضين له والكل يستشهد بكلامه ويمعن في فهم مراده؟!

❋ **الدليل الرابع:** كلام نقله المنكر عن كتاب الإنصاف للشاه ولي الله الدهلوي نقل عنه في غضونه قوله: (فمن أخذ بجميع أقوال أبي حنيفة، أو جميع أقوال مالك، أوأقوال الشافعي أو جميع أقوال أحمد أو غيرهم، ولم يعتمد على ماجاء في الكتاب والسنة فقد خالف إجماع الأمة كلها واتبع غير سبيل المؤمنين).

أقول: لم يثبت هذا الكلام عن الدهلوي في حق المقلد العاجز عن الاجتهاد إطلاقاً لافي الإنصاف ولا في غيره من كتبه الأخرى، بل الذي قال في أكثر من موطن عكسه تماماً.

يقول ولي الله الدهلوي في كل من كتاب الإنصاف ص (٥٣) وحجة الله البالغة (١/١٣٢ ط: الخيرية) مانصه:

(إن هذه المذاهب الأربعة المدونة المحررة قد اجتمعت الأمة أو من يعتد به منها على جواز تقليدها إلى يومنا هذا، وفي ذلك من المصالح مالا يخفى، لاسيما في هذه الأيام التي قصرت فيها الهمم جداً، وأشربت النفوس الهوى وأعجب كل ذي رأي برأيه).

وأنا أتحدى هذا المنكر ومقلديه أن يثبتوا سطراً مما تقوّله المنكر على الدهلوي في أي من كتبه..!!

ويقول بعد ذلك في ص (١٢٤-١٢٥) موضحاً أنه لامانع من التزام إمام بعينه: (كيف ينكر هذا أحد مع أن الاستفتاء والإفتاء لم يزل بين المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولافرق بين أن يستفتي هذا دائماً، أو يستفتي هذا حيناً وذاك حيناً بعد أن يكون مجمعاً على ماذكرناه، كيف لا ولم نؤمن بفقيه أياً كان أنه أوحى الله إليه الفقه وفرض علينا طاعته أنه معصوم، فإن اقتدينا بواحد منهم فذلك لعلمنا بأنه عالم بكتاب الله وسنة رسوله، فلا يخلو قوله إما أن يكون من صريح الكتاب والسنة أو مستنبطاً عنهما بنحو من الاستنباط أو عرف بالقرائن أن الحكم في

صورة ما منوطة بعلة كذا واطمأن قلبه لتلك المعرفة فقاس غير المنصوص على المنصوص، فكأنما يقول: ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كلما وجدت هذه العلة فالحكم ثمة هكذا والمقيس مندرج في هذا العموم فهذا أيضاً معزي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن في طريقه ظنون. ولولا ذلك لما قلد مؤمن مجتهداً).

فتأمل في مناقضة هذا الكلام الذي يقوله الدهلوي للذي يقوله عليه هذا المنكر!.. ولك أن تعود إلى كتابه حجة الله البالغة والإنصاف، لتتأكد من ألفاظه ومطابقتها للذي نقلناه عنه؟ ولاشك أن الدهلوي تحدث في هذا المجال عن حرمة التقليد في حق من بلغ رتبة الاجتهاد في مسألة من المسائل أو في عامة المسائل والأحكام، ولكن كلامه في ذلك خارج عن محل النزاع والبحث كما أوضحنا ولايمكن أن يستدل العاقل بشيء منه على دعوى حرمة التقليد أو حرمة التزام مذهب معين في حق من لم يستطع أن يكون مجتهداً فهذا شيء وذلك شيء آخر ولست أدري ما هو نوع الدافع إلى الخلط بينهما.

❋ **الدليل الخامس**: كلام نقله المنكر عن العز بن عبد السلام وعن ابن القيم وعن الكمال بن الهمام يستدل به على مدعاه، وهو دعوى حرمة التمسك بمذهب معين ووجوب الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة على الناس كلهم أو استمرار التنقل بين المجتهدين والأئمة دون الوقوف عند واحد منهم بعينه.

وكل ما نقله عن هؤلاء بمعزل عن هذه الدعوى الباطلة التي لا دليل عليها، وكيف تكون تلك الأقوال دليلاً على شيء من ذلك وأصحاب تلك الأقوال أنفسهم ملتزمون بمذاهب معينة لم يتحول واحد منهم عن مذهبه الذي عرف إلى سواه!!...

فالعز بن عبد السلام شافعي، وابن القيم حنبلي، والكمال بن الهمام حنفي، إن أقوال هؤلاء الأئمة كلها مستنبطة على تلك الأمور الثلاثة التي أخرجناها عن محل النزاع، والتي لم يخاصم فيها أحد من العلماء المنصفين، أما أن يكون شيء منها دليلاً على ما يشتهي هذا المنكر أن يروجه ويجمع له الأنصار، فهيهات له ذلك.

وإليك أولاً ما يقول العز بن عبد السلام:

يقول في كتابه قواعد الأحكام (٣٥/٢) ما نصه: (...وليس لأحد أن يقلد من

لم يؤمر بتقليده، كالمجتهد في تقليد المجتهد أو في تقليد الصحابة. وفي هذه المسائل اختلاف بين العلماء، ويرد على من خالف ذلك قوله عزوجل: **﴿إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه﴾**[1]. يستثنى من ذلك العامة، فإن وظيفتهم التقليد لعجزهم عن التوصل إلى معرفة الأحكام بالاجتهاد، بخلاف المجتهد فإنه قادر على النظر المؤدي إلى الحكم، ومن قلد إماماً من الأئمة ثم أراد تقليد غيره فهل له ذلك؟...فيه خلاف، والمختار التفصيل، فإن كان المذهب الذي أراد الانتقال إليه مما ينقض فيه الحكم فليس له الانتقال إلى حكم يوجب نقضه، فإنه لم يجب نقضه إلا لبطلانه. فإن كان الأخذان متقاربين جاز التقليد والانتقال، لأن الناس لم يزالوا من زمن الصحابة إلى أن ظهرت المذاهب الأربعة يقلدون من اتفق من العلماء من غير نكير من أحد يعتبر إنكاره، ولو كان ذلكم باطلاً لأنكروه، وكذلك لا يجب تقليد الأفضل وإن كان هو الأولى، لأنه لو وجب تقليده لما قلد الناس الفاضل والمفضول في زمن الصحابة والتابعين من غير نكير، بل كانوا مسترسلين في تقليد الفاضل والأفضل، ولم يكن الأفضل يدعو الكل إلى نفسه، ولا المفضول يمنع من سأله عن وجود الفاضل هذا مما لا يرتاب فيه عاقل).

لقد نقلت لك كلامه هذا بطوله دون أن أترك منه حرفاً، لتعلم أن ما يقوله هذا الإمام ينطبق على نقيض ما يتقوله هذا المنكر على لسانه تماماً، فالعز رحمه الله يوجب على العامة التقليد، والمنكر يلزمه باتباع المعصوم وترك غير المعصوم كما قد رأيت، والعز رحمه الله يجعل الأصل في المقلد أن يلتزم إماماً بعينه ثم يفرع عنه البحث في حكم رغبته في الانتقال إلى مذهب آخر ويذكر فيه الخلاف، ويجنح -كما قد رأيت- إلى القول بجواز ذلك "لا بوجوبه" بشروط.

فالعز رحمه الله لا يرى مانعاً من التزام المقلد مذهباً معيناً دون أن يتحول عنه، هذا المنكر يفرض عليه أن يتنقل بين جميع هذه المذاهب، ويلزمه بذلك إلزاماً، والعجب العجاب أنه يتقول على العز رحمه الله هذه الأشياء وينطقه بها وهو إنما نطق بعكسها.

نعم أتبع العز بن عبد السلام رحمه الله هذا الكلام الذي نقلته لك، بكلام آخر مباشرة أنحى فيه باللائمة على الفقهاء الذين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه ويسبر حقيقته ويدرك ما يتعلق به بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، ومع ذلك يقلده ويترك

---

١ - سورة يوسف الآية (٤٠)

الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبه، جموداً على تقليد إمامه وأطال العز في بيان خطورة ذلك وأجاد، ولكن ما علاقة هذا بدعوى هذا المنكر؟! وما هو المسوغ لما يفعله هذا الرجل من اتخاذ مثل هذه النصوص ثوباً يكسو بها مزاعمه العارية؟.. وهلا تبصر الكلام الطويل الآخر الذي يجاور هذه الفقرة مجاورة مباشرة ليفهم معاني الكلام وأطراف البحث؟ وهل هو حقاً لم يتبصره ولم يعثر عليه، أم رآه وفهمه ولكنه تجاهله وعفى عليه، ونسخه بما بعده ثم أنطق الرجل بما هو منه بريء؟!..

ثم إليك ما يقول ابن القيم:

يقول في كتابه إعلام الموقعين (٦٨/٣،ط: السعادة): ذكر تفصيل القول في التقليد وانقسامه إلى ما يحرم القول فيه والإفتاء به، وإلى ما يجب المصير إليه، وإلى ما يسوغ من غير إيجاب.

فأما النوع الأول فهو ثلاثة أنواع، أحدها: الإعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات إليه اكتفاءً بتقليد الآباء، والثاني تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله، والثالث التقليد بعد قيام الحجة وظهورالدليل على خلاف قول المجتهد.

ثم أطال ابن القيم في سرد وشرح أضرار ومساوئ التقليد المحرم الذي حصره في هذه الأنواع الثلاثة، فكل ما أورد في كلامه الطويل من إنكاره التقليد وتسفيهه والتحذير منه، فهو وارد على هذه الأنواع الثلاثة التي فرعها عن الأول.

وربما قرأ القارئ السطحي جزءاً من كلامه الطويل في ذلك دون أن يمسك بأصل البحث ومنطلقه فيتوهم أنه إنما ينكر التقليد مطلقاً، ثم يذهب يستدل على بطلان التقليد مطلقاً بفقرات من كلامه الذي ساقه في خضم بحثه الطويل كما فعل هذا المنكر.

ولكن المتأمل يعلم أن ابن القيم إنما فرع كلامه الطويل ذاك على هذا التقسيم الذي جعله أصل بحثه، وحسبك دليلاً قاطعاً على ذلك، بالإضافة إلى النص الذي نقلته من كلامه، قوله في غضون بحثه هذا: (فإن قيل: إنما ذم من قلد الكفار وآباءه الذين لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، ولم يذم من قلد العلماء المجتهدين، بل قد أمر بسؤال أهل الذكر وهم أهل العلم، وذلك تقليد لهم، فقال تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم**

لا تعلمون﴾[1].

وهذا أمر لمن لا يعلم بتقليد من يعلم -فالجواب أنه سبحانه ذم من أعرض عما أنزله إلى تقليد الآباء، وهذا القدر من التقليد هو مما اتفق السلف والأئمة الأربعة على ذمه وتحريمه، أما تقليد من بذل جهده في اتباع ما أنزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور، كما سيأتي بيانه عند ذكر التقليد وهو التقليد الواجب والسائغ إن شاء الله).

ولقد أطال ابن القيم بعد ذلك في ذم أنواع التقليد الباطل، وأنفق في ذلك ما يقارب مائة صحيفة، ويبدو أنه نسي بعد حديثه المسهب الطويل هذا أن يعود فيتحدث عن النوع الثاني من التقليد وهو التقليد الواجب، الذي وعد بالحديث عنه، فانتقل منه إلى الحديث عن النصوص وحرمة الإفتاء بما يخالفها وموقع السنة من القرآن.

ومن تأمل أبحاث ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين، وصبر على قراءتها بتمهل واستقصاء، وجد فيه غرائب من هذا القبيل، فهو تارة يفرع أصل البحث ويجزؤه ثم يبدأ فيتناول بعض أجزائه ويطيل الشرح والبحث ويشفق له الاستطرادات المختلفة، ثم يتجاوز البحث كله إلى غيره دون أن يعود إلى بقية فروعه وأجزائه بالنظر والبحث، كما فعل هنا، وهو تارة يقع في تناقضات عجيبة لا تدري سبب وقوعه فيها، كتلك التناقضات التي وقع فيها أثناء حديثه المسهب جداً عن الحيل وأحكامها وعلى كل فقد تحدث الرجل عن مشروعية التقليد وضرورته لمن لم يبلغ رتبة الاجتهاد في مكان آخر من كتابه، فقد عقد فصولاً طويلة تتعلق بشروط الفتوى وآدابها، ضمن كثيراً من أبحاثها ومسارها بيان ما ينبغي أن يكون عليه العامي والعالم الذي لم يبلغ رتبة الاجتهاد، وأن عليه اتباع إمام يسترشد به ويقلده في أحكام الحلال والحرام، وأنه لا يجوز لمثل هذا الإنسان أن يفتي الناس، ولو توفرت لديه كتب الحديث وأمكنه العثور فيها على حديث يتعلق بفتواه، وإليك مقاطع من كلامه في بيان هذا الأمر:

قال في (٤/١٧٥) (الفائدة العشرون): لا يجوز للمقلد أن يفتي في دين الله بما هو مقلد فيه وليس على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه وهذا إجماع من السلف كلهم، وصرح به الإمام أحمد والشافعي رضي الله عنهما قال أبو عمرو بن

١ - سورة النحل الآية (٤٣).

الصلاح: قطع أبو عبد الله الحليمي إمام الشافعيين بما وراء النهر والقاضي أبو المحسن الروياني صاحب بحر المذهب وغيرهما بأنه لا يجوز للمقلد أن يفتي بما هو مقلد فيه).

ثم أطال ابن القيم في تأكيد هذا الحكم وبيان أنه الحق.

وقال في (١٩٦/٤) ما نصه: (الفائدة الحادية والعشرون): إذا تفقه الرجل وقرأ كتاباً من كتب الفقه أو أكثر وهو مع ذلك قاصر في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف والاستنباط والترجيح، فهل يسوغ تقليده في الفتوى؟ فيه للناس أربعة أقوال...والصواب فيه التفصيل وهو أنه إن كان السائل يمكنه التوصل إلى رأي عالم يهديه السبيل لم يحل له استفتاء مثل هذا ولا يحل لهذا أن ينسب نفسه إلى الفتوى مع وجود هذا العالم، وإن لم يكن غيره بحيث لا يجد المستفتي من يسأله سواه فلا ريب أن رجوعه إليه أولى من أن يقدم على العمل بلا علم...).

وقال في (٢١٥/٤) ما نصه: (الفائدة الثلاثون): إن كان الرجل مجتهداً في مذهب إمام و لم يكن مستقلاً بالاجتهاد، فهل له أن يفتي بقول ذلك الإمام؟ على قولين: وهما وجهان لأصحاب الشافعي وأحمد، أحدهما الجواز ويكون متبعه مقلداً للميت لا له، وإنما له مجرد النقل عن الإمام، والثاني لا يجوز له أن يفتي، لأن السائل مقلد له، لا للميت، وهو لم يجتهد له، والسائل يقول له: أنا أقلدك فيما يفتي به).

وقال في (٢١٥/٤) ما نصه: (هل يجوز للحي تقليد الميت والعمل بفتواه من غير اعتبارها بالدليل الموجب لصحة العمل بها؟ فيه وجهان لأصحاب الإمام أحمد: فمن منعه قال: يجوز تغيير اجتهاده لو كان حياً، فإنه كان يجدد النظر عند نزول هذه النازلة...والثاني الجواز، وعليه عمل جميع المقلدين في أقطار الأرض وخيار ما بأيديهم تقليد الأموات....والأقوال لا تموت بموت قائلها كما لا تموت الأخبار بموت رواتها).

وقال في (٢٣٤/٤): (الفائدة الثامنة والأربعون): إذا كان عند الرجل الصحيحان أو أحدهما أو كتاب من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم موثق بما فيه، فهل له أن يفتي بما يجده فيه؟...والصواب في هذه المسألة التفصيل، فإن كانت دلالة الحديث ظاهرة بينة لكل من سمعه، لا يحتمل غير المراد فله أن يعمل به، ويفتي به، ولا يطلب التزكية له من قول فقيه أو إمام بل الحجة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ...وإن كانت دلالته خفية لا يتبين المراد منها لم يجز له أن يعمل، ولا يفتي بما

يتوهمه مراداً حتى يسأل ويطلب بيان الحديث ووجهه...ثم قال: وهذا كله إذا كان ثمة نوع أهلية ولكنه قاصر في معرفة الفروع وقواعد الأصوليين والعربية وإذا لم تكن ثمة أهلية قط، ففرضه ما قال ا لله تعالى:﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1].

وقال في (٢٣٧/٤) جواباً على سؤال: هل للمفتي أن يفتي بغير مذهب إمامه؟ ينقل عن أبي عمرو بن الصلاح: (ومن وجد حديثاً يخالف مذهبه فإن كملت آلة الاجتهاد فيه مطلقاً أو في مذهب إمامه أو في ذلك النوع أو في تلك المسألة فالعمل بذلك الحديث أولى، وإن لم تكمل آلته ووجد في قلبه حزازة من مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنده جواباً شافياً، فلينظر: هل عمل بذلك الحديث إمام مستقل أم لا، فإن وجده فله أن يتمذهب بمذهبه في العمل بذلك الحديث ويكون عذراً له في ترك مذهب إمامه في ذلك وا لله أعلم).

وقال بعد ذلك مباشرة: (الفائدة الخمسون): هل للمفتي المنتسب إلى مذهب إمام بعينه أن يفتي بمذهب غيره إذا ترجح عنده؟ إن كان سالكاً سبيل ذلك الإمام في الاجتهاد ومتابعة الدليل، فله أن يفتي بما ترجح عنده من قول غيره، وإن كان مجتهداً متقيداً بأقوال ذلك الإمام لا يعدوها إلى غيرها فقد قيل: ليس له أن يفتي بغير قول إمامه، فإن أراد ذلك حكاه عن قائله حكاية محضة، والصواب أنه إذاترجح عنده قول غير إمامه، بدليل راجح فلا بد أن يخرج على أصول إمامه وقواعده، فإن الأئمة متفقون على أصول الأحكام ومتى قال بعضهم قولاً مرجوحاً فأصوله ترده وتقتضي القول الراجح، فكل قول صحيح فهو يخرج على قواعد الأئمة بلا ريب، فإذا تبين لهذا المجتهد المقيد رجحان هذا القول وصحة مأخذه على قواعد إمامه فله أن يفتي به. وبا لله التوفيق).

فهذه مقاطع من كلامه في غضون حديثه عن الفتوى وشرطها وآدابها، أفتراه كلام من يحرم التقليد ويلزم الناس جميعاً بالأخذ بالكتاب والسنة مباشرة، أم تراه يحرم الالتزام بمذهب معين أم تراه يأمر المقلد بأن يظل عمره يقفز من مجتهد إلى آخر؟

ألست ترى أن كل مقطع من هذه المقاطع تصريح بشكل لا يحتمل الريب بأن الجاهل لا يسعه إلا التقليد، وأن المتمذهب بمذهب معين لا يجوز له أن يفتي الناس في

١ - سورة الأنبياء الآية (٧).

مسألة ما بغير مذهبه إلا أن يكون مجتهداً فيها، وأن تقليد الميت كتقليد الحي على السواء، لأن الأقوال لا تموت بموت قائلها، على حد تعبيره، وإن الاعتماد على كتب الحديث وحدها لا تجعل من المقلد مجتهداً؟!.

وإذا كان ابن القيم يرى ما يراه هذا المنكر، ومن أن تقليد الأئمة تقليد لغير المعصوم وتقليد الرسول تقليد للمعصوم، فلا يجوز لأحد إلا الأخذ من المعصوم مباشرة، فما باله يجعل من تقليد المذاهب الأربعة موضوعاً لبحثه وأساساً لتعريفاته، وما باله يحجر على المقلد الأخذ من كتب الحديث، ويمنعه من الإفتاء، ويمنع السائل من الاعتماد عليه، ويحذره (أي يحذر المقلد) من الخروج في الفتيا عن مذهب إمامه إلا عندما يصبح مجتهداً في تلك المسألة، وما باله يطمئن المقلد إلى أن تقليده للمجتهد الميت سائغ وغير ممنوع؟!

لقد أطلت كثيراً في سرد نقول من الإمام ابن القيم في هذا الصدد، لما أعلم من تعصب طائفة من هؤلاء الناس، دعاة اللامذهبية، لآراء ابن القيم، يتعصبون له أكثر من التعصب(الممقوت) الذي يتهمون به عامة المسلمين المقلدين لمذاهب أئمتهم...عسى أن يسهل لهم هذا التصعب له، إذا ما تأملوا في نصوصه هذه، سبيل الرجوع إلى جادة الحق.

أما النص الذي وقع عليه اختيار ذلك المنكر من مجموع ما قاله ابن القيم في هذا الصدد، واستلّه من كتابه دون غيره ليعتمد عليه فيما يدعي، من حرمة التمذهب بمذهب معين فهو بعيد كل البعد عن دعواه، ليس له إليها أي منفذ أو سبيل.

والنص الذي اختاره من مجموع كلامه هو قوله: (...بل لا يصح للعامي مذهب، ولو تمذهب به، فالعامي لا مذهب له، فإذا قال: أنا شافعي أو حنفي أو حنبلي أو مالكي أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول...)

والكلام الذي قبله وبعده بيان لما لا خلاف في حقيقته وهو عدم وجوب التزام المقلد لمذهب واحد في كل فروعه ومسائله، وقد قلنا إن هذا محل وفاق واستبعدناه عن مجال البحث ولكن هذه الفقرة التي نقلناها من كلامه، هي وحدها التي قد توهم تصديق ما يدعو إليه المنكر من نبذ التقليد وحمل الناس جميعاً على الأخذ من الكتاب والسنة غير أن العبارة ليست من هذا في شيء.

إن المقصود بهذا الكلام الذي قاله كثير من العلماء، أن العامي إذا لقي مفتياً لمشكلته التي يبحث عن حكمها وسأله عنها فإن عليه أن يأخذ بما يقول، وليس للعامي أن يطلب إليه إفتاءه فيها بموجب مذهب معين، ذلك لأن المفتي مجتهد، وإلا لم يجز أن يسمى أو ينصب مفتياً، والمجتهد إنما يجيب السائل حسب ما أداه إليه اجتهاده، وليس له أن يقلد مجتهداً مثله ثم يفتيه بمذهبه في ذلك، نعم للعامي أن يسأله عما يقول الشافعي في مشكلته، وله أن يروي له ما يقول فيها، على وجه النقل لا الفتيا، أما أن يحمل العامي المجتهد على أن يفتيه بمذهب إمامه، فليس له ذلك، لأنه ليس أكثر من جاهل يدعي علماً بمذهب إمام معين ونسبة إليه، وهو لو كان كذلك لما احتاج إلى استفتاء هذا المجتهد وسؤاله، وتعبيراً عن هذا المعنى الذي لا شك ولا إشكال فيه قال العلماء: مذهب العامي مذهب مفتيه، وليس للعامي مذهب معين.

ولكن ما هو مصير العامي عندما يلتفت حوله فلا يرى مفتياً (أي مجتهداً مطلقاً) ولا يرى إلا علماء مقلدين كل منهم يلتزم مذهباً معيناً، ومن يسمى مفتياً بينهم إنما أطلق عليه هذا الاسم تشبيهاً وبجازاً؟... إن قاعدة (مذهب العامي مذهب مفتيه) لا تنطبق في هذه الحال إطلاقاً كما هو واضح، إذلا مفتي له وإنما الذي يتعين عليه أن يستفتي واحداً من المجتهدين السالفين، وقد مر بك أن العلماء قالوا وفي مقدمتهم ابن القيم: إن الأقوال لا تموت بموت قائلها، فيجوز للحي تقليد الميت.

وخير من يستفتيه من المجتهدين السالفين، الأئمة الأربعة بإجماع علماء هذه الملة بأسرها، بسبب ما نالته مذاهبهم من الخدمة والتمحيص والتدوين وتوفر أسباب الطمأنينة في صحة إسنادها إلى أربابها، كما لم يتوفر مثل تلك الأسباب بالنسبة لأي مذهب آخر، فهو يسأل من شاء منهم عن طريق سؤال علمائه والمتفقهين فيه، أو دراسة كتبه إن أمكنه ذلك، ثم له أن يلتزم واحداً منهم، لكل ما يعرض له من مسائل وأحكام، وله أن ينتقل من أحدهم إلى الآخر بالشروط التي ذكرها العلماء والتي أوضحنا طرفاً منها فيما مضى.

والعامي -وهو يفعل هذا- لم يخرج في الحقيقة عن قاعدة (مذهب العامي مذهب مفتيه)، لأنه لما لم يجد من حوله مفتياً، واضطر إلى استفتاء الشافعي مثلاً، فقد أصبح مذهبه هو مذهب الشافعي نفسه بموجب نص القاعدة ذاتها.

فهذا هو معنى كلام ابن القيم، تجده مفصلاً واضحاً في سائر كتب الأصول في باب الاجتهاد، ارجع إلى أي منها شئت تجد تفصيل ذلك كله.

ثم إليك ما يقول الكمال بن الهمام في هذا الصدد:

قال في التحرير ما نصه: (وهل يقلد غيره أي غير من قلده أولاً) في غيره أي في غير ذلك الشيء؟

المختار: نعم، للقطع بأنهم كانوا يستفتون مرة واحداً ومرة غيره، غير ملتزمين مفتياً واحداً، فلو التزم مذهباً معيناً كأبي حنيفة أو الشافعي فقيل:يلتزم،وقيل:لا . ثم أخذ شارح التحرير يرجح القول بعدم وجوب الالتزام، وهو مذهب جمهور العلماء، إذ لا واجب إلا ما أوجب الله، والله ما أوجب على الجاهل إلا تقليد العالم المجتهد، ولم يوجب عليه التزام واحد بعينه دائماً، والغريب أن صاحب الإنكار عزا إلى الكمال بن الهمام كلاماً طويلاً غير هذا لم يقله ولم يتفوه به إنما هو كلام ذكره ابن أمير حاج في شرحه للتحرير، واسم كتابه (التقرير والتحبير) وقد اختلط الأمر على (العلامة) صاحب الإنكار فأسند الكلام الذي ساقه إلى ابن الهمام وهو لم يقله أصلاً، وأسند إليه كتاباً اسمه التقرير والتحبير وهو لم يؤلف كتاباً بهذا الاسم أصلاً.

على أن ما قاله ابن أمير حاج في ذلك هو عين ما قاله ابن القيم عن العامي الذي جاء يستفتي المفتي مع أنه لا مذهب له، وأن مذهبه مذهب مفتيه وقد ذكرنا معنى هذا الكلام وأوضحنا المقصود منه.

❋ **الدليل السادس:** زعم أن حدوث المذاهب الأربعة إنما كان بسبب السياسة الغاشمة واستيلاء الأعاجم ذوي الأغراض على الملك، وعزا صاحب الإنكار زعمه هذا إلى مقدمة ابن خلدون، فقال: (إن أردت الاطلاع على أسباب حدوث المذاهب والطرائق، فعليك بمطالعة مقدمة تاريخ ابن خلدون، فإنه قد أبدع في هذا البيان، فجزاه الله خيراً، وأفاد أن المذاهب حدوثها وشيوعها إنما هي بسبب السياسات الغاشمة واستيلاء الأعاجم ذوي الأغراض على الملك).

أقول: وقد فعلنا ما أشار به صاحب الإنكار، فرجعنا إلى مقدمة ابن خلدون، وطالعناها، وتتبعنا كلامه عن نشأة المذاهب وأسبابها، فما وقعنا في شيء من ذلك على

هذا الزعم الذي أسنده إليه صاحب الإنكار، وما وقفنا من كلامه في ذلك إلا على ما هو الحق المبين المتفق عليه من قبل جمهور المسلمين، مما لا يُعجب صاحب الإنكار في قليل ولا كثير.

قال في (ص ٢١٦ .ط: بولاق) بصدد حديثه عن علم الفقه وكيفية نشأته ونشأة مذاهبه ما نصه: (...إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أو ممن سمعه منهم من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء....وبقي الأمر كذلك صدر الملة، ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسته الكتاب، وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلماً، فبدّلوا باسم الفقهاء والعلماء، وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين:

أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز وكان الحديث قليلاً في أهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل: أهل الرأي، ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة النعمان، وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس والشافعي من بعده، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به، وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والإجماع وردوا القياس الجلي والعلة المنصوصة إلى النص لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان إمام هذا المذهب داود بن علي وابنه وأصحابهما،وكانت هذه المذاهب إذ ذاك هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة)..

وأوضح بعد ذلك أن مذهب الظاهرية درس بدروس أئمته بتدوين الأصول وتقعيد قواعد الاستنباط من النصوص والرأي، وبسبب إنكار الجمهور على منتحليه ثم قال: (ولم يبق إلا في بعض الكتب المجلدة وربما يعكف كثير من الطالبين، ممن تكلف بانتحال مذهبهم، على تلك الكتب يروم أخذ فقههم منها ومذهبهم فلا يأتي بطائل ويصير إلى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه وربما عد بهذه النحلة من أهل البدع، بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين).

ثم أخذ ابن خلدون يترجم لكل من الأئمة الأربعة ويوضح مدى فضله وعلمه،

وكيفية أخذهم الفقه وأصول بعضهم، وكيف مزج أصحاب أبي حنيفة طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق، فتلاقت المدرستان بذلك، وبين مدى انتشار مذهب كل منهم والكمال الذي انتشر فيه ثم قال:

(وسد الناس باب الخلاف وطرقه بعد ذلك، لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد ولما فشي من إسناد ذلك إلى غير أهله ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه).

فهذه خلاصة ما قاله ابن خلدون عن المذاهب ونشأتها، وكله مما لا يعجب صاحب الإنكار، ومما لا يفيده أن يشد أزره به، وأرجو من القارئ الكريم أن يعود إلى هذا البحث من مقدمة ابن خلدون فيقرأه بطوله، ثم يجهد جهده أن يضع يده على كلمة واحدة يجدها تتحدث عن السياسات الغاشمة التي تدخلت في إنشاء المذاهب الأربعة على حد تعبير صاحب الإنكار، وليسم القارئ بعد ذلك هذا العمل من حضرة صاحب الإنكار بالاسم الذي تطلقه اللغة العربية وغير العربية عليه وليعذرني إن لم أفعل أنا ذلك، فقد التزمت[1] في مقدمة هذه الرسالة أن لا أتناول الموضوع إلا بالمعالجة العلمية المجردة، وأن لا أحمل قلمي على أي تعبير أو وصف ينزل عن ذلك المستوى وإن كان كلامه هو محشواً بمثل هذه الأوصاف والتعابير.

❋ **الدليل السابع:** قوله: (يقال للمقلد: على أي شيء كان الناس قبل أن يوجد فلان وفلان الذين قلدتموهم وجعلتم أقوالهم بمنزلة نصوص الشارع...أفكان الناس قبل وجود هؤلاء على هدىً أو ضلالة؟ فلا بد أن يقروا بأنهم كانوا على هدىً فيقال لهم: فما الذي كانوا عليه غير اتباع القرآن والسنة والآثار وتقديم قول الله تعالى ورسوله وآثار الصحابة رضي الله عنهم على ما يخالفها والتحاكم إليها دون قول فلان وفلان برأيه؟ وإذا كان هذا هو الهدى فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى يؤفكون؟!!..) الكراس.

ونحن نقول في الكشف عن هذا الدليل العجيب، ونجيب عن المقلد الذي يسأله صاحب الإنكار هذا السؤال فنقول: كان الناس قبل وجود فلان وفلان يفعلون كما قال ابن خلدون في الفصل الذي اعتمدت أنت بنفسك على كلامه. ألم يقل ابن

١ - المقصود الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

خلدون في نفس ذلك الفصل: (إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فُتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته). فما معنى هذا الكلام الواضح؟.

إذا كان أهل الفتيا والاجتهاد من الصحابة عدداً محصوراً ومميزاً فيهم كما يقول، وكان الباقون منهم دون هذه المرتبة، فعمن يتلقى هؤلاء الباقون إذاً دينهم؟... لا جرم أنهم يتلقونه من هذا العدد المحصور الممتاز عنهم بالقدرة على الاجتهاد والاستنباط، وهل التقليد شيء آخر غير هذا؟!...إذاً لم يختلف الأمر و لم يتبدل بين العهدين، كان العوام في عصر الصحابة يقلدون من اشتهر في عصرهم بالفتيا والاجتهاد وكانوا في عصر التابعين أيضاً يفعلون ذلك، وفي العصر الذي يليه يفعلون ذلك أيضاً، وما الشافعي وأبو حنيفة وأحمد ومالك، إلا طائفة من هؤلاء المجتهدين جاز للعوام أن يقلدوهم كما جاز لمن قبلهم من العوام أن يقلدوا مثلهم، وكما جاز للعوام من الصحابة أن يقلدوا مجتهدة عصرهم من أمثال ابن عباس وابن مسعود، وزيد بن ثابت، والخلفاء الراشدين.

ألم يجمع كل علماء التاريخ وتاريخ التشريع على أنه كان في عهد التابعين مذهبان عظيمان: مذهب أهل الحديث في الحجاز، ومذهب أهل الرأي في العراق وأن عامة أهل الحجاز كانوا يقلدون المذهب السائد عندهم وعامة أهل العراق يقلدون المذهب السائد فيما بينهم، وأنه كان لهذا المذهب أئمته وللمذهب الآخر أئمته؟!..

فما الذي حدث مما يخالف هذا الواقع عندما ظهرت المذاهب الأربعة؟ لم يظهر جديد. كل ما في الأمر أن أئمة هذه المذاهب الأربعة وضعوا منهجاً للاستنباط فيما بينهم، واشتقوه من أدلة الكتاب والسنة ضبطوا به الرأي والقياس السليم وميزوه عن الرأي والأقيسة الباطلة، فتلاحم بذلك كل من مذهبي الرأي والحديث واختفى- تدريجياً كل من طرفي الإفراط والتفريط، وكان هذا من أكبر العوامل لتبوء المذاهب الأربعة مكانة عليا في صعيد البحث والاجتهاد ولإقبال مختلف الفئات والطبقات على التزامها والأخذ منها، وهذا الواقع شيء معروف ومَدْروس لا أظنني بحاجة إلى أن أنفق وقتاً في سرد أدلة ونصوص عليه.

إذاً، فأي اختلاف حصل في جوهر واقع الاجتهاد والتقليد حتى يقول صاحب

الإنكار: على أي شيء كان الناس قبل فلان وفلان، وكأنه ألزم بذلك الخصم إلزاماً لا مخلص منه؟!...وأي ضلال وأي إفك وقع فيه مقلدوا المذاهب الأربعة، وهم ليسوا في ذلك إلا كالذين قلدوا من قبلهم مذهب الرأي أو الحديث وكالذين قلدوا من قبلهم أئمة الصحابة ومجتهديهم؟!.

لا مناص من التقليد، ولا مانع من اتباع مذهب معين ودليل ذلك:

لخصنا لك فيما مضى الأدلة التي قالها صاحب الإنكار على دعواه، وأوضحنا بما لا يدع أي شك لمنصف أنها ليست أدلة إلا من حيث إن صاحب الإنكار اعتبرها كذلك، فهي أقوال لا ينهض بها أي دليل أو جزء من دليل يقره العلم ويعتد به، وتسمية صاحب الإنكار إياها (دليلاً) لا يغير شيئاً من حقيقة الأمر.

وما لم نتعرض له من كلامه بنقاش أو رد تفصيلي فكله منصب على تلك البنود الثلاثة المتفق عليها عند العلماء جميعاً والتي أخرجناها من حيز الخلاف، ولذلك لم نتعرض له بشيء ولم نجد ما يدعو إلى تضييع الوقت فيه، ومع ذلك فما ينبغي أن نثبت عكس ما يدعيه صاحب الإنكار عن طريق تزييف أدلته فقط، بل لا بد أن نطالب أنفسنا من وراء ذلك ببراهين إيجابية جديدة تدل على فساد المزاعم الخطيرة التي يدعيها صاحب الإنكار وتثبيت عكسها تماماً.

إن ما يحاول صاحب الإنكار تقريره، ينحصر في أمرين اثنين لا ندري سبيلاً للتوفيق بينهما، بل ولا ندري كيف يتلاقيان معاً في ذهن ذلك المنكر:

فالأمر الأول الذي يدعيه ويكرره في أكثر من مكان من كلامه هو حرمة التقليد مطلقاً، مستدلاً بأن المجتهد غير معصوم والكتاب والسنة معصومان واتباع المعصوم أفضل من اتباع غير المعصوم، وبأن الاجتهاد سهل لا يحتاج إلى أكثر من الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي.

والأمر الثاني الذي يدعيه ويكرره أيضاً هو أن المقلد ليس عليه أن يلتزم مذهباً بعينه، وإذا فعل ذلك فهو ضال وهو من الحمر المستنفرة...

ولست أدري ما هي وسيلة الجمع بين هذين الأمرين!.. إذا كان التقليد من أصله باطلاً،لأنه اتباع غير المعصوم، فما معنى النهي عن نوع من التقليد بعينه وهو

التزام مذهب معين؟!.. وإذا كان الباطل من التقليد هو هـذا النـوع فمـا معنـى إطـراح التقليد من أساسه، والاستدلال له باتباع المعصوم وغير المعصوم؟! لسـت أدري صـورة الحكم في مجموعه، كما هو في ذهن صاحب الإنكار ولكني سأضع أمام القارئ الدليـل علىأن التقليد أمر لا مناص منه بين المسلمين وأنه مشروع وثـابت وعلـى أن المقلـد إذا شاء أن يلتزم مذهباً معيناً ولا يتحول عنـه فلـه ذلـك وليـس مرتكبـاً لمنهـي ولا مقترفـاً لمحرم.

أولاً: لا مناص من التقليد وهو مشروع بإجماع المسلمين.

والتقليد هواتباع قول إنسان دون معرفة الحجـة علـى صحـة ذلـك القـول، وإن توفرت معرفة الحجة على صحة التقليد نفسـه، فالمقلد قـد يعـرف الحجـة علـى صحـة تقليده للعالم المجتهد، ولكنه لا يعرف الحجة على صحة ما يقلد المجتهد فيه.

ولا فرق بين أن تسمي هذا العمل تقليداً أو اتباعـاً فكلاهمـا بمعنـى واحـد، ولم يثبت أي فرق لغوي بينهما، وقد عبر الله بالاتباع عن التقليـد في أسـوئ أنواعـه فقـال جلّ جلاله:﴿**إذ تبرأ الذيـن اتبعـوا مـن الذيـن اتبعـوا ورأوا العـذاب وتقطعـت بهـم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لناكرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا**﴾[1]، فمـا مـن شك أن المراد بالاتباع هنا هو التقليد الأعمى الذي لا مسـوغ لـه، وسـواء اصطلحـت أنت على فارق جديد من المعنى بينهما في هذا المبحث أولا، فـإن القسـمة ثنائيـة علـى كل حال، إذ الباحث إما أن يكون عالماً بالأدلة خبيراً بكيفية الاستنباط منها أو لا فهـو مقلد للمجتهد، وكثرة الألفاظ والاصطلاحات لا تغير من الواقع شيئاً.

فما الدليل على مشروعية التقليد ووجوبه عند عدم التمكن من الاجتهاد[2]؟!.

---

١ – سورة البقرة الآية (١٦٦)

٢ – ينبغي أن يعلم بأن كلامنا إنما هو فيما يتعلق بالفروع من الأحكام أما الأمور الاعتقادية المتعلقة بأصول الديـن فلا يجوز التقليد فيها بالإجماع، والفرق أن الأمور الاعتقادية لا يغني فيهـا الظن وإنمـا سبيلها اليقين والقطع، لقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسـؤولا﴾ ولقولـه وهو ينكر على الذين اتبعوا الظن في اعتقاداتهم: ﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هـم إلا يخرصـون﴾ ولا يوصـل إلى اليقين إلا إشغال الفكر والاستقلال في النظر والبحث. أما الأحكام الفرعية، فقـد تعبدنـا الله فيهـا بـالظن، أي إنه جعل ظن المجتهد والباحث دليلاً شرعياً يلزمه العمل بمقتضاه، والدليل على ذلك أنه صلـى الله عليـه وسـلم كان يبعث آحاد الناس لتعليم الناس أحكام الفروع من عبادات وغيرها، ويـلزمهم باتبـاع مـا يقولـه لهـم هـذا الواحد، مع العلم بأن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن...فكأنه يقـول لهـم إذا ظننتـم – بموجـب البحـث أو تقليـد العالم الباحث – أن الحكم كذا، وجب عليكم تطبيقه والمصير إليه، فهذا هو الفرق بـين الواجبـات الاعتقاديـة

الدليل من وجوه

الوجه الأول: قوله جل جلاله: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1] أجمع العلماء على أن الآية أمر لمن لا يعلم الحكم ولا دليله باتباع من يعلم ذلك، وقد جعل عامة علماء الأصول هذه الآية عمدتهم الأولى في أن على العامي تقليد العالم المجتهد. ومثل هذه الآية في نفس الدلالة قوله تعالى: ﴿**وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[2]. فقد نهى الله تعالى أن ينفر الناس كافة للغزو والجهاد وأمر ببقاء طائفة منهم يتفرغون للتفقه في دين الله، حتى إذا عاد إخوانهم إليهم وجدوا فيهم من يفتيهم في أمر الحلال والحرام وبيان حكم الله عزوجل[3].

الوجه الثاني: ما دل عليه الإجماع من أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتفاوتون في العلم ولم يكن جميعهم أهل فتيا- كما قال ابن خلدون- ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، بل كانوا فيهم المفتي المجتهد، وهم قلة بالنسبة لسائرهم، وفيهم المستفتي المقلد وهم الكثرة الغالبة فيهم، ولم يكن المفتي من الصحابة يلتزم مع ذكر الحكم بيان دليل للمستفتي، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبعث الفقيه من الصحابة إلى المكان الذي لا يعلم سكانه من الإسلام إلا عقيدته والاعتقاد بأركانه، فيتبعونه بكل ما يفتيهم بما هداه إليه الاجتهاد فيقلدونه في ذلك.

يقول الغزالي في المستصفى في باب التقليد والاستفتاء، مستدلاً على أن العامي ليس له إلا التقليد ما نصه: (ونستدل على ذلك بمسلكين أحدهما إجماع الصحابة فإنهم كانوا يفتون العوام ولا يأمرونهم بنيل درجة الاجتهاد، وذلك معلوم على الضرورة، والتواتر من علمائهم وعوامهم)[4].

وقال الآمدي في كتابه الأحكام: (وأما الإجماع فهو أنه لم تزل العامة في زمن الصحابة والتابعين قبل حدوث المخالفين يستفتون المجتهدين، ويتبعونهم في الأحكام

والأحكام العملية.

١ - سورة النحل الآية (٤٣).

٢ - سورة التوبة الآية (١٢٢).

٣ - انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٩٣ و٢٩٤).

٤ - المستصفى للغزالي (٢/٣٨٥).

الشرعية، والعلماء منهم يبادرون إلى إجابة سؤالهم من غير إشارة إلى ذكر الدليل، ولا ينهونهم عن ذلك من غير نكير، فكان إجماعاً على جواز اتباع العامي للمجتهد مطلقاً)[1].

وقد كان المتصدرون للفتوى في عصر الصحابة أفراداً محصورين عرفوا بين الصحابة بالفقه والرواية وملكة الاستنباط، وأشهرهم الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب،وزيد بن ثابت، أما المقلدون لهؤلاء في المذهب والفتوى فكانوا فوق الحصر.

أما في عهد التابعين فقد اتسعت دائرة الاجتهاد، وسلك المسلمون في هذا العهد نفس الطريق الذي سلكه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن الاجتهاد تمثل في مذهبين رئيسيين هما مذهبا الرأي والحديث، بسبب العوامل الاجتهادية التي ذكرناها عندما نقلنا كلام ابن خلدون.

ومن أقطاب مذهب الرأي في العراق: علقمة بن قيس النخعي، ومسروق بن الأجدع الهمداني، وإبراهيم بن زيد النخعي، وسعيد بن جبير وقد كان عامة من في العراق وما حولها يقلدون هذا المذهب من دون أي نكير.

ومن أقطاب مذهب الحديث في الحجاز: سعيد بن المسيب المخزومي، وعروة ابن الزبير، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسليمان بن يسار، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وكان أهل الحجاز وما حولها يقلدون هذا المذهب دون أي نكير.

وقد كان بين أقطاب هذين المذهبين مناقشات وخصومات حادة في بعض الأحيان ولكن العوام والمتعلمين ممن كانوا دونهم في العلم والفقه، لم يكن يعنيهم شأن تلك الخصومة إذ كانوا يقلدون من شاؤوا أو من كان قريباً منهم دون أي إنكار من أحد عليهم، ومناقشة المجتهدين بعضهم لبعض لا تنعكس بأي تبعية أو مسؤولية على الجاهل المعذور.

الوجه الثالث: الدليل العقلي البين، ونعبر عنه بما قاله العلامة الشيخ عبد الله دواز: (...والدليل المعقول هو أن من لم يكن عنده أهلية الاجتهاد، إذا حدثت به

---

١ – الأحكام للآمدي (١٧١/٣).

حادثة فرعية، فإما أن لا يكون متعبداً بشيء أصلاً، وهو خلاف الإجماع، وإن كان متعبداً بشيء فإما بالنظر في الدليل المثبت للحكم، أو بالتقليد، والأول ممتنع لأن ذلك مما يفضي في حقه وحق الخلق أجمع إلى النظر في أدلة الحوادث والاشتغال عن المعايش وتعطيل الحرف والصناعات وخراب الدنيا بتعطيل الحرث والنسل ورفع التقليد رأساً وهو منتهى الحرج فلم يبق إلا التقليد وأنه هو المتعبد به عند ذلك الغرض)[1].

ولما رأى العلماء تكامل كل من دليل الكتاب والسنة والعقل على أن العامي أو العالم الذي لم يبلغ درجة الاستنباط والاجتهاد، ليس له إلا أن يقلد مجتهداً متبصراً بالدليل.

قالوا: إن فتوى المجتهد بالنسبة للعامي كدليل الكتاب والسنة بالنسبة للمجتهد، لأن القرآن كما ألزم العالم به التمسك بدلائله وبراهينه، فقد ألزم الجاهل بالتمسك بفتوى العالم واجتهاده في بيان ذلك يقول الشاطبي: (فتاوى المجتهدين بالنسبة إلى العوام، كالأدلة الشرعية بالنسبة إلى المجتهدين، والدليل عليه أن وجود الأدلة بالنسبة إلى المقلدين وعدمها سواء، إذ كانوا لا يستفيدون منها شيئاً فليس النظر في الأدلة والاستنباط من شأنهم، ولا يجوز ذلك لهم البتة، وقد قال الله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[2]، والمقلد غير عالم فلا يصح له إلا سؤاله أهل الذكر، وإليهم مرجعه في أحكام الدين على الإطلاق، فهم إذاً القائمون له مقام الشرع وأقوالهم قائمة مقام الشارع)[3].

هذا ولا بد أن أذكرك بالنصوص التي سقناها لابن القيم والدهلوي والعز بن عبد السلام والكمال بن الهمام في معرض الرد على أدلة صاحب الإنكار، وكلها تنطوي على أدلة مشروعية التقليد بالنسبة لمن قصرت رتبته العلمية عن القدرة على استنباط الأحكام والاجتهاد فيها.

وإذا ظهر لك الدليل الواضح القائم على أساس النقل الصحيح والإجماع القطعي والبداهة العقلية على مشروعية التقليد بل ووجوبه عند القصور عن درجة الاستنباط

---

١ - انظر تعليق الشيخ عبد الله دراز على الموافقات للشاطبي (٤/٢٢) وانظر ما قاله في ذلك الآمدي والغزالي في المرجعين السابقين.

٢ - سورة النحل الآية (٤٣).

٣ - الموافقات للشاطبي(٤/٢٩٠-٢٩٢).

والاجتهاد، فأي فرق عندئذ بين أن يكون المجتهد المقلد واحداً من أفراد الصحابة، أو واحداً من أئمة مذاهب الرأي أو الحديث، أو واحداً من أئمة المذاهب الأربعة ما داموا جميعاً مجتهدين وما دام الآخر مقلداً جاهلاً بكيفية الاستدلال والاستنباط؟!

وما معنى القول بأن نشأة المذاهب الأربعة بدعة وأن اتباعها وتقليدها بدعة أخرى؟ لماذا تعتبر نشأة المذاهب الأربعة بدعة ولا تعتبر نشأة مذهب الرأي والحديث أيضاً كذلك؟ ولماذا يكون مقلد الشافعي والحنفي مبتدعاً ولا يكون مقلد النخعي في العراق وسعيد بن المسيب في الحجاز كذلك؟ بل لماذا يكون اتباع هذه المذاهب الأربعة ابتداعاً ولا يكون مثله في الابتداع اتباع مذهب عبد الله بن عباس أو عبد الله بن مسعود أو عائشة أم المؤمنين؟!.

وماذا فعل أئمة المذاهب الأربعة من البدع حتى نصد العامة عن تقليدهم ونتهمهم بالابتداع إن هم التزموا اتباعهم؟... أي شيء زادوه على أسلافهم المجتهدين من الصحابة والتابعين؟! إن كل ما يعتبر جديداً من عملهم أنهم دونوا السنة والفقه من جانب، ووضعوا أساساً ومنهجاً للاستنباط والبحث من جانب آخر، فكان من نتيجة ذلك أن انكسرت حدة الخلاف بين مذهبي الرأي والحديث من قبلهما، واصطلح الفريقان على تحكيم الميزان الجديد المستند هو أيضاً بدوره إلى دلائل السنة والكتاب والإجماع فقويت بذلك أركان هذه المذاهب الأربعة ورسخت جذورها، ودونت أصولها وفروعها، وأولاها العلماء العناية والتمحيص، فكان سر امتداد أجلها وانتشار كتبها ودفاع العلماء في كل عصر من العصور عنها مع الاتفاق على أنه ليس لأي عالم فهمَ مدرك الحكم ودليله وكان لديه من ملكة الاستنباط والبحث ما يطمئن به إلى سلامة فهمه وعلمه، أن يقلد أحداً من هؤلاء الأئمة في ذلك الحكم.

هذا هو الجديد الذي امتازت به المذاهب الأربعة عن المذاهب الأخرى، فأي بدعة تكتنفها وأي ضلالة تحيق بأولئك الملايين الذين اتبعوها، وبأي سبب علمي أو شبه علمي يدعي صاحب الإنكار هذا بأن هذه المذاهب أمور مبتدعة وأن التمذهب بها بدعة نشأت بعد القرن الثالث، وبأي وجه شرعي يشبه المقلدين لهذه المذاهب بالحمر المستنفرة؟!

حسبي بعد أن أوضحت حقيقة التقليد ودليله، وموقع المذاهب الأربعة من

المذاهب التي قبلها وواقع المسلمين في عصر هذه المذاهب وقبلها، أن أضع أمام القارئ العاقل المنصف هذه الأسئلة التي تثير العجب العجاب من كلام هذا المنكر، ولن أتبرع أنا بالجواب عن شيء من هذه الأسئلة فإن في إنصاف أي قارئ عاقل ما يقنعه بجنوح هذا الإنكار وصاحبه عن الحق البين النير الصريح.

ولننتقل بعد هذا إلى الدليل على الأمر الثاني:

ثانياً: لا يحرم على المقلد التزام مذهب معين:

فإذا انتهينا بعد حديثنا السابق إلى أن الجاهل المقصر عن رتبة الاجتهاد والاستنباط لا يسعه إلا التقليد، وثبت لنا ذلك بالأدلة الواضحة التي عرضناها فإننا نسأل بعد ذلك هل على المقلد أن يستبدل كل يوم بإمامه الذي يتبعه إماماً جديداً؟ أو هل عليه أن يفعل هذا كل شهر أو كل سنة مثلاً؟... وإذا كان هذا هو الحكم، أي إذا كان عليه أن يلتزم تغيير إمامه المتبع بين كل حين وآخر، فما هو الدليل الشرعي على ضرورة هذا الالتزام؟.

نقول في الجواب: إن واجب الجاهل بدليل الحكم أن يقلد كما ذكرنا، والأمر في ذلك مطلق كما هو واضح من دلالة قوله تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**[1]. فمهما سأل الجاهل أهل الذكر وقلدهم فيما أفتوا به وذهبوا إليه، فقد طبق أمر الله بالنسبة لنفسه، سواء التزم إماماً بعينه أو لم يلتزمه وسواء أكان التزامه بسبب قربه منه أو سهولة اطلاعه على مذهبه أو لمزيد من الاطمئنان لديه إلى آرائه ومذهبه، فإن اعتقد أن عليه أن يلتزم إماماً بعينه لا يحيد عنه ولا يستبدل به غيره، فهو مخطيء، وإن اعتقده حكماً من عند الله عز وجل دون أن يتبع في اعتقاده هذا مجتهداً قد أخطأ في اجتهاده، كان آثماً، وإن اعتقد أن عليه أن يلتزم استبدال إمامه كل يوم أو بين كل حين وآخر فهو أيضاً مخطيء وإن اعتقد حكماً منزلاً من الله عز وجل و لم يكن له عذر الانخداع برأي من يتظاهر بمظهر الاجتهاد، كان آثماً أيضاً إذ كل ذلك تزيد على أمر الله وحكمه.

إن عليه أن يعلم بأن واجبه اتباع مجتهد في كل ما لا يستطيع فهمه من الأدلة

١ - سورة النحل الآية (٤٣).

الأصلية، و لم يكلفه الله تعالى أكثر من ذلك أي لم يكلفه بأي التزام، لا التزام التغيير في الأئمة ولا التزام التمسك بواحد على الدوام.

هذا هو الحكم المتفق عليه لدى العلماء والأئمة، ودليل ذلك من عدة وجوه: **الوجه الأول:** أن إيجاب التزام إمام واحد، أو التزام تغيير الأئمة، حكم زائد على الأصل الذي هو واجب الاتباع والتقليد، فلا بد له من دليل، ولا دليل له.

إذ لم يرد الدليل إلا ببيان أن على من لم يستطع تمحيص الأدلة واستنباط الأحكام منها أن يتبع إماماً توفرت لديه قدرة الاجتهاد، وكل شرط يزاد على مدلول هذا الدليل فهو ابتداع واختراع باطل لا يؤبه به، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما صح عنه: (كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط).[1]

والعجيب أن صاحب الكراس يستدل على ما يدعيه من حرمة التزام مذهب بعينه بهذا الذي نقوله من أنه لا دليل على وجوب الالتزام ثم يأمر المقلد مع ذلك بالتزام تغيير إمامه المتبع، ناسياً أنه قد ناقض نفسه وذاهلاً عن أنه هو بذاته قرر قبل قليل أنه لا دليل على وجوب الالتزام، وإذا كان إيجاب الالتزام أمراً لا دليل عليه كما نقول، فما الفرق بين أن يوجب المقلد على نفسه التزام التغيير أو التزام عدم التغيير؟ ولماذا يكون أولهما واجباً لا مناص منه وثانيهما محرماً لا مسوغ له، مع أن كلاً منهما داخل تحت الالتزام المنهي عن تصور وجوبه؟!.

وإذاً فليس على المقلد المعذور في تقليده إلا أن يعلم وجوب ذلك عليه، فإن اعتقد أن واجبه التزام إمام بعينة لا يتحول عنه، أو أن واجبه التزام التحول من إمام إلى آخر كل يوم فهو على خطأ ويجب تنبيهه إلى الصواب، أما إن علم أن الشارع لم يكلفه بالتزام إحدى الحالتين فهو على حق، سواء التزم (من الناحية العملية) إماماً بعينه و لم يتحول عنه أو كان دأبه التحول من إمام إلى آخر[2].

---

١ - أخرجه ابن حبان (٤٢٧٢) وروى الشيخان البخاري (٢٥٦٥) ومسلم (١٥٠٤) عن عائشة قريباً منه بلفظ: (ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط...).

٢ - ولكن يشترط لصحة التحول أن لا يدفعه إلى ذلك هوىً في نفسه وتطلع إلى التفلت من التكاليف والواجبات وأن لا يقلد أكثر من مجتهد واحد في عبادة واحدة عند جمهور الفقهاء والأصوليين، إذ لو فعل ذلك لاستلزم الإتيان بعبادة واحدة ملفقة من اجتهاد إمامين على صورة لا يقرها كل منهما وأن يعلم مذهب الإمام الجديد الذي تحول إليه فيما يريد أن يتبعه فيه.

الوجه الثاني: أننا نقول: إن هنالك عشر قراءات متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلى بها القرآن، وقد تجرد لخدمة كل قراءة من هذه القراءات إمام معين رواها وقرأ بها وأقرأها الناس وتتلمذوا عليه فيها وقد ثبت أن المسلم يقرأ بأي هذه القراءات شاء، كما ثبت أن المسلم العاجز عن الاجتهاد يقلد أي المذاهب الأربعة شاء أفيجب على المسلم إذاً أن يقرأ كل حين بقراءة جديدة، بحيث يحرم عليه التزام قراءة بعينها دون أن يتحول عنها؟! وهل قال أحد من المسلمين بهذا الكلام قديماً أو حديثاً؟ وصاحب الإنكار نفسه، أفيقرأ القرآن كل يوم بقراءة معينة غير التي قرأ بها في الأمس.

وما الفرق بين اتباع أئمة الفقه في فروع الدين، واتباع أئمة القراءات في قراءة القرآن؟ لماذا يجب على متبع الطائفة الأولى أن يلون ويغير... ولا يجب على متبع الطائفة الثانية أن يفعل مثل ذلك؟

سيقول بعضهم إن المسلم قد لا يتوفر إلا على تعلم قراءة واحدة وليس له من سبيل إلى معرفة سائر القراءات الأخرى، ونحن نقول مثل هذا في اتباع المذاهب أيضاً، إن المسلم قد لا يتوفر إلا على حفظ مذهب إمام واحد من الأئمة الأربعة وليس لديه من سبيل إلى حفظ مذاهب الأئمة الأخرى فيما يحتاجه من الأحكام فلماذا نعذر الأول ولا نعذر الثاني؟ على أن القضية ليست قضية عذر أو عدمه، ولكنها تعود إلى الدليل.

وليس لنا من دليل على وجوب التزام التغيير أو عدم التغيير لا في الاقتداء بأئمة القراءات ولا في الاقتداء بأئمة الفقه، فالحكم فيها إذاً سواء.

الوجه الثالث: أنه قد انقضى عصر الصحابة، وانقضى من بعده عصر التابعين وجاء بعد ذلك دور الأئمة الأربعة والعصر الذي يليه، ولم نسمع أن إماماً من أئمة هذه العصور كلها حذر المقلدين للأئمة والمفتين من أن يلتزموا مفتياً بعينه، ولم نسمع أن واحداً منهم أمر الناس أن يتنقلوا بين الأئمة يتلقون من جميعهم ويقلدون كل واحد منهم فترة من الوقت، بل الذي نعلمه عكس ذلك، إننا نعلم أن الخليفة كان يعلن اسم الإمام الذي عهد إليه بالإفتاء، ويوجه أنظار الناس في البلدة إليه، ليلقوه بأسئلتهم ويتبعوه في أمر دينهم، وربما منع الخليفة من دونه عن فتوى الناس، كي لا يضطربوا ويحتاروا فيما يواجههم من الفتاوى المختلفة.

لقد انفرد عطاء بن أبي رباح ومجاهد بالفتوى في مكة، وكان يصيح منادي الخليفة أن لا يفتي الناس إلا أحد هذين الإمامين[1].

ومضى على أهل مكة مدة طويلة من الزمن يلتزمون فيها مذهب هذين الإمامين، وما أنكر عطاء ولا مجاهد ولا غيرهما من الأئمة على الخليفة شيئاً من هذا الأمر ولا نهى واحد منهم الناس عن التزام مذهب إمام بعينه، وربما اطمأنت نفس بعض الناس إلى فتاوى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فكان لا يلقي بأسئلته واستفتاءاته إلا لهذا الصحابي الجليل، وما عرف أحد من العلماء أنه أو غيره من الصحابة نهى عن هذا الالتزام وأثم صاحبه من أجله وقد عاش أهل العراق أمداً طويلاً من الزمن وهم يلتزمون مذهب عبد الله بن مسعود، متمثلاً في شخصه أو في أشخاص تلاميذه من بعده، فلا ينكر عليهم أحد من أهل العلم هذا الالتزام، كما عاش أهل الحجاز أمداً مثله يلتزمون مذهب الحديث متمثلاً في شخص عبد الله بن عمرو وتلاميذه وأصحابه، فلا ينكر عليهم أحد من أهل العلم ذلك، وقد تمذهب ملايين من الناس، عواماً ومتعلمين وفقهاء بمذاهب الأئمة الأربعة كل يختار منها ما يشاء أو ما يسهل عليه أو ما هو أقرب إلى موطنه ومحل سكنه وقد سجلت كتب الطبقات أسماء آلاف مؤلفة من أعيانهم وأعلامهم، تقرأ تلك الأسماء في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وفي طبقات الحنابلة للحافظ القرشي، ولم يقل واحد منهم أو من أساتذتهم وأئمتهم إنه لا يجوز للمقلد في المذهب أن يلتزم مذهباً بعينه!!.. وها هو الإمام الذهبي رحمه الله يتحدث عن الفقهاء الذين التزموا مذهب أئمتهم مادحاً ومثنياً ومؤيداً لهم في ذلك، ما لم يتعصب أحدهم لمذهب إمامه مع انكشاف الدليل الصحيح له وفهمه له على وجهه.

يقول في رسالة (زغل العلم والطلب): الفقهاء المالكية على خير اتباع وفضل، إن سلم قضاتهم ومفتوهم من التسرع إلى الدماء والتكفير، ثم يقول: والفقهاء الحنفية أولوا التدقيق والرأي والذكاء والخير من مثلهم إن سلموا من التحيل والحيل على الربا وإبطال الزكاة... ثم يقول والفقهاء الشافعية من أكيس الناس وأعلمهم بالدين، فأساس مذهبهم مبني على اتباع الأحاديث الثابتة المتصلة، وإمامهم من رؤوس أصحاب

١ - انظر شذرات الذهب لابن العماد (١/١٤٨).

الحديث ومناقبه جمة، فإن حصلت ياهذا مذهبه لتدين ا لله به وتدفع عن نفسك الجهل فأنت بخير... ويقول عن الحنابلة فعندهم علوم نافعة وفيهم دين بالجملة ولهم قلة حظ في الدنيا والناس يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم وبأنه يلزمهم؟وهم بريؤون من ذلك إلا النادر وا لله يغفر لهم، وينهى هؤلاء المتمذهبين عن التعصب المذموم لأئمتهم واعتقاد الواحد منهم بأن مذهبه أفضل المذاهب كلها ويقول: (لا تعتقد أن مذهبك أفضل المذاهب وأحبها إلى ا لله تعالى فإنك لا دليل لك على ذلك ولا لمخالفك أيضاً، بل الأئمة رضي ا لله عنهم كلهم على خير كثير ولهم في صوابهم أجران على كل مسألة وفي خطئهم أجر واحد[1].

فتأمل يا أخي المنصف: هذا كلام الحافظ الكبير شمس الدين الذهبي، تلميذ الإمام ابن تيمية يثني على المذاهب الأربعة ويقرهم على الأخذ من أئمتهم والتزام اجتهاداتهم، ويثني عليهم بالذي رأيت من كلامه فيهم محذراً إياهم بإنصاف، من الانسياق في العصبية وترجيح رأي الإمام على ما اتضح لهم من الدليل المبين المفهوم، وتلك هي طبقات أعلام الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة، وذلك هو واقع التابعين والصحابة كما شرحته لك وأوضحت... وكل ذلك ناطق بأبين لسان مجمع بأقوى اتفاق على أن التزام المقلد لإمام معين لا يتحول عن تقليده، لا ضرر فيه ولا إثم ولا حرج... مالم يعتقد أن ا لله قد كلفه بهذا الالتزام، فهذا ما ننكره وينكره كافة المسلمين.

ما معنى تقليد الإمام والتمسك بمذهبه؟ وعندما توضح ما يعلمه كل مسلم منصف، من أن من لم يبلغ درجة الاجتهاد لا يسعه إلا أن يتبع إماماً مجتهداً سواء التزمه أو لم يلتزمه، ينبغي أن نوضح أيضاً معنى ضرورة اتباع هذا الإمام والتمسك بمذهبه، أهو التمسك بمذهبه لشخصه أو لمزية معينة في ذاته هو؟

معاذ ا لله... معاذ ا لله أن يكون في المسلمين من قال هذا، لقد علم جميع المسلمين منذ عصر الرسول صلى ا لله عليه وسلم إلى اليوم أن شريعة ا لله وحدها هي الحاكمة على الناس، وهي وحدها المنار لهم وأساس سلوكهم واقتدائهم.

ولكن لما اقتضت حكمة ا لله وسنته في خلقه أن يتفاوت الناس في العلوم

---

١ – انظر زغل العلم والطلب ص (١٤ و ١٥ و ١٦).

والمعارف عموماً وفي معرفة أحكام الشريعة الإسلامية خصوصاً كان لا بد ليخضع الجميع لشريعة الله وقانونه من أن يتمسك الجاهل بذيل العالم وأن يقتدي العالم بالأعلم، حتى يلتقي الجميع على صراط واحد هو صراط الله العزيز الحميد وهذه الحقيقة ماثلة حتى بالنسبة لا قتدائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن لا نقتدي به من حيث إنه محمد المتمثل بشخصه الإنساني المجرد، وإنما نقتدي به من حيث إنه مبلغ عن الله سبحانه وتعالى، ولذلك لا يقال: إن اتباع الكتاب أولى من اتباع السنة لأن كلام الله أحق وأولى بالاتباع من كلام البشر أياً كان، لأن موجب اتباعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كونه مبلغاً عن الله عز وجل فنحن إنما نتبعه لذلك فقط، وشأن ما بين الأئمة المجتهدين وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من التبليغ عنه والفهم لمراده المقصود بكلامه، مثل شأن ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وربه عز وجل من حيث التبليغ عنه وبيان ما نزل إليه من القرآن.

ولقد عبر الشاطبي عن هذا المعنى الذي أوضحته لك أجمل تعبير، قال في كتابه الاعتصام (٣/٢٥٠) مانصه: (إن العالم بالشريعة إذا اتبع في قوله وانقاد الناس في حكمه، فإنما اتبع من حيث هو عالم بها وحاكم بمقتضاها، لا من جهة أخرى، فهو في الحقيقة مبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، المبلغ عن الله عز وجل فيتلقى منه ما بلغ على العلم بأنه بلغ أو على غلبة الظن بأنه بلغ لا من جهة كونه منتصباً للحكم مطلقاً، إذ لا يثبت ذلك لأحد على الحقيقة، إنما هوثابت للشريعة المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت ذلك له عليه الصلاة والسلام وحده دون الخلق من جهة دليل العصمة).

ثم قال: (فإذاً المكلف بأحكام الشريعة لا يخلو من أحد أمور ثلاثة:

أحدها: أن يكون مجتهداً فيها فحكمه أداه إليه اجتهاده فيها...الخ.

والثاني: أن يكون مقلداً صرفاً خالياً من العلم الحاكم جملة، فلا بد له من قائد يقوده، وحاكم يحكم عليه، وعالم يقتدي به، ومعلوم أنه لا يقتدي به إلا من حيث هو عالم بالعلم الحاكم، ودليل ذلك أنه لو علم أو غلب على ظنه أنه ليس من أهل ذلك العلم لم يحل له اتباعه ولا الانقياد لحكمه، بل لا يصح أن يخطر بخاطر العامي ولا غيره تقليد الغير في أمر مع علمه بأنه ليس من أهل ذلك الأمر، كما أنه لا يمكن أن يسلم

المريض نفسه إلى أحد يعلم أنه ليس بطبيب، إلا أن يكون فاقد العقل، وإذا كان كذلك فإنما ينقاد إلى المفتي من جهة ما هو عالم بالعلم الذي يجب الانقياد إليه، لا من جهة كونه فلاناً أو فلاناً أيضاً، وهذه الجملة لا يسع الخلاف فيها عقلاً ولا شرعاً.

والثالث: أن يكون غير بالغ مبلغ المجتهدين ولكنه يفهم الدليل وموقعه ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتبرة في تحقيق المناط ونحوه، فلا يخلو إما أن يعتبر ترجيحه أو نظره أولا فإن اعتبرناه صار مثل المجتهد في ذلك الوجه، والمجتهد إنما هو تابع للعلم والحاكم، ناظر نحوه متوجه شطره، فالذي يشبه كذلك، وإن لم نعتبره فلا بد من رجوعه إلى درجة العامي، والعامي إنما اتبع المجتهد من جهة توجهه إلى صوب العلم الحاكم فكذلك من نزل منزلته).

إذا علمت هذا وتصورته وأنت مقبل إلى هذا الكلام بعقل منصف غير متعصب أدركت أن من الجهل الغريب والشنيع مايقوله صاحب الإنكار (اعلم أن المذهب الحق الواجب الذهاب إليه والاتباع له إنما هو مذهب سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الإمام الأعظم الواجب الاتباع) إلى أن يقول: (فإن كان الأصل هكذا فمن أين جاءت هذه المذاهب؟ ولماذا شاعت وألزمت على ذمم المسلمين) ثم يكيل ألفاظ السب والشتم لأتباع هذه المذاهب والمتمسكين بها! إنه يتجاهل ما يعلمه أي دارس لتاريخ التشريع الإسلامي عن نشأة المذاهب والمصدر التي جاءت منه، مما ذكرنا طرفاً منه في هذه الرسالة، ليوهم العوام من الناس أن اتباعها إنما كان بسبب تفضيل لها على مذهب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم!!... وقد انطلى هذا الوهم على كثير من العوام الذين لا يعلمون أي علم عن معنى الاجتهاد والتقليد ونشأة المذاهب، وتسللت هذه الخديعة إلى تفكيرهم حتى راح أحدهم يقول: حقاً يا أخي، أنحن أتباع رسول الله أم أتباع الشافعي وأي قيمة لمذاهب هؤلاء الأئمة أمام مذهب رسول الله؟!.

أليس هذا الإيهام خدعة يترفع عنها كل ذي مسكة من العلم والإنصاف والإخلاص لدين الله؟!.

أحقاً لا يعلم صاحب الإنكار حقيقة معنى اتباع المذاهب، وقد شرحها سائر العلماء في مئات الكتب والمراجع وأثبتها التاريخ في معظم مراجعه ومصادره، حتى يكون معذوراً بالجهل، عندما يقول للعامة هذا الكلام العجيب؟!

لئن كان جاهلاً بهذه الحقيقة الواضحة، ومع ذلك يتنطح لهذه الدعوة الخطيرة، فإنه لأمر مؤسف وشنيع، وإن كان يعلمها كما يعلمها جميع الباحثين والمثقفين، ولكنه يتجاهلها ليفسح المجال لبدعته أن تسير إلى أدمغة الناس فإن الأمر لينطوي على ما هو أشد وأشنع!!...

متى يجب الانقطاع عن تقليد المذاهب وإمامه

هنالك حالتان يجب فيهما على المقلد مهما كان شأنه، أن يمتنع عن مواصلة اتباع إمامه وتقليده.

الحالة الأولى: أن يصل في معرفة مسألة من المسائل إلى الإحاطة بها والاطلاع على كافة أدلتها ومعرفة كيفية استنباط الحكم منها، فإن عليه أن يتبع في تلك المسألة ما يهديه إليه اجتهاده وليس له أن يطوي ملكته العلمية فيها ليواصل السير وراء إمامه... فإن كانت ملكته هذه تتسع لأكثر من مسألة واحدة فالحكم فيها كذلك.

الحالة الثانية: إذا رأى حديثاً يدل على عكس ما يذهب إليه إمامه الذي يقلده في دينه، وتأكد من صحة الحديث ودلالته على الحكم، فإن عليه أن يتبع دلالة الحديث ويقلع عن التمسك بمذهب إمامه في الحكم، لأن الأئمة الأربعة جميعاً كانوا يوصون أصحابهم وتلاميذهم بالتحول إلى دلالة الحديث الصحيح إذا جاء مخالفاً لاجتهاداتهم، فالتحول إلى الحديث هو في الحقيقة من صميم المذاهب الأربعة، وهو قدر مشترك يلتقون عليه ويدينون به.

ولكن لذلك شروطاً لا بد من معرفتها ومراعاتها، فليس كل حديث يلمحه الباحث ويرى أنه يدل على خلاف اجتهاد إمامه، دالاً في الحقيقة على ما فهمه هذا الباحث.

وإليك ما يقوله في بيان ذلك الإمام النووي في كتابه المجموع:

(...وهذا الذي قاله الشافعي ليس معناه أن كل واحد رأى حديثاً صحيحاً قال هذا مذهب الشافعي وعمل بظاهره، وإنما هذا فيمن له رتبة الاجتهاد في المذهب على ما تقدم من صفته أو قريب منه، وشرطه أن يغلب على ظنه أن الشافعي رحمه الله لم يقف على هذا الحديث أو لم يعلم صحته، وهذا إنما يكون بعد مطالعة كتب الشافعي

كلها ونحوها من كتب أصحابه الآخذين عنه وما أشبهها وهذا شرط ضعيف قل من يتصف به،وإنما اشترطوا ما ذكرنا لأن الشافعي رحمه الله ترك العمل بظاهر أحاديث كثيرة رآها وعلمها، لكن قام الدليل عنده على طعن فيها أو نسخها أو تخصيصها أو تأويلها أو نحو ذلك)[1].

ولترك الإمام العمل بظاهر حديث ما، أسباب اجتهادية كثيرة، وأصلها ابن تيمية رحمه الله إلى عشرة أسباب، وأضاف إليها سبباً آخر هو أنه يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع عليها فإن مدارك العلم واسعة[2].

فإذا بحثنا عن أسباب ترك الإمام المجتهد لظاهر الحديث، و لم نعثر على سبب من الأسباب العشرة التي صورها ابن تيمية، فلا يجوز أن يعدل بعد ذلك عن دلالة الحديث الصحيح، بحجة أنه قد يكون له عذر لم نطلع عليه وقد تكون له حجة لم يذكرها، إذ أن تطرق الخطأ إلى العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية بعد معرفتها وتمحيصها وفهم المقصود منها[3].

فهذه هي أدلة مشروعية التقليد بالنسبة لمن لم يبلغ أن يكون مجتهداً وهذه هي أدلة جواز التزام المقلد مذهباً بعينه، وجواز عدم الالتزام، ذكرناها مفصلة واضحة ليس حولها أي غموض، ولا تكتنفها أية غاشية فإن كنت يا أخي القارىء منصفاً متحرراً من العصبية وحب الانتصار للذات والنفس أدركت أن ما قلته هو الحق.

أما إذا كنت مسوقاً بدافع من العصبية والأهواء النفسية، فإن كل هذا الذي أوضحته لك، ليس إلا كلاماً فارغاً لا قيمة له، وهيهات أن تجد فيه أي علاج لعصبيتك وأهوائك، إنما العلاج أن أدعو الله لي ولك أن ينجينا من حظوظ النفس ويبعدنا عن مطارح الهوى، ويهبنا نعمة الإخلاص لدينه والإنصاف في فهم شريعته.

ماذا يحدث لو أنساب الناس جميعاً في بيداء اللامذهبية

وبعد كل ما أوضحناه وسردناه من الأدلة القاطعة، نتسائل: لماذا أعرضنا عن

---

١ - المجموع للنووي (١/٦٤).

٢ - انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص (٣١).

٣ - انظر المرجع السابق.

كل هذه الأدلة ودعونا الناس (اجتهاداً منا) إلى الانطلاق من قيد المذاهب واتباعها والانسياح في رحب الاجتهاد.؟

وأقول لك في الجواب: ما يحدث لو دعونا الناس كلهم إلى الانطلاق، في مشاريعهم العمرانية، عن اتباع المهندسين والاستعانة بهم والاعتماد عليهم، وفي قضاياهم وعلاجاتهم الصحية عن اتباع الأطباء والاعتماد عليهم والأخذ بأقوالهم، وفي صناعاتهم وأسباب معايشهم عن اتباع أرباب الاختصاص في تلك الصناعات ونبذ الاستفادة من معلوماتهم ومهاراتهم ماذا يحدث لو دعونا الناس كلهم إلى الخروج عن اتباع هؤلاء المختصين والاستعاضة عن ذلك بالاجتهاد في كل ذلك واعتماد القناعة الذاتية التي تأتي بعد البحث والاجتهاد ثم صدقنا الناس في هذه الدعوة وفعلوا ذلك.؟

إن الذي سيحدث وراء ذلك بلا شك هو الفوضى المهلكة للعمران والحرث والنسل، يعمد الناس إلى تخريب بيوتهم عن طريق التعمير، ويسرعون إلى إزهاق أرواحهم باسم التطبيب، ويجرون على أنفسهم الفقر والضياع من وراء العمل والتصنيع. ذلك لأنهم وضعوا الاجتهاد في غير مكانه وطبقوه بدون شرطه، وتجاهلوا سنة الله في الكون من ارتباط فئات الناس بعضهم ببعض، في مجال التعاون والتناصر والتعليم والاسترشاد.

وهذه حقيقة يعلمها الناس جميعاً حتى الأطفال الصغار، وحتى دعاة اللامذهبية أنفسهم ولكن لماذا لا يفهم هؤلاء الناس هذا القانون نفسه في مجال الاختصاصات الدينية وأحكام الحلال والحرام؟!.. لا ندري!.

إن النتيجة التي ستحدث لدى اقتحام الناس جميعاً ميادين الاجتهاد في تلك الاختصاصات الدنيوية هي نفس النتيجة التي ستحدث لدى اقتحام الناس جميعاً ميادين الاجتهاد في العلوم الشرعية وأحكام الحلال والحرام.

عندنا اليوم فقه متكامل يتعلق بجميع أحوال الناس أفراداً وجماعات استخرجه ودونه الأئمة المجتهدون وأصحابهم العلماء، فهو اليوم متجسد ماثل أمامنا يقول لسان حاله لنا: ليس بينكم وبين أن تطبقوا هذا الفقه في قضاياكم المدنية والجنائية وغيرها إلا أن تصنفوه بطريقتكم المفضلة... فإذا عرضنا هذه الثروة الفقهية لرياح عاتية من الاجتهاد العام لكل المسلمين، كان مصير هذا الفقه مصير الهشيم الذي تذروه الرياح

الهائجة... وننظر، فإذا بنا من بنياننا الفقهي العتيد أمام أطلال ونثار من الأحجار والأنقاض المبعثرة هنا وهناك، وإنها لنتيجة لا يماري فيها إلا مكابر من طراز غريب، وأمام المسلم اليوم سبيل سائغة لفهم أحكام صلاته وصيامه وزكاته وسائر ما تتعرض له حياته الخاصة من القضايا الدينية، عن طريق دراسة كتاب صغير في مذهب من المذاهب الأربعة، يحوي خلاصة الأحكام الشرعية، ولا عليه أن لا يفهم أو يقف على أدلتها مادام غير مجتهد، كما كان عليه حال كثير ممن يستفتون كبار الصحابة والتابعين.

فإذا ما كلفت كل مسلم بالاجتهاد والنظر في الأدلة، وأقضيته عن هذه الكتب التي كان بوسعه أن يحفظ منها أحكام الحلال والحرام مقلداً أحد الأئمة، فمعنى ذلك أنك قد قلت له بكل صراحة ووضوح ليس حكم الله فيما يعترضك من مشكلات إلا ما تهديك إليه قناعتك الذاتية... وانتظر بعد ذلك أن تجد الشريعة الإسلامية كلها اسماً لا مسمى تحته، وعنواناً لا موضوع له، وبناء كمقبرة جحا، جدار أثبت فيه باب موصد بالأغلال ومن ورائه أرض سائبة ترتع فيها السباع والذئاب.أما إن انطلقت به بعد اقصائك إياه عن تلك الكتب وأئمتها، إلى كتب أخرى، ألفها واجتهد فيها أناس آخرون، فألزمته بهم وحملته على تقليدهم، فأنت لم تفعل بذلك شيئاً أكثر من أنك أوجبت عليه أن يتحول من تقليد الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد إلى تقليد فلان وفلان من المعاصرين، وليس لهذا الإلزام أي معنى إلا معنى الحقد والضغينة على الأئمة الأربعة وتابعيهم، والتعصب لفلان وفلان،والترويج لاجتهاداتهم.

لقد قلت[1] مرة لطالب صلى إلى جانبي وهو يحرك إصبعه في جلسة التشهد تحريكاً مستمراً: لماذا تحرك إصبعك هكذا؟ فقال: لأنه سنة واردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقلت: ماالحديث الوارد في ذلك وما درجته من الصحة، وما دليل النص الذي فيه على أن المقصود بالتحريك هذا التحريك المستمر؟ فقال الشاب: لا أدري ولكن سأسأل عن ذلك فلاناً من الناس....!لو أنه إذ وجد نفسه جاهلاً بالدليل قال: أقلد في ذلك مذهب الإمام مالك لاستراح وأراح وأدى الواجب الذي عليه.

إذاً فقد قضى هذا الإنسان على تمسكه بمذهب إمام من الأئمة الأربعة، لا لشيء

١ - المقصود الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

إلا ليرتبط بتقليد شخص آخر، ولو عاش هذا الإنسان عمره كله ملازماً هذا الشخص يأخذ عنه وحده لما قال له هؤلاء الناس: يحرم عليك التزام مذهب بعينه كما يقولون ذلك في حق المتمسكين بمذاهب الأئمة الأربعة!!...

أفرأيت إلى التعصب في أسوئ أشكاله وأعتى مظاهره؟!.(1)

---

١ - قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى: لا يهمنا أن يكون لهؤلاء اللامذهبيين اجتهادات خاصة في أحكام الشريعة الإسلامية، يخالفون فيها الجمهور من الأئمة، ويوافقون بها من يرون موافقتهم من الآخرين، لا يهمنا هذا، فربما بحث بعضهم وبذل من الجهد في بعض المسائل الفقهية ما جعله قادراً على الاجتهاد فيها وذلك في اعتقاده هو على أقل تقدير، وقد ترى رأياً يخالفهم في ماذهبوا إليه، وقد تفضل ما ذهب إليه الجمهور، وقد لا تقر قدرتهم على الاجتهاد، وقد نناقشهم في ذلك كله مناقشة أخوية هادئة إذا اقتضت المناسبة، ولكنا لا نجعل من رأيهم الذي اختاروه باسم النظر والأخذ من الكتاب أو السنة موضوع استنكار وسبب إثارة للنزاع أو الضجيج.

أجل فليس لنا من شأن بمن يفضل أن يحرك أصبعه أثناء التشهد، أو يفضل أداء صلاة التراويح ثماني ركعات، أو لا يرى في اعتقاده ما يسوغ قضاء المكتوبة الفائتة عمداً.. فقد وجد في الأئمة والفقهاء من قال بهذه الأقوال، وليس بدعاً في التاريخ الإسلامي أن يدعي أناس الاجتهاد فيختاروا لأنفسهم مذاهب في بعض المسائل الفقهية، سواء كانوا أهلاً للاجتهاد في الحقيقة أو لم يكونوا كذلك، ولكن الذي ننكره ويهمنا أمره هو أن يتخذ هؤلاء الناس من آرائهم التي ذهبوا إليها أسلحة ماضية يحاربون بها أئمة المذاهب ويقطعون بها النسب المتين بينهم وبين جماهير المسلمين ويثيرون بها الفتن في المساجد والأحياء في كل المناسبات الممكنة، تماماً كما هو حال أكثرهم الآن، لقد تركوا سبيل الدعوة إلى الله وإلى دينه، وأعرضوا عن المنحرفين وما هم فيه من ضلال وشكوك وغي، وانطلقوا يتصدون لكل متدين يخالفهم في اجتهاداتهم أو يصر على تمسكه بمذهب إمام من الأئمة الأربعة، أو يعلن عن ضعفه عن الاجتهاد وحاجته إلى التقليد، فيثيرون معهم جدالاً لا نهاية له، وينتهون بهم إلى شحناء لا مسوغ لها يتهمونهم بالضلال، ويرمون أئمتهم بالجهل ويصفون كتبهم بالصدأ والانحراف!!..

إن ظهرت في يد أحد سبحة يضبط بها أوراده انقضوا عليه بالتسفيه والرمي بالضلال والابتداع، وإن صلى المؤذن على رسول الله جهراً عقب الأذان، لوحوا له بتهمة الشرك وحذروه من العود إلى مثلها، وإن آثر الناس أن يصلوا التراويح في مسجدهم عشرين ركعة، عصفوا في المسجد بفتنة لا أول ولا نهاية لها، وربما هاج الناس بسبب ذلك وماجوا في داخل المسجد حتى ترتفع الأصوات فيه بالسباب والمهاترات، ولاأزال أذكر ليلة من ليالي رمضان زارني فيها بعد العشاء جمع من عوام الناس وبسطائهم يزيدون على خمسة عشر رجلاً، وقد لاحت على وجوههم وفي أصواتهم آثار خصومة أقبلوا علي توا منها، وراحوا يناشدونني العمل على إيقاف فتنة هوجاء قامت في مسجدهم بسبب من قام بينهم يحرم مازاد من صلاة التراويح على ثماني ركعات وظل يلاحيهم حتى اشتدت الفتنة في داخل المسجد وتحول بيت الله إلى حلبة صراع في سبيل الشيطان!

ماذا يضر هؤلاء أن يصلوا التراويح كما يحبون ويتركونا نحن أيضاً نصلي كما نعتقد تقليداً منا أو اجتهاداً؟! أليس كل همهم أن يزعموا لأنفسهم القدرة على فهم أحكام الشريعة من الكتاب والسنة دون التقيد بمذهب إمام من الأئمة المجتهدين؟

فها نحن تركناهم يزعمون لأنفسهم ذلك فليؤسسوا لأنفسهم كما يحبون مذهباً جديداً شامخاً إلى جانب المذاهب الأربعة المدونة، يشيدونه على عشر مسائل فقط من مسائل العبادات، ليرتقوا في هذه المسألة كما يشتهون وليناأوا عن فقه الأئمة واجتهاداتهم قدر ما يحبون.! ولكن فيما التعرض بعد ذلك كله للآخرين بالتجهيل والتسفيه والتضليل؟!. فيم يسطون ألسنتهم بالسوء والسخرية إلى أئمة المذاهب الأربعة وإلى الكثير من كتبهم واجتهاداتهم ومقلديهم؟! فيم إضاعة الوقت بتلقف ما يسمونه بسقطات أبي حنيفة؟!.

فيم التصدر في المجالس للطعن بالشافعي والسخرية من فقهه لأنه أفتى بصحة نكاح الرجل من البنت

فأي إنسان منصف يستسيغ نبذ تلك الأدلة التي سقناها على ضرورة تقليد المسلم واحداً من الأئمة المجتهدين مادام عاجزاً عن الاجتهاد، ثم دعوة الناس جميعاً إلى أن يجتهدوا وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، وأن يتحللوا من تقليد الأئمة المجتهدين وإن اتبعهم من قبلهم ملايين المسلمين، وأن يستخرجوا أحكام الحلال والحرام من الكتاب والسنة كما يفهمون وكما يتخيلون، وإن مزقوا بذلك شريعة الله بين أوهامهم وأخيلتهم المتنوعة المختلفة؟

وأي إنسان لا يعلم أن فتح هذا الباب على مصرعيه أمام جميع الناس على اختلافهم إنما هو تمكين للمتربصين بالإسلام وشريعته من أن يمزقوها إرباً إرباً بسكين الاجتهاد؟!.

وهل في عالمنا العربي مثقف وعى شيئاً من واقع التاريخ الحديث لا يعلم السبيل

التي انعقدت من مائه بطريق السفاح؟ وهو لو قرأ كلام الشافعي في ذلك في كتابه (الأم) لتطوح ذاهلاً في تلافيف جهل عجيب؟!

وقد يقول رجل من أمثال الشيخ....: معاذ الله إننا لا نبخس الأئمة حقهم ولا نمد ألسنتنا إلى المذاهب بأي سوء!... أجل قد يقول ذلك في بعض المجالس ولكن واقع أمره لا يصدق ما يقول بل هو نقيض ما يقول، إن الذي يحترم الأئمة الأربعة ويحترم مابذلوه من جهد لتجلية أحكام الشريعة الإسلامية واستخراجها من الكتاب والسنة لا يقول في تعليق له على حديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام بدون مناسبة ولا مسوغ: (هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشر عنا ويقضي بالكتاب والسنة لا بغيرهما من الإنجيل أو الفقه الحنفي ونحوه!!).

تأمل هذا الكلام!! تأمل معنى قوله: لا بغيرهما من الإنجيل والفقه الحنفي. إن الرجل يعتقد إذاً أن الفقه الحنفي ما هو إلا كالإنجيل شيء لا علاقة له بالشريعة الإسلامية أو الكتاب والسنة!! أفيوجد مسلم يتقي الله في معرفة الحق، ثم لا يعلم أن الفقه الحنفي ليس إلا أحكاماً مستنبطة من الكتاب أو السنة أو القياس والتخريج عليهما، وأن إمام هذا الفقه أبا حنيفة رضي الله عنه إنما تقرب بذلك إلى الله في تجلية أحكام كتابه وسنة نبيه ولم يتقرب إلى الشيطان في اختراع فقه آخر إلى جانب الإنجيل ليعارض به حكم القرآن بقطع النظر عن أنه رضي الله عنه أخطأ في بعض اجتهاداته أو أصاب.؟!

ثم من هو هذا الذي قال: إن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام سيأتي أعجز من الشيخ ... في معرفته بالكتاب والسنة حتى لا يستطيع الاجتهاد ويضطر إلى تقليد الأئمة في أحكام الشرع ويختار من بينهم الإمام أبا حنيفة بالذات أصحيح أن في الحنفية من ادعى هذا الكلام...؟ قد... قد يوجد من يشذ تفكيره وعقله فيهرف بهذا اللغو، ولكن السلوك العلمي الصحيح في هذه الحال، هو أن يذكر لنا الشيخ .... إسم هذا القائل، ويحدد مكان كلامه هذا من الكتاب الذي ورد فيه، ثم يرد عليه بالكلام العلمي الذي لا يعجز عنه كل مخلص لدين الله ومقدر لأئمة الإسلام، وهو أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قادر على أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة، وأن ذلك أقل ما يمكن أن يتصف به رسول الله عيسى عليه السلام وفي هذه الحال فإن تقليد الأئمة غير وارد في حقه، وليس من العمل العلمي ولا الإسلامي الصحيح أن يستغل الشيخ ... مناسبة الرد على مثل هذا الكلام، للطعن في فقه الإمام أبي حنيفة ولزعم أنه شيء غير الشريعة الإسلامية تماماً كالإنجيل الذي هو غيرها، ولعلك تستعظم أيها القارىء المسلم صدور هذا الكلام من أي إنسان مسلم!... إذاً فارجع إلى كتاب مختصر صحيح مسلم للمنذري واقرأ التعليق الذي كتبه الشيخ ...عليه ص (٣٠٨).

الذي نفذت منه بريطانيا عقب احتلالها لمصر، إلى الشريعة الإسلامية تعبث بها كما تشاء؟ لقد كان الإسلام في نظر اللورد كرومر متأخراً جامداً يستعصي على التطور، وكان يبحث عن وسيلة سائغة لإفلات المجتمع المصري من هذا القيد... وكانت الوسيلة السائغة البارعة بث فكرة الاجتهاد في صدور أولئك الرجال الذين كانوا يؤمنون بضرورة تطور المجتمع الأوربي الحديث،وما هو إلا أن سلمت لهؤلاء الرجال المناصب الدينية الحساسة كالإفتاء ومشيخة الأزهر وإدارته، حتى انطلق الرجال الذين آمنوا بالمجتمع الأوربي في كثير من مظاهره وقيمه، يدعون شيوخ الأزهر وعلماءه إلى الاجتهاد قفزاً فوق شروطه حتى ذهب الشيخ المراغي إلى أن للمجتهد أن لا يكون عالماً باللغة العربية وقام رسل بريطانية يجتهدون في الشريعة الإسلامية، وانتهوا في اجتهادهم إلى تغيير قانون الأحوال الشخصية، فقيدوا تعدد الزوجات، وحق الطلاق، وساووا بين الرجل والمرأة في الميراث وانطلقت الفتاوى الاجتهادية نشيطة، تنكر الحجاب، وتجيز نسبة معينة من الفوائد الربوية في البنوك وكانوا يصفون أرباب هذه الفتاوى بسعة الأفق ومرونة الفكر وتفهم روح الإسلام.[1]

فما هي الفائدة التي ينبغي أن نستفيدها من هذا الواقع القريب؟

ما هو المسوغ لتهديم بنائنا الفقهي العظيم الذي شيد بأيدي أئمة مجتهدين مخلصين بإجماع القرون الماضية كلها، ثم لفتح باب الاجتهاد أمام الجميع ونبذ التمسك بالمذاهب الأربعة وإن الوباء الذي اقتحم باب الاجتهاد بالأمس موجود بذاته اليوم، وإن الأيدي التي تتهيأ لتمزيق أحكام الإسلام بسكين الاجتهاد اليوم أضعاف الأيدي التي فعلت ذلك بالأمس؟ دعو المسلمين يا هؤلاء يسيرون وراء أئمتهم التي أطبقت القرون كلها على مشروعية تقليدهم واتباعهم، واجتهدوا إن كنتم تريدون الاجتهاد في استخراج أحكام المشكلات الحديثة التي لم تكن موجودة بالأمس و لم يتحدث عنها الأئمة في أيامهم، ولسوف ندعوا لكم بالتوفيق وسداد الفكر والرأي.

ولكنكم ويا للعجب تعرضون عن الجديد الذي لم يتحدث عنه الأئمة السابقون مما يجب الاجتهاد فيه ومعرفة حكمه في هذا العصر كالتأمين على الحياة والبضاعة،

---

١ - أنظر كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٢٩٨) فما بعد، و كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين(٤/٣٥٠) فما بعد.

وكأنواع الشركات المغلفة والمساهمة وغيرها، وكأنواع الضمانات الاجتماعية المعروفة اليوم، والتعويضات الداخلة في العقود ومختلف العقود الجديدة على الأرض بين ملاكها ومستأجريها... الخ. تعرضون عن البحث في هذا كله، ثم تمضون في تسفيه اجتهادات الأئمة الأربعة وتحذير عامة الناس من اتباعهم والاقتداء بهم!!.. أجل وا لله، ما رأيت واحداً من هؤلاء اللامذهبيين، بحث ذات يوم في مسألة من هذه المسائل الطارئة الجديدة التي يتساءل العوام كل يوم عن حكمها، إنما يوفر الواحد منهم جهده كله لتهديم ما تم بناؤه واستقرت أحكامه وأعذر كل من المجتهدين والمقلدين أمام ا لله في الأخذ به فأبرؤوا بذلك ذممهم وأدوا حق ا لله في أعناقهم!.

يا هؤلاء دعوا الأحكام المستقرة التي دونها صفوة أئمة المسلمين وتقبلها منهم المسلمون جيلاً بعد جيل، وشمروا لنا الساعد للاجتهاد في هذه المسائل الطارئة الجديدة التي لم يسبق لأحد من الأئمة فيها نظر أو بحث والتي يشكوا عامة المسلمين جهلهم بحكم ا لله فيها، فإن خرجتم من اجتهادكم فيها بشيء وربطتم بينها وبين أدلتها من الكتاب والسنة وأبرزتم وجه استنباط الأحكام منها، سلمنا إليكم عندئذ رقاب الأئمة الأربعة معاً وتركنا كم تنسخون اجتهاداتهم باجتهاداتكم ودعونا الناس جميعاً إلى اتباعكم من دونهم.

خلاصة مناقشة جرت بين فضيلة الدكتور (محمد سعيد رمضان البوطي) حفظه ا لله تعالى وبين بعض اللامذهبيين، قال فضيلته في اللامذهبية:

لعل هذا الفصل يفوق في الأهمية سائر فصول هذه الرسالة!. وليس السبب في ذلك، ما قد تجده فيه من نقاط وموازين علمية جديدة، فقد ذكرنا من الأدلة العلمية المختلفة مايزيد عليه. ولكن السبب ما ستجده فيه من مظاهر العصبية التي قد لاتجدها عند أي ذي عقل من البشر!. يتهمنا هؤلاء بالعصبية، لأنا لانرضى أن نتحول عن الحق الذي يقوم على ألف دليل ودليل، ولكنك ستجدهم من خلال هذا الفصل كيف يحبسون أنفسهم في أقفاص من العصبية المذهلة حتى ولو اقتضاهم ذلك أن يستنجدوا بالتباله والجنون!.

ولست في هذا الفصل متقولاً ولا متجنياً على أحد.. ولن آتي بكلمة واحدة فيه من دنيا الوهم أو الخيال ولقد قلت للأخ الذي ناقشته في هذا البحث -وهو يهدر إليّ

بكلامه المذهل العجيب -سوف أنشر ماتقول إن أبيت إلا إصراراً عليه. ويعلم ا لله أني ماقلت ذلك له إلا وأنا أقصد إيقاظه إلى شيء من التدبير والتريث فيما يقول!. ولكن الرجل قال لي: انشر ما تريد فلست خائفاً!.

ولسوف أتجنب التعريف بهذا الرجل وأضرب صفحاً عن ذكر اسمه، وحسبك أن تعلم أنه ممن يعلّم اللامذهبية لامن يتعلمها. وهو على ذلك إنسان فاضل، وشاب مستقيم، لولا هذه اللوثة التي قذفت به وبتفكيره إلى أقصى قاع في وادي العصبية العجيبة!.

جاء ومعه بعض الشبان الطيبين الذي دأبهم البحث عن الحق في سائر مظانه، وبدأت معه الحديث فقلت له:

ما هي طريقتك في فهم أحكام ا لله؟ أتأخذها من الكتاب والسنة أم من أئمة الاجتهاد؟.

فقال: أستعرض أقوال الأئمة وأدلتهم عليها، ثم أعتمد أقربها إلى دليل الكتاب والسنة!..

قلت: لديك خمسة آلاف ليرة سورية، مر عليها من الزمن ستة أشهر وهي مخزونة عندك، ثم اشتريت بها بضاعة وأخذت تتاجر بها فمتى تدفع زكاة هذه البضاعة؟ بعد ستة أشهر أخرى أم بعد عام كامل؟.

قال وهو يفكر: معنى سؤالك هذا أنك تقرر بأن أموال التجارة تجب فيها الزكاة!.

قلت: إنني أسأل، والمطلوب أن تجيبني بطريقتك الخاصة، وهذه هي المكتبة أمامك، فيها كتب التفسير والسنّة وكتب الأئمة المجتهدين.

وفكر الرجل قليلاً ثم قال:

يا أخي هذا دين، وليس أمراً يسيراً، يمكن الإجابة عليه عفو الخاطر، لابدّ لذلك من نظر ومراجعة ودرس، ولابدّ لذلك كله من وقت، ونحن إنما جئنا لنبحث موضوعاً آخر!.

حسناً. . وهل يجب على كل مسلم أن يستعرض أدلة الأئمة ثم يأخذ بأوفقها مع الكتاب والسنة؟

قال: نعم.

قلت: معنى ذلك أن الناس كلهم يملكون من الطاقة الاجتهادية ما يملكه أئمة المذاهب، بل إنهم يملكون طاقة أعظم وأتم، لأن الذي يستطيع أن يحكم على آراء الأئمة أو يحكم لها على أساس من مقياس الكتاب والسنة فهو بلا ريب أعلم منهم جميعاً!!.

قال: الحقيقة أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: مقلّد، ومتبع، ومجتهد، فهذا الذي يتمكن من مقارنة المذاهب ببعضها وانتقاء ما كان أقرب منها إلى الكتاب، إنما هو متبع، وهو مستوى وسط بين التقليد والاجتهاد.

قلت: فما هو واجب المقلد؟

قال: يقلد من المجتهدين من اتفق.

قلت: وهل عليه من حرج أن يقلّد واحداً منهم ويلازمه ولايتحول عنه؟

قال: نعم يحرم عليه ذلك.

قلت ما الدليل على حرمة ذلك؟

قال: الدليل أنه التزم شيئاً لم يلزمه الله عز وجل به.

قلت: بأي القراءات السبعة تقرأ القرآن؟

قال: بقراءة حفص.

قلت: أفتلتزم القراءة بها، أم تقرأ كل يوم بقراءة مختلفة؟

قال: بل أنا ألتزم القراءة بها.

قلت فلماذا تلتزم ذلك، مع أن الله عز وجل لم يلزمك إلا أن تقرأ بالقرآن كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم متواتراً؟

قال: لأنني لم أتوفر على دراسة القراءات الأخرى، و لم يتيسر لي القراءة إلا على هذا الوجه.

قلت: فهذا الذي درس الفقه على المذهب الشافعي، هو الآخر لم يتوفر على دراسة المذاهب الأخرى و لم يتيسر له أن يتفقه في أحكامه الدينية إلا على هذا الإمام، فإن ألزمته بمعرفة اجتهادات الأئمة كلها حتى يأخذ بجميعها لزمك أنت أيضاً أن تتعلم جميع القراءات حتى تقرأ بها كلها، وإن اعتذرت عن نفسك بالعجز كان عليك أن تعذر هذا المقلد أيضاً. وعلى كل فنحن نقول: ومن أين لك بأن على المقلد أن يلازم التحول من مذهب إلى آخر. مع أن الله لم يلزمه بذلك، أي كما لم يلزمه بالاستمرار على مذهب بعينه لم يلزمه أيضاً بالتحول المستمر!..

قال: إن الذي يحرم عليه إنما هو الالتزام مع اعتقاد أن الله أمره بذلك.

قلت: هذا شيء آخر، وهو حق لاشك فيه ولاخلاف. ولكن هل عليه من حرج أن يلازم مجتهداً بعينه وهو يعلم أن الله لم يكلفه بذلك؟

قال: لاحرج عليه.

قلت: ولكن الكراس الذي تدّرس فيه، يذكر خلاف ماتقول إنه يقرر حرمة ذلك بل ويقرر في بعض الأماكن كفر الذي يلازم اتباع إمام معين لايتحول عنه.

قال: أين؟.... ورجع إلى الكراس بتأمل نصوصه وعباراته. وراح يتأمل قول صاحب الكراس (بل من التزم واحداً بعينه في كل مسائله فهو متعصب مخطئ مقلد تقليداً أعمى وهو ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعاً). فقال: يقصد بالالتزام أن يعتقد وجوب ذلك عليه شرعاً، العبارة فيها قصور!...

قلت: وما الدليل على أنه هكذا يقصد، ولماذا لاتقول إن المؤلف مخطئ؟

وأصر الرجل على أن العبارة صحيحة، وأنها على تقدير محذوف، وأن المؤلف معصوم عن أي خطأ فيها!..

قلت ولكن العبارة على هذا التقدير لاتواجه أي خصم، وليس لها أي فائدة فما من مسلم إلاّ وهو يعلم أن اتباع إمام بعينه من أئمة المذاهب الأربعة ليس واجباً من

الواجبات الشرعية، ومامن مسلم يلازم مذهباً إلا وهو يفعل ذلك عن رغبة واختيار منه.

قال: كيف؟ إنني أسمع من كثير من النـاس وبعض أهل العلم أنه يجب شرعاً ملازمة مذهب بعينه حتى إنه لايجوز التحول منه إلى غيره!...

قلت له: اذكر لي اسم واحد فقط مـن العـوام أومـن أهل العلم قـال لـك هـذا الكلام.

وسكت الرجل، ولكنه تعجب من أن يكون كلامي صحيحـاً، وظـل يـردد: أن كل مايتصوره هو أن كثيراً من الناس يحرمون التنقل من مذهب إلى آخر.

قلت له: لاتجد اليوم ولاواحداً يعتقد هذا الوهـم البـاطل، نعـم رووا عـن بعـض العصور الأخيرة من عهد العثمانيين أنهم كانوا يستعظمون تحول الحنفي من مذهبـه إلى مذهب آخر، ولاشك أن ذلك كان منهم -إن صح النقل- غاية في السخف والعصبية المقيتة العمياء.

قلت له بعد ذلك: ومن أين لك هذا الفرق بين المقلد والمتبع، أهو فرق لغوي أم اصطلاحي.

قال: بل بينهما فرق لغوي.

وجئته بمراجع اللغة ليثبت منها الفرق اللغوي بين الكلمتين فلم يجد شيئاً.

ثم قلت: إن أبا بكر رضي الله عنه قال لأعرابي اعترض على الدخل الذي أقـره المسلمون له: (إذا رضي المهاجرون فإنما أنتم تبع) فقد عبر بالتبعية عن الموافقة التي ليس معها أي حق في النظر والمناقشة والبحث.

قال: فليكن فرقاً اصطلاحياً... أليس من حقي أن أصطلـح علـى شـيء؟ قلـت: بلى، ولكن اصطلاحك هذا لن يغير من حقيقة الأمر. فهذا الذي تسـميه متبعـاً إمـا أن يكون خبيراً بالأدلة وطرق الاستنباط منها، فهو إذاً مجتهـد. وإن لم يكـن خبـيراً بهـا أو غير قادر علىاستنباط الأحكام منها، فهو إذاً مقلد. وإن كان في بعض المسـائل هكـذا، وفي بعضهـا هكـذا، فهـو إذاً مقلـد في البعـض ومجتهـد في البعـض. فالقسمة إذاً ثنائيـة

على كل حال، وحكم كل منهما واضح ومعروف.

قال: إن المتبع هو ذاك الذي يستطيع أن يمايز بين الأقوال وأدلتها ويرجح البعض منها على الآخر. وهذه مرتبة مختلفة عن محض التقليد.

قلت: إن كنت تقصد بالتمييز بين الأقوال، تمييزها عن بعضها بقوة الدليل وضعفه فتلك أرفع رتبة في الاجتهاد. وهل بوسعك أن تكون أنت شخصياً كذلك.

قال: إني أفعل ذلك جهد استطاعتي.

قلت له: أنا أعلم بأنك تفتي بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد إنما يقع طلقة واحدة، فهل رجعت قبل فتواك هذا إلى أقوال الأئمة وأدلتهم في ذلك، ثم مايزت بينها فأفتيت بناء على ذلك؟... إن عويمر العجلاني طلق زوجته ثلاثاً في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن لاعن منها. فقد قال: كذبتُ عليها يارسول الله إن أمسكتها، هي طالق ثلاثاً. فما علمك بهذا الحديث وموقعه من هذه المسألة ومدى دلالته على مذهب الجمهور أو مذهب ابن تيمية؟.

قال: لم أطلع على هذا الحديث.

قلت: فكيف أفتيت بهذه المسألة مخالفاً فيها ما أجمعت عليه المذاهب الأربعة، دون أن تقف على أدلتهم ومدى ضعفها أو قوتها؟... فها أنت قد تركت مبدأك الذي تقول إنك قد ألزمت نفسك به وتحاول أن تلزمنا به، وهو مبدأ (الاتباع) بالمعنى الذي اصطلحت عليه!...

قلت: فما الذي حملك على أن تتعجل بالفتوى، مخالفاً فيها جمهور المسلمين، وأنت لم تطلع بعد على شيء من أدلتهم؟.

قال: فماذا أفعل وقد سئلت... وليس لدي إلا قدر محدود من المراجع؟.

قلت: كان يسعك ماوسع العلماء والأئمة جميعاً، وهو أن تقول: لاأدري، أو أن تنقل له رأي المذاهب الأربعة، ورأي المخالفين دون أن تفتي بأحد القولين. كان يسعك أن تفعل ذلك، بل كان هذا هو واجبك، خصوصاً وإن المشكلة لم تنزل بك أنت حتى تكون مضطراً إلى الأخذ بمخرج ما من الأمر!.. أما أن تفتي بالرأي المخالف لإجماع

الأئمة الأربعة وأنت لم تطلع -باعترافك- على أدلتهم، مكتفياً بانشراح قلبك لأدلة المخالفين، فهذا منتهى التعصب الذي تتهمونا به.

قال: لقد اطلعت على آراء الأئمة الأربعة في الشوكاني وسبل السلام وفقه السنة لسيد سابق.

قلت: فهذه كتب خصوم الأئمة الأربعة في هذه المسألة، وكلها ينطق من طرف واحد، ويذكر من الحجج مايقوي طرفه. أفترضى أن تحكم على أحد الخصمين بناء على سماع كلامه فقط، وكلام شهوده وأقاربه؟..

قال: إنني لا أرى في تصرفي هذا مايستوجب أي لوم، لقد كان عليّ أن أفتي السائل وهذا مبلغ ما استطعت أن أصل إليه بفهمي.

قلت: أنت تقول بأنك متبع، وأن علينا جميعاً أن نكون كذلك، وفسرت الاتباع باستعراض أقوال المذاهب كلها ودراسة أدلتها واعتماد أقرب هذه المذاهب إلى الدليل الصحيح. وأنت في تصرفك هذا ضربت بمبدئك عرض الحائط. أنت تعلم أن إجماع المذاهب الأربعة على أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثاً، وتعلم أن لهم أدلة على ذلك وأنت لم تطلع عليها. ومع ذلك تحولت عن إجماعهم إلى الرأي الذي تشتهيه نفسك. أفكنت على يقين سلفاً بأن أدلة الأئمة أدلة مردودة.

قال: لا، ولكني لم أطلع عليها، إذ لا مرجع عندي لها.

قلت: فلماذا لم تنتظر؟.. لماذا استعجلت و لم يكلفك ا لله بذلك أبداً؟... أفكان عدم اطلاعك على أدلة الجمهور دليلاً يقوي رأي ابن تيمية؟... هل التعصب الذي تتهموننا به زوراً شيء آخر غير هذا؟

قال: لقد رأيت في الكتب التي توفرت لديَّ أدلة أقنعتني، وماكلفني ا لله بأكثر من ذلك.

قلت: فإذا رأى المسلم فيما اطلع عليه من الكتب دليلاً على شيء، أفيكفيه ذلك موجباً لترك المذاهب التي خالفت فهمه وإن لم يطلع على أدلتها؟

قال: يكفيه ذلك!...

قلت: شاب جديد العهد بالتدين، ليس له أي حظ من الثقافة الإسلامية، قرأ قوله تعالى: ﴿و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم﴾[1] ففهم منه أن للمسلم أن يتجه في صلاته إلى أي جهة شاء، كما يدل على ذلك ظاهر اللفظ، ولكنه سمع أن الأئمة الأربعة مجمعون على ضرورة اتجاهه إلى الكعبة، وعلم أن لهم على ذلك أدلة ولكنه لم يطلع عليها. فماذا يفعل إذا قام إلى الصلاة، أيتبع قناعته من الدليل الذي توفر لديه أم يتبع الأئمة الذين أجمعوا على خلاف مافهم؟

قال: بل يتبع قناعته...!!

قلت: ويصلي إلى جهة الشرق مثلاً، وتكون صلاته صحيحة؟!..

قال: نعم، إذ هو مكلف باتباع قناعته الذاتية!...

قلت: فهب أن قناعته الذاتية أوحت إليه أن لاحرج عليه في أن يزني بحليلة جاره وأن يملأ جوفه خمراً وأن يسلب أموال الناس بدون حق، أفيحل الله له ذلك كله بفضل (قناعته الذاتية)؟!...

وسكت الرجل قليلاً ثم قال: على كل، هذه الصورة التي تسألني عنها صورة وهمية لاتتحقق.

قلت: هي ليست وهمية، بل ما أكثر ما يتحقق مثلها وأغرب منها. شاب لاعلم له بالإسلام وكتابه وسنته، وسمع عرضاً أو قرأ صدفة هذه الآية، فعلم منها مايعلم كل عربي ينظر إلى ظاهر اللفظ، أن لاحرج في أن يتجه المصلي إلى أي جهة يشاء، رغم مايراه من اتجاه الناس إلى الكعبة دون سواها... أمر طبيعي التصور والوقوع، مادام في المسلمين من يجهل كل شيء عن الإسلام. وعلى كل فقد حكمت على هذه الصورة (وهمية كانت أو حقيقية) بحكم غير وهمي، واعتبرت القناعة الذاتية هي المحكّمة على كل حال، وهذا يناقض تقسيمك للناس إلى ثلاث فئات مقلّدين ومتبعين ومجتهدين.

قال: إن عليه أن يبحث... ألم يقرأ حديثاً أو أي آية أخرى؟

قلت: لم تتوفر لديه مصادر البحث، تماماً كما لم تتوفر لديك عندما أفتيت في

---

١ - سورة البقرة الآية (١١٥).

مسألة الطلاق، و لم يتح له أن يقرأ غير هذه الآية مما يتعلق بأمر القبلة وتعيينها، أفلا تزال مصراً على أنه يتبع قناعته الذاتية، ويترك إجماع الأئمة؟.

قال: نعم، إذا لم يستطع أن يتابع النظر والبحث، فقد أعذر، وحسبه أن يعتمد على ماهداه إليه نظره وبحثه!.

قلت: إنني سأنشر عن لسانك هذا الكلام... إنه لكلام خطير وعجيب!.

قال: انشر ماشئت إنني لاأخاف.

قلت: وكيف تخاف مني، إذا كنت لاتخاف من الله عز وجل، وتطرح بكلامك هذا قوله عز وجل: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ عرض الحائط!.

قال: يا أخي هؤلاء الأئمة غير معصومين، أما الآية التي اعتمدتها فهي كلام المعصوم جل جلاله، فكيف يترك المعصوم ويلحق بذيل غير المعصوم؟

قلت: ياهذا، المعصوم هو المعنى الحقيقي الذي أراده الله بقوله: **﴿و لله المشرق والمغرب..﴾** وليس المعصوم هو فهم هذا الشاب البعيد كل البعد عن ثقافة الإسلام وأحكامه وطبيعة قرآنه. أي فالمقارنة التي أسألك عنها هي بين فهمين اثنين فهم هذا الشاب الجاهل، وفهم الأئمة المجتهدين وكلاهما غير معصومين، إلا أن أحدهما موغل في الجهل والسطحية، والآخر موغل في البحث والعلم والدقة.

قال: إن الله لايكلفه بأكثر مما وصل إليه جهده!..

قلت: أجبني إذاً على هذا السؤال: رجل له طفل مريض يعاني من بعض الالتهابات. أشرف عليه جميع أطباء البلدة، واتفقوا على إعطائه علاجاً معيناً، وحذروا والده من أن يحقنه بالبنسلين، وأخبروه بأنه لو فعل ذلك عرض حياة الطفل للهلاك.. إلا أن والد الطفل يعلم مما قرأ في بعض النشرات الطبية أن البنسلين يفيد في حالات الالتهاب. فاعتمد على معلوماته الخاصة في ذلك ونبذ كلام الأطباء لأنه لا يعلم دليلهم على ماقالوا، فاستعمل (قناعته الذاتية) وعالج الطفل بحقنة بنسلين انتقل على أثرها إلى رحمة الله. أفيقاضى ويأثم فيما فعل أم لا؟.

ففكر الرجل قليلاً، ثم قال: هذه غير تلك!.

قلت بل هي عينها: سمع عن إجماع الأطباء، كما سمع ذاك عن إجماع الأئمة، ولكنه اعتمد على نص قرأه دون سواه في نشرة طبية، كما اعتمد ذاك نصاً قرأه دون سواه في كتاب الله عز وجل. واستعمل هذا قناعته الذاتية كما استعمل ذاك قناعته الذاتية!.

قال: يا أخي القرآن نور.. نور.. وهل النور في دلالته مثل أي كلام آخر؟.

قلت: ونور القرآن ينعكس إلى عقل أي ناظر وقارئ فيفهمه نوراً كما أراد الله؟! فما الفرق بين أهل الذكر وغيرهم إذاً، ماداموا جميعاً ينهلون من هذا النور؟

المثالان سواء.. لافرق بينهما إطلاقاً، ولابدّ أن تجيبني: أيتبع الباحث فيهما قناعته الذاتية أم يتبع ويقلّد أهل الاختصاص؟

قال: بل القناعة الذاتية هي الأصل.

قلت: وقد استعمل قناعته الذاتية فترتب علي ذلك وفاة الطفل، فهل تترتب عليه أي مسؤولية شرعية أو قضائية؟

وقال الرجل بملء فمه: لاتترتب عليه أي مسؤولية!.

قلت: فلنختم البحث والنقاش، دون هذه الكلمة التي أطلقتها. لقد انقطع بها السبيل إلى أي قدر مشترك بيني وبينك يمكن أن يقام عليه أي بحث. وحسبك أنك خرجت بجوابك العجيب هذا عن إجماع الملة الإسلامية كلها... ولا والله لن يكون أي معنى للتعصب المقيت على وجه الأرض، إن لم تكونوا أنتم أصحاب هذا التعصب المقيت.

المسلم الجاهل يستعمل (قناعته الذاتية) في فهم مااطلع عليه من القرآن... ويصلي إلى غيرالقبلة مخالفاً كل المسلمين، فتكون صلاته صحيحة!... والرجل العامي من الناس يستعمل (قناعته الذاتية) فيطبب من شاء. ويعالج كما يشاء، ويموت المريض تحت يده، فيقال له: الله يعطيك العافية!..

ولست أدري إذاً، لماذا لايدعنا هؤلاء الناس وشأننا، لنستعمل نحن أيضاً (قناعتنا الذاتية) في أن الجاهل بأحكام الدين وأدلتها لابدّ له أن يتمسك بمذهب إمام من الأئمة

المجتهدين، يتبعه من حيث إنه أبصر منه بكتاب الله وسنة رسوله.

ومهما يكن من خطأ هذا الرأي عندهم فلتشمله على كل شفاعة (القناعة الذاتية) وليكن له أسوة عندهم برأي من استدبر القبلة فكانت صلاته صحيحة، وقتل الطفل فكان قتله اجتهاداً وتطبيباً![1]

هل يجوز تقليد غير المذاهب الأربعة؟

الجواب: لايجوز ذلك لما وضحناه من أن المذاهب الأربعة هي وحدها التي تطمئن النفس لصحة أقوال علمائها لأنها نقلت إلينا عن طريق الأئمة الثقات و لم يتخلل ذلك فترة عن العمل بها والأخذ بأقوال أئمتها بخلاف غيرها من المذاهب وقد نوه عدد من الأئمة إلى هذا المعنى.

فقد قال الإمام النووي: يلزم غير المجتهد أن يجتهد في اختيار مذهب يقلده على التعيين وليس له أن يتبع في ذلك بجرد التشهي والميل إلى ما وجد عليه آباءه، وليس له التمذهب بمذهب أحد من أئمة الصحابة رضي الله عنهم، وغيرهم من الأولين وإن كانوا أعلم وأعلى درجة ممن بعد هم، لأنهم لم يتفرغوا لتدوين العلم وضبط أصوله وفروعه، فليس لأحد منهم مذهب مهذب محرر مقرر، وإنما قام بذلك من جاء بعدهم من الأئمة الناحلين لمذاهب الصحابة والتابعين القائمين بتمهيد أحكام الوقائع قبل وقوعها الناهضين بإيضاح أصولها وفروعها كمالك وأبي حنيفة وغيرهما[2].

وقال العلامة ابن حجر: نقل إمام الحرمين عن المحققين امتناع تقليد الصحابة على العوام، لارتفاع الثقة بمذاهبهم، إذ لم تدون وتحرر، وبه جزم ابن الصلاح وألحق بالصحابة التابعين وغيرهم ممن لم يدون مذهبه، وبأن التقليد متعين للأئمة الأربعة فقط. قال: لأن مذاهبهم انتشرت حتى ظهر تقليد مطلقها وتخصيص عامها، بخلاف غيرهم، ففيه فتاوى مجردة لعل لها مكملاً أو مقيداً لو انبسط كلامه فيها لظهر خلاف ما يبدو منه، فامتنع التقليد إذن لتعذر الوقوف على حقيقة مذاهبهم.

---

١ - وقد اعتمدت أيضاً في أكثر كلامي في هذا الباب على كلام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتبه وخصوصاً كتاب (اللامذهبية) مع شيء من التغير والزيادة. وذلك لما وجدت فيه من البلغة في التعبير عن ما يختلج في خاطري تجاه هذا البحث الدقيق وذلك بأسهل عبارة وأبسط أسلوب يستطيع إدراكه كل من عنده أدنى مسكة من الاطلاع على الثقافة الشرعية فجزاه الله تعالى خيراً.

٢ - شرح المهذب للنووي (١/٥٥).

خاتمة

وفي نهاية هذا الباب أقول: إن على المسلمين أن يسعوا إلى الاجتماع والوحدة، والتماسك قال تعالى ﴿**إنما المؤمنون إخوة**[1]﴾ وإلى نبذ الاختلاف والفرقة والتنازع وكل من تخالف دعوته هذه الغاية فهو عاص لله ورسوله صلى ا لله عليه وسلم مخالف لقوله تعالى ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾[2]، ولم تكن المذاهب الإسلامية في الماضي سبباً في تفريق المسلمين وتخلفهم وتنازعهم فقد كان الصحابة رضي ا لله عنهم فرقاً متعددة، فهناك أصحاب ابن عباس وهناك أصحاب ابن مسعود، وأصحاب ابن عمر وغيرهم كما مر معنا، ومع ذلك كانوا كلهم جماعة واحدة، وكان الإسلام في أوجه وعزته وجاءت المذاهب الأربعة وبقي الإسلام قوياً عزيزاً وعندما ترك المسلمون العلم بدينهم، والالتزام بمذاهبهم، والتفتوا إلى الدنيا والتصارع عليها، وتركوا الدعوة إلى ا لله عز وجل، ضعفوا وهانوا وتخلفوا، وصاروا أذل الأمم، ولو عادوا اليوم فتمسكوا بدينهم ومذاهبهم واجتهاداتهم، وجمعوا شملهم، ووحدوا صفوفهم، فلا بد أن يعيد ا لله تعالى إليهم عزتهم وكرامتهم فكما أعز ا لله الإسلام في القرون الأولى كذلك يعزه في هذه الأيام إن تمسكنا بكتاب ا لله وسنة نبيه صلى ا لله عليه وسلم حق التمسك.

والحمد لله رب العالمين

---

١ - سورة الحجرات الآية (١٠).

٢ - سورة الأنفال الآية (٤٦).



١٨ الأدب مع العلماء والصالحين

قال ا لله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا لله ورسوله واتقو ا الله إن ا لله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول ا لله أولئك الذين امتحن ا لله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم﴾[1].

هذه آيات أدّب ا لله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، فقال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي ا لله ورسوله﴾ أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور.

قال ابن عباس: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمراً دون ا لله ورسوله من شرائع دينكم.

وقال الحسن البصري: لا تدعوا قبل الإمام.

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون:لو أنزل في كذا وكذا، لو صح كذا فكره ا لله تعالى ذلك.

(واتقوا ا لله) فيما أمركم به (إن ا لله سميع) أي لأقوالكم (عليم) بنياتكم، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ هذا أدب ثان أدّب ا لله تعالى به المؤمنين، أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته، وقد روي أنهانزلت في الشيخين (أبي بكر) و (عمر) رضي ا لله عنهما، فقد روي عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيّران أن يهلكا (أبو بكر) و (عمر) رضي ا لله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ، حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن

---

١ - سورة الحجرات الآية (١ - ٢-٣).

حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع. وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾**، قال ابن الزبير: فما كان عمر رضي الله عنه يُسْمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه)[1].

وفي رواية أخرى له قال: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ: فقال أبو بكر رضي الله عنه: أمِّر (القعقاع بن معبد)، وقال عمر رضي الله عنه: بل أمّر (الأقرع بن حابس) فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر رضي الله عنه: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾** حتى انقضت الآية **﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾**[2].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾** قلت: يا رسول الله! والله لا أكلمك إلا كأخي السرار[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه، فقال له: ماشأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال: كذا وكذا، قال موسى فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: (اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة)[4].

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه أيضاً قال: (لما نزلت هذه الآية: **﴿يا أيُّها**

---

[1] - أخرجه البخاري (٤٥٦٤).
[2] - أخرجه البخاري (٤٥٦٦).
[3] - أخرجه البزار (٢٢٥٧) والهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣٤٩).
[4] - أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٦٥).

الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ إلى قوله **﴿وأنتم لاتشعرون﴾** وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ، أنا من أهل النار، حبط عملي، وجلس في أهله حزيناً، ففقده رسول الله ﷺ، فانطلق بعض القوم إليه، فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ، مالك؟. قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ وأجهر له بالقول، حبط عملي أنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال، فقال النبي ﷺ: (لا،بل هو من أهل الجنة). قال أنس رضي الله عنه: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس، وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعوّدون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه[1].

وفي رواية ابن جرير: فقال له النبي ﷺ: (أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟) فقال: رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ، ولاأرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ، قال: وأنزل الله تعالى: **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾**.

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين.

كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ،وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد رسول الله ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء، فقال: أتدريان أين أنتما، ثم قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً.

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام، لأنه محترم حياً، وفي قبره ﷺ دائماً، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه، بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم، ولهذا قال تبارك وتعالى: **﴿ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾**.

---

[1] – أخرجه البخاري (٧٠) في خلق أفعال العباد، ومسلم (٣١٠) ، وأحمد (٣/١٣٧) وابن حبان (٧١٦٨) وأبو يعلى (٣٣٣١).

كما قال تعالى: ﴿**لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾[1]، وقوله عز وجلّ: ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ أي إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده، خشية أن يغضب من ذلك، فيغضب الله تعالى لغضبه، فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الحديث الصحيح: (إن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً تكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض)[2].

ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال: ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ أي أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً: ﴿**لهم مغفرة وأجر عظيم**﴾.

وقد ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: (إن العلماء ورثة الأنبياء،وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[3].

وقال ﷺ أيضاً: (ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه)[4].

وقال أيضاً فيما رواه الطبراني: (من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه، ينبغي له أن لا يخذله، ولا يستأثر عليه، فمن فعل ذلك فقد فصم عروة من عرى الإسلام).

❋ قال الإمام أحمد الرفاعي قدس الله سره:

كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ قولاً وفعلاً، وحالاً وخلقاً فالصوفي آدابه تدل على مقامه، زنوا أقواله وأفعاله، وأحواله وأخلاقه بميز ان الشرع، يعلم لديكم ثقل ميزانه وخفته، خلق النبي ﷺ القرآن، قال تعالى: ﴿**ما فرطنا في الكتاب من شيء**﴾[5].

---

١ - سورة النور الآية (٦٣).
٢ - أخرجه أحمد (١٩/٢٥٩).
٣ - أخرجه أحمد (٥/١٩٦) وأبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٣) وابن ماجه (٢٢٣) وابن حبان (٨٠).
٤ - أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) والترمذي (١٩٢١) وأحمد (٢/١٨٥).
٥ سورة الأنعام الآية (٣٨)

من التزم الآداب الظاهرة، دخل جنسية القوم، وحسب في عدادهم، ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة، فهو فيهم غير، لا يلتبس حاله عليهم، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية، بل تكون علة الضم، قال رويم رحمه الله تعالى: التصوف كله أدب. وهذا الأدب الذي أشارت إليه الطائفة، أدب الشرع، كن متشرعاً ودع حاسدك يكذب عليك، وينسب ما يحب إليك:

ولست أبالي من رماني بريبة — إذا كنت عند الله غير مريب
إذا كان سري عند ربي منزهاً — فماضرني واشٍ أتى بغريب(١)

* وقال أبو نصر السراج:

الناس في الأدب على ثلاث طبقات: أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والمنظوم، وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات، وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود (التي بين العبد وربه) وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

* وقال الإمام الرواس قدس الله سره:

في المادة الثامنة من كتاب "فذلكة الحقيقة":

الأدب في كل قول وفعل، فإن الأدب من الحياء، والحياء من الإيمان، وفي الأدب التخلق بخلق النبي ﷺ وهو أرواحنا لغبار قدميه الكريمتين الفداء قال (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[٢] [٣].

وقال في المادة العشرين وما بعدها:

وكمال الأدب حالة ذكر الله عز وجل سواء كان ذلك مع الإخوان أو بالانفراد، فإن طريقنا يشمل الذكرين الجلي والخفي، أما الجلي فمع الإخوان في حلق الأذكار وأما الخفي فهو ورد المرء يخلو به مع الله تعالى، ولا ينفع كلاهما بغير الأدب الصحيح، وهو صحة الحضور مع المذكور ليذكره الذاكر معتبراً بآياته معظماً لجلال

---

١ – البرهان المؤيد ص (٦٤ و ٦٥).
٢ – أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٣١٠) ورمز لصحته.
٣ – المجموعة النادرة لأبناء الآخرة ص (١٣٩).

سلطانه ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾[1].

والقيام بأدب النظر فلا يصرفه للمستعارات الفانيات، ولا يبعث منه لحظة خائنة قال الله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[2].

والأدب العظيم حالة تلاوة الصلاة والسلام على النبي ﷺ ليكون المصلي عليه كأنما يصلي عليه وهو بين يديه عارفاً، ما أمكنه، بجليل قدر وعظمة شأنه وأنه الرحمة للعالمين، والإمام لجميع المرسلين، والباب لوصلة المتقين، والشفيع للمذنبين عليه أفضل صلوات الباري المعين.

ومن الأدب احترام الأولياء والصالحين العلماء، لأنهم ورثة الأنبياء على الحقيقة وإجلال شأنهم أحياءً كانوا أو أمواتاً.

وكفاك نص الكتاب المكنون ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[3].

والولاية اختصاص بالرحمة من الرحيم المنعم الكريم، ليست مقيدة بحياة أو موت بل لما كانت من الرحمة ففي حالة الموت هي أعم وأليق.

ولذلك فالرحمة الإلهية تشمل قصاد الأموات من الأولياء والنادبين لهم، والمستنصرين بهم اللاجئين إليهم رضوان الله عليهم[4].

❋ وقال الإمام القشيري رضي الله عنه:

لو لم يكن للمريد من معرفة مقام الأدب مع الشيخ إلا قول موسى عليه السلام للخضر ﴿هل أتبعك على أن تعلمنِ مما علمت رشداً؟﴾[5]، لكان في ذلك كفاية. فإن موسى لما أراد صحبة الخضر حفظ شرط الأدب فاستأذن أولاً في الصحبة ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه في شيء ولا يعترض عليه في حكمه، ثم لما خالفه موسى تجاوز عنه المرة الأولى والثانية فلما صار إلى الثالثة التي هي آخر حد القلة وأول حد الكثرة سئمه فقال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾[6] [7].

---

١ – سورة الشورى الآية (٥٣).
٢ – سورة غافر الآية (١٩).
٣ – سور يونس الآية (٦٢).
٤ – المجموعة النادرة لأبناء الآخرة ص (١٤١ و ١٤٢).
٥ – سورة الكهف الآية (٦٦)
٦ – سورة الكهف الآية (٧٨)

* **وقال أبو الحسين النوري:**

ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة تسقط معها آداب الشريعة، وآداب الشريعة حلية الظاهر، والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب.

* **وقال الجنيد:**

من أعان نفسه على هواها فقد أشرك في قتل نفسه، لأن العبودية ملازمة الأدب، والطغيان سوء الأدب.

* **وقال أبو علي الدقاق:**

العبد يصل بطاعته إلى الجنة، وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى.

* **وقال الجلال البصري:**

التوحيد يوجب الإيمان، فمن لا إيمان له لا توحيد له والشريعة توجب الأدب فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان له ولا توحيد له.

* **وقال عبد الله بن المبارك:**

من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان المعرفة.

* **وقال أنس بن مالك رضي الله عنه:**

الأدب في العمل علامة قبول العمل.

* **وقال ابن المبارك أيضاً:**

نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

* **وقال النوري:**

من لم يتأدب للوقت فوقته مقت.

* **وقال ذو النون:**

إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء.

---

٧ – الوصايا ص (٣٠١ و ٣٠٢).

١٩ مسألة حجاب المرأة المسلمة

أجمع الفقهاء قديماً وحديثاً على وجوب تغطية المرأة كامل جسدها حتى الوجه والكفين عند الخوف من الفتنة استناداً إلى القاعدة الأصولية التي تقول: "ما أدى إلى حرام فهو حرام" وبالتالي: (ما أدى إلى واجب فهو واجب) فالفتنة حرام ودرؤها واجب وهو المشهور عن جمهور الصحابة والتابعين حيث استدلوا بالأدلة التالية:

من القرآن الكريم

١ـ قوله تعالى: ﴿**ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**﴾[١].

قال ابن عباس: أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهم بالجلابيب، وقال ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله تعالى: (يدنين عليهن من جلابيبهن) فغطى وجهه ورأسه.

٢- وقوله تعالى: ﴿**ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها**﴾[٢].

قالوا: ما ظهر بحكم الضرورة كأن كشفته الريح.

وقالوا أيضاً: ما ظهر بحكم العادة وهو زينة ظاهر اللباس.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إلا ما ظهر منها) أي كالرداء وظاهر الثياب، لأنه لا يمكن إخفاؤه، ومثله قال ابن سيرين والنخعي وأبو الجوزاء والحسن.

وقال ذلك أيضاً أحمد بن حنبل في تفسير زاد المسير لابن الجوزي: "حتى الظفر يحرم أن يظهر منها".

١ - سورة الأحزاب الآية (٥٩).
٢ - سورة النور الآية (٣١).

٣ -وقوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾[١]. فظاهر الآية خاصة بنساء النبي ﷺ، لكنها عامة الحكم بجميع النساء، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وذلك عن طريق القياس الأولى أو ما يسمى (القياس الجلي).

من الأحاديث النبوية الشريفة والآثار

١- عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين)[٢].

قال الشيخ ابن تيمية: (وهذا يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن).

وفي رواية عن النبي ﷺ: "لا تلثّم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوباً بورس ولا زعفران"[٣].

٢- عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك وفيه قولها: "فسترت وجهي عنه بجلبابي...."[٤].

٣- عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه وفيه قصة الخثعمية التي وقفت تسأل رسول الله ﷺ فطفق الفضل ينظر إليها، فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام بذقن الفضل فحول وجهه عنها[٥].

فلو لم يكن عورة لما حول وجهه عنها مع أنها كانت محرمة بالحج لذلك كانت كاشفة وجهها.

٤- وأخرج ابن سعد عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: "لما اجتلى

---

١ - سورة الأحزاب الآية (٥٣).
٢ - أخرجه البخاري (١٨٣٨) والنسائي (٢٦٧٢) والترمذي (٨٣٣) وأحمد (١١٩/٦) ومالك موقوفاً (٣٢٨/١) وأبو داود (١٨٢٥).
٣ - أخرجه البخاري (٤٧٦/١).
٤ - أخرجه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٦٩٥١) وأبو داود (٢١٣٨) وأحمد (١٩٤/٦) وأبو يعلى (٤٩٢٧) وابن حبان (٤٢١٢) والبغوي (٢٣٢٥).
٥ - اخرجه البخاري (١٤٦٩).

النبي ﷺ صفية رأى عائشة متنقبة وسط النساء فعرفها.

٥- وورد في مصنف عبدالرزاق عن سيدتنا أم سلمة رضي ا لله عنها قالت: (لما نزلت آية الحجاب خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان لسترهن وجوههن بفضل أكسيتهن).

٦- عن سيدنا عقبة بن عامر رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: إياكم والدخول على النساء:. فقال رجل من الأنصار يارسول ا لله أفرأيت الحمو؟ قال: (الحمو الموت)[1] فلو كان الوجه غير عورة لسهل على الأحماء للضرورة المدّعاة لهم.

٧- عن سيدنا أنس بن مالك رضي ا لله عنه: (أن أمّ سليم صنعت حيساً (نوع من الحلوى) وأرسلت به إلى رسول ا لله ﷺ بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش، فدعا رسول ا لله ﷺ أصحابه وجلسوا يأكلون ويتحدثون ورسول ا لله جالس، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط إلى أن خرجوا)[2].

٨- قصة إجلاء بني قينقاع: (أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها)[3]. فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت تكشف بعض جسمها فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين فقتله...)[4].

فكونهم يريدون منها كشف وجهها فأبت هذا دليل على أنها كانت مغطية وجهها.

٩- وأخرج البيهقي بإسناد صحيح عن عاصم بن الأحول قال: (كنا ندخل على حفصة بنت سيرين، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به)، فنقول لها: رحمك ا لله، قال ا لله تعالى: ﴿**والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة**﴾[5] هو الجلباب؟ فتقول لنا: أي شي بعد

١ ـ أخرجه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٥٦٣٨) والترمذي (١١٧١).
٢ - أخرجه مسلم (٣٤٩٣).
٣ - ما يجلب إلى السوق للبيع.
٤ - سيرة ابن هشام (٢/٤٧) والطبري (٢/٤٨٠) وطبقات ابن سعد (٣/٦٧).
٥ - سورة النور الآية (٦٠).

ذلك؟ فنقول: ﴿وأن يستعففن خيرٌ لهن﴾[1] فتقول إثبات الحجاب.

فإن كن النساء القواعد والفتنة فيهن أخف يسترن وجوههن فما هو حال غيرهن؟!!.

١٠- عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة زوجته، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم شيخ كبير أعمى فقال لنا رسول الله ﷺ: قوما واحتجبا منه فقلت يارسول الله: أليس هو بأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال عليه السلام: (أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟).[2]

فتأملوا رحمكم الله تعظيم المصطفى ﷺ لهذا الأمر وتشديده فيه مع علمه بنزاهة وكمال عفتهن وسلامة صدورهن وصحبتهن لكمال النبوة، كيف أمرهُنَّ بالاحتجاب لئلا ينظرن إلى ابن أم مكتوم مع كبر سنه، وعمى بصره وفقد جماله، وبعده عن الآفة في جميع أحواله، حتى زجرهن عن النظر إليه تعظيماً لأمر الله وحسماً لمادة الآفة عن البواطن العفيفة، أن يبقى خاطر لذكر غير محرم لم يؤذن في النظر إليه موافقاً لقوله تعالى لأزواجه.

﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[3] وبهذا تأمن الفتنة[4].

وأقول: إذا أراد الخاطب أن يخطب فتاة لا يحق له أن يرى من خطيبته إلا الوجه والكفين، وهذا معروف مشهور يتناقله الخاصة والعامة على السواء إذن تبين أنه إن لم يرد خطبتها فلا يحق له أن يرى حتى وجهها وكفيها. ولكن لا يعني هذا الكلام أن المرأة تحتجب وتجلس في بيتها ولا يحق لها أن تعمل أو تخرج من بيتها فالإسلام سمح للمرأة بالغزو في سبيل الله، لمداواة الجرحى وسمح لها بالعمل لكن ضمن حدود شرعية تخرج محتشمة مستورة عفيفة وبهذا يكون المجتمع مجتمعاً إسلامياً حقيقياً يعيش في عفة وصفاء.

---

١ - سورة النور الآية (٦٠)

٢ - أخرجه أبو داود في سننه |٤١١٢| والترمذي |٢٧٧٨| وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند ٣|١٤٨ وقال الحافظ في الفتح ٩|٢٩٤ عن الحديث: أخرجه أصحاب السنن من رواية الزهري عن نبهان مولى أم سلمة عنها، وإسناده قوي.

٣ - سورة الأحزاب: الآية (٣٣).

٤ - عرائس الغرر وغرائس الفكر في أحكام النظر ص ٢٦٢ ٢٦٣.

وذكر الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله تعالى في كتابه: (إلى كل فتاة تؤمن بالله)، بشأن حجاب المرأة ما يلي:

قال: إن أئمة المسلمين كلهم قد أجمعوا على ما يلي:

١- لا يجوز أن تكشف المرأة أمام غير الذين استثناهم الله عز وجل شيئاً أكثر من وجهها وكفيها.

٢- لا يجوز لها أن تكشف الوجه والكفين أيضاً إذا علمت أن حولها من قد ينظر إليها النظر المحرم الذي نهى الله تعالى عنه، بأن يتبع النظرة النظرة، ولا تستطيع أن تزيل هذا المنكر إلا بحجب وجهها عنه، وعلى هذه الحالة يحمل ما نقله الخطيب الشربيني عن إمام الحرمين من اتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات الوجه)[١]، وقد صرح بهذا القيد القرطبي فيما نقله عن ابن خويذ منداد من أئمة المالكية: أن المرأة إذا كانت جميلة، وخيف من وجهها الفتنة، فعليها ستر ذلك)[٢].

وقال صاحب الدر المختار من الحنفية: وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال لا لأنه عورة، بل لخوف الفتنة، ولا يجوز النظر إليه بشهوة.

وهكذا، فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة (سواء من يرى منهم أن وجه المرأة عورة كالحنابلة والشافعية، أو من يرى منهم أنه ليس بعورة كالحنفية والمالكية): أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة بأن كان من حولها ينظر إليها بشهوة، ومن ذا الذي يستطيع أن يزعم أن الفتنة مأمونة اليوم، وأنه لا يوجد في الشوارع من ينظر إلى وجوه النساء بشهوة؟![٣].

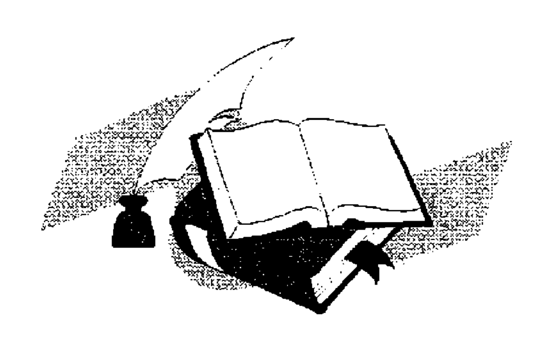
٣- واتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها ترخصاً لضرورة تعلم أو تطبب أو عند أداء شهادة، أو تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة.فهذه النقاط الثلاث محل إجماع لدى الأئمة وعامة الفقهاء.

---

١ – مغني المحتاج (٣/١٢٩).
٢ – تفسير القرطبي (١٢/٢٣٨).
٣ – الدر المختار على هامش ابن عابدين (١/٢٤٨).

ثم إنهم اختلفوا فيما وراء هذه الأحوال، وهو أن تكـون المـرأة باديـة الوجـه في مجتمع عام، وليس ثمة من يتعمد النظر إليها بريبة وهذا فرض وهمـي اليـوم فقـد ذهـب البعض كما رأينا إلى أنه لا حرج عليها في ذلك. وذهب آخرون إلى أنه يجب عليها أن تستر وجهها مطلقاً.

هذا هو حكم الإسلام في لباس المرأة، اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهـم، معتمدين في ذلك على نصوص واضحه صريحة في كتاب الله تعالى، وأحاديث ثابتة من سنة رسول الله ﷺ فإذا عثرنا بعـد ذلـك علـى وقـائع وتصرفـات فرديـة لبعـض نسـاء الصحابة أو التابعين أو غيرهم، تخالف هذا الذي أجمع عليه الأئمة، مما دل عليه صريح الكتاب والسـنة، فإنهـا وقـائع محجوجـة بـالحكم المـبرم الـذي دل عليـه إجمـاع الأئمـة وصريح الكتاب والسنة، وحاشا أن يكون حكم الله هو المحجوج بها[1].



١ - إلى كل فتاة تؤمن بالله ص (٣٧-٣٩).



٢٠ مسألة المصافحة بعد الصلاة

المصافحة بعد الصلاة أمر مشروع يزيد المحبة بين المسلمين ويوثق أواصر الأخوة فيما بينهم والأدلة على ذلك ما يلي:

١- عن سيدنا يزيد بن الأسود رضي الله عنه: "أنه صلى الصبح مع النبي ﷺ وقال: ثم ثار الناس يأخذون بيده يمسحون بها وجوههم، فأخذت بيده فمسحت بها وجهي فوجدتها (أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك).

وفي رواية عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه قال: "ثم صلى الرسول ﷺ الظهر ركعتين والعصر ركعتين وبين يديه عنزة تمر من ورائها المرأة وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي (أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك)[١].

٢-وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: من تمام التحية أن تصافح أخاك[٢].

٣- عن قلدة بن دعامة الدوسي رضي الله عنه قال قلت لأنس: (أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم).

٤- عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله ﷺ: (قد جاءكم أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة)[٣].

٥- وعن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)[٤].

فالأحاديث الثلاثة الأخيرة عامة في مشروعية المصافحة، وهي تشمل المصافحة

---

١ - أخرجه البخاري (٣٣٦٠).
٢ - أخرجه البخاري في الأدب (٩٦٨).
٣ - أخرجه أبو داود (٥٢١٣) والبخاري في الأدب (٩٦٧) وقال الحافظ سنده صحيح..
٤ - أخرجه أبو داود (٥٢١٢).

بعد الصلاة وفي الأوقات كلها، والحديثان الأولان يخصصان ويبينان جواز السلام والمصافحة بعد الصلاة خصوصاً.

أقوال العلماء في المصافحة بعد الصلاة

١- قال الإمام الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح: (تطلب المصافحة فهي سنة عقب الصلاة كلها وعند كل لقي).

٢- وقال الشيخ عبد الغني النابلسي عن المصافحة بعد الصلاة: (إنها داخلة تحت عموم سنة المصافحة مطلقاً)[1].

٣- وقال الشيخ الإمام أبو محمد عز الدين بن عبد السلام رحمه الله: (أنها من البدع المباحة).

٤- وقال الإمام النووي في الأذكار: (أنها بدعة مباحة).

على أن المصافحة بعد الصلاة ودعاء المسلم لأخيه المسلم بأن يتقبل الله منه صلاته بقوله (تقبل الله) لا يخفى ما فيهما من خير كبير وزيادة تعارف وتآلف وسبب لربط القلوب وإظهار للوحدة والترابط بين المسلمين.



١ - شرح الطريقة المحمدية للشيخ النابلسي (٢/١٥٠).



٢١ مسألة صلاة الأوّابين بعد المغرب

الأوابون: جمع أوّاب: والمعنى: رجّاع إلى الله بالتوبة والاستغفار. وقد سميت الصلاة بين المغرب والعشاء صلاة الأوابين لما ورد في الحديث

عن محمد بن المنكدر عن النبي ﷺ أنه قال: (إنها أي الصلاة بين المغرب والعشاء صلاة الأوابين)[١].

وهو وإن كان مرسلاً، فإن الإمام أبا حنيفة ومالكاً وأحمد في إحدى الروايتين عنه وجمهور المحدثين يحتجون بالمرسل.

الأدلة على مشروعيتها

١- قال صلى الله عليه وسلم (من صلى المغرب والعشاء فإنها صلاة الأوابين[٢].

٢- عن سيدنا أبي هريرة قال: قال رسول الله (من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة)[٣].

٣-وعن عبيد مولى رسول الله ﷺ: (أنه سئل أكان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة بعد المكتوبة؟ قال: نعم، بين المغرب والعشاء)[٤].

٤- وسئل سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾[٥]. قال: كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء، وكذلك **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾**[٦].[٧]

١ - الباعث الحثيث لابن كثير ص٤٨.
٢ - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٨٨٠٤).
٣ - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير (٨٨٠٣).
٤ - أخرجه الإمام أحمد (٩٦٦).
٥ - سورة الذاريات الآية (١٧).
٦ - سورة السجدة الآية (١٦).
٧ - أخرجه أبو داود (١٣١٨)، وقال العراقي: إسناده جيد.

وقد روي عن حذيفة (أن النبي ﷺ صلى المغرب، فما زال يصلي في المسجد حتى صلى العشاء الآخرة)[1].

وجاء في حاشية الباجوري في الفقه الشافعي: (إن من النوافل صلاة الأوابين، وهي بين المغرب والعشاء، وهي ست ركعات إلى عشرين ركعة وتصلى ركعتان أيضاً)[2].

وجاء في الفقه الحنفي: (مطلب السنن والنوافل قال: وست بعد المغرب ليكتب من الأوابين، بتسليمة أو اثنتين أو ثلاث)[3].

وقال الحافظ العراقي: (وممن كان يصلي ما بين المغرب والعشاء من الصحابة. عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك في ناس من الأنصار. ومن التابعين: الأسود بن يزيد، وأبو عثمان النهدي وابن أبي مليكة، وسعيد بن جبير، ومحمد بن المنكدر، وأبو حاتم، وعبد الله بن سخبرة وعلي بن الحسين (زين العابدين) وأبو عبد الرحمن الحنبلي، وشريح القاضي، وعبد الله بن مغفل وغيرهم، فتبين لنا مشروعية صلاة الأوابين بين المغرب والعشاء مدللة بأحاديث النبي ﷺ وفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم.



١ - أخرجه أحمد في المسند (٥|٤١٤).
٢ - حاشية الباجوري (١|١٣٥).
٣ - حاشية ابن عابدين على الدر المختار (٢|١٢-١٣).



ذهب جمهور العلماء قديماً وعموماً أهل السنة والجماعة حديثاً، وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة، أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأتباعهم إلى أنه لا يجوز للمحدث حدثاً أصغر ولا أكبر ولا للحائض والنفساء أن يمس المصحف، والأدلة على ذلك:

١ - قوله تعالى: **﴿إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين﴾**[1].

فالهاء في (لايمسه) عائدة على القرآن الكريم، ويدل على ذلك الآية التي بعدها **﴿تنزيل من رب العالمين﴾** والتنزيل من خصائص القرآن فقط دون غيره مما لم يتنزل كاللوح المحفوظ مثلاً، والمخاطب بالطهارة في الآية هو الإنسان، والمراد بها الطهارة الظاهرة من الحدثين الأكبر والأصغر وليس طهارة العقيدة كما يزعم بعضهم.

٢- وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ولا يَمسُّ القرآن إلا طاهر)[2].

٣- وعن سيدنا حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: (لا تمس القرآن إلا وأنت على طُهر)[3].

٤-وفي حديث الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم إلى اليمن وفيه (أن لايمس القرآن إلا طاهر)[4].

١ - سورة الواقعة الآية (٧٧- ٨٠)

٢ - أخرجه الطبراني في الصغير (١١٦٢) والدار قطني (١/١٢١)، وفي الكبير (١٣٢١٧) والبيهقي (١/٨٨) وابن حبان (٦٥٥٩).

٣ - أخرجه الدار قطني (١/١٢٢) والحاكم (٦٠٥١) وصححه، وأقره الذهبي.

٤ - أخرجه الحاكم (٦٠٥١) والدارقطني (١/١٢١) وابن حبان (٦٥٥٩).

وقال ابن عبد البر: إنه أشبه المتواتر لتلقي الناس له بالقبول.

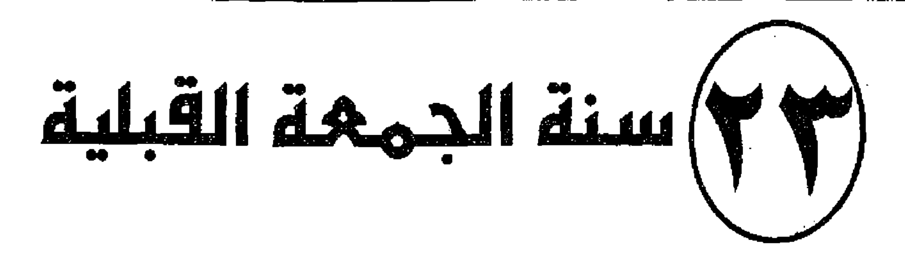
٥–عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنامع سلمان فخرج فقضى حاجته ثم جاء فقلت: يا أبا عبدا لله لو توضأت لعلنا أن نسألك عن آيات فقال: (إني لست أمسه إنما لايمسه إلا المطهرون) فقرأ مايشاء[1].

٦–وعن سيدنا علي رضي ا لله عنه قال: رأيت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم توضأ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال: هكذا لمن ليس بجنب، فأما الجنب فلا ولا آية[2].

قال العلماء: طالما لايجوز للجنب أن يقرأ القرآن كذلك لايجوز له ولالغيره من غير الطاهرين مسه.



١ – أخرجه الدارقطني (١/١٢٤) وقال صحيح ورجاله ثقات.
٢ – ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (١/٢٦٦) وقال الهيثمي: رجاله موثوقون.



٢٣ سنة الجمعة القبلية

إن صلاة الجمعة تقوم مقام صلاة الظهر، فيسن قبلها ما يسن قبل الظهر، من صلاة سنة الظهر القبلية، وجُلُّ الأمر أننا أبد لنا كلمة الظهر بالجمعة، على أنه وردت الأحاديث بلفظ الجمعة والأدلة على ذلك ما يأتي:

١- عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يصلي قبل الجمعة أربعاً وبعدها أربعاً)[١].

٢- وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء سُليك الغطفاني ورسول الله ﷺ يخطب، فقال له رسول الله ﷺ: (أصليت قبل أن تجيء؟) قال: لا، قال: (فصل ركعتين وتجوز فيهما)[٢].

فقوله ﷺ: (قبل أن تجيء)، دليل صريح على سنة الجمعة القبلية، لأن تحية المسجد لا تفعل قبل المجيء.

٣- وذكر الإمام البخاري في صحيحه في باب "الصلاة قبل الجمعة وبعدها" حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين)[٣].

وقال القسطلاني في شرحه على هذا الحديث: (والظاهر أنه قاسها أي الجمعة على الظهر). أي أن الإمام البخاري يقول بسنية الصلاة قبل الجمعة.

وفي مصنف الحافظ عبد الرزاق "باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها" وفي مصنف ابن أبي شيبة "باب الصلاة قبل الجمعة" وفي سنن الترمذي "باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها " وهؤلاء أئمة السلف.

---

١ - ذكره الحافظ المناوي في فيض القدير (٥/٢١٦) وقال الحافظ العراقي: إسناده جيد.

٢ - أخرجه ابن ماجه (١١١٤) بإسناد صحيح، كما قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي، وقال المجد بن تيمية في الأحكام (رجال إسناده ثقات).

٣ - أخرجه البخاري (٨٩٥).

وعن سيدنا أبي أيوب رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ يركع قبل الظهر أربعاً لا يفصل بينهن)[1].

وعن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة، أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر)[2].

٤ – وعن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: (ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتين)[3].

٥ – وعن نافع قال: (كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي ركعتين في بيته، ويتحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك)[4]، وقد استدل واحتج بهذا الحديث الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه (الخلاصة) على إثبات سنة الجمعة التي قبلها.

٦ – وصح أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كان يصلي قبلها – أي الجمعة – أربع ركعات وبعدها أربع ركعات)[5].

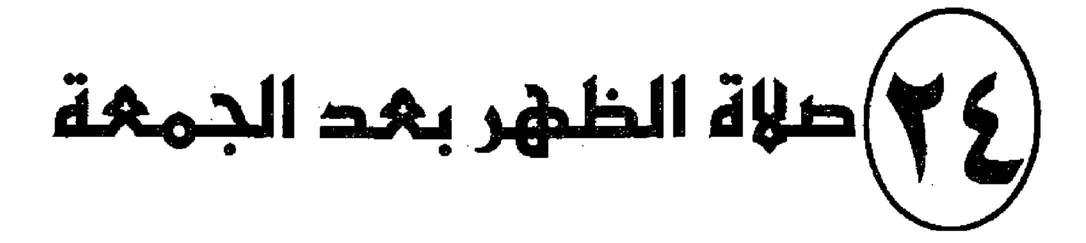
٧ – وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها: (أنها صلت قبل الجمعة أربعاً)[6].

٨– وأيضاً ما رواه الحافظ عبد الرزاق بسنده في مصنفه قال: (كان عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يأمرنا أن نصلي قبل الجمعة وبعدها أربعاً).

فتبين لنا مما مرّ أن الصلاة قبل الجمعة مشروعة ومرغب فيها، ثبتت عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والسلف رضي الله عنهم.

---

١ – أخرجه ابن ماجه (١١٥٧).
٢ – أخرجه النسائي (١٧٩٤٩) وابن حبان (٢٤٥٢) والحاكم (١١٧٣).
٣ – أخرجه ابن حبان (٢٤٥٥) والدار قطني (١|٢٦٧).
٤ – أخرجه أبو داود (١١٢٨) وابن حبان في صحيحه (٢٤٧٦).
٥ – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه [٢|كتاب ٤|باب (٤٦ رقم (١) وباب (٤٧) رقم (٤)].
٦ – ذكره الحافظ ابن حجر في الدراية ص (١٤٣).



٢٤ صلاة الظهر بعد الجمعة

أجمع جمهور الفقهاء من الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة على جواز صلاة الظهر بعد الجمعة، وذلك للأسباب التالية:

١- عند تعدد الجمع في مكان واحد وبدون عذر و لم يعلم أيها الأسبق أو علم الأسبق فعلى الباقين صلاة الظهر أربعاً.

٢- وعند فقد شرط من شروط صحة صلاة الجمعة.

٣ - وعند عدم إدراك المصلي ركعة مع الإمام بأن لحقه في التشهد، فعند سلام الإمام يقوم المسبوق (الذي لم يدرك الركعة مع الإمام) ويصلي الظهر أربعاً.

ولكنهم اختلفوا في وجوبها أو ندبها أو استحبابها، ومبنى أمرهم كله على اختلافهم في جواز تعدد الجمع لغير عذر أو عدم الجواز، وملخص القول في هذه المسألة أنه: لا يجوز تعدد الجمع لغير عذر، أجمع على ذلك الشافعية والمالكية وبعض الأحناف والحنابلة في إحدى روايتي الإمام أحمد.

فقد قال الشافعي: (إذا اتسعت البلد، وكثرت عمارتها، فبنيت فيها مساجد كثيرة، غظام وصغار، لم أحب أن تصلى الجمعة فيها إلا في مسجد واحد، وكذلك إذا اتصلت بالبلد الأعظم منها قريات صغار، لم أحب أن يصلى إلا في المسجد الأعظم، وإن صلي في مسجد منها غيره، صليت الظهر أربعاً، وإن صليت الجمعة أعاد من صلاها فيها)[١].

وتبعهُ بذلك أئمة مذهبه، منهم الإمام النووي والسبكي والرملي وغيرهم.

وذكر الإمام ابن عابدين في حاشيته المشهورة: (أنّ عدم جواز التعدد هو المشهور من مذهب مالك)[٢].

---

١ - كتاب الأم للشافعي (١|١٧١).
٢ - حاشية ابن عابدين (١|٥٤٢)

وذكر المقدسي في رسالته: (نور الشمعة في ظهر الجمعة): أن عدم جواز التعدد هو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد- كما نقل ذلك العلامة ابن عابدين في حاشيته-.

ونقل العلامة ابن عابدين أيضاً في حاشيته[1]: أن الإمام أبا حنيفة يقول بعدم التعدد وتبعه من أئمة مذهبه الطحاوي وصاحب المختار والعتابي وغيرهم.

ونعود إلى مسألة إعادة الظهر بعد الجمعة عند تعدد الجمع لغير عذر مع مراعاة الخلاف فنقول: **قال الشافعية بوجوب صلاة الظهر بعدها.**

وأما الأحناف فقد تردد القول عندهم فيها، فبعضهم ذهب إلى أنها واجبة أيضاً احتياطاً، وبعضهم ذهب إلى الندب عند التعدد سواء كان بعذر أو بغير عذر وبعضهم جعلها خلاف المذهب، ولكن لم يحرمها وتبعهم بهذا القول الإمام أحمد.

فالأمر كما ظهر لنا اجتهاد، فيجوز تقليد المجتهدين القائلين بكل من القولين ولا ننكر على من يصليها أو على من لا يصليها جمعاً بين الأقوال ودفعاً لتفرقة وتشتيت ذلك الجسم الذي أخبر عنه سيدنا محمد ﷺ حيث يقول: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2].



[1] - حاشية ابن عابدين (١/٥٤٢).
[2] - أخرجه البخاري (١٠/٣٦٧) ومسلم (٢٥٨٦) وأحمد في المسند (٤/٢٧٠).



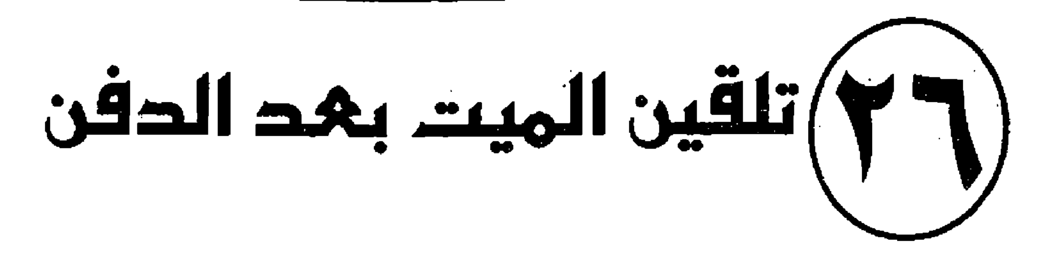
أدلة جواز صنع أهل الميت الطعام

١- عن الأحنف بن قيس قال: (حين طعن عمر أمر صهيباً أن يصلي بالناس ثلاثاً وأمر بأن يجعل للناس طعاماً)[١].

٢- وعن طاووس قال: (إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً ويستحبون أن يطعموا عنهم تلك الأيام)[٢].

والأفضل أن يقوم بإعداد الطعام والقيام عليه جيران الميت ومن حوله من غير أهله، ولا يضرُّ كون ثمن الطعام من أموال أهل الميت لا من تركة الميت، إلا أنه يستحب أن لا يقوموا هم عليه لانشغالهم بما هو أهم وهو تلقي قدر الله عزوجل بالرضى والتسليم وقبول العزاء من الناس تطبيقاً لقوله ﷺ: (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم ما يشغلهم)[٣].

١ - ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١/١٩٩) رقم (٧٠٩) وقال: إسناده حسن.
٢ - ذكره ابن حجر في المطالب العالية (١/١٩٩) وقال : إسناده قوي.
٣ - أخرجه الترمذي (٩٩٨) وحسنه والحاكم وصححه (١/٣٧٢) ووافقه الذهبي، وأبو داود (٣١٣٢) وابن ماجه (١٦١٠) والدارقطني (٢/٧٩)



استدل القائلون بجواز تلقين الميت بعد دفنه في قبره بالأدلة التالية:

١- أخرج الطبراني وعبد العزيز الحنبلي عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: إذا أنامت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نصنع بموتانا.

أمرنا رسول الله ﷺ فقال: إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فيلقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يافلان بن فلان فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لاتشعرون فليقل: اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت با لله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته. فقال رجل: يارسول الله فإن لم يعرف أمه؟ فقال: ينسبه إلى أمه حواء يا فلان ابن حواء. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني إسناده صالح وذكر له شواهد في كتابه التلخيص[1].

٢- وأخرج الحافظ سعيد بن منصور حديثاً وهو: إذا سوي على الميت قبره وانصرف الناس عنه كانوا (أي الصحابة) يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يافلان قل لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات يا فلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ ثم ينصرف، قال الشوكاني ذكره الحافظ ابن حجر في التلخيص وسكت عنه[2].

٣-حديث: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)[3].

قال المحب الطبري وابن الهمام والشوكاني وغيرهم لفظ موتاكم نص في الأموات وتناوله للحي المحتضر مجاز فلا يصار إليه إلا بقرينة، وحيث لا توجد قرينة

---

[1] - تلخيص الحبير ص (٢٤٢-٢٤٣) من المجموع للنووي ص (٢٤٣) وأخرجه الطبراني في الكبير (٧٩٧٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢٤٨) وقد قواه الضياء في أحكامه.

[2] - تلخيص الحبير ص ٢٤٣ ج٥ من المجموع للنووي.

[3] - أخرجه مسلم (٩١٦) وأبو داود (٣١١٧) والنسائي (٤|٥).

تصرفه عن حقيقته إلى مجازه فشموله للأموات أولى إن لم يقتصر عليهم فقط وا لله أعلم.

٤- أخرج مسلم وغيره أن الصحابي عمرو بن العاص قال لأهله: إذا دفنتموني فأقيموا بعد ذلك حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع رسل ربي[1].

* ومن أقوال الفقهاء:

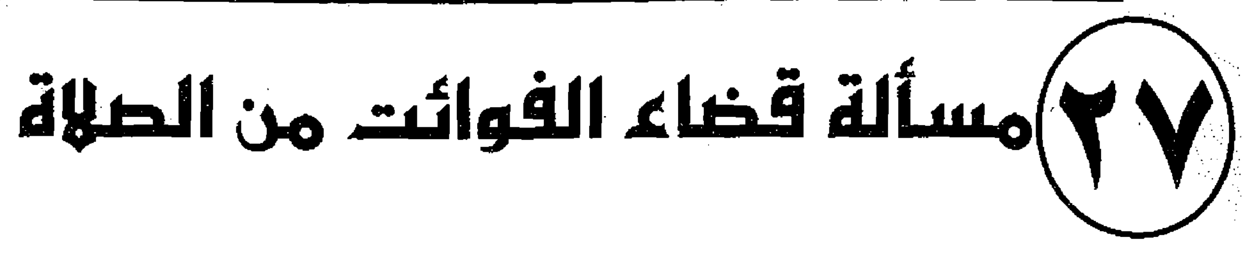
١- قال ابن العربي في مسالكه إذا أدخل الميت قبره فإنه يستحب تلقينه في تلك الساعة وهو فعل أهل المدينة والصالحين من الأخيار لأنه مطابق لقوله تعالى **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**[2] وأحوج ما يكون العبد إلى التذكير با لله عند سؤال الملائكة[3].

٢-وقال النووي: وأما تلقين الميت بعد الدفن فقد قال جماعة كثيرون من أصحابنا باستحبابه وممن نص على استحبابه القاضي حسين والمتولي والمقدسي والرافعي[4].

وقال بجواز التلقين أيضاً: ابن عابدين في حاشيته والزيلعي وابن قدامة وجمهور الفقهاء خاصة المتأخرين.

---

[1] - رواه مسلم (١٢١).
[2] - سورة الذاريات الآية (٥٥)
[3] - هامش مواهب الجليل (٢/٢٣٨)
[4] - الأذكار ص (١٢٣)



أجمع أهل السنة والجماعة أتباع المذاهب الأربعة على وجوب القضاء على تارك الصلاة عمداً كما هو واجب على الناسي أو النائم وأكدوا واستدلوا بما يلي:

١- قوله ﷺ:(فدين الله أحق بالقضاء)[١].

فالصلاة المتروكة بأي شكل من الأشكال هي دين في ذمة تاركها، وحقوق الله ألزم الحقوق وآكدها في القضاء، وهذا الحديث ولو كان في الحج إلا أنه عام يبقى على عمومه ما لم يقم دليل على تخصيصه والدليل على عمومه أنه ورد هذا الحديث أيضاً لمن سأله عن صوم أمه.

صح أنه ﷺ قال لمن أفطر في رمضان: (صم يوماً مكانه)[٢].

وصح أنه ﷺ قال لمن سألته: إن أمي أدركها الحج و لم تحج أفأحج عنها؟ وفي رواية: أينفعها إن حججت عنها؟ قال ﷺ: (أرأيت إن كان على أمك دين فقضيته أينفعها ذلك؟ قالت: نعم، قال ﷺ: (فدين الله أحق بالقضاء وفي رواية: بالأداء)[٣].

والصلاة والصوم والحج عبادات فيقاس بعضها على بعض، وخصوصاً الصوم والصلاة لأنهما عبادتان بدنيتان فقط، أما الحج فهو عبادة بدنية ومالية.

٢- لقد أوجب الرسول ﷺ على الناسي والنائم قضاء الصلاة وقال فيما أخرجه الطبراني في الكبير: (لا كفارة لها إلا ذلك)، وهو لفظ عام يشمل تارك الصلاة مطلقاً طالما أنه لم يأت نص يخصصه.

ثم إن الناسي والنائم معذوران وأوجب عليهما القضاء فكيف بتاركها عمداً إنه لا شك آكد في وجوب قضائها من الناسي والنائم، مع أنه قال عنهما ﷺ: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان...)[٤]. وقال أيضاً (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الغلام حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق)[٥].

---

١ - أخرجه البخاري (١٧٥٤ - ٦٣٢١).
٢ - أخرجه أبو داود (٢٣٩٣).
٣ - تقدم تخريجه.
٤ - أورده السيوطي في الجامع الصغير (٤٤٦١) ورمز لصحته.
٥ - أخرجه أحمد (٦/١٠٠و ١٠١و ١٤٤) والدارمي (٢/١٧١) وأبو داود (٤٣٩٨) والنسائي (٦/١٥٦) وابن ماجه (٢٠٤١)، وصححه الحاكم (٢/٥٩) ووافقه الذهبي وأخرجه أيضاً ابن الجارود في المنتقى (١٤٨).

٢٨ الصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان

إن الصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان سنة بلا خلاف عند جميع المسلمين لقوله ﷺ: (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي).[١] وتصح بأي صيغة كانت، وينبغي السلام مع الصلاة لقوله تعالى: ﴿**صلوا عليه وسلموا تسليماً**[٢]﴾.

ويعتبر ذلك على ما قاله بعض الحفاظ من المحدثين الآتي بيانهم هو في حد ذاته بدعة حسنة وقد حدثت سنة (٧٨١) كما قاله ابن عابدين في حاشيته نقلاً عن كتاب القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع للإمام الحافظ السخاوي بعد أن ذكر ما يفعله المؤذنون عقب الأذان من الصلاة على النبي ﷺ بعد ذكر اختلاف العلماء فيه وقال الصواب أنه بدعة حسنة.

وقد وافقه على ذلك من الحفاظ الإمام الحافظ السيوطي والحافظ ابن حجر الهيثمي عن شيخه زكريا الأنصاري و لم نعلم أن أحداً من العلماء المعتبرين أنكر عليهم ذلك.وقد ذكر صاحب التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول في تعليقه على ما يستحب لسامع الأذان فقال: الصلاة بعد الأذان سنة للسامع والمؤذن ولو برفع الصوت وعليه الشافعية والحنابلة وهي بدعة حسنة كما ذكر ذلك ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار[٣].

وسمعت الدكتور مصطفى البغا حفظه الله تعالى يقول: حضرت في أحد المساجد في بلاد المغرب وأذن المؤذن فنظرت إليهم و لم أرَ من يحرك شفتيه بعد الأذان يصلي على النبي ﷺ فقلت لهم:من منكم صلى على النبي ﷺ بعد الأذان؟ فلم يرفع يده أحد فقلت لهم: تنكرون على المشارقة الصلاة على النبي بعد الأذان!فهم يصلون على النبي ﷺ حتى يُذَكِّروا الناس بالحديث (ثم صلوا عليَّ).

---

١ – أخرجه مسلم (٣٨٤) وأبو داود (٥٢٣).
٢ – سورة الأحزاب الآية (٥٦).
٣ – كتاب الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة ص (١٥ ١٦).

٢٩ مسألة تحريك الأصبع في التشهد

ثبت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة أنه كان لايحرك السبابة حين يشير بها في تشهده منها:

١- عن سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما أنه ﷺ كان يشير بالسبابة لا يحركها ولا يجاوز بصره إشارته[١]. وفي رواية كان يشير بأصبعه إذا دعا ولا يحركها[٢].

٢- وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قبض أصابعه كلها وأشار بأصبعه[٣].

٣- وعن سيدنا نمير الخزاعي قال: رأيت النبي ﷺ واضعاً ذراعه اليمنى على فخذه اليمنى رافعاً إصبعه السبابة قد حناها شيئاً[٤].

٤- وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قعد في التشهد وضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثة وخمسين وأشار بالسبابة[٥].

٥- وعن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض أصابعه كلها وأشار بأصبعه التي تلي الإبهام، ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى[٦].

فالأحاديث الثلاثة الأخيرة تدل على أن المقصود بالتحريك مجرد الإشارة دونما إدامة لتحريكها كما صرح بذلك سيدنا ابن الزبير في الحديث الأول.

وأما التحليق في فعله ﷺ الذي نقله عنه سيدنا وائل ابن حجر حيث قال:

---

١ - أخرجه أبو داود (٩٩٠) والنسائي (١١٥٩) وأحمد (٤|٧٢٢) وقال الإمام النووي في (شرح المهذب) "إسناده صحيح".
٢ - أخرجه أبو داود (٩٨٩).
٣ - أخرجه مسلم (٥٨-١١٥) وأبو داود (٩٨٧) والنسائي (١٢٦٧) ٣|٣٦ والبيهقي (٢|١٣٠) وأبو عوانة (٢|٢٢٣) وأحمد (٢|٦٥) ومالك في الموطأ (١|٨٨-٨٩).
٤ - أخرجه أبو داود (٩٩١) والنسائي (٣|٣٩) وابن خزيمة (٧١٥) و(٧١٦) والبيهقي (٢|١٣).
٥ - أخرجه مسلم (٥٨٠-١١٥) وأبو عوانة في مسنده (٢|٢٢٤) والبيهقي (٢|١٣٠) والدارمي (١|٣٠٨).
٦ - أخرجه مسلم (٥٨٠) وأبو داود (٩٨٧)..

(رأيت النبي ﷺ قد حلق الإبهام والوسطى ورفع التي تليها يدعو بها في التشهد)[1].

وفي رواية: (وقبض ثنتين وحلق ورأيته يقول هكذا وأشار بالسبابة من اليمنى وحلق الإبهام والوسطى)[2].

فمعناه جعل الإبهام والوسطى على شكل حلقة والإشارة بالسبابة ولا يعني هذا تحريكها، وقد قال العلماء: (الحكمة من وضع اليدين على الفخذين في التشهد أن يمنعهما من العبث)[3]. والتحريك مناقض لهذه الحكمة.

أقوال العلماء في تحريك الأصبع في الصلاة:

قال الإمام النووي رضي الله عنه في فتاويه: تستحب الإشارة برفع المسبحة من اليد اليمنى عند الهمزة من قوله: إلا الله مرة واحدة ولا يحركها، فلو كرر تحريكها كره ولم تبطل صلاته على الصحيح وقيل تبطل...)[4].

قال شيخ الحنابلة ابن قدامة المقدسي رضي الله عنه في (المغني): (ويشير بالسبابة يرفعها عند ذكر الله تعالى في تشهده لما روى عبد الله بن الزبير.. وذكر حديث (لا يحركها)[5].

وقال رضي الله عنه أيضاً: (ويشير بأصبعه يرفعها عند ذكر الله تعالى قدر تشهده لما رويناه ولا يحركها لما روى ابن الزبير...)[6].

وقال صاحب كتاب (الروض المربع) وهو مختصر معتمد في فقه السادة الحنابلة: (ويشير بسبابته من غير تحريك في تشهده ودعائه في الصلاة وغيرها عند ذكر الله تعالى تنبيهاً على التوحيد)[7].

وأما حديث سيدنا وائل بن حجر رضي الله عنه الذي ذكر فيه وضع اليدين

١ـ أخرجه أحمد (٤/٣١٦) والنسائي (٣/٣٥-٣٦) وابن خزيمة (٦٩٧).
٢ – أخرجه النسائي (٣/٣٥-٣٦).
٣ – كما في شرح المهذب للإمام النووي (٣/٤٥٥).
٤ – الفتاوى ص ٥٤ .
٥ – المغني (١/٥٣٤).
٦ – المغني (١/٤٦٦).
٧ – الروض المربع (١/٥٩)

في التشهد ثم قال: (ثم رفع أصبعه فرأيته يحركها يدعو بها)[1]، فهو حديث صحيح إلا أن لفظة (يحركها) شاذة غير صحيحة، فقد انفرد بها زائدة بن قدامة وهو ثقة ولكنه خالف بها طريق أحد عشر ثقة ممن رووه من غير ذكر هذه الزيادة، وقد قال الإمام البيقوني في منظومته:

وما يخالف ثقة به الملا فالشاذ والمقلوب قسمان تلا

وقال الإمام ابن خزيمة في صحيحه عند ذكر الحديث:

(ليس في شيء من الأخبار (يحركها) إلا في هذا الخبر زائدٌ ذكْرها)[2]. والأحد عشر ثقة الذين رووا الحديث دون زيادة (يحركها) هم:

١- أبو عوانة اليشكري.
٢- أبو الأحوص سلام بن سليم.
٣- بشر بن المفضل.
٤- خالد بن عبد الله الطحان.
٥- زهير بن معاوية.
٦- سفيان الثوري.
٧- سفيان بن عيينة.
٨- شعبة بن الحجاج.
٩- عبد الله بن إدريس.
١٠- عبد الواحد بن زياد.
١١- غيلان بن جامع.

ثم إن سلمنا عدم الشذود فقد وقع تعارض بين حديث سيدنا ابن الزبير وحديث سيدنا وائل رضي الله عنهما وأهل الأصول يوجبون الجمع بينهما إن أمكن فقد قالوا:

فالجمع بينما تعارضا هنا في الأولين واجب إن أمكنا

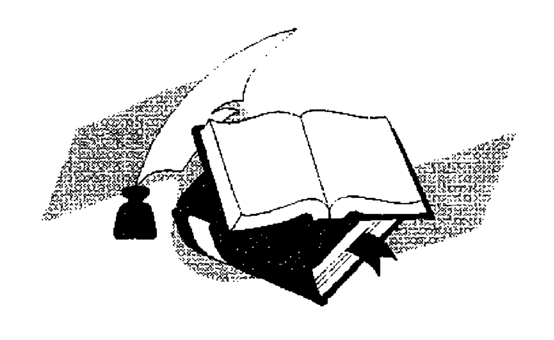
---

١ - أخرجه أحمد (٤/٣١٨) وابن خزيمة (٧١٤) والبيهقي (٢/١٣٢) وابن حبان (٤٨٥).
٢ - صحيح ابن خزيمة (١/٣٥٤).

وقد قال الإمام البيهقي في حديث سيدنا وائل بن حجر: (يحتمل أن يكون المراد بالتحريك الإشارة بها لا دوام أو تكرير تحريكها موافقة لرواية ابن الزبير بعدم التحريك)[1].

وقال الشيخ سلام ا لله في شرح موطأ الإمام مالك بعد ذكر حديث سيدنا وائل: (... ففيه تحريك السبابة عند الرفع وبه أخذ مالك،والجمهور على أن المراد بالتحريك ههنا هو الرفع فلا يعارضه ما في أبي داود عن ابن الزبير (كان النبي ﷺ يشير بأصبعه إذا دعا لا يحركها)[2] وا لله الهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله رب العالمين



---

١ - سنن البيهقي (١٣٢/٢).
٢ - عون المعبود (٤٥٥/٣).



٣٠ صلاة التراويح

صلاة التراويح هي قيام الليل في شهر رمضان المبارك، وهي سنة صلاها الرسول ﷺ والصحابة منفردين كل على حدة وصلوها جماعة.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (إن النبي ﷺ صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا في الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: (قد رأيت الذي صنعتم و لم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني قد خشيت أن تفرض عليكم)[١]. فلما علم الصحابة رضي الله عنهم أن مقصد النبي ﷺ أنه يخشى أن تفرض عليهم دون أن يكون فيها أي مخالفة شرعية عادوا إلى المسجد وأصبحوا يصلونها فيه، بعضهم يصلي منفرداً وبعضهم يصلي بجماعة، وبقي العمل على هذا حتى جاء عهد سيدنا عمر رضي الله عنه، فدخل عليهم المسجد فوجدهم قد كثروا وأصبح المسجد مكتظاً بالصحابة والتابعين وكل يصلي على حدة أو بجماعة مع صاحب له، فنظر إليهم نظرة متبصر بحالهم، نظرة باحث عن الطريقة الأمثل لتأمين كامل الخشوع لهم، فقرر أن يجمعهم على قارئ واحد، فجمعهم على سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، كما يروي لنا سيدنا عبد الرحمن بن عبدٍ القاري فيقول: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر رضي الله عنه: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: (نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله)[٢].

فلم ينكر عليه أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولم يثبت ذلك عنهم أبداً، لأنهم علموا أنه ليس في فعله مخالفة للسنة، فإن سيدنا محمداً ﷺ عندما انقطع عن

---

١ – أخرجه البخاري بلفظ قريب (٢٠١٢) وأبو داود (١٣٧٣).
٢ – أخرجه البخاري (٢٠١٠).

الخروج إليهم في رمضان إنما كان ذلك خشية افتراض القيام عليهم، والآن قد انتقل سيدنا محمد ﷺ إلى الحياة البرزخية وتوقف نزول الأحكام فلم يعد ثمة أي مانع من اجتماعهم على إمام واحد وصلاتهم جماعة في المسجد لا سيما أنه أكمل في الخشوع وأكثر ثواباً من الصلاة منفردين، ورسول الله ﷺ يقول: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)[1].

ويقول أيضاً: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)[2].

فكثر سيدنا عمر رضي الله عنه الركعات وخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات لأنه أخف على المأموم من تطويل الركعة الواحدة، وعندما قال رضي الله عنه: (نعمت البدعة هذه)، إنما قصد بها القيام في بداية الليل لا كما كان ﷺ يقوم في أوسطه أو آخره ودل على ذلك قول سيدنا عمر في الحديث نفسه: (والتي ينامون عنها يقصد قيام آخر الليل أفضل من التي يقومون) وأيضاً تفسير راوي الحديث سيدنا عبد الرحمن رضي الله عنه لها بذلك وهو أعلم بما يقوله.

وقد كانت طائفة من السلف الصالح يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث وآخرون بست وثلاثين ويوترون بثلاث وغير ذلك كما سيمر معنا إن شاء الله.

والأدلة على ذلك هي

عن يزيد بن رومان قال: (كان الناس في زمن عمر يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة). قال: الشوكاني: قال ابن إسحق وهذا أثبت ما سمعت في ذلك[3].

وعن سيدنا السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: (كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة وكانوا يقومون بالمئتين وكانوا يتوكؤون على عصيهم في عهد عثمان من شدة القيام)[4].

---

١ - أخرجه أحمد (٤/١٢٦) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣).
٢ - أخرجه أحمد (٥/٣٨٢)والترمذي (٣٦٦٢) وقال حديث حسن، وابن ماجه (٩٧).
٣ - أخرجه مالك في الموطأ ص (١٠٦).
٤ - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٩٦) وممن صححه العيني والقسطلاني في شرحيهما لصحيح البخاري والسبكي في شرح المنهاج والكمال بن الهمام في شرح الهداية والعراقي في شرح التقريب والإمام النووي في المجموع.

وأخرج المروزي عن زيد بن وهب أنه قال: (كان عبد الله بن مسعود يصلي لنا في شهر رمضان فينصرف وعليه ليل) قال الأعمش (كان يصلي عشرين ركعة يوتر بثلاث).

وكذلك عن داود بن قيس أنه قال: (أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث).

وعن نافع قال: (لم أدرك الناس إلا وهم يصلون تسعاً وثلاثين ويوترون منها بثلاث).

ونقل الحافظ ابن حجر أن مالكاً قال: (الأمر عندنا بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين، وليس في شيء من ذلك ضيق).

ونقل عنه أيضاً قوله: (أنها بست وأربعين وثلاث وتر).

وعن زرارة بن أوفى أنه كان يصلي بهم في البصرة أربعاً وثلاثين ويوتر بثلاث، وعن سيدنا سعيد بن جبير رضي الله عنه أربعاً وعشرين.

وعن إسحق بن منصور قال: قلت لأحمد بن حنبل: كم ركعة يصلى في قيام شهر رمضان؟ فقال: (قد قيل ألوان نحو أربعين وإنما هو تطوع).

وقال الترمذي: أكثر ما قيل أنه يصلي إحدى وأربعين مع الوتر.

بناء على ذلك تعددت مذاهب الأئمة الأربعة وفقهائهم في عددها إلى المذاهب التالية:

ذهب الشافعية والأحناف والحنابلة إلى أنها عشرون ركعة بعشر تسليمات آخذين بما صح عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم صلوها في عهد عمر وعثمان وعلي عشرين ركعة، وقال به أيضاً صاحب كتاب فقه السنة ونقل أنه مذهب داود الظاهري.

وقال الترمذي: (وأكثر أهل العلم على ما روي عن عمر وعلي وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ وهو قول النووي وابن المبارك).

وقال الإمام الشافعي: (هكذا أدركنا الناس بمكة يصلون عشرين ركعة).[1]

وذهب الإمام مالك: إلى أنها ست وأربعون عدا الوتر، كما نقله الحافظ ابن حجر في (الفتح) وقال: هذا المشهور عنه.

وروي عنه أيضاً أنه قال: (الأمر عندنا بتسع وثلاثين) أي التراويح ست وثلاثون وثلاثة للوتر.

فنستنتج مما مضى من حياة السلف الصالح والصحابة وأتباعهم أن عدد الركعات في صلاة التراويح غير محدد، وقد قال الشيخ ابن تيمية الحنبلي (اعلم أنه لم يوقت رسول الله ﷺ في التراويح عدداً معيناً، ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد معين مؤقت من النبي ﷺ لا يزيد ولا ينقص فقد أخطأ)[2].

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: (فقصر الصلاة المسماة بالتراويح على عدد معين، وتخصيصها بقراءة مخصوصة لم يرد به سنة)[3].

وأما ما ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشر ركعة).[4] فكانت تقصد فيه ركعات الوتر وليس التراويح.

فقد قالت: (ولا في غيره) وفي غير رمضان لا يوجد صلاة للتراويح، أما صلاة الوتر فمشتركة بين رمضان وغيره.

وقد قال الإمام الترمذي: (روي عن النبي ﷺ الوتر بثلاث عشرة وإحدى عشر وتسع وسبع وخمس وثلاث وواحدة) فإذا كان وتره في غير رمضان بإحدى عشر أو ثلاث عشرة ركعة فهل يعقل أن يوتر في شهر العبادة والقيام بثلاث فقط؟! على القول بأن ثماني ركعات للتراويح وثلاث ركعات للوتر هذا بعيد جداً.

ثم إن قلنا إن المقصود من كل منها صلاة التراويح والوتر معه، يصبح للتراويح عدد ركعات معين ثابت وهو ثمان ركعات، وهذا يتنافى مع ما مر معنا من عمل

١ – فقه السنة (٢/٥٤) والترمذي (٣/١٧٠).
٢ ـ ذكره ملا علي القاري في شرحه مشكاة المصابيح ص (١٧٥).
٣ – نيل الأوطار (٣/٥٣).
٤ – أخرجه البخاري (١٠٩٦) ومسلم (٧٣٨) وأبو داود (١٣٤١) والنسائي (١٦٩٦) والترمذي (٤٣٩) ومالك في الموطأ (١/١١٤).

الصحابة رضي ا لله عنهم أنهم كانوا يصلونها عشرين ركعة حتى عهد الإمام مالك والإمام الشافعي، وهل يعقل أن تعلم السيدة عائشة بصلاتهم عشرين ركعة ثم تسكت عنهم إذا كان فعلهم مخالفاً لسنة رسول ا لله ﷺ؟! ثم هل يعقل أن يجتمع الصحابة على أمر ويجمعوا عليه من غير نكير ثم يكون هذا الأمر مخالفاً للشارع؟!! هذا وا لله بعيد جداً،وكما هو معلوم أن عدد صلاة التراويح في البيت الحرام عشرون ركعة ولاينكر هذا العدد أحد من العلماء المعتبرين، فنسأل ا لله تعالى أن يهدينا سواء السبيل.

وعن ابن عباس رضي ا لله عنهما: أن النبي صلى ا لله عليه وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة الوتر[1].

ويقوي هذا الحديث أن الصحابة جميعاً فمن بعدهم من السلف الصالح اتفقوا على العمل به.

وعن السائب بن يزيد: أن عمر جمع الناس في رمضان على أبي بن كعب وتميم الداري على إحدى وعشرين ركعة[2].

وعن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد الأنصاري أن عمر بن الخطاب أمر رجلاً يصلي بهم عشرين ركعة[3].

وقال ابن قدامة المقدسي بعد أن نقل صلاة التراويح بعشرين ركعة عن عمر وعلي قال: وهذا كالإجماع[4].

وقال ابن تيمية: قد ثبت أن أبي بن كعب كان يقوم بالناس عشرين ركعة في قيام رمضان، ويوتر بثلاث فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو السنة لأنه إقامة بين المهاجرين والأنصار ولم ينكر منكر، وهذه هي صورة الإجماع[5].

والنتيجة: أن الصحابة قد اتفقوا على صلاة التراويح عشرين ركعة وتبعهم على ذلك التابعون فمن بعدهم، ولم يخالفهم أحد من السلف الصالح إلا في زيادة العدد على العشرين.

---

١ – أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٣٩٤).
٢ – أخرجه ابن عبد الرزاق في المصنف (٧٧٣٠).
٣ – المغني لابن قدامة (١/٧٩٩).
٤ – أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٣٩٣).
٥ – الفتاوى لابن تيمية (٢٣/١١٢).

(٣١) التأويل عند السلف الصالح وإثبات المجاز

إن عدول هذه الأمة من الأئمة الثقات أصحاب القرون الأولى المسمين بالسلف المشهود لهم بالخيرية[١]، وكل من نحى نحوهم إلى يومنا هذا كلهم قد أثبتوا التأويل بل وأولوا كثيراً من النصوص المتعلقة بتوحيد الله وصفاته، وأجمعوا على أن الظاهر من النصوص المشكلة ليس هو المراد على الحقيقة تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[٢] وهم بحملهم النص على غير مراده الظاهر لم يبتدعوا أمراً محدثاً، إنما تعلموه من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.

وإليك الأدلة على ذلك

١- قال تعالى: ﴿**إنا نسيناكم**﴾[٣]، وقال أيضاً: ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾[٤] حيث ورد لفظ النسيان في هاتين الآيتين منسوباً إلى الله عز وجل، ورغم هذا هل نستطيع أن ننسب إلى الله صفة النسيان أو نقول: (له نسيان لا كنسياننا)؟ وهو جل جلاله يقول ﴿**وما كان ربك نسياً**﴾[٥] قياساً على قولنا (له سمع لا كسمعنا أو له بصر لا كبصرنا)؟!.

الجواب: أن هذا خطأ لا يجوز، لأن المراد من قولنا: (له سمع لا كسمعنا) أن نثبت له صفة السمع وننزهه في نفس الآونة من آلة السمع ألا وهي الأذن، وذلك بأن نفوض علم الطريقة التي يسمع بها إليه جل جلاله، وكذلك الأمر في البصر وفي كل الصفات التي أثبتها هو جل جلاله لذاته العلية، أما صفة النسيان فليست من صفاته، وهي صفة نقص في حقه، فلا تقاس على السمع والبصر.

---

١ - وذلك بقول النبي ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٦٤١٩) والترمذي (٣٨٥٩) وابن ماجه (٢٣٦٢).

٢ - سورة الشورى الآية (١١).

٣ - سورة السجدة الآية (١٤).

٤ - سورة التوبة الآية (٦٧).

٥ - سورة مريم الآية (٦٤).

٢- عن سيدنا رسول الله ﷺ أن الله تعالى قال: (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده...)[١] الحديث.

وقال الإمام النووي: (قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له، قالوا: ومعنى: وجدتني عنده: أي: وجدت ثوابي وكرامتي...) أ.هـ فتأمل. فلا يجوز لنا إذاً أن نثبت لله صفة المرض مع أن ظاهر الحديث يشير إليها، لأن ذلك يخالف العقيدة السليمة.

وإليك الآن نبذة من تأويل أولئك الرعيل الأول من السلف الصالح أهل القرون الأولى، منهم سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له رسول الله ﷺ بقوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[٢]، وقد نقلت عنه تأويلات كثيرة بمسألة الصفات نذكر منها:

٣- ما قاله في قوله تعالى: **﴿فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾**[٣]، وأن النسيان بمعنى الترك(أي ففي هذا اليوم _ذلك يوم القيامة_ ننساهم يقول نتركهم في العذاب) قال الطبري في تفسيره: (ونقل ذلك بأسانيده عن ابن عباس ومجاهد)[٤].

٤- قال تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾**[٥].

قال ابن عباس: (يكشف عن شدة) مؤولاً الساق بالشدة وكذلك أوله غيره من الصحابة والتابعين أمثال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم[٦].

٥- قال تعالى: **﴿السماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾**[٧].

---

١ - أخرجه مسلم (٢٥٩٦) والبخاري في الأدب (٥١٧) وابن حبان (٢٦٩).
٢ - أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٨٧) وفي الأوسط (١٤٤٤) وأحمد (١/٢٦٦) والفسوي (١/٤٩٤) في المعرفة والتاريخ وإسناده صحيح على شرط مسلم والبزار (٢٦٧٤).
٣ - سورة الأعراف الآية (٥١).
٤ - تفسير الحافظ ابن جرير الطبري المجلد الخامس (٨/٢٠١).
٥ - سورة القلم الآية (٤٢).
٦ - فتح الباري (١٣/٤٢٨)، وتفسير الإمام الطبري (٢٩/٣٨).
٧ - سورة الذاريات الآية (٤٧).

قال ابن عباس: (بقوة)[1] ولفظة (أيد) تستعمل مجازاً في معان كثيرة منها (القوة) كما مر، ومنها (التفضيل والإنعام) كقوله تعالى: ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب**﴾[2].

ومنهم الإمام أحمد بن حنبل رضي ا لله عنه.

٦- قال تعالى: ﴿**وجاء ربك**﴾[3]. قال الإمام أحمد رضي ا لله عنه: (جاء ثوابه)[4].

قال ابن كثير: (وكلامه -أي الإمام أحمد- في نفي التشبيه وترك الخوض في الكلام والتمسك بما ورد في الكتاب والسنة عن النبي ﷺ وعن أصحابه)[5].

٧- وروى الخلال عن حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول: (احتجّوا عليّ يوم المناظرة فقالوا تجيء يوم القيامة سورة البقرة...) الحديث. قال: فقلت لهم: إنما هو الثواب). فهذا تأويل صريح منه رضي ا لله عنه.

٨- ومنهم الإمام البخاري رضي ا لله عنه: فقد أوّل الضحكَ في حديث (يضحك ا لله من رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة)[6]. بمعنى (الرحمة)[7].

٩- ومنهم الإمام الطبري في تفسيره مما أوله هو بكلامه، فقد قال في قوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾[8]، ما نصه: (والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول ا لله: ﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ الذي هو بمعنى: العلو والارتفاع. فيقال له: أي للمنكر زعمت أن تأويل قوله: (استوى): أقبل، أفكان مدبراً عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير،

---

١ - تفسير الحافظ الطبري (٧/٢٧).
٢ - سورة ص الآية (١٧).
٣ - سورة الفجر الآية (٢٢).
٤ - ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/٣٢٧) ناقلاً إياه عن الإمام البيهقي في كتاب (مناقب الإمام أحمد) الذي قال فيه: هذا إسناد لاغبار عليه.
٥ - البداية والنهاية (١٠/٣٢٧).
٦ - أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (٤٨٦٩) ومالك (٢/٤٦٠) في الموطأ والنسائي (٣١٦٦) وابن ماجه (١٩١).
٧ - أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٧٠).
٨ - سورة البقرة الآية (٢٩).

قيل له: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال)[1].

١٠- ومنهم الحافظ ابن حجر، فقد قال: (ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محال على الله أن لايوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحس)[2].

ويحسن بنا هنا أن نتطرق لموقف السلف الصالح من النصوص التي استدل بها المجسمون على إثبات الجهة لله تعالى:

* قال تعالى: ﴿**وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير**﴾[3].
* وقال تعالى: ﴿**ويخافون ربهم من فوقهم**﴾[4].
* وقال تعالى: ﴿**وهو العلي الكبير**﴾[5].
* وقال تعالى: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾[6].
* وقال تعالى: ﴿**أم أمنتم من في السماء**﴾[7].
* وقال تعالى: ﴿**إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته**﴾[8].

هذه النصوص مر عليها السلف الصالح على الحالة التي وردت فيها، بدون تعطيل ولاتجسيم ولا تشبيه، مع إيمانهم بأن الله تعالى متصف بصفات الكمال ومنزه عن الشرك والشبيه والمثال.

وقد لخص ابن كثير رضي الله عنه مذهب السلف بقوله: (إنما مذهب السلف الصالح في هذا المقام: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً) هو إمرارها كما جاءت

---

١ - التفسير (١/١٩٢).
٢ - فتح الباري (٦/١٣٦).
٣ - سورة الأنعام الآية (١٨).
٤ - سورة النحل الآية (٥٠).
٥ - سورة سبأ الآية (٢٣).
٦ - سورة الأعلى الآية (١).
٧ - سورة الملك الآية (١٧).
٨ - سورة الأعراف الآية (٢٠٦).

من غير تكييف ولاتشبيه ولاتعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن ا لله فإن ا لله لايشبهه شيء من خلقه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1].

بل الأمر كما قال الأئمة، منهم:

نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: (من شبه ا لله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف ا لله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف ا لله به نفسه ولارسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ماوردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال ا لله، ونفى عن ا لله تعالى النقائض فقد سلك الهدى ا.هـ.

وأما معنى الفوقية في النصوص التي استدلوا بظواهرها: فإن النصوص المشتملة على لفظ (فوق) كقوله تعالى: ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾[2] وغيرها.

إذا قرأنا ماقبلها وما بعدها ونظرنا إليها بتمعن، نرى أن جوها جو تهديد ومناسبتها مناسبة بيان سلطة ا لله تعالى وعظمة سيطرته على مخلوقاته.

وأن كلمات العربية جميعها لاتعبرعن هذا الجو وتلك المناسبة كما تعبر عنها كلمة فوق التي تزيد السيطرة قوة، والتسلط عظمة ولذا جاء بها القرآن لكونها أفصح كلمة عربية معبرة عن المراد ومناسبة للمقام فيكون معنى لفظ (فوق) هنا في هذه النصوص: السيطرة والتسلط بصورة كاملة وتامة عقلاً ونقلاً، فهو محال عقلاً: لأن إثبات الجهة والحيز لله تعالى، تشبيه له بمخلوقاته، لأن المخلوقات تختص بجهة وحيز وتشبيه ا لله تعالى بالمخلوقات نقص في حقه تعالى وهو منزه عن النقص ومنزه عن الشبيه قطعاً.

ومحال نقلاً: لأن إثبات الجهة والحيز له تعالى شأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[3]. وإثبات الجهة والحيز لله تعالى إثبات لوجود مثيل له في شغل الجهة والحيز وا لله قد نفى المثيل له، فبطل القول بالجهة.

ثم لوتأملنا قوله تعالى في الآية الكريمة نفسها: ﴿**وهوالقاهر فوق عباده**﴾ مع

١ - سورة الشورى الآية (١١).
٢ - سورة الأنعام الآية (١٨).
٣ - سورة الشورى الآية (١١).

قول فرعون ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾[1] فهل نفهم أن فرعون ادعى أنه فوق بني إسرائيل بالجهة!!

ولما ادعى الربوبية قال ، أنا ربكم الأعلى وقد قال تعالى لسيدنا موسى ﴿لاتخف إنك أنت الأعلى﴾[2]. من ادعى الجهة كان فهمه مثل فهم فرعون حيث اعتقد الجهة لله تعالى وقال: ﴿قال يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى﴾[3] فرد الله عليه وسحقت عقيدته بقوله تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل﴾[4]، أي سبيل القرب إلى إله موسى لأنه نسب إليه ما هو منزه عنه وهو الجهة والمكان.

وأما النصوص المشتملة على العندية والعلو فالمراد بها التعبير عن القدرة والقهر والانتصار الكامل والدائم ومما يؤيد ذلك قوله تعالى لموسى ﴿لاتخف إنك أنت الأعلى﴾[5] ولم يكن موسى فوق السحرة في المكان وإنما كان فوقهم معنوياً حيث قهرهم وانتصر عليهم بإذن الله تعالى ويؤيده أيضاً قوله تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾[6] أي أنتم المنتصرون بالقدرة التي أمدكم الله تعالى بها وكذلك لا يجوز تفسير العلو في الآيات التي يستدل بها المجسمون بالجهة لأن في ذلك تشبيه الله تعالى بخلقه وهو مردود لقوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾[7].

وأمثاله من النصوص المعارضة لفهمهم التجسيمي.

وأما عبارات الصعود والعروج والرفع والتنزيل فهي عبارات بعضها متعلق بالملائكة وهي تتصف بهذه الحركات، وبعضها الآخر عبارات مجازية استعملت للدلالة على القبول أو للدلالة على المكانة الرفيعة معنوياً لا مكانياً. كقول القائل: رفعت المديرية كتاباً إلى الوزارة. فلا يعني القائل أن الوزارة فوق المديرية مكانياً، وإنما يعني أن

---

١ - سورة الأعراف الآية (١٢٧).
٢ - سورة طه الآية (٦٨).
٣ - سورة غافر الآية (٣٦-٣٧).
٤ - سورة غافر الآية (٣٧).
٥ - سورة طه الآية (٦٨).
٦ - سورة آل عمران الآية (١٣٩).
٧ - سورة الحديد الآية (٣).

مقام الوزارة أعلى معنوياً بالنسبة للمديرية.

ولا يجوز حمل هذه العبارات على ظاهرها في حقه تعالى لأنه يثبت له الجهة والحيز وهو محال عقلاً ونقلاً كما قدمنا، وكذلك مخالف لآيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾[2] وقوله تعالى: ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم**﴾[3] فكيف يكون في جهة العلو (على زعمهم) ثم يكون مع الثلاثة والخمسة (كما يقول هو)؟! أو يكون مع المخلوقات أينما كانوا؟! أو يكون أقرب إليهم من حبل الوريد المتصل بقلوبهم؟! فأيهما تأخذ: ما يزعمونه من الجهة المحالة عقلاً ونقلاً والمخالفة للنصوص أم ما يقوله تعالى عن نفسه؟! وأما النصوص التي فهموا منها أن الله تعالى في السماء كقوله تعالى: ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾[4] وغيره فهي تخبر عن أعمال الملائكة الموجودين في السماء وهي تتعلق بالملائكة لأنهم في السماء فيكون معنى قوله تعالى ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾: هل أمن الكفار العذاب الذي تأتي به الملائكة الموجودون في السماء.

ولايجوز أن يقال إن الله في السماء لأن السماء سبع سموات ففي أيهن هو؟

وقال تعالى: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾[5] يعني إذا كان الله في السماء فهذا يعني أن الكرسي أكبر من الله والعياذ بالله.. لأن الكرسي أكبر من السماوات والأرض.

وإذا كان الله في السماء وهي محيطة به إذن فهو أصغر منها والعياذ بالله. وإذا كان الله في السماء ففي أي سماء؟! وقبل أن يخلق السماء أين كان؟! وكيف يخلق السماء ويحتاج إليها؟! وهل إذا صعدنا إلى السماء نجد الله عز وجل فيها؟!! تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً.

---

[1] - سورة ق الآية (١٦).
[2] - سورة الحديد الآية (٤).
[3] - سورة المجادلة الآية (٧).
[4] - سورة الملك الآية (١٧).
[5] - سورة البقرة الآية (٢٥٥).

وقوله تعالى: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**﴾[1] فمن الذي يطوي هل يطوي نفسه؟! وقوله تعالى: ﴿**والسموات مطويات بيمينه**﴾[2] فأين يكون الله عز وجل يومها..؟ إن هذا لشيء عجاب!! ثم إذا خرج منها فهذا يعني أنه يتحرك ويدخل السماء ويخرج منها وهذا محال في حقه عز وجل.

فإن قالوا: السماء من السمو وهو العلو وكل ماعلاك فهو سماء، والله تعالى فوق السموات السبع على عرشه قلنا: بطل استدلالك بهذه النصوص لأنها تدل على أنه (على زعمكم) في السماء أي داخلها وأنتم تقولون إنه فوقها على العرش.

وكذلك نقول لهم: إن قولكم إن الله على العرش يلزم منه أن يكون عرشه أكبر منه فيكون قد عرف حجم الله تعالى وأنه جل جلاله أصغر من العرش! والعياذ بالله، نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

ومما تقدم تبين أن المعاني التي فهموها من هذه النصوص، وأثبتوا بها لله تعالى الجهة والحيز غير مناسبة لجلاله تعالى وهي مردودة عقلاً ونقلاً ومخالفة للآيات والنصوص المحكمة وإنما معناها الصحيح ماذكرناه فقط.

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تعارض ما أثبتوه من الجهة لله تعالى وتنفي هذه المعاني المجسمة وإليك بعضاً منها.

قوله تعالى: ﴿**وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون**﴾[3].

فلو كان فوق عرشه كما يقول المجسمون، كيف يخبر عن نفسه أنه في السموات وفي الأرض ثم لماذا يقولون إنه في السماء ولايقولون إنه في الأرض؟!

وقوله تعالى: ﴿**والله من ورائهم محيط**﴾[4] فلو كان في جهة الفوق والعلو فقط (كما يزعم المجسمون) فكيف يكون وراء المخلوقات ومحيطاً بهم.

---

١ – سورة الأنبياء الآية (١٠٤).
٢ – سورة الزمر الآية (٦٧).
٣ – سورة الأنعام الآية (٣).
٤ – سورة البروج الآية (٢٠).

وقوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾[1] فلو كان جالساً على عرشه فكيف يكون ظاهراً وباطناً؟

وقوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[3] وقوله تعالى: ﴿مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلا هو سادسهم﴾[4].

وقوله ﷺ: (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء)[5].

فلو كان الله على عرشه (على زعم المجسمين) فكيف يكون العبد في حالة سجوده أقرب مايكون من ربه؟ وهل السجود إلا على الأرض؟ وهل هو إلا اتجاه نحو الأسفل؟ مما يؤكد خطأ فهمهم لظواهر النصوص التي استدلوا بها على إثبات جهة العلو والفوقية لله تعالى ونسبوا له الحد والحيز جهلاً.

ثم قولنا دائما بعد لفظ الجلالة كلمة (تعالى) هل هو إلا تنزيه مستمر له جل جلاله عن كل نقص وتشبيه وعن كل ما يخطر في عقولنا القاصرة.

وفي هذا القدر من الآيات المعارضة لمذهبهم في الجهة، كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع للبراهين والتفسير المناسب لجلاله تعالى وهو شهيد لكمال الله تعالى المطلق وتنزيهه عن الشبيه والمثال[6].

١١- ومنهم الإمام النووي كما مر في بداية البحث عند الكلام عن قول النبي ﷺ عن ربه عز وجل قال: (ابن أدم مرضت فلم تعدني...)[7] الحديث.

١٢- ومنهم الإمام سفيان بن عيينة رضي الله عنه: فقد أوّل حديث: (آخر وطأة وطئها الرحمن بوج)[8]، فقال: آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ في الطائف.

---

[1] - سورة الحديد الآية (٤).
[2] - سورة ق الآية (١٦).
[3] - سورة الحديد الآية (٤).
[4] - سورة المجادلة الآية (٧).
[5] - رواه مسلم (٢/٤٩) وأبو داود (٨٧٥) والنسائي (٢/٢٢٦) وأحمد (١/٤٢١).
[6] - الميزان العادل بتصرف وزيادة.
[7] - تقدم تخريجه ص (٦٣٨).
[8] - (وج) واد بالطائف أخرجه أحمد في المسند رقم (١٦٩٠٤).

١٣- ومنهم الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه: فقد سأله معدان عن قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾[1]. فقال: (بعلمه).

١٤- ومنهم الإمام الترمذي رضي الله عنه: فقد ذكر في سننه بعد حديث الرؤية الطويل الذي فيه: (فيعرِّفهم نفسه)[2]، قال: (ومعنى قوله في الحديث: (فيعرفهم نفسه) يعني يتجلى لهم)[3].

١٥- ومنهم الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: فقد قال في حديث نزول الله تعالى: (ينزل ربنا تبارك وتعالى أي أمره)[4].

١٦- ومنهم الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في كتاب: (الإبانة) وكتابه (رسالة أهل الثغر) فقد قال في كتاب الإبانة: (وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لايحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لاتزيده قرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد)[5].

١٧- ومنهم الإمام الحافظ ابن حبان رضي الله عنه: حيث أوّل حديث: (حتى يضع الرب جل جلاله قدمه فيها، أي جهنم)[6] فقال: (هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي يعصى الله عليها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب جل وعلا موضعاً من الكفار والأمكنة في النار فتمتلئ، فتقول: قط قط، تريد حسبي حسبي، لأن العرب تطلق في

---

١ - سورة الحديد الآية (٤).
٢ - أخرجه الترمذي في السنن (٢٥٥٧) وأحمد (٢/٣٦٩).
٣ - السنن (٤/٦٩٢).
٤ - أخرجه الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (٧/١٤٣) والذهبي في السير (٨/١٠٥).
٥ - الإبانة ص (٢١).
٦ - أخرجه البخاري (٤٨٤٨) ومسلم (٢٨٤٨) والترمذي (٣٢٧٢) وأحمد (٣/١٣٤) وابن خزيمة (ص٩٧-٩٨) وابن حبان (٢٦٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٤٩).

لغتها اسم القدم على الموضع. قال الله جل جلاله: ﴿لهم قدم صدق عند ربهم﴾[1] يريد: موضع صدق، لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار، جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه)[2].

١٨- ومنهم الإمام النضر بن شميل رضي الله عنه حيث أول الحديث: (حتى يضع الرب قدمه فيها) أي: (من سبق في علمه أنه من أهل النار).

١٩- ومنهم الإمام الأزهري رضي الله عنه: فقد أوله أيضاً بأنه: (من سبق في علم الله أنه من أهل النار).

٢٠- ومنهم الإمام الحسن البصري رضي الله عنه فقد قال: (القدم. هم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها)

هذه عشرون شخصية من أعظم الشخصيات من السلف الصالح أصحاب القرون الأولى ومن بعدهم، مع ما هو مذكور في باب (السنة والبدعة)، كلها تثبت أن التأويل ثابت مشروع، وأنه من قواعد الشرع ونهج السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وكل خير في اتباع من سلف

وكل شر في ابتداع من خلف

---

١ - سورة يونس الآية (٢).

٢ - من صحيح ابن حبان (١/٥٠٢).

الخاتمة

وبعد أن ظهرت الأدلة من الكتاب والسنة بشكل واضح وظاهر للعيـان، فعلينا أن نتمسك بديننا، وأن نكون قلباً واحـداً بوجـه الأعـداء، وأن ننتبـه إلى أن أعداء الإسلام لا يهمهم إلا أن نكون متفرقين حتى يستطيعوا أن يسودوا علينا كما قالوا: فرق تسد.

ولماذا هذا الخصام بين المسـلمين إذا كـان لكلٍّ منـهم دليلـه وبرهانـه؟!!، فعلينا أن نبتعد عن أهوائنا وشهواتنا، حتى يكون الإيمان كاملاً، كما قال النبي ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت بـه))[1]، وإذا كـان سـيدنا محمـد ﷺ قد عاتب سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنه على قتله الرجل الذي قـال لا إلـه إلا الله مرة واحدة، فكيـف بمن يقول لا إلـه إلا اللـه مرات ومرات؟؟!!، كيـف نحاربه ونُكفِّره وننسى قوله ﷺ: ((أيما رجـل قـال لأخيـه: يـا كـافر، فقـد بـاء بـها أحدهما))[2]؟!!، وإذا كانت الأدلة ساطعةً وظاهرةً فلماذا نَغُضُّ الطـرف عـن هـذه الأدلة ونتَّبـع شهواتِنا وأهواءَنا، ونبقى مختلفين متفرقين، مع علمنا أن هذا لا يخدم الإسلام والمسلمين؟؟!!. إلى متى... إلى متى... ؟؟!!.

---

١ - رواه الخطيب في تاريخه (٣٦٩/٤)، وقال الإمام النووي: حديث حسن رويناه في كتاب الحجة بإسـناد صحيح (الأربعون النووية ص ١٠٠) والبغوي في شرح السنة (١٠٤) وأبو بكر بن عاصم الأصبـهاني في كتاب السنة (١٥).

٢ - أخرجه البخاري (٦١٠٤)، وفي الأدب المفرد (٤٣٩)، ومسلم (٢١٣)، وأحمـد (١٨/٢)، ومـالك (٩٨٤/٢)، والترمذي (٢٦٣٧)، والبيهقي (٢٠٨/١٠)، وأبو عوانة (٢٢/١)، وابن منـده (٥٢١)، والبغوي (٣٥٥٠)، وابن حبان (٢٤٦).

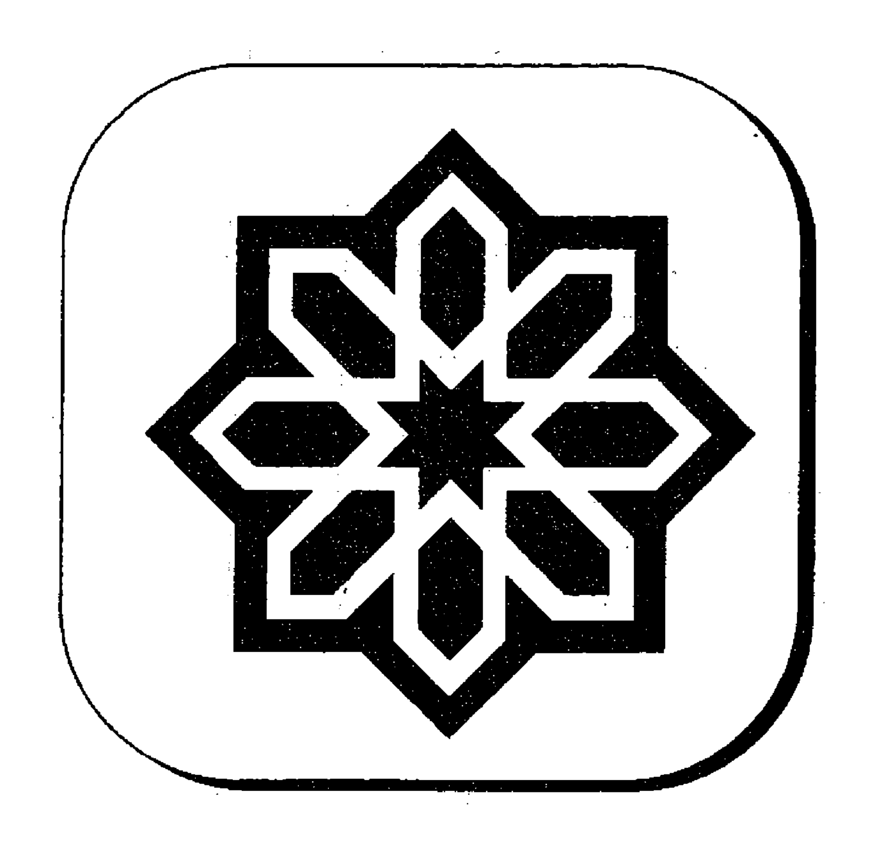
وفي نهاية هذه الخاتمة أقول:

اللهم اجعلنا متمسكين بالكتاب والسنة حقَّ التمسك، بعيدين عن الخلاف والتفرقة، واعين لما يُخطِّطه أعداء الإسلام والمسلمين، واجعلنا متحابين فيك، بعيدين عن الفوضى والخلاف الذي يخدم أعداء الإسلام، وانصرنا على أنفسنا وأهوائنا، وبصِّرْنا بما أردته منا، وحققنا بالعمل بالكتاب والسنة، وهَيِّءْ لنا من أمرنا رشداً، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والحمد لله رب العالمين

٢٥/١/٢٠٠٩

الفهارس الفنية



كشاف الآيات

الآية	الصفحة
۞ آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل	٤٤٨
۞ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا	٣٩٣
۞ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً	٤٩٦
۞ أفمن هذا الحديث تعجبون	٢٨٧
۞ ألا إلى الله تصير الأمور	٦٠٣
۞ ألا إن أولياء الله لا خوف	٣٧١، ٣٨٣، ٣٩٥، ٦٠٣
۞ ألا لعنة الله على الظالمين	٥٠
۞ ألحقنا بهم ذر يتهم	٢٩٨
۞ ألست بربكم	١٧٥
۞ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله	١٧٦
۞ أم أمنتم من في السماء	٦٤٠، ٦٤٣
۞ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم	٣٠١
۞ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر	٢٨١
۞ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك	٤١٩
۞ أني أخلق لكم من الطين كهيئة طير	١٢٨
۞ أو لامستم النساء	٥١٦
۞ أولئك الذين هدى الله	٣٨١، ٣٨٢
۞ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة	٨٨
۞ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا	٥٦٧
۞ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم	٩١

۞ إذ نادى ربه نداءً خفياً	٢٢٦
۞ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم	٨٦
۞ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه	٤٢٦
۞ إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه	٥٥٥
۞ إن الذين أوتوا العلم من قبله	٢٨٣
۞ إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته	٦٤٠
۞ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا	٨٤
۞ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله	٣٧٦، ٣٧٩
۞ إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله	٦٠٠، ٦٠١
۞ إن العهد كان مسؤولاً	٣٧٥
۞ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم	٣٧٥
۞ إن الله وملائكته يصلون على النبي	١٣٥، ٣٤٠، ٤١٥
۞ إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً	١٩٩
۞ إن النفس لأمارة بالسوء	٤٦١
۞ إن لدينا أنكالاً وجحيماً	٥٠
۞ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً	١٧٥
۞ إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا	١٢٦
۞ إنا نسيناكم	٦٣٧
۞ إنك لا تسمع الموتى	١٠٩، ٤٦٩، ٣٢٦
۞ إنك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء	١٠٩
۞ إنك لن تستطيع معي صبراً	٥٨٦
۞ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم	٤٨٢
۞ إنما المؤمنون إخوة	٥٩٧
۞ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله	٣٨٤
۞ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم	١٧٦
۞ إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن	٤٦٦

الآية	الصفحة
۞ إنما وليكم ا لله ورسوله والذين آمنوا	٨٤
۞ إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسه إلا المطهرون	٦١٥
۞ إني جاعل في الأرض خليفة	١٣٠
۞ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون	٣٨١
۞ اتقوا ا لله وكونوا مع الصادقين	٢٦
۞ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين	٢٢٥
۞ اهدنا الصراط المستقيم	٤٠٢
۞ بديع السموات والأرض	٤٧٩
۞ بل الإنسان على نفسه بصيرة	١٧٧
۞ بل هو آيات بينات في صدور	٤٠٧
۞ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام	١٥٣
۞ تبارك الذي بيده الملك	١٠٦، ٣١٦، ٤٢٣
۞ تبارك ا لله رب العالمين	١٥٣
۞ تتجافى جنوبهم عن المضاجع	١٩
۞ تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم	٢٨٣
۞ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا	٤١٠
۞ ثم استوى إلى السماء	٦٣٩
۞ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك	٣٥٩
۞ حرمت عليكم الميتة	٤٨٦
۞ دنا فتدلى فكان قاب قوسين	٤٢
۞ ذلك بأن ا لله هو الحق	٤٣٥
۞ ذلك فضل ا لله يؤتيه من يشاء	٧٧
۞ ذلك ومن يعظم شعائر ا لله فإنها من تقوى القلوب	٢٠٥
۞ ذي قوة عند ذي العرش مكين	٨٢
۞ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم	٤٨٣، ٥٠٩
۞ الذين قالوا ربنا ا لله ثم استقاموا	٣٧٥

۞ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم	١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٦، ٢١٩، ٣٥٥
۞ رب أدخلني مدخل صدق	٣٣٩
۞ ربنا ظلمنا أنفسنا	٨٩
۞ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا	٨٨
۞ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله	١٩
۞ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت	١٥٣
۞ الرحمن فاسأل به خبيراً	٣٨٢
۞ رضي الله عنهم ورضوا عنه	٦٩
۞ رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك	٧١
۞ سبح اسم ربك الأعلى	٦٤٠
۞ سبحان الذي خلق الأزواج كلها	٨٥
۞ سبحانك هذا بهتان عظيم	١١٦
۞ سبل السلام	٤٠٩، ٤٧٧، ٤٧٨
۞ السماء بنيناها بأيد وإنالموسعون	٦٣٨
۞ سيهزم الجمع ويولون الدبر، بل الساعة	١٧٩
۞ فأعينوني بقوة	٨٥
۞ فأما الذين في قلوبهم زيغ	٤١
۞ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً	١٧٨
۞ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب	٣٦٦
۞ فاذكروني أذكركم	٥١، ٣٥٥
۞ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	٨٦، ٣٨٢، ٣٩٦، ٥٣٦، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٨، ٥٧٠، ٥٧٢
۞ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه	٨٨
۞ فاعلم أنه لا إله إلا الله	٤١٣

۞ فاقرؤوا ما تيسر منه	٥١٩
۞ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور	٢٠٣
۞ فا لله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين	١٢٧
۞ فا لله هو الولي وهو يحيي الموتى	١٢٨
۞ فالمدبرات أمراً	٨٥
۞ فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا	٦٣٨
۞ فتلقى آدم من ربه كلمات	٨٨
۞ فتمثل لها بشراً سوياً	٣٦٢
۞ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً	٤١٤
۞ فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك	٤٠٦
۞ فلما نسوا ما ذكر وا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء	٤٨٣
۞ فلولا أنه كان من المسبحين	٢٤١
۞ فلولا نفر من كل فرقه منهم طائفة ليتفقهوا في	٣٨٤
۞ فما بكت عليهم السماء والأرض	٢٢٣
۞ فما تنفعهم شفاعة الشافعين	٢٩٩
۞ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل	٢٢
۞ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه	٣٨٤
۞ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر ا لله أولئك في	١٧٦
۞ قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا	١٣٥
۞ قال يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ	٦٤٢
۞ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم	٣٨١
۞ قل أعوذ برب الفلق	٤١٨، ٥١١
۞ قل أعوذ برب الناس	٤١٨، ٥١١
۞ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها	٢٣
۞ قل ا لله ثم ذرهم	٢٢٧، ٢٣٠
۞ قل بفضل ا لله وبرحمته فبذلك فليفرحوا	١٣٥

قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن	٢٨١
قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده	٤٦٥
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	١٣٤
قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على	٣٧١
قل هو الله أحد	١١٥، ٤١٨، ٥١١، ٥١٢
قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء	٥٠٩
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم	١٢٧
قيل يانوح اهبط بسلام	١٢٩
كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون	٦٦٣
كتاب أنزلناه إليك مبارك	١٥٣
كل شيء هالك إلا وجهه	٤٣٦، ٤٤٩
كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء	١٢٥
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً	٤١٩
كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو	٣٨٣
كما يئس الكفار من أصحاب القبور	٣١٣
كنتم خير أمة أخرجت للناس	٥٢٥
كونوا قوامين بالقسط	٣٧
لأهب لك غلاماً زكياً	٨٤
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم	١١٩، ٦٠١
لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض	٦٠٠
لا تخف إنك أنت الأعلى	٦٤٢
لا تقولوا لما تصف ألسنتكم هذا حلال	٥٠٧
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون	١٢٧
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٢٦٦
لتجزى كل نفس بما تسعى	٤٣
لقد رأى من آيات ربه الكبرى	٣٤٤

لقد كان لكم في رسول ا لله أسوة حسنة	٣٧٢، ٣٨١
لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً	٤٠٦
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة	٧٠
لنتخذن عليهم مسجداً	٥٠٦
ا لله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً	١٧٧
له معقّبات من بين يديه ومن خلفه	١٢٧
ا لله يجتبي إليه من يشاء ويهدي	٨٢
لهم قدم صدق عند ربهم	٦٤٧
لو كان فيهما آلهة إلا ا لله لفسدتا	٤٢
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير	٤٣، ٦٣٧، ٦٤١
لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين	٢٨٢
الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا	٣١٨
ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه	٦٩٨، ٧٩٣
ما فرطنا في الكتاب من شيء	٦٠١
ما كنت بدعاً من الرسل	٤٧٩
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى ا لله زلفى	٤٣٧
ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث	٤٨١
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم	٦٤٣، ٦٤٥
ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد	١٢٧
من ا لله ذي المعارج	١٢٦
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا	٣٩٣
النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٣٦٧، ٣٧٥
نسوا ا لله فنسيهم	٦٣٧
هذا فراق بيني وبينك	٦٠٣
هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً	٤٠٠، ٤٠٥، ٤٠٦، ٦٠٣
هو الأول والآخر والظاهر والباطن	٦٤٢، ٦٤٥

هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم	٤٦٢
هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم يتلو	١٢٩
هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً	١٣٣
وأبرئ الأكمه والأبرص وأحْي	٨٤
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس	٨
وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم	١٤٢
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى	٢٩٥، ٤٢٨، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٧، ٣١٠، ٤٨٣
وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه	٤١١، ٤٧٨
وأن يستعففن خيرٌ لهن	٦٠٨
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً	٣٧٦
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم	٣٧٦
وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب	٦٠٦
وإذا تخرج الموتى بإذني	١٢٨
وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير	١٢٨
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم	٨٥
وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا	٢٢٥
وإذا مرضت فهو يشفين	١٢٨
وإن استنصروكم في الدين فعليكم	٨٥
وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه	٨٥
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة	٢٨٢
وإنا فوقهم قاهرون	٦٤٢
وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم	١٢٩
وإنك لعلى خلق عظيم	٥٣
واتبع سبيل من أناب إلي	٣٨١، ٣٨٢، ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٧

واخفض جناحك للمؤمنين	٢٠٥
واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً	٢٢٧، ٢٢٩
واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً	٢٢٧
واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة	٢٢٥، ٢٢٩
واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب	٦٣٩
واستعينوا بالصبر والصلاة	٨٦
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات	٣٠١، ٣٠٨
واستفزز من استطعت منهم بصوتك	٢٨٧
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم	١١، ١٢، ١٨، ٢٢٠، ٣٩٣
واصطنعتك لنفسي	٣٦
واعتصموا بحبل الله جميعاً	٣٥٩
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون	٤٨٥
والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم	٢١٩، ٣٥٥، ٤١٥
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان	٣٠١، ٣١٠
والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا	٣٠٨
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٤٠١، ٤٠٩، ٤١٦، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٧٨
والسموات مطويات بيمينه	٦٤٤
والشعراء يتبعهم الغاوون	٢٨٧، ٢٨٩
والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور،	٢٨١
والعصر إن الإنسان لفي خسر	٥٠١
والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون	٦٠٧
والله خلقكم ثم يتوفاكم	١٢٧
والله من ورائهم محيط	٦٤٤
وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني	١٢٨
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي	٢٦٩

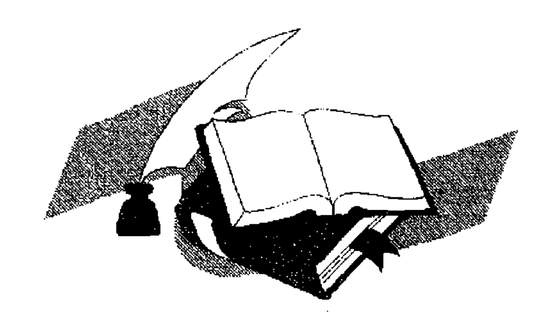
وتعاونوا على البر والتقوى	١٢٥
وجاء ربك	٦٣٩
وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم	٤٥٩
وجاهدوا في ا لله حق جهاده	٤٥٩
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون	٤٥٠
وجيهاً في الدينا والآخرة ومن المقربين	٨٢
وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون	١٤٣
وخلق كل شيء فقدره تقديراً	١٢٨
وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن	٥٠٩
وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين	٦٢٤
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم	٤٨٢
وسع كرسيه السموات والأرض	٦٤٣
وشاورهم في الأمر	٤٨٣
وعد ا لله الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٥١٢
وعلمناه من لدنا علماً	١٢٨
وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم	٨٩
وقالت اليهود عزير ابن ا لله وقالت النصارى	٢١٣
وقد هدانا سبلنا	٤٠٩، ٤٧٨
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً	١٤٢، ١٤٤
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية	٦٠٨
وقل اعملوا فسيرى ا لله عملكم ورسوله	١٠١
وقل رب أعوذ بك من همزات	٥٠٩
وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً	١٥٣
وقولوا للناس حسناً	٢٠
وكان أبوهما صالحاً	٣٠٤
وكان عند ا لله وجيهاً	٨٢

وكذلك زين لفرعون سُوء عمله	٦٤٢
وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل	١٣٥
وكونوا مع الصادقين	٣٦٢، ٣٦٥، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٩٣، ٤٠١
ولئن سألتهم من خلق السموات	٢٣١
ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل	٤٨٦
ولا تتبع سبيل المفسدين	٣٨١
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله	٤٧٨
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها	٢٢٥
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل ا لله أمواتاً	١٠١
ولا تسبوا الذين يدعون من دون ا لله	٢٢٥
ولا تصل على أحد منهم	٣١٣
ولا تقتلوا أنفسكم إن ا لله كان بكم رحيماً	٤٩٣
ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها	٢٣
ولا تقربوا الزنا	٤٨٦
ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر	٤٥٧
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل ا لله أموات	١٠١
ولا تكن من الغافلين	٢٢٥
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم	٥٩٧
ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون	٦٤٢
ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها	٦٠٥
ولا يحيطون بشيء من علمه	١٢٧
ولا ينبئك مثل خبير	٣٨٢
ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعاً	٤٩١، ٤٢٥
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	٧٤
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات	١٩٣

ولكل قوم هاد	٣٨١
و لله المشرق والمغرب فأينما تولوا	٥٩٣
ولما جاء هم كتاب من عند الله مصدق	٩٠
ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك	٩١، ٩٢، ١١٨، ١٣٢، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٣
ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم	٥٩٩
ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم	٣٢٧
ولو كنت فظاً غليظ القلب	٥٢
ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس	٥١٦
ولولا دفع الله الناس	٣٠٦
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات	٣٠٦
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	١٩٢، ٤٨٦، ٥٥٢
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	٢٠، ١٣٥، ١٣٦
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	٢٣
وما أنت بمسمع من في القبور	١٠٩
وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه	٤١٤
وما جعل عليكم في الدين من حرج	٥١٥
وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو	٢٨٤، ٢٨٥
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم	٣٠٥
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل	٥٦٨
وما كان ربك نسياً	٤٨٧، ٦٣٧
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً	٣٨١
وما لأحد عنده من نعمة تجزى	١٩
وما منا إلاله مقام معلوم	١٢٦
وما يعلم تأويله إلا الله	٤١

وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم	٣٦٦
ومن أظلم ممن منع مساجد الله	٢٢٦
ومن الناس من يشتري لهو الحديث	٢٦٤، ٢٨٦
ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه	٤٦٤
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا	٨٥
ومن يسلم وجهه إلى الله	٧٠
ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً	٣٨٣
ومن يطع الله والرسول فأولئك	٣٦٩
ونحن أقرب إليه من حبل الوريد	٦٤٣، ٦٤٥
وننزل من القرآن ما هو شفاء	٥٠٩، ٥١٢
وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك	٤١٩
وهو العلي الكبير	٦٤٠
وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير	٦٤٠، ٦٤١
وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم	٦٤٤
وهو معكم أين ما كنتم	٦٤٣، ٦٤٥، ٦٤٦
ويؤثرون على أنفسهم	٤٧
ويخافون ربهم من فوقهم	٦٤٠
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم	٣١٣
ويشف صدور قوم مؤمنين	٥٠٩
ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً	٨٧
ويمددكم بأموال وبنين	١٣٣
ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني	٣٩٣
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا	٣٧٢
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة	٨١، ٨٨، ٣٦٤، ٣٦٥
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن	١٧٧
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً	١٧٢، ٢١٩، ٣٥٥، ٤١٦

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً	٥٠٥، ٦٢٦
يا أيها الذين آمنوا قد جاءتكم موعظة من	٥٠٩
يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل	٤٦٥
يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي	٥٩٩
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله	٥٩٨، ٥٩٩
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً	١٣٣
يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك	٦٠٥
يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد	٣٨١
يحبهم ويحبونه	٨٢
يختص برحمته من يشاء	٨٢
يزيد في الخلق ما يشاء	٢٤٩
يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور	٦٠٣
يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام	٤٧٧
يوسف أعرض عن هذا	٢٣٠
يوم لا ينفعُ مال ولا بنون إلا من	٢٢
يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب	٦٤٤
يوم يكشف عن ساق	٦٣٨
يوماً يجعل الولدان شيباً	٨٤



كشاف الأحاديث

الحديث	الصفحة
آخر وطأة وطئها الرحمن بوج	٦٤٥
أبايعك على أن لا تشركي	٣٧٧
أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا بل نبايعك أنت فأنت سيدنا	٢٠١
أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة	٢٠١
أتدري أين صليت، قال: لا، قال: صليت	١٣٧
أتيت النبي ﷺ في آخر الليل فصليت خلفه	٤٩٢
أتيت النبي ﷺ في نسوة يبايعنه فقلنا	٣٧٧
أتيت النبيَّ ﷺ لأبايعه، قال: فاشترط	٣٧٩
أحد جبل يحبنا ونحبه	١٧٧، ٣٤٢
أدبني ربي فأحسن تأديبي	٦٠٢
أربعون رجلاً مثل خليل الرحمن	٩٦
أرحنا بها يا بلال	٤٤٩
أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح	١٥٧
أرى رؤياكم قد تواطأت	١٠٧
أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء	٤٥٠
أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم	٣١٧
أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا	٤٣٥
أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف	٢٣٦
أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدفوف	٢٣٤
أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال	٢٣٤

أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد	٢٣٥
أعني على نفسك بكثرة السجود	٨٤
أعوذ با لله وبرسوله أن أكون كوافد عادٍ	٩٧
أعوذ برضاك من سخطك	٤٤٧
أعوذ بك منك	٤٤٧
أغث إن كان عندك غوث	٨٦
أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم	١٠٢
أفضل الذكر لا إله لا ا لله	٤١٣
أفضلكم الذين إذا رؤوا ذكر ا لله تعالى	٤٠٥
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد	٦٤٥
أكان رسول ا لله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر	٢٨٤
أكانت المصافحة في أصحاب رسول ا لله ﷺ	٦١١
أكثر واذكر ا لله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون	٢٢٣
أكثروا ذكر ا لله تعالى حتى يقولوا مجنون	١٨١، ٢٢٣
ألا أدلك على ملاك الأمر الذي	٢٢٢، ٣٥٨
ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه	٣٠٥
ألا وإن في الجسد مضغة إذا	٢٢
ألم أنهك أن تخبئ شيئاً	٤٨
أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد	٢٩٩، ٣٠٩
أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر	٤٦٧
أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة	٥٢٥
أما ترضين أن تكوني سيدة نساء الجنة	٢٠١
أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضيَ ا لله عنهما	٤٢١
أن أم سليم صنعت حيساً وأرسلت	٦٠٧
أن ابن عمر كان يزور قبر النبي ﷺ ويقول	٣١٧

أن العباس بن عبد المطلب رأى أبا لهب في المنام	١٤٢
أن القائم كالحامل في الأجر	٢١٨
أن النبي ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها	١٥٦، ١٥٧
أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس	٦٠٦
أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس	٥٩٩
أن النبي ﷺ بايع الحسن والحسين	٣٧٨
أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه	٤٩٧
أن النبي ﷺ دخل إلى أم سليم	١٦٢
أن النبي ﷺ دخل مكة وابن رواحة يمشي	٢٥٣
أن النبي ﷺ صلى المغرب فما زال يصلي	٦١٤
أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير	١٦٣
أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له	١٧٩
أن النبي ﷺ قال: إن هذه الأمة تبتلى	٣٢٩
أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه	٥١١
أن النبي ﷺ كان في سفره وكان غلام يحدو	٢٤٩
أن النبي ﷺ كان يصلي في رمضان عشرين	٦٣٥
أن النبي ﷺ لقي رجلاً مختضباً بصفرة.	١٦٠
أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: (كيف تصنع....	٥٤٩
أن النبي ﷺ مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدُفهنَّ	٢٣٤، ٢٥٢
أن النبي ﷺ مر بمجلسين، أحد المجلسين يدعون	٢٢٢، ٣٥٧
أن امرأة رفعت صبياً فقالت: يا رسول الله ألهذا	٢٩٨
أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها	٦٠٧
أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت	٥١١
أن خبيباً كان أسيراً عند بني الحارث	٤٢١
أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لأنت أحب	٣٦٩

أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ	٩٤
أن رجلاً قال ذات يوم ودخل في الصلاة	٤٩٥
أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة	١٧٣، ٢٢٠، ٣٥٦، ٤٩٠
أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه	١٦٠
أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى بالناس يخر رجال	٤٦٤
أن رسول الله ﷺ كان جالساً فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه	٢٠٦
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين	٦١٧
أن رسول الله ﷺ وضع حجراً على قبر	٣١٤
أن سيدنا بلالاً أتى النبي ﷺ يؤذن بصلاة الفجر	٤٩٤
أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها	٣٢٨، ٣٢٢
أن كعب بن زهير لما جاء تائباً رمى ﷺ إليه	٢٥٥
أن لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر	٦١٥
أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي	١٩٣
أنا أعربكم أنا من قريش	٢٨٤
أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب	٢٨٤
أنا سيد العالمين	٢٠٠
أنا سيد الناس يوم القيامة	٢٠٠
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة	١٩٩
أنا عند ظن عبدي بي	٢٢٢، ٣٥٧
أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه	٢٢٨
أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت	١٠٦
الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون	١٠٢، ٣٤٦
أنشدت رسول الله ﷺ مئة قافية من قول أمية	٢٥١
أنه ﷺ دعا فيه ثلاثة أيام على الأحزاب	٣٤٣
أنه ﷺ قبض أصابعه كلها وأشار	٦٢٧

أنه ﷺ قرأ أول سورة البقرة عند رأس الميت	٣٠٢
أنه ﷺ كان يشير بالسبابة لا يحركها	٦٢٧
أنه التمس فلم يوجد	١٦٦
أنه رأى رسول الله ﷺ عند أحجار الزيت	٧٢٤
أنه سئل أكان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة	٦١٣
أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده	٥١١
أنه كان في يد عثمان ست سنين	١٦٧
أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومئة صف	٥٢٥
أهلَّ الناس بهذا الذي يهلون فلَم	٤٩٥
أهلَّ رسول الله ﷺ فذكر التلبية	٤٩٤
أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة	٤١٥
أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم	٣٧٠
إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم	٩٧
إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً	١٣١
إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة	٩٧
إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض	١٣٠
إذا رأيتم الجنازة فقوموا.	٢١٨
إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها	٢١٨
إذا سألت فاسأل الله وإذا	٨٦، ١١٠، ١٣١
إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ثم	٦٢٦
إذا صليتم على رسول الله ﷺ.	٢٠٢
إذا فزع أحدكم من النوم فليقل	٥١١
إذا كنت لا بد سائلاً فاسأل	٩٧
إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب.	٣١٠، ٦٢٣
إذا مات أحدكم فسويتم	١٠٥

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث	٣٠٣، ٣٠٧، ٣١٠
إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا	١٧٢، ٢٢٠، ٣٥٦
إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه	١٠٥
إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم فإن	١٠٤
إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في	١٠٤
إن أمي ماتت وعليها صوم شهر	٣٠٩
إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله	١٧٣
إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ	٣٤٨
إن الرجل إذا رضي هدي الرجل	١٩١
إن الرجل ليبلغ بحسن الخلق درجة	٢٣
إن الرجل ليتكلم الكلمة من رضوان الله تعالى	٦٠١
إن الرسول ﷺ يترك العمل وفعله أحب	٤٨٧
إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى تبلغ	٩٨
إن العبد إذا وضع في قبره وتولى	١٠٣
إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا	٤٧
إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا	٢٣
إن الله جل وعلا يستحي من العبد أن يرفع	٥٠٤
إن الله خلق آدم على صورته	٤٥٠
إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح	٢٣٤
إن الله لا ينظر إلى أجسامكم	٢٢
إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح	٣٠٠
إن الله يؤيد حسان بروح القدس	٢٥٤
إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة	٥٢٦
إن الميت ليسمع خفق نعالهم	٣٢٤، ٣٢٦
إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه	٣٠٩

إن النبي ﷺ صلى في المسجد فصلى بصلاته	٦٣١
إن النبي ﷺ مرَّ على أعرابي وهو يدعو	٤٩٦
إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا	٥٠٤
إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف	٢٢٢
إن قوائم منبري هذا رواتب في الجنة	٣٤١
إن كنت ذا غوث فأغث	٩٩
إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً	١٧٢، ٢٢٠
إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس	٩٧
إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني	١٠٣
إن لله ملائكة سيارين يتطلبون	١٧٢
إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة	٩٧
إن لله ملائكة يطوفون في الطرق	٢١٩، ٣٥٥
إن من الشعر حكمة	٢٥٣، ٢٦٧
إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء	٣٧١
إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء	٣٩٥
إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل	٣١٦، ٣٢٣
إنما أنا بشر أنسى كما تنسون	٤٨٥
إنما أنا رحمة مهداة	١٣٥
إنما الأعمال بالنيات	٣٧٢
إنما بعثت رحمة و لم أبعث لعاناً	١٣٥
إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٧٣
إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا	٤٨٩
إنه لفي ضحضاح من النار ولولا	١٤٥
إنها لمشية يكرهها الله إلا في مثل	٢١٧
إنهم يصومونه لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق	١٣٧

إني لست أمسه إنما لا يمسه إلا المطهرون	٦١٦
إياكم والدخول على النساء	٦٠٧
ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين	١١٢، ١١٧، ١١٩
ابسط ردائك فبسطه فغرف بيديه فيه	٩٩
اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق	١٦٦
اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة	٢٣
اثبت أحد فإنما عليك نبي	١٧٧
اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة	١٨٢، ١٨٦
استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم	٣١٥
اشتكى النبي ﷺ.... إن صلى قائماً فصلوا قياماً	٢١٦
اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد جاءهم	٦٢١
اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في عمرة اعتمرها	٤٩١
اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر	٤٩٨، ٦٣٢
اقتص قال: يا رسول الله إن عليك قميصاً	١٦٠
امح رسول الله قال سيدنا علي	٢٠٣
انطلق إلى المنزل فأسقيك في قدح	١٦٢
انطلقت مع النبي ﷺ .... لا ولكنه أواه	٢٢١
انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا	١١١
انظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوى	٣٢٧
بأبي أنت وأمي يا نبي الله لا يجمع	١٠٦، ٣١٧
بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين	٣٧٨
بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة	٣٧٨
بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة	٣٧٨
بايعنا رسول الله ﷺ على السمع	٣٧٦
بايعوني على أن لا تشركوا با لله شيئاً	٣٧٦

بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا	٣٧٣
بم سبقتني إلى الجنة؟ قال: ما أذنت	٤٩٠
بها نظرة فاسترقوا لها	١٥٤
بي نصروا	٤٩٠
بينا رسول الله ﷺ يصلي إذ سجد فلدغته	٥١٢
البينة على المدعي واليمين على من أنكر	٥١٩
بينما رجل راكب على بقرة قد حمل	٤٢١
بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر	٢٩٠
تخفيف العذاب على أبي لهب	١٣٦
تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح	٣٦٣
تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة	٤٠٩، ٤١١
تلبية رسول الله ﷺ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك	٤٩٩
ثبت عن سيدنا محمد ﷺ أنه كان يستلم الركنين اليمانيين	٥٠٠
ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان	٣٩٥
ثم رفع أصبعه فرأيته يحركها يدعو بها	٦٢٩
جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة	٣٧٧
جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر	١٥٥
جئت رسول الله يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه	٤٦٣
جاء النبي ﷺ فدخل علي صبيحة عرسي... يضربن بالدف	٢٣٣
جاء حبش يزفنون في يوم عيد	١٨٠، ١٩٠
جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون إلى النبي ﷺ	٢٩٠
جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد	٤٠٤
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب	٥١٠
جاء رجل والناس في الصلاة	٤٩٤
جاء سُليك الغطفاني ورسول الله ﷺ يخطب	٦١٧

جاء سيدنا عمر بن الخطاب إلى سيدنا أبي بكر	٥٠٠
جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ... أفأحج عنه؟ قال:نعم	٣٠٩
جاءني جبريل فقال: مر أصحابك يرفعوا	٢٢٣
جددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله كيف نجدد	٩١٤
حب الدنيا رأس كل خطيئة	١٨٤
الحبة السوداء شفاء من كل داء	٤٨٤
حتي يضع الرب جل جلاله قدمه فيها	٦٤٦
حدثتني أمي أن النبي ﷺ رأى للعباس قادماً فقام له	٢٠٦
حديث الإسراء المتواتر	١٠٢
حديث الغار	٨١، ٤٢٠
حديث تخلف سيدنا كعب بن مالك	٢٠٥
الحسن والحسين سيدا الشباب	٢٠١
حقت محبتي على المتحابين فيَّ	٣٦٦
الحليم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة	٢٠١
حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم	١٠٤
خدرت رِجْلُ ابن عمر فقال له رَجُلٌ	١١٣، ٣٦٨
خذها فلعمري لمن أكل برقية باطل قد أكلت برقية حق	٤٩٦
خرج النبي ﷺ من عندي مسروراً	٤٨٧
خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة	٤٩٣، ٥٤١
خرج رسول الله ﷺ فإذا الناس يصلون	٤٩١
خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم	٤٦٤
خرج سيدنا عمر رضي الله عنه إلى المسجد فوجد معاذاً	٣٣٠
خرج علينا النبي ﷺ فقال: يا أيها الناس	٢٢٠
خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا	٢٥٣
خير الدواء القرآن	٥١١

خير الذكر الخفي	١٥، ٢٢٤
خير القرون قرني ثم الذين	٦٣٧
خير الوجوه من إذا رأيته ذكرك الله	٣٦٤
دخل أبو بكر وعندي جاريتان	٢٣٥
دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من قربة	٤٩٢
دخل علي رسول الله ﷺ وبين يدي أربعة آلاف	٢٤٢
دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان	٢٥١
دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا	١٥٩
دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى	٢٤٤
دخلت على عائشة رضي الله عنه فقلت: يا أماه اكشفي لنا قبْر رسول الله ﷺ	٣٤١
دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ	١٩٧
دعاء الأخ لأخيه في ظهر الغيب	٢٠١
دعهم يا عمر فإنما هم بنو أرفدة	٤٩٤
دونكم يا بني أرفدة	١٧٩، ٢٦٠
رآني رسول الله ﷺ على قبر فقال	٣٢٥
رأى رسول الله ﷺ رجلاً قد اتكأ	٣٢٥
رأيت النبي ﷺ قد حلق الإبهام والوسطى	٦٢٨
رأيت النبي ﷺ واضعاً ذراعه اليمنى على	٦٢٧
رأيت النبي ﷺ يعقد التسبيح	٢٤١
رأيت رسول الله ﷺ توضأ ثم قرأ	٦١٦
رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن	٢٠١
رأيت رسول الله ﷺ في قبة حمراء	١٦٥، ٤٩٢
رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه	٤٩١
رأيت قصوراً مشرفة على الجنة	٤٧

رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء	٤٢٢
الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم	٣٩٤، ٣٩٦
الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل	٣٩٤
رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا	٣٩٥
رجوت بركتها حين لبسها	١٦١
رفع القلم عن ثلاث	٦٢٥
رفع عن أمتي الخطأ والنسيان	٦٢٥
ركبت البحر فانكسرت سفينتي	٤٢٤
زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى	٣١٥
سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال: هو الكلام حسنه	٢٥٤، ٢٦٣
السلام عليك يا رسول الله	١٠٦
السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين	١٠٥
سمعت رد السلام	٣١٧
شهدت النبي ﷺ بالبطحاء وأتى	١٦٥
شهدت النبي ﷺ بالبطحاء وأتى بلال بفضل وضوئه	٤٩٢
صح عن ابن مسعود أنه كان يصلي قبلها أي الجمعة	٦١٨
صلاة في مسجد قباء كعمرة	٣٣٦
صلاة في مسجدي هذا خير من ألف فيما سواه	٣٣٧
صليت مع النبي ﷺ فعطست، فقلت الحمد لله	٤٩٥
صم يوماً مكانه	٦٢٥
طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً	٤١٥
العبد إذا وضع في قبره وتولى	٣٢٤
عبدي إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً	٣٥٧
عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط	٥٢٥
عرق فاستنقع عرقه على قطعة	١٥٩

العلماء ورثة الأنبياء	١٣٣، ٣٨٣، ٦٠١
عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس	٢٤١
عن أبي بكر قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار	٥٩٩
عن أبي مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة	١٦٤
عن النبي ﷺ أن امرأة جاءته فقالت: إني نذرت إن رجعت	٢٣٤، ٢٥١، ٢٨٨
عن النبي ﷺ أنه ضحى بكبشين أملحين	٢٩٩، ٣٠٠
عن سيدنا عمرو بن العاص أنه لما بعث في غزوة	٤٩٣
عن عائشة أن أبا بكر دخل وعندها جارتيان في أيام منى تدفقان	٢٣٥، ٢٥١
عن عبد الرحمن بن رزين قال: مررنا بالربوة فقيل	١٦٥
عن عبد الله بن دينار رضي الله عنه قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يتمثل بشعر أبي طالب وأبيض يستسقى	٩٨
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في	٦٠٠
عن محمد بن سوقة عن أبيه قال: لما بنى عمرو بن حريث داره	١٦٤
عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن الناس نزلوا	١٦٧
العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا، سمعت	٩٦
فاتحة الكتاب شفاء من كل داء	٥١٢
فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال	١٦١
فاسترقوا لها فإن بها نظرة	١٥٤
فدين الله أحق بالقضاء	٦٢٥
فزوروا القبور فإنها تذكر الموت	٣١٥
فزوروها فإنها تذكر الآخرة	٣١٥
فسترت وجهي عنه بجلبابي	٦٠٦
فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت في النكاح	٢٣٤
فضلت هذه الأمة على سائر الأمم	٥٢٥
فعلك تمر بقبري ومسجدي	١١٤

فكان أبو محذورة يجزُّ ناصيته لا يفرقها	١٦٢
فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب	١٥٩
فلما صلى الصبح انحرف جالساً فاستقبل	٤٩١
فمر على جبلٍ يقال له	١٨١
فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها	١٦١
فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني	٢٣٣، ٢٥٠
في قصة سيدنا عكرمة فلما رآه النبي ﷺ وثب إليه	٢٠٦
فيه ولدت وفيه أنزل علي	١٣٦
قال الرسول ﷺ لو أن رجلاً مؤمناً قرأ بها	٤٩٦
قال المقبري: كنا مع أبي هريرة فلحقه فقال وعليك يا سيدي	٢٠١
قال النبي ﷺ ليسلكن عيسى بن مريم حاجاً	٣٣٠
قال تثويت أبا هريرة معه كيس فيه حصى	٢٤٢
قال رجل للنبي ﷺ إن أمي افتلتت	٢٩٨، ٣٠١، ٤٠٩
قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقى أخاه	١٩٧
قبلة المسلم أخاه المصافحة	١٩٧
قد جاءكم أهل اليمن، وهم أول من جاء	٦١١
قد روي عن عبد الله أنه رآها زارت قبر أخيها	٣٢١
قدم زيد بن حارثة المدينة فقام إليه رسول ﷺ	٢٠٦
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	٥١٠
قل وروح القدس معك	٨٦
قل وروح القدس يؤيدك	٨٦
قلت يا رسول الله علمني سنة الأذان	١٦٢
قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين	٣١٦، ٣٢١، ٣٢٣
قوموا إلى سيدكم	٢٠٠
قوموا لسيدكم	٢٠٠، ٢٠٥

كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر	٥٩٨
كان أبو بكر يخافت بصوته إذا قرأ	٤٩٣
كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا	١٧٨، ١٨٢
كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون عنده الشعر	٢٥٢
كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي	٦١٨
كان الحبشة يرقصون بين يدي رسول الله	١٧٩
كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا	٥٠١
كان الله ولم يكن شيء غيره	٤٣٥
كان الناس على عهد رسول الله ﷺ إذا جاء	٤٨٩
كان الناس في زمن عمر يقومون في رمضان	٦٣٢
كان النبي ﷺ إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى	٦٢٧
كان النبي ﷺ يحدثهم فإذا قام قاموا	٢٠٧
كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام	٤٩١
كان النبي ﷺ يرفع يديه في الدعاء	٥٠٤
كان النبي ﷺ يركع قبل الظهر أربعاً	٦١٨
كان النبي ﷺ يشير بأصبعه إذا دعا	٦٣٠
كان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد	٢٥٤
كان النبي ﷺ يقول: زاهر باديتنا	١٦٠
كان رجل عند النبي ﷺ ينظر إليه	٣٦٩
كان رجل من أهل نجد إن دعا رفع صوته	٢٢١
كان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته قال بصوته الأعلى	٢٢١
كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم	١٦٣، ٤٩٢
كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد	١٥٤
كان رسول الله ﷺ في الطريق إلى مكة	١٨١
كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً	٣٣٦، ٣٤٢

كان رسول الله ﷺ يبني المسجد وعبد الله بن رواحة	٢٨٤
كان رسول الله ﷺ يتوضأ ثم يقبّل ثم	٥١٦
كان رسول الله ﷺ يذكر الله على	١٧٨، ١٨٦
كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل	١٨١
كان رسول الله ﷺ يصلي قبل الجمعة أربعاً	٦١٧
كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر النبي ﷺ	٢٢٠، ٢٢٧
كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله يأمر بالحداء	٢٧١
كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل	٣٥٧
كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ينزل تحت الشجرة ويتبرك بها	١٦٤
كان فراش رسول الله ﷺ من أدم	٤٦٣
كان كل من عبد الله بن عمر وأبي هريرة	٢٢٣
كان ينفث على نفسه في المرض	١٥٤
كانت تبسط للنبي ﷺ نطعاً فيقيل	١٥٩
كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى	٤١١
كل بدعة ضلالة	١٤٨، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥٢٠، ٥٥٢، ٦٣٢
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل	٥٧٣
كل معروف صدقة وإن من المعروف	٤٨
كنا عند رسول الله ﷺ.... ارفعوا أيديكم فقولوا	٢٢١، ٣٥٦، ٣٧٨
كنا مع النبي ﷺ في سفر فتفرقنا في ليلة	٤٢٣
كنا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رَفع رأسه	٤٩٥
كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ	١٠٦
كنتَ جالساً مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فسلم	٤٩٥
كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة	٦٠٨

كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	٣١٥، ٣٢٠
كنت نهيتكم عن زيارة القبور	٣١٨
كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة	٣٩٤
لأن أجلس مع قوم يذكرون الله بعد صلاة الصبح	٣٥٨
لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد	٢٢٣
لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه	٢٩٠، ٢٩١
لا بل أنتم العكارون	١٩٣، ٢٠٧
لا تباغضوا ولا تحاسدوا	٢١٢
لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن	٢٨٦
لا تحاسدوا ولا تناجشوا	٢٣
لا تسيدوني في الصلاة	٢٠٣
لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد	٣٣٨، ٣٤٥
لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك	٨٧، ٣٩٥
لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم	١٤٩، ٢١٣
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض	٢٢٧، ٢٣١
لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم	٢١٣
لا تلثم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس	٦٠٦
لا تمس القرآن إلا وأنت على طُهر	٦١٥
لا تنقب المرأة المحرمة ولا تلبس	٦٠٦
لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب	
لا ضرر ولا ضرار	٥١٥
لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك	٣٦٧
لا ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه	٤٨٤
لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	٣٦٦
لا يجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله	٥١

لا يدخل الجنة من كان في قلبه	٢٥
لا يَمَسُّ القرآن إلا طاهر	٦١٥
لا ينبغي للمصلي أن يشد رحاله إلى مسجد	٣٥٠، ٣٥٤
لتعلم يهود أن في ديننا فسحة	٤٩٤
لعلك قبلت أو لمست	٥١٧
لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا	٢٩٥، ٣٠٢
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا	٥٠٥
لقد دعا باسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب	٤٩٧
لقد رأيت نبيكم ما يجد من الدقل	٤٦٤
لقد رأيتني وإني لأخرُّ فيما بين قبر رسول الله ﷺ	٤٦٣
لقد كان فيمن قبلكم من الأمم مُحَدَّثون	٤٢١
لقنوا موتاكم لا إله إلا الله	٣١٠، ٦٢٣
لكن عند الله لست بكاسد	١٦١
لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت	٢٥٢
لم يتكلم من المهد إلا ثلاثة	٤١٩
لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ	٢١٢، ٢١٥
لما اجتلى النبي ﷺ صفية رأى عائشة	٦٠٦
لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب	١١٣
لما كان أيام الحرة لم يؤذن	١٠٦
لما نزلت بنو قريظة	٢٠٥
لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع	٤٨٣
اللهم أنت عبدي وأنا ربك	٤٣٣
اللهم إن كانت كاذبة فَعَمِّ بصرها	٤٢٢
اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا	٩٥، ١١٩
اللهم إني أسألك القصر الأبيض	٢٢٦

اللهم اجعل رزق آل محمد	٤٨
اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً	٨٦
اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون	٤٥٩
اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي	٩٥، ١١١
اللّهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي	٤١٥
اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل	٦٣٨
لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها	٣٣٧
لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية	٤٨٥
ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش	٩٨
ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في	١٧٢، ٣٥٨
ليس منا من لم يعرف لعالمنا حقه	٦٠١
ليس يتحسر أهل الجنة إلى على ساعة	٥١
المؤمن الذي يعاشر الناس ويصبر على	٤٧
المؤمن يألف ويؤلف ولا خير	٤٨
ما أحل الله في كتابه فهو حلال	٤٨٧
ما أعظمك وأعظم حرمتك	٢٠٥
ما أعلم رجلاً من المهاجرين إلا قد سمعته يترنم	٢٥٢
ما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم	٤٨٦، ٤٨٨
ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت	٢٥٢
ما بين بيتي ومنبري	٣٤١
ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة	٣٢٩، ٣٣٥، ٣٤١
ما بين لا بتيها حرام	٣٣٧
ما جلس قوم يذكرون الله إلا	١٧٣، ٢٢٢، ٣٥٧
ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً برسول الله ﷺ	٢٠٦
ما شبع آل محمد من خبز	٤٦٣

ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان	٦٣٤
ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي	١٠٣، ٣١٦، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩
ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه	١٠٥، ٣١٦، ٣٢٦
ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه	٣١٦، ٣٢٦
ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتين	٦١٨
ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك	٢٢٢، ٣٥٧
ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر	٦١١
ما من ميت يموت فتقرأ عنده يس	٢٩٤
ما منعك أن تثبت إذ أمرتك	٢٠٣
ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام	٤٠٧
متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ	٣٩٥
مثل الجليس الصالح وجليس	١٤٩، ٣٩٤
مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره	١٠٩
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد	٦٢٠
المجاهد من جاهد نفسه في الله	٤٦٠
مر أبو هريرة وصاحب له على قبر	٣٢٤
مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر	٣١٧، ٤٢٠
مُرَّ على رسول الله ﷺ بجنازة فقام	٢١٨
مرَّ عمر في المسجد وحسان ينشد	٢٥٤
المرء مع من أحب	١٨٤، ٣٦٥
المسر بالقرآن كالمسر بالصدقة	٢٢٤
المسلمون كالجسد الواحد	١٢٣
من أحب أن يتمثل له الناس	٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦

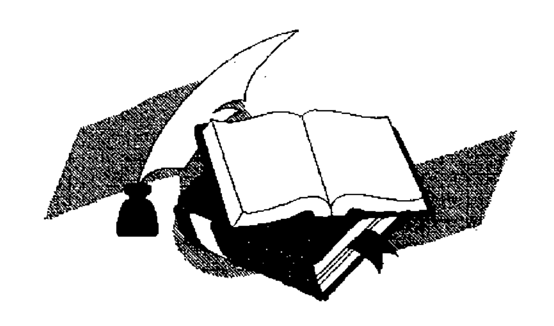
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	١٨٤
من أحب لله وأبغض لله	٣٦٦
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٤٨٤
من أخذ شبراً من الأرض ظلماً	٤٢٢
من أشدِّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي	٣٦٧
من تشبه بقوم فهو منهم	١٩١
من جاءني زائراً لا تحمله حاجة إلا زيارتي	٣٣٨، ٣٤٥
من جاءني زائراً لا تُعلمه حاجة إلا زيارتي	٣٣٠، ٣٥٢
من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت	٣٣٠
من حج البيت فزار قبري بعد وفاتي فكأنما	٣٣٠، ٣٤٩، ٣٥٠
من حج البيت و لم يزرني فقد جفاني	٣٣٠، ٣٣٨
من حج وزار قبري بعد موتي كان كمن	٣٣٨
من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم	٩٤
من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده	٢٢١
من دخل المقابر فقرأ سورة يس	٣٠٢
من دخل المقبرة فقرأ الفاتحة	٢٩٤
من زار قبري وجبت له شفاعتي	٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٠
من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً	٣٣٠
من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي	٣٣٠
من سن في الإسلام سنة	١٤٩، ٣٢٢، ٤٨٨، ٥٠٦
من صبر على لأواء المدينة وشدتها كنت له	٣٣٧
من صلى المغرب والعشاء فإنها صلاة	٦١٣
من صلى بعد المغرب ست ركعات	٦١٣
من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات	٤١٥

من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً	٤١٥
من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة بنى الله	٦١٨
من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	٣٦٦
من علّم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه	٦٠١
من غشنا فليس منا	٤٨٦
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له	٤١٤
من نام عن حزبه أو عن شيء منه	٥١٨
من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله	٥١٠
من وجد سعة و لم يفد إلي فقد جفاني	٣٣٠
ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله ﷺ فأخذنا	١٩٤
نحن الذين بايعوا محمداً	٢٥٣
نزل خالد بن الوليد الحيرة فقالوا له احذر السم	٤٢٣
نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته ﴿واصبر....	٢٢٠، ٣٥٦
نعمت البدعة هذه	١٤٨، ٤٨٠، ٤٩٨، ٦٣٠
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها	٣١٥
هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	١٦، ٣٤، ٦٦، ٢٣٠، ٤٧٢
هل أنت إلا أصبع دميت	٢٨٥
هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم	٩٨
هي المانعة هي المنجية	١٠٦، ٣١٦، ٤٢٣
وأبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك	٦١١
وأنشد يوماً وقد قيل (هما واحد)	٢٨٥
وإذا تصدق بصدقة تطوعاً فيجعلها	٣٠١
وإنه على ترعة من ترع الجنة	٣٤٢
والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى	١٠٤
وا لله إني لأستغفر الله وأتوب إليه	٤١٤

وا لله في عون العبد ما كان العبد	١٠٠
وترق القلب وتدمع العين	٣١٥
وثبت أن النبي ﷺ كان يلازم في أسفاره كلها	٤٩٩
وثبت عن صفية بنت حي أنها صلت قبل الجمعة أربعاً	٦١٨
وجاء في فتح الباري قبلوا يد النبي ﷺ	١٩٥
وجب أجرك وردها عليك الميراث	٣٠٢
وعن أم أبان بنت الوارع بن زارع عن جدها	١٩٤
وعن ابن جدعان، قال ثابت لأنس: أمسست النبي ﷺ	١٩٤
وعن الزبير رضي ا لله عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة	١٦٦
وعن الشعبي أن زيد بن ثابت رضي ا لله عنه صلى على	١٩٤
وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنساً	١٦٦
وعن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنساً رضي ا لله عنه	١٩٤
وعن جعفر بن عبد ا لله بن الحكم أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة	١٥٨
وعن سيدنا جابر رضي ا لله عنه أن سيدنا عمر رضي ا لله عنه قبل يد النبي	١٩٤
وعن سيدنا حبان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول ا لله ﷺ عدّل الصفوف يوم بدر	١٩٤
وعن سيدنا سهل بن حنيف فقلت يا سيدي والرقى صالحة	٢٠٠
وعن سيدنا عبد الرحمن... مُرَّ على رسول ا لله ﷺ بجنازة فقام	٢١٨
وعن صهيب قال: رأيت علياً يقبل يد العباس ورجليه	١٩٥
وعن عامر بن سعد فإنه قد رخص لنا في اللهو عند العرس	٢٥٠
وعن عبد الرحمن بن رزين قال: مررنا... بايعت بهاتين نبي ا لله ﷺ	١٩٥
وعن قتادة رضي ا لله عنه أنه أضيبت عينه	١٠٠
وعن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد ا لله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها	١٦٣

وعن يحيى بن الحارث الذماري قال: لقيت واثلة	١٦٥
وعن يزيد بن الأسود في حديث حجة الوداع	١٦٣
وعن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود	١٦٥
وفي قصة سيدنا جعفر قام له النبي ﷺ	٢٠٦
وقال ابن كثير في كتابه فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر	١٩٥
وقبض ثنتين وحلق ورأيته يقول هكذا	٦٢٨
وقد قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾	٥٠
ولينوا في يد إخوانكم	٥٢
وما يدريك أنها رقية ثم قال: قد أصبتم	٢٩٦، ٤٩٦، ٥١٠
وهذه البئر صارت معروفة اليوم ببئر الخاتم	١٦٧
يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود	٢٥٠
يا أهل القبور السلام عليكم	٣١٧
يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف	٢٠، ٦٣٨، ٦٤٥
يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك	٣٩١
يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي	٣٦٨
يا رسول الله أي جلسائنا خير قال: من ذكركم	٣٩٥
يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله	٣٧٩
يا رسول الله وما المفرِّدون	١٨١
يا رسول الله! ابسط يدك حتى أبايعك	٣٧٩
يا عائشة ما كان معكم لهو؟	٢٣٣، ٢٥٠
يا عباد الله احبسوا	٨٥
يا فلان ابن فلان قال: إنا وجدنا ما وعدنا	١٠٣
يا محمداه استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا	١١١، ٣٢٧
يابلال حدثني بأرجى عمل عملته في	٤٩٠
يابني إذا أنامت فالحد لي لحداً	٢٩٣

يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون	٥٢٦
يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل	٢٩٣، ٣٠٠
يستحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن	٢٩٤
اليسير من الرياء شرك	١١٤، ٣٣٠
يضحك الله من رجلين يقتل أحدهما الآخر	٦٣٩
يقرأ عليكِ عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه	١٥٥
يقول الرب تعالى يوم القيامة، سيعلم أهل الجمع	٢٢٢، ٣٥٦
يقول الله عز وجل: حقت محبتي للمتحابين فيَّ	٣٧١
ينادي من كل باب من أبواب الجنة	٣٦٢
ينزل ربنا تبارك وتعالى	٦٤٦



كشاف الأشعار

الشعر	الصفحة
أتيناكم أتيناكم	٢٢٣، ٢٥٠
أرأيت تلك التي لله قد نذرت	٢٥٢
أضاعوني وأي فتىً أضاعوا	٢٧٥
أطوف بالبيت مع من يطوف	٢٧٧
ألم ترياني كلما جئت طارقاً	٢٨٥
أنا في الغربة أبكي	٢٦٥
أنا من أهوى	٤٤١
إذا كان هذا كافراً جاء ذمه	١٣٦
إذا لم يكن للشيخ خمس فوائدٍ	٣٨٧
إذا ما قال لي ربي	٢٧٦
إذا وصف الطائيَّ بالبخل ما درّ	٥٣١
إصحب من الإخوان من قلبه	٣٩٦
إلهنا ما أعد لك	٢٧٨
اضرب الدُّفَّ وجانب جاهلاً	٢٣٧
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	١٥٠، ٢٥٥، ٢٦٣
تنازع الناس في الصوفي واختلفوا	١٠
خلوا بني الكفار عن سبيله	٢٥٣
دع ما ادعته النصارى في نبيهم	٢١٣
رب ورقاء هتوف في الضحى	٢٦٨
رحماك يا رب العباد رجائي	٢٧٨
سارت مشرقة وسرْت مغرباً	١٨٤

صغير هواك عذبني	٢٦٨
طريقتنا تنجي الفؤاد من الغوى	٤٧٠
علم التصوف علم ليس يعرفه	٣٠
علم التصوف علم لا نفاد له	٣٠
علمٌ به تصفية البواطن	٢٥
علمتني الحياة أن أتلقى	٢٨٠
على محمد صلاة الأبرار	٣٦٧
غبت بك عني	٤٤١
غنى بهم حادي الأحبة في الدجى	١٨٤
فإذا أتينا المسجد النبوي	٣٥١
فإملاء السمع من محاسن يمليها	٣٦٩
فالجمع بينما تعارضا هنا	٦٢٩
فالكل دون الله إن حققته	٤٣٥
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم	١٩٢
فلما بصرنا به مقبلاً	٢١٠
فما المنازل لولا أن تحل بها	٢٧٩
قد رفضوا الآثام والعيوبا	٢٦
قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب	١٤٧
قوم همومهم بالله قد علقت	٣٩
قيامي والعزيز إليك حق	٢١٠
لا تسلكن طريقاً لست تعرفها	٣٩٧
لا تلم المرء على فعله	٤٦١
لكن سرّ الله في صدق الطلب	٤٠١
اللهم لولا أنت ما اهتدينا	٢٥٣
ما في التواجد إن حققت من حرج	٦١، ١٩٠

مالي وألفاظ زيد	٤٣٣
ناشر الإيمان مبعوث السما	٢٨٠
نحن الذين بايعوا محمداً	٢٥٣
نحن جوار من بني النجار	٢٥٢، ٢٣٥
نفس لا كنت ولا كان الهوى	٢٥٦
هل أنت إلا إصبع دميت	٢٨٥
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	٩٨
وأثبتن للأوليا الكرامة	٤٢٦
وأفضل الخلق على الإطلاق	١٢٩
وأمُرْ بعرف واجتنب نميمة	٢٥
وإنما القوم مسافرونا	٣٩٧
وتلهيك عن دار الخلود مطاعم	٢٦٨
ودع مقالة قوم قال عالمهم	٤٤٠
وعلمك أن كل الأمر أمري	٤٤٣
وفؤادي كلما عاتبته	٢٥٦
وفي دار الحديث لطيف معنى	١٦٧
وفينا رسول الله يتلو كتابه	١٥٠
وقد سن أهل العلم والفضل والتقى	١٤٧
وقل للذي ينهى عن الوجد أهله	١٨٨
وكل خير في اتباع من سلف	٦٤٧
وكن كما كان خيار الخلق	٤٠٣
ولا ترَ العيب إلا فيك معتقداً	٤٦١
ولست أبالي من رماني برية	٦٠٢
وما يخالف ثقة به الملا	٦٢٩
وما ينفع الأصل من هاشم	٤٠٦
ومن أراد ههنا الإنشاد	١٨٤

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه	٩٢، ٣٣٥، ٣٤٩
يا من يراني مذنباً	٤٤٧
يصحب شيخاً عارف المسالك	٤٠٤
يظنوا بي حلولاً واتحاداً	٤٤٣
يعادي الذي عادى من الناس كلهم	٤٤١
يقول قوم عن هداهم ضلوا	٣٨٩



كشاف المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - التفسير الكبير للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٣ - الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٨٥هـ.

٤ - روح المعاني في تفسير القرآن الكريم، تأليف محمود الآلوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٥ - تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير القرشي الدمشقي، دار الفكر، بيروت، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٦ - تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل)، دار الفكر، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٧ - تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تأليف القاضي عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٨ - تفسير النسفي، للإمام الجليل عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٩ - شرح الصاوي على تفسير الجلالين. دار الفكر. بيروت. (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

١٠ - صفوة التفاسير، للمؤلف الشيخ محمد علي الصابوني، دار القلم العربي بحلب، دار النمير بدمشق - الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

١١ - زاد المسير في علم التفسير، تأليف الإمام أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

١٢ - الكشاف، للشيخ محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

١٣ - التفسير والمفسرون، تأليف الدكتور محمد حسين الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت الثانية، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).

١٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لفؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

١٥- أسباب النزول، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

١٦ - الفتوحات الإلهية، المعروف باسم ((حاشية الجمل)).

١٧ - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، المطبعة الخيرية (١٣٠٦)هـ.

١٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ السيوطي، المطبعة الميمنية.

١٩ - تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، دار الفكر بيروت.

٢٠- - أحكام القرآن، لأبن العربي، دار المعرفة.

٢١ - مسند أحمد، مطبعة صادر، بيروت ١٣٨٩هـ.

٢٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبن حجر العسقلاني، طبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٨٥هـ.

٢٣ - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤هـ.

٢٤- شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٥ - موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان للشيخ علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب أرناؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٧ - الأدب المفرد للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي = دار البشائر الإسلامية، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٨ - سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي والسندي، تحقيق مكتب التراث الإسلامي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٩- سنن أبي داود، دراسة وفهرسة كمال يوسف الحوت دار الجنان، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٠ - سنن الترمذي، دار الحديث، القاهرة، للشيخ محمد بن عيسى بتحقيق وشرح أحمد شاكر القاضي.

٣١ - سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

٣٢ - المسند الجامع، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الجيل، بيروت، الشركة المتحدة، الكويت.

٣٣- المستدرك للحاكم علي الصحيحين، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٤ – سنن أبي داود الطيالسي، دار المعرفة.

٣٥ – سنن البيهقي، طبعة الهند ١٣٥٢هـ.

٣٦ – تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي، تحقيق عبد الرحمن شرف الدين، المكتب الإسلامي، الدار القيمة.

٣٧ – مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح للعلامة علي الفارسي، طبعة ملتان بباكستان.

٣٨ – عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨هـ.

٣٩ – مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري، تصوير إحياء التراث العربي مصورة عن نسخة المطبعة اليمنية.

٤٠ – تاريخ دمشق لابن عساكر، القسم المطبوع.

٤١ – تحفة الأحوذي بشرح سنن الترمذي للمباركفوري، مطبعة الاعتماد في القاهرة.

٤٢ – الأربعون النووية للإمام الحافظ شيخ الإسلام يحيى بن شرف الدين النووي حققه نادر خرسة الرنكوسي وأشرف على تحقيقه الشيخ أحمد نصيب المحاميد، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٤٣ – دليل الفالحين لطرق الصالحين لابن علان الصديقي، مطبعة حجازي.

٤٤ – تاريخ بغداد للخطيب، دار الكتب العلمية.

٤٥ – سنن الدارمي، دار الريان ١٤٠٧هـ، دار الفكر.

٤٦ – موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي رواية ابن قاسم، وتلخيص القابسي حققه محمد بن علوي بن عباس المالكي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٤٧ – عمل اليوم والليلة لأحمد بن شعيب النسائي، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ.

٤٨ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي للدكتور أ.ي. ونسنك.
أستاذ العربية بجامعة ليدن ١٩٣٦، مكتبة إبريل.

٤٩ – صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي.
ضبطه ورقمه وخرج أحاديثه الدكتور مصطفى البغا.

٥٠ – الزهد لهناد بن السري الكوفي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

٥١ – تهذيب الآثار لمحمد بن جرير الطبري، مطبعة المدني، القاهرة.

٥٢ – زاد المعاد لابن قيم جوزية، تحقيق الشيخ شعيب أرناؤوط والشيخ عبد القادر أرناؤوط مؤسسة الرسالة ١٣٩٩هـ.

٥٣ – مسند عبد بن حميد (المنتخب منه) مكتبة السنة بمصر.

٥٤ – الكامل في الضعفاء لعبد الله بن عدي، دار الفكر ١٤٠٤هـ.

٥٥ – السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ.

٥٦ – الشريعة لمحمد بن الحسين الآجري، القاهرة ١٣٦٩هـ.

٥٧ – الأوائل لابن أبي عاصم، طبعة المكتب الإسلامي.

٥٨ – مصنف ابن أبي شيبة الكوفي العبسي، دار الفكر، تعليق سعيد اللحام ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٥٩ – الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، تحقيق مصطفى عمارة، دار الجيل. بيروت ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٦٠– نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للعلامة محمد بن علي الشوكاني، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٦١ - مجمع الزوائد للهيثمي، تحقيق عبد الله درويش - دار الفكر لبنان ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م.

٦٢ - صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦٣ - سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني لأبي الطيب محمد آبادي دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦٤ - الجامع الصغير للسيوطي، تحقيق محمد محي الدين بن عبد الحميد، دار خدمات القرآن.

٦٥ - عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي مع شرح ابن قيم الجوزية.

٦٦ - سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ.

٦٧ - رياض الصالحين للإمام النووي، حققه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار الفيحاء دمشق، دار السلام الرياض، الطبعة الثالثة عشر، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٦٨ - الطب النبوي للشيخ ابن قيم الجوزية، علق عليه وخرج أحاديثه الشيخ شعيب أرناؤوط والشيخ عبد القادر أرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الطبعة الثانية.

٦٩ - كشف الأستار عن زوائد البزار، تأليف المحدث الهيثمي. دار الكتب العلمية ، بيروت.

٧٠ – فقه السنة للسيد سابق، الطبعة الحادية عشرة، دار الفتح للإعلام العربي ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٧١ – عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي لابن العربي المالكي، المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ.

٧٢ – شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٥هـ.

٧٣ – بلوغ المرام، لابن حجر، دار الفكر.

٧٤ – تنوير الحوالك للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٥– الخصائص الكبرى للسيوطي، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٨٧هـ.

٧٦ – دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، دار ابن كثير، تحقيق محمد رواس قلعجي.

٧٧ – سنن سعيد بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق الشيخ حبيب الله الأعظمي.

٧٨ – السنة لمحمد بن نصر، دار الثقافة الإسلامية، الرياض.

٧٩ – سيرة ابن إسحاق، طبعة دار الفكر ١٣٩٨هـ، تحقيق الدكتور سهيل زكار.

٨٠ – معرفة السنن والآثار لأحمد بن حسين البيهقي، مصر، تحقيق أحمد صقر.

٨١ – مشكل الآثار للطحاوي، دار صادر، الطبعة الأولى ١٣٣٣هـ.

٨٢ – الكامل لابن عدي دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٨٣ – لسان الميزان لابن حجر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٨٤ – مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى.

٨٥ – مصنف عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي بيروت.

٨٦ – المعجم الصغير للطبراني، دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق سمارة.
٨٧ – المعجم الأوسط للطبراني، مكتبة المعارف، تحقيق الطحان.
٨٨ – المعجم الكبير للطبراني، داز إحياء التراث العربي بيروت.
٨٩ – ميزان الاعتدال للذهبي، دار المعرفة، بيروت.
٩٠ – شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب أرناؤوط المكتب الإسلامي.
٩١ – فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، دار الحديث، القاهرة ١٠٩٣ هـ.
٩٢ – المقاصد الحسنة للسخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.
٩٣ – كشف الخفا للعجلوني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٩٤ – مسند الإمام الشافعي للإمام محمد بن إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٩٥ – سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة الطبعة العاشرة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.
٩٦ – الرد المحكم المتين للغماري.
٩٧ – تاج الأصول للشيخ منصور علي ناصيف.
٩٨ – عمل اليوم والليلة لأبي بكر ابن السني، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٩هـ.
٩٩ – كنز العمال لعلاء الدين الهندي، دار البلاغة بحلب ١٣٩٠هـ.

١٠٠- بهجة النفوس شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة مطبعة الصدق الخيرية بمصر ١٣٤٨هـ.

١٠١- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٧هـ.

١٠٢- شرح معاني الآثار للطحاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ.

١٠٣- المنتقى لابن تيمية.

١٠٤- المعرفة والتاريخ للفسوي، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

١٠٥- إتحاف البررة بمعرفة الأحاديث الموضوعة المشتهرة، بقلم أديب الكمداني الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

١٠٦- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١٠٧- مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

١٠٨- اقتضاء الصراط المستقيم تأليف الشيخ ابن يتيمة، دار المعرفة بيروت.

١٠٩- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

١١٠- نزهة الفكر في سبحة الذكر، تأليف الشيخ محمد عبد الحي اللكنوي، تحقيق حسين محمد مخلوف مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.

١١١- الإرشاد في معرفة علماء الحديث للإمام الحافظ - الخليل بن عبد الله القزويني دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.

١١٢- الأجوبة الفاضلة لعبد الحي اللكنوي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ.

١١٣- اختصار علوم الحديث لابن كثير . دار الفكر بيروت

١١٤- أربعون حديثاً بالإسناد للشيخ أحمد الرفاعي، مكتبة الحلواني.

١١٥- أسد الغابة لابن الأثير دار الفكر ١٤٠٩هـ.

١١٦- طريق الهجرتين لابن قيم الجوزية، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٧هـ.

١١٧- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، ليدن ١٩٥٢م.

١١٨- تدريب الراوي للسيوطي، المكتبة العلمية بالمدينة الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ.

١١٩- الترغيب والترهيب للأصبهاني، دار الكتب العلمية، دار الحديث مصر.

١٢٠- تقريب التهذيب لابن حجر، دار الرشيد ودار القلم، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ

١٢١- جامع بيان العلم لابن عبد البر، المطبعة المنيرية، الأولى ١٣٥١هـ.

١٢٢- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الهند، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.

١٢٣- الشكر لابن أبي الدنيا، دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١٢٤- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، البابي الحلبي الطبعة المحققة.

١٢٥- المغير للحافظ أحمد الغماري دار الرائد، بيروت ١٤٠٢ هـ.

١٢٦- النكت البديعات للسيوطي دار الجنان بيروت ١٤١١هـ.

١٢٧- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣١٨هـ.

١٢٨- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، مطبعة بولاق بمصر ١٣٢٣ هـ.

١٢٩- الاستذكار لابن عبد البر، طبعة القاهرة ١٣٩١ هـ.

١٣٠- التاريخ الكبير للبخاري، دار المعرفة ١٤٠٦ هـ.

١٣١- التاريخ الصغير للبخاري الهند ١٣٨٠هـ.

١٣٢- مسند أبي عوانة، دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٥م، دار الآفاق الجديدة.

١٣٣- الموطأ للإمام مالك مع إسعاف المبطأ برجال الموطأ، تقديم وتنسيق د.فاروق سعد.

١٣٤- شعب الإيمان لأحمد بن حسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ.

١٣٥- مشكاة المصابيح للتبريزي، طبعة المكتب الإسلامي.

١٣٦- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي المطبعة السلفية، مصر.

١٣٧- شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري.

١٣٨- دلائل النبوة لأحمد بن الحسين البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٣٩- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، طبعة البابي الحلبي ١٣٤٦هـ القاهرة.

١٤٠- مسند الشهاب للقضاعي، الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ.

١٤١- مسند الفردوس. للديلمي طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

١٤٢- مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تحقيق عماد عامر، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

١٤٣- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٤٤- قوت القلوب في معاملة المحبوب، للشيخ أبي طالب المكي، تحقيق سعيد نسيب مكارم، دار صادر بيروت ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.

١٤٥- اللمع للطوسي، دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م.

١٤٦- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة، دار الفكر.

١٤٧- الإبريز من كلام سيدي الغوث عبد العزيز الدباغ، تأليف الشيخ أحمد بن المبارك، المطبعة العلمية بدمشق ١١٥٥هـ / ١٧٤٢م.

١٤٨- عوارف المعارف، تأليف الشيخ عبد الله السهروردي، الناشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.

١٤٩- الرسالة القشيرية، للشيخ عبد الكريم بن هوازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٣٠هـ.

١٥٠- طبقات الصوفية، للإمام أبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة من علماء الأزهر، دار الكتاب النفيس، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٥١- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، تأليف العلامة المحدث أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي رحمه الله، ضبط وتعليق فضيلة العلامة إبراهيم اليعقوبي، مطبعة الملاح.

١٥٢- لطائف المعارف، للشيخ ابن رجب الحنبلي، حققه ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/ ١٩٩٥م.

١٥٣ - المنقذ من الضلال للغزالي، مطبعة صبيح وأولاده بمصر ١٣٧١هـ.

١٥٤- الحلية لأبي نعيم الأصفهاني - دار الفكر، بيروت - لبنان.

١٥٥- الفتوحات المكية - للشيخ محي الدين بن عربي، مطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٩ هـ.

١٥٦- البرهان المؤيد لسيدي الشيخ أحمد الرفاعي، قدم له وخرج أحاديثه وعلق عليه، عبد الله محمد علي مسعود دار الأنصاري، حلب، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

١٥٧- حكم السيد أحمد الرفاعي، للإمام الرفاعي، حققه وعلق عليه عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، الطبعة الأولى ١٤٠٨/١/١ هـ.

١٥٨- مسلك ناجية القطبين في مراحل السالكين، للشيخ محمد مهدي بهاء الدين جمع الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط.

١٥٩- طي السجل، تأليف السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الرواس، عني بنسخه وتحقيقه الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط، الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ

١٦٠- بوارق الحقائق للعارف بالله الشيخ محمد مهدي بهاء الدين المشهور بـ (الرواس) قدم له عبد الجليل العطا، دار البشائر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الطبعة الثانية.

١٦١- رفرف العناية للعارف بالله الشيخ محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بـ (الرواس) الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

١٦٢- السير والمساعي في أوراد وأحزاب الرفاعي قدس الله سره، جمعه ورتبه السيد إبراهيم الراوي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٦٣- الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلاني، دار المعرفة - بيروت - لبنان ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

١٦٤- شطحات الصوفية لعبد الرحمن بدوي

١٦٥- سر الأسرار تأليف الشيخ عبد القادر الجيلاني دار ابن القيم دار السنابل الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

١٦٦- آداب السلوك تأليف الشيخ عبد القادر الجيلاني دار السنابل، تحقيق محمد غسان نصوح عز قول ١٤١٣هـ / ١٩٩٥م - الطبعة الأولى.

١٦٧- جلاء الخاطر. تأليف الشيخ عبد القادر الجيلاني، تحقيق خالد الزرعي وعبد الناصر سري. مكتبة الجيلاني الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٦٨- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للشعراني.

١٦٩- لطائف المنن والأخلاق للإمام الشعراني، منشورات دار الحكمة دمشق، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧٠- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني حققه طه عبد الباقي والسيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف.

١٧١- تنبيه المغترين للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ضبطه وعلق عليه عبد الجليل العطا، دار البشائر، الطبعة الأولى.

١٧٢- الوصايا للشيخ ابن عربي، محي الدين أبي عبد الله الحاتمي الأندلسي. مطبعة كرم.

١٧٣- الوصايا- للحارث المحاسبي مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة - ١٣٨٤ هـ.

١٧٤- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تأليف الشيخ تقي الدين السبكي، دار الآفاق الجديدة بيروت.

١٧٥- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للشيخ محمد أمين الكردي الزملكاني مطبعة السعادة بمصر ١٣٥٨ هـ.

١٧٦- معراج التشوف إلى حقائق التصوف للعارف بالله الجليل سيدي أحمد بن عجيبة الحسني. الطبعة الأولى. مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م.

١٧٧- الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور. تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الشهير بابن المبرد. حققه وعلق عليه الشيخ عبد الهادي الخرسة والشيخ محمد خالد الخرسة.

١٧٨- الحقائق الإسلامية تأليف الشيخ الحاج مالك بن الشيخ داود. مكتبة الحقيقة ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

١٧٩- إيضاح الدلالات في سماع الآلات تأليف الشيخ عبد الغني النابلسي. دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان. دار الفكر بدمشق - سورية ١٤٠١هـ/١٩٨٩م.

١٨٠- شرح الحكم العطائية للمؤلف عبد المجيد الشرنوبي. دار ابن كثير دمشق بيروت. علق عليه الشيخ عبد الفتاح البزم الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ/١٩٨٩م.

١٨١- قواعد التصوف لأحمد زروق الفاسي. مطبعة مصر ١٣١٨ هـ.

١٨٢- مفاهيم يجب أن تصحح تأليف السيد محمد بن علوي المالكي الحسني الطبعة الرابعة. ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م دولة الإمارات العربية المتحدة وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف.

١٨٣- المقالات السنية. تأليف الشيخ عبد الله الهرري الحبشي دار المشاريع بيروت - لبنان ١٤١٣هـ/١٩٩٤م.

١٨٤- التعرف لمذهب أهل التصوف تأليف الشيخ أبي بكر محمد بن اسحق الكلاباذي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ١٤١٦ هـ/١٩٩٦م.

١٨٥- السفر الأسنى في الرابطة الحسنى ومعه الرسالة الخالدية في الرابطة النقشبندية حققها وعلق عليها عبد الجليل العطا (البكري) دار النعمان للعلوم الطبعة الأولى دمشق رمضان ١٤١٨هـ كانون الثاني ١٩٩٨م.

١٨٦- الصوفية والتصوف للشيخ عدنان حقي، الطبعة الثانية قدم له الشيخ كريم راجح.

١٨٧- تاريخ التصوف الإسلامي منذ البداية حتى نهاية القرن الثاني، تأليف عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات الكويت (الطبعة الثانية).

١٨٨- طريقة الصوفي، تأليف ادريس شاه مؤسس الوفاء، بيروت لبنان ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م. ترجمة سماء زكي المحاسين.

١٨٩- إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين، تأليف الشيخ مرتضى الزبيدي، دار الفكر بيروت.

١٩٠- إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة للمحدث عبد الله الغماري.

١٩١- المدد للشيخ عدنان ياسين، تدقيق الشيخ حسين عسيران ومنير العجوز، تحقيق القاضي أحمد الزين.

١٩٢- السنة والبدعة تأليف الشيخ عبد الله محفوظ الحداد باعلوي الحضرمي، دار العلم دمشق - الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م مؤسسة الشام.

١٩٣- مقدمة الشيخ عبد الحليم محمود، على كتاب (غيث المواهب العلمية في شرح الحكم العطائية).

١٩٤- حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٩٥- الميزان العادل للشيخ عبد القادر عيسى دياب.

١٩٦- ردود على شبهات السلفية تأليف الشيخ محمد نوري الشيخ رشيد النقشبندي الديرثوي، الطبعة الأولى، مطبعة الصباح ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٩٧- أصول الوصول أدلة أهم معالم الصوفية الحقة من صريح الكتاب والسنة بقلم فضيلة الأستاذ محمد زكي إبراهيم، الطبعة الثالثة، سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٩٨- أبجدية التصوف الإسلامي بعض ما له وما عليه الطبعة الرابعة سلسلة منشورات ورسائل العشيرة المحمدية تأليف الشيخ محمد زكي إبراهيم (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

١٩٩- البطولة والفداء عند الصوفية دراسة تاريخية تأليف أسعد الخطيب مطبعة الشام، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٠٠- مجلة لواء الإسلام العدد الثاني شعبان ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م ندوة لواء الإسلام - التصوف في الإسلام.

٢٠١- حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، بقلم محمد بن علوي المالكي الحسني الطبعة الأولى- ١٤٠٢هـ.

٢٠٢- الأدلة الشرعية في جواز الاحتفال بميلاد خير البرية تأليف الدكتور عز الدين حسين الشيخ.

٢٠٣- الذكر والذاكرون، للدكتور صديق السيد رمضان، راجعه العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي.

٢٠٤- حكم القيام والتقبيل في الإسلام، تأليف محمود أحمد الرفاعي. تقديم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

٢٠٥- إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسني. عالم الكتاب. بيروت.

٢٠٦- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للشيخ يوسف النبهاني رحمه الله. دار الفكر. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٠٧- حكايا الصوفية للطبيب محمد أبو اليسر عابدين رحمه الله، دار البشائر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٤م.

٢٠٩- حقيقة الصوفية تأليف أبي سعيد التونسي. مكتبة الفارابي.

٢١٠- التربية الروحية بين الصوفية والسلفيين. الدكتور محمد شيخاني. دار قتيبة. الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢١١- بين التصوف والحياة تأليف الشيخ عبد الباري الندوي. مكتبة دار الفتح. الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

٢١٢- التصوف منشؤه ومصطلحاته. تأليف الدكتور أسعد السحمراني دار النفائس الطبعة الأولى. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢١٣- السالكون إلى الله عز وجل (أخبارهم - أحوالهم - أقوالهم) تأليف الشيخ عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢١٤- الإسعاد في جواز التوسل والاستمداد بقلم الشيخ عبد الهادي محمد الخرسة دار فجر العروبة، ١٩٩٧م.

٢١٥- هذا هو التصوف، تأليف الشيخ رشيد ناجي الحسن، الطبعة الأولى مطبعة اليمامة ١٩٩٦م.

٢١٦- الرابطة الشريفة (أثرها في تزكية النفس وأقوال العلماء فيها) تأليف الشيخ عبد الرحيم الشيخ محمد معصوم الخزنوي. الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢١٧- المدخل إلى التصوف. للسيد محمود أبي الفيض، الدار القومية. القاهرة.

٢١٨- معجم المصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحنفي دار المسيرة. بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٢م.

٢١٩- السنة والبدعة، للشيخ محمد بن علوي المالكي.

٢٢٠- إسعاف المسلمين والمسلمات، بجواز القراءة ووصول ثوابها إلى الأموات تأليف الشيخ محمد المغربي العربي المكي، طبع بإشراف محمد سعيد البرهاني، الطبعة الثالثة.

٢٢١- الرياضة وآداب النفس للحكيم الترمذي، مطبعة مصطفى البابي بمصر. ١٣٦٦هـ

٢٢٢- شخصيات صوفية لطه عبد الباقي سرور، مطبعة مصطفى البابي الحلبي. ١٣٦٨هـ.

٢٢٣- تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر، للشيخ محمد أديب كلكل. المكتبة العربية الطبعة الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٢٤- شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور تأليف الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، شرح وتعليق محمد حسن الحمصي، دار الرشيد. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٢٥- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، مطبعة، محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة - ١٣٧٣هـ.

٢٢٦- الإغاثة بأدلة الاستغاثة - بقلم الشيخ حسن بن علي السقاف. مكتبة الإمام النووي عمان.

٢٢٧- خلاصة التصانيف في التصوف، لحجة الإسلام الغزالي، مطبعة السعادة مصر.

٢٢٨- مدارج السلوك إلى ملوك الملوك، للعارف الكبير محمد نباني.

٢٢٩- شرح عين العلم وزين الحلم، لملا علي القاري، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥١هـ.

٢٣٠- التصوف الإسلامي والإمام الشعراني، لطه عبد الباقي سرور مطبعة النهضة مصر - ١٣٧٢هـ.

٢٣١- المجموعة النادرة لأبناء الآخرة للسيد محمد مهدي الرواس تحقيق الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط - دار البشائر.

٢٣٢- معيد النعم ومبيد النقم، لعبد الوهاب السبكي، مطبعة دار الكتاب العربي مصر - ١٣٦٧هـ.

٢٣٣- فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني، مطبعة شركة التمدن الصناعية، بمصر ١٣٣٠هـ.

٢٣٤- شرح شطرنج العارفين، للشيخ محمد الهاشمي، مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٧هـ.

٢٣٥- اليواقيت والجواهر، للشعراني، مطبعة الأزهرية المصرية - ١٣٠٥هـ.

٢٣٦- بستان العارفين للنووي، مطبعة إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ.

٢٣٧- الانتصار لطريق الصوفية، لأحمد صديق الغماري، مطبعة دار التأليف بمصر.

٢٣٨- الفتوحات الإلهية على شرح المباحث الأصلية، للعلامة ابن عجيبة.

٢٣٩- الحكم العطائية للإمام ابن عطاء الله السكندري، ١٤٠٦هـ/١٣٨٦م. الطبعة الثانية، ضبط وتقديم الشيخ إبراهيم اليعقوبي.

٢٤٠- الروح لابن القيم. تحقيق يوسف علي بديوي، دار ابن كثير.

٢٤١- الصوفية والفقراء - للشيخ ابن تيمية.

٢٤٢- الجواب الكافي لابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان دمشق - بيروت الطبعة الثامنة - ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٤٣- مختصر منهاج القاصدين للشيخ أحمد بن قدامة المقدسي، دار الهجرة، دمشق - بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٤٤- خلق المسلم، للشيخ الغزالي، دار القلم دمشق - ١٤١٦هـ/١٩٩٢م.

٢٤٥- كرامات الأولياء، تأليف الشيخ، أبو محمد الحسن بن محمد الخلال حققه وعلق عليه عبد الجليل العطا، الطبعة الثانية/ ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٤٦- النظام الخاص لأهل الاختصاص، الإمام الرفاعي حققه وعلق عليه عبد الغني دار الكتاب النفيس، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢٤٧- حقيقة الفرقة الناجية للشيخ سقاف بن علي الكاف، دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت - ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٤٨- إحياء علوم الدين، للغزالي ، دار الجيل بيروت وبهامشه تخريج الإمام العراقي، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٤٩- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، تأليف الشيخ الإمام تاج الدين بن عطاء الله السكندري، المكتبة الأدبية.

٢٥٠- الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر الجيلاني دار الكوثر ١٩٩٦م.

٢٥١- الأم، للشافعي دار المعرفة، بيروت.

٢٥٢- كشف القناع على متن الإقناع تأليف الشيخ البهوتي الحنبلي مكتبة النصر الحديثة، بيروت.

٢٥٣- مغني المحتاج للشربيني، على متن منهاج الطالبين للإمام النووي، دار الفكر.

٢٥٤- المغني ومعه الشرح الكبير، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١١٩٨٣م.

٢٥٥- روضة الطالبين، للإمام النووي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٥٦- نهاية المحتاج في شرح المنهاج، تأليف شمس الدين محمد بن أبي العباس الرملي، دار الفكر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٩م.

٢٥٧- فتاوى الإمام النووي، ترتيب الشيخ علاء الدين بن العطار، دار الترمذي، الطبع الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٥٨- المجموع (شرح المهذب) للإمام النووي، دار الفكر، ويليه فتح العزيز الوجيز ويليه التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني.

٢٥٩- الفتاوى الكبرى، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، وبهامشه فتاوى الرملي. ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

٢٦٠- الزواجر على اقتراف الكبائر، تأليف الشيخ ابن حجر الهيثمي. مطبعة البابي ١٣٩٨هـ/١٩٨٧م.

٢٦١- الحاوي للفتاوى للشيخ جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، تحقيق محمد عبد الحميد، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٢٦٢- تأييد الحقيقة العلية، للإمام جلال الدين السيوطي.

٢٦٣- نصب الراية، للزيلعي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٦٤- التمهيد لابن عبد البر، للقرطبي يوسف بن عبد الله، تحقيق سعيد أحمد أعراب ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٢٦٥- المغني لابن قدامة المقدسي تحقيق د: عبد الله التركي ود: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٦٦- حاشية ابن عابدين، الطبعة الثانية١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٢٦٧- الهدية العلائية، لعلاء الدين عابدين، مطبعة دار الفكر بدمشق، ١٣٨٠هـ

٢٦٨- حكم الغناء في الإسلام، تأليف عبد الكريم عكاش، دار المحبة، ١٩٩٢م.

٢٦٩- حكم الغناء والسماع المسمى الرد على من يحب السماع، للقاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله بن عمر الطبري، دار النابغة، خرج أحاديثه عبد الرحيم أحمد قمحية.

٢٧٠- قوانين الأحكام الشرعية، محمد بن أحمد بن جزيء المالكي، دار العلم للملايين ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

٢٧١- المقاصد للإمام النووي.

٢٧٢- فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢٧٣- فتح القدير، لابن الهمام، المطبعة الكبرى الأميرية.

٢٧٤- الإنصاف للشيخ علاء الدين علي المرداوي الحنبلي.

٢٧٥- الوسائل في شرح المسائل، للسيوطي.

٢٧٦- الأحكام للآمدي.
٢٧٧- المستصفى من علم الأصول، للإمام الغزالي، مطبعة مصطفى محمد.
٢٧٨- الموافقات في أصول الشريعة، للإمام الشاطبي، دار المعرفة بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦.
٢٧٩- حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، مطبعة بولاق، بمصر ١٢٩٠هـ.
٢٨٠- عرائس الغُرَر وغرائس الفِكَر في أحكام النظر، تأليف علي بن عطية الهيتمي، تحقيق محمد فضل عبد العزيز المراد، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢٨١- الفروق، للقرافي، دار إحياء الكتب العربية.
٢٨٢- الروض المربع شرح زاد المستنقع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ.
٢٨٣- مراقي الفلاح، للشرنبلالي، تحقيق الشيخ عبد الجليل العطا.
٢٨٤- الفتاوى الهندية.
٢٨٥- موسوعة فقه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، تأليف الدكتور محمد رواس قلعجي، دار النفائس، سلسلة فقه السلف، الطبعة الثالثة١٩٨٦م.
٢٨٦- الأشباه والنظائر، للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٥٦هـ.
٢٨٧- الدرر المباحة في الحظر والإباحة للنحلاوي، مطبعة الاعتدال، بدمشق ١٣٦٦هـ.
٢٨٨- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
٢٨٩- شرح المنهاج، للسبكي.

٢٩٠- شرح الهداية، للكمال بن الهمام.

٢٩١- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان الصديقي، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٧ هـ.

٢٩٢- الأذكار للنووي، مطبعة الملاح حققه الشيخ عبد القادر أرناؤوط، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٢٩٢- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر العسقلاني المدينة المنورة ١٣٨٤هـ.

٢٩٤- مجموعة رسائل ابن عابدين.

٢٩٥- شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، للشيخ ابن عابدين.

٢٩٦- الجوهر المنظم لابن حجر.

٢٩٧- المحلى لابن حزم.

٢٩٨- الهداية للمرغيناني، المطبعة الأميرية مع فتح القدير.

٢٩٩- تذكرة الحفاظ، للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠٠- شذرات الذهب، لابن العماد الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٠١- نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض للشيخ شهاب الدين الخفاجي ١٣١٤هـ مكتبة المشهد الحسيني القاهرة.

٣٠٢- إعلام الموقعين لابن القيم السعادة.

٣٠٣- طبقات ابن سعد، دار صادر.

٣٠٤- سيرة ابن هشام، طبعة دار الجيل، بيروت.

٣٠٥- السيرة الحلبية، لبرهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت.

٣٠٦- السيرة النبوية، والآثار المحمدية لزيني دحلان، على هامش السيرة الحلبية.

٣٠٧- رجال الفكر والدعوة في الإسلام، لأبي الحسن الندوي، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٧٩هـ.

٣٠٨- فقه السيرة النبويه للدكتور البوطي، دار الفكر (بيروت، دمشق) الطبعة العاشرة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٣٠٩- وحدة الوجود لمصطفى كمال الشريف مطبعة العلم بدمشق ١٣٩٠هـ.

٣١٠- المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي.

٣١١- مناقب أحمد بن حنبل، لابن الجوزي.

٣١٢- شرح شمائل الترمذي لمحمد بن قاسم جسوس، مطبعة محمد صبيح بمصر ١٣٤٦هـ.

٣١٣- الشمائل للترمذي، تحقيق عزت عبيد الدعاس، مؤسسة الزعبي. حمص. (١٣٨٨)هـ.

٣١٤- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تأليف العلامة أحمد بن محمد القسطلاني. المكتب الإسلامي. (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

٣١٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق علي البجاوي. القاهرة. بهامش الإصابة.

٣١٦- الشفا في حقوق المصطفى. للقاضي عياض. القاهرة.

٣١٧- شرح المواهب اللدنية. للزرقاني. دار المعرفة. بيروت.

٣١٨- طبقات الحفاظ، تأليف جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٩- البَداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

٣٢٠- تاريخ الإسلام، تأليف حسن إبراهيم حسن، إحياء التراث، الطبعة السابعة (١٩٩٥)م.

٣٢١- الإصابة في تميز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٢٨)هـ.

٣٢٢- الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة، القسم التاسع تأليف محمد حمدي الجويجاني، إمام جامع الروضة بدمشق.

٣٢٣- حياة الصحابة، للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، دار الريان للتراث، القاهرة الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٣٢٤- السيف القاطع السيوطي.

٣٢٥- الأسماء والصفات، للبيهقي.

٣٢٦- الإيمان، لمحمد بن إسحاق بن منده، مؤسسة الرسالة (١٤٠٦هـ).

٣٢٧- الإبانة، لأبي الحسن الأشعري.

٣٢٨- تحفة المريد، للشيخ إبراهيم بن محمد الباجوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٠٣)هـ.

٣٢٩- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تأليف الإمام الحافظ ابن الجوزي، الطبعة الأولى، دار الإمام النووي (١٤١٢ - ١٩٩١م).

٣٣٠- شرح العقيدة الطحاوية، للألباني.

٣٣١- شرح الجوهرة، للباجوري، راجعه فضيلة الأستاذ عبد الكريم الرفاعي (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

٣٣٢- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تأليف مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٣٣٣- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للإمام فخر الدين الرازي.

٣٣٤- ترتيب مختار الصحاح للرازي، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر (١٩٩٣م - ١٤١٤هـ).

٣٣٥- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

٣٣٦- المصباح المنير، للفيومي، المطبعة الأميرية، بمصر، (١٩١٢)م.

٣٣٧- تجريد ابن عجيبة على شرح متن الأجرومية.

٣٣٨- لسان العرب، لابن منظور، بولاق، المطبعة المحمودية بمصر (١٢٩٠هـ).

٣٣٩- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام النووي، الطبعة المنيرية.

٣٤٠- كشف الظنون، لحاجي خليفة، مطبعة مكتبة المثنى، بغداد.

٣٤١- إغاثة اللهفان، لابن القيم، مطبعة مصطفى بابي الحلبي.

٣٤٢- المسلمون في الهند، للعلامة الكبيرة أبي الحسن الندوي.

٣٤٣- روائع إقبال، للأستاذ أبي الحسن الندوي.

٣٤٤- الثقافة الإسلامية، للمؤرخ الكبير الأستاذ محمد راغب الطباخ.

٣٤٥- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، مع شرحه: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، كلاهما للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤٦- الفَرْق بين الفِرَق، للإمام عبد القاهر البغدادي.

٣٤٧- الحكايات المنثورة، للحافظ ضياء الدين المقدسي

٣٤٨- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، للشيخ ابن تيمية.

٣٤٩- رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٣٥٠- مجلة لواء الإسلام، صاحب الامتياز: أحمد حمزة.

٣٥١- من كنوز الإسلام، تأليف محمد فائز المط، الدار المتحدة، الطبعة العاشرة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

٣٥٢- في رحاب الله، للشيخ أحمد بهجت، مطبوعات الجديد.

٣٥٣- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لمحمد السفاريني الحنبلي، مطبعة النجاح، بمصر، (١٣٢٤)هـ.

٣٥٤- مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، مطبعة البهية، بمصر.

٣٥٥- زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وأثر محبته في رقي النفس المؤمنة، للشيخ محمد أمين شيخو، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٣٥٦- ردود على أباطيل وتمحيصات لحقائق دينية، تأليف الشيخ محمد الحامد، الطبعة الثالثة المكتبة العربية (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

٣٥٧- الإسلام وقضايا الفن المعاصر، تأليف الدكتور ياسين محمد حسن، دار الألباب الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٣٥٨- السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٣٥٩- هذا والدي، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر دمشق، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٣٦٠- إلى كل فتاة تؤمن با لله، بقلم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي دمشق.

٣٦١- الصلاة على النبي، للشيخ عبد الله سراج الدين.

٣٦٢- المواقف للأمير عبد القادر الجزائري، مطبعة الشباب (١٣٤٤)هـ.

٣٦٣- نشر المحاسن الغالية، لليافعي، مطبعة دار الكتب العربية، بمصر، (١٣٢٩)هـ.

٣٦٤- الرسول والعلم، للدكتور يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة والدار المتحدة، الطبعة الخامسة، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

٣٦٥- النور المبين على المرشد المعين، لمحمد بن يوسف الكافي، المطبعة العمومية بدمشق (١٣٥٧)هـ.

٣٦٦- شمس العلوم، لأبي حسن الحميري.

٣٦٧- حجة الله على العالمين، ليوسف النبهاني، المطبعة الأدبية، بيروت (١٣١٦)هـ.

٣٦٨- شفاء السائل لتهذيب المسائل، لابن خلدون، مطبعة بيروت، (١٩٥٩)م.

٣٦٩- خلاصة الوفا للسمهودي.

٣٧٠- تحذير العبد الأواه من تحريك الأصبع في الصلاة، صنفها حسن بن علي سقاف الطبعة الثانية، دار الإمام النووي (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٣٧١- المطالب العالية، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت.

٣٧٢- التراتيب الإدارية، للعلامة الكتاني، المطبعة الأهلية بالرباط، (١٣٤٦)هـ.

٣٧٣- نور التحقيق لحامد صقر، مطبعة دار التأليف بمصر.

٣٧٤- شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري.

٣٧٥- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، للنابلسي، مطبعة الدار العامرة (١٢٩٠هـ).

٣٧٦- تاج العروس للزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر (١٣٠٦هـ).

٣٧٧- ترتيب المدارك، للقاضي عياض، تحقيق أحمد محمود، مكتبة الحياة بيروت.

٣٧٨- جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام صلى الله عليه وسلم، لابن القيم الجوزية.

٣٧٩- الخصائص الكبرى، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨٠- الصلات والبشر بالصلاة على خير البشر، للفيروز آبادي، تحقيق محمد نور الدين الجزائري وآخرين، دمشق.

٣٨١- اللمعة في أجوبة الأسئلة السبعة للسيوطي.

٣٨٢- الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي، دار الفكر.

٣٨٣- حاشية العلامة علي العدوي على شرح الإمام الزرقاني.

٣٨٤- اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٨٥- شرح التقريب للعراقي.

٣٨٦- الإلهامات الإلهية للشيخ محمود أبي الشامات.

٣٨٧- الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٨٨- مجلة المسلم، العشيرة المحمدية، عدد ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ.

٣٨٩- الباعث الحثيث لابن كثير.

٣٩٠- شرح الطريقة المحمدية النابلسي.

٣٩١- النصرة النبوية لمصطفى المدني، مطبعة العامرية بمصر ١٣١٦هـ.

٣٩٢- الأربعين في أصول الدين للغزالي مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٤٤هـ.

٣٩٣- خمرة الحان وزنة الألحان لعبد الغني النابلسي مطبعة التضامن الأخوي ١٣٥١هـ.

٣٩٤- الإنسان الكامل للجيلي مطبعة بولاق ١٢٩٣هـ.

٣٩٥- قوانين حكم الإشراق لكافة الصوفية في جميع الآفاق لأبي المواهب الشاذلي، مطبعة مصر.

٣٩٦- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح لابن عطاء الله السكندري. مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ.

٣٩٧- مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرا ر الغيوب لعبد الرحمن الأنصاري المعروف بالدباغ مطبعة دار صادر بيروت ١٣٤٨هـ.

٣٩٨- خلاصة التصانيف في التصوف للغزالي مطبعة السعادة بمصر.

٣٩٩- روضة الناظرين لأحمد الوتري مطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ.

٤٠٠- فرائد اللآلي من رسائل الغزالي - عني بتصحيحها محمد بخيت ١٣٤٤هـ.

٤٠١- لمحات عن التصوف لحامد الميرغني في مطبعة شباب محمد صلى الله عليه وسلم ١٣٦٩هـ.

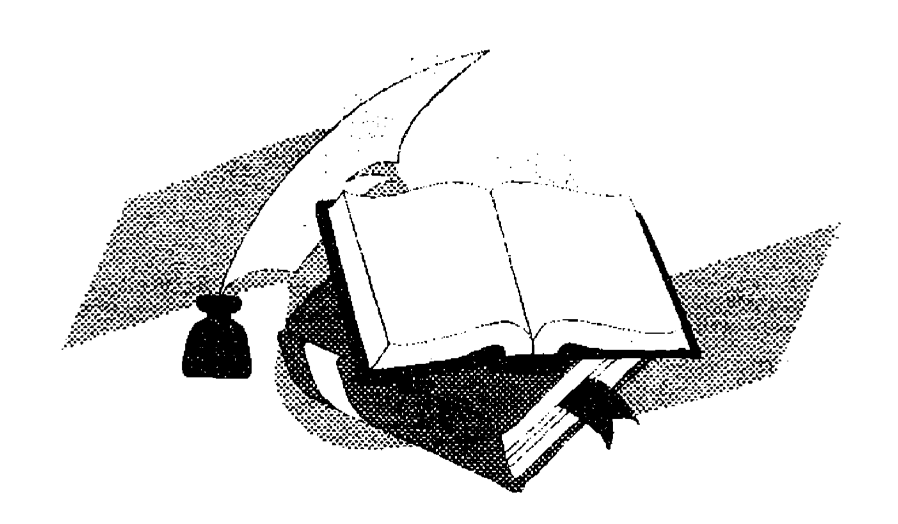
٤٠٣- الطريق إلى ا الله لأبي سعيد الخراز مطبعة السعادة بمصر.

٤٠٣- العبودية لابن تيمية الحراني مطبعة منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

٤٠٤- سفر السعادة للفيروز آبادي مطبعة دار العصور والنشر ١٣٥٢هـ.

٤٠٥- المسائل الكافية لمحمد يوسف الكافي التونسي مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٠٣هـ.

٤٠٦- حاضر العالم الإسلامي، الأمير شكيب أرسلان مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر ١٣٥٢هـ.




تم بحمد الله

الكشاف العام

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
المقدمة	
١. التصوف	٩
٢. التوسل	٨١
٣. المدد	١٢٤
٤. المولد	١٣٥
٥. التبرك	١٥٣
٦. الحضرة	١٧١
٧. الحركة بالذكر	١٧٥
٨. تقبيل اليد	١٩٣
٩. السيادة	١٩٩
١٠.القيام	٢٠٥
١١.الذكر الجهري	٢١٩
١٢.الذكر بالاسم المفرد (الله)	٢٢٧
١٣.الدف	٢٣٣
١٤.السبحة	٢٤١
١٥.الإنشاد والسماع	٢٤٩
١٦.وصول ثواب القرآن	٢٩٣
١٧.زيارة القبور	٣١٣

١. الذكر مع الجماعة	٣٥٥
٢. الحب في الله (الرابطة)	٣٦١
٣. المبايعة	٣٧٥
٤. المرشد	٣٨١
٥. الصحبة	٣٩٣
٦. الفرقة الناجية	٤٠٩
٧. الورد	٤١٣
٨. الفرق بين الكرامة والاستدراج	٤١٩
٩. الشطح	٤٣٣
١٠. وحدة الوجود	٤٣٥
١١. الاتحال والحلول	٤٣٧
١٢. حل الإشكالات حول الشيخ محي الدين بن عربي	٤٤٥
١٣. المجاهدة	٤٥٩
١٤. الطريقة والحقيقة	٤٦٩
١٥. السنة والبدعة	٤٧٩
١٦. الاستعانة بالقرآن العظيم	٥٠٩
١٧. المذاهب	٥١٥
١٨. الأدب مع العلماء والصالحين	٥٩٨
١٩. حجاب المرأة المسلمة	٦٠٥
٢٠. المصافحة بعد الصلاة	٦١١
٢١. صلاة الأوابين	٦١٣
٢٢. مس غير الطاهرين المصحف	٦١٥
٢٣. سنة الجمعة القبلية	٦١٧
٢٤. صلاة الظهر بعد الجمعة	٦١٩
٢٥. صنع أهل الميت الطعام	٦٢١
٢٦. تلقين الميت بعد الدفن	٦٢٣

١. قضاء الفوائت	٦٢٥
٢. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الأذان	٦٢٦
٣. تحريك الإصبع في التشهد	٦٢٧
٤. صلاة التراويح	٦٣١
٥. التأويل وإثبات المجاز عند السلف	٦٣٧
الخاتمة	٦٤٩
الفهارس الفنية	٦٥١
كشاف الآيات	٦٥٣
كشاف الأحاديث	٦٦٧
كشاف الأشعار	٦٩٣
كشاف المصادر والمراجع	٦٩٧
الكشاف العام	٧٣١
كتب للمؤلف	٧٣٤



إن الأمـة الإسـلامية في هذا الوقت تعيش في صـراع بين مؤيد ومنكر وبين من يقول هذه سنة وهذه بدعة ،

وبهذا الصراع تركنا المهمة الأساسية ألا وهي أن يكون المسلمون صفاً واحداً كما قال المصطفى ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سـائر الجسـد بالسهر والحمـى .

وهذا الصـراع يتجلى في عدة مسائل لاغير وكأن المكتبة الإسلامية لاتحوي إلا هذه المسائل!! ففكرت أن أحسم هذا الأمـر وذلك بأنني جئت بالأدلة من الكـتاب والسنـة حتى لاينكر عليَّ أحد وأقطع دابر هذا الأمر نهائياً وبعـد ذلك نهتـم بأمـور المسلمين ونكـون قلباً واحداً كما أراد الله ورسـوله وإن جئت بأقوال العلماء والعارفين فإنما أتيت بها على سبيل الاستئناس .

المؤلف